الجزء الثانى من الوسيلة الادبية للعلوم العربية
تاليف حضرة الشيخ حسين المرصفى
مدرس علوم الادب بدار
العلوم الخديوية
المصرية

(طبعة أولى)

(طبعت بمطبعة المدارس الملكية بدرب الجماميز)
من القاهرة المحروسة
(سنة ١٢٩٢ هجرية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المقصد الثالث في فنون البلاغة)

اعلم أن هذه الفنون وغيرها من علوم العربية كما سبقت الاشارة اليه انما قصد بها ذلك همهم في تحصيلها بتتبع الكلام العربي يسمعونه منهم ويروونه عنهم وأول من تنبه لاستخراج هذه الفنون واتخاذها معيارا لصناعة الكلام حسب ما تقتضيه الشاعران الشهيران مسلم بن الوليد وأبو تمام حبيب بن أوس الطائي ولكن لم يدوّناها وانما كانا يتحدثان بها ويسميانها البديع ولما أكثرا من استعمال مقتضياته وتبعهما بعض شعراء ذلك العصر غالب مبالهم مع زخرفة الالفاظ كما سينكشف لك في فن البديع ان شاء الله تعالى أخذ الشعر هيئة غير هيئته العربية حتى ان فحول الشعراء إذ ذاك كانوا يقولون قد أفسد هؤلاء الشعر بذلك الشيء الذي يسمونه البديع ولم يزل يتزايد الحديث في ذلك الى ان جاء عبد الله بن المعتز وقدامة الكاتب فوضع كل منهما موضوعا لطيفا ثم اتسع القول فيه بعد وأقبل عليه كتاب الانشاء وسموه البيان وهذا أنموذج تاليف الاوائل في هذه الفنون ابتدأ بعضهم كتابه بقوله البلاغة على عشرة أقسام الايجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان ثم أخذ في بيان كل منها والاستشهاد عليه وذكر تفاوت البلغاء فيه ولما اتسعت دائرة القول في العلوم الفلسفية بين المسلمين حتى أفضى بهم التكلم في تخليص العقائد الاسلامية وازاحة الشبه عنها الى كشف حقيقة النبوة وبيان جهة اعجاز القرآن رأى الناس نفع هذه الفنون في معرفة اعجاز القرآن الذي هو برهان الدين الحق فصار من العلوم الدينية واشتغل بها طائفة من الناس واكثروا فيها من التاليف وأولهم الشيخ عبد القاهر وبحسب اختلاف جهات البحث ميزوا الفنون وخصوا كلا بلقب وهي ثلاثة فنون فن يبحث عن الالفاظ من حيث كونها مستعملة في معانيها التي وضعت لها أو فيما يناسبها اعتمادا على المناسبات وسموه فن البيان وفن يبحث عن المركبات من حيث تختلف صورها لاختلاف الاغراض منها وسموه فن المعاني وفن يبحث عن أحوال تعرض للكلام فتكسبه حسنا وسموه البديع ولنبدأ بفن البيان لان في علم المعاني احالة عليه والبديع تابع لهما فنقول

ان

ان من نعم الله التى أسبغها علينا ظاهرة وباطنة ان وهبناه هذا الصوت نصوره حروفا نصوغ منها كلما نعينها لتلك الاشياء التى يتناولها تعقلنا تناولها الحس أم لا نحضرها بها عند المدركات متى احتجنا لذلك فتلك الاشياء حينئذ تسمى معانى وتعيين الكلم لها يسمى وضعا واحضارها اياها يسمى دلالة ثم ان الشئ من الاشياء يتعلق به وينسب اليه أمور اما داخلة فيه وهى اجزاؤه واما خارجة عنه كاسبابه ومسبباته ومشابهاته والكلمة المعينة له تحضره بجميع ما يتعلق به جلية متفصلة عند العالم بها فاحضار الكلمة اياه يسمى دلالة المطابقة واحضارها اجزاءه يسمى دلالة التضمن واحضارها ما عدا الاجزاء من المتعلقات يسمى دلالة الالتزام ولذلك يقال ان الكلمة الموضوعة للشئ موضوعة لاجزائه وسائر متعلقاته وضعا تبعيا واذن يتبين لك ان كل ما يحضره اللفظ عند مدركتك يكون له معنى ولك ان تريده به وتقصد فهم مخاطبك اياه منه حيث تريد الحديث عنه والحكم عليه الا ان الشئ الذى له الرتبة الاولى من الملاحظة عند الوضع هو الذى يتبادر الى الفهم ويوجب حكم المخاطب أنه مرادك وان الحديث عنه وعليه الحكم وغيره انما يحكم المخاطب انه مرادك اذا أصحبت اللفظ بامر يدل على أنه مرادك فالالفاظ باعتبار الاوضاع الاصلية والمعانى الاولية تسمى حقائق وباعتبار الاوضاع التبعية والمعانى الثانوية تسمى مجازات فاللفظ اما حقيقة واما مجاز والحقيقة ان وقفت بها الملاحظة عند معناها الاولى لكونه المقصود بالافادة ولم تجعله وسيلة لافادة بعض المعانى بنصب دليل على ذلك سميت حقيقة صريحة والا سميت حقيقة كناية والمجاز والكناية كما سبقت الاشارة اليه هما موضوع هذا الفن

(الكلام على المجاز)

لفظ المجاز اسم مكان من جاز الطريق اذا قطع جوزه أى وسطه وانتهى لغايته تقول هذا الطريق مجاز لكذا تسميه مجازا باعتبار انك تنتهى منه وتخرج عنه الى غيره واللفظ المسمى مجازا مسلك تخرج الملاحظة من معناه الاصلى الى المعنى المناسب له الذى تريد افادته وتفهم المخاطب اياه ومن هذا يمكنك أن تحد المجاز بأنه اللفظ الذى تعتمد فى تفهيم مرادك به العلاقة والقرينة المانعة لمخاطبك أن يفهم غير مرادك والقرينة هى الامر الذى يصحب لفظ المجاز من حال أو لفظ آخر والعلاقة هى المناسبة والارتباط بين المعنى الاصلى والمعنى المراد وقد بحث العلماء عن العلاقات التى لاحظتها العرب فى مجازاتها

وحصروها باستقصاء التتبع وحكموا بأنه لا يصح ان يتجوز بلفظ اعتمادا على غير تلك العلاقات حيث كان الغرض التكلم باللغة العربية والا فلا حجر على المخاطبين أن يعتبروا ما شاؤا وغاية الامر انهم يكونون قد تكلموا بغير اللغة العربية بيد أنه لا يلزم الاسماع نوع العلاقة مثلا سمع منهم تسمية الشئ باسم آلته فلنا أن نسمي كل شئ باسم آلته وان لم يكن مسموعا منهم ثم ان المجاز لكونه خلاف الاصل لا يصار اليه الا لفائدة كلامية تختص به لا تعطيها الحقيقة ثم مرجع جميع تلك العلاقات المعتبرة كما يعطيه تقسيم الدلالة هو الكلية والجزئية أو التلازم بين المعنيين لكن اختلاف جهة التلازم أوجب تعدد العلاقات واسمائها وهي باستقصاء التتبع من أئمة الفن رحمهم الله تعالى عشرون اثنتان مأخذهما التلازم بين السبب ومسببه وهما السببية ان كان المجاز لفظ السبب والمسببية ان كان لفظ المسبب ومأخذ اثنتين بين العام وخاصه وهما العموم ان كان لفظ العام والخصوص ان كان لفظ الخاص وهكذا البيان في بقية العلاقات التي هي الآلية والكلية والجزئية والاطلاق والتقييد والحالية والمحلية والمجاورة والبدلية والمبدلية واعتبار ما كان وما يؤل اليه الشئ والملزومية واللازمية والتعلقية والمشابهة الامثلة مع بيان بعض فوائد المجاز قال بعض الشعراء

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

الضمير من رعيناه يعود للسماء وهو المطر فكانه قال رعينا المطر والمرعى هو النبات الذي سببه المطر قال تعالى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون والاسامة هي ارسال البهائم للرعي وهي سائمة فاستعمل لفظ السبب في المسبب فالعلاقة السببية وفائدة هذا المجاز توصل الشاعر به الى وصف قومه بانهم بلغوا من القوة غايتها ومن السلاطة نهايتها فهم سادة الناس والناس لهم تبع وذلك أن معنى قوله انا السابقون الى الانتفاع بمنافع الارض لا يعارضنا احد في ذلك ولا يمنعه نفسه فسوائمنا على آثار الامطار راعية أنف النبات في اول نشأته وأوان نضرته والناس في انتظار اذننا فلو قال رعينا نبات كل ارض وان غضب أهلها لم يكن مفيدا كل ذلك وقد أفرغ بعضهم هذا المعنى في قالب آخر حيث يقول

أرى كل قوم قاربوا قيد فحلهم * ونحن خلعنا قيده فهو سارب

وقال تعالى وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ذرية الناس أولادهم والمحمول في السفن الى ارض العرب هو الاطعمة وما به حفظ الحياة ومنها نماؤهم والتولد منهم

فاستعمل

فاستعمل لفظ المسبب فى سببه وفائدته بيان ان المنة عليهم والاحتفاء بهم وكونهما
فى الدرجة التى ليس وراءها منتظر من الظهور بحيث تكون الغفلة عن ملاحظتهما
وقلة الشكر عليهما والخروج عن حيز اختصاصه بالعبودية له وتنزيهه عن تشبيه
بعض مخلوقاته به أمور تجعل اصحابها اسوأ حالا من البهائم كما قال ان هم الا كالانعام
بل هم أضل وفيه مع التنبيه على موضع عظم المنة وسلطان الدلالة ذكر جميع المنافع
الحيوانية والانسانية بأخصر عبارة لان لفظ الذرية يذكر جميع مقدماتها كما يبعث
تعقل حكم الله تعالى فى انشاء هذه الانواع وترتيبها فى سلسلة الشهود الوجودى بعد
الغيبة العدمية وارسال الاصول فى تربية الفروع الى الحد الذى أراده والغاية التى
قدرها وعبارة الحقيقة لا تفيد كل هذا كما ظهر لمن يستعمل فكره فيما خلق لاجله
وقال تعالى أم يحسدون الناس والمراد محمد صلى الله عليه وسلم فعبر عنه باسمه العام له
ولغيره ومن فوائد تسليم المحكى عنه من تناول ألسنة اعدائه اياه والاشارة الى أن
الحسد قبيح تعلق بمن كان حيث ربطه بالاسم العام وان الفضل المحسود عليه هو منافع
الكافة الحاسدين وغيرهم ورميهم بالغباوة أو فرط العناد حيث لم يعرفوا منافعهم
أو عرفوا وتركوا وقال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فأفاد هذا
المجاز أن المؤمنين مع كون اعدائهم يدا واحدة فى الايقاع بهم متى قدروا والسنتهم
منطلقة بتهديدهم والارجاف بهم على غاية من اليقين وثبات الجنان وصدق العزيمة
لا يبالون باعدائهم ما كانوا فلو قيل الذين قال لهم نعيم بن مسعود لم يفد ذلك وأسماء
القبائل كتميم وقريش وتيم من استعمال الاسم الخاص عاما وكان تقول فى احزاب
ذوى رأساء فرق هذا على زيد وهذا على خالد وقال تعالى يجعلون اصابعهم فى آذانهم
تسمية للانامل اصابع ويقول أمير الجيش لجواسيسه وديدبانات انما انتم عيوننا اليكم
نجاتنا وهذه اوطانكم مسكونة بأهلكم وعيالكم فيسميهم عيونا وذلك انما يكون اذا
كان الجزء هو المقصود من الشئ وكأن الشئ ليس الا ذلك الجزء وقال تعالى واجعل لى
لسان صدق فى الآخرين تسمية للذكر الحسن والثناء الجميل باسم آلته ومن استعمال
المطلق فى المقيد قوله تعالى فتحرير رقبة والمراد رقيق مؤمن ومن استعمال المقيد فى
المطلق مثل قولك جحفلة زيد والجحفلة شفة الخيل واعتبار ما كان مثل قوله تعالى وآتوا
اليتامى أموالهم واعتبار ما يؤل له الشئ مثل قولك اعط رجال هذا المكتب كذا
ونساءه كذا واستعمال اسم الحال فى المحل مثل قوله تعالى ففى رحمة الله ومقابله

مثل قوله فليدع ناديه والنادي مجلس القوم فيه يتحدثون ومن استعمال اسم المبدل منه في البدل قول الشاعر * اكلت دما ان لم أرعك بضرة *
اي دية وكان من العار عندهم اخذ الدية ولم يكن الا في العاجزين عن الثار ومقابله مثل قولك في ملك فلان الف دينار لمتاع يساوي ذلك وعلاقة اللزوم حيث لا يكون هنالك معنى خاص يؤخذ منه اسم كاستعمال الشمس في الضوء في قولك دخلت الشمس من هذه الكوة واستعمال الضوء في الشمس واستعمال المصدر في معنى المشتق وعكسه قيل العلاقة فيه التعلق وهو يدخل في الكلية والجزئية هذا والمجاز المرسل ربما فات على الملاحظة في درجة الكلام وربما خفيت الفائدة فيه فهو يحتاج الى دقة نظر واما علاقة المشابهة التي نوعت المجاز الى استعارة وهو ما كانت علاقته والى مجاز مرسل وهو ما علاقته غيرها فانها تظهر المجاز حيث كانت الاشياء المتشابهة أجنبيا بعضها عن بعض ولذلك ترى من خص علم البديع بالتاليف يشرح الاستعارة ويعدها من أنواعه

(القول في الاستعارة)

اعلم انه اذا اشترك امران في معنى أو اكثر على تفاوت بينهما فيه فثم معنى مقصود بالافادة وسمي بالعبارة عنه اهل البيان عبارة التشبيه وعرفوه بانه الحاق امر بامر في صفة بأداة لغرض فالامران الملحق والملحق به هما المشبه والمشبه به والصفة المشتركة هي وجه الشبه والاداة هي الالفاظ المفيدة لذلك مثل وجه زيد كالقمر وكانه قمر وتخاله قمرا وتحسبه وتقول انه وهو مثل ثم ان عبارة التشبيه تورد على صور مختلفة تقول زيد كالبحر وزيد بحر بحذف الاداة ويسمى حينئذ تشبيها بليغا أي بالغا غاية لم يبلغها الاول فان العبارة الاولى منادية بالفرق بين الطرفين والعبارة الثانية ناطقة بالاتحاد وتقول رأيت اليوم قمرا بديع الشمائل ساحر الطرف دري اللفظ بحذف الاداة وأحد الطرفين وحينئذ يجيء اسم الاستعارة فالاستعارة تشبيه أبلغ حيث تركت العبارة المشعرة بالاثنينية مع الفرق أو دعوى الاتحاد فليس معنا الا امر واحد نخبر عنه ونحكي في شأنه وتنقسم الاستعارة حسب اعتبارات الى مصرحة ومكنية والى اصلية وتبعية والى مرشحة ومجردة ومطلقة والى تمليحية وتهكمية والى تمثيلية وغير تمثيلية فان كان المستعار اسم جنس جامدا ولو تأويلا كالاعلام المشتهرة أصحابها بأوصاف كحاتم المشتهر بالجود ومادر المشتهر بالبخل وباقل المشتهر بالعي وكان هو المذكور فالاستعارة هي المصرحة الاصلية

وان

وان كان غير اسم جنس جامد فعلا أو حرفا ومشتقا فهي التبعية وان كان المذكور لفظ المستعار له فهي المكنية وان كانت الاستعارة مقرونة بما يناسب المشبه به فهي المرشحة وان كانت مقرونة بما يناسب المشبه فهي المجردة والمطلقة غيرهما وان كان المستعار لفظ أحد الضدين للآخر فان كان على سبيل الاستهزاء فهي التهكمية وان كان على سبيل التلطف والتحسين فهي التمليحية وان كان التشبيه بين هيئتين منتزعتين من عدة أمور فهي الاستعارة التمثيلية والتفاوت بين طرفي التشبيه في المعنى المشترك بينهما وهو المسمى وجه الشبه في غير الاستعارة والجامع بين الطرفين فيها باعتبار كونه في المشبه به أقوى أو أعرف والغاية في التشبيه افادة المساواة بين أمرين أو فوة المعنى في المشبه بحيث يحسن ادعاء تساوي الطرفين فيه والاستعارة التبعية هي التي تقع تبعا لاستعارة تسبقها في الملاحظة فتكون السابقة أصلية وتكون اللاحقة تبعية وبيان ذلك ان الاستعارة اذا جرت في المشتقات وقد عرفت ان أصلها التشبيه فالغرض انما هو تشبيه المعاني المستقلة التي تضمنتها المشتقات غالبا مثلا اذا قلت ركب فلان كتفي غريمه فلان فقد شبهت شدة لزومه اياه وقهوريته له فكأنك قلت لزومه اياه كركوب كتفيه فاستعرت الركوب للزوم فيكون هذا الاصل مستعملا في غير ما وضع له فجميع الفروع تكون مستعارة تبعا له وكما تكون الاستعارة في المشتقات باعتبار المادة تكون باعتبار الهيئة فتستعار الهيئة الدالة على الزمن الماضي للزمن الآتي بجامع تحقق ما يحصل فيهما والايقان به قال تعالى أتى أمر الله فبعث الناس للحساب وفصل القضاء بينهم وايصال كل الى مقره المعدله أمر يقع في الزمن الآتي فعبارته الدالة عليه أتى أمر الله فلكونه متحققا يقينيا قيل أتى أمر الله وقال تعالى فيه هدى للمتقين أي المتلبسين بالتقوى وهي اجتناب مانهوا عنه وامتثال ما أمروا به عند استماع الامر والنهي فاستعير ما يدل على التلبس بالفعل لما يحصل التلبس به وربما كانت الاستعارة في موضوع الصفة كما اذا قلت فلان يرى مضربه كقتله فهو يفزع من ذلك فزعه من هذا واذا جرت الاستعارة في الحروف فالتشبيه يكون في المعاني الكلية مثلا تقول ترتب عاقبة الشيء عليه مثل ترتب المعلول على علته فيكون كل ترتب جزئي مشبها الترتب جزئي فتستعار حينئذ الحروف الدالة على الترتبات الجزئية العلية للترتبات العاقبة قال تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فالغرض من التقاط موسى الانتفاع به كما ينتفع بالابناء ولكن ترتب على التقاطه

عداوته لهم واحزانه اياهم فوقعت العاقبة موقع الغرض فعبر عنها بعبارته والاستعارة بالكناية أو المكنية أى المستورة لا تكون مذكورة فى الكلام وانما يذكر مع المستعار له بعض خواص المستعار منه فيدل عليها وهو قرينة الاستعارة وتارة يكون لفظ القرينة مستعارا أيضا وتارة لا يكون مستعارا ومع ذلك يسمى فى الاصطلاح استعارة تخييلية قال تعالى ينقضون عهد الله فالعهد مشبه بالحبل فان الدين يعصم القلوب من افتراق الاهواء ما بقى على حالته كما يمنع الحبل الحزمة من تفرق عيدانها ما بقى على متانته والتواء بعض طاقه على بعض فالحبل المستعار لم يذكر وذكر النقض الذى هو تفريق طاقات الحبل وازالة صورته وهو مستعار لتفريق الدين وابطال صورته فقرينة المكنية فيه استعارة تصريحية تبعية وفى قول لبيد

وَغَداةِ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقِرَّةٍ * قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمالِ زِمامُها

تشبيه الشمال والبرد بانسان وناقة امسك بزمامها فهو يقبل بها تارة ويدبر تارة فاليد والزمام غير مستعارين لشئ عاينه انه يوقع فى الخيال للقرة زماما وللشمال يدا والترشيح التقوية والمرشحة مقواة بذكر ما يلائم المشبه به قال تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فحديث ربح التجارة يقوى استعارة الاشتراء والتمثيل جعل مثال للشئ يكون على صورته وهيئته جملته كجملته وأجزاؤه كأجزائه والاستعارة التمثيلية كذلك فمن قال

أرى ماء وبى ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

مكان أن يقول أعلم ان الحبيب وراء هذه الجدرانات العالية ودونه هذا الحرس الشديد فأنا على ما بى من حرارة الشوق وشدة الولع لا يمكننى الوصول الى مغازلته والراحة بالمحادثة معه فقد شبه حالة المحب هذه بهيئة ظمآن شديد الظمأ واقف على رأس جدار عال تحته ماء وليس له درج فهذه الصورة مثال تلك الصورة ولما كان فى التشبيه من تصوير الحال والتأثير فى النفوس ما لا تبلغه العبارات الاصلية كثر فى الكلام كثرة بالغة لا تكاد قصة من الكلام العالى تخلو منه وكلما كان التشبيه أغرب وأكثر معانى كانت النفوس له أميل وبه أبهج وسنورد عليك له أمثلة تكون بمنزلة رياض نضرة تنزه فيها خاطرك وترتاح اليها نفسك قال تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا فان تصوير حال الولدان من كونهم فى الجمال والملاحة متشابهين لا يتميز بعضهم عن بعض بحيث لا تتناول العين الاملاحة ولا تجد

النفس

النفس الابهجية باللؤلؤ المنثور لا يكون بأن يقال ولدان حسان رائعون يشبه بعضهم بعضا في الجمال وقال وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون أى اللؤلؤ فى صدفه أو المحفوظ عما يغير نضارته ويكدر صفاء مائيته ولما كانت الحور مقصورات فى الخيام وكان الولدان مترددين فى وظائف خدمهم كان اللؤلؤ المكنون مثل الحور وكان مثل الولدان اللؤلؤ المنثور وقال والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ وقال مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف وقال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أعمال الكفار من عبادة الاصنام فى العرب بأنواع العبادات التى ما لا يضرهم منها لا ينفع وعبادة الهنود النار والماء والبقر والكواكب ومعاناتهم الشدائد فى ذلك أعمال باطلة لا تستعقب خيرا غير أنها فى ظاهر الامر اعمال بر وانقياد وتسليم انفس وأموال فى طاعة الله فضرب لها المثل من حيث ظاهرها المطمع وباطنها المحسر بالسراب وضرب الرماد وهو ما يبقيه احراق النار حيث تطير به الريح الشديدة مثلا ليأسهم من الانتفاع بها وكذلك الهباء المنثور بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع اعلم ان الخالق البارئ المصور قد أودع كل نوع من أنواع مخلوقاته سرا اليه ينسب جميع ما يظهر صدوره منه فى مسكنه نسبة الفعل الى الفاعل وبازاء ذلك السر ومسكنه يوضع اسم النوع مثلا نوع الانسان نوع مستوى القامة عريض الاظفار ماش على رجليه عامل بيديه دائم الفكرة فى الماضى والحاضر ونتائجهما الآتية الى غير ذلك من الخصائص الانسانية فهى منسوبة لذلك السر المسمى انسانا وله باعتبارات مختلفة عدة اسماء فباعتبار لطفه ومشابهته الريح يسمى روحا وباعتبار استضافة الاجزاء التى يزداد بها حجم مسكنه يسمى غاذيا وناميا وباعتبار افاضته الصورة يسمى قوة مصورة وباعتبار حفظ الصور والمعانى يسمى عقلا وهكذا بقية الاسماء واعتباراتها فاسم الزرع موضوع بازاء السر الذى يذهب بأعضاء النبات ممتدا الى الجهات المختلفة على الحدود المعينة الى الغاية التى له والشطأ هو المادة الحافظة له فى الحبة والنواة وغيرهما فى اسكنت الحبة رحم الارض مع استيفاء شرائط النبات وجد ذلك السر مساغا لتمديد ما معه واستضاف الاجزاء المتناسبة موزعا لها على احيازها الطالبة لها حتى يكون شخص تام قائم على صورته الخاصة به فيكون

شيأ واحدا ذا أجزاء مؤتلفة منتظمة الاعمال على نهج واحد ضرب الزرع مثلا لأمة سرها الدين الحق الذي بدأها بواحد ثم لم يزل يستضيف الواحد الى الواحد والجملة الى الجملة حتى قامت أمة مؤتلفة القلوب مجتمعة الالسنة ساعية في طريق واحدة الى غاية ينتظر اليها الكل على السواء فأنت تجد التمثيل لها بالزرع مفيدا مع الاختصار من الارتباط ووحدة المقصود ومالا يعطيه أن يقال أمة مؤتلفة الى آخر ما يقال من العبارة عن المعاني التي يحصرها عندك ذكرك التمثيل بالزرع وفي هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقوله المؤمن لاهل الايمان بمنزلة الرأس للجسد وقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم هذا وعليك باطلاق الفكر في سائر التشابيه القرآنية التي هي بمنزلة الشمس من التشابيه اذ كانت صادرة عن اللطيف الخبير الذي لا تخفى عليه خافية وقال عليه الصلاة والسلام الناس معادن كمعادن الذهب والفضة وقال ابو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر وقال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقال ما أنتم في غيركم الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود وقال مثل ما بعثني الله به من الهُدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقيَّةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أَجَادِبُ أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفةً أخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به وقال العالم في قومه كالنبي في أمته فأي عناية تلزم طالب الادب باعتبار مقاصد التشبيه الذي شرفه بالاستعمال الكلام المقدس الصادر عن الحضرة الالهية والصادر عن حضرة الرسالة ثم ان الشعراء لهجوا قديما وحديثا باستعماله على تفاوت عظيم بينهم في توقيعه في مواقعه وتزيينه بقرائن يناظر بعضها بعضا في الملاحة حتى انه ربما كان التشبيه من المبتذلات فتجعله القرينة اللطيفة من المستغربات كقول أبي الطيب

لم تلق هذا الوجهَ شمسُ نهارِهِ * إلا بوجهٍ ليس فيه حياءُ

وكثر على ألسنة الشعراء قديما التشبيه بالشمس قال النابغة الذبياني

فانكَ شمسٌ والملوكُ كواكبُ * اذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

وقال العباس بن الاحنف

هي

هي الشمس مسكنها في السماء * فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود * ولن تستطيع اليك النزولا

فأحسن أبو الطيب التصرف فيه حيث أثبت ونفى ورفع وخفض واذا كان وجه التشبيه خفيا وجب ذكره والا فالاحسن حذفه حتى لو زاد ظهوره كانت الاستعارة أحسن من التشبيه فالاحسن لمن حصل علما وانزاحت عنه شبهة أن يقول قد انزاحت عن قلبي ظلمة وامتلأ نورا دون أن يقول شبهة كالظلمة وعلما كالنور قال الطغرائي

ابذل فان المال شعر كلما * أوسعته حلقا يزيد نباتا

فتشبيه المال بالشعر في ان ازالة كل توجب تكاثره من التشابيه الغريبة التي لا تؤهلها إلا الفطنة بعد الفطنة ومما ينتهي بك الى غاية معرفة ما بين الشعراء من التفاوت الامر الواحد يتناول تشبيه العدد الكثير منهم وهذا انموذج ذلك الثريا مصغر ثروى بالقصر امرأة ثروى كثيرة المال وهو اسم الكوكب الذي غلب عليه اسم النجم كما تعرفه من قول العربي اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء وهو مجموع كواكب صغار متقاربة منها ستة ظاهرة والسابع خفي يختبر الناس به حدة البصر وكان أكمل الناس في جميع احواله نبينا صلى الله عليه وسلم يعد الثريا احد عشر كوكبا أكثر الشعراء من العرب وغيرهم تشبيهه قال الهيثم بن عدي احد علماء الادب في الصدر الاول كنا عند صالح بن حسان فقال انشدوني أحسن بيت في تشبيه الثريا فقال قائل بيت عبد الله بن الزبير كامير من شعراء بني أمية

وقد لاح في الغور الثريا كأنما * به راية بيضاء تخفق للطعن

فقال صالح أريد أحسن من هذا فقيل بيت امرئ القيس

اذا ما الثريا في السماء تعرضت * تعرض اثناء الوشاح المفصل

فقال أريد أحسن من هذا فقيل بيت ابن الطثرية

اذا ما الثريا في السماء كأنها * جمان وهى من سلكه فتسرعا

فقال أريد أحسن من هذا فقال الحاضرون ما عندنا شئ فقال صالح بيت أبي قيس ابن الأسلت

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى * كعنقود ملاحية حين نورا

فهؤلاء من شعراء العرب جاهليان ابو قيس وامرؤ القيس وأمويان يزيد بن الطثرية وعبد الله بن الزبير وانما كان تشبيه ابن الاسلت أحسن لكونه تضمن جميع أحوال

النجم من شكل المجموع وشكل الاجزاء ومقاديرها فى رأى العين وهيأتها الوضعية وقرارها فى موضعها فقد أمعن النظر قبل التشبيه ولذلك افتخر بقوله لمن رأى فلبست حشوا والملاحية بضم الميم وتخفيف اللام أو تشديدها نوع من العنب الابيض فى حبه طول وامرؤ القيس فاته بعض ذلك مع اشتمال بيته على ماليس له دخل فى التشبيه فان مخلص لفظ التشبيه الثريا كقطعة من وشاح مفصل وفى بيت ابن الطثريه الحركة فى المشبه به مفسدة للتشبيه وأنزل هذه التشابيه تشبيه ابن الزبير ويروى بيت ابن الطثريه * جمان وهى من سلكه فتبددا * وهو أحسن قال ذوالرمة

وردت اعتسافا والثريا كأنها * على قمة الرأس ابن ماء محلق

ومن تشابيه المولدين للثريا قول ابن المعتز

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لأكل عنقود

وقوله

زارنى والدجى أحم الحواشى * والثريا فى الغرب كالعنقود
وهلال السماء طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود

وقوله

أتانى والاصباح برفل فى الدجى * بصفراء لم تفسد بطبخ واحراق
فناولنيها والثريا كأنها * جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

وقول أبى الفرج الببغاء من شعراء اليتيمة المتكسبين بالشعر

خذوا من العيش فالاعمار فانية * والدهر منصرف والعيش منقبض
فى حامل الكاس من بدر الدجى خلف * وفى المدامة من شمس الضحى عوض
كأن نجم الثريا كف ذى كرم * مبسوطة للعطايا ليس تنقبض

وقول الصنوبرى

فى الشرق كأس وفى مغاربها * قرط وفى أوسط السماء قدم

ولبعضهم فى شكاية طول الليل

كأن الثريا راحة تشبر الدجى * لتنظر طال الليل أم قد تعرضا
عجبت لليل بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

وقول الاشهب ابن رميلة

ولاحت لساريها الثريا كأنها * لدى الأفق الغربى قرط مسلسل

فهذا أحسن ما قيل فى تشبيه الثريا قال بشار بن برد وهو من شعراء الدولتين الاموية
والعباسية مازلت منذ سمعت قول أمرئ القيس فى تشبيه شيئين بشيئين

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

أعمل نفسى فى تشبيه شيئين بشيئين حتى قلت

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وتشبيه بشار هذا من أحاد التشابيه يحكى انه قيل لبشار من أين جاءك هذا التشبيه
ولم تر الدنيا قط فانه ولد أعمى فقال ان عدم الاشتغال بالمنظورات يوفر الحس ويقوى
الذكاء وأنشد لنفسه

عميت جنينا والذكاء من العمى * فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعلم رافدا * بقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه * بقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

وقد استعمل بشار هذا التشبيه ونزل فيه درجة فى قوله مخاطبا

خلقت سماء فوقنا بنجومها * سيوفا ونقعا يقبض الطرف أقتما

ثم ان الشعراء مشوا على أثر بشار فى هذا التشبيه قال منصور النمرى

ليل من النقع لا شمس ولا قمر * الا جبينك والمذروبة الشرع

قال مسلم ابن الوليد

فى عسكر تشرق الارض الفضاء به * كالليل أنجمه القضبان والأسل

وقال ابن المعتز وترك الليل والنجوم

اذا شئت أوقرت البلاد حوافرا * وسارت وراءى هاشم ونزار
وعم السماء النقع حتى كأنه * دخان وأطراف الرماح شرار

وقال المتنبى

فكأنما كسى النهار بها دجى * ليل وأطلعت الرماح كواكبا

فهؤلاء فحول الشعراء المعدودون ينبغى أن تتأمل كيف حالهم فى المشى على أثر ذلك
الشاعر الفريد وقد ضربت صفحا عن كثير تناولوا ذلك التشبيه كيفما تناولوه وبيت
بشار المذكور من قصيدة موجود بعضها فى الكتب وهى من الشعر الرصين الذى يعرب

عن نفسه بدرجة براعته فرأيت اثبات ما وجدت منها ليتخذه طلاب الادب سراجا يمشون في ضوءه قال

جفاوده فازور أو مل صاحبه * وأزرى به أن لا يزال يعاتبه
خليلي لا تستكثرا لوعة الهوى * ولا سلوة المحزون شطت حبائبه
اذا كنت في كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه
رويدا تصاهل بالعراق جيادنا * كانك بالضحاك قد قام نادبه

ومنها

وسام لمروان ومن دونه الشجا * وهول كلج البحر جاشت غواربه
أحلت به أم المنايا بناتها * بأسيافنا إنا ردى من نحاربه
وكنا اذا دب العدو لسخطنا * وراقبنا في ظاهر لا نراقبه
ركبنا له جهرا بكل مثقف * وابيض تستسقي الدماء مضاربه
وجيش كجنح الليل يزحف بالحصا * وبالشوك والخطي حمر ثعالبه

ومنها

غدونا له والشمس في خدر أمها * تطالعها والطل لم يجر ذائبه
بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه * وتدرك من نجى الفرار مثالبه

ومنها

بعثنا لهم موت الفجاءة اننا * بنو الموت خفاق علينا سبائبه
فراحوا فريق في الاسارى ومثله * قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه
اذ الملك الجبار صعر خده * مشينا اليه بالسيوف نعاتبه

قال بعض رجاز العرب *(والشمس كالمرآة في كف الاشل)*

ومنه أخذ القاضي الفاضل قوله

والشمس من بين الارائك قد حكت * سيفا صقيلا في يد رعشاء

والشهاب التلعفري قوله

أفدي الذي زارني في الليل مستترا * أحلى من الامن عند الخائف الدهش

ولاحت

ولاحت الشمس تحكى عند مطلعها * مرآة تبر بدت فى كف مرتعش

وادريس بن اليمانى العبدى قوله

قبلة كانت على دهش * اذهبت ما بى من العطش

ولها فى القلب منزلة * لو عدتها النفس لم تعش

طرقتنى والدجا لبس * خلعا من جلدة الحبش

وكأن النجم حين بدا * درهم فى كف مرتعش

ومن التشبيه نوع سموه تشبيها ضمنيا أو مكنيا عنه كقول أبى الطيب يخاطب سيف الدولة ابن حمدان

رأيتك فى الذين أرى ملوكا * كأنك مستقيم فى محال

فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

فقد تضمن احتجاجه لدعواه تشبيه الممدوح بالمسك فى أن كلا مباين لاصله بخصائص جعلته حقيقة منفردة واستعمل هذا التشبيه مرة ثانية فى نفسه حيث يقول

وما أنا منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام

ومن الطرائف ما يحكى أن بعض الناس قال لابى الطيب ان القافية ألجأتك الى مقابلة المستقيم بالمحال وانما يقابله المعوج وماذا كنت تقول فى قافية البيت الثانى لو قلت فى الاول كأنك مستقيم فى اعوجاج فقال كنت أقول فان البيض بعض دم الدجاج ثم ان المقابلة صحيحة اذ المحال فى اللغة هو المصروف عن جهة قصده فهو معوج والمحال بمعنى الممتنع استعمال اصطلاحى بين أهل علم الكلام وليس لغويا ومثل قول محمد ابن وهب

وبدا الصباح كأن غرته * وجه الخليفة حين يمتدح

يسمى التشبيه المقلوب ومثل قول ابى الطيب

بدت قمرا ومالت خوط بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا

التشبيه المفروق ومثل قول امرئ القيس* كأن قلوب الطير * التشبيه الملفوف ومثل قوله

حملت ردينيا كأن سنانه * سنى لهب لم يتصل بدخان

تشبيه التفصيل وقد يترك التشبيه الى الحكم بالتشابه فرارا من ترجيح أحد المتساويين فى رأى المتكلم مثل قول الصاحب اسماعيل بن عباد

رقّ الزجاجُ وراقت الخمرُ * فتشابها وتشاكل الأمرُ
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ * وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

وعن هذا المعنى عبر بعض المغاربة بقوله

خفيتْ على شرّابها فكأنما * يجدون ريا من اناء فارغ

ومثل قول ابى اسحاق ابراهيم بن هلال الصابئ

تشابه دمعى اذ جرى ومدامتى * فمن مثل ما فى الكاس عينى تسكب
فوالله ما أدرى ابالخمر اسبلت * جفونى أم من عبرتى كنت أشرب

ومن المشبه به ما يكون أمرا وهميا يحصل به غرض التشبيه كقول امرئ القيس فى تشبيه النبال * ومسنونة زرقٌ كأنياب أغوالِ * يحكى ان بعض الملحدين الذين يتهالكون فى طلب مثلبة يميلون بها الى القرآن قال فى مجلس بعض الملوك ما حسن التشبيه بما لا يعرفه الناس فى قوله * طلعها كأنه رؤوس الشياطين * فقال بعض العلماء الحاضرين انصبوا الى منبرا أجيب فوقه عن مسألة هذا فلم يزد حين علاه ان أنشد قول امرئ القيس هذا فخرس الملحد وفرح المجلس وقد شبه بعضهم بأمر اخترعه كقول الصنوبرى

وكأن محمرّ الشقيـ * ـق اذا تصوّب او تصعّد
أعلام ياقوت نُشرْ * ن على رماح من زبرجدْ

وكقول القاضى التنوخى وهو من العبارات النيرة

وراح من الشمس مخلوقة * تضمنها قدح من نهار
هواء ولكنه جامدٌ * وماء ولكنه غير جار
كأنّ المدير لها باليمين * اذا مال بالشرب أو باليسار
تدرع ثوبا من الياسمين * له فرد كمّ من الجلنار

وهذا وان كان حسنا لكنه ليس فى الفضل مثل قول ابن الرومى

ولازورديةٍ تزهو بزرقتها * بين الرياض على حمر اليواقيت
كانها فوق قامات ضعفن بها * أوائل النار فى أطراف كبريتِ

فالتشبيه بين الاشياء المحققة أدل على النباهة وأعجب للنفوس ووقع هذا التشبيه لشاعر آخر ولكن ليست عبارته فى سلاسة عبارة ابن الرومى قال

بنفسج بذكي المسك مخصوص * مافي زمانك ان وفاك تنغيص
كأنما شعل الكبريت منظره * أوخذأ غيد بالتخميش مقروص

هذا وليس كل مافيه الكاف أو كأن يعد في نظر أهل صناعة الكلام العارفين بها الواقفين على أسرارها المتفننين الى دقائقها وانما التشبيه ما جلت فائدته وحسن موقعه من غرضه واعتبر هذا بتشبيهات نختم بها شواهد التشبيه قال بعض العرب

ولما بدا الى منك ميل مع العدى * على ولم يحدث سواك بديل
صددت كما صد الرمي تطاولت * به مدة الايام وهو قتيل

ولراشد بن حكيمة الكاتب حيث انتهت به السن الى ضعف عضو التناسل

ينام على كف الفتاة وتارة * له حركات لا يحس بها الكف
كما يرفع الفرخ ابن يومين رأسه * الى أبويه ثم يدركه الضعف

ولم يبق في أيدي الناس اذذاك من شعر راشد هذا الا شعره في هذا المعنى وهو كثير وفيه محاسن وتناقله المؤلفون في كتب الادب وقال ابن الرومي

ماأنسى لا انسى خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
مابين رؤيتها في كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * في صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

وقال ابن رشيق

ومهفهف يحميه عن نظر الورى * غيران سكنى الملك تحت قبابه
أوما الى ان ائتني فأتيته * والفجر ينظر من خلال سحابه
فضممته للصدر حتى استوبت * مني ثيابي بعد طيب ثيابه
وكان قلبي من وراء ضلوعه * طير بأخبر قلبه عما به

ومن أحسن التشابيه في خفقان القلب قول من قال

ولي كبد حرا ونفس كأنها * بكف عدو ما يريد سراحها
كأن على قلبي قطاة تذكرت * على ظمأ وردا فهزت جناحها

والتشبيه الذي يكون المشبه به فيه مركبا فيكون وجه الشبه منتزعا من المجموع يسمى تشبيه التمثيل فتى حذفت منه المشبه والاداة صار استعارة تمثيلية ومتى صلح لان يستعمل في مواضع كثيرة استشهادا أو استرواحا وتأسيا سمي مثلا قال

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رأوها أقشعت وتجلت

وقال آخر
هجرتك لا قلاً منى ولكن * رأيت بقاء ودك فى الصدود
كهجر الحائمات الورد لما * رأت ان المنية فى الورود
تفيض نفوسها ظمأ وتخشى * حماما فهى تنظر من بعيد

فلو قال هجرت الحائمات الورد حين رأت الارصاد فهى تنظر بسبب حياتها وتخشى سبب موتها كان استعارة تمثيلية كما قيل أخذا من هذا أرى ماء البيت وكفاك هذا القدر من أمثلة التشبيه معيارا تعرف به جودة ما يرد عليك منه ولنخص بك حينئذ فى أمثلة الاستعارة قال الله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا الباطل هو الاحكام التى من جهتها يدخل الفساد على الحالة التى هى صلاح الكافة و بضدها تتميز الاشياء فالحق خلاف الباطل وزهوق نفس الحى مفارقتها بدنه والباطل ليس حيوانا فيكون لفظ الزهوق مستعملا فى غير ما وضع له وهو اضمحلال الباطل وذهابه من الكون فيعرفنا هذا أن الباطل قد شبه بذى روح يكون به حيا يعمل اعماله التى أعده الله لعملها وتفارقه فلا يستطيع عملا فالاستعارة مكنية حيث كان المذكور فى الكلام من طرفى التشبيه هو المشبه والمشبه به غير مذكور مشار اليه بما هو له خاصة وذلك هو المسمى قرينة المكنية و يظهر لك من التقرير انه هنا استعارة تحقيقية تصريحية تبعية وهذا الكلام مع شدة اختصاره يفيد بسبب الاستعارة المكنية ما لا تفيده الحقيقة التى هى ذهب الباطل ومن لم يكن آتاه الله علم أسرار الصناعة الكلامية يخيل له أن الكلام لو كان جاء الحق وذهب الباطل كان مشتملا على حسن المطابقة التى هى من الوجوه التى تكسو الكلام حسنا كما يعرب عنه فن البديع و يكون كقوله قبل أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق و بيان ما تفيده الاستعارة المكنية هو تصويرها الفكر المتعقل الباطل فى صوره وقوة الحق الذى يبطلها و يزيلها وانه يجب أن يكون إلهيا لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وطريق تصوير الباطل فى صوره أنه لما شبه بذى روح دون تخصيص حيوان أوجب أن يلتفت فكرك الى سائر أنواع الحيوان وخواص كل نوع وحينئذ تقول الباطل مثل السباع العادية افتراسا مجاهرة أو ختلا أو بالمكر والحيلة فتشبه باطلا بأسد و باطلا بذئب و باطلا بثعلب و باطلا بغراب وحدأة و باطلا بثور وحمار الى غير ذلك وأشد الباطل وأنكره ما يكون شبه الانسان حيث كان الانسان جامعا لسائر خصائص جميع الانواع فالبعض يعمل بالقهر والعدوان

والسلاطة

والسلاطة والبعض بالمكر والحيلة والتملق والبعض بالاختلاس والاختتال والاختطاف مثلا قبيلة طيّ أو قبيلة غير كثير فيها العدد والعدد وقبائل أخرى دونها فكان من أحكامها الباطلة التي تنفذها بالقهر والسلاطة فتشبه السبع انه اذا قتل واحد من القبيلة الضعيفة واحدا من القبيلة القوية فاما ان يطلبوا منهم للقتل في ثار قتيلهم عشرة أو عشرين فان سلموا والا صبحتهم الخيل بالغارة فقتلوا الرجال وسبوا النساء جواري والاولاد عبيدا فربما أفنت قبيلة قبيلة وان نحر الضعيفة وان لم يكن القاتل بعبد القوية وان الشيء المغصوب يسترد مضاعفا الى غير ذلك من الاحكام التي تطلعك عليها تواريخ تلك الامة ومن الباطل الذي يحسن تشبيهه بحيوانات المكر والحيلة والختل ما يصدر عن الاشخاص الذين يفترون على الله الكذب فيدعون انه تعالى شأنه اختصهم بأسرار أهلتهم ليكونوا رؤساء ينظرون في مصالح جمع من الناس وتكميل أرواحهم ويجعلون ذلك طريقة الى أغراضهم وشهواتهم باستعباد ذلك الجمع وتسييره في تحصيلها مخيلين لهم انهم في طاعة خالقهم ومن باطل بعض هؤلاء ما يحسن تشبيهه بالانسان وأما الباطل الذي يحسن تشبيهه باغبياء الحيوانات فهو باطل أولئك الناس الذين يريدون التوصل اليه بالانحياز الى بعض الظلمة وما أشبه ذلك

ومن يجعل الضرغام بازا لصيده * تصيده الضرغام فيمن تصيدا

ومن أراد أن يقدر كلام الله حق قدره ويعرف مقاصد البلغاء المعدودين لزمه أن لا ينصرف بالنظرة الجمقاء بل يكرر الفكر مرة بعد مرة ووقتا بعد وقت حتى يقف على أسرار البلاغة قال صاحب المثل السائر كنت أقرأ في اليوم ختمة ثم في الشهر ثم في السنة ثم ها أنا أقرأ في ختمة منذ كذا وكذا سنة ولم أفرغ منها وكلما أعدت النظر ظهر لي ما لم يكن قبل ظهر وقد جاءت هذه الاستعارة مقرونة بأخرى في قوله جل ذكره بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ففيه استعارتان مكنيتان من جهتهما يخرج بك الفكر الى تلك المعاني فتفاوت الباطل الذي هو كتفاوت الحيوانات يوجب التفاوت الى التفاوت بين الاحجار المقذوفة فالفيل لا يدمغه الحجر الذي يدمغ الثعلب ومما تقرر تعرف أنه لا يصح الاقتصار على ان تقول شبه كذا بكذا واستعير كذا لكذا وقال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين كلمة الشفاء التي معناها زوال المرض تخبرنا أن في الآية استعارتين فان كان المعنى وننزل من القرآن آيات تشفي الجهلاء المؤمنين فالاستعارتان مكنيتان الاولى أصلية والثانية تبعية وان كان المعنى وننزل

من القرآن أدوية تشفي المرضى المؤمنين فالاستعارتان مصرحتان أصلية وتبعية وفيه كما صار لا يخفى عليك التنبيه على تفاوت الجهالات والبراهين كتفاوت الامراض والادوية فمن الجهل ما يزول بالاشارة ومنه ما يحتاج زواله الى العبارة وربما لم يجد الا تضافر الادلة وينور عليك هذا النظر الى مبدأ تحصل أمة الاسلام وذلك أن رجلا على أكمل ما يكون من خصائص الانسانية قام يدعي أن امرا سماويا جاءه بغتة يعلمه ليعلم الناس ويرشدهم الى مصالحهم فارتاع وكان أول من أخبر بما رأى السيدة خديجة فآمنت به صلى الله عليه وسلم ورضي عنها قائلة كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق فهذه السيدة وأشباهها من المؤمنين اكتفوا في تصديق دعواه بتصور أن من كان من الكمالات في تلك الدرجة لا يكون أمره شيطانيا وغير هؤلاء احتاجوا الى ايانات وتنويرات مختلفة حسبما يظهر لك من الاطلاع على تواريخ اسلام المسلمين حتى قيل أقل الايمان فضلا الايمان عن المعجزة وقال تعالى أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون على حرف موضوع ليستعمل في ارتباطات جزئية بين شيء وما قر فوقه الجبال على الارض وجدار على أساس وانسان على دابة والهدى هنا هو الامر الذي كان سببا في جزم المؤمن بحقيقة ما أمر به من اعتقاد وقول وعمل وان ذلك يصل به من السعادة الى الغاية التي أعدت له فان كان الغرض تشبيه ارتباط المؤمن بذلك السبب الذي هو البرهان أو العيان الكشفي بالارتباط بين الجبل والارض مثلا فالاستعارة تبعية فان فكرك يقول الارتباط كالارتباط وهذا الارتباط المطلق الذي جرى فيه التشبيه ليس معنى الحروف ولكن جزئياته واذا جرى تشبيه المطلق بالمطلق فالبتة يحصل تشبيه الجزئيات بالجزئيات فالحاصل مدح المتقين الذين يؤمنون بالغيب الى آخره بالثبات وتمام الاستقرار كما هو صفة الجبال ولا يذهب عليك ملاحظة الاشارة الى التفاوت وان كان الغرض تشبيه الهدى الذي يصل بصاحبه الى تلك الغاية بالمطية التي تصل براكبها الى مقصده فالاستعارة مكنية ومن قبيل هذه الاستعارة قولهم ركب مطية الجهل وغوى واقتعد غارب الهوى وقوله

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله * وعري أفراس الصبا ورواحله

وقال تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة الختم والطبع يدل على تشبيه القلوب به ... تاديق مثلا في الكلام استعارة مكنية قرينتها لفظ ختم فيفيد الكلام

الكلام أن أولئك بمنزلة الجمادات بحيث انها لو كان فيها شئ لم تكن منتفعة به وقد جعلت بحيث لا يمكن أن يدخل فيها شئ فلا يطمع طامع في ايمانهم وعلى تشبيه القلوب بالمستودعات أو المساكن مثلا قوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقال عليه الصلاة والسلام لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين اذا قلت ادخل فلان يده في جحر فلدغته لادغة ثم أعادها فلدغته مرة ثانية فتلك استعارة تمثيلية أصلها ان تشبه بهذه الحالة حالة من يصاب بمكروه من امر يحمله فرط الشهوة والطمع على مغالطة نفسه فيعود فيصاب بما أصابه مثلا يأكل انسان طعاما يستلذه فلا يوافق مزاجه فيمرضه فتحمله اللذة منه على أن يقول ذلك الوقت كان حارا وقد برد الزمن أو كان ذلك الانحراف عن الاعتدال بسبب آخر يحكى أن الجاحظ كان على مائدة بعض الامراء ومعهم حكيم فنهى الجاحظ عن الجمع بين اللبن والسمك فقال الجاحظ ان كانا حارّين أو باردين فالا كل منهما كالا كثار من أحدهما وان كانا مختلفين عدل بعضهما بعضا فقال الحكيم أعرف أن هذا يحصل عنه في العادة الفالج واست خطيبا فأصبح الجاحظ مفلوجا عفا الله عنه والاستعارة في كلام الله تعالى وفي كلام نبيه تجاوز حد الكثرة وبمعرفتك معاني الالفاظ الاول فتى وردت عليك الكلمة غير مستعملة في معنى أولى لها لزمك ان تقارن بين المعنيين متفكرا في الامور المشتركة بين المعنيين لتعرف الغرض من الاستعارة وهذه أمثلة للاستعارة من أشعار البلغاء قال امرؤ القيس

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

شبه الحسناء المصونة في النضرة وطيب الملمس بالبيضة المحضونة فالاستعارة مصرحة مجردة وفي قوله لا يرام خباؤها وصف نفسه بغاية الشجاعة ونهاية الجسارة وعدم المبالاة بما يكون كيفما يكون فانه يقول ان خباءها ممنوع حوله الحرس معتقلين الرماح قابضين على السيوف بحيث لا يرومه ويطلب الوصول اليه أحد وقد وصلت اليه وقضيت منه ما ربي على مهلة واطمئنان كما صرح ببعض ذلك في قوله

فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

وهذا من الكناية كما ستقف عليه عند شرحها وقال

وليل كموج البحر أرخى سدوله * علىّ بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل

أراد أن يصف حاله من أن وساوس الافكار وبلابل الهموم لم تزل تشتد في تقليبه من

جنب الى جنب فأودع ذلك فى موج البحر وأراد أيضا أن يصف الليل بالطول كما هو حاله مع العشاق والمهموم ومن يجعله قارا ثابتا غير متحرك حيث شبهه بالاشياء التى هى للبقاء واللبس فاستعار ارخاء السدول لاحاطة الظلم به كما استعار لها والغرض واحد بروك البعير العظيم الخلق الثقيل الجسم والسدل بضم أوله وكسره الستر والكلكل الصدر ومن استعارة بروك الجمل للثبات والقرار قول على كرم الله وجهه وقد قيل له أمر النبى صلى الله عليه وسلم بتغيير الشيب ذلك والدين قل فأما وقد ضرب الدين بجرانه فامرؤ ونفسه جران البعير بكسر أوله ما امام صدره و يضرب البعير بجرانه حيث يأخذ تمام راحته وقال زهير

لدى أسد شاكى السلاح مُقذَّف * له لِبَدٌ أظفاره لم تقلم

شاكى السلاح تامه فاستعارة الاسد مرشحة باللبد والاظفار ولبدة الاسد شعره المتلبد على كتفيه حيث يكون فى شبيبته وأوسط سنه ولفظ السلاح جرى استعماله فى المخالب والانياب والقرون الى غير ذلك من الاشياء التى خلقها الله للحيوانات تدافع بها عن نفسها فلا يكون شاكى السلاح تجريدا و يكون قوله أظفاره لم تقلم بمنزلة التفسير كأنه قال لدى أسد صحيح الاظفار والانياب فى أوان شدة قوته وقال كثير عزة أو غيره

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على ظهر المطى رحالنا * ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح

الاباطح تسيل بالماء والمأخوذ بأطرافه نحو الرداء فأى تصوير تصور هاتان الاستعارتان مواصلة الاحاديث بين الاحبة وأنهم مع غاية فرح وأنس وملاعبة وسهولة سير الابل واندفاعها فيه وحسن هيئة اجتماعها على كثرتها وملئها الاودية ومن الاستعارة الاخيرة أخذ ابن المعتز قوله وقد فاتته سلاسة هاتيك العبارة فى رثيس أحبته أعوانه

سالت عليه شعاب الحى حين دعا * أنصاره بوجوه كالدنانير

وفى كلمة على ما ليس فى كلمة الى وزيادة العربى لفظ الاعناق التى هى مظهر الحركة أفادها ابتهاجهم بذلك المنظر وقال القُطامِىّ من قصيدته التى يقول فى نسيبها

يقتلننا بحديث ليس يعلمه * من يتقين ولا مكنونه بادى
فهن ينبذن من قول يصبن به * مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

نقريهم

نقريهم لهذميات نقد بها * ما كان خاط عليهم كل زرّاد

القرى طعام الضيف ومن قرى ضيفه فقد أكرمه وحفظ عليه حياته وشد من قواه والمحارب مهين لاعدائه مزيل حياتهم هادم قواهم فالاستعارة التبعية التصريحية تهكمية وأصل هذه الاستعارة لعمرو بن كلثوم في معلقته

نزلتم منزل الاضياف منا * فأعجلنا القرى أن تشتمونا

قريناكم فعجلنا قراكم * قبيل الصبح مرداة طحونا

المرداة اسم آلة من ردى كرمى وزنا ومعنى وهي من الصخر الصلب ومن التهكمية قول بشار السابق * مشينا اليه بالسيوف نعاتبه * أصل العتاب معالجة الجلد بالدباغ حتى يصلح فراشا ولباسا وفي المثل انما يعاتب الاديم ذو البشرة يضرب في النهي عن تأديب من لا يخاف على عرضه ولا يبالي بفوت شرفه نقل العتاب الى ملاطفة الاخوان في التماس أعذارهم عما يصدر من هفواتهم لتعود نقاوة اخوتهم وطهارة ذات بينهم وأين الملاطفة من طعن الرماح وضرب السيوف وسلب الارواح وقول بعضهم * تحية بينهم ضرب وجيع * والسراج المنير في التهكمية قوله جل ذكره فبشرهم بعذاب أليم ومن شريف الاستعارة وغريبها قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك في صفة فرسه

عوّدته فيما أزور حبائبي * إهماله وكذاك كل مخاطر

واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك الشكيم الى انصراف الزائر

القربوس بفتحتين قائمة السرج والشكيم واحده شكيمة وهي الحديدة في حنك الفرس العربي ليس عنده جدار يسند اليه ظهره ولا وسادة فكان يقعد ناصبا فخذيه وساقيه ويدخل في حمالة سيفه أو غيرها اماثلا الى خلف فذلك استناده وهو الاحتباء ومن كناياتهم فلان تحل له الحبا أي هو شريف يقام له والحبوة الاسم وفتح الحاء أكثر من ضمها وقال كثير في المدح بكثرة العطاء

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

الرداء صاحب الازار ومجموعهما الحلة والغمر كما يقال للماء الكثير يقال للثوب التام الشامل ماء غمر ورداء غمر فليس الغمر كما قيل ملائما للعطاء وحده حتى تكون استعارة الرداء له مجردة وقد استعار بعض العرب الرداء للسيف في قوله

ينازعني ردائي عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر

لى الشطر الذى ملكت عينى * فدونك فاعجر منه بشطر

ولابى الوليد الشامانى فى استعارة الرداء

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحى * بعد ماسال يجفف

هذا وأمكن من نفسك ان أحسن التشبيه والاستعارة ماوقع موقعه من غرض تصوير حال المشبه والمستعار له والابانة عنها بجزيل العبارة ولطيف السياق بحيث لا يكون قصد المتكلم الى مجرد التشبيه والاستعارة كما هو كثير فى كلام المولدين فعليك ان تعتبر مواقعها باطالة الفكر وامعان النظر فى كلام الله جل ذكره وفى كلام من يرد عليك بعض كلامه من شعراء العرب ومن حذا حذوهم واقتفى أثرهم من المولدين ليكون ذلك لك بمنزلة المحك تعرف به الزيوف من الصحاح الخلاص فن جيد كلام المولدين مثل قول أبى طاهر البغدادى

خطرت تكاد الورق تسجع فوقها * ان الحمام مولع بالبان
من معشر نشروا على هام الربى * للطارقين ذوائب النيران

وهو مأخوذ من قول العربى

يبيتون فى المشتى خماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعد لمن يقرى
اذا ضل عنهم طارق رفعوا له * من النار فى الظلماء ألوية حمرا

ومثل قول المجد الاربلى

أصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنكم بغير ملال
لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

وهو مأخوذ من قول أبى الشيص

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمنى اللوم
وأهنتنى فأهنت نفسى صاغرا * ما من يهون عليك ممن أكرم

ومن قول أبى طاهر السابق قول بعضهم وزاد احسانا

قال لى أكحل اللواحظ صف لى * هيف قامتى يارشيق القوام
قلت قد لولا جوارح عينـ * ـيك لغنت عليه ورق الحمام

وكان الصاحب ابن عباد كثيرا ما يتمثل بقول عصريه عبد الله السلامى

تبسطنا على الآثام لما * وجدنا العفو من ثمر الذنوب

ويقول ما درى قائله أى درة رمى بها وأى غرة سيرها وخلدها وأقول استحسان كل شئ حسب موافقة الهوى كما قيل

انما تنجح المقالة فى المر * ء اذا صادفت هوى فى الفؤاد

وأراد السلامى أنه لولا الذنوب لم يمكن تحقق معنى العفو وتحققه واجب حيث كان من الكمالات الالهية ولكن الذنوب تثمر أيضا العقاب كما ترى ان أكثر الشهوات كما تثمر اللذة تثمر الالم وقد استلب السلامى قوله هذا من قول الحسن بن هانئ الحكمى المشهور بابى نواس شاعر الرشيد

تكثر ما استطعت من الخطايا * فانك واجد ربا غفورا

ستبصر ان وردت عليه عفوا * وتلقى سيدا ملكا كبيرا

تعض ندامة كفيك مما * تركت مخافة النار السرورا

ولكن السلامى أوجز وأبدع قال مسلم بن الوليد فى رثاء

سلكت بك العرب السبيل الى العلى * حتى اذا سبق الردى بك حاروا

نفضت بك الآمال احلاس المنى * واسترجعت نزاعها الامصار

فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة * أثنى عليها السهل والاوعار

هذا الشعر فى أرفع طبقة وصل اليها شاعر مثل حال الممدوح وأتباعه من استدامة تحصيل الكمالات واقتدائهم به فى أعماله وأنه لما تغمدته الرحمة لم يهتد العرب بعده الى ما كان يفطنهم له بحال قوم ذوى رئيس قصدوا على أثره جهة شريفة فلما غاب عنهم سيدهم رجعوا الى منازلهم والمنية وهى ما يحب الانسان ويتمناه لما كانت تحمل صاحبها على مواصلة أعماله وتجدد آماله حسن تشبيهها بالمركوب والحلس بكسر فسكون كساء يجعل تحت البرذعة ونفض الحلس كناية عن الاقامة وتعطيل الدواب حيث لم تبق للسفر جدوى كالكناية فى قولهم ألقى عصا التسيار وفى قوله فاذهب كما ذهبت من التفجع والتأسف ما لا يبلغه قول أى مشكورا لكل مكان محمودا بكل لسان ومن أرصن الشعر وأشده قول عربى فى المحاجاة

وداهية داهى بها القوم مفلق * شديد بعوراء الكلام أزومها

أصخت لها حتى اذا ما وعيتها * رميت بأخرى يستدر أميمها

ترى القوم منها مطرقين كأنما * تساقوا بكأس مايبل سليمها

فلم ترنى فيها ولم تر مجتى * ملجلجة أبغى لها من يقيمها

السليم اللديغ وأبل من مرضه برئ والازوم العض وامساك الشئ بالاسنان ومغاق ذات فاق أى عجب ودهاه أذهله وحيره وأدهشه وعليك باستخراج الاستعارات ونسبتها الى أجناسها وحيث كان حذف الاداة من تركيب التشبيه وسيلة الى المبالغة بدعوى الاتحاد والاستعارة كما عرفت فى ذلك الغرض أقوى تسمع مثل قول العباس بن الاحنف هى الشمس مكسنها البيتين وقول ابن العميد

قامت تظللنى من الشمس * نفس أعز على من نفسى

قامت تظللنى ومن عجب * شمس تظللنى من الشمس

وقول بعضهم

لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زرّ أزراره على القمر

الغلالة القميص ويقال ان القمر يبلى ثياب الكتان وقول أبى تمام

ويصعد حتى يظن الجهول * بأن له حاجة فى السماء

(القول فى الكناية) حد الكناية على التحقيق لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادته أيضا فيكون المراد افادتهما جميعا وحينئذ يقال انها حقيقة غير منفردة وتقابلها الحقيقة المجردة وتنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه الى ثلاثة أقسام القسم الاول كناية يكون المكنى عنه فيها صفة كقول الخنساء

طويل النجاد رفيع العماد * كثير الرماد اذا ما شتا

فقولها طويل النجاد المراد به طويل القامة مدحا ببسط الجسم كما مدح بها تعالى فى قوله وزاده بسطة فى العلم والجسم وقولها رفيع العماد معناه كبير البيوت المرتفعة السموات وذلك انما يكون للسادة الاشراف أى هو سيد شريف وقولها كثير الرماد أى هو كريم مضياف ونظم الكناية على طريق البرهان أن تقول كل من كان كريما مضيافا كان كثير الضيوف وكل من كان كثير الضيوف كان كثير الخبز والطبخ وكل من كان كثيرهما كان كثيرا احراق الحطب وكل من كان كثيره كان كثير الرماد فكثرة الرماد كناية عن الكرم بهذه الوسائط وكقول الخنساء أيضا وقد أراد أخوها معاوية ان يزوجها من دريد بن الصمة ولم يكن من غرضها

تباكرنى جيدة كل يوم * بما يولى معاوية بن عمرو

اذا لم أعط من نفسى خيارا * لقد أودى الزمان اذن بصخر

أتكرهنى

أتكرهني هبلت على دريد * وقد حرمت سيد آل بدر
معاذ الله يرضعني حبركى * قصير الشبر من جشم ابن بكر

فقد استعاذت من تزوجه كاذبة بالغاية عن البداية فانها اذا تزوجت أتيت واذا أتيت حملت واذا حملت وضعت واذا وضعت أرضعت

(القسم الثاني) كناية يكون المكنى عنه فيها نسبة كقول زياد الاعجم في أحد الامراء لبني أمية عبد الله بن الحشرج أمير خراسان اذ ذاك

ان السماحة والمروءة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

كانت القباب لا تضرب الا على خيام الامراء فالمكنى عنه نسبة الامارة والسماحة أي ابن الحشرج سمح كريم ذو مروءة وهي كمال الرجولية ومن هذا أخذ أبو تمام قوله

لولا بنو جشم بن بكر فيكم * كانت خيامكم بغير قباب

أي بنو جشم سادتكم وأمراؤكم وابن رشيق قوله

ومهفهف يحميه البيت ومن كلامهم المجد بين ثوبيه والكرم تحت ردائه

(القسم الثالث) كناية يكون المكنى عنه فيها غير صفة ولا نسبة كقوله كناية عن القلوب

الضاربين بكل أبيض مخذم * والطاعنين مجامع الاضغان

ثم الكناية ان قلت فيها الوسائط أولم تكن ووضحت سميت ايماء واشارة وان خفيت سميت رمزا كالكناية بعريض الوسادة وعريض القفا وعظيم الهامة عن الابله وبالسمين الرخو عن الغبي البليد وبتناسب الاعضاء المكتنز اللحم البسيط القامة عن الذكي الشجاع ذي الهمة وهناك نوع دلالة للكلام يعتمد فيها على السياق والحال تسمى تعريضا وهو إمالة الكلام الى عرض بضم أوله أي ناحية كقولك رواية لقوله صلى الله عليه وسلم وأنت تخاصم انسانا المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه وهذا الكلام معناه الكنائي المؤذي غير مسلم والمعرض به اليه أنت غير مسلم والتعريض يكون بالحقائق والمجازات والكنايات وبعد قول زياد السابق ان السماحة يقول

ملك أغر متوج ذو نائل * للمعتفين يمينه لم تشنج
يا خير من صعد المنابر بالتقى * بعد النبي المصطفى المتحرج
لما أتيتك راجيا لنوالكم * ألفيت باب نوالكم لم يرتج

فملخص ما تعرفه ويبقى معك أصلا تعتبر به ما يرد عليك في الكلام ان اللفظ مركبا كان أو جزء مركب إما أن تعتمد في تفهيم مرادك به مجرد الوضع الاولي بالاصالة أو بالنقل

وهى الحقائق وإما أن تعتمد مع الوضع علاقة وقرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى وهى المجازات أو غير مانعة وهى الكنايات وأن المجازات ان كانت علاقتها المشابهة فهى المجازات بالاستعارة وان كانت غيرها فهى المجازات المرسلة وأن الاستعارة أصلها التشبيه وأن التشبيه تارة تذكر أركانه وتارة يحذف بعضها وذكر الوجه وحذفه لا يغير الاسم وحذف الاداة مع ذكر الطرفين يغيره الى التشبيه البليغ ومع حذف أحد الطرفين الى الاستعارة وفى الاستعارة والتشبيه البليغ دعوى الاتحاد وبناء عليها كان ما عرفت وان الاستعارة تنقسم باعتبار المذكور والمحذوف من الطرفين الى مصرحة ومكنية وباعتبار جنس المستعار الى أصلية ان كان اسم جنس ولو تأويلا والى تبعية ان كان غيره وباعتبار كونها فى الهيآت المنتزعة من متعدد أو فى غيرها الى تمثيلية وغير تمثيلية وباعتبار كونها فى الاضداد أو فى غيرها الى ما تصلح أن تكون تهكمية أو تمليحية والى غيرها وباعتبار كونها مقرونة بما يلائم أحد الطرفين أو بما يلائمهما الى مرشحة ومجردة ومطلقة وأن قرينة المكنية ان كانت استعارة لشئ من توابع المستعار له كانت تحقيقية والا فهى تخييلية وان الكناية تنقسم بحسب المطلوب بها الى ثلاثة أقسام ولها باعتبار الواسطة أسماء على الطالب أن يحدضبط هذا ثم يأخذ فى التطبيق عليه ينفعه ان شاء الله تعالى ثم الحقيقة والمجاز السالف تقريرهما يسميان الحقيقة والمجاز اللغويين وثم حقيقة ومجاز يسميان حقيقة ومجازا عقليين وهما اسناد أمر لامر ونسبته له فان كان الاسناد اسناد الشئ لما هو له فى المتعارف كاسناد فعل المعلوم الى الفاعل واسناد فعل المجهول الى المفعول سمى حقيقة عقلية وان كان اسناده لغير ما هو له اعتمادا على علاقة مدلولا عليه بالقرينة لبعض الاعتبارات الكلامية والنكت البلاغية سمى مجازا عقليا كنسبة فعل المعلوم الى المفعول بجعله فاعلا نحو عيشة راضية أى مرضية وحال مبتهجة ونعمة مغتبطة وكنسبة فعل المجهول الى الفاعل فيجعل مفعولا نحو سيل مفعم ونعم مسرورة وكنسبة الفعل الى زمانه ومكانه وسببه فى نحو قولك نام ليل زيد ونشط نهاره وسعدت أوقاته وطابت امكنة زيد وخبثت مجالس عمرو وخرجت المدينة لشكر السقيا وأكرمتك اخلاقك واحترمتك فضائلك وغزا السلطان بلاد كذا وكذلك ينسب الفعل الى مصدره نحو جد جده وخشع خشوعه واطمأن اطمأنانه

(الفن الثانى علم المعانى)

عرفت ان هذا العلم يبين الاغراض المترتبة على ايراد التركيب فى صوره المختلفة

فموضوعه

موضوعه المركبات من حيث تختلف صورها لاختلاف الدواعي ثم ان دواعي صور التراكيب لم تدخل تحت حصر فما يذكر منها في هذا الفن انما هو كالمثال نصب لك لتحذو عليه اذا استعملت ذوقك ودقة نظرك في طلب ما يمكن اعتباره عند قراءتك لكلام رب العالمين وروايتك لاحاديث سيد المرسلين ومطالعة الآثار الصادرة عن بلغاء صحابته ومن اقتفى آثارهم ممن جاء بعدهم وانشاد ما يرد عليك من الاشعار للجاهليين والاسلاميين وبعد فمدار البحث في هذا الفن على ابانة صور التراكيب ودواعيها رسما للطريق الذي تسلك منه الى اعتبار اللطائف الكلامية التي بها يسمى كل من الكلام والمتكلم به بليغا وقبل الشروع في المقصود لا بد من تعريف الفصاحة والبلاغة وما يتعلق بذلك والتنبيه على ما يوجب قسمة هذا الفن الى أقسامه التي ينقسم اليها

الفصاحة كلمة تنبئ باستعمالاتها عن معنى الصفاء والخلوص والظهور قالوا يوم فصح بكسر الفاء ليس فيه غيم ولا قر وأفصح اللبن زالت عنه رغوته وأفصحت الشاة أي خلص لبنها وصفا الى غير ذلك وعرفها العلماء حيث توصف بها الكلمة بكونها سالمة من تنافر الحروف الموجب ثقل النطق بها كما في لفظ مستشزرات من قول امرئ القيس * غدائره مستشزرات الى العلى * ومن الغرابة الموجبة فواتها على أهل العناية بنقل اللغة وايداعها في مؤلفات كغرابة لفظ مسرج من قول رؤبة في صفة الانف ومرسنا مسرجا أي يشبه السراج في البريق واللمعان أو السيف السريجي في الدقة والاستواء ومن مخالفة نهج الاستعمال المبين بعلم الصرف كالمخالفة في قول أبي النجم الحمد لله العلي الاجلل * حيث فك ونهج الاستعمال الادغام وحيث يوصف بها الكلام بكونه مؤلفا من الكلمات الفصيحة سالما من تنافر الكلمات كما في قول أبي تمام * كريم متى أمدحه أمدحه * ومن ضعف التأليف بمخالفة القوانين النحوية كتقديم ما يجب تأخيره وتأخير ما يجب تقديمه وحذف ما يجب ذكره وذكر ما يجب حذفه ومن التعقيد اللفظي بادخال بعض أجزاء جملة بين أجزاء أخرى بحيث يوجب عسر الفهم كما في قول الفرزدق يمدح خال هشام بن عبد الملك

وما مثله في الناس الا مملكا * أبو أمه حي أبوه يقاربه

ووجه الكلام وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه ومن التعقيد المعنوي باستعمال مجازات وكنايات لا يفهم المراد بها فتكون الغازا في غير موضعه وحيث

يوصف بها المتكلم بكونه ذا قوة واقتدار على استعمال الكلام الفصيح متى أراد
(والبلاغة) مصدر بلغ من باب كرم محوّلا عن بلغ من باب نصر بمعنى وصل الى حدّ
يقال بلغ الرجل فهو بليغ و بلغ بفتح أوّله وكسره و بلاغا بفتح أوّله وضمه مقصورا اذا
كان يبلغ بعبارته كنه مراده هذا كلام أهل اللغة
ومن كلام أمير المؤمنين على كرم الله وجهه فى تفسير البلاغة البلاغة البصر بالحجة
والمعرفة بمواضع الفرصة ومن البصر بالحجة ان تدع الافصاح بها الى الكناية عنها اذا
كان الافصاح أوعر طريقة وكانت الكناية أبلغ فى الدرك وأحق بالظفر فهذا كلام
شريف تفسيره لا يكفى فيه كل ماشرح فى علم البلاغة وعرفها أهل هذا الفن حيث
يوصف بها المتكلم بأنها مرونة وقوة نفسه على تأليف الكلام البليغ فى الاغراض
المختلفة كالتأديب والوعظ والتحريض والاستعطاف والعتاب الى غير ذلك من المعانى
وحيث يوصف بها الكلام بأنها مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال والحال و يسمى
بالمقام أيضا هو الامر الداعى لايراد التركيب على بعض صوره الممكنة فيه ومقتضى
الحال و يسمى بالاعتبار المناسب أيضا هو تلك الصور الحاصلة بسبب الذكر والحذف
والتقديم والتأخير والاطلاق والتقييد و وصل بعض الجمل ببعض بالعطف وفصلها
بتركه والايجاز والاطناب والمساواة واشتمال الكلام على المجازات والكنايات المختلفة
فى الوضوح عند خطاب الفطناء وكونه من الحقائق الصرفة والعبارات السهلة عند
خطاب غيرهم وحيث كانت مسائل الفنّ منها ما يتعلق بالجملة وأجزائها ومنها ما يتعلق
بالجملتين فاكثر ومنها ما هو مشترك ناسب قسمته الى ثلاثة أبواب

(باب الجملة وأجزائها)

الجملة الخبرية أصل المقصود بها إعلام السامع بمعناها أو بأنّ المتكلم يعلمه و يسمى
الاوّل فائدة الخبر والثانى لازمها كما تقول لصاحبك أنعم الله عليك بما زادنا لك فرحا
ولله فيك شكرا ثم يخرج عن الاعلام لاغراض شتى كقولك لاظهار الفرح بمقبل
والشماتة بمدبر جاء الحق وزهق الباطل وللتوبيخ العاثر الشمس طالعة وللتأسف كقوله

هواى مع الركب اليمانين مصعد * جنيب وجثمانى بمكة موثق

وحيث كان الغرض من الكلام الافادة فحقه ان يقتصر منه على قدر الحاجة فان
الزيادة عنه تعد من الفضول فاذا كان الخطاب مع خالى الذهن ألقى اليه الخبر مجردا عن
مؤكد واذا كان مع من يشعر به وهو منكر أو شاك ولا دراك أحد الامرين طالب
القى

ألقى اليه الكلام مؤكدا بحسب الحاجة وشاهد ذلك قوله تعالى حكاية عن رسل الحق لاهل الباطل بعد التكذيب الاول انا اليكم مرسلون وبعد الثانى ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وادوات التوكيد إن وأن ولام الابتداء وأحرف التنبيه والقسم والتكرير والحروف الزائدة وقد ونونا التوكيد وأما الشرطية وقد ينزل العالم منزلة الجاهل لعدم جريه على ما يناسب علمه كقولك العدل حسن والظلم قبيح وقد ينزل خالى الذهن منزلة السائل وذلك حيث يسبق ما يشير الى جنس الخبر كقوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء بعد قوله حكاية وما أبرئ نفسى المشير الى ان المتكلم سيخبر عن النفس بشئ من اساآتها وقد يجعل غير المنكر منكرا وذلك حيث يلوح عليه ما يلوح على المنكرين كقول العربى

جاء شقيق عارضا رمحه * ان بنى عمك فيهم رماح

أى جاء واضع رمحه على صورة الآمن الذى ليس يخشى حربا كأنه يعتقد ان أعداءه عزل ليس معهم سلاح ولاهم أهل قتال كما يجعل المنكر غير منكر اذا كان معه من دلائل العلم وموجبات المعرفة وهو لها طارح وعن استعمال فكره فيها معرض

يحكى أن بعض العجم قال لبعض العلماء انّ فى لغة العرب فضولا وألفاظا زائدة تارة يقولون عبد الله قائم وتارة ان عبد الله قائم وتارة ان عبد الله لقائم فقال له ان لكل موضعا يقتضيه وكان هذا من أسباب إقبال العلماء على هذا الفن

الجملة الاسمية للثبوت وضعا وللدوام استعمالا بالقرينة وذلك اذا لم يكن فى خبرها فعل الجملة الفعلية للتجدد والزمان باختصار وقد يفاد بالمضارع الاستمرار التجددى بمعونة المقام وقرينة تنصب لذلك ويبنى الفعل للمفعول لجهل الفاعل أو علم السامع به فيكون ذكره كالعبث أو تعظيمه والادب فى حقه تعرف ذلك من قوله تعالى وانا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا فحيث ذكر الخير صرح بالفاعل وفى مقابله بنى الفعل للمفعول أو تحقيرا لفاعل أو الخوف منه أو عليه وتقيد الافعال حيث تكون القيود محط الفائدة ومتعلق الاغراض الاشارية كما تقول ركب زيد اليوم فرسا وزارك فلان ماشيا على قدميه وكرم زيد أصلا تتكلم بالكلام لغرض التعظيم والاجلال أو التحقير والاهانة أو التعجب من أحوال الدنيا فتجد القيود فى الجملة هى متعلق ذلك والنواسخ فى جملها هى قيود المسند بما لها من الازمنة والمعانى التى سلف بيانها ويوضع الماضى موضع المضارع للتنبيه على التحقق أو قرب الحصول ويوضع المضارع موضع الماضى لحكاية الحال حيث يكون المعنى غريبا ينبغى تأمله والنظر فيه

فيحضر صورته فى الخيال لذلك مثل أرسل الرياح فتثير سحابا وقد يقصد به افادة الاستمرار فى الاوقات الماضية نحو زيد يشرب ويطرب ويلهو ويلعب حتى أضاع طريفه وتليده فهو الآن عبرة لمن يعتبر وذكرى لمن يريد أن يذكر

(الجملة الشرطية) عرفت مفادها فى النحو ومابين أدوات الشرط من الاختلاف والذى يخص هذا الفن أن لو قد يؤتى معها بلفظ المضارع لافادة معنى الاستمرار فى الاوقات الماضية مثل لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم فمعناه انتفى عنتكم وحصول ما يسوءكم بسبب استمرار امتناع عمله على رأيكم حيث كانت نتيجة الخير فى مخالفته وان واذا لكونهما للتعليق فى المستقبلات فحقهما أن يؤتى معهما بالمضارع الذى هو العبارة عن المستقبل ولكن كثر أن يؤتى معهما بالماضى للابراز فى معرض الحاصل لقوة الاسباب أو التفاؤل أو اظهار الرغبة نحو ان ظفرت بحسن العاقبة فان الطالب اذا عظمت رغبته فى مطلوبه يكثر تصوره اياه فربما يتخيله حاصلا أو للتعريض نحو لئن أشركت ليحبطن عملك فجىء بالماضى ابرازا للاشراك فى معرض الحاصل على سبيل الفرض تعريضا للمشركين بأنه قد حبطت أعمالهم ونظيره فى التعريض ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون قصدا لاسماع الحق على وجه لا يزيد غضب المخاطبين حيث لم يصرح بنسبتهم الى الباطل وهذا أدخل فى امحاض النصح لهم لاشعاره بانه لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه ويسمى هذا كلام المنصف وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين حيث ردد الضلالة بينهم وبين نفسه ولم يقل انا على هدى وأنتم فى ضلال تحاشيا عن التصريح بنسبتهم الى الباطل وقد تستعمل ان فى غير المشكوك للتجاهل أو جهل السامع أو تجهيله أى تنزيله منزلة الجاهل كقولك لمن يؤذى أباه ان كان هذا أباك فلا تؤذه

(الذكر) يجب عند عدم القرينة ويترجح معها لكونه الاصل ولا صارف أو قلة الثقة بالقرينة لضعفها أو ضعف فهم السامع أو زيادة التقرير والايضاح أو التعريض بغباوة السامع أو التبرك أو التلذذ أو ابهامهما أو التعجب اذا كان الحكم غريبا نحو زيد يقاوم الاسد أو التعظيم أو الاهانة كما فى بعض الالقاب المحمودة والمذمومة أو بسط الكلام لفائدة فى مقام الافتخار ونحوه كما يقال لك من نبيك فتقول نبينا محمد حبيب الله سيد الانبياء والمرسلين أو لئلا يتمكن السامع من ادعاء عدم التنبيه أو لتعين كون

المسند

المسند اسما أو فعلا أو ظرفا ليدل على الثبوت أو التجدد وهذا الوجه لذكر المسند والباقي مشترك بين ذكر المسند اليه وغيره

(الحذف) أما الواجب منه على ما شرح في النحو فوجوبه عليك لاتباع الاستعمال والذي دعا العرب له وضوح المحذوف وظهوره جدا وقصدهم الايجاز وربما كان الحذف أعون على تفهيم الغرض من الكلام مثلا تقول لا أزال أتبرك بخدمة فلان العالم الفاضل المتمسك بقطع النعت فالحذف ادخل في افادة أن الغرض المسوق اليه الكلام هو المدح والمدح بالاعتقاد وزعم المادح فلا يحتمل الجدل فلو صرح بالمبتدأ لاحتمل انه دعوى يحاول إثباتها فيفتح للمخاطب باب المنازعة وأما الجائز في حكمهم فيوجبه البليغ لما يذكر من دواعيه كضيق المقام من توجع ونحوه مثل

قال لي كيف أنت قلت عليل * سهر دائم وحزن طويل

أي أنا عليل وحالي سهر دائم فحذف لضيق المقام للتوجع أو الحزن أو للاحتراز عن العبث ظاهرا نحو يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على قراءة المجهول فكانه قيل من يسبح له فقال رجال أي يسبح له رجال فحذف للاحتراز عن العبث نظرا الى ظاهر القرينة لا العبث في الحقيقة لان ذكر المسند والمسند اليه لا يكون عبثا حقيقة أصلا وفيه تكثير الفائدة بنيابته عن ثلاث جمل أي في هذا النظم على هذه القراءة تكثير الفائدة بكون المذكور نائبا عن ثلاث جمل إحداها المذكورة والثانية من يسبح له والثالثة يسبح رجال بخلافه على قراءة المعلوم اذ لا حذف حينئذ ولا تقدير سؤال وبكون المسبح له عمدة لانه لما كان قوله له نائب الفاعل فقد جعل المسبح له عمدة في الكلام بخلاف القراءة الاخرى وبكونه تفصيلا بعد إجمال وهو أوقع في النفس ولهذه الوجوه نرجح رواية المجهول على رواية المعلوم في قوله * ليبك يزيد ضارع لخصومة *
أو لتخييل العدول الى أقوى الدليلين عقلي ولفظي فان الاعتماد عند الذكر على دلالة اللفظ وعند الحذف على دلالة العقل وهو أقوى أو لاختبار تنبه السامع أو قدر تنبهه فالاول هل يتنبه بالقرينة أولا والثاني هل يتنبه بالقرينة الخفية أولا أو لصونه عن لسانك أو عكسه أو إيهامهما فالاول للتعظيم والثاني للتحقير ويقرب منه الحياء من التصريح كقول عائشة رضي الله تعالى عنها ما رأى مني ولا رأيت منه تعني العورة أو لتعينه ولو ادعاء نحو خالق كل شيء فان الخالق مخصوص بالباري تعالى أو للاخفاء أو لتمكن الانكار أو لتكثير الفائدة باحتمال أمرين نحو فصبر جميل أي فامري أو أجمل يعني أنه

يحتمل كونه خبر مبتدأ محذوف أي فأمري صبر جميل وكونه مبتدأ محذوف الخبر أي فصبر جميل أجمل وأولى ونحو فاتباع بالمعروف أي فليكن أو فالامر أو للتعميم باختصار نحو والله يدعو الى دار السلام أي يدعو العباد كلهم اذ الدعوة عامة وهذا التعميم وان أمكن بذكر المفعول على صيغة العام لكن يفوت الاختصار حينئذ أو للتناسب نحو وما قلى اذ لو قيل وما قلاك فات شبه السجع وقد يحذف المفعول نسيا فلا يكون منويا مقدرا ولا يلاحظ تعلق الفعل به أصلا لمجرد اثبات الفعل أو نفيه فينزل منزلة اللازم نحو هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فان الغرض مجرد اثبات العلم ونفيه من غير ملاحظة تعلقه بمعلوم عام أو خاص والمعنى لا يستوى من تثبت له حقيقة العلم ومن لا تثبت ولا يقدر له مفعول والا فات هذا الغرض

(التقديم)

اقتصروا في تعليل واجبه على اتباع الاستعمال وهم مطالبون بالتماس أسباب الاستعمال كما هو مقتضى وظيفة من نصب نفسه لبيان موجبات اختلاف هيئات التراكيب العربية وأما الجائز فقالوا انه للاهتمام به من المتكلم أو السامع ولو ادعاء قال الشيخ عبد القاهر لابد في تعليل تقديم اللفظ أي النطق به أولا وان كان موضعه الطبيعي بعد الاهتمام به والعناية من ذكر جهة خاصة توجب الاعتناء بأن يقال لكونه الاصل ولا صارف أو للتشويق الى الخبر لتمكينه في ذهن السامع وهذا اذا كان المسند اليه مشعرا بغرابة الخبر نحو

والذى حارت البرية فيه * حيوان مستحدث من جماد

أو لتعجيل المسرة أو لمساءة تفاؤلا أو تطيرا اذا كان اللفظ صالحا لهما نحو سعد في دارك والسفاح في دار صديقك ونحو العفو عن فلان صدر به الامر ونحو واذا ابتسم لك ثغر الايام فنحن مقترحون عليك ما نشاء أو لايهام انه لا يزول عن الخاطر اظهارا للقوة المحبة لان اسم المحبوب كثيرا ما يوجب بدل الغلط والتبرك أو التلذذ أو كونه محز التعجب والاستبعاد أو مقطع الحكم ومركز العناية نحو ولم يكن له كفوا أحد ترتيب الكلام ولم يكن أحد كفوا له فركز العناية نفي الكون له ثم الموضع الثاني للفظ الكفء ونحو أبعد طول التجربة تنخدع بهذه الزخارف أو أتنخدع بعد طول التجربة أو بهذه الزخارف هذا حسبما تجده موضع التعجب والانكار أو لبيان اتسامه بالخبر واشتهاره

بمعناه وكونه صار له عادة كما تقول فى جواب كيف الخطيب الخطيب يشرب و يطرب ليس غرضك أن تخبر بحصول الشرب منه فى أى زمن فلا يصح فى الجواب يشرب الخطيب أو الكناية بلفظ مثل وغير نحو مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود أى أنت لا تبخل وأنت تجود أو للنص على عموم السلب فى نحو كل ذلك لم يكن فلو أخر لفظ كل ولو رتبة بان كان معمولا قدم على عامله مع النفى أو للتقوية فى الخبر الفعلى لتكرر الاسناد نحو زيد قام والحق وضح أى لتقوية الحكم اذا كان الخبر فعلا فانه حينئذ يكون المسند اليه مبتدأ والفعل مسندا الى ضميره فيتكرر الاسناد فيتقوى الحكم بخلاف مالو أخر فانه يكون حينئذ فاعلا أسند اليه الفعل فلا يتكرر الاسناد ويتقوى الحكم حيث يكون الخبر مشتقا غير فعل انزل منه حيث يكون فعلا لان ضمير المشتق لكونه لا يتغير كان بمنزلة المفقود وأمثلة التقديم لتقوية الحكم تستعمل للتخصيص بقرينة الحال فنحو زيد فهم يكون لتقويه الحكم فمعناه زيد فهم يقينا وأنا من غيره فى شك مثلا ويكون للتخصيص فمعناه زيد فهم وغيره لم يفهم ونحو رجل جاء للتخصيص بالجنس أو الواحد أى لا امرأة أو لا أكثر والتقديم فى نحو ما أنا قلت للتخصيص قطعا ومعناه ان نفى فاعلية الفعل الحاصل مختص بى فيكون الفعل ثابتا وانما النزاع فى فاعله فالمتكلم يقول لست الفاعل له بل غيرى فانظر من هو أو هو فلان فلا يصح ما أنا فعلت هذا ولا غيرى ولا ما أنا ضربت الا زيدا فانه حينئذ يكون تفريغا فى الاثبات حيث لا يمكن فان المعنى غيرى ضرب كل أحد الا زيدا والتقديم فى نحو

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

للتحرز من احتمال الوصفية وفى نحو

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

لتشويق نفس السامع الى المؤخر وعلى أمثال هذه الدواعى يدور أمر التقديم وباب الاعتبار مفتوح لذوق المتكلم وما ذكر من الدواعى كاف لترشيحه وتربية فطنته الى اعتبار محاسن المقاصد الكلامية

(التعريف)

حيث يكون غرضك أن تتكلم على ما يعرفه المخاطب بسبب حضوره أو عهده أو سبق ذكره له وحينئذ تورد بعض المعارف لكن لكل معرفة موضع فالعلم لاحضار الشخص بالاسم الخاص المعروف وضعه له نحو محمد رسول الله وما كان محمد أبا أحد

من رجالكم فلما أحس عيسى منهم الكفر يا مريم لقد جئت شيئا فريا أو للتبرك أو التلذذ أو التعظيم أو الاهانة كما فى الالقاب الصالحة لمدح أو ذم نحو أبو الخير وأبو الفضل فتقول حيث تستحسن شعرا لاحمد بن الحسين المشهور بالمتنبي قال أبو الطيب تلحظ فيه الاشارة الى جودة ما تنشده له وطيبه كذلك تقول قال حبيب بن أوس تعنى أبا تمام وحيث تنشد للبحتري بعض ما لا تستحسن من كلامه تقول قال الوليد ومن هذه الملاحظة ملاحظة أحمد بن سليمان المشهور بابى العلاء المعرى حيث شرح دواوين هؤلاء الشعراء الثلاثة فسمى شرحا بذكرى حبيب وشرحا بعبث الوليد والثالث بمعجز أحمد والضمير لاغراض تتعلق بكلمة أنا وأنت مثلا تقول أنا رجوتك فى هذا الامر وأنت كلمتنى فكيف أغفل وفلان هو سعى لك وسوق الضمير الذى يتأخر مرجعه لفظا ورتبة للتفخيم والتعظيم والابهام والتفسير وأصل الخطاب أن يكون مع معين وقد يكون لنكتة مع غير معين كما فى قولك اللئيم من اذا أحسنت اليه أساء اليك والكريم من اذا أسأته أحسن بك واجتهد فى اصلاحك فتعميم الخطاب ليصير نفس الفعل هو المحقق لحقيقة الكريم وحقيقة اللئيم وحيث يكون المتكلم حاكيا عن نفسه فالمقام لضمير المتكلم وحيث يكون الكلام ملقى الى مخاطب فالمقام لضمير المخاطب وحيث يراد ذكر الشئ بعد تقديم ما يشعر به فالمقام لضمير الغائب وقد يعدل عن مقتضى ظاهر المقام والحال الى مقتضى الحال فيوضع الظاهر موضع الضمير لغرض يتعلق به كقول الامير لتابعه أميرك يكلفك بكذا دون أن يقول أنا أمرتك بكذا تعيينا لجهة المخافة الموجبة للتحرز بالامتثال والمسارعة الى القيام بالوظائف وقال تعالى فتوكل على الله أى هو الله الذى من توكل عليه كفاه المؤن حيث لا معقب لحكمه ولا تنفد خزائن امداده وأمثلة وضع الظاهر موضع الضمير فى القرآن كثيرة يحكى أن بعض الناس حين سمع قول ابن الرومى بحضرة الصاحب ابن عباد

يجهل الجهل السيف والسيف منتضى * وحلم كحلم السيف والسيف مغمد

استهجنه لما فيه من التكرير فقال الصاحب انه لو قال وهو لا أقول انه ينكسر البيت ولكن أقول انه ينكسر القلب يعنى ان حسن هذه العبارة من الجهة التى منها الاستهجان فان الغرض تربية الروعة وابقاء الاستهالة متزايدة فى نفوس الاعداء ألا ترى انك فى مقام التهديد تكثر من ذكر الرهوبات كما انك فى مقام التبشير وبسط النفوس

النفوس تكثر من ذكر المرغوبات واسم الاشارة للاحتياج اليه أولكمال العناية بالمحكى عنه كقول ابن الرومى

هذا أبو الصقر فردا فى محاسنه * من نسل شيبان بين الضال والسمر

أولاظهار الاستغراب والتعجب كقول القائل

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

أولايهام بلادة المخاطب أوفطنته وتوضع اشارة القريب مكان اشارة البعيد وبالعكس لاظهار التعظيم أوالتحقير والاشارة للمبصرات الحاضرة وينزل المعقول منزلة المحسوس وغير المبصر منزلة المبصر والغائب منزلة الحاضر لامثال تلك الدواعى المذكورة قال الله تعالى منذا الذى يشفع عنده الا باذنه ماذا أراد الله بهذا مثلا أهذا الذى بعث الله رسولا ذلك الكتاب لاريب فيه ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولباس التقوى ذلك خير والموصول لعدم العلم بما يخصه سوى الصلة نحو من دخل هذا الحصن فله كذا أو للاخفاء أو استهجان التصريح بالاسم أوالتشويق الى ما يرد لتمكنه فى الذهن وهذا اذا كان مفهوم الصلة حكما غريبا نحو والذى حارت البرية البيت أو زيادة التقرير نحو وراودته التى هو فى بيتها أى راودت زليخا يوسف عليه السلام والكلام مسوق لنزاهة يوسف عليه السلام وكونه فى بيتها أدل على نزاهته فيكون تقريرا للغرض المسوق له الكلام وقيل لتقرير المراودة بدلالة كونه فى بيتها على كثرة الخلطة وزيادة الالفة أو التفخيم نحو فغشيهم من اليم ما غشيهم أى غطاهم وسترهم موج عظيم لا يمكن وصفه أو التحقير نحو ومن لم يدر حقيقة الحال قال ما قال أى قال قولا لا يعتد به وتحقيقهما أن فى التعبير بالموصول ابهاما والابهام إما للاشعار بأنه لا يوصف لعلو مرتبته عن الفهم فيفيد التفخيم وإما للاشعار بأنه لا يوصف لدنو منزلته عن أن يلتفت اليه فيفيد التحقير أو التنبيه على الخطأ نحو

ان الذين ترونهم اخوانكم * يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

أو تحقيق الحكم نحو

ان التى ضربت بيتا مهاجرة * بكوفة الجند غالت ودها غول

أو تعظيم المحكوم به نحو

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

يريد بيت العز والشرف بالحسب والنسب أى فهو فى الرفعة وعلو الشأن من جنس السماء أو تعليله نحو ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فان الايمان وعمل الصالحات سبب الجنات ورفع الدرجات وذو الاداة حيث تكون الحكاية عن جنس أو معهود من أفراده أو جميع أفراده على ما سلف تقريره فى النحو وحيث يكون ذو الاداة خبرا كان الكلام من عبارات التخصيص نحو زيد هو المنطلق والكرم التقوى وذلك هو الرجل فالتخصيص حقيقى أو ادّعائى والمضاف لتعيينه بالاضافة أو تخصيصه أو تشريفه أو تشريف المضاف اليه أو الاختصار نحو سبحان الذى أسرى بعبده وعباد الرحمن وديننا الاسلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونحو أنت تعرف رغبة فلان واعتمدت على همتك

(التنكير) للافراد شخصا أو نوعا نحو والله خلق كل دابة من ماء أى كل فرد أو نوع منها من فرد أو نوع منه أو لانه لا يعرف منه الا ذلك القدر ولو ادّعاء كما تقول وقد أسمعت شعرا هو كلام أى ليس الا لفظا مركبا مفيدا بالوضع تجرده عن الوزن والتقفية والصناعة أو للاخفاء أو التكثير أو التقليل أو التعظيم أو التحقير نحو

له حاجب عن كل أمر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب
فتى لا يبالى المدلجون بناره * الى بابه ألا تضىء الكواكب
يصم عن الفحشاء حتى كأنه * اذا ذكرت عن مجلس القوم غائب

أى له حاجب عظيم وليس له أدنى حاجب وهو فتى أى فتى وفى الشعر ما يذكرك بكثير مما مضى ونحو

ولله عندى جانب لا أضيعه * وللهو عندى والخلاعة جانب

(التقييد) ببعض التوابع لما سلف تقريره فى النحو لم يذكروا فى هذا الفن زيادة عنه غير أن عطف البيان يكون كالنعت للمدح نحو والكعبة البيت الحرام وان الفاء وثم كما يكون معناهما بحسب الزمان يكون بحسب المرتبة والتفاوت فيهما مثل ان التفسير يناسب أن يعقب المفسر نحو وجعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان والتراخى بحسب التفاوت والبعد بين الحالتين تفهمه من آية خلق الانسان ثم أنشأناه خلقا آخر الفصل بلفظ هو للتخصيص أو التأكيد حيث يستفاد من غيره

(القصر) ويقال الحصر والتخصيص يكون بعطف لا فيل ويختص بقصر القلب وبعطف لكن فيل ويختص بالافراد ويكون بأداة نفى والا ويكون بانما ولا يعرف

المقصور

المقصور عليه معها الا بتأخيره فوجب ويكون بالتقديم اعتمادا على القرينة لا بالوضع كسابقه ويكون بالفصل كما سبق وبقولك فقط أو وحده والقصر حقيقي واضافي أي بالنسبة الى صفة أخرى أو موصوف آخر والحقيقي في قصر الموصوف على الصفة نادر جدا حتى قيل انه متعذر نحو انما الله كامل فليس وراء الكمال صفة

(الجمل الانشائية) يخصها من الكلام أنها تخرج عن استعمالها في معانيها الاصلية التي عرفتها الى النحو الى مرادات يلزم تنبيهك لها لحظها في كلام العامة فضلا عن كلام الخاصة مثل كون الامر والنهي يراد بهما نحو التهديد اعملوا ما شئتم والاهانة كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم والتعجيز فأتوا بسورة من مثله والتسوية اصبروا أولا تصبروا وان عبارات الاستفهام تكون لصرف الانكار فتكون كعبارات النفي نحو هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومن يغفر الذنوب الا الله وللتوبيخ والتعجب والتعجيب والتقرير أي حمل المخاطب على الاقرار الى غير ذلك مما ينبه المقام وسياق الكلام على اعتباره والشيء الذي يتعلق به الاستفهام وما يتولد منه يكون واليا للهمزة تقول أما شيأ جاء زيد حيث يكون الاستفهام متعلقا بالحال وهكذا كما سلف تقريره عند بيان كون الاستفهام لطلب التصديق أو طلب التصور والكلام العام في هذا الموضع أنك اذا وجدت العبارة مدلولا على أنها غير مستعملة في معناها الاصلي الذي عرفته لها طلبت المراد منها باعانة القرائن وسياق الكلام من جنس تلك الدواعي التي عرفتها حيث تقرر عندك ان الدواعي المذكورة في هذا الفن انما هي أنموذج ينبهك على اعتبار ما يحسن في الذوق اعتباره وكلمة ما من أدوات الاستفهام يطلب بها تفسير اللفظ نحو ما العنقاء وشرح الماهية نحو ماهو الهواء وماهي النار والاعلام بحال المذكور معها نحو ما أنت فتقول رسول فلان اليك في أمر كذا وكلمة هل ان كان الاستخبار بها عن وجود الشيء سميت البسيطة وان كان عن غيره سميت المركبة وعليه يقول أهل المنطق الهلية البسيطة والهلية المركبة وبقية الادوات سبق لك ابانة وظائفها هذا واجراء الكلام على ما تقتضيه ظواهر الاحوال حسب المتعارف يسمى اخراج الكلام على مقتضى الظاهر واجراؤه على خلافها يسمى اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر مثلا اذا عرفت ان انسانا يعرف مضمون خبر فمقتضى ظاهر الحال ألا تخبره به حفظا للوقت من الضياع بل تخبره بما تعرف جهله به استزادة في علمه لكن اذا رأيته عاملا على خلاف علمه حسن ان تنزله منزلة الجاهل تأديباله وتنفيرا عن غير

المحسن فتخبره بالخبر كما هو ومقتضى هـذا الحال فنه تنزيل العالم منزلة الجاهل وعكسه مثلا تقول لتلميذك وأنت تعلم أنه لم يكتب اسمه يعني ما كتبت كأنك تجهل عدم كتابته ليكون هو الذاكر لجنايته ومنه وضع الظاهر موضع الضمير والماضي موضع المضارع وعكسه لما سلف ومنه وضع الخبر موضع الانشاء للتفاؤل في نحو هداك الله لمحاسن الاعمال أو لاظهار الرغبة أو للتأدب مع المخاطب بترك الامر كما تقول ينظر مولاى في هذه القضية ويتفضل على برأيه فيها بدل انظر وأشباه ذلك ومنه تجاهل العارف اظهارا لشدة الوله كقول أخت ابن طريف حين ترثى أخاها

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

أو الفخر بالمسارعة الى الخير نحو أيما كتب وحفظ وفهم ومنه التغليب فيعبر عن المغلوب بعبارة الغالب نحو وكانت من القانتين تغليبا للذكور ونحو رب العالمين تغليبا للعقلاء ونحو فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس تغليبا للكثير ونحو العمران لابى بكر وعمر تغليبا للاخف كالحسنين والابوان والقمران تغليبا للمذكر ومنه الالتفات كأن تكون في الاخبار عن شخص بأمور تعددها عليه وهو حاضر ثم تلتفت للكلام الى خطابه بأن تقول شاكيا منه الى من معه المكالمة انى دللته على رشاده وأبنت له وجوه المنفعة فيما أمرته به وأريته جهات الضرر في خلافه تظهر أنه قد اشتد بك الغضب وآلت بك الحال الى تبدل الرحمة بالقسوة كما قيل

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما * فليقس أحيانا على من يرحم

فتلتفت الى خطابه قائلا فاذا أصنع بك أعاملك معاملة البهائم أم أخليك نقمة على نفسك وعارا على بيتك فالالتفات أن تخالف الظاهر بالاخبار بعد الخطاب نحو حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم والخطاب بعد الاخبار نحو اياك نعبد واياك نستعين فلا بد من عبارتين تخالف الثانية الاولى في التكلم والخطاب والغيبة أو المدار على مخالفة الظاهر رأيان فقول الشاعر * تطاول ليلك بالاثمد * خطابا لنفسه من الالتفات على أحد الرأيين كأنه نظر الى ما حقه أن يعبر به فأعرض عنه والتفت الى غيره والمدار في نكات الالتفات ما تستحسنه الاذواق ويصلح أن يكون داعيا لتغيير الاسلوب ومخالفة الظاهر مثلا الالتفات في اياك نعبد للتنبيه على ان مرتبة التوجه الى شئ بالعبادة وطلب المعونة انما هي بعد معرفته بكونه المبدع الحافظ المحسن بتبليغ العابد المستعين الى حال كماله مقبلا عليه بأتم رحمة وأسبغ نعمة وهو المتصرف في جميع أحواله

لا معقب

لا معقب لحكمه فيتضمن هذا تعليم العباد أنه لا ينبغي الاقدام على طلب ثمرة من شئ الا بعد معرفة الطريق الموصلة اليها وما يلزم من العمل والنكتة في نحو إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر التمكن من ذكر الجهة التي يسهل على كل أحد ملاحظتها داعيا للشكر بامتثال ما أمر وابه واجتناب ما نهوا عنه وهي التربية وأن الترتيب بهذا العنوان يكون مشتملا على بسط نفس المخاطب بوعده التمكين من ثمرة الشجرة كأنه قال أعطيناك وسنوصلك الى جميع منافع ما لك أعطينا وعليك بالتأمل لتستخرج محاسن ما يرد عليك من الالتفاتات بالقياس على هذا ومنه الاسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما هو يترقبه جوابا عن كلامه لغرض كالتنبيه على محله من المعرفة ودرجته من الاعتبار يحكى أن خالد بن الوليد رضي الله عنه لما وصل بجيش الجهاد وهو أميره الى الحيرة وتحير أهلها كان فيهم رجل معمر ذو رأى وطول تجربة يقال له عبد المسيح فقال يا أهل الحيرة مكانكم حتى آتي هؤلاء فان وجدتهم على حق فلا خير في خلافهم وان يكن غير ذلك فهاأنا ذا قد استصحبت سما أتناوله اذ ذاك وشأنكم وما ترون فلما حضر عند خالد كان من كلامه له من أين فأجاب من صلب أبي فقال فيم أنت قال في ثيابي فقال علام أنت قال على الارض فقال كم سنك قال اثنان وثلاثون فقال خالد أسألك عن الشئ فتجيب بغير جوابه فقال لم أفعل انما أجبتك جواب ما سألت فقال خالد دعني من هذا ما أنت فقال أنا رسول من ورائي ونظر خالد الى يده فوجده قد أطبقها على شئ فقال ما بيدك فأخبره انه سم وما جرى بينه وبين قومه فتناول خالد السم من يده وابتلعه فغاب هنيهة وضرب بلحيته على صدره وتصبب عرقا ثم أفاق وكان عبد المسيح فأسلم وهذه من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فان كرامات الاولياء معجزات لانبيائهم ويحكى أن شاعرا يقال له القبعثري في أيام الحجاج بن يوسف كان مع بعض أصحابه في بستان فجرى ذكر الحجاج فقال اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقني من دمه فبلغ ذلك الحجاج فأحضره وذكر له ما كان منه فقال انما أردت العنب فأخذ يتهدده فكان من كلامه لاحملنك على الادهم يريد القيد فقال القبعثري مثل الامير من حمل على الادهم والاشهب فقال أردت الحديد فقال لان يكون حديدا خير من أن يكون بليدا فقال احملوه فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال اطرحوه فقال منها خلقناكم وفيها نعيدكم فصفح عنه وكانت تلك عادة الحجاج يهب جنايات الشخص لآدابه فالغرض تنبيه المخاطب على خطائه وان الاليق بامارته وقدرته ان يصفد ويعطى لا أن يصفد ويقيد

والنور المبين فى الاسلوب الحكيم قوله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج فطلوب السائلين ابانة سبب تشكل القمر فى أشكاله حيث كان سؤالهم مابال الهلال يبدو دقيقا ثم يتزايد حتى يصير بدرا ثم يتناقص حتى يعود كما بدا فحمل سؤالهم على أن مطلوبهم إبانة الحكم المترتبة على ذلك فأجيبوا على وفقه تنبيها على أنه الاولى بهم اذ كان هو الذى يهمهم فى أعمال دنياهم وآخرتهم ومن خلاف الظاهر القلب كما فى قولهم عرضت الناقة على الحوض وأدخلت الخاتم فى اصبعى ووجه الكلام عرضت الحوض وأدخلت اصبعى فان العرض ان تحضر ما الاختيار الى ما يختار تنظر هل يفعل تقول عرضت الماء على الفرس غير مرة فلم يشرب كأنه يجزئ برطب الخلاء عن الماء وهل القلب مقبول داخل فى باب البلاغة ثالث الاقوال انه ان اشتمل على نكتة تحسنه فهو مقبول قال القطامى فى صفة ناقته

فلما أن جرى سِمَنٌ عليها * كما طينت بالفدن السياعا

الفدن القصر والسياع هو الطين الذى يبسط على ظاهر الجدران لتسويتها وتحصيل ملاستها والسمن الشحم وترتيب الحيوان العظم وغطاؤه اللحم وغطاء اللحم الشحم والغطاء الاخير الجلد فالشحم بمنزلة السياع وفى المثل قيل للشحم أين تذهب فقال أقوّى العوج فكان وجه الكلام كما طينت الفدن بالسياع ولكن لما أراد المبالغة لفيد كثرة الشحم قلب فى الكلام وذلك ان العادة أن يكون الجدار غليظا والساتر انما هو طبقة رقيقة فجعل الساتر مستورا والمستور ساترا نقلا للغلظ والرقة عن موضعهما فجاءت المبالغة ثم إن القلب لم يكثر فى كلام العرب ولم يرد فى أبلغ الكلام فهذا هو سبب الاختلاف فى قبوله ويقبل منه مثل أن تقول مازلت أعظ لسانى به فلم ينفع ثم ضربت هذه العصا به حتى تكسرت فلم ينجع فقلت لاتهدى من أحببت

(باب الجملتين فأكثر)

وترجموا له بالفصل والوصل والمراد بالوصل العطف وبالفصل تركه والمقصود بالبحث فى هذا الباب انما هو العطف بالواو وذلك أن الواو كما عرفت لا تفيد الا مجرد الجمع بين شيئين فى حكم ان كانت فى عطف المفردات أو الواقع موقعها من الجمل وفى مجرد الكون والحصول اذا كانت فى عطف الجمل التى ليست واقعة موقع المفردات وانك لاترى نفسك تقنع بهذه الفائدة للعطف فانك تقول لو ذكرت الجمل بدون عطف فهم أنها مشتركة فى الكون والحصول وأما بقية حروف العطف فهى ظاهرة الفائدة بما لها من المعانى

فوجب

فوجب ان يفضى بك التعليم لتقف على اسرار البلاغة الى ابانة مواضع فصل الجمل بعضها عن بعض ومواضع وصلها

(مواضع فصل الجمل)

(الموضع الاول) الجمل المتباينة بالخبرية والانشائية معنى نحو أكرم زيدا وزيد رجل عالم فانك تجد من طبعك نفرة عن الجمع بين هاتين الجملتين لخلوه عن الفائدة بخلاف أكرمه فهو فاضل ونحو أكرمنى زيد أكرمه الله لكن اذا كان الفصل لهذا السبب موهما خلاف المقصود وجب الوصل لتعارض المانع والمقتضى اذ ليس وراء الفصل الا الوصل يحكى أن الصديق رضى الله عنه كان فى محاورة مع اعرابى فقال الاعرابى أثناء كلامه لا رحمك الله فقال الصديق انه لو حسن اعتقادكم لاستنارت عقولكم ألا قلت لا ورحمك الله فكلمة لا خبر ورحمك الله انشاء والوصل بين دعاء اللازم والفصل يوهم دعاء على وكلام الصديق يستدعى ابانة قرب قاصر يقول ما الحسن الاعتقاد وانارة العقول فانها بالمعارف فنقول له ان حسن الاعتقاد عبارة عن كمال الايمان المستدعى التخلق المأمور به فى قوله تخلقوا بأخلاق الله والتأدب بآداب أنبيائه والراسخين فى العلم وذلك انما يكون بمعرفة ذلك ومدخلك الابهام قوله صلى الله عليه وسلم أدبنى ربى فأحسن تأديبى ويحكى ان الصاحب بن عباد قال حين سمع من بعض مخاطبيه أول ما سمع لا وأيدك الله هذه الواو أحسن من واوات الاصداغ على خدود الملاح

(الموضع الثانى) الجمل التى فقدت المناسبة بينها والجهة الجامعة التى سيرد عليك شرحها وتفصيلها نحو زيد فاضل والكلب نجس العين فى رأى ومن هنا أخذوا على أبى تمام فى قوله

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت * منها طلال باللوى ورسوم
لا والذى هو عالم أن النوى * صبر وأن أبا الحسين كريم
ماحلت عن سنن الوداد ولا غدت * نفسى على إلف سواك تحوم

حيث عطف فى واسط الابيات دون مناسبة بين الجملتين وحاشا أبا تمام ان يشذ عليه مثل هذا وهو امام البلاغة

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه * على قدر القرائح والفهوم

وبيان الجهة المحسنة للوصل في قوله بعد أن تعلم أن هؤلاء الشعراء كان تعيشهم من جوائز مدح الامراء اذ ذاك وكانت الامراء متباعدة الامكنة في أقطار الدولة فكان الشاعر منهم يقصد الامير بمصر من بغداد والامير بخراسان من الشأم قال الحسن بن هانئ

تقول التي من بيتها خف محملي * عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب * بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى في إثرهن عبير
دعيني أكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيها الخصيب أمير
فتى يشتري حسن الثناء بماله * ويعلم ان الدائرات تدور
فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير

وهذه القصيدة هي التي يقول في براعة الانتهاء منها

واني جدير اذ بلغتك بالمنى * وأنت بما أملت فيك جدير
فان تولني منك الجميل فأهله * والا فاني عاذر وشكور

يقال ان الخصيب لما سمع هذه القصيدة تحير في جائزة الشاعر فرأى في نومه قائلا أجزه بنعجة كلب فأولها بلفظة ألف وبعد الالف حشا فاه درا فكان الشاعر كما ترى يصف بعده عن وطنه ومفارقته أهله وعشيرته وأحبابه ومراتع أنسه اعتابا للحق على من قصد فكأنه يقول له جودك يردني الى وطني ويجمع بيني وبين أحبتي في قرار عين وسكون خاطر وقد كشف هذا المعنى أبو نواس في قوله

سأشكو الى الفضل ابن يحيى بن خالد * هواك لعل الفضل يجمع بيننا

وأبو الطيب في قوله

عل الامير يرى ذلي فيشفع لي * الى التي تركتني في الهوى مثلا

وقد عيب على هذين الشاعرين من جهة المعنى لا من جهة البلاغة الشعرية حيث كان طالب الجمع بتلك العبارة لما فيها من ملاحظة القيادة فأراد أبو تمام أن يذكر هذا المعنى بعبارة سالمة من ذلك النقد فعنى قوله ان نوى الاحبة مر كالصبر وقربهم حلو كالشهد وان أبا الحسن قادر عليه وانه كريم غير بخيل فهذه الجمل متناسقة وصلها حسن كما ترى ومن شواهد الفصل لعدم المناسبة قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم بعد ذلك الكتاب فالجملة الاولى مسوقة لمدح الكتاب والجملة الثانية مسوقة لذم الكفرة

(الموضع الثالث) جملة سبقتها جملتان أولاهما صالحة للعطف عليها والثانية

في العطف عليها افساد فلدفع الوهم يترك الوصل وشاهده قوله تعالى الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يصلح عطفها على قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ولكن يقوم وهم أنها معطوفة على قوله انا معكم وليس من مقول قولهم أو على قالوا آمنا وليس الاستهزاء بهم مشروطا ولبعض الشعراء

وتظن سلمى انني أبغي بها * بدلا أراها في الضلال تهيم

يحسن عطف أراها على وتظن لكن يتوهم عطفه على أبغي بها

(الموضع الرابع) الجمل المتحدة مقصودا بان تكون الثانية مؤكدة للاولى أو بيانا لها أو بدلا منها فالمؤكدة كقوله تعالى لا ريب فيه وقوله هدى للمتقين فهما مؤكدتان لقوله ذلك الكتاب على وجه من الاعراب بأن يكون ذلك الكتاب مبتدأ وخبرا ومعناه ذلك البعيد الرتبة العالي المنزلة هو الكتاب الكامل في باب الهداية فربما يتوهم ان هذا الكلام لما فيه من المبالغة مما يرمى به جزافا فتأكيده بلا ريب فيه تأكيد معنوي وتأكيده بهدى للمتقين تأكيد لفظي فلا يصح ولا ريب فيه وهو هدى كما لا يصح في قولك زيد زيد قصدك وزارك زيد نفسه ان تقول زيد وزيد وزيد ونفسه والبيان كقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم وربما عطف ما يصلح بيانا الملحوظ آخر كالاشارة الى كون الموصول جنسا آخر منفردا لشدة الفظاعة فيه كما في آية البحر ويذبحون والبدل كقوله تعالى أمدكم بما تعلمون أمدكم بانعام وبنين وهو بمنزلة بدل البعض في المفردات ولبعضهم

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا * والا فكن في السر والجهر مسلما

وهذا بمنزلة بدل الاشتمال فالامر بالرحيل لا يعين الكراهة والبغض فانك تقول لصاحبك ارحل في طلب المجد والعلى وقوله لا تقيمن عندنا صريح في ابانة المقصود ونص عليه

(الموضع الخامس) جملة يجاب بها عن سؤال ينشأ من جملة سابقة ويسمى هذا الفصل استئنافا واشتهر بالاستئناف البياني والاستئناف النحوي أعم منه وشاهده قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال كانه قيل من يسبحه فاجيب يسبحه رجال كما سلف ومن هذا الباب قوله

ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح

وفي قوله * قال لي كيف أنت قلت عليل * كأنه قيل ما سبب ذلك فأجيب سببه سهر دائم وفي قوله

زعم العواذل انني في غمرة * صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

كأنه قيل هل صدقوا وتقول أحسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وأحسنت الى خالد صديقي الصدوق أولى بمعروفي

(الوصل)

له موضعان سبق أحدهما والآخر الجمل المتفقة اسمية وفعلية ولا يحسن المخالفة بينهما الا لنكتة كان يكون المقام داعيا لجمع مستمر وغيره كقوله تعالى أدعوتموهم أم أنتم صامتون ومع اتفاق الجملتين مثلا في الاسمية والفعلية لابد ان يتناسبا تناسبا تاما بحيث يتولد من اجتماعهما معنى واحد يجعل الجملتين جملة واحدة ولتلفت لذلك في عبارة عادية أوردها عليك مثلا اذا كنت في مجلس نظمك وبعض أصحابك فطرأ عليكم من تكرهون حضوره معكم ليأخذ منكم من لا يتم الا به أنسكم ولم يجد بدا من الذهاب معه فانه يدخل عليكم لذلك من الوجد والاسف ما تألم له نفوسكم فواحد منكم واقف بالباب اذا بالمحبوب قد رجع فأسرع يبشر الاصحاب بقوله رجع زيد وذهب عمرو أي جاء الحبيب وذهب البغيض فأنت ترى ان التناسب قرن بين هاتين الجملتين حتى تولد منهما معنى واحد جعل الجملتين جملة واحدة وذلك المعنى هو الفرح والسرور بذهاب البغيض ومجيء الحبيب فكان ذلك المبشر يقول لذهب أسمكم وليراجعكم أنسكم وفرحكم وعليك بتأمل كل وصل في الكتاب العزيز تجد العجب العجيب قال فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون والمناسبة الجامعة للجملتين عندمفكر نلت بحيث يحكم عقلك بحسن الجمع بينهما يسميها أهل المعاني الجامعة بين الجملتين فاكثر فان كانت المناسبات ملحوظة للعقل بلا واسطة وهم ولا خيال كالجمع بين المتماثلات والمتضايفات يسمى الجامع العقلي وان كان بواسطة الوهم يسمى الوهمي وان كان بواسطة الخيال يسمى خياليا فالوهم يجعل الاشياء المتشابهة والاضداد متناسبة متماثلة فعلى من يحاول ان يعرف البلاغة الكلام ينشئه أو عبارات بلاغية يفهمها أن يتقن معرفة مواضع الفصل والوصل ويمعن النظر في الجهة الجامعة الموجبة لوصل الجمل فيما يرد عليه من كلام الله جل ذكره وكلام بلغاء الناس من الشعراء والكتاب وليخص الجامع الخيالي

الخيالي بفصل فكر فانه يختلف باختلاف عرف مواقف الناس حتى تجتلي بصيرته حسن العروس المجاوزة على أرفع مرتبة من مراتب البلاغة في قوله تعالى في مقام الاستدلال وطلب النظر من خطاب الاعراب أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فان هذه الاشياء لا تزال حاضرة متعانقة في خيالات الاعراب فان سبب حياتهم وتمام تمتعهم بالغنم والمواشي وأعظم أنواعها عندهم الابل لا يعدون غيرها مالا حتى اذا أطلق لفظ المال عندهم لا ينصرف الا اليها وهم مضطرون الى الانتقال بها من موضع الى موضع حسب وجود المراعي التي سببها الغيث النازل من السماء وحصونهم عند خوفهم الجبال فتلك الاشياء لا تحضر في ذهن الحضري حضورها في ذهن البدوي ولا قريبا منه فعليه أن ينظر الى أحوال الناس نظر تعلم وتعرف حتى يمكنه ان يراعي المناسبات في خطاب كل صنف ومحاورة كل فريق وقد أورد صاحب المفتاح أمثلة في معنى واحد على السنة أشخاص اختلفت حرفهم وآلات صناعاتهم ترشدك الى ما أنت بصدده فقال وصف جوهري لاحسن الكلام أحسن الكلام ما ثقبته الفكرة ونظمته الفطنة وفصل جوهر معانيه في سمط الفاظه فحملته نحور الرواة ووصف الصيرفي خير الكلام ما نقدته يد البصيرة وجلته عين الروية ووزنه معيار البلاغة فلا ينطق فيه بزائف ولا يسمع فيه ببهرج ووصف الصائغ خير الكلام ما أحميته بكير الفكرة وسبكته بمشاعل النظر وخلصته من خبث الاطناب فبرز بروز الابريز مركبا في معنى وجيز ووصف الحداد أحسن الكلام ما نصبت عليه منفاخ الروية وأشعلت فيه نار البصيرة ثم أخرجته من فحم الافحام ورققته بفطيس الافهام الفطيس على وزن سكين المطرقة الكبيرة ووصف الخمار أبلغ الكلام ما طبخته مراجل العلم وضمته دنان الحكمة وصفاه راوق الفهم فتمشت في المفاصل عذوبته وفي الافكار رقته وفي العقل حدته ووصف البزاز أحسن الكلام ما صدق رقم الفاظه وحسن رسم معانيه فلم يستعجم عند نشر ولم يستبهم عند طي ووصف الكحال كما أن الرمد قذى العين كذا الشبهة قذى البصائر فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة واجل رمص الغفلة ببرود اليقظة ونجمال يصف بلغا البليغ من أخذ بخطام كلامه فاناخه في مبرك المعنى ثم جعل الاختصار له عقالا والايجاز له مجالا فلم يند عن الاذهان ولم يشذ عن الآذان هذا والكلام في أمر الواو ينبهك على مزيتها ويدعوك الى اعتبار مواقعها في نحو كل امره وعمله وفي نحو

لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وفي نحو ما أنت ومطارح الانظار وكيف زيد ومسارح الافكار وفي نحو اطلب العلم ولو بالصين ومن مواقعها بعض الجمل التي تريد ان تجعلها حالا على ما عرفت تفصيله في النحو فانك اذا اعتبرت الجمل بأنواعها وجدت بعضها آبيا عن الارتباط الحالي متبادرا الى ذهنك استئنافه مثلا اذا سمعت عثر زيد الشمس مضيئة مواقع الاقدام تبادر الى فهمك أن الجملة مسوقة على طريق الاستئناف لتوبيخ زيد بنفي عذره ونسبته لاهمال التحرز واستعمال آلة الحفظ ويندفع ذلك بالواو فتفهم عثر في تلك الحالة فكيف به في غيرها واشد الجمل افتقارا الى الواو الجملة الاسمية حتى قيل بوجوبها فيها وما ورد بدونها ضعيف ساقط الاان بعض الجمل الاسمية تكون في حكم المفرد فلا يكون خلوها من الواو ضعيفا كقولهم كلمته فوه الى في أي متشافهين وقوله

اذا أتيت أبا مروان تسأله * وجدته حاضراه الجود والكرم

والماضي المثبت قريب في الافتقار الى الواو من الجملة الاسمية حتى قيل انه لا تجعل جملته حالا إلا بقد والواو ويرده قوله تعالى جاؤكم حصرت صدورهم ولا معنى لكونه على تقدير الواو وقد فان ذلك ليس حكما دينيا تجب المحافظة عليه فان الواو وقد لاجل أن تقرب لفهمك ارادة الحال فان الفعل الماضي بطبيعته يصرف ذهنك الى ان الغرض افادة مضمون جملته لانها مبنية على غيرها مرتبطة به قيدا له فاذا سمعت لقيت زيدا ركب فرسه الشقراء ربما تسارع لفهمك ان ذلك أمر آخر تريد أن تفيده بعد ما أنهيت ذلك وأعرضت عنه فاذا سمعت لقيت زيدا وقد ركب فانك لا يختلج في صدرك الا ان المراد تابتار كوبه متحققا فالية الجملة معتمدة على الواو ومعنى قد وهذا مراد من قال من المتقدمين ان قد تقرب الماضي من الحال لا يريد الحال الزماني بل يريد الحال المقيدة للفعل بما سمعت من التأويل وبيان المعنى

(الباب الثالث)

(فيما يتعلق بالجملة وجزئها او الجمل وهو الايجاز والاطناب والمساواة)

فانها عبارة عن زيادة في الالفاظ وما يقابلها والزائد مفرد أو جملة أو اكثر وكذلك المحذوف أما المساواة فهي كون العبارة مساوية لما تريد أن تفيده كعبارات أوساط الناس الذين لم يرتقوا الى درجة البلغاء ولم ينحطوا الى وضع أهل الحصر والعي والاعتماد في تحقق المساواة على عرفهم في المحاورات لتقاضي أغراضهم وتفهيم ضمائرهم

لا على

لا على ما تقتضيه صناعة النحو ولذلك صح التمثيل للمساواة بقوله جل ذكره ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله فلا يقال قد حذف المستثنى منه ومن وادى هذا المعنى قول الناس النية الخبيثة ما تضر الا صاحبها وبالقياس الى عبارات الاوساط يعرف الايجاز والاطناب ذاهبين فى مراتبهما فحد الايجاز كون العبارة أقل من عبارة المتعارف متدرجا الى أن تكون العبارة لو اختصرت لاختلت ولم تفهم المراد وحد الاطناب كونها اكثر منها لفائدة والا كان تطويلا مثل * وألفى قولها كذبا ومينا * أوحشوا كقوله

* وأعلم علم اليوم والامس قبله * قيل ومنه قول أبى الطيب

ولا فضل فيها للشجاعة والندى * وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

فقيل لفظ الندى حشو مفسد وبين ذلك بأن الشجاعة لو لم يكن فيها تعريض الحياة للزوال وما يقرب منه لم تكن فضيلة والصبر عن المحبوب أو على المكروه فى مواطن البأس نوع من الشجاعة وأما الندى وهو الجود وبذل المال فماله والشعوب بل يرى ان المرء لو عرف الخلود كان بالمال أضن وليس كما قيل فبالمال حفظ الحياة وكمال الانتفاع بها

حياة بلا مال حياة ذميمة * وعلم بلا جاه كلام مضيع

فجود المرء بماله صدقة أو فتوة لبقاء الذكر واغتنام الاجر الا أنه لو فقد فقد بين التعلق بين الشجاعة والصبر ثم الايجاز نوعان ايجاز قصر وايجاز حذف ويسمى اختصارا والاول هو كد البلغاء ومحك الاذكياء ومنه قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة فهذا أوجز كلام فى هذا المعنى وأحكمه وأسلسه فانك لو ذهبت تشرحه كنت تقول ولكم فى مشروعية الحكم بأن متعمد القتل يجب ان يسلمه السلطان بنفسه أو نائبه الى أولياء المقتول يشدون وثاقه بحضرة أحبابه وأعدائه فن بالك عليه راحم له باذل عنه دية أو ديتين الى عشر كما وقع من أمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه فى بعض من توجه عليه الحكم به ومن شامت موجع ضاحك الى غير ذلك مما هو أشد على النفوس ولا سيما العرب من الموت فربما قتل بعض الناس نفسه فرارا من ذلك فارتدع الاقوياء عن الاجتراء وشيمت السيوف الا فى جهاد فاستوى الناس وعم الامن واقبل كل على عمله وانتفع بعضهم ببعض فطالت الاعمار وكثرت الذرية ونما المال فظهرت حياة كثيرة عظيمة آمنة مطمئنة يتزايد خيرها ويزيدك معرفة بفضل هذا الكلام أنه لا يمكنك أن توازنه بما كانت العرب ترى أنه أوجز كلام فى هذا المعنى وهو قولهم القتل أنفى للقتل

لا فى اللفظ ولا فى المعنى ومن الكلام النوابغ للزمخشرى رحمه الله تعالى فما ينى العاقل عليه أمره فى معاشرة الناس استفد أو استفد فهاتان الجملتان المتسقتان لا أذكر درّا ولا جوهرا ولا ما كان من نفائس هذه الدنيا يغنيانك عن كتاب حافل فى النصائح والآداب وتأمل التفاوت بينهما باعتبار الوجازة والنزاهة وبين قول من قال شعرا

يا معشر الاخوان أوصيكم * وصية الوالد والوالده
لا تنقلوا الاقدام الا إلى * من ترتجى من عنده فائده
إما لعلم تستفيدونه * أو لكريم عنده مائده

ومن ايجاز القصر فى المفرد مثل أن تقول معقول ومحسوس ومجلود ومكثور بدل مدرك بالعقل ومدرك بالحس ومضروب الجلد وكثيرة أعداؤه عليه وايجاز الحذف يكون بحذف مفرد أو جملة أو أكثر مثل قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فصبروا أى فاصبر وتأس وقولهم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون أى أئن ذكرتم ترجمون وبسنا منكم عذاب أليم وهل يصح ذلك داعيا فتكونوا متطيرين لا بل أنتم قوم مسرفون وقوله فأرسلون يوسف أيها الصديق اى فأرسلوه فجاءه فبلغه عنهم ثم حضر فقالوا يا يوسف ومن أمثلتهم لذلك قول أبى العلاء

طربن لضوء البارق المتعالى * ببغداد وهنا ما لهن ومالى

أى طربن فأخذت أسكنها وهى لا تسكن ثم أعاودها وتدافعنى الى ان فضيت العجب من كثرة معاودتى وشدة مدافعتها والداعى الى الايجاز تسهيل الحفظ وتقريب الفهم وضيق المقام واخفاء الامر عمن لا تحب اطلاعه عليه وسآمة المحادثة والاشارة للنفرة الى غير ذلك مما سبق تنبيهك لبعضه وليس يعجزك بعد اعتبار الامثال والالتفات مثل قوله تعالى فى مقام الاستدلال انّ فى خلق السموات والارض الآيه فايجازه ان فى المكن مع تساوى طرفيه آية وقوله فى مقام الشكوى وطلب الاشتكاء رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا وايجازه شخت وبين العبارتين عبارات مثل وهن عظمى وشاب رأسى وقد يعتبر الايجاز والاطناب بتفاوت المقامات فقد يقتضى مقام كثرة الكلام لاستقصاء الصفة كالانس على ذهاب الشباب والتضجر من حلول المشيب ومن هنا تسمعهم يقولون الخطب والفخر محل إطناب وكان يقال المدح أيضا محل إطناب حتى قال ابن الرومى

واذا امرؤ مدح امرأ لنواله * واطال فيه فقد أراد هجاءه

لولم

لولم يقدر فيه بعد المستقى * عند الورود لما أطال رشاه

ومن الاطناب التخصيص بعد التعميم نحو تنزل الملائكة والروح أي جبريل خصه بالذكر مع دخوله تحت عموم الملائكة تكريماله كأنه جنس آخر ومنه التكرير نحو كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون للدلالة بثم على ان الانذار الثاني أبلغ ومنه اشياء خصت باسماء كالايغال والتتميم والتذييل والتكميل يأتي بيانها في فن البديع ان شاء الله تعالى

(فنّ البديع)

اعلم أنّ العمل بهذا الفنّ انما هو بعد العمل بسابقيه كما أنّ العمل بفن البيان بعد العمل بفن المعاني وبيان ذلك أنك تنظر أوّلا الى المعنى الذي تريد أن تعبر عنه وأين تضع العبارة فحافظك اذا من الخطأ في تعيين العبارة حسب الوضع هو فن المعاني ثم انك تنظر الى الالفاظ فتختار منها ما تعرف أنه يبين مرادك ويجلو صورة المعنى الذي شخصته أوّلا للبصائر كما تجلو المرآة الصقيلة صورة ما يقابلها وحافظك اذا من الخطأ فن البيان ثم اذا أردت أن تزين عبارتك حتى تكون بهيجة مفرحة كالصور المنقوشة بنقوش محكمة متناسبة بعد ان أخذت الاعضاء متانتها وكمالها كما يليق بنوعها جاء العمل بهذا العلم وليكن على ذكرك تمثيل الكلام الذي تريد انشاءه بالبيت الذي تريد أن تسكنه من أوّل ما تريد أن تبنيه وقد أفرد المتأخرون هذا الفن بالتآليف وأدخلوا فيه كثيرا من مباحث الفنين كأنهم قدّروا كماليته لمعرفة من أين يتميز كلام عن كلام وتشرف عبارة عن عبارة وفصلوه الى أنواع تزيد المتأخر فيها على المتقدّم حتى بلغت عددا كثيرا ولم يزل المشتغلون بمعرفة المحاسن الكلامية يعثرون على أمور اذا قيست لما ذكره أهل هذا الفن كانت مستحقة لنظمها في سلكه وتسميتها بما يناسبها هذا والاحوال المبحوث عنها في هذا الفن تنقسم الى لفظية والى معنوية اللفظي منها ما يعود حسنه على الالفاظ كالجناس والطباق والمعنوي ما يتعلق بالمعنى كالمبالغة والغلوّ وها هي تلك أنواع البديع على ترتيب التآليف المستقلة

(حسن الابتداء ويقال براعة المطلع)

قال العلماء ينبغي للمتكلم أن تزيد عنايته ويكثر اهتمامه بأربعة مواضع من كلامه وان كان ينبغي أن يتحرّى الاجود في سائره أوّل الكلام وآخره ومكان التخلص من فن الى فن وموضع الطلب وهو براعة المطلع وحسن التخلص وحسن الطلب وحسن الختام فبراعة المطلع بأن تكون ألفاظه مختارة سالمة مما ينفر منه السامع أو يتعلق به نقد

واذا كان الكلام شعرا أونثرا مسجعا لزم أن يكون كل من الشطرين أو القرينتين مستقلا بالافادة مع شدة التناسب بينهما وعلى المتكلم أيضا أن يكون أول كلامه مشتملا على اشارة لطيفة الى مقصوده من الكلام وسموا ذلك براعة الاستهلال وسنورد عليك مطالع تحذر أمثالها رمت باصحابها اذ ذاك خلف الاعتبار على أنهم من هم قال غيلان ذو الرمة يمدح عبد الملك بن مروان وكان بعينيه علة

مابال عينيك منها الماء ينسكب * كأنه من كلى مفرية سرب

الكلية بضم فسكون هنا رقعة تخرز فى القربة تحت العروة فجرى الشاعر على عادتهم فى ذكر العشق وأحواله من السهر والبكاء وحرارة القلب وانفطار الكبد الى غير ذلك ولم يلتفت الى حال من معه الخطاب فكان جزاؤه ان قال له مالك وهذا يابغيض وافتتح جرير بقوله * أتصحو أم فؤادك غير صاح * فقال ممدوحه بل فؤادك وقال اسحاق الموصلى فى أول تهنئة بقصر بناه ملكه

يادار غيرك البلا ومحاك * ياليت شعرى ما الذى أبلاك

فامر بهدمه لساعته ولبعضهم يخاطب عظيما يرجو إنابته

موعد احبابك بالفرقة غد * فقال بل أحبابك ولك المثل السوء وقال مرة ثانية فى تهنئة بيوم المهرجان

لاتقل بشرى ولكن بشريان * غرة الداعى ويوم المهرجان

فأمر بضربه خمسين وقال اصلاح أدبه أحسن من اثابته وقال أبو تمام

على مثلها من أربع وملاعب * فقال بعض الحاضرين لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وقال بعضهم مدحت السلطان بقصيدة وقبل عرضها عليه أطلعت كثيرا من حذاق الاصحاب عليها فما منهم الامن قدح فكره فى نقدها ولم يأخذ على منها فى شئ ثم عرضتها على الممدوح فصادفت قبولا وكان مطلعها

دعها ولاتحبس زمام المقود * تطوى بأيديها بساط الفدفد

وكنت بها معجبا فأسمعتها يوما لبعض شبان أعيان العسكر فقال ما كان يؤمنك أن يقول حين يتناول درجها فيجد فى صدره دعها قد فعلت ويرمى بها اما كنت تخجل فقلت بلى ولكن الله قد وقى ويحكى ان صالح بن حسان قال يوما للهيثم بن عدى أنشدنى بيتا صدره اعرابى فى شملة وعجزه مخنث من مخنثى المدينة فقال لا أعرفه فقال أجلتك حولا فقال ولو أجلتنى عشرا فقال كنت أحسبك أذكى من هذا وأنشده بيت جميل

الا

ألا أيها النوام ويحكم هبوا * هذا أعرابي في شملة * أسائلكم هل يقتل الرجل الحب *
ولمسلم بن الوليد

أديرا على الراح لا تشربا قبلى * ولا تطلبا من عند قاتلتى ذحلى

فهذه المطالع كافية لارشادك الى ما يجب احترازك من مثله وأزيدك ما حكى أن شاعرا مغربيا سمع شعر الصاحب بهاء الدين زهير المصري فحمله ذلك على أن يقصد مصر ليتعلم رقة الشعر من ذلك الوزير فلما لقيه وعرفه الحال قال له الصاحب ان ذلك أمر لا يعرف بطريقة تعليم على وانما يصرف الشاعر فكره فيما يرد عليه من لطائف الاشعار ويتأمل من جهات اللطف فيها حتى تأخذ من طبعه مكانا وحينئذ يجهد في محاكاتها فعليك بادمان قراءتها على ذلك الحد والآن ألقي عليك صدرا اتممل له عجزا وتطلعني لاخبرك بحاله فأنشده * يابان وادى الاجرع * فأخذه المغربي وانصرف يكد فكره في تتميمه ثم جاء صبيحة ليلته الى الصاحب فأنشده

يابانَ وادى الأجرعِ * سقيتَ غيثَ الادمع

فقال الصاحب الصدر يطلب غير هذا وأتمه بقوله * هل ملت من طرب معى * فأنت ترى ان الميل مأخوذ من البان وتعليله بطرب المساعدة للعاشق ومجانسته اياه في العشق فمثل هذا ينبغي ان تكون المطالع ومن جياد المطالع قول النابغة الذبياني

رحلت سمية غدوة أجمالها * غضبى عليك فما تقول بدا لها

وقول القطامى

الا أيها اللاحى كفاكَ عتابا * ونفسَكَ وفّقْ ما استطعت صوابا

ولابى تمام في استهلال مرثية

كذا فليجلَّ الخطبُ وليفدح الامرُ * فليس لعينٍ لم يفضْ ماؤها عذرُ

ولبعضهم في استهلال تهنئة بمولود

بُشرى فقد أنجزَ الاقبالُ ماوعدا * وكوكبُ السعدِ في أفقِ العلى صعدا

هذا في براعة الاستهلال وحسن قوله فيها

لم يتخذ ولدا الا مبالغة * في صدق توحيد من لم يتخذ ولدا

(الجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس) ألفاظ يستعملها أهل هذا الفن لنوع لفظي ينبغي أن يستعمل على ما حده المطرزي في شرح المقامات حيث يقول ان أنواع الجناس لا تستحسن حتى يساعد اللفظ المعنى ولا تستلذ حتى تكون عذبة الاصدار

هو الثار

و... في ... ما ... ازم الد ... صرت ...

والايراد سهلة سلسلة المقاد ولاتبرع حتى يساوى مطلعها مقطعها ولاتملح حتى يوازى مصنوعها مطبوعها مع مراعات النظير وتمكن القرائن والانفاق في أماكنه ونباعن مواقعه فبمعزل عن الرضاء عند علماء البيان وبمكان من البشاعة لدى أرباب النثر وأصحاب النظم فاذا أردت أن تستوفى أقسام المحاسن وتجتنب أنواع المشائن فأرسل المعانى على سجيتها ودعها تطلب لانفسها الالفاظ فانها اذا تركت وماتريد لم تكتس الا مايليق بها ولم تلبس من المعارض الامايزينها فاما أن تضع فى نفسك انه لابد لك من تجنيس وتسجيع بلفظين مخصوصين فهو الذى أنت منه بمعرض الاستكراه على خطر من الخطر فان ساعدك الجد كما ساعد طاهرا البصرى فى قوله

ناظراه فيما جنى ناظراه * أودعانى أمت بما أودعانى

وأبا تمام فى قوله

وأنجدتم من بعد اتهام داركم * فيادمع أنجدنى على ساكنى نجد

فذاك والا اطلقت لسان العتب وأرخيت عنان الذم وأفضى بك طلب الاحسان من حيث لم تحسنه الى أشنع القبح وأوقعك الولوع بالثناء عليك فى ورطة القدح وانقلب احسانك اساءة وتحول سرورك مساءه انتهى كلام المطرزى

وقال ابن رشيق فى الجناس هو من أنواع الفراغ وقلة الفائدة ومما لاشك فى تكلفه وقد اكثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون فى نظمهم ونثرهم حتى برك وبردوا نول صدق ابن رشيق فان الجناس لايخلو من أن يحيد بصاحبه عن الجادة ولاهل دقة النظر من الشعراء والكتاب نقد ليس يدركه العلماء فالمطرزى رحمه الله يقول ان الجد اى الحظ والبخت ساعد طاهرا البصرى وذلك لايقوله أولئك فان بيتى طاهر جائران عن سبيل الاحسان وان كان ظاهرهما خادعا الاترى أن للشاعران يقول قوله

فلت للقلب مادهاك أجبنى * قال لى بائع الفرانى فرانى

لفظ فرانى كلمة نازلة ولاجلها نقص كلمة الفرانى حقها وهى بتشديد الياء جمع فرنية نسبة الى الفرن لنوع خبز وقوله

ناظراه فيما جنى ناظراه * أودعانى أمت بما أودعانى

فيه الرضاء بادخال المحبوب تحت أسر الاحتجاج وتكلف الاجابة وليس هو الجانى وهب هما ناظراه أفكان يسلم و يعيش بعد أن انفرى قلبه ثم الودائع مردودة ثم الكلام

ينادى

ينادي على نفسه أن انشاءه والقصد اليه انما هو قرن تلك الالفاظ ولذلك لاترى الجناس في بليغ الكلام الانادرا وحيث كان رأيته ثابتا في موضعه متمكنا منه أوجبه المعنى مثلا قوله تعالى ينهون عنه وينأون ربما تقول ان لفظ ينأون أتى به لاجل الجناس والالفاظ يعدون يقوم مقامه لكن اذا أعطيت الالفاظ حقها من النظر رأيتك لاتقول لشيء بعد إلا حين يجاوز مواضع القرب وأما النأي فهو الانفصال عن الشيء لقصد البعد منه والنفرة عنه فمخالفتهم متصلة بفعلهم والمذمة لاحقة بهم من حيث ينهون وبعد فقد قيل في فائدة الجناس انه يستدعي ميل السامع واصغاءه الى الكلام حيث تعود اللفظة التي سمعها فيأخذه ضرب من الاستغراب ويستحسن المكرر مع اختلاف المعنى وهو أنواع

التام ويكون بايراد الالفاظ المشتركة للمعاني المختلفة وغير ذلك ورد في موضعين من القرآن ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ويحسن منه مثل قول بعضهم

اذا رماك الدهر في معشر * قد أجمع الناس على بغضهم
فدارهم مادمت في دارهم * وأرضهم مادمت في أرضهم

وقول آخر

وخز الاسنة والخضوع لناقص * أمران في رأى النهى مران
والرأى فيما دونه الامران أن * تختار وقع أسنة المران

وهذا الجناس اذا كان ركناه من جنس واحد كفعلين أو اسمين سمي مماثلا وان اختلفا سمي مستوفى

(الجناس المطلق)

يكون بتوافق ركنيه في الحروف وترتيبها دون أن يجمعهما الاشتقاق كقوله صلى الله عليه وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله فان جمعهما اشتقاق مثل لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد فقيل يسمى جناس اشتقاق وقيل هو غير جناس

(الجناس المذيل والجناس المطرف)

يكون الاول بزيادة أحد ركنيه في آخره والثاني بها في أوله مثل قول أبي تمام

يعدون من أيد عواص عواصم * تصول بأسياف قواض قواضب

وقول الخنساء

ان البكاء هو الشفا * ء من الجوى بين الجوانح

وقول الشيخ عبد القاهر

وكم سبقت منه الى عوارف * ثنائى على تلك العوارف وارف

وكم غرر من بره ولطائف * لشكرى على تلك اللطائف طائف

(الجناس المضارع والجناس اللاحق)

يكون الاول باختلاف ركنيه فى حرفين لم يتباعدا مخرجا مثل ينهون وينأون والثانى فى متباعدين مثل انه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد

(الجناس اللفظى)

يكون باختلاف ركنيه بالضاد والظاء أو التاء والهاء أو التنوين والنون مثل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومثل قول بعضهم

اذا جلست الى قوم لتؤنسهم * بما تحدث من ماض ومن آت

فلا تعيدن حديثا ان طبعهم * موكل بمعاداة المعادات

وقول آخر

أحسن خلق الله وجها وفا * ان لم يكن أحق بالحسن فمن

حكى الغزال مقلة ولفتة * من ذا رآه مقبلا ولا افتتن

(الجناس المحرف)

يكون باختلافهما فى حركة مثل الضلال والظلال والكلام والكلام ومنه جبة البرد جنة البرد

(الجناس المصحف)

يكون بكلمات لو زال اعجامها لم تتميز كقول بعضهم غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك بهذا تهدى

(الجناس المركب والجناس الملفق)

يكون الاوّل باختلاف ركنيه افرادا وتركيبا فان كان من كلمة و بعض أخرى سمى مرفوا كقول الحريرى

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه * بدمع يحاكى المزن عند مصابه

ومثل

ومثل لعينيك الحمام ووقعه * وروعة ملقاه ومطعم صابه

وان كان من كلمتين فان اتفق الركنان خطا سمي مقرونا كقوله

اذا ملك لم يكن ذا هبه * فدعه فدولته ذاهبه

والا سمي مفروقا كقوله

لا تعرضن على الرواة قصيدة * مالم تكن بالغت في تهذيبها

فاذا عرضت الشعر غير مهذب * عدوه منك وساوسا تهذي بها

ويكون الملفق بتركيب الركنين جميعا كقول بعضهم

وليت الحكم خمسا وهي خمس * لعمري والصبا في العنفوان

فلم تضع الاعادي قدر شاني * ولا قالوا فلان قد رشاني

وقول آخر

أرى مجالس السلطان تقضي عفاته * الى روض جود بالعطاء مجود

فكم لجباه الراغبين لديه من * مجال سجود في مجالس جود

(جناس القلب) يكون باختلاف ركنيه في ترتيب الحروف كقوله اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا

(الجناس المعنوي) نوعان جناس اضمار وجناس اشارة الاول أن تأتي بلفظ يحضر في ذهنك لفظا آخر يرادفه أو بطريق أخرى وذلك اللفظ المحضر يراد به غير معناه بدلالة سياق الكلام كقول الشريف ابن طباطبا العلوي

منعم الجسم تحكي الماء رقته * وقلبه قسوة يحكي ابا أوس

أوس شاعر مشهور من شعراء العرب واسم أبيه حجر فلفظ أبي أوس يحضر في ذهنك اسمه وهو لفظ حجر والمراد به بدلالة قوله وقلبه قسوة الحجر المعروف وحين ظهر استعمال هذا النوع استنكره الادباء حتى قال مسلم بن بحر يخاطب الشريف المذكور

أبا حسن حاولت ايراد قافيه * مصلبة المعنى فجاءتك واهيه

وقلت أبا أوس تريد كناية * عن الحجر القاسي فأوردت داهيه

فان جاز هذا فاكسرن غير صاغر * فمي بأبي القرم الهمام معاويه

ثم استحسنه المتأخرون واكثروا منه فمنه قول بعضهم

الا في سبيل اللهو كاس مدامة * أتتنا بطعم عهده غير ثابت

حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة * وأمست كجسم الشنفري بعد ثابت

بنت بسطام اسمها صهباء وقوله بجسم الشنفرى يشير الى قوله

فاسقنيها ياسواد بن عمرو * ان جسمي بعد خالى لخل

يقول أصبحت خمرا وأمست خلا ولبهاء الدين زهير

وجاهل طال به عنائى * لازمني وذاك من شقائى

ابغض للعين من الاقذاء * اثقل من شماتة الاعداء

فهو اذا رأته عين الرائى * أبو معاذ وأخو الخنساء

ويكون جناس الاشارة بذكر أحد الركنين والاشارة للآخر بما يدل عليه وذلك حيث يمنع الشعر من التصريح به فلا يكون فى المنثور وأصله قول امرأة عربية من عقيل

فما مكثنا دام الجمال عليكما * بثهلان إلا أن تشدّ الاباعر

كأنها أرادت أن تقول تشدّ الجمال لتجانس الجمال جناس التحريف فأبت عليها القافية واكثر المتأخرون من استعماله كقول بعضهم

وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد خد ندى

(الاستطراد) هو أن يخرج المتكلم من الفن الذى هو مترسل فيه الى معنى يذكره باستدعاء مناسبة قوية ثم يرجع الى تتميم ما كان فيه كقول السموأل

وإنا أناس لانرى القتل سبة * اذا مارأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات منا واحد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل

فسياق القصيدة للفخر وتنسيق المآثر استطرد منه الى هجاء عامر وسلول ثم عاد اليه والاستطراد كثير فى القرآن وفى أشعار العرب ترى الشاعر ماضيا فى سنن فيعترضه شئ يستدعى الصفة فيصفه فاذا اتم عاد وأصل معنى الكلمة أن الفارس يكون بين يدى قرنه فيظهر أنه انهزم ويفر فيطلبه عاديا خلفه حتى اذا استشعر صاحب المكيدة أن تابعه قد أفرغ قوته وبطل استعداده وصار فى أسر ميل الطالب عطف عليه المطلوب فكان الطالب قاتل نفسه ومن شواهد النوع قول البحترى فى صفة فرس

يهوى كما هوت العقاب وقد رأت * صيدا وينتصب انتصاب الاجدل

مالان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

جذلان ينفض عذرة فى غرة * يقق تسيل حجولها فى جندل

(المقابلة)

(المقابلة) هى أن تذكر معنيين فأكثر ثم تقابل كلا بضده وأكرم شاهد لها قوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ومن استغنى فقد عصى ولم يتق وقوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ثم قوله صلى الله عليه وسلم لم يكن الرفق فى شئ إلا زان ولم يكن الخرق فى شئ إلا شان ومن الشعر قول بعضهم

على رأس عبدٍ تاج عز يزينه * وفى رجل حر قيد ذل يشينه

وقول الطغرائى

حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت * بشدة البأس منه رقة الغزل

ولابى الطيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وانثنى وبياض الصبح يغرى بى

وأخذه منه بعضهم فقال

أقلى النهار اذا اضاء صباحه * وأظل انتظر الظلام الدامسا

فالصبح يشمت بى فيقبل ضاحكا * والليل يرثى لى فيدبر عابسا

(الاستخدام) هو أن تذكر لفظا وتعيد عليه ضميرا تريد به معنى آخر لذلك اللفظ أو تعيد عليه ضميرين تريد بثانيهما غير ما أردت بأولهما فمن الاول قوله

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

ولابن نباتة المصرى

اذا لم تفض عينى العقيق فلا رأت * منازله بالسفح تزهى وتزهر

وان لم تواصل عادة السفح مقلتى * فلا عادها عيش بمغناه أخضر

ومن الثانى قول البحترى

فسقى الغضا والساكنيه وانهم * شبوه بين جوانح وقلوب

الغضا اسم لمكانين معروفين واسم شجر ناره شديدة لصلابته يقال ان ناره تمكث تحت التراب المطفئ عادة النار ستة أشهر وثم استخدام آخر أثبته بعضهم وهو أن تذكر كلمة ذات معنيين وتريدهما جميعا ناصبا فى الكلام لكل منهما دليلا كقول بعضهم

دع الهوينا وانتصب واكتسب * واكدح فنفس الحر كداحه

وكن عن الراحة فى معزل * فالصفع موجود مع الراحه

ومنه فى الكتاب العزيز لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت ومن الاستخدام الاول فيه قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى أحد التفسيرين

(الافتنان) هو أن يجمع المتكلم بين فنين من المعانى مثل الغزل والحماسة والمدح والهجاء والتهنئة والتعزية قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام صدر الآية تسلية لعامة الناس وتعزية وبيان موضع التأسى فان الامر متى عم هان وعجزها تمدح بالانفراد بالبقاء والجلال أى العظمة والاكرام أى الاعظام فهما له لذاته وما كان منهما لغيره فباحسانه وإفضاله ويحكى أنه لما أجاب أمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه داعى ربه وخلفه ابنه يزيد دخل عليه الناس يوم جلوسه لهم فلم يتكلم أحد بشئ حيرة بين المصيبة السالفة والنعمة الخالفة حتى دخل عبد الله بن همام السلولى فقال آجرك الله على الرزية وبارك لك فى العطية وأعانك على الرعية فقد رزئت عظيما واعطيت جسيما فاشكر الله على ما أعطيت واصبر على ما رزيت فقد فقدت الخليفة واعطيت الخلافة ففارقت خليلا ووهبت جليلا ثم أنشد

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر حباء الذى بالملك أصفاكا
لا رزء أصبح فى الاقوام نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء كما يحكى أن اعرابية لقيت أبا جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس فى طريق الحجاز وقد حج بالناس أول حجة بعد موت أخيه السفاح أولهم فقالت له يا أمير المؤمنين قد أحسن الله اليك فى الحالتين وأعظم النعمة عليك فى المنزلتين سلبك خليفة الله وافادك خلافة الله فاحتسب عند الله ما سلبك واشكر له ما وهبك وتجاوز الله عن أمير المؤمنين وبارك لك فى امرة المؤمنين ثم دخل الناس بعد من هذا الباب فقالوا وأحسنوا كأبى نواس وأبى تمام ومن جاء بعدهم ومن الافتنان بالجمع بين الغزل والحماسة قول ذى اليمينين عبد الله بن طاهر

نحن قوم تذيبنا الاعين النجل على اننا نذيب الحديدا
طوع ايدى الغرام تقتادنا الغيد ونقتاد بالطعان الاسودا
تملك الصيد ثم تملكنا البيض المصونات اعينا وخدودا
تتقى سخطنا الاسود ونخشى * سخطة الخشف حين يبدى الصدودا
فترانا يوم الكريهة أحرا * را وفى السلم للحسان عبيدا

واذا جمع المتكلم بين معان كثيرة خص من بين الافتنان باسم التدبيج أي جعل الكلام مثل المدبج يشتمل على أنواع النباتات المختلفة

(اللف والنشر) هو أن تذكر متعددا بلفظ واحد ثم تذكر متعددا آخر مفصلا بألفاظ لكل واحد من الاول واحد من الثاني معتمدا في ذلك على فهم المخاطب أو تذكر متعددا بألفاظ ثم تعقبه بمثله على ذلك فمن الاول قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فالواو في وقالوا عبارة عن اليهود والنصارى فالمعنى قال اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى وتفهم ذلك بعلمك أن كلا من الامتين تكفر صاحبتها ومنه قول ابن حيوس

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها * فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر
يقينك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وعزمك والنصر

ومن الثاني قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ومنه قول علي ابن الرومي في المدح

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والأخريات رجوم

ومنه في الغرامي قول حمدونة الاندلسية

ولما أبى الواشون الا فراقنا * وليس لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة * وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي * ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

وحمدونة هذه من كبريات الادباء وكان يقال لها خنساء المغرب وهي صاحبة الابيات المنسوبة غلطا لابي نصر المنازي وقد ذكرت في ترجمتها المعاصر بها قبل مولد المنازي بحين وهي قولها

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمإ زلالا * ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وقد أخبرت في شعرها عن شعبها حيث قالت وقل حماتي عند ذاك فتلك من عبارات

النساء وحديث الرضاع والفطام والحلى اليق شئ بشعر امرأة ومن محاسن الادب ان يشير المتكلم فى شعره أونثره بحاله ومنه قول على بن بشر الكاتب من شعراء اليتيمة

يامن يمر ولا تمر * به القلوب من الفرق
بعمامة من خده * أوخده منها استرق
فكأنه وكأنها * قمر تعمم بالشفق
فاذا بدا واذا انثنى * وذا شدا واذا نطق
شغل الخواطر والجوا * رح والمسامع والحدق

وعارضه ابن خفاجة الاندلسى بقوله

ومهفهف طاوى الحشا * خنث المعاطف والنظر
ملأ العيون بصورة * تليت محاسنها سور
فاذا رنا واذا مشى * واذا شدا واذا سفر
فضح الغزالة والغما * مة والحمامة والقمر

ويكون النشر على ترتيب اللف الاوّل للاوّل وهكذا ويكون غيرذلك وحسن هذا النوع اذا سلم من العقادة ولم تبين كون القصد اليه فقط وما كان من بعض الشعراء من القصد اليه بتكثير العدد انما هو لاختبار القوّة وتقييد النكتة كقول بعضهم

يقطع بالسكين بطيخة ضحى * على طبق فى مجلس لأصاحبه
كبدر ببرق قد شمسا أهلة * لدى هالة فى الافق بين كواكبه

(الاستدراك) هو كما عرفت رفع وهم ينشأ من الكلام بلكن وما بعدها خلا أنه لا يعد من البديع الا اذا اشتمل على نكتة زائدة يعترف بها الذوق كقول ابى دويدة يخاطب رجلا أودع قاضيا فادّعى ضياعها

ان قال قد ضاعت فيصدق أنها * ضاعت ولكن منك يعنى لو تعى
أوقال قد وقعت فيصدق أنها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

ولصدر الدين ابن الوكيل

وبى من قساقلبا ولان معاطفا * اذا قلت أدنانى يضاعف تبعيدى
أقر بر ق إذ أقول أناله * وكم قالها يوما ولكن لتهديدى

ولبعضهم

يحجون بالمال الذى يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرّم

ويزعم

ويزعم كل أن تحط ذنوبهم * تحط ولكن فوقهم في جهنم

(الابهام) هو أن تأتي بعبارة تحتمل مقصدين على السواء كهجاء ومديح لتبلغ من غرضك بالابهام عليك قال محمد بن حزم يخاطب المأمون حين تزوج بابنة الحسن ابن سهل بوران التي تنسب اليها الاطعمة البورانية

بارك الله للحسن * ولبوران في الختن

يا إمام الهدى ظفر * ت ولكن ببنت من

فهذا يحتمل التعظيم والتحقير أي ببنت من بلغ في العظم الى حد يخرج عن التصور أو في الحقارة ومنه ما يحكى أن سائلا عجميا سأل ابن الجوزي الواعظ اي الرجلين أفضل أبو بكر أم علي فقال من كانت ابنته تحته فالضمير الاول ان عاد على من فهو تفضيل لابي بكر وابنته عائشة رضي الله عنها فالضمير الثاني يرجع للنبي صلى الله عليه وسلم وان عاد الضمير الثاني على من فهو تفضيل لعلي وهذا النوع هو ما يسميه النحويون اجمالا حيث يتكلمون على الالباس

(المطابقة) هي الجمع بين ضدين فان كان أحد اللفظين مجازا سميت المطابقة الايهامية وان كانت الالفاظ من ألفاظ الالوان سميت تدبيجا وقد تكون المطابقة بحسب المعنى أو الاستلزام كقوله تعالى ان أنتم الا تكذبون مع قوله انا اليكم لمرسلون معناه انا صادقون وقوله أشداء على الكفار رحماء فالرحمة تستلزم اللين فمن المطابقة مثل قوله تعالى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ومن المطابقة الجمع بين اثبات شئ ونفيه مثل ولكن اكثرهم لا يعلمون يعلمون ظاهرا وأحسن المطابقة ما صحبها نوع آخر من البديع يكسوها جمالا كقول فخر الدين ابن مكانس

يا ابن عم النبي ان أناسا * قد تولوك بالسعادة فازوا

أنت للعلم في الحقيقة باب * يا إمامي ومن سواك مجاز

(ارسال المثل والكلام الجامع)

هما نوعان فرق بينهما أهل البديع بكون الاول بعض بيت والثاني بيتا كاملا كقول أبي الطيب في ارسال المثل

فان حلك حلم لا تكلفه * ليس التكحل في العينين كالكحل

وقول امرئ القيس في الكلام الجامع

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شيء سواه بخزان

وحيث كان المقصود منهما واحدا فالاحسن جعلهما نوعا واحدا والضابط أن يكون الكلام صالحا لان يتمثل به في مواطن كثيرة لغرض كتسلى المحزون وتشجيع الجبان وتخميد الفتنة وتسكين سورة الغضب وتبكيت الخصم وتحلية العتاب وتحسين الشكر وتصبير الجازع الى غير ذلك من المقاصد وأهل الحماسات يترجمون للشعر المشتمل على مثل هذا بباب الآداب ومثل هذا الكلام هو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم وأعطيت جوامع الكلم يعني الكلام القليل الالفاظ الكثير المعنى الذي يؤثر في النفوس بما فيه من الحكم المعرفة المنافع التي تطلبها النفوس والمضار التي تهرب منها وقد أكثر الناس من التأليف في الامثال العربية وغيرها من الشعر وغيره وللطباع استراحة الى الامثال فانك تجدها في سائر اجناس الناس يحملونها في أحاديثهم منتهى الحجة وموضع الحكم وذريعة الاذعان والاعتراف قال الزمخشري واضرب العرب الامثال واستحضارهم المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في ابراز خبيئات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الأبي ولامر ما اكثر الله تعالى في كتابه المبين وفي سائر كتبه الامثال وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلام الانبياء عليهم السلام والحكماء قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال ولم يضربوا امثالا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمى عن التغيير انتهى وقد عقد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الآداب بابا في الفاظ من القرآن جارية مجرى الامثال وأورد من ذلك قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآن حصحص الحق ذلك بما قدمت يداك قضى الامر الذي فيه تستفتيان أليس الصبح بقريب وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكل نبأ مستقر ولا يحيق المكر السيء الا باهله قل كل يعمل على شاكلته وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم كل نفس بما كسبت رهينة ماعلى الرسول الا البلاغ ماعلى المحسنين من سبيل هل جزاء الاحسان الا الاحسان كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ولا ينبئك مثل خبير كل حزب بما لديهم فرحون وقليل من عبادي الشكور لا يكلف الله نفسا الا وسعها لا يستوي الخبيث والطيب ولا

ولا تزر وازرة وزر أخرى انتهى قال الماوردى سمعت أبا اسحاق ابراهيم بن مضارب ابن ابراهيم يقول سمعت ابى يقول سألت الحسين بن الفضل فقلت انك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن فهل تجد فى كلام الله خير الامور أوسطها قال نعم فى أربعة مواضع قوله لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا قلت فهل تجد فى كتاب الله احذر شر من أحسنت اليه قال نعم وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قلت فهل تجد فى كتاب الله من جهل شيئا عاداه قال نعم فى موضعين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم قلت فهل تجد ليس الخبر كالعيان قال فى قوله أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قلت فهل تجد فى الحركات بركات قال فى قوله ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة قلت فهل تجد كما تدين تدان قال فى قوله من يعمل سوأ يجز به قلت فهل تجد فيه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل قلت فهل تجد من أعان ظالما سلط عليه قال كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير قلت فهل تجد فيه قولهم لا تلد الحية الا الحية قال ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا قلت فهل تجد فيه للحيطان آذان قال وفيكم سماعون لهم قلت فهل تجد فيه الجاهل مرزوق والعالم محروم قال من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا قلت فهل تجد فيه الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم انتهى ويقال لهذه الامثال كوامن القرآن تمثل بالمثل منها وتتبعه بأن تقول وتصديق ذلك فى كتاب الله تعالى حيث يقول كذا مثلا يقتضى الحال أن تمثل بخير الامور أوسطها فتقول خير الامور أوسطها وتصديق ذلك فى قوله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وهكذا واعلم انه يجب الحذر من التمسك ببعض الامثال كما قال فخر الدين ابن مكانس فى أرجوزة نصحية فى فصل منها يبين به آداب زيارة الاصحاب

ولا تطفل ذقنكا * ولا تزرهم وابنكا

ولا تقل لمن تحب * ضيف الكرام يصطحب

* فهذه أمثال * غالبها محال *

الاصحاب المؤتلفون الذين ارتفعت من بينهم كلفة الاحتشام يجدون فى اجتماعهم راحة نفوسهم وسرور قلوبهم حيث يرسلون أنفسهم على سجاياها يقولون مايقولون ويفعلون مايفعلون استراحة من كدّ الجدّ الى فراغ الهزل وقتامّا من أوقاتهم كما قال بعضهم

فى انقباض وحشمة فاذا * لاقيتُ أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسى على سجيتها * وقلت ماقلت غير محتشم

فاذا طرأ عليهم من لايعرفون كدّر عليهم صفاء وقتهم وألزمهم العود الى وضع أنفسهم فى أصفاد الوقار والحشمة كما هو مقتضى الاحتراس اللازم للمحافظة على أسباب الأمن وتوفير الاعراض وتزكية الناموس فلا يسوغ لصاحب أن يعتمد على المثل القائل ضيف الكرام يصطحب كما أن مايقال من بعض الناس فى باب التشكى الجاهل مرزوق والعالم محروم وهو باب واسع اكثر الناس فيه من الكلام شعرا وغير شعر وهو كلام غير صحيح المعنى ولا يقوله عالم حقيقى فان الله سبحانه وتعالى قسم المعيشة على حسب أسبابها التى عينها لها وحاصل الاسباب التجارة والزراعة والصناعة فالتاجر يرزق رزق تجارته على حسبها فمتى كانت فى الامور التى تشتدّ حاجة الناس اليها كان كثير المبادلة سريعها فتظهر أرباحه ويكثر ماله واذا كانت فى أمور مستغنى عنها أو الحاجة اليها نادرة كانت على خلاف ذلك والطمع والحرص يوجب شكاية هذا من عدم بلوغه حال ذلك ولو نظر وجد نفسه انما أتيت من قبلها حيث لم يسع سعى ذلك فكانت شكواه من جهله فاذن يقال الجاهل محروم وهكذا القول فى سائر الاسباب على اختلاف أنواعها ومافيها من المنافع المطلوبة فاذن يتبين لك ان من صرف جميع أوقاته فى تحصيل المعارف لم يكن له وقت صرفه فى استعمال سبب من أسباب الدنيا فلم يكن فى أوقات تحصيله كاسبا ثم اذا حصلت له معارفه وبلغ كما لها الذى لمثلها بحيث تمكن من استعمالها فى اغراضها وغاياتها فاذا كانت من الامور التى يحتاجها الناس فبعد كونها تكسبه الجاه والشرف وعظم الرتبة التى تكون دونها رتبة الملك فان المعارف تجعل صاحبها فى رتبة الانبياء تكسبه من الدنيا مايعطيه راحة نفسه ورفاهة سره مع الاحترام والاجلال من الكافة وخلاصة الكلام ان الناس لاينفعون انسانا الا بقدر انتفاعهم به فعليك ان تحقق بانه لادخل للعلم فى الحرمان أصلا وانما ذلك سببه الجهل هذا ولنعد للكلام فى ارسال المثل والكلام الجامع من كلامه

صلى

صلى الله عليه وسلم آفة العلم النسيان واضاعته ان تحدث به غير أهله الحزم سوء الظن الحياء من الايمان لاضرر ولاضرار فى الاسلام الظلم ظلمات يوم القيامة طائر كل انسان فى عنقه ذوالوجهين لايكون عندالله وجيها الحكمة ضالة المؤمن المرء مع من أحب الصبر عند الصدمة الاولى الشاهد يرى مالايرى الغائب البلاء موكل بالقول حليف القوم منهم الآمر بالمعروف كفاعله ومن كلام على كرم الله وجهه وكلامه فى هذا البحر الزخار لايعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان لكل أمر عاقبة حلوة أومرة المنية ولاالدنية صحة الجسد من قلة الحسد قد أضاء الصبح لذى عينين كم أكلة تمنع أكلات المرء مخبوء تحت لسانه قلة العيال أحد اليسارين الهم نصف الهرم اضاعة الفرصة غصة قيمة كل امرئ مايحسن فقد الاحبة غربة من حذرك كمن بشرك من أطال الامل أساء العمل رب قول أنفذ من صول الغيبة جهد العاجز من لم يعط قاعدا لم يعط قائما من طلب شيئا ناله أو بعضه هذا وأما الكلام الذى يتمثل به من الاشعار أبياتا وأبعاض أبيات فلنورد لك منه جملة تكون حلية لاديك فمن ذلك أبيات أبى الطيب المتنبى وقد استخرجها الوزير اسماعيل بن عباد المشهور بالصاحب لسلطانه فخر الدولة بن بويه وحين اطلع السلطان على تلك الرسالة التى ضمنها ذلك الوزير تلك الامثال وضع فوق بعض الابيات خاء يشير بها الى انتخاب ماوقع من استحسانه موقعا وهذا لفظ الرسالة بما فيها من العلامة

الحمد لله الذى ضرب الامثال للناس لايستحى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وصلى الله على أفصح العرب وسر عبد المطلب صلى الله عليه وعلى آله أخيار الامم وأنوار الظلم كم مثل ضرب فيه الحجة البالغة والحكمة الواضحة ثم ان الله تعالى قد أحيا بالامير السيد شاهنشاه فخر الدولة وملاذ الامة أطال الله بقاءه ونصر لواءه دائر العلوم والآداب وأقام برأيه ورايته أسواقهما وكانت فى يد الكساد بل الذهاب فهو يقدم على المعرفة ويقرب على التبصرة لاكالملوك الذين يقال لهم

دع المكارم لاتنهض لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

ومن نعم الله عليه أدام الله النعم لديه أن الله قرن الفاظه بفصل المقال ووشح كلامه بضرب الامثال وسمعته أعز الله نصره يتمثل كثيرا بفصوص من شعر المتنبى هى لب اللب يضع فيها الهناء موضع النقب وهذا الشاعر مع تميزه وبراعته وتبريزه فى صناعته له فى الامثال خصوصا مذهب سبق به أمثاله فأمليت ماصدر عن ديوانه من مثل

واقع فى فنه بارع فى معناه ولفظه يكون تذكرة فى المجلس العالى تلحظها العين العالية وتعيها الاذن الواعية ثم ان امر أعلى الله أمره أمليت بمشيئة الله ماوقع من الامثال فى كل ديوان جاهلى أو مخضرم أو اسلامى فما أجد من الادباء من عمل فى ذلك كتابا مقنعا وجمعا مشبعا قرن الله السعادة بأيامه والمناجح بأعلامه انه فعال لما يريد

فقد بها لا عدمتها أبدا * خير صلات الكريم أعودها
صبرا بنى اسحاق عنه تكرما * ان العظيم على العظيم صبور
بعدت شاسع دارهم عن نية * ان المحب على البعاد يزور
فوتى فى الوغى عيشى لانى * رأيت العيش فى أرب النفوس
أهون بطول الثواء والتلف * والسجن والقيد يا أبا دلف
خ لو كان سكناى فيه منقصة * لم يكن الدر ساكن الصدف
خ فغير اختيار قبلت برك بى * والجوع يرضى الاسود بالجيف
خ اذا قيل رفقا قال للحلم موضع * وحلم الفتى فى غير موضعه جهل
خ يفنى الكلام ولا يحيط بوصفكم * أيحيط ما يفنى بما لا ينفد
يفدى بنيك عبيد الله حاسدهم * بجبهة العير يفدى حافر الفرس
غير الطيور على القصور وشرها * يأوى الخراب ويسكن الناووسا
وما الكرم الطريف وان تقوى * بمنتصف من الكرم التلاد
وان الجرح ينغر بعد حين * اذا كان البناء على فساد
يجنى الغنى للئام لو عقلوا * ما ليس يجنى عليهم العدم
هم لاموالهم ولسن لهم * والعار يبقى والجرح يلتئم
ودهر ناسه ناس صغار * وان كانت لهم جثث ضخام
وما أنا منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام
خليلك أنت لا من قلت خلى * وان كثر التجمل والكلام
ولو حيز الحفاظ بغير عقل * تجنب عنق صيقله الحسام
وشبه الشئ منجذب اليه * واشبهنا بدنيانا الطغام
ولولم يعل الا ذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام
ومن خبر الغوانى فالغوانى * ضياء فى بواطنه ظلام
وما كل بمعذور ببخل * ولا كل على بخل يلام

تلذ

تلذ له المروءة وهى تؤذى * ومن يعشق يلذ له الغرام
وقبض نواله شرف وعز * وقبض نوال بعض القوم ذام
* أقامت فى الرقاب له أياد * هى الاطواق والناس الحمام
وزارك بى دون الملوك تحرج * اذا عن بحر لم يجز لى التيمم
ولكل عين قرة فى قربه * حتى كأن مغيبه الاقذاء
ولكن حبا خامر القلب فى الصفا * يزيد على مر الزمان ويشتد خ
وأصبح شعرى منهما فى مكانه * وفى عنق الحسناء يستحسن العقد خ
فى سعة الخافقين مضطرب * وفى بلاد من أختها بدل
أبلغ ما يطلب النجاح به الطبع وعند التعمق الزلل
* ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا
ما كل من طلب المعالى نافذا * فيها ولا كل الرجال فحولا
الحب ما منع الكلام الالسنا * وألذ شكوى عاشق ما أعلنا خ
وانه المشير عليك فى بضلة * والحر ممتحن باولاد الزنا * خ
ومكايد السفهاء واقعة بهم * وعداوة الشعراء بئس المقتنى خ
لعنت مقارنة اللئيم فانها * ضيف يجر من الندامة ضيفنا
وانفس ما للفتى لبه * وذو اللب يكره انفاقه
لا افتخار الا لمن لا يضام * مدرك أو محارب لا ينام
ذل من يغبط الذليل بعيش * رب عيش أخف منه الحمام خ
كل حلم أتى بغير اقتدار * حجة لاجئ اليها اللئام خ
من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام *
ان بعضا من القريض هراء * ليس شيئا وبعضه احكام
وربما فارق الانسان مهجته * يوم الوغى غير قال خشية العار
أفاضل الناس أغراض لذا الزمن * يخلو من الهم أخلاهم من الفطن
فقر الجهول بلا عقل الى أدب * فقر الحمار بلا رأس الى رسن
لا تعجبن مضيما حسن بزته * وهل يروق دفينا جودة الكفن
انعم ولذ فللامور أواخر * أبدا كما كانت لهن أوائل
واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل

تصور ركانية

خ في الناس أمثلة تدور حياتها * كمماتها ومماتها كحياتها

خ ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

خ ولا ينفع الامكان لولا سخاؤه * وهل نافع لولا الاكف القنا السمر

ضروب الناس عشاق ضروبا * فأعذرهم أشفهم حبيبا

خ ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى * عدواً له ما من صداقته بد

وأكبر نفسي عن جزاء بغيبة * وكل اغتياب جهد من لا له جهد

فما في سجاياكم منازعة العلى * ولا في طباع التربة المسك والند

خ من الحلم ان تستعمل الجهل دونه * اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم

خ اذا لم تكن نفس النسيب كاصله * فماذا الذي تغني كرام المناصب

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله * وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

والناس قد نبذوا الحفاظ فطلق * ينسى الذي يولى وعاف يندم

لا تخدعنك من عدو دمعة * وارحم شبابك من عدو ترحم

خ لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم

والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

ومن البلية عذل من لا يرعوي * عن جهله وخطاب من لا يفهم

والذل يظهر في الذليل مودة * واود منه لمن يود الأرقم

خ ومن العداوة ما ينالك نفعه * ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

افعال من تلد الكرام كريمة * وفعال من تلد الاعاجم أعجم

خ ولكن الغيوث اذا توالت * بارض مسافر كره الغماما

خ فطعم الموت في أمر حقير * كطعم الموت في أمر عظيم

خ يرى الجبناء ان العجز عقل * وتلك خديعة الطبع اللئيم

خ وكل شجاعة في المرء تغني * ولا مثل الشجاعة في حكيم

خ وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

ولكن تأخذ الاذهان منه * على قدر القرائح والفهوم

كلام أكثر من تلقى ومنظره * مما يشق على الآذان والحدق

إلف هذا الهواء أوقع في الانفس أن الحمام مر المذاق

والاسى

والأسى قبل فرقة الروح عجز * والأسى لا يكون بعد الفراق
والغنى في يد اللئيم قبيح * قدر قبح الكريم في الإملاق
خ ويظهر الجهل بي وأعرفه * والدر در برغم من جهله
فصرت كالسيف حامدا يده * ما يحمد السيف كل من حمله
وقد يتزيا بالهوى غير أهله * ويصطحب الانسان من لا يلائمه
خ واذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الاجسام
فكثير من الشجاع التوقي * وكثير من البليغ السلام
خ ولو جاز الخلود خلدت فردا * ولكن ليس للدنيا خليل
خ ومن لم يعشق الدنيا قليل * ولكن لا سبيل الى وصال
خ نصيبك في حياتك من حبيب * نصيبك في منامك من خيال
خ ولو كان النساء كمن فقدنا * لفضلت النساء على الرجال
خ وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال
خ فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال
الى م طماعية العاذل * ولا رأى في الحب للعاقل
خ يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل
خذوا ما أتاكم به واغنموا * فان الغنيمة في العاجل
خ أعلى الممالك ما يبنى على الأسل * والطعن عند محبيهن كالقبل
ولا يجبر عليه الدهر بغيته * ولا تحصن درع مهجة البطل
بذى الغباوة من انشادها ضرر * كما تضر رياح الورد بالجعل
اذا ما تأملت الزمان وصرفه * تيقنت ان الموت ضرب من القتل
هل الولد المحبوب الا تعلة * وهل خلوة الحسناء الا أذى البعل
وما الدهر أهل ان يؤمل عنده * حياة وان يشتاق فيه الى النسل
وربما قالت العيون وقد * يصدق فيها ويكذب النظر
أعاذك الله من سهامهم * ومخطئ من رميه القمر
واذا وكلت الى كريم رأيه * في الجود بان مذيقه من مخضه
دون الحلاوة في الزمان مرارة * لا تختطى الا على أهواله *
وهل تغنى الرسائل في عدو * اذا ما لم يكن ظبى رقاقا

فما ترجى النفوس من زمن * أحمد حاليه غير محمود
من يعرف الشمس لا ينكر مطالعها * أو يبصر الخيل لا يستكرم الرمكا
خ وماذاك بخل بالنفوس على الفنا * ولكن صدم الشر بالشر أحزم
أهل الحفيظة الا أن تجربهم * وفى التجارب بعد الغى ما يزع
خ لا تحسبوا من أسرتم كان ذا رمق * فليس تأكل الا الميتة الضبع
خ من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شئ ولا يضع
خ فقد يظن شجاعا من به خرق * وقد يظن جبانا من به زمع
ان السلاح جميع الناس يحمله * وليس كل ذوات المخلب السبع
وما الخوف الا ما تخوفه الفتى * ولا الامن الا ما رآه الفتى أمنا
خ وحيد من الخلان فى كل بلدة * اذا عظم المطلوب قل المساعد
بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد
وكل يرى طرق الشجاعة والندى * ولكن طبع النفس للنفس قائد
فان قليل الحب بالعقل صالح * وان كثير الحب بالجهل فاسد
وقد فارق الناس الاحبة قبلنا * وأعيا دواء الموت كل طبيب
وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها * ويجهد ان يأتى لها بضريب
ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت * على عينه حتى يرى صدقها كذبا
ومن تكن الاسد الضوارى جدوده * يكن ليله صبحا ومطعمه غصبا
خ أعيذها نظرات منك صادقة * ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
خ وما انتفاع أخى الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم
خ اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظنن ان الليث يبتسم
ان كان سركم ما قال حاسدنا * فما لجرح اذا أرضاكم ألم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة * ان المعارف فى أهل النهى ذمم
شر البلاد مكان لا صديق به * وشر ما يكسب الانسان ما يصم
وشر ما قنصته راحتى قنص * شهب البزاة سواء فيه والرخم
وان كان ذنبى كل ذنب فانه * محا الذنب كل الذنب من جاء تائبا
وما صبابة مشتاق على أمل * من اللقاء كمشتاق بلا أمل
والهجر أقتل لى مما أراقبه * انا الغريق فما خوفى من البلل

خذماتراه ودع شيئاً سمعت به * في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
ان كنت ترضى بأن يُعطوا الجزى بذلوا * منها رضاك ومن للعور بالحول
لعل عتبك محمودٌ عواقبه * وربما صحت الاجسام بالعلل
لان حلمك حلم لاتكلفه * ليس التكحل في العينين كالكحل
وما ثناك كلام الناس عن كرم * ومن يسد طريق العارض الهطل
خ وليس يصح في الافهام شيء * اذا احتاج النهار الى دليل
خ وما كمدُ الحساد شيءٌ قصدته * ولكنه من يزحم البحر يغرق
خ واطراق طرف العين ليس بنافع * اذا كان طرف القلب ليس بمطرق
خ ومن كنت بحراً له ياعليّ * لا يقبل الدر الا كبارا
ليالي بعد الظاعنين شكول * طوال وليل العاشقين طويل
أيدري ماأرابك من يريب * وهل ترقى الى الفلك الخطوب
خ وماقتل الاحرار كالعفو عنهم * ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلى * مضر كوضع السيف في موضع الندى
وقيدت نفسي في ذراك محبة * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا
وأتعب من ناداك من لاتجيبه * وأغيظ من عاداك من لاتشاكل
وماتركوك معصية ولكن * يعاف الوِرْدَ والموتُ الشراب
ترفق أيها المولى عليهم * فان الرفق بالجاني عتاب
خ وماجهلت أياديك البوادي * ولكن ربما خفي الصوابُ
ح وكم ذنب مولده دلال * وكم بعد مولده اقتراب
خ * وجرم جره سفهاء قوم * وحل بغير جارمه العذاب
على قدر أهل العزم تأتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم
تفيت الليالي كل شيء أخذنه * وهن لما يأخذن منك غوارم
ومن طلب الفتح الجليل فانما * مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
أينكر ريح الليث حتى يذوقه * وقد عرفت ريح الليوث البهائم
وماتنفع الخيل الكرام ولا القنا * اذا لم يكن فوق الكرام كرام
فان كنت لاتعطي الذمام طواعة * فعوذ الاعادي بالكريم ذمام

وشرالحمامين الزؤامين عيشة * يذل الذي يختارها ويضام
وما الحسن فى وجه الفتى شرف له * اذا لم يكن فى فعله والخلائق
وما بلد الانسان غير الموافق * ولا أهله الأدنون غير الأصادق
وما يوجع الحرمان من كف حارم * كما يوجع الحرمان من كف رازق
ان خير الدموع عينا لدمع * بعثته رعاية فاستهلا *
واذا لم تجد من الناس كفؤا * ذات خدر تمنت الموت بعلا
ولذيذ الحياة أنفس للنفس * وأشهى من أن يمل وأحلى
واذا الشيخ قال أف فما مل * حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب * فاذا وليا عن المرء ولى
خ أبدا تسترد ما تهب الدنـ * ـيا فياليت جودها كان بخلا
خ وهى معشوقة على الغدر لا تحـ * ـفظ عهدا ولا تتمم وصلا
والعيان الجلى يحدث للظـ * ـن زوالا وللمراد انتقالا *
واذا ما خلا الجبان بأرض * طلب الطعن وحده والنزالا
أقسموا لا رأوك الا بقلب * طالما غرت العيون الرجالا
انما آنس الانيس سباع * يتفارسن جهرة واغتيالا
من أراد التماس شئ غلابا * واغتصابا لم يلتمسه سؤالا *
* كل غاد لحاجة يتمنى * ان يكون الغضنفر الرئبالا
ورفات فى حال الثناء وانما * عدم الثناء نهاية الاعدام
خ الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهى المحل الثانى
خ ولربما طعن الفتى أقرانه * بالرأى قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان
وتوهموا اللعب الوغا والطعن فى الـ * ـهيجاء غير الطعن فى الميدان
عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم * ماذا يزيدك فى اقدامك القسم
واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل
وان تكن تغلب العلياء عنصرها * فان فى الخمر معنى ليس فى العنب
وعاد فى طلب المتروك تاركه * انا لنغفل والايام فى الطلب
فلا تنلك الليالى ان أيديها * اذا ضربن كسرن النبع بالغرب

ولا تعز عــدوّا أنت قاهره * فانهن يصيدن الصقر بالخرب
وان سررت بمحبوب فجعت به * وقد أتينك في الحالين بالعجب
وما قضى أحد منها لبانته * ولا انتهى أرب الا الى أرب
ومن تفكر في الدنيا ومهجته * أقامه الفكر بين العجز والتعب
اذا كنت ترضى ان تعيش بذلة * فلا تستعدن الحسام اليمانيا
فما ينفع الاسد الحيا من الطوى * ولا تتقى حتى تكون ضواريا
فان دموع العين غدر بربها * اذا كن إثر الغادرين جواريا
اذا الجود لم يرزق خلاصا من الاذى * فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا
وللنفس أخلاق تدل على الفتى * أكان سخاء ما أتى أم تساخيا
خلقت الوفا لو رحلت الى الصبا * لفارقت شيبي موجع القلب باكيا
حسن الحضارة مجلوب بتطرية * وفي البداوة حسن غير مجلوب
فما الحداثة عن حلم بمانعة * قد يوجد الحلم في الشبان والشيب
أبى خلق الدنيا حبيبا تديمه * فما طلبي منها حبيبا ترده
وأسرع مفعول فعلت تغيرا * تكلف شئ في طباعك ضده
وأتعب خلق الله من زاد همه * وقصر عما تشتهي النفس وجده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
وفي الناس من يرضى بميسور عيشه * ومركوبه رجلاه والثوب جلده
وما الصارم الهندي الا كغيره * اذا لم يفارقه النجاد وغمده
وما منزل اللذات عندي بمنزل * اذا لم أبجل عنده وأكرم
اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم
اصادق نفس المرء من قبل جسمه * وأعرفها في فعله والتكلم
وأحلم عن خلي واعلم انه * متى أجزه حلما على الجهل يندم
وما كل هاو للجميل بفاعل * ولا كل فعال له بمتمم
ولم أرج الا أهل ذاك ومن يرد * مواطر من غير السحائب يظلم
فأحسن وجه في الورى وجه محسن * وأيمن كف في الورى كف منعم
وأشرفهم من كان أشرف همة * وأكثر إقداما على كل معظم
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

انما تنجح المقالة فى المر * ء اذا وافقت هوى فى الفؤاد
قد يصيب الفتى المشير ولم يجـ * ـهد ويشوى الصواب بعد اجتهاد
واذا الحلم لم يكن فى طباع * لم يحلم تقدم الميلاد
واطاعتك أسد دهرك والطا * عة ايست خلائق الآساد
واذا كان فى الانابيب خلف * وقع الطيش فى صدور الصعاد
كيف لا يترك الطريق لسيل * ضيق عن أتيه كل واد
خ وما الخل الا كالصديق قليلة * وان كثرت فى عين من لا يجرب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها * ولم اتها فالحسن عنك مغيب
لحا الله ذى الدنيا مناخا لراكب * فكل بعيد الهم فيها معذب
وكل امرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب
ولو جاز ان يحووا علاك وهبتها * ولكن من الاشياء ما ليس يوهب
وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب
وقد يترك النفس التى لا تهابه * ويخترم النفس التى تتهيب
فما يدوم سرور ما سررت به * ولا يرد عليك الفائت الحزن
يا من نعيت على بعد بمجلسه * كل بما زعم الناعون مرتهن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن
غير ان الفتى يلاقى المنايا * كالحات ولا يلاقى الهوانا
ولو ان الحياة تبقى لحى * لعددنا أضلنا الشجعانا
خ واذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز ان تكون جبانا
كل ما لم يكن من الصعب فى الانفـ * ـس سهل فيها اذا هو كانا
فان يك انسانا مضى لسبيله * فان المنايا غاية الحيوان
قال الزمان له قولا فافهمه * ان الزمان على الامساك عذال
القاتل السيف فى جسم القتيل به * وللسيوف كما للناس آجال
يروعهم منه دهر صرفه أبدا * مجاهر وصروف الدهر تغتال
أطفت رأيك فى وصلى وتكرمتى * ان الكريم على العلياء يحتال
لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال
وانما يبلغ الانسان طاقته * ما كل ماشية بالرحل شملال

انا لفي زمن ترك القبيح به * من اكثر الناس احسان واجمال
ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته * ما قاته وفضول العيش أشغال
ولما صار ودّ الناس خبا * جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه * لعلمي انه بعض الانام *
وآنف من أخي لابي وأمي * اذا ما لم أجده من الكرام
أرى الاجدادَ تغلبها كثيرا * على الاولادِ أخلاق اللئام
ومن يجد الطريق الى المعالي * فلا يَذَر المطيَ بلا سنام
ولم أر في عيوب الناس شيئا * كنقص القادرين على التمام
ويصدق وعدها والصدق شين * اذا ألقاك في الكرب العظام
وللسر مني موضع لا يناله * نديم ولا يفضي اليه شرابُ
وما العشق الا غرة وطماعة * يعرض قلب نفسه فيصاب
وغير فؤادي للغواني رمية * وغير بناني للزجاج ركاب
أعز مكان في الدنا ظهر سابح * وخير جليس في الزمان كتاب
أيا أسدا في جسمه روح ضيغم * وكم أسد أرواحهن كلاب
وقد تحدث الايام عندك شيمة * وتنعمر الاوقات وهي يباب
اذا نلت منك الودّ فالمال هين * وكل الذي فوق التراب تراب
ولكنك الدنيا الى حبيبة * فما عنك لي الا اليك ذهاب
لا شيءَ أقبحُ من فحل له ذكر * تقوده أمة ليست لها رحِمُ
اذا أتت الاساءةَ من وضيع * ولم ألم المسيءَ فمن ألوم
ماذا لقيتُ من الدنيا وأعجبها * أني بما أنا باك منه محسود
جود الرجال من الايدي وجودهمُ * من اللسان فلا كانوا ولا الجود
العبد ليس لحر صالح بأخ * لو أنه في ثياب الخز مولود
لا تشترى العبد الا والعصا معه * ان العبيد لانجاس مناكيد
ان امرأ أمة حبلى تدبره * لمستضام سخين العين مفؤود
من علم الاسودِ المخصي مكرمة * أقومه البيض أم آباؤه الصيد
أم أذنه في يد النخاس دامية * أم قدره وهو بالفلسين مردود
وذاك ان الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود

وما كل من قال قولا وفى * وما كل من سيم خسفا أبى
ولا بد للقلب من آلة * ورأى يصدع صم الصفا
وكل طريق أتاه الفتى * على قدر الرجل فيه الخطا
لقد كنت أحسب قبل الخصى * ان الرؤس محل النهى
فلما نظرت الى عقله * رأيت النهى كلها فى الخصى
ومن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه مالا يرى
الحزن يقلق والتجمل يردع * والدمع بينهما عصى طيع
انى لاجبن من فراق أحبتى * وتحس نفسى بالحمام فأشجع
ويزيدنى غضب الاعادى قسوة * ويلم بى عتب الصديق فأجزع
تصفو الحياة لجاهل أو غافل * عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط فى الحقيقة نفسه * ويسومها طلب المحال فتطمع
واذا حصلت من السلاح على البكى * فحشاك رعت به وخدك تقرع
أين الذى الهرمان من بنيانه * ماقومه مايومه ماالمصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتتبع
تسود الشمس منا بيض أوجهنا * ولا تسود بيض العذر واللمم
وكان حالهما فى الحكم واحدة * لواحتكمنا من الدنيا الى حكم
حتى رجعت وأقلامى قوائل لى * المجد للسيف ليس المجد للقلم
ولم تزل قلة الانصاف قاطعة * بين الانام ولو كانوا ذوى رحم
هون على بصر ماشق منظره * فانما يقظات العين كالحلم
ولا تشك الى خلق فتشمته * شكوى الجريح الى العقبان والرخم
وكن على حذر للناس تستره * ولا يغرك منهم ثغر مبتسم
غاض الوفاء فما نلقاه فى عدة * وأعوز الصدق فى الأخبار والقسم
ذرينى أنل مالا ينال من العلى * فصعب العلى فى الصعب والسهل فى السهل
تريدين لقيان المعالى رخيصة * ولا بد دون الشهد من إبر النحل
وليس الذى يتبع الوبل رائدا * كمن جاءه فى داره رائد الوبل
وما أنا ممن يدعى الشوق قلبه * ويحتج فى ترك الزيارة بالشغل
ان فى الموج للغريق لعذرا * واضحا ان يفوته تعداده

ما عددنا

ماسمعنا بمن احب العطايا * واشتهى ان يكون فيها فؤاده

خ وغيظ على الايام كالنار فى الحشا * ولكنه غيظ الاسير على القد

خ وليس حياء الوجه فى الذئب شيمة * ولكنه من شيمة الاسد الورد

لو أفكر العاشق فى منتهى * حسن الذى يسبيه لم يسبه

هذه اكثر أمثال شعر أبى الطيب المتنبى وكان للناس بها ولع عظيم لما وجدوه من نفعها فى تحلية رسائلهم المنشأة فى مختلفات أغراضهم وتفصيل أحاديثهم فى مجالسهم كما قال أبو منصور الثعالبى فى كتابه الملقب بيتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر عند ترجمة المتنبى ليس اليوم مجالس الدرس أعمر بشعر أبى الطيب من مجالس الانس ولا اقلام كتاب الرسائل أجرى به من ألسن الخطباء فى المحافل ولا لحون القوالين والمغنيين أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين انتهى ولطرفة ابن العبد

وأعلم علما ليس بالظن أنه * اذا ذل مولى القوم فهو ذليل

وان لسان المرء مالم تكن له * حصاة على عوراته لدليل

ولجرير بن عبد المسيح الملقب بالمتلمس من شعراء الجاهلية

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وحفظ المال خير من فناه * وجول فى البلاد بغير زاد

وللبيد

اكذب النفس اذا حدثتها * ان صدق النفس يزرى بالامل

واذا رمت رحيلا فارتحل * واعص ما يأمر توصيم الكسل

ولكعب بن زهير

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو أصابك جاهل

ولحسان بن ثابت رضى الله عنه

رب حلم أضاعه عدم الما * ل وجهل غطى عليه النعيم

ما أبالى أنب بالحزن تيس * أم لحانى بظهر غيب لئيم

وللنجاشى الحارثى

انى امرؤ قل ما أثنى على أحد * حتى أرى بعض ما يأتى وما يذر

لا تمدحن أمرأ حتى تجربه * ولا تذمن من لم تبله الخبر

وللكميت بن زيد

فيا موقدا نارا لغيرك ضوؤها * ويا حاطبا في غير حبلك تحطب

وله أيضا

اذا لم يكن غير الاسنة مركبا * فلا رأي للمضطر الا ركوبها

ولعدي بن الرقاع العاملي

واذا نظرت الى أميري زادني * ضنا به نظري الى الامراء
والقوم اشباه وبين حلومهم * بون كذاك تفاضل الاشياء
بل ما رأيت جبال أرض تستوي * فيما غشيت ولا نجوم سماء
والبرق منه وابل متتابع * بجود وآخر لا يجود بماء

ولكثير عزة

ومن لا يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

ولابراهيم الصولي

أولى البرية طرا أن تواسيه * عند السرور الذي واساك في الحزن
ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

يحكى أن تاجرا كان له مملوك نبيه وكان معه في سعة من العيش فلم تزل به الايام حتى افتقر فعرض عليه ذلك المملوك أن يبيعه وينتفع بثمنه فبعد طول امتناع من ذلك لم يجد بدا منه ثم انه بعد حين من الزمان رجع الى المدينة التي باع فيها ذلك المملوك فوجده قد ارتقت به الاحوال حتى صار أميرا كبيرا ولم يتمكن من لقائه فكتب له بيتين وهما

كنا جميعين في بؤس نكابده * والقلب والطرف منا في أذى وقذا
والآن أقبلت الدنيا عليك بما * تهوى فلا تنسى ان الكرام اذا

[margin note: ...اذا أسهلوا ... فهذه تصحيحه]

ولعلي بن الجهم

هي النفس ما حملتها تتحمل * وللدهر أيام تجور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأفضل أخلاق الرجال التفضل
ولا عار أن زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

ولابن شبل البغدادي

صحة المرء للسقام طريق * وطريق الفناء هذا البقاء

فالذى نفتدى نموت وفيها * أقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دنيا فلا كا * نت ولا كان أخذها والعطاء
راجع جودها عليها فهما * يهب الصبح يسترد المساء
ضاقت تحت راعد وشراب * كرعت فيه موش خرقاء
ليت شعرى حلما تقربه الابسام أم ليس تعقل الاشياء
من فساد يكون فى عالم الكو * ن فما للنفوس منه اتقاء
وقليلا ما تصحب المهجة الجسم ففيم الشقا وفيم العناء
قبح الله لذة لشقانا * نالها الامهات والآباء *
نحن لولا الوجود لم نألم الفقد فايجادنا علينا بلاء

وفى هذا القدر كفاية وطالب الادب لابد من الاطلاع والبحث فى كلام أسلافه حتى يصيره لاله بدرا وهنالك يكمل جماله ويعم الناس فضله وافضاله

(التخيير) تقفية البيت بأمكن قواف ممكنة ان تتم البيت دون خلل كقول الحريرى

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن * فكيف حال غريب ماله قوت

يمكن أن يتم البيت ماله مال أو نشب ولكن ماله قوت أمكن رعاية لغرض الشكوى وصفة الفاقة والمشهور فى أمثال هذا النوع قول عبد السلام الحمصى المعروف بديك الجن

قولى لطيفك ينثنى * عن مضجعى عند المنام
عند الرقاد عند الهجوع عند الوسن
فعسى أنام فتنطفى * نار تأجج فى العظام
فى الفؤاد فى الضلوع فى الكبود فى البدن
جسد تقلبه الاكف على فراش من سقام
من قتاد من دموع من وقود من حزن
أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من دوام
من معاد من رجوع من وجود من ثمن

(النزاهة) البعد عما تنفر منه النفوس وأراد به أهل البديع ان يسلم شعر الهجاء من الافحاش والاحسن ان تفسر بسلامة الكلام فى أى معنى كان من الالفاظ

المستكرهة قال ابو عمرو بن العلاء خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا تستحي منه واستشهد لذلك بقول أوس

تحمل نفس المرء

اذا ناقة شُدَّتْ برحلٍ ونُمْرُقٍ * الى حسنٍ بعدي فضلَّ ضلالُها

وقول جرير

فغُضَّ الطرفَ انك من نُمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقال ابن بسام في الذخيرة وكان عفا الله عنه هجاء الهجاء ينقسم قسمين فقسم يسمونه هجاء الاشراف وهو ما لم يبلغ ان يكون سبابا مقذعا وهجوا مستبشعا وهو طأطأ قديما من الاوائل وثل عروش القبائل انما هو توبيخ وتعيير وتقديم وتأخير والقسم الثاني أكثر منه جرير وطبقته وتبعه الناس فيه بعد وكان يقول اذا هجوتم فأضحكوا وهذا النوع لم يهدم قط بيتا ولا عيرت به قبيلة انتهى مثال الاول قول الحطيأة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

ومثال الثاني قول جرير

والتغلبي اذا تنحنح للقِرى * حك استه وتمثل الأمثالا

ولجرير من القسمين

ويقضى الامر حين تغيب تيمٌ * ولا يستأمرون وهم شهودُ

وانك ان لقيت عبيد تيمٍ * وتيما قلت أيهم العبيد

وذم اعرابي قوما فقال هم أقل الناس ذنوبا الى أعدائهم وأكثرهم جرما الى أصدقائهم يصومون عن المعروف ويفطرون على المنكر ألسنة مملوءة بالوعد وقلوب خربة من الجد

(التهكم والهزل الذي يراد به الجد) هذان النوعان متشابهان والفرق بينهما ان الاول ظاهره الجد وباطنه الاستهزاء والثاني عكسه فمن الاول مثل قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وقوله ذق انك أنت العزيز الكريم وقوله فبشرهم بعذاب أليم وحاصل تعريفه أنه ذكر الالفاظ الدالة على ما يلائم النفوس من الاجلال والتعظيم والتبشير والتهنئة على سبيل السخرية مدلولا على ذلك بقرينة ومن الثاني مثل قوله صلى الله عليه وسلم على سبيل المداعبة وكان صلى الله عليه وسلم يداعب أي يمازح ولا يقول الا حقا العجوز انه لن يدخل الجنة عجوز فضاقت لذلك فتبسم عليه الصلاة

الصلاة والسلام وأخبرها ان المراد كون أهل الجنة يدخلونها شبابا وقد اشتمل على
ما يصلح للنوعين شعر أبي نواس حين حبسه الفضل بن الربيع يستتيبه وهو

أنت يا ابن الربيع علمتني الخيـ * ـر وعودتنيه والخير عادة
فارعوى باطلي وراجعني الحا * لم وأحدثت توبة وزهادة
من خشوع أزينه بنحول * واصفرار مثل اصفرار الجرادة
التسابيح في ذراعي والمصـ * ـحف في لبتي مكان القلادة
فادع بي لا عدمت تقويم مثلي * وتأمل بعينك السجادة
تر إثرا من الصلاة بوجهي * توقن النفس انه من عبادة
لو رآها بعض المرائين يوما * لاشتراها يعدها للشهادة
ولقد طالما أبيت ولكن * أدركتني على يديك السعادة

(القول بالموجب) هو نوعان أحدهما ان يقع في كلام أحد اثبات صفة لشئ وترتيب حكم عليها فينقل السامع تلك الصفة الى غير ذلك الشئ ساكتا عن الحكم كقوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين أثبت المنافقون لانفسهم صفة الاعزية وللمؤمنين صفة الاذلية ورتبوا على ذلك الاخراج من المدينة فنقلت صفة العز للمؤمنين وأبقيت للمنافقين صفة الذل وثانيهما أن يثبت المتكلم أمرا فيوافقه المخاطب ولكن يصرفه الى غير مقصوده كقوله تعالى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يقال فلان أذن أي يسمع كل ما يقال ويعمل على موجبه دون فكر وروية وتمييز المقبول من غيره فوافقهم في اثبات أنه أذن وصرفه عن مقصودهم أي هو أذن لكن ليس أذن سوء كما قصدتم بل هو أذن خير ومن شواهده قول بعضهم

لقيته العذر عن ترك * حاجتي لو تصور
فقلت أنسيتها والنسـ * ـيان أمر مقدر
فقال است بناس * فقلت مولاي أخبر

وقول آخر

قلت للاهيف الذي فضح الغصـ * ـن كلام الوشاة ما ينبغي لك
قال قول الوشاة عندي ريح * قلت أخشى يا غصن ان يستميلك

وهذا النوع اذا كان الغرض منه التنبيه على ما هو الاولى والاليق سمي الاسلوب الحكيم

(التسليم) هو ان تنفي شيئا ثم تفرض ثبوته وتبين انه لا فائدة فيه كقوله

اذا أنا عاتبت الملول فانما * أخط بأقلامي على الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا

فان معناه ان الملول النافر عن المودة لا يعطفه العتاب اليها ولو عطفه لم يكن مفيدا
(الاقتباس) هو أن يزين المتكلم كلامه بعبارة من القرآن يظهر أنها منه وانما يحسن ويكون مقبولا اذا وطن لها في الكلام بحيث تكون مندرجة فيه داخلة في سياقه دخولا تاما وكان ذلك في المقامات الشريفة كالوعظ والتذكير والزهد والمدائح النبوية وما والى ذلك وأما الاقتباس في المواضع الخسيسة فبعد كونه من اساءة الادب فلا يبعد ان يكون مجمعا على حرمته وان لم ينص عليه الا بعض المالكية كقول القائل

رب فلاح مليح * قال يا أهل الفتوة
كفلي أضعف خصري * فاعينوني بقوة

وانما يكون اقتباسا اذا لم يكن ايراد ما يورده على سبيل الحكاية والا كان استدلالا واستشهادا كما يقال بعد حكاية كلام فالله يقول كذا أو قال كذا أو اقرؤا ان شئتم كذا فمن الاقتباس الحسن ما وقع لعبد المؤمن الاصبهاني في مقالاته التي سماها أطباق الذهب كقوله من مقالة واعلم ان الدنيا والآخرة ضرتان لك اليهما كرتان احداهما حرة خريدة والاخرى أمة مريدة فاجعل للحرة يومين فان هما قسمين وللامة قسما فان لها في كتابك اسما وأضعف نصيب العقبى ولا تنس نصيبك من الدنيا واحفظ القسمة العادلة ولا تكن ممن يحبون العاجلة فالويل كل الويل أن تميلوا كل الميل واتق الميل بالقلب فكل أولئك كان عنه مسؤلا وان كان ولا بد فللآخرة خير لك من الاولى فان نفثت الزيغ فطلق الدنيا فانها زائدة وان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة (ولابن معصوم في التذكير والوعظ) انتبه يا نائم فقد هبت النسائم ودع المنام فقد انقشع الظلام هذا الصبح قد لاحت تباشيره وهذا النجح قد وافاك بشيره فالام هذه الغفلة والغرة وحتام هذه الفضيحة والمعرة أركونا الى الدنيا الدنية واشتغالا عن المنية بالامنية ما اراك الا قد تورطت فبادر نفسك قبل ان تقول يا حسرتا على ما فرطت وذر الكبر والزهو فما الحياة الدنيا الا لعب ولهو فتبا لمن نسي وفاته حتى ذهب أمره وفاته وطوبى لمن عمل لغده ولم يرض من العيش برغده فكم هذا التسويف بالباطل والحق لا يدرك بالباطل فلا يغرنك قوم

أعرضوا

أعرضوا عن العلم والعمل ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل ان الذين آمنوا لا يستوفون من يوم الى يوم ومن عام الى عام والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام (وله) من عجب أمر الانسان وكل أمره عجيب ان يدعو فيرجو الاجابة ويدعى فلا يجيب أليس كما يدين يدان وهل يجزى الاعادان عقل فى تفارة الجهالة هائم وقلب فى تيار الضلالة عائم يرجو ولا يخاف ايمان ظاهر وكفر خاف والخوف والرجاء للمؤمن كالجناحين للطير متى قص أحدهما هوى فى هوة الضير فيا أيها المغرور بأمله المسرور بعمله انك فى حبائل الشيطان واقع المنا صح والشيب وازع فانظر لحالك قبل ترحالك واعمل فى يومك لغدك قبل فوات الامر من يدك ولا تكن عن الآخرة بالاه واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ولا يعجبنك أمر قوم رضوا من الدنيا الدنية بالدون انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون (وله) لله در عصابة هم أهل الاصابة ذاقوا شهد الدهر وصابه وقاسوا محنه وأوصابه فنبذوا الدنيا وراءهم ظهريا وامتطوا من عزمهم جلاهريا يرون ببصائرهم ما لا يرون بأبصارهم وينتصرون بالله سبحانه لا بأنصارهم هم أعلام الهدى ومعالمه وأركان التوحيد ودعائمه أنفسهم فى عالم الملكوت سائحة وقلوبهم فى غمار الرهبوت سابحة نطقهم حكمة وذكر وصمتهم عبرة وفكر اذا خوطبوا أحسنوا السمع واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع أكفهم بالبذل مبسوطة وأوصافهم بالفضل منوطة يبذلون من المال خلاصه ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة يهدون بالحق وبه يعدلون ويصدون عن الباطل وعنه يعدلون يأمرون بالصلح وهم المصلحون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون * ثم ان الاقتباس كما يكون من القرآن يكون من الحديث الشريف ومن سائر الفنون العلمية كقول الصاحب فى الحديث

قال لى ان رقيبى * سيئ الخلق فداره
قلت دعنى وجهك الجنة * حفت بالمكاره

ولفظ الحديث حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكقول تقى الدين بن دقيق العيد من أصول الفقه

قالوا فلان رجل عالم * فأكرموه مثل ما يرتضى

فقلت لما لم يكن عاملا * تعارض المانع والمقتضى

وقول ابن العفيف

قضاة الحسن ما صنعي بطرف * تعنى مثله الرشأ الربيب
رمى فأصاب قلبي باجتهاد * صدقتم كل مجتهد مصيب

ولابن العفيف من المنطق

لمنطقيين أشتكى أبدا * عين رقيب فليته هجعا
راقبها من أحبه فأبى * أن نختلى ساعة ونجتمعا
كيف غدت دائما وما انفصلت * مانعة الجمع والخلو معا

ولبعضهم

تالله ما المعذى فى حسنه * شبه فأى حشى عليه لم يهم
لام العذار وميم مبسمه على * ما أدعى من حسنه برهان لم

ولابى المحاسن الشواء من النحو

هاتيك يا صاح ربا لعلع * ناشدتك الله فعرج معى
وانزل بنا بين بيوت النقا * فقد غدت آهلة المربع
حتى نطيل اليوم وقفا على السـاكن أو عطفا على الموضع

ولبعضهم من البيان

قد قلت للبدر والتمام منزها * عنه معذب مهجتى تنزيها
أشبهته لما استعرت جماله * والاستعارة تقتضى التشبيها

ولصاحب هذين البيتين واسمه عبد على بن رحمة من البديع

وحوراء العيون اذا تجلت * لجيش الهم آذن بالشتات
اذا التفتت أفادتنى نشاطا * وذلك وجه حسن الالتفات

ولابى اسحاق الغزى من علم الهيئة

لست أنسى قول سلمى ذات يوم * ماله ذا المنحنى الظهر ومالى
أنا شمس فى الضحى وهو هلال * وكسوف الشمس من قرب الهلال

المواربة هى ان يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه ان يغير معناه بتحريف أو تصحيف ليسلم من المؤاخذة فيكون قد وصل الى غرضه مع سلامة العاقبة يحكى ان أبا منهال عتبان

ابن

ابن وصيلة وكان من قوم خرجوا في أيام عبد الملك بن مروان ثم انقادوا فوفد عليه بعد أن بلغه عنه قوله

وأبلغ أمير المؤمنين رسالة * وذو النصح لو يدعى اليه قريب
فلا نصح ما دامت منابر أرضنا * يقوم عليها من ثقيف خطيب
وانك الا ترض بكر بن وائل * يكن لك يوم بالعراق عصيب
فان يك منكم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فنا حصين والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال ألست القائل يا عدو الله ومنا أمير المؤمنين فقال انما قلت أمير المؤمنين فنصب ما كان مرفوعا فأفرده بالامارة بعد أن أشرك فيها شبيبا أو خصه بها وأثبتها أولا لعبد الملك يكون على زعمه ودخل الخطير أسعد بن مماتي القاضي على عبد الرحيم الفاضل وكان في عصره قاضي القضاة وصاحب الكلمة لا يصدر سلطانه يوسف صلاح الدين أمرا الا عن رأيه فكان مهيبا ذا محشيا فوجده جالسا وبين يديه أترجة كبيرة مساوية لرأسه وكان الفاضل أحدب فأخذ يتندر على نفسه بمقارنة تلك الاترجة مسابقة عما يخطر في أنفس المشاهدين لتلك الحالة وهو يقول لاسعد كان هذا عربفكرك فقال له لا يا سيدي أعزك الله وانما حضرني وأنشد

لله بل للحسن أترجة * تذكر الناس بأمر النعيم
كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

فلما خرج قال له بعض من كان حاضرا أما خشيت ان يتنبه الرجل لقولك من هيبة التي تحتمل من هيئة أي بابدال الباء همزة فيكون الكلام تندرا فقال أسعد ما قصدت ذلك وسلم الله فمن الواجب على من يخاف الانتقاد في خطاب أن يفتش الفاظه حذرا من مثل ذلك وتكون المواربة بغير التصحيف والتحريف والمدار فيها على تأويل قريب يصرف الكلام عن المعنى المكروه يحكى ان المتوكل رمى عصفورا فأخطأ فقال بعض حاضريه أحسنت يا سيدي فغضب فقال لهم الى العصفور فسري عنه وضحك ويحكى أن رافضيا وقع في ايدى سنيين فقال ان أبا بكر وعمر وعثمان وعليا من أبغض واحدا منهم فهو كافر وامرأته طالق فخلص منهم ومراده بالواحد علي

(التفويف) هو أن يأتي الشاعر بجمل متناسقة متتابعة وحسنه اذا سلم من الركاكة المؤدية لثقل النطق كقول ابن زيدون

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع * سر إذا ذاعت الأسرار لم يذع
يا بائعا حظه مني ولو بذلت * لي الحياة بحظي منه لم أبع
يكفيك أنك إن حملت قلبي ما * لا يستطيع قلوب الناس يستطع
ته أحتمل واستطل أصبر وعز أهن * وول أقبل ومر أسمع وقل أطع

وهذا يقال له التفويف بالجمل المتوسطة وهناك تفويف بالجمل الطويلة وتفويف بالجمل القصيرة وذلك أحسنها وليس يخلو الثالث من تعسف وان تهافت عليه بعض الشعراء كأنهم يظهرون به الاقتدار كقول المتنبي

أقل أنل اقطع احمل عل سل أعد * زد هش بش تفضل أدن سر صل

من أقال عثرته أي سامحه وأناله أي أعطاه وأقطعه ملكه قطعة أرض ينتفع بها وحمله أعطاه فرسا وعلى قدره أي رفع شأنه وسلاه أي أماده السلو وعن فائت لنفسه به تعلق وأعاد أي كرر له مسؤله وزاده خيرا وهش وبش أي أظهر البشر وتفضل عليه وأدناه قربه وسراه أي أعطاه جارية للفراش وأنت ترى ان بعض هذه الالفاظ ليست الا تكميلا للعدد

(المراجعة) حكاية ما جرى بين متخاطبين بقال وقلت مثلا وملاحتها اذا كانت العبارة رشيقة والفرق مستغربا كقول البحتري

ونديم حلو الشمائل كالدينار محض النجار عذب المصفى
بت أسقيه صفوة الراح حتى * وضع الكاس مائلا يتكفى
قلت عبد العزيز تفديك نفسي * قال لبيك قلت لبيك ألفا
هاكها قال هاتها قلت خذها * قال لا أستطيعها ثم أغفى

وكقول بعض أجواد العرب

قالت اماترحل تبغي الغنى * قلت فمن للطارق المعتم
قالت فهل عندك شئ له * قلت نعم جهد الفتى المعدم
فكم وحق الله من ليلة * قد طعم الضيف ولم أطعم
ان الغنى بالنفس يا هذه * ليس الغنى بالثوب والدرهم

وشرط حسن هذا النوع ان يتم المعنى الذي فيه المحاورة

(المناقضة) هي تعليق الشئ على ممكن يقدم وغير ممكن يؤخر كقول النابغة في الهجاء

وانك سوف تحلم أو تناهى * اذا ما شبت أو شاب الغراب

أي

أى سوف يكون لك حلم أى عقل أو تتظاهر بالنهى ادوا كا لفضيلة العقل فكثيرا ما يتعاقل غير العاقل وهذا النوع حسنه الما فيه من الهزل أو الاطماع والتيئيس

(المغايرة) هى مدح الشئ بعد ذمه وعكسه وفيه الابانة عن نباهة المتكلم وقوة حفظه وفهمه اذ يكون أدرك من الشئ محاسنه ومساويه يحكى أن الخليل بن أحمد قال للنظام يوما وقد احضره أبوه له فى صغره ليعلمه وكان بحضرتهما قدح زجاج يا بنى صف لى هذا القدح فقال مدحا أو ذما قال مدحا فقال يريك القذى ولا يقبل الاذى ولا يستر ماورا قال فذمه قال سريع الكسر بطىء الجبر وكان هنالك نخلة فقال صف هذه مدحا وذما فقال حلو مجتناها باسق منتهاها ناضر أعلاها صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالاذى فقال الخليل يا بنى نحن أحوج الى التعلم منك ويحكى أن عبد الله بن عامر أيام امارته على الكوفة حفر نهرا ظهرت منافعه لاهل تلك الناحية فاتفق أن مر ذلك الامير يوما ومعه غيلان الضبى فقال ما أنفع هذا النهر يا غيلان فقال نعم هو سقيا البلد وفيه تصل اليهم ميرتهم وتتعلم السباحة صبيانهم ثم زالت عن الكوفة امارته وخلاه زياد وتولع بازالة آثاره ولم يتمكن من طم النهر وكان بعينه فمر يوما مع غيلان المذكور فقال ما أضر هذا النهر يا غيلان فقال نعم أصلح الله الامير انه يخل بأساس الدور وبه يكثر البعوض فى البلد وفيه تغرق الولدان قيل لبعض ظرفاء الكتاب وكان ساكنا فى دار كراء انظر للهلال فقال لا أنظره لبغضى له قبل وله فقال لعيوب لو كانت فى جار لردّ فسئل بيانها فقال انه يهدم العمر ويقرب الاجل ويحل الدين ويوجب كراء المنزل ويقرض الكتان ويشحب الالوان ويسخن الماء ويفسد اللحم ويعين السارق ويفضح العاشق الطارق واذا وصلت من مقامات الحريرى الى صفة الدينار ونعت الكاتبين كاتب الحساب وكاتب الانشاء وذكر البكر والثيب رأيت الغريب من هذا النوع وقال أبو تمام

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

فغايره آخر فقال

نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى * كهوى جديد أو كوصل مقبل
مالى أحن الى خراب مقفر * درست معالمه كأن لم يوهل

وراعى آخر الجهتين فقال

أنا مبتلى ببليتين من الهوى * شوقي الى الثاني وذكر الاول
قسم الفؤاد لحرمة ولذة * في الحب من ماض ومن مستقبل

يشير الى المثل المشهور ولكل جديد لذة ولكل قديم حرمة

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدي المساويا

كان الناس لسانا واحدا في تقريظ بني برمك والثناء عليهم في كلامهم واشعارهم حيث كانوا اذذاك غاية في جلال المحل وكرم الفعال وهم يحيى بن خالد وهو الذي ربي الرشيد وكان يسميه أباه وابناه الفضل وجعفر أصغرهما وأحظاهما عند الرشيد حتى كان أيام اقبال الايام عليه وشغفه بهم يحلف بالله ان جعفرا أفصح من قس بن ساعدة وأشجع من عامر بن الطفيل وأسوس من عمر بن الخطاب واكتب من عبد الحميد بن يحيى وأعف من يوسف بن يعقوب فلما تحولت بهم الاحوال وآل أمرهم الى ما آل اليه حتى قال قائلهم

سألونا عن حالنا كيف أنتم * من هوى عرشه فكيف يكون
نحن قوم أصابنا عنت الدهر فظلنا لحكمه نستكين

غاير الناس فيهم القول وطلبوا لهم المثالب قال أبو نواس

قالوا امتدحت فما أعطيت قلت لهم * خرق النعال وأخلاق السراويل
قالوا فسم لنا هذا فقلت لهم * نعتي له يعدل التفسير في القيل
ذاك الامير الذي طالت علاوته * كأنه ناظر في السيف بالطول

فندعوك ربنا بما دعاك به نبيك عليه أفضل صلواتك وأشرف تسليماتك اللهم انا نعوذ بك من الحور بعد الكور

(التوشيح) هو كون فاتحة الكلام دالة بمعناها على خاتمته وشاهده قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وجميع القرآن شواهد لذلك وهذا النوع يرشدك الى أنه ينبغي أن يكون الكلام من قوة التلاؤم وشدة الائتلاف يبعث بعضه الفهم الى بعض وذلك يستدعي صفاء فكر وقوة ذوق ولطف رعاية ومن أمثلته قول أبي فراس الحارث بن حمدان في ابن عمه سيف الدولة على

فلما ثار سيف الدين ثرنا * كما هيجت آسادا غضابا
أسنته اذا لاقى طعانا * صوارمه اذا لاقى ضرابا
دعانا والاسنة مشرعات * فكنا عند دعوته الجوابا

(التذييل)

(التذييل) وهو بعض أنواع الاطناب الملقبة التي سبق بها الوعد وهو تعقيب جملة تامة بجملة تشتمل على معناها منطوقا أو مفهوما للتقرير وتمكينه من قلوب السامعين وهو إما أن يكون مستقلا خارجا مخرج المثل ومن شواهده قوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ومن أمثلته قول النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

وقول جرول

تزور فتى يعطي على الحمد ماله * ومن يعط أثمان المحامد يحمد

ومن غير المستقل مثل قول الحماسي

دعوا نزال فكنت أول نازل * وعلام أركبه اذا لم أنزل

وقول ابن نباتة السعدي

قد جدت لي باللهى حتى ضجرت بها * وكدت من ضجري أثني على البخل
لم يبق جودك لي شيئا أؤمله * تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

ومن ضروب الاطناب المذكورة التكميل ويكون بجملة وبغير جملة لرفع وهم فيما يسبقه من الكلام والسابق على موضع الوهم لدفعه قبل حصوله يسمى احتراسا كقوله

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمي

وأوجز هذا مهيار في قوله

بكر العارض تحدوه النعاما * فسقاك الري يا دار أماما

والايغال ويكون في الفواصل والقوافي بكلمة أو جملة لغرض التحقيق والتوكيد والمبالغة في المعنى كقول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

وقولها وقد استنشدها أمير المؤمنين عمر

ترى الامور سواء وهي مقبلة * وفي عواقبها تبيان ما التبسا
ترى الجليس يقول القول تحسبه * نصحا وهيهات ما نصحا به التمسا
فاسمع مقالته واحذر عداوته * والبس له ثوب شك مثل ما لبسا

(تشابه الاطراف)

هو جعل عجز جملة صدر تاليتها أو قافية بيت صدر ما يليه كقوله تعالى مثل نوره كمشكاة

فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّى وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وفى مديح ليلى الاخيلية للحجاج ابن يوسف

اذا نزل الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها * غلام اذا هز القناة سقاها
سقاها دماء المارقين وعلها * اذا جمحت يوما وخف أذاها

(التتميم) هو زيادة كلمة أو اكثر تزيد المعنى تماما وتفيد الكلام حسنا بحيث تراه لو طرحت منه لصار مبتذلا قال ابن المعتز

وخيل طواها القود حتى كأنها * أنابيب سمر من قنا الخط ذبل
صببنا عليها ظالمين سياطنا * فطارت بها أيد سراع وأرجل

وقال زهير

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

وقال أبو العلاء فى مدح عرب بالبادية

الموقدون بنجد نار بادية * لا يحضرون وفقد العز فى الحضر
اذا همى القطر شبتها عبيدهم * تحت الغمائم للسارين بالقطر

(الهجو فى معرض المدح) هو أن يكون الهجو بالعبارات التى تستعمل فى المدح مقرونة بما يصرفها الى الهجاء كقول الحماسى

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
اذن لقام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا
لكن قومى وان كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشر فى شئ وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته * سواهم من جميع الناس انسانا
فليت لى بهم قوما اذا ركبوا * شنوا الاغارة ركبانا وفرسانا

وقول النجاشى

اذا الله جازى أهل لوم بذمة * فجازى بنى العجلان رهط ابن مقبل
قبيلة لا يغدرون بذمة * ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا

ولا يردون الماء الا عشية * اذا صدر الورّاد عن كل منهل
وما سمى العجلان الا لقولهم * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل
أولئك أبناء الهجين وأسرة اللـ * ـئيم ورهط العاجز المتذلل
تعاف السباع الضاريات لحومهم * وتأكل من أشلاء كعب ونهشل

ولبعضهم

له حق وليس عليه حق * ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقا * عليه لغيره وهو الرسول

وللسرى الرفاء

وشيخ طاب أخلاقا فأضحى * أحب الى الشباب من الشباب
له دار اذا استخفيت فيها * أمنت فلم تنلك يد الطلاب
طرقناه وقنديل الثريا * يحط وفارس الظلماء كابى
فرحب واستمال وقال حطت * رحالكم بأفنية رحاب
وحض على المناهدة الندامى * بألفاظ مهذبة عذاب
وقال تيمموا الابواب منها * فكل جاء من قلقاء باب
فهذا قال قدر من طعام * وهذا قال دن من شراب
وهذا قال ريحان ونقل * وثلج مثل رقراق السراب
وسمح القوم من سمحت يداه * بخود غريرة بكر كعاب
فتم لهم بذلك يوم لهو * غريب الحسن عذب مستطاب
اذا العبء الثقيل توزعته * رقاب القوم خف على الرقاب

(الاكتفاء) هو الاقتصار من كلمة على بعضها أو من كلام على جزء منه اقتصارا يشبه الاقتصار على بعض الكلمة ونقل أهل هذا الفن ندرة وقوعه فى كلام العرب وأورد وافيه قوله صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شا أى شاهدا وأكثر منه المتأخرون كابن نباتة المصرى وأهل عصره ومن قبله بقليل ولم يستعمله من تقدمهم من الشعراء وأحسن الاكتفاء ما كان فيه بعض الكلمة المقتصر عليه كلمة تامة فيكون الكلام لذلك مشتملا على التورية كقول بعضهم

نزل الطل بكره * وسرورى تجددا
والندامى تجمعوا * فاجل كاسى على الندا

فلفظ الندام من الندامى ورشح للتورية بقوله نزل الطل وشاهد النوع الآخر قول بعضهم

لا أنتهي لا أرعوي لا أنثني * مادمت في قيد الحياة ولا اذا

(الاحتباك) هو نوع من الاختصار وخصوص هيئته عده من المحسنات وأفرد بالاسم وضابطه أن يجعل الكلام شطرين ويحذف من كل منهما نظير ما يثبت في الآخر وشاهده من القرآن ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم أي ان شاء فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم فلا يعذبهم ومن قول بعض العرب

واني لتعروني لذكراك هزة * كما انتفض العصفور بلله القطر

أي هزة وانتفاض كما اهتز وانتفض ومن القرآن أيضا قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء وهو فيه كثير

(اتصال النتائج) هو مثل قوله صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به وقول علي كرم الله وجهه من كثر كلامه كثر خطاؤه ومن كثر خطاؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار ولبعضهم

تأمل بعينيك كيف الذهاب * فان لكل حياة مماتا

فمن عاش شب ومن شب شاب * ومن شاب شاخ ومن شاخ ماتا

ولبعضهم

قريش خيار بني آدم * وخير قريش بنو هاشم

وخير بني هاشم أحمد * رسول الاله الى العالم

(رد العجز على الصدر) هو تكرير كلمة في الشطرين من الشعر أو الفقرتين من السجع كقول بعضهم

سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعي الندى بسريع

وما أشبه ذلك

(الاستثناء) هو المعروف وانما يعد من البديع اذا كان مثل قول النميري حيث يخاطب الحجاج وكان فر خائفا منه ولم يجد فراره نافعا

فهاك يدي ضاقت بي الأرض رحبها * وان كنت قد طوفت كل مكان

فلو كنت كالعنقاء أو في أطومها * لخالك الا ان تصد تراني

فانه

فانه مشتمل على تأكيد المبالغة فى صفته بزيادة القدرة وقوة السلطان وشدة الضبط بقول انه لا يفوته فائت ولا ينجو منه الا من اختار نجاته فلا بد أن يشتمل الاستثناء على مزية من جنس ما يذكر فى علم البلاغة من دواعى صور التراكيب

(مراعاة النظير) هى أن يذكر الشئ وما هو من واديه كقول البحترى فى صفة ابل أنحلها السير

يترقرقن كالسراب وقد خضـ ــن غمارا من السراب الجارى

كالقسى المعطفات بل الاسـ ــهم مبرية بل الاوتار

فلما أراد أن يترقى فى تصوير نحولها لم يخرج عن وادى القوس وللشريف الرضى

هن القسى من النحول فان سما * طلب فهن من النجاء الاسهم

ولابى العلاء

اذا صدق الجد افترى العم للفتى * مكارم لا تكرى وان كذب الخال

المراد بالجد الحظ والبخت وبالعم جماعة الناس وبالخال الظن

ومتى سلك هذا الطريق فى العبارة فالانحراف عنه بكلمة أجنبية يعد عيبا كما وقع لابى نواس فى قوله

وقد حلفت يمينا * مبرورة لا تكذب

برب زمزم والحو * ض والصفا والمحصب

ولو قال والبيت لسلم من ذلك

(التوجيه) هو أن يعبر بألفاظ هى أسماء للناس أو غيرهم مثل قول بعضهم

وما حسن بيت له زخرف * تراه اذا زلزلت لم يكن

وقول الوداعى

من أم بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من منن

فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والاذن عن حسن

(التمثيل) هو تقرير المعنى بذكر نظائره وفيه تشبيه ضمنى كقوله صلى الله عليه وسلم لشخص رآه قد أنهك نفسه بالعبادة ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى مثل حال ذلك العابد بحال مسافر قد استجاد دابته فترك الرفاق واشتد فى السير حتى كلت راحلته فلا هو وصل المقصد ولا أبقى راحلته وكقول

حبيب

أخرجتموه بكره من سجيته * والنار قد تنتضى من ناضر السلم
أوطأتموه على جمر العقوق ولو * لم يحرج الليث لم يخرج من الاجم

يخاطب بهذا الكلام قوما أغضبوا رئيسهم بالتورط فى مخالفاته حتى اضطروه الى مفارقة سجاياه من العطف عليهم والرأفة بهم واصلاح أحوالهم الى تأديبهم بما يعيدهم الى ماهو لهم صلاح

(القسم) هو من المؤكدات كما عرفت فى المعانى ويكون القسم بعبارات كثيرة وأحسنه ما كان موافقا للغرض المسوق له الكلام وتعرف ذلك فى أقسام الكتاب العزيز فانها فى حيز الاستدلال لاثبات عقائد الاسلام وتراها متضمنة ذلك ومن المنبغى أن يجتنب القسم بما ينفر عنه سمع المسلم مثل برئت من الاسلام وانحرفت عن الهدى كما وقع لبعض المستهترين ولكن مثل قول الاشتر النخعى الذى يقول فيه على كرم الله وجهه الاشتر لى كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم

بقيت وفرى وانحرفت عن العلى * ولقيت أضيافى بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن هند غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس
خيلا كأمثال السعالى شزبا * تعدو ببيض فى الكريهة شوس
حمى الحديد عليهم فكأنه * ومضان برق أو شعاع شموس

ولقد أحسن بعض أصحاب البديعيات عند التمثيل للقسم بما صدر عن أحمد بن المنير المشهور بمهذب الدين الشيعى فى ايراد قصيدتيه المشتملتين على القسم فلا بأس باتباعه فى ذلك وسبب القصيدة الاولى انه كان أهدى لنقيب الاشراف فى عصره ببغداد من بلده طرابلس الشام عبدا أسود فكتب له الشريف لو رأيت عددا أقل من الواحد ولونا شرا من السواد لاهديته يداعبه بذلك فخجل ابن المنير من ذلك وجهز له هدية وأرسلها مع مملوك له كان شقيق روحه واسمه تتر فطمع الشريف بعض الهدية وطلبه ابن منير وعلم الشريف شدة شغفه به فتوانى عن ارساله على سبيل المزح فكتب له بهذه القصيدة

عذبت طرفى بالسهر * وأذبت قلبى بالفكر
ومزجت صفو مودتى * من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جثمانى الضنى * وكحلت عينى بالسهر
وجفوت صبا ماله * عن حسن وجهك مصطبر

ياقلب ويحك كم تخا * دع بالغرور وكم تغر
والام تكلف بالاغن من الظباء وبالاغر
ريم يفوق ان رما * ك بسهم ناظره النظر
تركتك أعين تركها * من بأسهن على خطر
ورمت فأصمت عن قسي لا ينياط بها وتر
جرحتك جرحا لا يخيط بالخيوط ولا الابر
تلهو وتلعب بالعقو * ل عيون أبناء الخزر
فكأنهن صوالج * وكأنهن لها اكر
تخفي الهوى وتسره * وخفي سرك قد ظهر
أفهل لوجدك من مدى * يفضي اليه فينتظر
نفسي الفداء لشادن * أنا من هواه على خطر
عذل العذول وما رآ * ه وحين عاينه عذر
قمر يزين ضوء صبـ * ـح جبينه ليل الشعر
وترى اللواحظ خده * فيرى لهن به أثر
هو كالهلال ملثما * والبدر حسنا ان سفر
ويلاه ما أحلاه في * قلبي الشجي وما أمر
نومي المحرم بعده * وربيع لذاتي صفر
بالمشعرين وبالصفا * والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا * ف به ولبى واعتمر
لئن الشريف الموسوي ابن الشريف أبو مضر
أبدى الجحود ولم يرد الى مملوكي تتر
واليت آل أمية الطهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر * وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا * بة بين قوم واشتهر
قلت المقدم شيخ تيـ * ـم ثم صاحبه عمر
ما سل قط ظبي على * آل النبي ولا شهر
كلا ولا صد البتو * ل عن التراث ولا زجر

وأنا بها الحسنى ولا * شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراق مصحفه براءة والزمر
ورثيت طلحة والزبير بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز * جر من نهاني أزجر
وأقول أم المؤمنين عقوقها إحدى الكبر
وافت على جمل لتصلح من بنيها في زمر
وأتت لتصلح بين جيش المسلمين على غرر
فأتى أبو حسن وسل حسامه وسطا وكر
وأذاق إخوته الردى * وبعير أمهم عقر
ما ضره لو كان كف وعف عنه إذ قدر
وأقول إن إمامكم * ولى بصفين وفر
وأقول إن أخطا معا * وية فما أخطا القدر
هذا ولم يغدر معا * وية ولا عمرو مكر
بطل بسوءته اتقى * قتلا لا بصارمه الذكر
والأشعري بما يؤ * ول إليه أمرهما شعر
قال انصبوا لي منبرا * وأنا البريء من الخطر
هذا وقال خلعت صا * حبكم وأوجز واختصر
وجنيت من ثمر النوا * صب ما تمر وأحمر
وأقول ذنب الخارجين على علي مغتفر
لا ثأر بقتلاهم * في النهروان ولا أثر
وأقول إن يزيد ما * شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكف عن * أبناء فاطمة أمر
وحلقت في عشر المحرم ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره * وصيام أيام أخر
ولبست فيه أجل ثو * ب للملابس يدخر

وسهرت

وسهرت في طبخ الحبو * ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا أصا * فح من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطريـ * ـق أقص شارب من عبر
وأكلت جرجير البقو * ل بلحم جري الحفر
وجعلتها خير المآ * كل والفواكه والخضر
وغسلت رجلي ظالة * ومسحت خفي في السفر
وأمين أجهر في الصلا * ة كمن بها قبلي جهر
وأسن تسنيم القبو * ر لكل قبر يحتفر
واذا جرى ذكر الغد * ير أقول ما صح الخبر
ولبست فيه من الملا * بس ما اضمحل وما دثر
وسكنت جلق واقتديـ * ـت بهم وان كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم * بالفاشريا قد فشر
مصطيتي مكسوره * وفطيرتي فيها قصر
بقر ترى برئيسهم * طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم مستثقل * وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم * جبلت وقدت من حجر
ما يدرك التشبيه تغـ * ـريد البلابل بالسحر
وأقول في يوم تحا * ر له البصيرة والبصر
والصحف ينشر طيها * والنار ترمي بالشرر
هذا الشريف أضلني * بعد الهداية والنظر
فيقال خذ بيد الشريـ ـف فمستقركما سقر
لواحة تسطو فما * تبقي عليه ولا تذر
* والله يغفر للمسي * اذا تنصل واعتذر
* الا لمن جحد الوصي ولاءه ولمن كفر
فاخش الاله بسوء فعـ * ـلك واحتذر كل الحذر
وإليكها بدوية * رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها * قس الفصاحة ما افتخر

حبرتها فغدت كزهر الروض باكره المطر
وإلى الشريف بعثتها * لما قراها وابتهر
ردّ الغلام وما استمر على الجحود ولا أصر
وأثابني وجزيته * شكرا وقال لقصد صبر

هذه القصيدة وأمثالها من الشعر كأشعار الصاحب بهاء الدين زهير يقال له السهل الممتنع وذلك انه يخيل لقارئه القدرة على مثله فتى ذهب يطالب طبعه بحكايته وجده ينكص ويأبى عليه والقصيدة الثانية قوله

من ركب البدر في صدر الرديني * وموه السحر في حد اليماني
وأنزل النير الاعلى الى فلك * مداره في القباء الخسرواني
طرف رنا أم قراب سل صارمه * وأغيد ماس أم أعطاف خطي
أذلني بعد عز والهوى أبدا * يستعبد الليث للظبي الكناسي
أما وذائب مسك من ذوائبه * على أعالي القضيب الخيزراني
وما يجن عقيق الشفاه من الريق الرحيق والثغر الجماني
لو قيل للبدر من في الارض تحسده * اذا تجلى لقال ابن الفلاني
أربى على بشئ من محاسنه * تألفت بين مسموع ومرئي
اباء فارس مع لين الشآم مع الظرف العراقي والنطق الحجازي
وما المدامة بالالباب أفتك من * فصاحة البدو في ألفاظ تركي

(حسن التخلص) جرت عادة الشعراء قديما أنهم اذا أرادوا أن يمدحوا افتتحوا الكلام بنوع من الغزل وغيره لمقاصد منها ادخال السرور على الممدوح وتفريح قلبه واستحضار نشاطه بتذكيره محاسن الملاح وأحوال الغرام الى غير ذلك من الامور التي تكون بها القلوب أهل القدرة بها أشغف والى التفكه بثمراتها أميل ومنها شكوا الشاعر انقطاع الوسائل الواصلة بينه وبين أحبته حتى ألجأه ذلك الى اقتحام المفاوز ومواصلة الاسفار ومعاناة الشدائد ليبعث بذلك رحمة الممدوح ويوجب الحق عليه وغير ذلك فاذا أرادوا أن ينتقلوا من ذلك الى المقصود فذلك مكان التخلص وقال أهل البديع ينبغي ان تزيد العناية به زيادتها بالمطلع والمقطع وموضع الطلب وذلك يكون بحسن التحيل في ادخال ابتداء المديح في غضون انتهاء الغزل حتى ينتقل السامع دون شعور وكأنه لم يزل في استماع المعنى الاول فيسمى حينئذ حسن التخلص وكان يقع للمتقدمين

على

على سبيل الاتفاق وهو الذى نبه المتأخرين على اعتبار ذلك وقصده وادخاله فى الصناعة وغير ذلك يسمى اقتضابا وهو الغالب فى شعر أبى تمام والبحترى ومن قبلهم حتى كان الصاحب بن عباد يقول البحترى يسقط من السطح الى المدح ولبعض الشعراء

يغتابنى فاذا التفت أبان عن محض صحيح
وثبا كوثب البحترى من النسيب الى المديح

ويحسن الاقتضاب اذا أنهى الشاعر المعنى الاول بحيث لم يبق فيه ما تتشوف اليه النفس ويقول العارف بصناعة الشعر انه لا تمكن الزيادة على ذلك كقول أبى تمام وقد ذكر الشيب وذم آثاره وتوجع من صحبته واسترسل فى ذلك حتى ختمه بالاستدلال عليه فقال

لو رأى الله ان فى الشيب خيرا * جاورته الولدان فى الخلد شيبا

فكأنه يستحضر السامع لان يتلقى فنا آخر من الكلام فكأنه ابتدأ المديح ابتداء ولم يجعل له مقدمة ومع ذلك فقد وقع الاتفاق على استحسان ما سموه حسن التخلص فمن ذلك فى شعر المتقدمين قول زهير

ان البخيل ملوم حيث كان ولكن الكريم على علاته هرم

وقول ربيعة بن مقروم الضبى

وجسرة أجد تدمى مناسمها * أعلمتها بى حتى تقطع البيدا
كلفتها فرات حمتا تكلفها * ظهيرة كأجيج النار صيخودا
فى مهمه قذف يخشى الهلاك به * أصداؤه لا تنى بالليل تغريدا
لما تشكت الى الاين قلت لها * لا تستريحين مالم ألق مسعودا

ولا يتجاوز مثل هذا ما تأتى فيه المتأخرون الا يسيرا ان كان كقول لسان الدين بن الخطيب

شمت المنى وحمدت ادلاج السرى * وزجرت للآمال كل سنيح
فكأنما الليل نسيب قصيدتى * والصبح فيه تخلصى لمديحى

ولبديع الزمان الهمدانى

أبى المقام بدار الذل لى كرم * وهيمة تصل التخويد والخببا
وعزمة لا تزال الدهر ضاربة * دون الامير وفوق المشترى طنبا

وجميع انتقالات الكتاب العزيز شواهد على أحسن حسن تخلص

(الاطراد) هو أن يذكر اسم شخص فينسبه بذكر أبيه وجده وذلك يزيد حسنه في الشعر لانه مع حكم الوزن اذا كان سهلا سلسلا منحدرا يشبه الماء في اطراده وجريانه وورد على نفس السامع مستغربا متعجبا منه وهو في غير الشعر كقوله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وفي الشعر كقول بعض العرب

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم * بعتيبة بن الحارث بن شهاب

وقول دريد بن الصمة

قتلنا بعون الله خير لداته * ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

وقول الاعشى

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد * وأنت الذي ترجو بقاءك وائل

وقوله أيضا

فنعم أخو الجلي ومستنبط الندى * وملجأ محزون ومفزع لاهث

عياذ بن عمرو بن الحسين بن غانم بن * زيد بن منصور بن زيد بن حارث

جعل البيت كله اطرادا وكقول السراج الوراق من المتأخرين

فله الجمان غدا بغير منازع * ولي الجوى فيه بغير قسيم

وكذا العلى لمحمد بن محمد بن * علي بن محمد بن سليم

بتنوين علي لاقامة الوزن وزاد بعضهم في حد الاطراد لزوم ذكر كنية الشخص ولقبه مع نسبه وقبيلته أو ما أمكن من ذلك فلا يعد ذكر النسب وحده اطرادا كقول بعضهم

الى الشيخ الجليل أبي علي * محمد بن عيسى الدامغاني

وقول آخر

ان الرواية والدراية خاتم * حقا أقول ولست فيه بزاعم

وأبو علي أحمد بن محمد بن * عمر الجشمي فص الخاتم

(العكس) هو مثل قولهم عادات السادات سادات العادات وكتب الاحباب أحباب الكتب وكلام الامير أمير الكلام وكقول بعض شعراء العرب

رمى الحدثان نسوة آل حرب * بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

الحدثان بكسر فسكون من أسماء ما جرت عادة العرب بنسبة الافعال له كالدهر والزمن

والزمن وكقول بعضهم وقد سئل عن الشعر هو أدنى مروءة السرى وأسرى مروءة الدنى ومن العكس الاتفاقى قول الحسن بن سهل لا سرف فى الخير وقد قيل له لا خير فى السرف وقول أبى تمام وقد أنشد أبيه دا من ابتدا آنه الوعرة لم لم تقل ما يفهم لم لم تفهم ما يقال

الترديد

تكرير اللفظ مختلف التعلقات كقوله تعالى فى سورة الرحمن وسورة المرسلات وسورة الشعراء ويكون المردد جملة ومفردا اسما أو فعلا أو حرفا وأوله تكرير الكلمة مرتين كقول أبى نواس

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء

وهذا النوع تعرف حسنه بتأمل مواقعه واعتبار آثاره

(المناسبة) هى ان يأتى المتكلم بألفاظ متوازنة وأحسنها مقفاها كقول مروان ابن حفصة

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان اعطوا أطابوا وأجزلوا

(الجمع) هو ان يذكر أمرين أو أكثر يجعل المتعدد متحدا بمعنى مشترك كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة ومنه قول أبى العتاهية

ان الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء أى مفسده

(الانسجام) يقال انسجم الغيث اذا اتصل انهماله فى سهولة وهذا النوع من البديع حاصله أن يكون الكلام حسن التأليف حروفا وكلما بحيث لا يجد المتكلم به عسراما على آلات النطق حتى كأنه لسلاسته يمضى وحده مع النفس دون عمل وسبب ذلك هو السبب الذى من جهته تميز الشعر حيث كانت عبارته مفصلة الحركات والسكنات على أوضاع معينة فاذا قويت مراعاة ذلك التفصيل بكون الحروف متلائمة مفصلة حركاتها بالسكنات على حد التناسب ممدودة بأحرف المد الى غير ذلك مما يوجب سهولة النطق أخذ الكلام هيئة لا تختلف النفوس فى استحسانها وتلك الهيئة هى المسماة بالانسجام وجميع الكتاب العزيز شاهد لهذا النوع واعتبر ذلك بقراءة القراء اذا مدوا أصواتهم فى قراءته فانك لا تجد ذلك يتفق فى كلام ولا يمكن ان يعطيهم الحالة التى يعطيها القرآن اياهم ومن اساءة الادب وقلة التحفظ بنقصان المعرفة ما وقع فى هذا الموضع لبعض المتكلمين فى فن البديع من قوله ان الكلام بانسجامه يصير شعرا دون قصد حيث جعل المرجع الى موافقة الشعر مع ان الشعر قليل فيه المنسجم ولذلك يحنوا عن

أبيات من قصائد في العصور المتتابعة ليجعلوها أمثلة للانسجام ومتى كان المرجع في أمر الانسجام الى اختبار نطقك بالكلام ولم تكن من أهل العي لم تكن مفتقرا الى اعتباره بشعر أو غيره ومما لا يستحسنه الادب أن يقال قوله تعالى كذا هو من البحر الفلاني ويعتذرون في تنزيه القرآن عن الشعر بكون الوزن غير مقصود واذا كان الشعر محدودا بالكلام الموزون المقفى فلا يتحقق الا ببيت كامل فلست محتاجا لذلك الاعتذار اذ ليس في القرآن ما يشبه بيتا أصلا هذا ولاجل ان تنظر الانسجام في كلام الناس نورد عليك أشياء مما مثلوه به فمن ذلك قول امرئ القيس

فظللت في دمن الديار كأنني * نشوان باكره صبوح مدام

وقول المنخل اليشكري

ولقد دخلت على الفتا * ة الخدر في اليوم المطير
والكاعب الحسناء تر * فل في الدمقس وفي الحرير
فدفعتها فتدافعت * مشي القطاة الى الغدير
ولثمتها فتنفست * كتنفس الظبي البهير
فدنت وقالت يا منخل * ما بجسمك من فتور
ما شف جسمي غير حبـ * ـك فاهدئي عني وسيري

يقول فيها

وأحبها وتحبني * ويحب ناقتها بعيري
ولقد شربت من المدا * مة بالصغير وبالكبير
فاذا سكرت فانني * رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني * رب الشويهة والبعير
* يا رب يوم للمنخل قد لها فيه قصير

ومن نواحيات الخنساء ما هو غاية في الانسجام كقولها

أعيني جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندا
ألا تبكيان الجواد الجميل * ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العما * د ساد عشيرته أمردا
اذا القوم مدوا أياديهم * الى المجد مد اليه يدا
فنال الذي فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مصعدا

يحمله

يحمله القوم ما عالهم * وان كان أصغرهم مولدا
اذا ذكر المجد ألفيته * تأزر بالمجد ثم ارتدى

ولسحيم عبد بني الحسحاس

اشوقا ولما يمض لي غير ساعة * فكيف اذا خب المطي بنا عشرا
وما كنت أخشى مالكا ان يبيعني * بشئ وان أضحت أنامله صفرا
أخوهم ومولاهم وحافظ سرهم * ومن قد ثوى فيهم وعاشرهم دهرا

يحكى ان هشام بن عبد الملك حج قبل أيام امارته فلما أراد أن يطوف وجد المطاف شديد الازدحام فوضع له كرسي ناحية ينتظر خفة الزحمة ومعه اتباعه من أهل الشام وغيرهم وفيهم أبو فراس همام بن غالب المشهور بالفرزدق فبيناهم كذلك اذ دخل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فانفرج له الزحام واحترمه الناس فقال بعض أهل الشام من هذا الذي هابه الناس هذه المهابة فقال هشام لا أعرفه تجاهله خوفا ان يميل له أهل الشام فقال الفرزدق لكن أنا أعرفه فقيل له من هو يا أبا فراس فارتجل قصيدة هي من اكرم شواهد هذا النوع واذا قرنتها بسائر شعره وجدت الماء والصخر وهي هذه

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها * الى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمي الى ذروة العز التي قصرت * عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
يغضي حياء ويغضى من مهابته * ولا يكلم الا حين يبتسم
من جده دان فضل الانبياء له * وفضل أمته دانت له الامم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدما وفضله * جرى بذاك له في لوحه القلم
فليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره * يزينه اثنان حسن الخلق والكرم
حمال أثقال أقوام اذا فدحوا * حلو الشمائل تحلو عنده نعم
لا يخلف الوعد ميمون نقيبته * رحب الفناء أريب حين يعترم

من معشر حبهم دين و بغضهم * كفر وقربهم منجى ومعتصم
ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم * أوقيل من خير اهل الارض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ما أزمة أزمت * والاسد أسد الشرى والبأس محتدم
لا ينقص العسر بسطا من اكفهم * سيان ذلك ان أثروا وان عدموا
يستدفع السوء والبلوى بحبهم * و يسترب به الاحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * فى كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم * خيم كريم وأيد بالندى هضم
أى الخلائق ليست فى رقابهم * لأولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا * والدين من بيت هذا ناله الامم

ولكثير عزة

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا * قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت
وما كنت أدرى قبل عزة ما البكى * ولا موجعات القلب حتى تولت
فلا يحسب الواشون أن صبابتى * بعزة كانت غرة فتجلت
فوالله ثم الله ما حل قبلها * ولا بعدها من خلة حيث حلت
وما مر من يوم على كيومها * وان عظمت أيام أخرى وجلت
وكانت لقطع الحبل بينى و بينها * كناذرة نذرا فأوفت وحلت
فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت
أباحت حمى لم يرعه الناس قبلها * وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت
أريد ثواء عندها وأظنها * اذا ما أطلنا عندها المكث ملت
فوالله ما قاربت الا تباعدت * لهجرى ولا اكثرت الا أقلت
يكلفها الغيران شتمى وما بها * هوانى ولكن للمليك استذلت
هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من اعراضنا ما استحلت
فان تكن العتبى فأهلا ومرحبا * وحقت لها العتبى لدينا وقلت
وان تكن الاخرى فان وراءنا * مهامه ان سارت بها العيس كلت
أسيئى بنا أو احسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت
فما أنا بالداعى لعزة بالردا * ولا شامت ان نعل عزة زلت

وانى

وانى وتهيامى بعزة بعد ما * تخليت عنها برهة وتخلت
لكالمرتجى ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقيل اضمحلت
كأنى وإياها غمامة ممحل * رجاها فلما جاوزته استهلت
كأنى أنادى صخرة حين أعرضت * من العصم لو تمشى بها العصم زلت
صفوحا فما تلقاك الا بخيلة * فمن مل منها ذلك النيل ملت
فما أنصفت أما النساء فبغضت * الى وأما بالنوال فضنت
فواعجبا للقلب كيف اعترافه * وللنفس لما وطنت كيف زلت
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا * فلما تواثقنا شددت وحلت
وكنا سلكنا فى صعود من الهوى * فلما توافينا ثبت وزلت
فان تسأل الواشون كيف سلوتها * فقل نفس حر سليت فتسلت
وللعين تذراف اذا ما ذكرتها * وللقلب وسواس اذا العين ملت
فكنت كذى رجلين رجل صحيحة * وأخرى رمى فيها الزمان فشلت
فليت قلوصى عند عزة قيدت * بحبل ضعيف بان عنها فضلت
وأصبح فى القوم المقيمين رحلنا * وكان لها باغ سواى فسلت
* تمنيتها حتى اذا ما رأيتها * رأيت المنايا شرعا قد أظلت
اصاب الردى من كان يبغى لها الردا * وجن اللواتى قلن عزة جنت
عليها تحيات السلام هدية * لها كل حين مقبل حيث حلت

ولابن الدمينة من متأخرى العرب

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد * فقد زادنى مسراك وجدا على وجد
أإن هتفت ورقاء فى رونق الضحى * على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكى الوليد ولم تكن * جزوعا وأبديت الذى لم تكن تبدى
وقد زعموا ان المحب اذا دنا * يمل وان البعد يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذى ود

وليزيد بن الطثرية منهم أيضا

برغمى أطيل الصد عنها وان نأت * أحاذر أسماعا عليها وأعينا
اتانى هواها قبل ان أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

ولبشار بن برد

عبد إني اليك بالاشواق * لتلاق وكيف لي بتلاق
أنا والله أشتهي سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق

وعبدة اسم حبيبة له كثيرا ما يهتف بها في شعره كقوله

لم يطل ليلي ولكن لم أنم * ونفى عني الكرى طيف ألم
روحي يا عبد عني واعلمي * انني يا عبد من لحم ودم

ولمسلم بن الوليد وهو عصري أبي نواس وكان الناس مختلفين في المفاضلة بينهما وأهل فن الكتابة على تفضيل مسلم

أديرا على الكأس لا تشربا قبلي * ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي
فما جزعي أني أموت صبابة * ولكن على من لا يحل لها قتلي
كتمت تباريح الصبابة عاذلي * فلم يدر ما بي واسترحت من العذل
أحب التي صدت وقالت لتربها * دعوه الثريا منه أقرب من وصلي
أماتت وأحيت مهجتي فهي عندها * معلقة بين المواعيد والمطل
سأنقاد للذات متبعث الهوى * لأمضي هما أو أصيب فتى مثلي
هل العيش الا ان تروح مع الصبا * وتغدو صريع الكاس والاعين النجل

يقال ان الرشيد لما سمع هذا البيت عند انشاد القصيدة لقب مسلما صريع الغواني

ولعلي بن الجهم وهو عصري أبي عبادة الوليد البحتري

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث ندري ولا ندري
أعدن لي الشوق القديم ولم أكن * سلوت ولكن زدن جمرا على جمر
سلمن وأسلمن القلوب كأنما * تشك بأطراف المثقفة السمر
خليلي ما أحلى الهوى وأمره * وأعرفني بالحلو منه وبالمر
كفى بالهوى شغلا وبالشيب زاجرا * لو ان الهوى مما ينهنه بالزجر
بما بيننا من حرمة هل علمتما * أرق من الشكوى وأقسى من الهجر
وأفضح من عين المحب لسره * ولا سيما ان أطلقت عبرة تجري
وما أنس م الاشياء لا أنس قولها * لجارتها ما أولع الحب بالحر
فقالت لها الاخرى فما لصديقنا * معنى وهل في قتله لك من عذر
صليه لعل الوصل يحييه واعلمي * بأن أسير الحب في أعظم الاسر

فقالت

فقالت أذود الناس عنه وقلما * يطيب الهوى الا لمنهتك السر
وأيقنتا انى سمعت فقالتا * من الطارق المصغى الينا ولا ندرى
فقلت فتى ان شئتما كتم الهوى * والا فخلاع الاعنة والعذر
على انه يشكو ظلوما وبخلها * عليه بتسليم البشاشة والبشر
فقالت هجينا قلت قد كان بعض ما * ذكرت لعل الشر يدفع بالشر
فقالت كأنى بالقوافى سوائرا * يردن بنا مصرا ويصدرن عن مصر
فقلت أسأت الظن بى لست شاعرا * وان كان أحيانا يجيش به صدرى
صلى وسلى من شئت يخبرك أننى * على كل حال نعم مستودع السر
وما أنا ممن سار بالشعر ذكره * ولكن اشعارى يسيرها ذكرى
وللشعر اتباع كثير ولم أكن * له تابعا فى حال عسر ولا يسر
ولكن احسان الخليفة جعفر * دعانى الى ما قلت فيه من الشعر
فسار مسير الشمس فى كل بلدة * وهب هبوب الريح فى البر والبحر
ولو جل عن شكر الصنيعة منعم * لجل أمير المؤمنين عن الشكر
ومن قال ان القطر والبحر أشبها * نداه فقد أثنى على القطر والبحر
ولو قرنت بالبحر تسعة أبحر * لما بلغت جدوى أنامله العشر

ومن القصائد التى ينبغى لكل متأدب روايتها قصيدة محمد بن زريق البغدادى وكان قصد الاندلس فى طلب الغنى فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه

لا تعذليه فان العذل يولعه * قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
جاوزت فى لومه حدا أضربه * من حيث قدرت ان اللوم ينفعه
فاستعملى الرفق فى تأنيبه بدلا * من عنفه فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعا بالخطب يحمله * فضيقت بخطوب البين أضلعه
يكفيه من لوعة التفنيد أن له * من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر الا وأزعجه * رأى الى سفر بالعزم يجمعه
كأنما هو من حل ومرتحل * موكل بفضاء الأرض يذرعه
اذا الزماع أراه فى الرحيل غنى * ولو الى السند أضحى وهو يزمعه
تأبى المطامع الا ان تجشمه * للرزق كدا وكم ممن يودعه
وما مجاهدة الانسان توصله * رزقا ولا دعة الانسان تقطعه

والله قسم بين الخلق رزقهم * لم يخلق الله مخلوقا يضيعه
لكنهم ملئوا حرصا فلست ترى * مسترزقا وسوى الغايات يقنعه
والسعي في الرزق والارزاق قد قسمت * بغي ألا ان بغي المرء يصرعه
والدهر يعطي الفتى ما ليس يطلبه * يوما ويمنعه من حيث يطمعه
استودع الله في بغداد لي قمرا * بالكرخ من فلك الازرار مطلعه
ودعته وبودي لو يودعني * صفو الحياة واني لا أودعه
وكم تشفع اني لا أفارقه * وللضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى * وأدمعي مستهلات وأدمعه
لا أكذب الله ثوب العذر منخرق * عني بفرقته لكن أرقعه
اني أوسع عذري في جنايته * بالبين عنه وقلبي لا يوسعه
أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته * كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا * شكر الاله فعنه الله ينزعه
اعتضت عن وجه خلي بعد فرقته * كأسا أجرع منها ما أجرعه
كم قائل لي ذنب البين قلت له * الذنب والله ذنبي لست أدفعه
هلا أقمت فكان الرشد أجمعه * لو انني يوم بان الرشد أتبعه
اني لاقطع أيامي وأنفذها * بحسرة منه في قلبي تقطعه
بمن اذا هجع النوام بت له * بلوعة منه ليلي لست أهجعه
لا يطمئن لجنبي مضجع وكذا * لا يطمئن له مذ بنت مضجعه
ما كنت أحسب ان الدهر يفجعني * به ولا أن بي الايام تفجعه
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيد * عسراء تمنعني حظي وتمنعه
بالله يا منزل القصف الذي درست * آثاره وعفت مذ غبت أربعه
هل الزمان معيد فيك لذتنا * أم الليالي التي أمضته ترجعه
في ذمة الله من أصبحت منزله * وجاد غيث على مغناك يمرعه
من عنده لي عهد لا يضيعه * كما له عهد صدق لا أضيعه
ومن يصدع قلبي ذكره واذا * جرى على قلبه ذكري يصدعه
لأصبرن لدهر لا يمتعني * به ولا بي في حال يمتعه *
علما بأن اصطباري معقب فرجا * واضيق الامر ان فكرت أوسعه

هل الليالى التى أضنت بفرقتنا * جسمى ستجمعنى يوما وتجمعه
وان تنل أحدا منا منيته * فما الذى بقضاء الله يصنعه

يحكى ان بعض ملوك مصر من العبيديين الفواطم جلبت له جارية مغنية من جوارى بغداد وكانت من أظرفهن فاشتد بها اعجابه وتاه فيها به فكان أول ما غنت استودع الله فى بغداد فورد عليه من الطرب ما أذهله حتى قال لها غنى على فقالت كأننا ما كان فقال كأننا ما كان فقالت أغنى هذا الصوت ببغداد فبهت لذلك ساعة ثم التفت لشيخ كان له سميرا وبه خصيصا يقال له أبو على الاسكرى فقال له قد رأيت منازل بنا ولا بد من الوفاء ولا أثق بغيرك فتجهز للحج وخذها معك فاذا فرغت فاجعل طريقك على بغداد فاذا بلغت أمنيتها فاسرع الانحدار الينا فكان ذلك حتى وصل بها الى محل يسمى القادسية وهو أول سواد بغداد وكان الحجاج ينزلون به فى ذهابهم وايابهم فلما مضى شطر من الليل رفعت تلك الجارية صوتها بهذه الابيات التى هى غاية فى الانسجام وهى لموسى الكاتب الاصبهانى

لما وردنا القادسية حيث مجتمع الرفاق
وشممت من أرض الحجا * زنسيم انفاس العراق
أيقنت لى ولمن أحب بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقا * ء كما بكيت من الفراق
لم يبق لى الا تجشم هذه السبع البواقى
حتى يطول حديثنا * بصفات ما كنا نلاقى

فلما فرغت ضج الحجيج وقالوا بالله يا صاحب الصوت أعد فلم تفعل وبعد ساعة جاءت خادمتها الى أبى على وقالت ان سيدتى ليست فى هودجها فاطالوا البحث عنها ولم يقفوا لها على خبر وعادوا بحسرتها الى الملك فلم ينتفع بحياته بعد وشعر مهيار الديلمى تلميذ الشريف محمد الرضى أكثره متمكن فى هذا الباب وهو وان لم يبلغ تجويد استاذه فلقد بلغ من الاحسان منزلة لم يحلها أحد بعده وقل من ألم بها قبله فمن ذلك والقطرة تشهد بسائر البحر قوله

يا نسيم الريح من كاظمة * شدّ ما هجت الجوى والبرحا
من عذيرى يوم شرقى الحمى * من هوى جدّ بقلب مزحا
الصبا ان كان لابد الصبا * انها كانت لقلبى أروحا

يا ندامای بسلع هل أری * ذلك المغبق والمصطبحا
أذكرونا مثل ذكرانا لكم * رب ذكری قربت من نزحا
فارحموا صبا اذا غنى بكم * شرب الدمع وعاف القدحا

وقوله

بطرفك والمسحور يقسم بالسحر * أعمدا رمانی أم أصاب ولا یدری
تعرض لی فی القانصين مسدد الاشارة مدلول السهام على النحر
رنا اللحظة الاولى فقلت مجرب * فكررها أخرى فأحسست بالشر
فهل ظن ما قد حرم الله من دمی * مباحا له أم نام قومی عن الوتر
بنجد ونجد دار جود وذمة * مطال بلا عسر وبخل بلا عذر
وسمراء ود البدر لو حال لونه * الى لونها فی صبغة الاوجه السمر
خليلي هل من وقفة والتفاتة * الى القبة السوداء من جانب الحجر
وهل ما أرانا الحج بالخيف عائد * الى مثلها أم عدها حجة العمر
ولله ما أرمى الثلاث على منى * لاهل الهوى لولم تحل ليلة النفر
لقد كنت لا أرتى من ... رقة * فهل تعلمان اليوم أين مضى صبرى
وكنت ألوم العاشقين ولا أرى * مزية ما بين الوصال الى الهجر
فأعدى الى الحب صحبة أهله * ولم يدر قلبى ان داء الهوى يسرى
أيشرد لبی یا غزالة حاجر * وأنت بذات البان مجموعة الامر
خذى لحظ عينى فى الغصون اضافة * الى القلب أوردى فؤادى الى صدرى

وقوله

بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الرى يا دار أماما
وتمشت فيك أرواح الصبا * يتأرجن بأنفاس الخزامى
أجتدى المزن وماذا أربى * ان تجود المزن اطلالا رماما
وقليلا قبل ان أدعولها * ما رآنى الله أستجدى الغماما
أين سكانك لا أين هم * اجازا أوطنوها أو شآما
صدعوا بعد التئام فغدت * بهم أيدى المرامى تترامى
بأثواة الدين عن ميسرة * والضنينات وما كن لئاما
قد وقفنا بعدكم فى ربعكم * فقضيناه استلاما والتثاما

وبجرعاء

وبجرعاء الحمى قلبي فعج * بالحمى واقرأ على قلبي السلاما
وترحل فتحدث عجبا * ان قلبا سار عن جسم أقاما
قل لجيران الغضى آها لي * طيب عيش بالغضى لو كان داما
تصل العام وما أنساكم * وقصارى الوجد أن أسلو عاما
حملوا ريح الصبا نشركم * قبل ان تحمل شيحا وثماما
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى * ان أذنتم لجفوني أن تناما
وقف الظامي على أبوابكم * أفيقضي وهو لم يشف أواما
* ما يسالي من سقيتن اللي * منعكن الماء عنه والمداما
أشتكيكم والي من اشتكي * شمل الداء فمن يبري السقاما

ولابن الخياط الدمشقي

خذوا من صبا نجد أمانا لقلبه * فقد كاد رياها تطير بلبه
واياكما ذاك النسيم فانه * متى هب كان الوجد أيسر خطبه
خليلي لو أحببتما لعلمتما * محل الهوى من مغرم القلب صبه
تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى * يتوق ومن يعلق به الحب يصبه
غرام على يأس الهوى ورجائه * وشوق على بعد المزار وقربه
وفي الركب مطوي الضلوع على جوى * متى يدعه داعي الغرام يلبه
اذا خطرت من جانب الرمل نفحة * تضمن منها داءه دون صحبه
ومحتجب بين الاسنة معرض * وفي القلب من اعراضه مثل حجبه
أغار اذا آنست في الحي أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

هذا وانما جلبت لك هذا القدر وأمسكت عن الزيادة ليكون باعثا لك على طلب مثله والاعتناء بتحفظه والتروي بعذوبة موارده حتى تضرب صفحا عن التغلغل في وعورات الصعوبات واذا انتهى بنا القول ان شاء الله تعالى في الشعر فهناك يحسن ايراد ما يختار منه عصرا فعصرا ومن الله نستمد وعلى معونته نعتمد

(ائتلاف المعنى مع المعنى) هو أن يقرن بالمعنى ما يناسبه ويشتد ارتباطه به وتارة لا يكون الملائم المذكور مزاحما بملائم آخر وتارة يكون مزاحما بملائم آخر يظهر في بادئ الرأي أنه الاولى وعند التحقيق يعلم ان المذكور هو الملائم فمن القسم الاول قول أبي الطيب

فالعرب منه مع الكدرى طائرة * والروم طائرة منه مع الحجل

فقرن بين العرب الذين بلادهم فى المفاوز والسهول من الارض التى هى مساكن القطا وقرن بين الروم الذين مساكنهم الجبال التى هى مساكن الحجل وبين ما يناسب كلا من الفريقين يعنى ان وقائع الممدوح ورهبته عمت السهل والجبل ومن الثانى قول امرئ القيس

كأنى لم أركب جوادا للذة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل * لخيلى كرى كرة بعد اجفال

وقول أبى الطيب

وقفت وما فى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائم

تمر بك الابطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم

يقال ان سيف الدولة على بن حمدان لما سمع قصيدة هذين البيتين طرب لها وأعجب بها غيرانه قال لابى الطيب انى أنتقد عليك فى قولك وقفت البيتين بمثل ما أنتقد به على امرئ القيس فى قوله كأنى لم أركب وهو ان الملاءمة بين المعانى تقتضى تصدير كل من البيتين بصدر صاحبه فقال أبو الطيب ليس المنتقد على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فان معرفة البزاز بالثوب ليست كمعرفة ناسجه أراد امرؤ القيس ان يجمع بين مركبى اللذة وهما خيل الصيد والنساء وبين الكرم والشجاعة ولو جمع بين الصيد والشجاعة وبين الكرم والنساء لقالت له الصناعة دعنى فما أنت من أهلى وأنا لما أردت ذكر الثبات وصدق العزم وحسن الطمأنينة ضربت المثل فى الاحاطة والامن وعدم المبالاة بالكون فى جفن الردى وهو نائم ولما ذكرت مرور الكلمى المهزومين وهم العابسون الباكون طابقت بذكر وضاحة الوجه والابتسام فعند التأمل صار الملائم الظاهر غير ملائم وهذا النوع فى الكلام من المداحض يستدعى من مريد الانشاء أوفهم كلام الغير شدة فكر ودقة نظر ليعرف حسن الملاءمة فى مثل قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب حيث وصف المؤمنين بأنهم لا يزالون ملاحظين فى أعمالهم الخير المحض والرحمة الصرفة فهم لا يخشون ويخافون بعلة كونه جبارا شديد العقاب بل هم مجلون له معظمون مستحضرا لهم بصفات الحنان والرحمة وفى مثل قوله ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ويبين لك هذا حق الابانة ما يحكى عن بهاء الدين زهير المصرى مع الشاعر المغربى الذى قصده من بلاده ليتعلم منه

الرقة

الرقة المشرقية فقال له ان ذلك ليس تعلمه بالقواعد وانما يحصل بادمان مطالعة
كلام البلغاء مع التأمل فى تأليفه ولكن سألقى عليك صدر بيت وأنت تجتهد فى تكميله
فسمع منه قوله * يابان وادى الاجرع * فجاء من الغدو أنشده

يابان وادى الاجرع * سقيت غيث الادمع

يخطر بالبال عند ذكر الشجر انه يحتاج للسقى وانه اذا سقى الكفاية كان أنضر له وأنمى
ومن حيث كون المقام مقام ذكر العشق والغرام جعل السقيا لذلك البان من دموعه
ولم يتذكر انه لا معنى لهذا الدعاء فانه يستلزم دوام بكائه أو كثرته وتتابع أحزانه وان
انتفاع الشجر بالماء العذب لا بدموع المحبة فقال له الصاحب زهير هلا قلت

يابان وادى الاجرع * هل ملت من طرب معى

فصفق المغربى وكاد يطير فرحا وقال ذلك ما لا يتأتى لمثلى

(المبالغة ويقال التبليغ) هى والاغراق والغلو ثلاثتها مشتركة فى أنها المجاوزة
بالصفة حدها الذى لها فى نفسها كناية عن كثرتها أو قوتها أو غير ذلك كقوله صلى الله
عليه وسلم ان فلانا لا يضع العصا كناية عن ادامة السفر أى هو مديم السفر لا يقيم وهو
كناية عن كثرته جدا حتى صارت الاقامة لقلتها لا يلتفت اليها ولا تعد قاطعة للسفر فالمعنى
الكنائى أو المجازى هو محط الصدق والكذب ومتعلق البر والحنث لكن اذا كانت
المجاوزة المذكورة بما يمكن عقلا وعادة فهى المبالغة وان كانت بما يمكن عقلا لا عادة
فهى الاغراق كقوله تعالى يكاد البرق يخطف أبصارهم يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه
نار ولا يصح التمثيل بمثل هذا للغلو كما فعل بعض علماء البديع فان على مذهبنا من
الممكن عقلا ان يخلق الله فى الزيت الاضاءة مستة نارا أو لم تمسه وان كانت بما لا يمكن
لا عقلا ولا عادة فهى الغلو كقولك يكاد فلان بفطنته يعلم الغيوب ومن الغلو ما أوقع
بعض الشعراء فيما هو فسق أو كفر ويعبر عنه حينئذ بالتحرف كقول على بن جبلة
المشهور بالعكوك فى مدح بعض الناس

أنت الذى تنزل الايام منزلها * وتنقل الدهر من حال الى حال
وما مددت مدى طرف الى أحد * الا قضيت بأرزاق وآجال

ذلك لله وحده لا شريك له فكان ذلك سببا لان أمر المأمون بسل لسانه من قفاه
واللائق فى هذا المعنى من وصف ملك بالجلالة وقوة السلطان قول شاعر آخر

له نظرات عن حمافى سريره * اذا كرها فيها عقاب ونائل

وكقول ابن هانئ الاندلسي

ماشئت لا ماشاءت الاقدار * فاحكم فانت الواحد القهار
فكأنما أنت النبي محمد * وكأنما أنصارك الانصار *

عامله الله بما يستحقه ما هذا التفاوت رفع ممدوحه ذلك الرفع ثم هوى به هذا الهوى وقوله

اتبعته فكري حتى اذا بلغت * غاياتها بين تصويب وتصعيد
رأيت موضع برهان يبين وما * رأيت موضع تكييف وتحديد

فلا ينبغي لاحد أن يحط من دينه ليرفع من ممدوحه والرضا بذلك من الممدوحين أنكر وأفظع وبحصول ذلك من المسلمين والسكوت عليه محقوا ومن قبل فيهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فسلط الله عليهم ما سلط وأوهن منهم ما أوهن فانا لله وانا اليه راجعون وحاصل القول ان المبالغة وأخويها مجازا وكناية ينبغي ان تكون عبارتها نزهة عما يوجب القدح وحسنها هو حسن المجاز والكناية

(التفريق) هو ان تذكر شيئين متشابهين وتفرق بينهما بحالين مختلفين ذاهبا بذلك لتفضيل أحدهما على الآخر كقول بعضهم

مانوال الغمام يوم ربيع * كنوال الامير يوم سخاء
فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

وقول آخر

قاسوك بالبان في التثني * قياس جهل بلا انتصاف
هذا كغصن الخلاف يدعى * وأنت غصن بلا اخلاف

وقول آخر

من قاس جدواك يوما * بالسحب أخطأ مدحك
فالسحب تعطي وتبكي * وأنت تعطي وتضحك

[illegible] هو أن يشير المتكلم في كلامه لآية أو حديث أو شعر مشهور أو مثل سائر أو قصة كقول [illegible]

[illegible] الله أحبابا جمعت بهم * [illegible] زودوني [illegible]
بانوا

بانوا ولم يقض زيد منهم وطرا * ولا انقضت حاجة فى نفس يعقوب

ولآخر

مافى الصحاب وقد سارت حمولهم * الامحب له فى الركب محبوب
كانما يوسف فى كل راحلة * والحى فى كل بيت منه يعقوب

ولآخر

يابدر أهلك جاروا * وعلموك التجرى
وقبحوا لك وصلى * وحسنوا لك هجرى
فليصنعوا ما أرادوا * فانهم أهل بدر

يشير بذلك الى حديث حاصله ان صحابيا من غزاغزوة بدرية قال له حاطب بن أبى بلتعة كان ذا مال بمكة ولم يكن له هنالك عشيرة تحميه من الاعداء فأراد أن يتخذ يدا عندهم حتى يحصل على ماله فتأول فى نفسه جواز أمر صنعه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر الى أصحابه انه يريد النهوض الى مكة فكتب لهم بذلك حاطب فلما اطلع النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك وسأل حاطبا وقبل اعتذاره قال عمر دعنى يارسول الله اضرب عنق المنافق فقال صلى الله عليه وسلم مايدريك ياعمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ومن الاشارة الى الشعر المشهور مايحكى ان عبد الله بن ثعلبة المحاربى دخل على عبد الملك بن يزيد الهلالى أمير أرمينية اذذاك فقال له ماذا لقينا البارحة من شيوخ محارب منعونا النوم بضوضائهم ولغطهم فقال له عبد الله أعز الله الامير انهم أضلوا برقعا فكانوا فى طلبه أشار الامير لما قيل فى محارب

تكش بلاشئ شيوخ محارب * وما خلتها كانت تريش ولا تبرى
ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

وأشار عبد الله لما قيل

لكل هلالى من اللؤم برقع * ولابن يزيد برقع وجلال

وكان سنان بن أحمس النميرى يسائر الامير عمر بن هبيرة الفزارى وهو على بغلة له فتقدمت البغلة على فرس الامير فقال اغضض بغلتك ياسنان فقال انها مكتوبة أصلح الله الامير فضحك وقال قاتلك الله ما أردت ذلك قال ولا أنا أراد ابن هبيرة قول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأراد سنان قول الاخطل

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها باسيار

(العنوان) هو أن يذكر المتكلم لمناسبة اغراضه ما يدل على اخبار شهيرة لاجل التأسي أو الاستشهاد أو الافتخار أو غير ذلك من المقاصد وأكثر الناس استعمالا لهذا النوع شعراء المغاربة ومنشئوهم لا يكاد كلام من كلامهم يخلو منه قال الحارث الحمداني المشهور بأبي فراس وقد كتب اليه بعض أصحابه أيام اسره في بلاد الروم يأمره بالصبر ويحثه على الثبات

ندبت لحسن الصبر قلب نجيب * وناديت للتسليم خير مجيب
ولم يبق مني غير قلب مشيع * وعود على ناب الزمان صليب
وقد علمت امي بان منيتي * بحد سنان أو بحد قضيب
كما علمت من قبل أن يهلك ابنها * بمهلكه في الماء أم شبيب

ففي هذا البيت الالمام بخبر شبيب أحد رؤس الخوارج في امارة الحجاج لعبد الملك ابن مروان وكان الحجاج متوليا قتال شبيب هذا ولقي منه بلاء عظيما وكان غريبا في الشجاعة رأت أمه وهي حامل به أنها ولدت نارا فطارت في الجو وانتشرت في الآفاق ثم سقطت في ماء فطفئت فكانت ترى ان ابنها الاموت الا غريقا فاذا قيل لها قتل أومات لم تصدق حتى قيل لها قد غرق فناحت عليه وذلك أن فرسه وثب به في نهر يقال ان عسكر الحجاج غاصوا عليه واخرجوه وشقوا عن قلبه فوجدوه في صلابة الحجر ثم فتحوه فوجدوا فيه قلبا آخر على شكل الكرة ومن هذه القصيدة قوله

تحملت خوف العار أعظم خطة * وأملت نصرا كان غير قريب
وللعار خلى ربّ غسان ملكه * وفارق دين الله غير مصيب

أومأ في هذا الى خبر جبلة بن الايهم آخر ملوك غسان بالشام وذلك انه قدم على عهد عمر بن الخطاب المدينة للاسلام في خمسمائة فارس من رجاله فأسلموا وفرح بهم المسلمون وكرمهم أمير المؤمنين فلما كان موسم الحج من تلك السنة خرج مع الناس للحج فبيناهو يطوف بالبيت وطئ رجل على ازاره فانحل فالتفت اليه مغضبا ولطمه فترافع معه الرجل الى عمر فقال له اما أن ترضيه واما أن أقيده منك فقال أتقيده مني وهو سوقة وأنا ملك فقال ذلك حكم الله لا فضل لاحد على أحد وقد سوى بينهم الاسلام فقال دعني أنظر في أمري الليلة فقال لك ذلك فلما كان بعض الليل خرج ابن الايهم في قومه ولحق

بقيصر

بقيصر الروم فاكرمه وأنزله منزلا شريفا وأجرى عليه ما يليق بالملوك ثم كان ابن الايهم بعد يتأسف على ذلك ويقول ياليتنى أطعت عمر يقول أبو فراس ان خوف العار وشرف النفس مما يقذف بصاحبه فى المهالك وشاهد ذلك ما كان من جبلة

(التسهيم ويسمى الارصاد) وهو ان يجعل الكلام بحيث يدل أوله على آخره من جهة لفظه أو من جهة معناه فمن الاول قول بعضهم

ولى فرس بالجهل للجهل ملجم * ولى فرس بالحلم للحلم مسرج

فمن رام تقويمى فانى مقوّم

هذا يدل على انه يقول بعده * ومن رام تعويجى فانى معوّج *

وقول ابن هانئ الاندلسى

فاذا حللت فكل واد ممرعٌ * واذا ظعنت فكل واد ماحل

واذا بعدت فكل شئ ناقص

هذا يدل على انه يقول * واذا قربت فكل شئ كامل *

ومن الثانى قول عمر بن أبى ربيعة

تشط غدا دار جيراننا * وللدار بعد غد أبعد

يحكى ان عمر لما انشد صدر البيت لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما سبقه بانشاد العجز فقال كذلك قلت فقال هكذا ينبغى ان يقال وقول عدى بن الرّقاع العاملى فى صفة الغزالة وولدها من قصيدته التى مطلعها * عرف الديار توهما فاعتادها *

تزجى أغن كان ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

يحكى انه حين كان ينشد هذه القصيدة عرض للملك شغل فقطع الانشاد على صدر البيت وكان الفرزدق وجرير حاضرين فقال الفرزدق لجرير ما تراه يتم البيت فقال لعله يستلب مثلا فقال الفرزدق أراه يقول قلم أصاب وهذا لا يسهل فى درج الكلام الاعلى من اكثر مزاولة المعانى والعبارات عنها فعرف ان كل ابتداء له انتهاء وان الاشياء يستتبع بعضها بعضا

(التشريع) هو ان يجعل الكلام على سجعتين فى النثر وعلى قافيتين فى الشعر أو اكثر من ذلك بحيث لو وقفت على سجعة من السوابق أو على قافية منها التم الكلام أو بيت من الشعر فمن منثور ذلك قول الحريرى

ياخاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار

دارمتى ما أضحكت فى يومها * أبكت غدا تبا لها من دار
واذا أظل سحابها لم ينتقع * منه صدى لجهامه الغرار

فالقافية الاولى بهذه الابيات هى فى قوله الردى وغدا وصدا تنشدها قصيدة ثانية فتقول

ياخاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى *
دارمتى ما أضحكت * فى يومها أبكت غدا
واذا أظل سحابها * لم ينتقع منه صدى

(المذهب الكلامى) هو ايراد الحجة فى الكلام على الطريقة التى استعملها المتكلمون فى مواضع الاستدلال فمنه قول النابغة يخاطب النعمان وكان غضب عليه بسبب مدحه الملوك غسان بالشام

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عنى خيانة * لمبلغك الواشى أغش واكذب
ولكننى كنت امرأ لى جانب * من الارض فيه مستراد ومذهب
ملوك واخوان اذا ما مدحتهم * أحكم فى أموالهم وأقرب *
كفعلك فى قوم أراك اصطنعتهم * فلم ترهم فى مدحهم لك أذنبوا

فحاصل الاحتجاج لوكان مادحوهم أحسن اليهم فى رأيك مذنبين لكان مادحوك مذنبين فيه لكنهم غير مذنبين فمادحو من أحسن اليهم غير مذنبين ولبعضهم

دع النجوم لطرقى يعيش بها * وبالعزائم فانهض أيها الملك
ان النبى وأصحاب النبى نهوا * عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا

(نفى الشئ بايجابه) هو ان تقصد الى أثر شئ يظهر فى الكلام ثبوته فتنفيه ليكون نفيه نفيا للشئ على طريق الكناية من باب نفى الملزوم بنفى اللازم والاعتماد فى ذلك على معونة المقام وقرائن الاحوال كقول امرئ القيس * على لاحب لا يهتدى بمناره * ظاهر الكلام ان اللاحب له منار فلما نفى الاهتداء به نفاه اذ لو كان لكان الاهتداء به ومنه قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع النفى منصب على القيد فكانه قيل لا يطاع لهم شفيع أى لا شفيع لهم اذ لو كان لاطيع وتقول لا ينتفع فى هذا البلد بعاقل أى ليس فيه عاقل اذ لوكان لانتفع به ومن فوائد هذا النوع التمادى من التصريح بحقيقة المقصود وتقليل الصورة الجفاء

(الرجوع)

(الرجوع) هو ان يحكم بحكم يرى انه الواقع ثم يرجع عنه اظهارا لقوة المعنى الذي يريد افادته بالكلام من رضاء بأمر أو افتخار أو صفة عشق وشوق أو غير ذلك تقول فلان لا يحسن القراءة والكتابة بلى هو أقرأ من فلان وأكتب من فلان لا يبارى في معارفه وحسن صناعته ومن أصول شواهده قول زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

كانه قال هل هي التي لم يعفها القدم بلى هي التي عفاها القدم وغيرها الارواح والديم ففي ذلك اطالة النفس في شكوى تغير الاحوال الموجب للتأسف والتوجع

(التورية) هي لفظ يحتمل معنيين قريب يتبادر فهمه من الكلام وبعيد هو المراد بالافادة وهي باعتبار ما يقارنها من ملائمات المعنيين تنقسم الى مجردة وهي المقرونة بملائم كل واحد منهما أو لا حد من المعنيين أو لم تقرن بملائم أحدهما والى مرشحة وهي المقرونة بملائم المعنى القريب يذكر بعدها أو قبلها والى مبينة وهي المقرونة بما يلائم المعنى البعيد كذلك ان لم يكن تحقق التورية موقوفا عليه والا سميت مهيأة وهذه أمثلة تورد عليك تستعمل ذهنك في رد كل تورية الى جنسها حسبما عينته لك تلك الضوابط لسراج الدين عمر الوراق من شعراء مصر وكانت الوراقة حرفته وكان لهجا بالتورية في لقبه وحرفته فمن ذلك قوله

الهي لقد جاوزت سبعين حجة * فشكرا لنعماك التي ليس تكفر
وعمرت في الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا يبدو السراج المعمر
وعم نور الشيب رأسي فسرني * وماساءني أني السراج المنور *

وقوله

بني اقتدى بالكتاب العزيز * وراح امرى سعيا فراجا
وما قال لي أف مذ كان لي * لكوني أبا ولكوني سراجا

وقوله

وكنت حبيبا الى الغانيات * فالبسني الشيب هجر الحبيب
وكنت سراجا بليل الشباب * فأطفأ نوري نهار المشيب

وقوله

بكتبك راج لي أملي وقصدي * وفي يدك النجاح لكل راج

ولولا أنت لم يرفع منارى * ولا عرف الورى قدر السراج

وقوله

أمولانا ضياء الدين دم لى * وعش فبقاء مولانا بقائى
فلولا أنت ما أغنيت شيئا * وما يغنى السراج بلا ضياء

وقوله

يا خجلتى وصحائفى مسودة * وصحائف الابرار فى إشراق
وموبخ لى فى القيامة قائل * أكذا تكون صحيفة الوراق

وقوله

نصب الحشا غرضا فقرطاس أورمى * وهى القلوب سهامها الاحداق
وسألته وصلا فقال بحجة * ياليت شعرى أينا الوراق *

وله من غير ذلك

أصون لقاء وجهى عن أناس * لقاء الموت عندهم الاديب
ورب الشعر عندهم بغيض * ولو وافى به لهم حبيب *

وقوله

ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الى فقلت من ألم الجوى
لم لا تميل الى يا غصن النقا * فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى *

وقوله

وأحق ضيفنا ببقلة * لنسبة بينهما ووصله
فمن أقل أدبا من سفلة * قد مد فى وجه الضيوف رجله

يقال للخضراء المشهورة بالرجلة البقلة الحمقاء لكونها تنبت فى مجارى السيول ومواطئ الاقدام فلا تتخير موضعا يصونها فحمقوها لذلك ولابى الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار حرفة من شعراء مصر أيضا

انى لمن معشر سفك الدماء لهم * دأب وسل عنهم ان رمت تصديقى
تضيء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم ايام تشريق

وله

أيا علم الدين الذى جود كفه * براحته قد أخجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت أرض الكنافة اننى * لارجو لها من سحب راحتك القطرا

وله

وله
تزوج الشيخ أبي شيخة * ليس لها عقل ولا ذهن
لو برزت صورتها في الدجى * ما جسرت تبصرها الجن
كأنها في فرشها رمّة * وشعرها من حولها قطن
* وقائل لي قال ما سنها * فقلت ما في فمها سن *

ولنصير الدين الحمامي
لي منزل معروفه * ينهل غيثاً بالسحب
اقبل ذا العذر به * وأكرم الجار الجنب

وله
أصبحت من أغنى الورى * وطائراً بالفرح
عندي جرذهب * أكاله بالقدح

وللامير ناصر الدين حسن بن النقيب
أقول لنوبة الحمى اتركيني * ولا تك منك لي ما عاشت أوبه
فقالت كيف يمكن ترك هذا * وهل يبقى الامير بغير نوبه

وله
جودوا لنسجع بالمد * يح على علاكم سرمدا
فالطير أحسن ما يغرد * عند ما يقع الندى

ولمحيي الدين بن عبد الظاهر
شكرا لنسمة أرضكم * كم بلغت عني تحية
لا غرو ان حفظت أحا * ديث الهوى فهي الذكية

وللشيخ عبد العزيز الانصاري الحموي
لا تنس وجدي بك يا شادنا * بحبه أنسيت أحبابي
ما لي على هجرك من طاقة * فهل الى وصلك من باب

ولبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي
وحديقة مطلولة باكرتها * والشمس ترشف ريق أزهار الربى
يتكسر الماء الزلال على الحصى * فاذا جرى بين الرياض تشعبا

وله
أدر كؤوس الراح في روضة * قد عقت أزهارها السحب
الطير فيها شيق مغرم * وجدول الماء بها صب

وله
وذى قوام أهيف * بين الندامى قد نشط
قام يقط شمعة * فهل رأيت البدر قط

وله
رفقا بصب مغرم * أبليته صدا وهجرا
وأتاك سائل دمعه * فرددته فى الحال نهرا

ولبدر الدين الصاحب
فاخرت الاقلام سمر القنا * والسعد فى الاقسام مكتوب
فقلت للخطى لا تستطل * كلاكما للخط منسوب

ولشهاب الدين الحاجى
لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام النجا والنجاح
ذاك زمان مرحلوا الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

ولبعضهم
كان ما كان وزالا * فاطرح قيلا وقالا
أيها المعرض عنا * حسبك الله تعالى

وهذه الامثلة التى أوردت للتورية اتفق على التمثيل بها مشاهير أهل البديعيات واذا كانت التورية لفظا يحتمل معنيين كل منهما يحتمله الكلام غير ان قوة القرينة تصرف للمراد فارى بعض هذه الامثلة غير منطبق على هذا الحد فمثل قوله تعالى وقوله حبيب وراح لا شبهة فى كونه تورية وحيث تحققت من الضابط لم يعسر عليك تمييز المضبوط من غيره

(الاعتراض) هو أن يفصل المتكلم بين أجزاء الكلام أو الكلامين المتصلين معنى بعطف أو بيان أو بدلية أو غير ذلك بجملة فأكثر لغرض كالاستعجال بالتنزيه وتقريع المخطئ حال ذكر خطائه كقوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وبيان سبب الامر الغريب مبادرة بدفع الاستغراب عن نفس المخاطب كقول الشاعر

فلا صرمه يبدو ففى اليأس راحة * ولا وصله يصفو لنا فنكارمه

فان تمنى المحب ان يبدو صرم الحبيب وهجره أمر مستغرب فاستعجل بيان السبب حيث قال ففى اليأس احدى الراحتين وشدة الاحتراس من انصراف الفهم عن هجو مهجو أو مدح ممدوح كقول بعضهم

لوان

لوان الباخلين وانت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

وقول آخر

فانه طربة للعفو ان الكريم وانت معناه طروب

فلو قال الاول لوان الباخلين رأوك تعلموا والثانى ان الكريم طروب لفهم ان المخاطب فى الاول بخيل وفى الثانى كريم لكن ربما يتوهم ان المطال بسبب غير البخل وان الطرب للعفو وقع اتفاقا وان الطرب صفة الكرام ويكون الاعتراض مقرونا بالواو وبالفاء ومجردا ويقال للحرفين الواو والفاء الاعتراضيتان ولبعضهم ان الاعتراض يكون بعد الكلام ومن أمثلته على رأيه قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ومعنى الاعتراض على هذا انه فصل بين الكلام وبين ما يترقبه السامع من كلام آخر فكأنه وصل بين الكلام المذكور وما يؤمله فاعترض المتكلم بذكر ما يتعلق بالكلام السابق وربما يشتبه الاعتراض بالحال فعلى المتفهم أن يلاحظ ان المعنى ان كان يستدعى التقييد وللتقييد غرض صحيح فالجملة حال والا فاعتراض وهذه امثلة للاعتراض من الشعر قال العباس بن الاحنف

قد كنت ابكى وكنت راضية * حذار هذا الصدود والغضب

ان تم ذا الهجر يا ظلوم ولا * تم فمالى فى العيش من أرب

ولابى الوليد محمد بن يحيى بن حزم

أتهرب من دمعى وأنت سكبته * ومن نار احشائى وأنت لهيبها

وتزعم أن النفس غيرك علقت * وأنت ولا منّ عليك حبيبها

وللشريف محمد الرضى

لا تحسبيه وان أسأت به * يرضى الوشاة ويقبل العَذَلا

لو كنتِ أنتِ وأنت مهجته * واشى هواك اليه ما قبلا

وللتهامى

انى لأطرف طرفى عن محاسنها * تكرما واكف الكف عن أمم

ولا أهم ولى نفس تنازعنى * استغفر الله الا ساعة الحلم

وقد نزل التهامى حالا عن المتنبى حيث يقول

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

ولبعضهم

سعاد تسبني ذكرت بخير * وتزعم أنني ملق خبيث
وان مودتي كذب ومين * واني بالذي أهوى بثوث
وليس كذا ولا ردّ عليها * ولكنّ الملول هو النكوث
رأت شغفي بها ونحول جسمي * فصدت هكذا كان الحديث

ولابن النبيه

سقيا لايامنا التي سلفت * كانت بطيب الحياة مقترنه
لو بيع يوم منها وكيف به * كنت بعمري مسترخصا ثمنه

وللسيد عز الدين المرتضى

أفي الحق أن تمضي ثلاث وأربع * وخمس وسبع بعدهن ثمان
وما ان أرى شمس الضحى قمر الدجى * ولا هو حاشاه الخسوف براني
نأى لا نأى لما دنا الهجر لادنا * فيا ليت دانا وذلك دان

ولسراج الوراق

ان عيني وهو عضو دنف * ما علي ما كابدته جلد
ما كفاها بعدها منك الى * أن دهاها وكفيت الرمد

وللفقيه عمارة اليمني

له راحة يهل جود بنانها * ووجه اذا قابلته يتهلل
يرى الحق للزوار حتى كأنه * عليهم وحاشا قدره يتطفل

ولابن اللبانة في ناصر الدولة صاحب ميورقة من الاندلس

وعمرت بالاحسان أفق ميورقة * وبنيت فيها ما بني الاسكندر
فكأنها بغداد أنت رشيدها * ووزيرها وله السلامة جعفر

(حصر الجزئي والحاقه بالكلي) أرادوا بهذا الاسم أن يقصد المتكلم الى جميع أنواع يجمعها ملاحظة تحت جامع بحيث تكون تلك الانواع هي أقسام ذلك الجامع فيحصرها في بعض جزئياتها لغرض التعظيم أو غيره بمعنى أنه يدعي أن ليس للكلي فرد غير ذلك المخصوص ومثال ذلك قول عبد الله السلامي

اليك طوى عرض البسيطة جاعلا * قصارى المطايا أن يلوح لها القصر
فسرت وعزمي في الظلام وصارمي * ثلاثة أشباح كما اجتمع النسر
فبشرت آمالي بملك هو الورى * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

فقد

فقد جمع أنواع العالم من الاشخاص والامكنة والازمنة وحصرها فى الملك والدار ويوم اللقيا وقد أغار عليه الارجانى فى ذلك وقصر تقصيرا بينا مع انحطاط درجة العبارة فى قوله

يا سائلى عنه لما جئت امدحه * هذا هو الرجل العارى من العار
رأيته فرأيت الناس فى رجل * والدهر فى ساعة والارض فى دار

فلفظ الناس ليس كلفظ الورى ولفظ الارض ليس كلفظ الدنيا والفاتح لهذا المعنى أبو نواس فى قوله يمدح الفضل بن يحيى ويخاطب الرشيد

أنت على ما بك من قدرة * فلست مثل الفضل بالواجد
ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

(الجمع والتفريق) هو أن يجمع بين شيئين فى معنى ثم يفرق بينهما بعد وهو يزيد على التفريق الماضى بسبق الجمع ويخالفه أيضا بأن التفريق هنا ليس الغرض منه تفصيل أحد الامرين مثاله قول مهيار

حتى اذا الليل قضى ما قضى * خفت مع الفجر خطاها الثقال
أبكى وتبكى غير أن الاسى * دموعه غير دموع الدلال

وقول البحترى

ولما التقينا والنقا موعد لنا * تعجب رائى الدر منا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

(الجمع مع التقسيم) هو أن يذكر مجملا ثم يقسمه أو يذكر مفصلا ثم يجمله فى معنى كقول أبى الطيب فى الاول

حتى أقام على أرباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

فقد أثبت أولا شقاء الروم وشقاؤهم بما يلحقهم من الشدائد وتلك الشدائد هى السبى والقتل والنهب والاحراق وقول حسان رضى الله تعالى عنه فى الثانى

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع

(الجمع مع التفريق والتقسيم) هو أن يجمع متعددا فى معنى ثم يفرق بينهما بابانة صفة ثم يضيف لكل ما أراد أن يثبت له ويخصه به وشاهده ذلك قوله تعالى يوم يأتى لا تكلم

نفس الاباذنه جمع الانفس فى السكوت حتى يصدر الاذن بالكلام ثم فرقهم شقيا وسعيدا ثم نص ما أعدّ لكل ولابن شرف القيروانى

لمتمسى الحاجات جمع ببابه * فهذا له فن وهذا له فن
فللخامل العليا وللمعدم الغنى * وللمذنب الرجى وللخائف الامن

(التوشيع)

هو كقوله صلى الله عليه وسلم يشيب ابن آدم ويشب معه خصلتان الحرص وطول الامل وقوله منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا ولتاج الدين بن ابى الحسين الكندى البغدادى

دع المنجم يكبو فى ضلالته * ان ادّعى علم ما يجرى به الفلك
تفرد الله بالعلم القديم فلا الا نسان يشركه فيه ولا الملك
أعدّ للرزق من اشراكه شركا * فبئست العدتان الشرك والشرك

(التكميل)

هو أن يأتى المتكلم بالمعنى تاما ثم يعقبه بمعنى يزيده كمالا كقول سعد بن كعب الغنوى

حليم اذا ما الحلم زين أهله * مع الحلم فى عين الرجال مهيب

وقول البحترى

هل العيش الا أن تساعفنا النوى * بوصل سعاد او يساعدنا الدهر
على انها ما عندها لمواصل * وصال ولا عنها لمصطبر صبر

(الاحتراس) هو أن يأتى المتكلم بزيادة على الكلام لدفع فساد فى معناه ولو احتمالا كقوله تعالى وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فاليد تكون بيضاء بعلة البرق وقوله لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فنسبة الفعل توهم القصد ومن ناله الاذى يعترض على من قصده دون من لم يشعر به وهو فى القرآن كثير ومن شواهد الاحتراس قول الفرزدق من هجائه لجرير

لعن الاله بنى كليب انهم * لا يغدرون ولا يفون لجار

فقوله لا يغدرون معناه متى أخذ عليهم عهد عجزوا عن نقضه ولونابتهم بسببه النوائب والقرينة على ذلك ما سبق من اللعن لكن يحتمل انه استثنى لهم صفة من صفات الكرم فاحترس بقوله ولا يفون وقوله لجار من الايغال وقال طرفة

فسقى

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

وقد فات هذا الاحتراس المتنبي حيث يقول

واذا ارتحلت فشيعتك سلامة * حيث اتجهت وديمة مدرار

وقد استعار بعض كتاب المغرب هذا الكلام فى رسالة توديعية يخاطب فيها سلطانه وانتقد على المتنبي حيث يقول

سر حل حيث تحله النوار * وأراك فيك مرادك المقدار

واذا ارتحلت فشيعتك سلامة * وغمامة لا ديمة مدرار

تنفى الهجير بظلها وتنيم بارش القتام وكيف شئت تدار

وقضى الاله بأن تعود مظفرا * وقضت بسيفك نحبها الكفار

هذا ما تمناه الولى لا ما تمناه الجعفى فانه قال حيث ارتحلت وديمة وما تكاد تنعقد معها عزيمة واذا اسفحت على ذى سفر فما احراها بأن تعوق عن الظفر ونعتها بمدرار فكان أبلغ فى الاضطرار

(الايغال) هو أن يأتى المتكلم بعد تمام الكلام بلفظ يزيد فى معناه كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فقوله وما كانوا مهتدين ايغال لتمام الكلام قبله وزيادته فيه وقوله ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ومن كلام الناس كقول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

فقولها فى رأسه نار ورد بعد تمام المعنى ليزيد فيه وقول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وارحلنا الجزع الذى لم يثقب

قال الاصمعى عيون الظباء والبقر اذا كانت حية لم يظهر فيها البياض فاذا ماتت ظهر والشعر فى ذكر يوم صيد فهو يقول فى كثرة الصيد حتى ان عيون الوحش صارت منتثرة حول رحالهم فى صورة الجزع وهو خرز فيه بياض وسواد يجلب من اليمن وقوله لم يثقب زيادة لتحقيق التشبيه كقول زهير

كأن فتات العهن فى كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

(شجاعة الفصاحة)

قال منشئه أبو الفتح عثمان بن جنى هو حذف شئ من لوازم الكلام ثقة بفهم السامع ومثل له بأمثلة يرجع فيها ضمير الغائب على ما يلزم علمه من الكلام دون ذكره

كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب بعد قوله اذ عرض عليه بالعشى وكقول لبيد

حتى اذا ألقت يدا فى كافر * واجن عورات الثغور ظلامها

(الفرائد) هذا النوع عبارة عن كلمات رائعة ظاهرة الفصاحة يكون لها تميز بين قرائنها فتشبه الجوهرة الفريدة فى العقد المتماثل ومثلوا له بقوله تعالى الآن حصحص الحق وقوله يعلم خائنة الاعين وقوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ومن الشعر قول أبى كبير الهذلى

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل

فقوله غبر بضم الغين من الفرائد لا يقوم مقامها عقب حيضة وكل فى هذا البيت داخلة على المعدود بعدها أى هو مبرأ من كل ما يوجب ضعفا ونقصا فى الخلق والمغيل اسم فاعل من أغيل يقال أغيلت المرأة ولدها دون اعلال وأغالته بالاعلال فهى مغيل ومغيل اذا أرضعته وهى حامل جعله صفة للداء مبالغة فى شناعته كأن المرأة اذا أرضعت ولدها وهى حامل لم تكن هى المرضعة وانما المرضع داء والمراد بفساد المرضعة أن لا تكون من ذوات اللبن الجيد فان النساء وبقية الاناث من الحيوانات متفاوتة الالبان تفاوتا عظيما فهو فساد أصلى وفساد المغيل عارض فلا يغنى أحدهما عن الآخر وهذا البيت شاهد للعرب بكمال النباهة وجودة الالتفات واعتبار التجارب فان المرأة بعد الحيض لا تكون قد صفت من الخبث وبرئت من الضعف وتمت سورتها لقبول البذر فهى كالارض الندية التى لم تبلغ الصلاحية لقبول الحب وحسن الفعل فهو يخرج ضعيفا وقوة الغذاء باللبن لها ما بعدها وكانت العرب قد عرفت بعض القبائل بجودة اللبن فكانوا يرضعون فيهم أولادهم وفى معنى حديث مالى لا أكون أفصح العرب وأنا من قريش واسترضعت فى بنى سعد فأنت تراه نفى التعجب من قوة الفصاحة باثبات ما يوجبها وهو سببان أحدهما حسن الرضاعة لاستتباعه قوة البنية وجودة استعداد الاعضاء لتتميم اعمالها والسبب الآخر كونه من قريش الذين هم أهل المجالس التى كانت العرب تتحاكم اليها فى موسم الحج وتلك مقامات أنواع الكلام ومواضع امكان الاختيار كما سبقت الاشارة اليه فى الكلام على اللغة وأما الغيلة فذلك حكمها بمقتضى التجربة وعليه قال صلى الله عليه وسلم هممت أن أنهى عن الغيلة الا انى رأيت فارس والروم يفعلون ذلك فلا يضرهم فمعناه

انه

انه هم بتحريم ذلك ولكن لدفع الحرج فيه ترك الى التجربة فمن وجد فيه ضررا كان منهيا عنه بعموم النهى عن الاذى

(الاشتقاق) قال مثبته أبو هلال العسكرى هو أن تشتق من الاسم العلم معنى فى غرض مدح أوذم ومن أمثلته قول ابن دريد فى هجاء نفطويه النحوى

لو أوحى النحو الى نفطويه * ما كان هذا النحو يقرى اليه
أحرقه الله بنصف اسمه * وصير الباقى صراخا عليه

وللصاحب ابن عباد وقد استأذن حاجبه للطرسوسى مداعبة الطرّ فى لحيته والسوس فى حنطته ودخل محمد العباسى الملقب ابا العبر وكان مشهورا بالهزل وله نوادر ظريفة على رجل يسمى كلثوم فسأل محمدا عن اسمه فقال له كل بصل فقال ما معنى هذ الاسم فقال معناه معنى كلثوم وكتب ابن سكرة الى صديق له يلقب الملحى

ياصديقا أفادنيه زمان * فيه ضن بالاصدقاء وشح
بين شخصى وبين شخصك بعد * غير أن الخيال بالوصل سمح
انما باعد التألف منا * اننى سكر وانك ملح

فكتب يجيبه

هل يقول الاخوان يوما لخل * شاب منه محض المودة قدح
بيننا سكر فلا تفسدنه * أوغدا بيننا وبينك ملح

وفى هذا الجواب تفضيل الملح لارفع المنافرة بين النوعين ولابن الرومى

كأن أباه حين سماه صاعدا * رأى كيف يرقى فى المعالى ويصعد

(السلب والايجاب) هو اثبات شئ ونفيه من جهتين كقوله

خلقوا وما خلقوا لمكرمة * فكأنهم خلقوا وما خلقوا
رزقوا وما رزقوا سماح يد * فكأنهم رزقوا وما رزقوا

وقول آخر

لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جواره فطن

ولا يلزم التصريح بالجزئين فيعد منه قول الخنساء

وما بلغت كف امرئ متناولا * من المجد الا والذى نلت اطول
ولا بلغ المهدون للناس مدحة * وان اطنبوا الا الذى فيك أفضل

فانه على تقدير بلغ الناس متناولا من المجد وما بلغوا ما بلغت وبلغ الشعراء مدح الاجواد وما بلغوا مدحك

(المشاكلة) هى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته مجازا كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقد يكون المشاكل ملحوظا غيره وجود فى الكلام فتسمى المشاكلة تقديرية كقول بعض الشعراء وقد نظر الى امير يغرس فسيلا

ان الولاية لاتدوم لواحد * ان كنت تنكره فأين الاول
فاغرس من الفعل الجميل غرائسا * فاذا عزلت فانها لا تعزل

كانه قال أنت تغرس نخلا فاغرس فعلا

(مالا يستحيل بالانعكاس) هو عبارة عن لفظ يقرأ من آخره لاوله كما يقرأ من أوله لآخره كقوله تعالى كل فى فلك ربك فكبر ومن كلام الناس كن كما أمكنك ومن النوادر أن العماد الكاتب كان يساير القاضى الفاضل فقال العماد سر فلا كبا بك الفرس فأجابه القاضى بديهة بقوله دام علا العماد وللقاضى الارجانى

أحب المرء ظاهره جميل * لصاحبه وباطنه سليم
مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

وشرط حسنه أن يكون سلسا ليس فيه تكلف

(التقسيم) هو على نوعين أحدهما أن يذكر قسمة ذات جزئين أو أكثر ويضيف لكل ما يليق به والثانى أن يستوفى جميع الاقسام الممكنة فمن الاول قول المتلمس

فما يقيم على ضيم يراد به * الا الاذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له أحد

وقول ربيعة الرقى

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاغر ابن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى * فتى الأزد للاموال غير مسالم
فهم الفتى الازدى اتلاف ماله * وهم الفتى القيسى جمع الدراهم

ومن الثانى قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما ويحكى أن الحسن البصرى كان يقول لا تقبل توبة قاتل

قال المؤمن محمد افترس اليه عمرو بن عبيد رجلا يقول له لا يخلو ان يكون مؤمنا أو كافرا أو منافقا أو فاسقا فان كان مؤمنا فان الله سبحانه وتعالى يقول يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وان كان كافرا فانه تعالى يقول قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان كان منافقا فانه تعالى يقول ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وان كان فاسقا فانه تعالى يقول اولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا فقال الحسن للرجل من أين لك هذا قال شئ اختلج فى صدرى فقال محال اصدقنى فقال عمرو بن عبيد فقال الحسن عمرو وما عمرو اذا قام بأمر قعد به واذا قعد بأمر قام به وحكى أنه قدم وفد من العراق على هشام بن عبد الملك وفيهم رجل من بنى اسد فقال يا أمير المؤمنين اصابتنا سنون ثلاث اما الاولى فاذابت الشحم وأما الثانية فمحضت اللحم وأما الثالثة فهاضت العظم وفى أيديكم فضول أموال فان كانت لله فبثوها فى عباد الله وان كانت لهم فلا تمنعوهم اياها وان كانت لكم فتصدقوا ان الله يجزى المتصدقين فقال هشام ما ترك لنا فى واحدة عذرا ثم قال له قد قلت فى حاجة العامة فقل فى حاجة نفسك فقال مالى حاجة فى خاصة دون عامة ولابى تمام فى مجوسى احرق

صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الكفار

ولعمرو بن الاهتم

اشربا ما شربتما فهذيل * من قتيل اوهارب وأسير

(الاشارة) هو عبارة عن ايجاز فى العبارة مع كثرة المعنى كانه يشير اليه اشارة ولم تتناوله العبارة كقوله تعالى فى صفة الجنة وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقوله اخرج منها ماءها ومرعاها وقوله فاصدع بما تؤمر ولامرئ القيس

فظل لنا يوم لذيذ بنعمة * فقل فى مقيل نحسه متغيب

فهذه عبارات وجيزة اريد بها أشياء كثيرة

(الترتيب) قال مستخرجه شرف الدين التيفاشى هو ذكر اوصاف الموصوف واحد مرتبة على الترتيب الطبيعى كقول مسلم بن الوليد

هيفاء فى فرعها ليل على قمر * على قضيب على حقف النقا الدهس

(المشاركة) ويقال الاشتراك وهو أن يأتى بلفظ مشترك بين معنيين ليوهم السامع أنه

أراد أحدهما لكونه جعل الكلام بحيث يتبادر منه وهو يريد الآخر فيعقب الكلام بما يحقق مراده كقول كثير عزة

وأنت التي حببت كل قصيرة * الي ولم تعلم بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطا شر النساء البحاتر

البحاتر جمع بحتر بضم فسكون القصير المجتمع الخلق

(التوليد) هو على نوعين أحدهما لفظي والآخر معنوي فاللفظي أن يستحسن الشاعر أو الناثر لفظا من كلام غيره في معنى فيستلبه و يضعه في معنى آخر فان كان استعماله اياه أجود وكان الموضع الذي وضعه فيه به أليق انتظم في المقبول المستحسن والا عد من المردود أو المسترذل كقول أبي تمام

لها منظر قيد النواظر لم يزل * يروح ويغدو في خفارته الحب

كلمة القيد مستلبة من قول إمرئ القيس في صفة الفرس

وقد اغتدي والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل

الاوابد جمع آبدة وهي الوحش ومعناه ان هذا الفرس شديد السرعة بحيث متى طلب عليه صيد أدركه ومنعه من الحركة فهو بمنزلة القيد له فأنت ترى انه استعمل لفظ القيد مع الحيوان الذي هو موضعه و بلغ به غرضه وأبو تمام استلبه واستعمله مع النواظر فكان في غير موضعه والمعنوي هو أن يجد الشاعر أو الناثر معنى لغيره فيأخذه ليزيد فيه و يحسن العبارة عنه فيعد بديعا لما فيه من التنبه والنقد الذي يحصل بمثله التعليم والدلالة على الادب كقول أبي الطيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغري بي

توليدا من قول عبد الله بن المعتز

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد

فالنميمة هي نقل الكلام عن الغائب وليس فعل الشمس والاغراء هو تحريض حاضر على حاضر وهو فعل بياض الصبح واستعمال الشفاعة التي تقتضي محبة الاعانة مع شرف اللفظ أحسن من استعمال القيادة وكقول أبي الطيب أيضا

همام اذا ما فارق الغمد سيفه * وعاينته لم تدر أيهما النصل

توليدا من قول أبي تمام

يمدون بالبيض القواطع أيديا * فهن سواء والسيوف القواطع

فانظر

فانظر تفاوت ما بين البيتين وكقول الاخطل

وان أمير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

توليدا من قول النابغة

وعيرتني بنو ذبيان خشيته * وهل على بأن أخشاه من عار

وكقول بعضهم

فلا تغل في شيء من الامر واقتصد * كلا طرفي كل الامور ذميم

توليدا من قول آخر

عليك بالقصد فيما أنت طالبه * ان التخلق يأتي بعده الخلق

توليدا من قول القطامى

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وهو عقد لقوله صلى الله عليه وسلم من تأنى أصاب أو كاد ومن استعجل أخطأ أو كاد (الابداع) بالباء الموحدة هو أن يكون البيت من الشعر أو الفصل من النثر أو الجملة المفيدة مشتملا على عدة ضروب من البديع ولم يوجد في هذا النوع من الكلام مثل قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين فانها اشتملت على ثلاثة وعشرين نوعا من البديع وهي سبع عشرة لفظة الاول المناسبة التامة بين ابلعي واقلعي الثاني الاستعارة فيهما الثالث الطباق بين الارض والسماء الرابع المجاز في قوله يا سماء فان الحقيقة يا مطر السماء الخامس الاشارة في وغيض الماء فانه عبر به عن معاني كثيرة لان الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الارض ما يخرج منها من عيون الماء فيغيض الحاصل على وجه الارض من الماء السادس الارداف في قوله واستوت على الجودي فانه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى السابع التمثيل في قوله وقضي الامر فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن الموضوع الثامن التعليل فان غيض الماء علة الاستواء التاسع صحة التقسيم فانه استوعب أقسام الماء حالة نقصه اذ ليس الا احتباس ماء السماء والماء النابع من الارض وغيض الماء الذي على ظهرها العاشر الاحتراس في قوله وقيل بعدا للقوم الظالمين اذ الدعاء يشعر بأنهم مستحقو الهلاك احتراسا من ضعيف يتوهم أن الهلاك لعمومه ربما يشمل غير مستحق الحادي عشر المساواة لان لفظ الآية لا يزيد على معناها الثاني عشر حسن

النسق فانه تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب الثالث عشر ائتلاف اللفظ مع المعنى لان كل لفظة لا يصلح معها غيرها الرابع عشر الايجاز فانه تعالى أمر فيها ونهى وأخبر ونادى ونعت وسمى وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى وقص من الانباء مالو شرح لجفت الاقلام الخامس عشر التسهيم لان أول الآية يدل على آخرها السادس عشر التهذيب لان مفرداتها موصوفة بصفات الحسن كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة وعقادة التركيب السابع عشر حسن البيان لان السامع لا يتوقف فى فهم معنى الكلام ولا يشكل عليه شئ منه الثامن عشر الاعتراض وهو قوله وغيض الماء واستوت على الجودى التاسع عشر الكناية فانه لم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضى الامر وسوى السفينة ولا بمن قال وقيل بعدا كما لم يصرح بقائل يا أرض ابلعى ويا سماء اقلعى فى صدر الآية سلوكا فى كل واحد من ذلك سبيل الكناية ان تلك الامور العظام لا تتأتى الا من ذى قدرة قهار لا يغالب فلا مجال لذهاب الوهم الى أن يكون غيره جلت عظمته قائل يا أرض ويا سماء ولا أن يكون غائض ماغاض ولا قاضى مثل ذلك الامر الهائل غيره العشرون التعريض فانه تعالى عرض لسالكى مسلكهم فى تكذيب الرسل ظلما وان الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت الا لظلمهم الحادى والعشرون التمكين لان الفاصلة مستقرة فى محلها مطمئنة فى مكانها غير قلقة ولا مستدعاة الثانى والعشرون الانسجام لان الآية بجملتها منسجمة كالماء الجارى فى السلاسة الثالث والعشرون الابداع الذى هو شاهد هذا النوع وفى هذه الآية الكريمة تفريعات أخر مثلا ان الاستعارة منها فى موضعين وأمثال ذلك مما يستنبط بقوة النظر والاستقراء بمعرفة الناقد البصير وقد أفردت بلاغة هذه الآية بالتأليف وفى العجائب للكرمانى اجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها فى فخامة الفاظها وحسن نظمها وجودة معانيها فى تصوير الحال مع الايجاز من غير اخلال انتهى من لفظ ابن معصوم رحمة الله عليه

(النوادر) وكان قدامة يسميه الاغراب بالغين المعجمة وهو أن يقصد المتكلم الى معنى قد ابتذلته الشهرة وكثرة الاستعمال فيبرزه فى صورة يخيلها فتكسوه غرابة وكأنه لم يكن مستعملا كقول أبى الطيب المتنبى فى التشبيه بالشمس

لم تلق

لم تلق هذا الوجه شمس نهاره * الا بوجه ليس فيه حياء

وكقول القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني في التشبيه بالقمر

ترأى ومرآة السماء صقيلة * فأثر فيها وجهه صفحة البدر

ولابي الفتح البستي فيه اغراب آخر

أرأيت ما قد قال لي بدر الدجى * لما رأى طرفي يديم سهودا

حتام ترمقني بعيني ساهر * أقصر فلست حبيبك المفقودا

ومن المعاني المشهورة دعوى ان الطير تتبع الجيش لاعتيادها الوقوع على قتلاه لكثرة وقائعه ونصرته فيها قال النابغة

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدي بعصائب

وتبعه مسلم بن الوليد بقوله

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه في كل مرتحل

واكثر الشعراء في ذلك بعبارات قريب بعضها من بعض حتى قال المتنبي فأغرب

يطمع الطير فيهم طول أكلهم * حتى تكاد على هاماتهم تقع

(التطريز) هو على معنيين احدهما أن يؤتى بأمور متقابلة على حد قول أبي تمام

أعوام وصل كاد ينسى طيبها * ذكر النوى فكأنها أيام

ثم انبرت أيام هجر أعقبت * بؤسا فخلنا أنها أعوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

والآخر ان يبتدأ بعدد ثم يخبر عنه بصفة واحدة متكررة على حد قول ابن الرومي

أموركم بني خاقان عندي * عجاب في عجاب في عجاب

قرون في رؤس في وجوه * صلاب في صلاب في صلاب

وقول ابن النكاك المصري

اقول لصاحبي والراح روح * لجسم الكأس في كف النديم

وقد حبس الدجى عنا بواك * تسل نفوسها فوق الجسوم

شموعك والكؤس مع الندامى * نجوم في نجوم في نجوم

(التنكيت) هو أن يخص المتكلم شيئا بالذكر لا يستحق الاختصاص لذاته بل هو وغيره سواء لكونه دل على أمر انفرد به ولذلك يطلب عند سماعه فيقال لم خص هذا

بالذكر كقوله تعالى وانه هو رب الشعرى وهو رب كل شئ فيقال لم اختص الشعرى بالذكر والأمر الذى أوجب لها ذلك هو أن أمة من العرب كانت تعبدها وامامهم فى ذلك رجل كان يقال له ابن أبى كبشة قيل وهو المراد فى قول أهل مكة حين كانوا يستسخرون أمر أمر ابن أبى كبشة تشبيها للنبى صلى الله عليه وسلم به فى مفارقة عبادة الاصنام وقيل نسبوه الى بعض أجداده لأمه ومن شواهد التنكيت قول الخنساء

يذكرنى طلوع الشمس صخرا * وأذكره لكل غروب شمس

خصت الوقتين لكونهما وقت اطعام الطعام وتلقى المساكين والضيفان ولابى تمام من التنكيت قوله

تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت * جلودهم قبل نضج التين والعنب

من قصيدة لها خبر يعرف منه نكتة اختصاص التين والعنب بالذكر حتى اعترض عليه من لم يعرف الخبر وذلك انه بلغ المعتصم وهو فى مجلس شرابه ان فى بلد يقال لها عمورية بتشديد الميم من بلاد الروم أسيرة هاشمية تصرخ وامعتصماه فقال المعتصم لبيك لبيك وأمر بالختم على الكأس وحلف أن لا يشربه الا بعد فتح البلد وانقاذ الاسيرة فقال المنجمون ان هذا الوقت غير صالح للغزو فلم يحفل بكلامهم وخرج وكان المنجمون يقولون أيضا اذا لم تفتح البلد قبل أوان نضج التين والعنب لم تفتح أبدا فقدر الله سبحانه وتعالى انه وصل الى البلد وفتحها واستنقذ الاسيرة فقام أبو تمام وأنشده قصيدة البيت وأولها

السيف أصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

وهى من جيد شعر أبى تمام

(حسن الاتباع) هو عبارة عن أن يقصد الشاعر الى معنى سبقه به غيره فيأخذه ليخرجه فى صورة أحسن من الصورة التى كان عليها حتى يستحقه وكأنه لم يسبق به ولذلك يقال من سرق واسترق فقد استحق كقول بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فأخذه تلميذه سلم الخاسر فاختصر وبالغ حيث يقول

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

وقال ابن المعتز

وتحت زنانير شددن عقودها * زنانير اعكان معاقدها السرر

فاخذه التهامى فى قوله

لولاه لم يقض فى اعدائه قلم * ومخلب الليث لولا الليث كالظفر
ماصر إلا وصلات بيض أنصله * فى الهام أو أطت الارماح فى الثغر
وغادرت فى العدى طعنا يحف به * ضرب كما حفت الاعكان بالسرر

وقال جرير

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

وتبعه أبو نواس بقوله

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

وقال البحترى

أخجلتنى بندا يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء
صلة غدت فى الناس وهى قطيعة * عجبا وبر راح وهو جفاء

فتبعه أبو العلاء بقوله

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

ومن يقرأ الاشعار يجد شيئا كثيرا من ذلك

(التفريع) هو نوعان أحدهما أن يحكم لمتعلق أمر بحكم على وجه يشعر بتفريع الاول على الثانى كقول العربى

أحلامكم لسقام الجهل شافية * كما دماؤكم تشفى من الكلب

قيل ان الكلب تعتريه حالة كالجنون فاذا عض انسانا فى هذه الحالة جن ويقال كلب كلبا من باب فرح ودواؤه ان يشرب من دم شريف وأنكر ذلك بعض الادباء وان المراد فى البيت وقال ان معنى البيت مدحهم بالشرف والسودد وانهم ذا أصيبوا فى أخذ الثار كانوا اشفاء من الغم والحقد وحرارة القلب على القتلى حتى يقال هو ثارهم اذ كانت العرب لا تعتد فى أخذ الثار بقتل الاوضاع والثانى من نوعى التفريع هو نفى زيادة شئ موصوف بصفات على شئ آخر كقول كثير

ما روضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها نشر رائحة * ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل

(التدبيج) هو عبارة عن ذكر عدة الوان كقوله تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الشعر كقول حسين بن مطير

مخضرة الاوساط زانت عقودها * بأكثر مما زينتها عقودها
بصفر تراقيها وحمر أكفها * وسود نواصيها وبيض خدودها

وقول ابن حيوس

ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم يوم نائل أو نزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

ومن النثر كقول الحريري فمذ اغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومى الابيض وابيض فودى الاسود حتى رثى لى العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر ولا آخر فى ذكر وقعة فأوردنا الحديد الاخضر فى دم الوريد الاحمر من عدو الله الازرق من بنى الاصفر

(التفسير ويقال التبيين) هو عبارة عن ان يأتى المتكلم فى أول كلامه بما فيه ابهام ولا يستقل الفهم بمعرفة المقصود منه فيعقبه بما يكشفه ويبين الغرض منه كقول بعضهم

صالوا وجادوا وضاؤا واحتبوا فهم * أسد ومزن وأقمار وأجبال

لو وقف على قوله واحتبوا لم يكن الغرض من الكلام مفهوما وهو مدحهم بتمام الشجاعة والسخاء وصباحة الوجوه ورجاحة الاحلام وكقول ابن الرومى

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

فلو وقف على قوله دجون لم يكن مقصوده مفهوما فبينه بانها تشبه النجوم ثم فسر بما للنجوم من الخصائص على سبيل التقسيم وقول محمد بن وهب

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر
يحكى أفاعيله فى كل نائبة * الغيث والليث والصمصامة الذكر

(سياقة الاعداد ويقال التعديد) هو عبارة عن ذكر مفردات على نسق فان اقترنت بحسن آخر كازدواج أو مقابلة كان أتم كقوله تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ومن الشعر كقول أبى الطيب

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وكقول محمد بن هانئ

للناس اجماع على تفضيله * حتى استوى اللؤماء والكرماء
والملكن والفصحاء والبعداء والـ * ـقرباء والخصماء والشهداء
فى الناس سرى جوده وجنوده * وعديده والحزم والآراء
نزلت ملائكة السماء بنصره * وأطاعه الاصباح والامساء
والفلك والافلاك المدار وسعده * والغزو فى الدأماء والدأماء
والدهر والايام فى تصريفها * والناس والخضراء والغبراء

(حسن النسق) هو على نوعين أحدهما سرد أوصاف لموصوف كقوله تعالى هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم الآية وما أشبهها من الآيات والثانى عطف عدد من الالفاظ المتلاغمة معناها كقوله تعالى قيل يا أرض ابلعى ماءك الآية ومن الشعر قول ابن هانئ الاندلسى

قد جالت الاوهام فيك ودقت الا * لباب عنك وجلت الآلاء
فعنت لك الامصار وانقادت لك الا * قدار واستحيت لك الانواء

(حسن التعليل) هو عبارة عن تعليل صفة شئ بعلة ادعائية فيها غرابة وهو على اربعة أنواع لان الصفة اما ثابتة أو غير ثابتة يدعى ثبوتها والثابتة اما ان لا يظهر لها علة فى العادة واما ان يظهر وغير الثابتة اما أن تكون ممكنة الثبوت أو غير ممكنة فالاول كقول أبى الطيب

لم تحك نائلك السحاب وانما * حمت به فصبيبها الرحضاء

فارسال السحاب المطر ثابت لا يظهر له علة فى العادة وادعى تعليله باحتمامها من حسد ممدوحه وغيظها من القصور عنه حتى عرقت وانصب عرقها وهو الرحضاء وكقول أبى هلال العسكرى

زعم البنفسج انه كعذاره * حسنا فسلوا من قفاه لسانه

فخروج ورقة من البنفسج الى خلفه ثابت لا تظهر له علة وادعى ان علته الافتراء والثانى كقول أبى الطيب

ما به قتل أعاديه ولكن * يتقى اخلاف ما ترجو الذئاب

فالقتل ثابت وعلته عداوة المقتول وازالة ضرره فادعى له علة غير ذلك وهى اتقاؤه وتحاشيه من اخلاف ما رجته الذئاب عند رؤيته بخروجه بالجيش من حصول ما اعتادته

من الشبع على اثره فوله من غزواته وكقول ابن المعتز فيمن اصابه الرمد

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم * من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء ماقتلت * والدم فى النصل شاهد عجب

وكقول بعضهم

تثنى ثوبابى فى البكا * فأهلابها وبتأنيبها
تقول وفى قولها حشمة * أتبكى بعين ترانى بها
فقلت اذا استحسنت غيركم * أمرت الدموع بتأديبها

والثالث كقول مسلم بن الوليد

ياواشيا حسنت فينا اساءته * نجى حذارك انسانى من الغرق

فحسن اساءة الواشى غير ثابت فأثبته وعلله والرابع كقول الخطيب القزوينى ترجمة لشعر فارسى

لولم تكن نية الجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد منتطق

(التعطف) هو ان يأتى بلفظ فى صدر البيت ثم يأتى فى العجز به أوشئ من مشتقاته كقول أبى الطيب

فساق الى العرف غير مكدر * وسقت اليه المدح غير مذمم

ومما انشد الاصمعى للرشيد وقد سأله التذكير

ولا تعجل على احد بظلم * فان الظلم مرتعه وخيم
ولا تفحش وان ملئت غيظا * على أحد فان الفحش لوم
ولا تقطع أخالك عند ذنب * فان الذنب يغفره الكريم
ولا تجزع لريب الدهر واصبر * فان الصبر فى الدنيا سليم

(الاستتباع) ويسماه بعض التعليق وبعض المضاعفة وبعض التوجيه وهو عبارة عن ان يتضمن الكلام فى أوله نوعا من المدح أوغيره وفى آخره نوعا آخر منه كقول أبى الطيب

نهبت من الاعمار مالو حويته * لهنئت الدنيا بأنك خالد

فأول الكلام تضمن مدحه بنهاية الشجاعة وعلو الهمة وآخره يتضمن مدحه بان ذلك سبب صلاح الدنيا ونظامها لاصلاح الارض وازالة الفساد وتحصيل الفرح العام حتى تهنأ الدنيا بهذين بتخليده وكقول ابن هانئ فى الذم

ان

ان لفظانسلو كه لشببه * بأن في منظر الجفاء الجليف

(التمكين) هو جعل قافية البيت أو قرينة السجع في مكانها الذي يقال عند سماعها انه لها وهو السبب الاكبر في حسن الكلام ومتانته فليس أشد على مهرة الشعراء من سماع القوافي القلقة والطريق التي سلكها الشاعر أو الناثر لاجل التمكين هي ان يستحضر أولا الالفاظ التي يريد أن يجعلها نهايات ثم يأخذ في احضار المعاني اللائقة بمعناها واختيار العبارات المناسبة لها حتى تم له ذلك تم له التمكين وأشبه كلامه بعضه بعضا وكان آخره منه ومن أوله كقول على بن الرقاع العاملي من قصيدته التي أولها

عرف الديار توهما فاعتادها * في صفة غزالة

تزجي أغن كأن إبرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

وأكثر أشعار من اشتهرت أشعارهم بالجودة على ذلك

(تأكيد المدح بما يشبه الذم) ويقال المدح في معرض الذم هو عبارة عن ذكر صفة مدح ثم الاستثناء منها صفة مدح أخرى بحيث يوهم انه يريد الاستدراك باثبات صفة ذم كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما وقوله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ومن الشعر قول النابغة الذبياني

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقول لنابغة الجعدي

فتى تم فيه ما يسر صديقه * على ان فيه ما يسوء الاعاديا

فتى كملت أخلاقه غير انه * جواد فلا يبقي من المال باقيا

(الايضاح) هو ان يأتي بمبهم مفردا أو جملة ثم يوضحه ويبينه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقوله ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ومن الشعر كقول اوس

الالمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

وقول أبي الطيب

وكم لظلام الليل عندي من يد * تخبر أن المانوية تكذب

وقاك أذى الاعداء سرى اليهم * وزارك فيه ذو الدلال المحجب

المانوية نسبة الى ماني وهو امام مذهب الزنادقة الذين يقولون بالهين هما النور وهو اله الخير والظلمة وهو اله الشر

(التوهيم) هو ان يأتي المتكلم بكلمة عقب لفظ يوهم غيرها لفظاً أو اعراباً أو معنى كقوله تعالى قال عذابي أصيب به من أشاء فلفظ أشاء جيء بها بعد عذابي أصيب به فالكلام يوهم انها أساء من الاساءة وكقوله وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون الكلام يوهم ثم لا ينصروا بالجزم عطفاً والغرض ابتداء الاخبار وكقوله الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان المراد بالنجم الزرع وبعض أمثلة التوهيم تشبه التورية غير ان أحد المعنيين في التوهيم يكون فاسداً لا يصح ان يراد كقول الصفي الحلي

١

وساق من بني الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
أملكه قيادي وهو رقي * وأفديه بعيني وهو ساقي

(الالغاز) عدوا هذا النوع من البديع وجعله فناً مستقلاً أليق لانه عبارة عن مؤلفات سلك فيها طرق في العبارات حتى يعسر فهم المراد منها وقد خص بالتأليف لبيان تلك الطرق ثم لاهل النباهة بعد قوة على اختراع طرق في الالغاز غير ما ذكر ومنه ما تستعمله العامة من الحوازير ومن أمثلته قول يحيى بن أكثم في العين

وباسطة بلا نصب جناحاً * وتسبق ما يطير ولا تطير
اذا ألقمتها الحجر اطمأنت * وتجزع ان يباشرها الحرير

وقول آخر في الضرس

وصاحب لا أمل الدهر صحبته * يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد
لم ألقه مذ تصاحبنا فذ وقعت * عيني عليه تفارقنا الى الابد

ولآخر في قصب السكر

وذي هيف كالغصن قداً اذا بدا * يفوق القنا حسناً بغير سنان
وأعجب ما فيه يرى الناس أكله * مباحاً قبيل العصر في رمضان

(الارداف) هو بعض أنواع الكناية المبينة في علم البيان

(الاتساع) هو أن يأتي المتكلم أثناء كلامه بما يحتمل أن يفسر بكثير من المعاني لصلاحه لكل منها ومثلوا له بقوله تعالى والشفع والوتر فقد أمكن تفسيرها بثلاثة وعشرين معنى جعلت أقوالاً للعلماء الاول قال أبو مسلم الزوج والفرد وهو تذكير بالحساب لعظم نفعه وما يضبط به من المقادير وهو قول الحسن البصري الثاني قال ابن زيد والجبائي

والجبائي جميع الخلق لكونها زوجا أو فردا الثالث الشفع الخلق لكونه أزواجا كالسماء والارض والليل والنهار والبر والبحر والانس والجن والكفر والايمان والوتر الله وهو مروى من حديث ابي سعيد الخدري الرابع صفات الخلق لكونها قدرة وعجزا وحياة وموتا وعلما وجهلا الى غير ذلك والوتر صفات الله الخامس الصلاة وهو مروى من حديث عمران بن حصين السادس الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة أى شفع الليالى العشر ووترها السابع يوم التروية ويوم عرفة وهو مروى عن جعفر الصادق وأبيه محمد الباقر الثامن شفع العشر الاخيرة من رمضان ووترها التاسع الليالى والايام ويوم القيامة العاشر الشفع والوتر لليالى العشر التى أتم الله بها ميقات موسى الحادى عشر الصفا والمروة والكعبة الثانى عشر يوما منى أو ثلاثتها فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه الثالث عشر آدم وحواء والله تعالى الرابع عشر آدم وحواء وآدم قبل حواء الخامس عشر صلاة المغرب ركعتان وركعة السادس عشر درجات الجنة ثمان ودركات النار سبعة السابع عشر هما الله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الآية الثامن عشر مسجدا مكة والمدينة والاقصى التاسع عشر قران الحج والتمتع والافراد العشرون الفرائض والسنن الحادى والعشرون الاعمال والنية الثانى والعشرون العبادة المتكررة من صوم وصلاة وغيرهما وغير المتكررة كالحج الثالث والعشرون الروح والجسد والروح وحده هذا ومن الشعر كقول الحماسي

بيض مفارقنا تغلى مراجلنا * نأسوا بأموالنا آثار أيدينا

فالاتساع فى قوله بيض مفارقنا فقيل أراد بذلك الطهارة والعفاف كقولهم أبيض العرض والشيم والحسب وقيل أراد أنهم كهول ومشايخ قد حنكتهم التجارب وليسوا بالاغمار وقيل أراد أنهم ليسوا بعبيد لان فرق الانسان اذا كان أبيض كان جميع جسده أبيض وقيل أراد انحسار الشعر عن مقدم رؤسهم لمداومتهم لبس البيض والمغافر وقيل معناه نحن أصحاب حروب فقد شابت مفارقنا من كثرة الشدائد وقيل معناه نحن كرام نكثر استعمال الطيب فابيضت مفارقنا لذلك ويقال من أكثر استعمال الطيب أسرع الشيب اليه وقيل معناه نحن مكشوفو الرؤس لا عيب فينا فعبر عن النقاء بالبياض والعرب تقول فى مدح الرجل أبيض وقيل معناه نحن كرام فشابت مفارقنا دون القفا لان شيب الكرام يبدو فى المفارق كما قيل

فشيب لئام الناس فى نقرة القفا * وشيب كرام الناس يعلو المفارقا
وقيل المفارق هنا الطرق يقول قد ابيضت مفارق الطرق التى تؤدى الى رحالنا لكثرة
ما يأتينا من العفاة فهى بيض لاتحة لم تعف لكثرة سالكيها وهذا الوجه أولى لشاكلته
ما بعده وهو قوله تغلى مراجلنا والمراجل القدور الكبار من نحاس ذكر ذلك أبو عبد الله
محمد بن عبد الله الخطيب فى شرح كتاب الحماسة وقال الصنعانى فى كتاب الجملة والذيل
والصلة وقد قيل فى البيت المذكور ما تقدم اقول وقد أفرد لتفسيره كتاب وأقرب الاقوال لما
هو المتبادر من لفظ المفارق انه كناية عن الشرف والسودد فمعنى الكلام نحن قوم
اشراف نعمر مجالسنا للمؤانسة والمحادثة والمنادمة وهذه الخدم مترددة حولنا فى أعمالهم
لا نباشر عملا ولا نتردد فى مهنة فنحن نظاف ليس على مفارقنا غبار كما هو شأن من يباشر
أعمال الخدمة والتكفل باعادة ذلك قوله تغلى مراجلنا
(جمع المؤتلف والمختلف)
هو ان يسوى بين شخصين فى المدح وهو يريد أن يفضل أحدهما فيسلك لذلك سبيلا
لا ينقص فيه الآخر كقول الخنساء تفضل أخاها على أبيها وقد تسابقا

جارى أباه فاقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضر
فهما كأنهما وقد برزا * صقران قد حطا الى وكر
حتى اذا نزت القلوب وقد * لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما * قال المصيب هناك لا أدرى
برزت صفيحة وجه والده * ومضى على غلوائه يجرى
أولى فأولى أن يساويه * لولا جلال السن والكبر

(الايداع) ويقال التضمين هو ان يضمن الشاعر كلامه مصراعا أو أكثر من كلام
غيره وربما خص اسم التضمين المصراع وهو لاغراض منها دلالة الشاعر على انه يعارض
قصيدة المضمن كقول النواجى فى آخر قصيدته التى يتابع فيها قصيدة كعب رضى الله
تعالى عنه

ان لم أفز بقبول فى متابعتى * بانت سعاد فقلبى اليوم متبول

ولبعض أعيان العصر سامى القدر والشعر من قصيدة عارض بها لامية الطغرائى
المشهورة بلامية العجم

انى امرؤ حلب الايام أشطرها * وشد فحل الهوى فى أوثق العقل

مازلت

مازلت أبغي الصبا حتى اذا كفلت * اصالة الرأي صانتني عن الخطل
فان يكن مرّ لي عصر أطعت به * حكم التصابي فاني اليوم ذو جدل

ومنها الانتقاد على صاحب المضمن بانه وضع الكلام في غير موضعه ومنها الزيادة في المضمن ومنها نقله الى غير معناه كما يتبين ذلك في أمثلته وأكثر المتأخرين تضمينا وقد أتى فيه بالعجيب الغريب مجير الدين بن تميم ولذلك يقول

أطالع كل ديوان أراه * ولم ازجر عن التضمين طيري
أضمن كل معنى مستجاد * فشعري نصفه من شعر غيري

فمن تضمينه قوله

لو كنت في الحمام والحنا على * أعطافه وجسمه لألاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

وقوله تضمينا لهذا الشطر أيضا

لو كنت شاهدنا وقد جليت لنا * في كأسها واضوئها لألاء
لرأيت أحسن ما يرى من أكؤس * سال النضار بها وقام الماء

وهذا الشطر وهو * سال النضار بها وقام الماء * من قول المتنبي في مدح على ابن هارون وكان اقام في بلد أيام الشتاء وقد جمد الماء بالثلج وبيت الشطر

وكذا الكريم اذا اقام ببلدة * سال النضار بها وقام الماء

فانت ترى أن قوله وقام الماء لا يدخل في جزاء الشرط وتصحيحه أن تجعل الجملة حالا ويكون المعنى أن الممدوح يكثر انعامه واحسانه حال اشتداد البرد ويكون كقول العربي

نحن في المشتاة ندعو الجفلا * لا ترى الآدب منا ينتقر

وكذلك يخصون الشتاء بظهور جود الجواد لكونه وقت لدى يعوق المساكين عن الضرب في البلاد في طلب فضل الله تعالى وقد أجاد مجير الدين في تضمينه وله في تضمين قول المتنبي أيضا في بيت يتخلص منه الى المدح

لو استطعت ركبت الناس كلهم * الى سعيد بن عبد الله بعرانا

ومعشر عذلوا لما ركبت على * أحوى محاسنه فحجن فعاهم
دع بعذلوا ما استطاعوا إنني رجل * لو استطعت ركبت الناس كلهم

ومن طريف التضمين ما حكاه القاضي شمس الدين بن خلكان في تاريخه ان الحيص

بيص الشاعر خرج ليلة من دار الوزير شرف الدين بن طراد الزينبي فنبح عليه جرو وكان متقلدا سيفا فوكزه بعقب السيف فمات فبلغ ذلك أبا القاسم هبة الله بن المفضل المعروف بابن القطان الشاعر فنظم أبياتا وضمنها بيتين لبعض العرب قتل أخوه ابنا له فقدم اليه ليقتاد منه فألقى السيف وأنشدهما والبيتان المذكوران يوجدان فى الباب الاول من كتاب الحماسة ثم ان ابن المفضل المذكور جعل الابيات فى ورقة وعلقها فى عنق كلبة لها جراء ورتب معها من يطردها وأولادها الى باب الوزير المذكور كالمستغيثة فأخذت الورقة من عنقها وعرضت على الوزير فاذا فيها

يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى * بفعلة أكسبته الخزى فى البلد
أبدى شجاعته بالليل مجترأ * على جرى ضعيف البطش والجلد
وليس فى يده مال يديه به * ولم يكن ببواء عنه فى القود
فأنشدت جعدة من بعد ما احتسبت * دم الابيلق عند الواحد الصمد
أقول للنفس تأساء وتعزية * احدى يدى اصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من بعد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

وللشيخ عز الدين الموصلى

نادمت قوما لاخلاق لهم ولا * ميل الى طرب ولا سمار
يستيقظون الى نهيق حمارهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

البيت الثانى لبعض العرب يهجو قوما بالجبن وانهم لا يقدرون على أخذ ثاراتهم وهى الاوتار ونقلها الشيخ الى أوتار العيدان

(الالتزام ويقال لزوم ما لا يلزم) هو أن يلتزم الشاعر أو الناثر قبل حرف الانتهاء حرفا أو اكثر كقول الطغرائى فى مطلع اللامية

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل * وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

وكقول عمر بن أبى ربيعة

بالله قولى له فى غير معتبة * ماذا أردت بطول المكث فى اليمن
ان كنت حاولت دنيا أو رضيت بها * فما أخذت بترك الحج من ثمن

ولعمرو بن أحمد الباهلى

ومن يطلب المعروف من غير أهله * يجد مطلب المعروف غير يسير

اذا

اذا أنت لم تجعل لعرضك جنة * من الذم سار الذم كل مسير

وللحسن بن على الواسطى

براني الهوى برى المدى وأذابني * صدودك حتى صرت أنحل من أمس

فلست أرى حتى أراك وانما * يبين هباء الذر فى أفق الشمس *

ولابى العلاء ديوان شعر كله من هذا النوع وانما يحسن الالتزام اذا حسن معه الكلام والا استحق صاحبه ما قال الابيوردى

شعر المراغى وحوشيتم * كعقله أسلمه اسقم

يلزم ما ليس له لازما * لكنه يترك ما يلزم

(المزاوجة) هو أن يرتب فعلا واحدا مختلف المتعلق على شرط وجزائه كقول البحترى

اذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى * أصاخت الى الواشى فلج بها الهجر

وقوله اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها

(التجريد) هو أن تجرد من شئ آخر للمبالغة فى المعنى كقول القائل

ترى منهم الاسد الغضاب اذا سطوا * وتنظر منهم فى اللقاء بدورا

ويكون بمن كهذا وبالباء مثل انك لتلقى بفلان البحر وبفى كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد وبغير ذلك كقول الاعشى

ياخير من يركب المطى ولا * يشرب كأسا بكف من بخلا

كأنه قال هو يشرب بكف كريم ومن التجريد ما فى خطاب المرء نفسه كقول أبى الطيب

لا خيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

(ايهام التوكيد) هو تكرير لفظ لتأسيس المعانى فيوهم التوكيد كقوله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال ومن الشعر كقول على بن أحمد المروزى

لقد حل بى عجب عاجب * تقاصر وصفى عن كنهه

رأيت الهلال على وجه من * رأيت الهلال على وجهه

وكقول آخر

قالت لترب معها منكرة * لوقفتى هذا الذى نراه من

قالت فتى يشكو الهوى متيم * قالت بمن قالت بمن قالت بمن

(الترصيع) هو أن يجعل الشاعر أو الناثر جميع ألفاظ الشطرين أو الفقرتين على نهاية واحدة سوى قافية الضرب في الشعر كقول الحريري في المقامة الاولى يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه ولرشيد الدين العمري المشهور بالوطواط قصائد من هذا النوع منها قوله

جناب ضياء الدين للبر مرتع * وباب ضياء الدين للحر مربع
وسيرته زهراء للحق معلم * وسدته الشماء للخلق مجمع
فجدته منه للراشد أرسم * وشيد منه للحامد أربع
وعلياه فيها للخواطر مسرح * واقياه فيها للنواظر مرتع
فمنهل من يروي ثناءك مفعم * ومنزل من ينوي جفاءك بلقع
وصولك للأشرار متو رمتاعب * وطولك للأخيار مرو ومشبع

وجاء منه في الكتاب العزيز مثل قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقوله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم

(الحذف) هو التزام اخلاء الكلام من حرف أو أكثر أو من نوع كالمعجم فيكون الكلام من الحروف المهملة او المهمل فيكون من المعجمة وللحريري في المقامات من هذين النوعين كلام طويل ومن المروي انه اجتمع ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم علي كرم الله وجهه فتذاكروا اكثر الحروف دورانا فقيل الالف فخطبهم رضي الله عنهم خطبة اخلاها منها وتسمى المونقة وهي هذه

حمدت من عظمت منته وسبغت نعمته وسبقت رحمته وتمت كلمته ونفذت مشيئته وبلغت حجته وعدلت قضيته حمدته حمد مقر بربوبيته متخضع لعبوديته متنصل من خطيئته معترف بتوحيده مؤمل من ربه مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فصيلته وبنيه ونستعينه ونسترشده ونؤمن به ونتوكل عليه وشهدت له بضمير مخلص موقن وفردته تفريد مؤمن متقن ووحدته توحيد عبد مذعن ليس له شريك في ملكه ولم يكن له ولي في صنعه جل عن مشير ووزير وتنزه عن مثل ونظير علم فستر وبطن فخبر وملك فقهر وعصي فغفر وحكم فعدل لم يزل ولن يزول وليس كمثله شيء وهو قبل كل شيء وبعد كل شيء رب متفرد بعزته متمكن بقوته متقدس بعلوه متكبر بسموه ليس يدركه بصر ولم يحط به نظر قوي منيع بصير سميع علي حكيم رؤف رحيم عجز عن وصفه من يصفه وضل في نعته من يعرفه قرب فبعد وبعد

فقرب

فقرب فيجيب دعوة من يدعوه ويرزق عبده ويحبوه ذو لطف خفي وبطش
قوي ورحمة موسعة وعقوبة موجعة رحمته جنة عريضة مونقة وعقوبته
جحيم مؤصدة موبقة وشهدت ببعث محمد عبده ورسوله وصفيه وحبيبه وخليله
بعثه في خير عصر وفي حين فترة وكفر رحمة لعبيده ومنة لمزيده ختم به
نبوته وقوى به حجته فوعظ ونصح وبلغ وكدح رؤف بكل مؤمن ولي سخي
زكي رضي عليه رحمة وتسليم وبركة وتكريم من رب غفور رحيم قريب
مجيب وصيتكم معشر من حضرني بتقوى ربكم وذكرتكم بسنة نبيكم فعليكم برهبة
تسكن قلوبكم وخشية تذري دموعكم وتقية تنجيكم قبل يوم يذهلكم ويبليكم يوم
يفوز فيه من ثقل وزن حسنته وخف وزن سيئته ولتكن مسئلتكم مسئلة ذل
وخضوع وشكر وخشوع بتوبة ونزوع وندم ورجوع وليغتنم كل مغتنم منكم
صحته قبل سقمه وشيبته قبل هرمه وسعته قبل عدمه وخلوته قبل شغله
وحضره قبل سفره قبل هو يكبر ويهرم ويمرض ويسقم ويمله طبيبه
ويعرض عنه حبيبه ويتغير عقله وينقطع عمره ثم قيل هو موعوك وجسمه
منهوك ثم جد في نزع شديد وحضره كل قريب وبعيد فشخص ببصره وطمح
بنظره ورشح جبينه وجذبت نفسه وبكت عرسه وحفر رمسه ويتم ولده
وتفرق عنه عدده وقسم جمعه وذهب بصره وسمعه وغمض ومدد ووجه وجرد
وغسل ونشف وسجي وبسط له وهيئ ونشر عليه كفنه وشد منه ذقنه وقمص وعمم
ولف وسلم وحمل فوق سرير وصلي عليه بتكبير ونقل من دور مزخرفة وقصور
مشيدة وحجر منجدة فجعل في ضريح ملحود وضيق مرصوص بلبن منضود
مسقف بجلمود وهيل حفره وحثي عليه مدره فتحقق حذره ونسي خبره
ورجع عنه وليه ونسيبه وتبدل به قرينه وحبيبه وصفيه ونديمه فهو حشو قبر
ورهين قفر يسعى في جسمه دود قبره ويسيل صديده من منخره ويسحق بدنه
ولحمه وينشف دمه ويرم عظمه حتى يوم حشره فينشر من قبره حتى ينفخ في
صور ويدعى لحشر ونشور فثم بعثرت قبور وحصلت سريرة صدور وجيء بكل
نبي وصديق وشهيد منطيق وتوحد لفصل عدل رب قدير بعبيده خبير بصير
فكم من زفرة تضنيه وحسرة تنضيه في موقف مهول عظيم ومشهد جليل جسيم
بين يدي ملك كريم بكل صغيرة وكبيرة عليم حينئذ يلجمه عرقه ويحفزه قلقه

عبرته غير مرحومه وصرخته غير مسموعه وحجته غير مقبوله وتول صحيفته وتبين جريرته ونطق كل عضو منه بسوء عمله فشهدت عينه بنظره ويده ببطشه ورجله بخطوه وجلده بمسه وفرجه بلمسه ويهدده منكر ونكير وكشف عنه بصير فسلسل جيده وغلت يده وسيق يسحب وحده فورد جهنم بكرب شديد وظل يعذب في جحيم وسقي شربة من حميم تشوي وجهه وتسلخ جلده يضربه زبانيته بمقمع من حديد يعود جلده بعد نضجه بجلد جديد يستغيث فتعرض عنه خزنة جهنم ويستصرخ فيلبث حقبة يندم نعوذ برب قدير من شر كل مصير ونسأله عفو من رضي عنه ومغفرة من قبل منه فهو ولي مسئلتي ومنجح طلبتي فمن زحزح عن تعذيب ربه سكن في جنته بقربه وخلد في قصور مشيده وملك من حور عين وحفده وطيف عليه بكؤس وسكن حظيرة فردوس وتقلب في نعيم وسقي من تسنيم وشرب من عين سلسبيل ممزوجة بزنجبيل مختومة بمسك وعبير مستديم للحبور مستشعر للسرور يشرب من خمور في روض مشرق مغدق ليس يصدع من شربه وليس ينزف هذه منوبه من خشي ربه وحذر نفسه وتلك عقوبة من جحد منشيه وسولت له نفسه معصية مبديه ذلك قول فصل وحكم عدل خير قصص قص ووعظ نص تنزيل من حكيم حميد نزل به روح قدس مبين على قلب نبي مهتد مكين صلت عليه رسل سفره مكرمون برره عذت برب رحيم من شر كل رجيم فليتضرع متضرعكم وليبتهل مبتهلكم فأستغفر رب كل مربوب لي ولكم انتهت وفي سلوك هذه الطرق دلالة على سعة الحفظ وقوة الاستحضار واكثر الكلام الطويل جاء من المهمل لسعته ولبعضهم تفسير على القرآن كله مهمل

(التسميط) هو نوعان الاول ان يجعل البيت على ثلاثة اجزاء من روي واحد ثم القافية كقول جنوب الهزلية

وحرب وردت وثغر سددتَ * وعلج شددتَ عليه الحبالا
ومال حويت وخيل حميت * وضيف قريت يخاف الوكالا

والثاني هو التخميس المعروف كقول امرئ القيس

ومُستلئم كشّفتُ بالرمح ذيله * اقمت بعضب ذي شقاشق ميله
فجعت به في ملتقى الكر خيله * تركت عتاق الطير تحجل حوله
كأن على سرباله نضح جريال

وعلى هذا المثال حذا من بعد الى الابيات أو القصيدة فيضيف لها ثلاثة أشطار ليكون شعرا مخمسا ومن حيث انه يلزم فيه ان يكون الكلام متلائما جديد المعانى منسجم المقاصد كان الاحسان فيه قليلا يحكى ان بعض الشعراء المجيدين خطر على باله وهو فى الروضة الشريفة بين القبر والمنبر أن يخمس همزية ابى سعيد الابوصيرى فأسعفه الله بالفاتحة وهى قوله

يابن عمران شرفت سيناء * وبادريس والمسيح السماء
ولك العرش موطن ووطاء * كيف ترقى رقيك الانبياء
ياسماء ماطاولتها سماء

ثم أخذته سنة فرأى النبى صلى الله عليه وسلم يقول له حسبك فانه ما كان يقدر ان يستمر على هذا النمط

(التجزئة) هى ان يجزأ البيت اجزاء عروضية مسجوعة برويين مختلفين أحدهما يوافق القافية والآخر يخالفها كقول القائل

هندية لحظاتها خطية * خطراتها دارية نفحاتها

(سلامة الاختراع) هو عبارة عن ان يبدع الشاعر امرا شعريا لم يسبقه أحد اليه وموضع ذلك الطبقات المتأخرة عن الطبقات الاول التى آخرها طبقة بشار وتحصيل سلامة الاختراع لا يصل الى اليقين الا بعد معرفة كل ما قيل وان كان المعنى مخترعا بحسب عدم اطلاع صاحبه عليه فلا يعد سارقا ولكن لا يقال انه مخترع بل توارد خاطره وخاطر سابقه فى المذكور وشاهدا لسلامة الاختراع من كلام المتأخرين قول ابن الرومى من اهل القرن الثالث

تودّدت حتى لم أدع متودّدا * وأفنيت أقلامى عتابا مردّدا
كأنى أستدنى بك ابن حنية * اذا النزع أدناه من الصدر أبعدا

وكقول أبى الطيب من أهل القرن الرابع فى مدح كافور الاخشيدى وكان أسود

فجاءت بنا انسان عين زمانه * وخلت بياضا خلفها ومآقيا

وقوله صدمتهم بخميس أنت غرته * وسمهريته فى وجهه غمم
فكان أثبت ما فيهم جسومهم * يسقطن حولك والارواح تنهزم

أوّل البيتين من قول الحماسى
أصرة
فلو أنا شهدنا كم نصرنا * بذى لجب أزب من العوالى

الازب من الابل كثير شعر الوجه وعبره كانه المتنبي بالغم ولابي العلاء

والنجم تستصغر الابصار طلعته * والذنب للعين لا للنجم في الصغر

ولابن القيسراني

هو الذي سلب العشاق نومهم * أماترى عينه ملأى من الوسن

المخترع به حسن التعليل والا فالوسن في الاعين من المعاني الاول من لطيفه في كلام العرب

وكأنها بين النساء أعارها * عينيه احور من جآذر جاسم

وسنان اقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

(ائتلاف اللفظ مع المعنى) هو أن تكون الالفاظ موافقة للمعاني فتختار الالفاظ الجزلة والعبارات الشديدة لمعاني الفخر والحماس والكلمات الرقيقة والعبارات اللينة للغزل والنسيب وصفة الكأس والساقي والنديم والمغني ومجلس الشراب كما قيل لكل مقام مقال ويرشدك لذلك ما حكي ان خلادا قال لبشار بن برد انك لتجيء بالشيء المتفاوت قال وماذاك قلت بينما تقول شعرا تثير به النقع وتخلع به القلوب مثل قولك

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

اذا ما أعرنا سيدا من قبيلةٍ * ذرى منبر صلى علينا وسلما

الى أن تقول

رَبابةُ ربةُ البيتِ * تصبُّ الخلَّ في الزيتِ

لها عشر دجاجات * وديكٌ حسنُ الصوتِ

فقال لكل شيء وجه وموضع فالقول الاول جيد وهذا قلته في جاريتي ربابة وأنا لا آكل البيض من السوق فربابة هذه لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع لي البيض وتحفظها فهذا من قولي عندها احسن من * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

ومن كتاب الوساطة للقاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني قوله في وصية الشاعر والكاتب فهو يعلمك مواقع أنواع الكلام لا آمرك باجراء أنواع الشعر كله مجرى واحدا ولا ان تذهب بجميعه مذهب بعضه بل أرى لك ان تقسم الالفاظ على مراتب المعاني فلا يكون غزلك كافتخارك ولا مديحك كوعيدك ولا هجاؤك كاستبطائك ولا هزلك بمنزلة جدك ولا تعريضك مثل تصريحك بل ترتب كلا مرتبته وتوفيه حقه فتتلطف اذا تغزلت وتفخم اذا افتخرت وتتصرف للمديح تصرف مواقعه فان المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف ووصف

ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والندام ولكل واحد من الامرين نهج هو أملك به وطريق لا يشاركه الآخر فيه وليس ما رسمته لك فى هذا الباب بمقصور على الشعر دون الكتابة ولا يختص بالنظم دون النثر بل يجب أن تكون كتابتك فى الفتح أو الوعيد خلاف كتابتك فى الشوق أو التهنئة وخطابك اذا حذرت وزجرت أفخم منه اذا وعدت ومنيت انتهى واذا تأملت الكتاب العزيز فى تصرف العبارات للوعد والوعيد وخطاب الحضرى والاعراب والتذكير ونص الاحكام الى غير ذلك من الانواع مر بك ذلك فى المحجة البيضاء وان ائتلاف اللفظ مع المعنى هو أعظم أركان البلاغة ومن جهته ينحط شأن البليغ أو يرتفع

(ائتلاف اللفظ مع الوزن) هو أن يكون الكلام المنظوم بمنزلة الكلام المنثور بحيث لا يضطر الوزن الشاعر الى تقديم وتأخير يبعد فهم المعنى ولا الى مخالفة لغة أو اعراب كما وقع للفرزدق فى قوله

وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو أمه حى أبوه يقاربه

وكقول المتنبى

أنى يكون أبا البرايا آدم * وأبوك والثقلان أنت محمد

أى وأبوك محمد والثقلان انت وكقول الكميت

لا كعبد المليك أو كوليد * أو سليمان بعد أو كهشام

أى عبد الملك فالخلاصة أن لا يحمل الشاعر على ضرورة الشعر فاذا لزم عليه ذلك اضعفه وجب أن يترك حتى يقوى ليستريح ويريح

(ائتلاف الوزن مع المعنى) أراد البديعيون أن يسلم الشعر من القلب الكائن فى مثل قول القطامى * كما طينت بالفدن السياعا * وقد سبق القول فى القلب فى فن المعانى

(ائتلاف اللفظ مع اللفظ) هو عبارة عن كون الفاظ العبارة من واد واحد فى الغرابة والتأهل كقوله تعالى تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أتى بالتاء التى هى أغرب حروف القسم أتى معها بتفتؤ الذى هو أغرب أفعال الاستمرار وجاورهما بقوله حرضا وكذلك وتالله لاكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين مكان والله لاكسرن أصنامكم بعد ان تذهبوا

(الموازنة) هو ان يجعل أجزاء البيت العروضية كقول امرئ القيس

أفاد فساد وقاد فزاد * وساد فجاد وعاد فأفضل

وقول ابن هانئ

وعوابس وقوانس وفوارس * وكوانس وأوانس وقنابل

(السجع) هو تقفية الكلام المنثور على نهايات متماثلة قيل ولا يقال في القرآن سجع بل يقال فواصل وأحسن السجع ما كانت الفاظه على ترتيب معانيه بحيث لا تظهر لاجله تكلف بتقديم وتأخير وما قصرت فيه القرائن أحسن مما طالت فيه وكذلك تساوي القرائن أحسن من طول الثانية عن الاولى وعكسه غير حسن قيل للصاحب ابن عباد ما أحسن السجع قال ما خف على السمع قيل مثل ماذا قال مثل هذا ولنورد لك بعض فصول من كلام رؤساء الصناعة لتكون لك مثالا تتمكن به من معرفة محاسن السجع كتب الصاحب بن عباد الى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني وقد بلغه انه وافد عليه وأرسل بها مع غلام بريدي ليعود اليه بتعيين يوم وصوله

تحدثت الركاب بسير أروى * الى بلد حططت به خيامي

فكدت أطير من شوق اليها * بقادمة كقادمة الحمام

أحق ما قيل من أمر القادم أم ظن كأماني الحالم لا والله بل هو درك العيان وانه ونيل المنى سيان فرحبا براحلتك ورحلك وأهلا بك وبجميع أهلك ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك ووجدنا ريح يوسف من رياك فحث المطي تزول علتي بلقياك وتبرد غلتي بسقياك ونص على يوم الوصول نجعله عيدا مشرفا ونتخذه موسما ومعرفا وردّ الغلام أسرع من رجيع الكلام فقد أمرته أن يطير على جناح نسر وان يترك الصبا في عقال أسر والسلام وكتب مهنئا بمولودة أهلا وسهلا بعقيلة النساء وكريمة الآباء وأم الابناء وجالبة الاصهار والاولاد الاطهار والمبشرة بأخوة يتناسقون ونجباء يتلاحقون

فلو كان النساء كمثل هذي * لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

فادّرع اغتباطا وتهن نشاطا فالدنيا مؤنثة ومنها خلقت البرية وفيها كثرت الذرية والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحليت بالنجم الثاقب والنفس مؤنثة وبها قوام الابدان وملاك الحيوان والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون فهنيئا مريئا ما أوليت وأوزعك الله شكر ما أعطيت * ولبديع الزمان الهمذاني

الهمذاني انظر الى الكلام وقائله فان كان وليا فهو الولاء وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن ألا ترى الى العرب تقول قاتله الله ولا يريدون الذم ولا أماله في الامر إذا تم (وله) فائدة الاعتقاد أفضل في الانتقاد والسماح بكسر الرماح والصفح بفل الصفاح والجود انصر من الجنود وكشف الضر عن الحر أجمل من كشف الصدف عن الدر ومن عرف بالمنح قصد بالمدح وخير الاخوان من ليس بخوان وده ميمون وغيبه مأمون فهو يصالحك ولا يخالفك ويرافقك ولا يفارقك ويوافقك ولا ينافقك اذا حضرت حنا عليك واذا غبت حن اليك (وله) ما شبه وعد الشيخ في الخلاف الا بشجر الخلاف خضر في العين ولا ثمره في البين فاينفع الوعد ولا انجاز من بعد ومثل الوعد مثل الرعد ليس له خطر ان لم يتله مطر (وله) كتابي من هراه ولا هراه فقد طحنها المحن كما يطحن الدقيق وقلبتها كما يقلب الرقيق وبلعتها كما يبلع الريق وقد خدمت الشيخ سنين والله لا يضيع أجر المحسنين ونادمته والمنادمة رضاع ثان والمماحة نسب دان وسافرت معه والسفر والاخوة رضيعا لبان وقمت بين يديه والقيام والصلاة شريكا عنان وأثنيت عليه والثناء من الله بمكان وأخلصت له والاخلاص محمود بكل لسان يشير بقوله والثناء من الله بمكان الى ما ورد لا شيء أحب اليه المدح من الله (وله) للشيخ من الصدور ما ليس للفؤاد ومن القلوب ما ليس للاولاد كأنما اشتق من جميع الاكباد وولد بجميع البلاد سواء الحاضر فيه والباد فكل أفعاله غرة في ناصية الايام وزهرة في جنح الظلام الا أن ما أحببه لفلان روض أنا وسميه وغصن أنا قريبه وعود جره لسانى وجود شكره ضماني (وله) امر جزع لكنه حول والانسان في النوائب شموس ثم ذلول ولقد عشت بعد الشيخ لكن عيشة الحوت في البر وبقيت لكن بقاء الثلج في الحر (وله) كتابي الى البحر وان لم اره فقد سمعت خبره والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه والملك وان لم اكن لقيته فقد لقيني صيته ومن رأى من السيف أثره فقد رأى اكثره وهذه الحضرة وان احتاج اليها المأمون ولم يستغن عنها قارون فان الاحب الى ان أقصدها قصد موال لا قصد سؤال والرجوع عنها بجمال أحب الى من الرجوع عنها بمال قدمت التعريف وأنا انتظر الجواب الشريف (وله) حضرته التي هي كعبة المحتاج ان لم تكن كعبة الحاج ومشعر الكرام ان لم تكن المشعر الحرام ومنى الضيف ان لم تكن منى الخيف وقبلة الصلات ان لم تكن قبلة الصلات (وله)

حرس الله هذه الدنانير ورزقنا منها الكثير انها لتفعل ما لا تفعل التوراة والانجيل وتغني ما لا يغني التنزيل والتأويل وتصلح ما لا يصلح جبريل وميكائيل (وله) هذا الذي تاه علينا بحسن قده وزها علينا بورد خده قد نسخ الدهر آية حسنه وأقام مائل غصنه وانتصر لنا منه بشعرات كسفت هلاله واكسفت باله ومحت جماله وغيرت حاله

فذلك بالعين التي كنت مرة * اليك بها في سالف الدهر انظر

أيام كيت تتلفت والاكباد تتفتت فاقصر الآن عما صار وكان فانه سوق كسد ومتاع فسد ودولة أعرضت وأيام انقضت ويوم صار أمس وحسرة بقيت في النفس فختام تدل والى مه وكم تحتمل وعلى مه *ولابي بكر محمد بن احمد اليوسفي الشوق الذي أقاسي والذي مر براسي يهد الجبال الرواسي من نوا كب أوهت المناكب وعوارض شيبت العوارض ومحن عظام أثرت في العظام وللايام دول متعاقبة والصبر الجميل أحمد عاقبة

وللقاضي أبي أحمد منصور بن محمد الهروي وكتب الى صديق اهداه وردة وصلت الوردة الفردة لا زال ذكره كرياها عرفا ودهره كفصلها ظرفا وحال أوليائه كأغصانها خضره ووجوه أعدائه كلونها صفرة فسرت القلب وسرت الكرب وأدنت الارب وأهدت الطرب ودعت الى الرسم المألوف وأمرت بالمنكر المعروف وافتنا والليل قد حط رواقه وحل نطاقه والصبح قد بسط رداءه ورفع لواءه والندى طل والنسيم مبتل والمزن منسجم وثغر الصبح مبتسم ونحن نبوح بمعاني الصدور ونطير باجنحة السرور فوضعت الوردة على الرؤس وأديرت مع الكؤوس ونطقت الاوتار وصدحت الاطيار ولكل ذي فطنة فتنة ولكل ذي توبة أوبة وعند كل لفتة حيرة ومع كل دورة سكرة

وله يهنئ من عادت له الوزارة الشمس في رأد الضحى والبدر في جنح الدجى والماء في حوا الصدى والغيث جاد على الثرى والمزن تضحك في الربى والورد جشه الندى والصبح تقدمه الصبا والعيش في زمن الصبي والقرب صب على النوى والقلب رق مع الهوى والطرف غازله الكرى والصعو باعده القذى والحلى في ثغر الدمي ومنازل لك بالحمى وعهود سعدي باللوى والدهر يسعف بالمنى والبرء في عقب الضنى

الضنى والفقر يطويه الغنى والبشر يتبعه الندى والنشر من بعد البلا والود في اثر القلا والمحل يطرده الحيا والعتب يمحوه الرضا والكف تسمح باللهى ومذاكرات ذوي النهى والرأي يعضده الحجا والجد ساعد واعتلى والحظ أدرك مارجى بهاويها من الامثال سارت سوائر الامثال فيما وافق النفوس والطباع ويؤنس الابصار والاسماع وأحسن من كل هذا التمثيل أيام الشيخ الجليل وقد أتاه اسم لم يزل معناه

فيا حسن الزمان وقد تحلى * بهذا الفخر والاقبال صدره
وكان الدهر يغدر بعد هذا * فخل وفاؤه وانحل غدره
تصدر للوزارة مستحق * تساوي قدرها أبدا وقدره
فقل في النصل وافقه نصاب * وقل في الافق أشرق فيه بدره

والحمد لله الذي زان الشجر بالثمر وحلى البرج بالقمر وآنس العرين بالاسد واهدى الروح الى الجسد ولم أنس أدام الله علوه ولا ناريم التصدير وما يجب مراعاته على الصغير والكبير ولكن التهنئة المرسومة يتهاداها الاكفاء ويتعاطاها النظراء فأما الخدم مع الصدور والنجوم التاليات مع الاهلة والبدور فالعادة ثم ان تعذرت الارادة ولم تساعد السعادة فالدعاء موصولا منشورا والثناء منظوما منثورا وعلى هذه الجملة عملت والى هذا الجانب عدلت فأصدرت كلمة نتجها الود الصريح ونسجها الولاء الصحيح

فجاءت تؤدي وجوه اربا * ض أضحكها العارض الهامع
وليس لها غير عين رضا * لديك ذمام ولا شافع

وللفاضل عبد الرحيم في صفة القلم وقد أثمر هذا القلم اكرم الثمر وهو يابس وأبر جودا على أخضر المغارس وأتى أكله كل حين ووقت وطال وان كان القصير فقصر عنه كل نعت وعلى ذكر القلم قد عن لي ان أورد هنا رسالة القلم لخاتمة المحققين جلال الدين الدواني لما اشتملت عليه من المعاني الغريبة التي هي بمنزلة الرياض الخصيبة تريك نتائج الافكار وتجلو عليك عرائس الاسجاع في أرق شعار رحم الله من أنشأها وهدى بها من قرأها وهي

نون والقلم وما يسطرون ان هذه تذكرة لقوم يعقلون يا من فاق في البراعة سألتني عن وصف اليراعة فاستمع لما يتلى عليك ذلك من أنباء الغيب نوحيه

اليك أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ أوى الفتية
الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا انه فتى
من أصحاب الكهف والرقيم نشر له ربه من رحمته وهيأ له مرفقا ووقع له بخط مستقيم
نبي بعث من سرة البطحاء وايد بفصاحة بكت مصاقع البلغاء كليم خص بالطور
والكتاب المسطور والرق المنشور سفير بليغ نذير قد جاء بالبينات والزبر
والكتاب المنير قد بلغ من ذروة الشرف منتهاه ومن سنام المعالى أعلاه ينمى
فى شجرة النسب الى أول ما خلق الله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه
دى فى الظلمات أن لا إله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين يقول اذا برز من
من النون وشرع فى الزبر الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
يقارن نونا واما ولاء من مكر بنا اذا شددت به انى ونلت به اطمأن
عالم من أهل الكتاب علا كعبه فى الاحبار مر على سر كتب السماوية من الصحف
لاسفار ذوابه بين سير المغرب والمشرق فى أقصر ساعه استولى على الاقاليم كلها
رمن فيها باعه فصيح جزل الكلام لكن لا ينفك كلامه عن الابهام واشراق فى
طريق التعلم والتعليم لكنه من المشائين بغير منتصب القامة بادى البشرة أسود
الراس ناطق فصيح مش على قدميه لكن ليس من الناس أرى قدمه أراق دمه
ولسانه مهد عدمه كف نفسه عن الراحة وزاحم بركب أهل الفصاحة حتى صار
يضرب به المثل بين الاماثل ويذعن لنظمه ونثره الافاضل ذو اللسانين وذو البيانين
قد هدى النجدين واقتحم العقبتين وجمع بين العلم والعين مهندس ينقش الخطوط
على السطوح للتعاليم منجم يصلح الزيجات والتقاويم ينقص بالاصابع طال الاقدام
ويرقم على الرخامات دقائق الليالى والايام لا يأبى السلاطين مارسمه ولا تتجاوز
الاساطين عما رقمه أعجم يعرف اللغات كلها أدهم قد طوى المقامات جلها يقول
حين برز فى نادى البيان عند الامتحان يكرم المرء أو يهان صوفى قطع المنازل وبلغ
الغايات ورجع القهقرى لتصحيح البدايات ان لم يقطع لسانه لم يفصح بيانه وان لم
يشق رأسه لم ينطق لسانه عربى واسطى أصله هندى زنجى نسله طوطى أسود
المنقار كأن منقاره من قار ذو ذؤابة يعلم من مسيره طول حلول الآجال ويفهم من
ظهوره انتقال الدولة وتداول الاقبال وتحول الاحوال أحرز قصبات السبق فى مضمار
البيان حتى صار بحيث تشير اليه المهرة فى ذلك الفن بالبنان كأنه عصى موسى وقد

القيت

القيت فاذا هي حية تسعى أبو قلمون يتقلب في الاطوار ويتحول من شعار الى شعار طورا تراه ينظم القوافي والاشعار وتارة تلقاه ينثر لآلئ الحكم والاسرار ساعة تبصره انيس الاعلام ذوي البراعه وكرة تصادفه سمير أهل المجون والخلاعة سحار يأتي بالغرائب مكار يرى الناظرين العجائب كاتب شهيد وحاسب عتيد تجرع مرارة مذاق الكد حتى تضلع من فنون العلوم وتحمل الصبر على استنشاق دخان السراج حتى برع بين الفضلاء ذوي الفهوم لا يزال رطب اللسان في شكر باريه عذب البيان بذكر أياديه محدث تحدث عنه الآثار وتنقل عنه الاخبار في الاقطار بازي يتطى أيدي الصناديد لا يطير من أيديهم ويصيد له اشارة مبهمه وعبارة مفهمه انقطع عن عترته لنيل طلبته حتى بلغ مبلغ الرجال ونال من الشرف ما نال فحق أن ينشد فيه قول من قال

ورث النجابة كابرا عن كابر * كالرمح أنبوبا على أنبوب

حكيم تنطوي اشاراته على تلويحات الى قانون الشفاء وتحتوي تعليقاته على تنبيهات المناهج النجاة عن درك الجهل والشقاء له مواقف يحقق فيها مقاصد الكلام وعوارف معارف يكشف بها عن وجوه الفرائد اللثام يقرض ذات الشمال وهو من أهل اليمين ويصدق في اكثر الاقوال ولكنه قد يمين لا تنتظم مصالح الانام الا بحسن مساعيه ولا تنضبط حوادث الايام الا بيمن مراعيه أجوف وهو مصدر المثال مهموز سالم من الاعتلال لفيف مفروق من اخوانه خفيف ناقص من أوزانه أصل واحد تصدر عنه الامثلة لمعان مقصودة لا تحصل إلا به نصل شاهد لا ينصاب غرض المطالب إلا بنابه نموم يسعى في هتك الاستار غشوم تعود كشف الاسرار تقي لا يزال مولعا بافتضاض أبكار بنات الافكار خضر خاض الظلمات حتى ارتوى من ماء الحيات مستوف قد أحاط بأبواب حواصل الاقاليم دخلا وخرجا وزير قد نظم غوامض أمور الممالك هرجا ومرجا مشير ذوي النهى في النوائب ومؤنسهم ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم رشيق القد أسيل الخد أليف الكد طويل المد قد جاوزت شمائله حد العد ألف ممدود لا يمنع الصرف سالك مرتاض لكنه يعبد الباري على حرف نعم بشعار آل العباس وأقام مراسم النجدة والباس فقال يا أيها الناس

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني

أجوف لا يحفظ السر في قلبه لا فرق في لغة العجم بين اسمه وقلبه له أسماء في لغة العرب تغاليها كلها مستعملة وذلك من خصاله التي قلما يتفق فيها شريك له آلة تعصم مراعتها الذهن عن الخطأ والنسيان ينوب عن اللسان في البيان وعن السنان المحدد بالسنان اذا رقي البنان فهو ملك لكنه يستكتب فاذا أدى نجوم الكتابة خلى سبيله أين يذهب نسخ محقق توقيعاته على الرقاع ادراج الياقوت قد أقر بريحان قامته عيون ابن مقلة وياقوت شكله اسطواني وهو مخروط شاب مترعرع لكنه مخطوط يحبه الناس ويراودونه لكن اذا ظهر الشعر على عذاره طووا الكشح دونه مسافر يسفر عن أخبار المشارق والمغارب عارف محيط بجميع الاذواق والمشارب لسانه نضناض وبيانه فضفاض وحكمه ماض في السواد والبياض يقضي فيهما ماهو قاض جارية تجري في البحر باذن الباري فتأتي بدر رمعان كأنها غرر الدراري ولقد أحسن من قال فيه ملغزا ولبعض أوصافه الغريبة مبرزا *

وما غلام راكع ساجد * أخو نحول دمعه جار

ملازم الخمس لاوقاتها * معتكف في خدمة الباري

كأنه وهو في يد السلطان ابن السلطان أبي المظفر يعقوب خان قصب السكر وقد نبت على ساحل عمان عم الورى نائله وآوى السائلين ساحله كلا ان نوال البحر الى فيض كفه نزرا يس له قدر كيف لا وله مد لا يعقبه جزر

فلن أشبهه بالبحران له * مدا بعاقبه جزر بارجاء

أو هو والحالة هذه خط تخيل في نواظر الاوهام من قطرة نازلة من غمام وأي غمام يدر بدر نواله على عواطف الانام من الخواص والعوام وتغمر منحه الجسام رياض آمال الافاضل الاعلام بكل مقام أين جود الغمام من جوده العميم أم أين مدراره من مدرار كرمه الجسيم

مانوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير وقت سخاء

فنوال الامير بدرة مال * ونوال الغمام قطرة ماء

اللهم خلد نفاذ أرقام أقلامه على صفحات الاقاليم مادام القلم الاعلى ونفذ مراد أعوان دولته بامتداد زمان صولته مادامت نقوش الانفاس في صحائف القراطيس تتلى وماآثر السلاطين الكبار على صفحات الاوراق تروى بحق من نسخ الكتب السالفة

السالفة ولم يركب بنانه قلم وهدى الحائرين الى أقوم لقم بعدما وقب غواسق الظلم انتهت

(السهولة) هذا النوع ربما تخيل مخيل الاستغناء عنه بالانسجام وبينهما بعد فالانسجام عبارة عن سلاسة اللفظ بحيث لا يتعثر اللسان عند النطق به سواء كان غريبا أو أهليا وكان معناه خفيا أو جليا واما السهولة فهي عبارة عن كون الالفاظ أهلية أو قريبة منها جلية المعانى سهلة المتناول على الخاصة والعامة تطمع المفحم فى أن يحاكيها وتقعد بالماهر وقد أخذه الطرب عن أن يعانى أن يضاهيها واذا كانت فى كلام فهو المعنى باسم السهل الممتنع فمن أمثلته قول عربى

أليس وعدتنى يا قلب انى * اذا ما تبت عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى * فمالك كلما ذكرت تذوب

وللحكم بن عمرو الشارى

ويلى على من أطار النوم وامتنعا * وزاد قلبى على أوجاعه وجعا
كأنما الشمس من أعطافه لمعت * حسنا أو البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذى تهوى وان كثرت * منه الذنوب ومعذور بما صنعا
فى وجهه شافع يمحو إساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

ومن بدائه أبى الفتح ابن الاستاذ ابن العميد وقد جرى فى مجلس أبيه انشاد أبيات استحسنوا وزنها وطرزها أولها

لئن كففت وإلا * شققت منك ثيابى

وأبو الفتح مع غ اليهم وهو فى حداثة سنه قوله

يا مولعا بعذابى * أما رحمت شبابى
تركت قلبى جريحا * نهب الاسى واكتئابى
ان كنت تنكر ما بى * من لوعتى واكتئابى
فارفع قليلا قليلا * عن العظام ثيابى

ولابى الفرج المعروف بالواوا الدمشقى

بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بى وقولا فى حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان بدا لكما من سيدى غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وان تدم قولا فى ملاطفة * ماضر لو بوصال منك تسعفه

ولمؤيد الدولة اسامة بن مرشد

شكا ألم الفراق الناس قبلى * وروع بالنوى حى وميت
وأما مثل ما ضمت ضلوعى * فانى ما سمعت ولا رأيت

وهذا النوع يتفق للشعراء اتفاقا ولا يكون شعر شاعر كله على هذا النمط خلا الصاحب بهاء الدين زهير المصرى فانه قد انقاد له هذا النوع انقيادا فى سائر شعره كانك عند استماعه فى محادثة انسان ظريف من لطفاء المصريين وهو وان كان ديوانه مشهورا فى الايدى لا أحب ان أخلى الكتاب من تحليته ببعض فرائده فمن نسيم شعره قوله

ومدام من رضاب * بحباب من ثنايا
كان ما كان ومنه * بعد فى النفس بقايا

ومنه

ان أمرى لعجيب * ما يرى أعجب منه
كل أرض لى فيها * غائب أسأل عنه

ومنه

شوقى اليك شديد * كما علمت وأزيد
وكيف تنكر شيئا * به ضميرك يشهد

ومنه

أوحشتنى والله يا مالكى * قطعت يومى كله لم أرك
هذا جفاء منك ما اعتدته * فليتنى أعرف من غيرك

ومنه

سيدى قلبى عندك * سيدى أوحشت عبدك
* أترى تذكر عهدى * مثل ما أذكر عهدك
أترى تحفظ ودى * مثل ما أحفظ ودك
قم بنا ان شئت عندى * مسرعا أوشئت عندك
أنا فى دارى وحدى * فتفضل أنت وحدك

ومنه

هذا كتاب محب * قد زاد فيك غرامه
أضناه فرط اشتياق * فرق حتى كلامه
أما ترى كيف أضحى * مثل النسيم سلامه

ومنه

كأنى والمدام فى فمه * قد نفحت من حباب مبسمه
وماس كالغصن فى تمايله * سكران يشتط فى تحكمه
بالله يا برق هل تحدثه * عن نار وجدى وعن تضرمه

وهل

وهل نسيم سري يبلغه * رسالة من فمي الى فمه
عجبت من بخله على وما * يذكره الناس من تكرمه
هم علموه فصار يهجرني * رب خذ الحق من معلمه

ومنه
كتبت اليك أشكو في كتابي * أمورا من فراقك اشتكيها
وفي سوق الهوان عرضت نفسي * رخيصا لم أجد من يشتريها
فهل وعد الى سنة فان لم * يكن فيها يكن فيما يليها
وقد أنهيت من شوقي فصولا * لمولانا علو الرأي فيها

ومنه
ملكتموني رخيصا * فانحط قدري لديكم
فأغلق الله بابا * دخلت منه اليكم
حتى ولا كيف أنتم * ولا السلام عليكم

ومنه
أنا أدري بأنني * قل قدري لديكم
فالى كم تطلعي * والتفاتي اليكم
كان ما كان بيننا * وسلام عليكم

ومنه
* اما تقررأنا * فلم تأخرت عنا
وما الذي كان حتى * حلت ما قد عقدنا
ولم يكن لك عذر * ولو يكون علمنا
* فلا تلمنا فانا * قلنا وقلنا وقلنا

ومنه
قال ما ترجع عني قلت لا * قال ما تطلب مني قلت شي
فانثني يحمر مني خجلا * وثناه التيه عني لا الي
كدت بين الناس ان ألثمه * آه لو أفعل ما كان علي

ومنه
قالوا كبرت عن الصبا * وقطعت تلك الناحية
فدع الصبا لرجاله * واخلع ثياب العاريه
ونعم كبرت وانما * تلك الشمائل باقيه
ويميلني نحو الصبا * قلب رقيق الحاشية
فيه من الطرب القد * يم بقية في الزاوية

ومنه
* من لي بقلب اشتري * ه من القلوب القاسية

واليك يا ملك الملا * ح وقفت أشكو حاليه
انى لا اطلب حاجة * ليست عليك بخافيه
* أنعم على بقبلة * هبة والا عاريه *
وأعيدها لك لا عدمت بعينها وكما هيه
* واذا أردت زيادة * خذها ونفسى راضيه

وله
ان شكا القلب هجركم * مهد الحب عذركم
* لو أمرتم بما عسى * ما تعديت أمركم
قصروا عمر ذا الجفا * طول الله عمركم
شرفونى بزورة * شرف الله قدركم
كنت أرجو بأنكم * شهركم ود هركم
قد نسيتم وانما * انا لم أنس ذكركم *
* لو رأيتم محلكم * من فؤادى نسركم *
* لو وصلتم محبكم * ما الذى كان ضركم

ومنه
تعيش أنت وتبقى * أنا الذى مت عشقا
حاشاك يا نور عينى * تلقى الذى أنا ألقى
ولم أجد بين موتى * وبين هجرك فرقا
يا أنعم الناس بالا * الى متى فيك أشقى
سمعت عنك حديثا * يا رب لا كان صدقا
وما عهدتك إلا * من اكرم الناس خلقا
لك الحياة فانى * أموت لا شك حقا
يا ألف مولاى مهلا * يا ألف مولاى رفقا
قد كان ما كان منى * والله خير وأبقى

(الادماج) هو أن يكون آخذا في معنى فيستتبع منه بمعنى آخر من غير اشعار بالقصد
كقول أبي الطيب في استطالة الليل

أقلب فيه أجفانى كأنى * أعد بها على الدهر الذنوبا

فانه ادمج فيها الشكوى من الدهر وكقول الصاحب ابن عباد من ادماج الفخر في مدح
أبي محمد بهذه القصيدة النفيسة

من لقلب يهيم فى كل وادى * وقتيل للحب من غير وادى
انما اذكر الغوانى والمقصد سعدى مكثرا للسواد
واذا ما صدقت فهى مرامى * ومرادى وروضتى ومرادى
وندى ابن العميد انى عميد * من هواها أليّة الامجاد
لو درى الدهر انه من بنيه * لازدرى قدر سائر الاولاد
ورأى الناس كيف يهتز للجود * دما عدوه فى الاطواد
أيها الآملون حطوا سريعا * برفيع العماد وارى الزناد
فهو ان جاد ذم حاتم طى * وهو ان قال قل قس اياد
واذا ما رناثى فابن زياد * من دهاه وابن آل زياد
أقبل العيد يستعير حلاه * من علاه العزيزة الانداد
سيضحى فيه بن لا يواليه * ويبقى بقيه الاعياد
ومديحى ان لم يكن طال ابيا * تافقد طال فى مجال الجياد
ان خير المداح من مدحته * شعراء البلاد فى كل ناد

ألم فى هذا البيت الاخير وفيه الشاهد بقول يزيد بن محمد المهلبى

ان اكن مهديا لك الشعر انى * لابن بيت تهدى له الاشعار

(حسن البيان) هو كون العبارة وافية بمقصودها واستعارة بتأويل وارادة مجردة عن كل ما ليس له دخل فى خلاصة المقصود ويكفيك شاهد لذلك قول عرابة الاوسى وقد قال له معاوية رضى الله عنه بم استحقيت قول الشماخ فيك

رأيت عرابة الاوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

وبم سدت قومك قال والله ما انا بأكرمهم حسبا ولا بأفضلهم نسبا ولكن اعرض عن جاهلهم واسمح لسائلهم فمن عمل مثل عملى فهو مثلى ومن زاد فهو أفضل منى ومن قصر فانى أفضل منه وقول بعض العرب من الشعر

وانى من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكبه
اضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
ومازال منهم حيث كانوا مسوّد * تسير المنايا حيث سارت ركائبه

(العقد والحل) الاوّل نظم المنثور والثانى نثر المنظوم فالاوّل كقوله

ان القلوب لاجناد مجندة * بالاذن من ربها تهوى وتأتلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف * وما تناكر منها فهو مختلف

عقد قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ومنه تعرف انه لا يلزم الاتيان بجميع ألفاظ المعقود وكقول أبى الطيب

الظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

عقد فيه قول حكيم الظلم من طباع النفوس وانما يصدها عنه احدى علتين دينية وهى خوف المعاد أو سياسية وهى خوف القتل وكقول ابى تمام فى التعزية

أتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

عقد قول على رضى الله عنه للاشعث ان تصبر صبر الاحرار والا سلوت سلو البهائم والثانى كقول بعض المغاربة فلما قبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده ويصدق توهمه الذى يعتاده حل فيه قول ابى الطيب

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم

(التشطير) هو أن يسجع كلا من شطرى البيت بسجعتين تخالف الاوليان الثانيتين كقول أبى تمام

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتغب فى الله مرتقب

(براعة المطلب) هو أحد المواضع الاربعة التى سلف انه ينبغى للمتكلم الاعتناء بها والاجتهاد فى تحسينها وذلك بأن يكون الطلب خاليا من الضراعة الا فى الطلب من الله جل وعلا ومن الالحاح واحسن ما استشهد به لهذا النوع قول أبى الطيب

اذا سأل الانسان ايامه الغنى * وكنت على بعد جعلنك موعدا
وقيدت نفسى فى هواك محبة * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

وقوله

وكل امرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

ولا أرى مثل قوله

وفى النفس حاجات وفيك فطانة * سكوتى كلام عندها وخطاب

وما هو أصرح من ذلك أولى أن لا يكون من براعة الطلب وان اوردوه من شواهده

حيث

بحيث كان ينبغي أن يكون الطالب تلميحا واشارة لا تصريحا وعبارة بحسب الطالب ان يعزل الثناء على من يقصده ثم يصف نفسه بالصبر وأنفة الشكوى واحتمال الايام وانه قد وصل الى مؤمل منها وحمى من حوادثها وأمثال ذلك من المعاني مختار له العبارات

(براعة الانتهاء ويقال حسن الختام) وهو عبارة عن كون آخر الكلام نظما كان اونثرا مميزا بالحسن رائع الجودة مشعرا بالانتهاء بحسن السكوت عليه فانه آخر ما يصل الى السمع ويبلغ النفس ويتعلق به الحفظ كقول أبي الطيب

اذا بقيت سالما ابا علي * فالملك لله العلي ثم لي

وتأمل في ذلك خواتم السور الشريفة تجد ها منه في أرفع رتبة وأكمل صفة

(فنا العروض والقافية) العروض هو فن معرفة الموازين التي كانت شعراء العرب تزن بها أشعارها فان الشعر كما عرفت كلام موزون مقفى وتلك الموازين بشهادة الاستقراء ستة عشر وسماها ناقلوها بحورا لكل واحد اسم يخصه الاول الطويل وأجزاؤه ثمانية فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن الثاني المديد واجزاؤه ستة فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن الثالث البسيط واجزاؤه ثمانية مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن الرابع الكامل وأجزاؤه ستة متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن الخامس الوافر وأجزاؤه ستة مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن السادس الرجز وأجزاؤه ستة مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن السابع الهزج وأجزاؤه مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن الثامن الرمل وأجزاؤه فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن التاسع السريع وأجزاؤه مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن العاشر المنسرح وأجزاؤه مستفعلن مفعولات دون تنوين مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن الحادي عشر الخفيف وأجزاؤه فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن الثاني عشر المضارع وأجزاؤه مفاعيل دون تنوين فاع لاتن مفاعيل فاع لاتن الثالث عشر المقتضب وأجزاؤه فاعلات دون تنوين مفتعلن فاعلات مفتعلن الرابع عشر المجتث وأجزاؤه مستفع لن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن الخامس عشر المتقارب وأجزاؤه فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن السادس عشر

المتدارك وأجزاؤه فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن هذا والجزء الاخير من الشطر الاول يسمى عروضا ومن الثانى يسمى ضربا ويسمى الشطر مصراعا ولهذه الاجزاء تجزئة الى مجموعات من أحرف لكل مجموع اسم فالمجموع من متحرك وساكن يسمى سببا خفيفا ومن متحركين يسمى سببا ثقيلا ومن متحركين بعدهما ساكن يسمى وتدا مجموعا ومن متحركين بينهما ساكن يسمى وتدا مفروقا وهذه الاجزاء يدخلها تغييرات تنقسم الى نوعين نوع يسمى زحافا ونوع يسمى علة والزحاف مفرد ومزدوج فالمفرد منه ثمانية الخبن وهو حذف ثانى الجزء ساكنا والاضمار اسكانه متحركا والوقص حذفه متحركا والطى حذف رابعه ساكنا والقبض حذف خامسه ساكنا والعصب اسكانه والعقل حذفه متحركا والكف حذف سابعه ساكنا والمزدوج أربعة الطى مع الخبن خبل وهو مع الاضمار خزل والكف مع الخبن شكل وهو مع العصب نقص والعلل زيادة فزيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع ترفيل وحرف ساكن على ما آخره وتد مجموع تذييل وعلى ما آخره سبب خفيف تسبيغ ونقص فذهاب سبب خفيف حذف وهو مع العصب قطف وحذف ساكن الوتد المجموع واسكان ما قبله قطع وهو مع الحذف بتر وحذف ساكن السبب واسكان متحركه قصر وحذف وتد مجموع حذذ ومفروق صلم واسكان السابع المتحرك وقف وحذفه كسف والعلة اذا أريدت لزمت فى جميع الابيات ومحلها العروض والضرب والزحاف لا يلزم ومحله ثوانى الاسباب (تفصيل القول فى الاوزان) اه ويل لم تستعمل العرب عروضه الا مقبوضة فوجب اتباعهم اذا لم يكن تصريع فقد استعملوها تامة كقول امرئ القيس

الا عم صباحا أيها الطلل البالى * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

وقوله

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان * وربع عفت آياته منذ أزمان

واستعملوا ضربه على ثلاثة أوجه صحيحا ومقبوضا فيصير مفاعلن ومحذوفا فيصير فعولن فالاول كقوله

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخزان

(وتقطيعه) اذ لمر وتد وسبب ألم يخ زن وتد وسببان على ه وتد وسبب حذف ثانيه فالجزء مقبوض اسانه وتد وسببان حذف ثانى أولهما فالجزء مقبوض وهو العروض وسبق لزوم قبضها فلى س على شى إن سواه بخزانى والثانى كقوله

اقيموا

أقيموا بني أمي صدور مطيكم * فاني الى قوم سواكم لأميل

والثالث كقوله

لعمرك ما حسن الوجوه بنافع * اذا كانت الاعراض غير حسان

فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى * فما كل مصقول الحديد يمانى

(المديد) له ثلاث أعاريض وستة أضرب الاولى صحيحة وضربها مثلها وبيته

يالبكر أنشروا لي كليبا * يالبكر أين اين الفرار

الثانية محذوفة وأضربها ثلاثة الاول مقصور وبيته

لا يغرن امرأ عيشه * كل عيش صائر للزوال

الثاني مثلها وبيته

اعلموا أني لكم حافظ * شاهدا ما كنت أو غائبا

الثالث أبتر وبيته

انما الدلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

الثالث محذوفة مخبونة ولها ضربان الاول مثلها وبيته

للفتى عقل يعيش به * حيث تهدي ساقه قدمه

والثاني أبتر وبيته

رب نار بت أرمقها * تقضم الهندي والغارا

(البسيط) له ثلاث أعاريض وستة أضرب الاولى مخبونة ولها ضربان الاول مثلها وبيته

ياحار لا أرمين منكم بداهية * لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

الثاني مقطوع وبيته

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني * جرداء معروقة اللحيين سرحوب

الثانية مجزوءة صحيحة أي سالمة من تغير لا يكون في الحشو واضربها ثلاثة الاول مجزوء مذال وقولهم مجزوءة ومجزوء من تسمية الجزء باسم الكل فان المجزوء اسم للبيت الذي حذف منه عروضه وضربه وبيته

انا ذممنا على ما خيلت * سعد بن زيد وعمرو من تميم

الثاني مثلها وبيته

ماذا وقوفي على ربع عفى * مخلولق دارس مستعجم

الثالث مجزوه مقطوع وبيته

سيروا معا اعماهم مادكم * يوم الثلاثاء ببطن الوادى

الثالثة مجزوءة مقطوعة وضربها مثلها وبيته

ماهيج الشوق من اطلال * أضحت قفارا كوحى الواحى

ويسمى حينئذ مخلعا ومكبولا وقد أكثر المولدون من استعماله ملتزمين خبن عروضه وضربه لخفته اذن كقول بعضهم

يا غصنا في الرياض مالا * عليه بدر السما تلالا

يا راحما بعد ما سبانى * حسبك رب السما تعالى

(الوافر) له عروضان وثلاثة أضرب الاولى مقطوفة وضربها مثلها وبيته

لنا غنم نسوقها غزار * كأن قرون جلتها العصى

الثانية مجزوءة صحيحة ولها ضربان الاول مثلها وبيته

لقد علمت ربيعة ان * ن حبلك واهن خلق

الثاني مجزوء معصوب وبيته

أعاتبها وآمرها * فتغضبنى وتعصينى

(الكامل) له ثلاث أعاريض وتسعة أضرب الاولى تامة واضربها ثلاثة الاول مثلها وبيته

واذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى وتكرمى

الثاني مقطوع وبيته

واذا دعونك عمهن فانه * نسب يزيدك عندهن خبالا

الثالث احذ مضمر وبيته

لمن الديار برامتين فعاقل * درست وغير آيها القطر

الثانية حذاء ولها ضربان الاول مثلها وبيته

دمن عفت ومحا معالمها * هطل أجش وبارح ترب

الثاني أحذ مضمر وبيته

ولأنت أشجع من اسامة اذ * دعيت نزال ولج فى الذعر

الثالثة مجزوءة صحيحة واضربها اربعة الاول مجزوء مرفل وبيته

ولقد سبقتهم والى * ى فلم نزعت وأنت آخر

الثانى مجزوء مذال وبيته

جدث يكون مقامه * أبدا بمختلف الرياح

الثالث مثلها وبيته

واذا افتقرت فلا تكن * متخشعا وتجمل

الرابع مقطوع وبيته

واذا هموا ذكروا الاسا * ءة اكثروا الحسنات

(الهزج) له عروض وضربان الاول مثلها وبيته

عفى من آل ليلى السهـب فالاملاح فالغمر

الثانى محذوف وبيته

وما ظهرى لباغى الضيم بالظهر الذلول

(الرجز) له أربع أعاريض وخمسة أضرب الاولى تامة ولها ضربان الاول مثلها وبيته

دار لسلمى اذ سليمى جارة * قفرى ترى آياتها مثل الزبر

الثانى مقطوع وبيته

القلب منها مستريح سالم * والقلب منى جاهد مجهود

الثانية مجزوءة صحيحة وضربها مثلها وبيته

قد هاج قلبى منزل * من أم عمرو مقفر

الثالثة مشطورة وهى الضرب وبيته

* ماهاج أحزانا وشجوا قد شجا *

والشطر هو حذف البيت ثلاثة أجزاء فيتحد العروض والضرب وعليه اكثر رجز العرب

الرابعة منهوكة وهى الضرب وبيته *(ياليتنى فيها جذع)*

(الرمل) له عروضان وستة أضرب الاولى محذوفة وأضربها ثلاثة الاول تام وبيته

مثل سحق البرد عفى بعدك الـقطر مغناه وتأويب الشمال

الثانى مقصور وبيته

أبلغ النعمان عنى مألكا * انه قد طال حبسى وانتظار

الثالث مثلها وبيته

قالت الخنساء لما جئتها * شاب بعدى رأس هذا واشتهب

الثانية مجزوءة صحيحة وأضربها ثلاثة الاول مجزوء مسبغ وبيته

يا خليلي اربعا واستخبرا ربعا بعسفانْ

الثاني مثلها وبيته

مقفرات دارسات * مثل آيات الزبورْ

الثالث مجزوء محذوف وبيته

ما لما قرت به العـينان من هذا ثمنْ

(السريع) له أربع أعاريض وستة أضرب الاولى مطوية مكسوفة واضربها ثلاثة

الاول مطوي موقوف وبيته

أزمان سلمى لا يرى مثلها الر * راؤون في شام ولا في عراق

الثاني مثلها وبيته

هاج الهوى رسم بذات الغضا * مخلولق مستعجم محول

الثالث أصلم وبيته

قالت ولم تقصد لقيل الخنا * مهلا لقد أبلغت أسماعي

الثانية مخبولة مكسوفة وضربها مثلها وبيته

النشر مسك والوجوه دنا * نير وأطراف الاكف عنم

الثالثة موقوفة مشطورة وضربها مثلها وبيته *(ينزغن في حافاته بالابوال)*

الرابعة مكسوفة مشطورة وضربها مثلها وبيته

* يا صاحبي رحلي أقلا عذلي *

(المنسرح) له ثلاث أعاريض وثلاثة أضرب الاولى صحيحة وضربها مطوي وبيته

ان ابن زيد لا زال مستعملا * للخير يفشي في مصره العرفا

بضم الراء الثانية موقوفة منهوكة وضربها مثلها وبيته *(صبرا بني عبد الدار)*

الثالثة مكسوفة منهوكة وضربها مثلها وبيته *(ويل أم سعد سعدا)*

(الخفيف) ومستفعلن فيه وفي المجتث مفروق الوتد له ثلاث أعاريض وخمسة أضرب

الاولى صحيحة ولها ضربان الاول مثلها وبيته

حل أهلي ما بين درنا فبادو * لى وحلت علوية بالسخال

الثاني محذوف وبيته

ليت

ليت شعرى هل ثم هل آتينهم * أم يحولن من دون ذاك الردى

الثانية محذوفة وضربها مثلها وبيته

ان قدرنا يوما على عامر * ننتصف منه أوندعه لكم

الثالثة مجزوءة صحيحة ولها ضربان الاول مثلها وبيته

ليت شعرى ماذا ترى * أم عمرو فى أمرنا

الثانى مجزوء مخبون مقصور وبيته

كل خطب ان لم تكو * نوا غضبتم يسير

(المضارع) وفاع لاتن فيه مفروق الوتد وبعض العروضيين يوجب كف أوله وثالثه كما فى الشاهد له عروض وضرب وبيته

دعانى الى سعادى * دواعى هوى سعادى

(المقتضب) له عروض وضرب مطويان وبيته

أقبلت فلاح لها * عارضان كالسبج

(المجتث) له عروض وضرب وبيته

البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال

(المتقارب) له عروضان وستة أضرب الاولى صحيحة وأضربها أربعة لاول مثلها وبيته

فأما تميم تميم بن مر * فالفاهم القوم روبى نياما

الثانى مقصور وبيته

ويأوى الى نسوة بائسات * وشعث مراضيع مثل السعال

الثالث محذوف وبيته

وأروى من الشعر شعرا عويصا * ينسى الرواة الذى قد رووا

(الرابع أبتر وبيته

خليلى عوجا على رسم دار * خلت من سليمى ومن ميه

الثالث مجزوءة محذوفة ولها ضربان الاول مثلها وبيته

أمن دمنة اقفرت * لسلمى بذات الغضا

الثانى مجزوء أبتر وبيته

تعفف ولا تبتئس * فما يقض يأتيكا

(المتدارك) له عروضان وأربعة أضرب الاولى تامة وضربها مثلها وبيته

جاءنا عامر سالما صالحا * بعدما كان ما كان من عامر

الثانية مجزوءة صحيحة وأضربها ثلاثة الاول مجزوء مخبون مرفل وبيته

دار سعدى بشحر عمان * قد كساها البلى الملوان

الثاني مجزوء مذال وبيته

هذه دارهم أقفرت * أم زبور محتها الدهور

الثالث مثلها وبيته

قف على دارهم وابكين * بين أطلالها والدمن

والخبن فيه حسن وبيته

كرة طرحت بصوالجة * فتلقفها رجل رجل

والقطع في حشوه جائز وبيته

مالي مال إلا درهم * أو برذوني ذاك الأدهم

وقد اجتمعا وبيته

زمت ابل للبين ضحى * في غور تهامة قد سلكوا

(القافية) هي من آخر البيت الى أول متحرك قبل ساكن بينهما فهي في قوله *(بمجرد قيد الاوابد هيكل) * كلمة هيكل ولكل حرف تشتمل عليه اسم فالحرف الذي تنسب اليه القصيدة كاللام فيقال لامية العرب ولامية العجم والهمزة فيقال همزية فلان يسمى رويا والحرف الذي يعقبه من مد او هاء كيف كانت يسمى وصلا والمد المتصل بهاء الوصل يسمى خروجا والمد قبل الروي يسمى ردفا والالف التي قبل الروي بحرف ان كانت من كلمته أو من غيرها وكان ضميرا أو بعض ضمير يسمى تأسيسا والحرف المتحرك بعد التأسيس يسمى دخيلا وكذا حركاتها فحركة الروي تسمى مجرى وحركة الوصل تسمى نفاذا وحركة ما قبل الردف تسمى حذوا وحركة الدخيل تسمى اشباعا وحركة ما قبل التأسيس رسا وحركة ما قبل الروي المقيد تسمى توجيها والقافية اما مطلقة وهي متحركة الروي واما مقيدة وهي ساكنته والمطلقة اما مجردة أو مردوفة أو مؤسسة موصولة باللين أو الهاء والمقيدة اما مجردة واما مردوفة واما مؤسسة فهذه تسعة أقسام يقال لها أنواع القافية ولفظ القافية ان توالى فيه أربع حركات بين ساكنيها يسمى متكاوسا وان توالى ثلاث يسمى متراكبا وان توالى اثنتان يسمى متداركا وان فصل بينهما حركة

حركة سمي متواترا وان اجتمع الساكن سمي مترادفا وعيوب القافية الايطاء وهو اعادة كلمة الروي لفظا ومعنى والتضمين وهو تعليق البيت بما بعده تعليق تتميم معنى والاقواء وهو اختلاف المجرى بكسر وضم والاصراف وهو اختلاف المجرى بفتح وغيره والاكفاء وهو اختلاف الروي بحروف متقاربة المخارج والاجازة وهو اختلافه بحروف متباعدة والسناد وهو اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات وهو خمسة سناد الردف وهو ردف أحد بيتين دون الآخر وسناد التأسيس وهو تأسيس أحدهما دون الآخر وسناد الاشباع وهو اختلاف حركة الدخيل وسناد الحذو وهو اختلاف حركة ما قبل الردف وسناد التوجيه وهو اختلاف حركة ما قبل الروي المقيد هذا واذا كان يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق فعرفتك هذا القدر من هذين الفنين لتلاحظ وزن ما يرد عليك من الاشعار وتزن ما تريد أن تقول كافية وصرف الزمن للتوسع في غير زوائد هذين الفنين أحسن وهذه قصائد أثبتها في هذا الموضع تعود فيها ذهنك سرعة ملاحظة زنة الاشعار فان من اللازم للمتأدب انه اذا ورد عليه الشعر لم يلبث أن يعرف وزنه ويلاحظه حال القراءة ليساعده على اجادة الانشاد ويعصمه من فوات الخلل عليه قال ابن النبيه من الطويل والقافية من المتواتر مجردة موصولة بالالف

رنا وانثنى كالسيف والصعدة السمرا * فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى
خذوا حذركم من خارجي عذاره * فقد جاء زحفا في كتيبته الخضرا
غلام أراد الله اطفاء فتنة * يعارضه فاستأنفت فتنة أخرى
تكلفني السلوان عنه عواذلي * أما علموا اني بطلعته مغرى
فزرفن بالاصداغ جنة خده * وأرخى عليه من ذوائبه سترا
أغن يناجي شعره حلي خصره * كما يعتب المعشوق عاشقه سرا
وصلت بداجي شعره ليل وصله * فلم أخش صبحا غير غرته الغرا
أخوض عباب الموت من دون ثغره * كذلك يخوض البحر من طلب الدرا
غزال رخيم الدل في يوم سلمه * وليث له في حربه البطشة الكبرى
دري بحمل الكأس في يوم لذة * ولكن بحمل السيف يوم الوغا أدرى
* أهيم به في عقده ونجاده * فلا بد في السراء منه وفي الضرا *
* وصامتة الخلخال أن وشاحها * فهذا قد استغنى وهذا شكى الفقرا
. تلألأ در العقد تيها بجيدها * وساكن ذاك النحر لا يسكن البحرا

لها معصم لولا السوار يصده * اذا حسرت أكمامها لجرى نهرا
دعتني الى السلوان عنه بحبها * وما كنت أرضى بعد ايماني الكفرا
بأي اعتذار أتقي حسن وجهه * اذا خدعتني عنه غانية عذرا
تقول وقد أزرى بها حسن وصفه * لحى الله رب الشعر لو نظم الشعرا
ألم ترني بين السماطين منشدا * كأني على شاه ارمن انثر الدرا
مليك كريم باسل عم عدله * فمن حاتم وابن الوليد ومن كسرى
أبي سخي تحت سطوته الغنى * نخف ونبقى ان في عسره يسرا
هو البحر بل استغفر الله ان في * بنانا بديه للندا أبحرا عشرا
* اذا قام ينميه الخطيب بمنبر * تأود تيها واكتسى ورقا خضرا
لحى الله حوبا لم يكن قلب جيشها * ومجلس عدل لا يكون به صدرا
أطل على اخلاط يوم قدومه * بلجة جيش يملأ السهل والوعرا
وقد برزت في شكة موسوية * فلو أمرت بالزحف ماخالفت أمرا
تلقاه من بعد المسافة أهلها * فذ رافع كفا وذا ساجد شكرا
فشككت أن الناس قد حشروا ضحى * ام الناس يستسقون ربهم القطرا
تسير ملوك الارض تحت ركابه * وأعناقهم من هول هيبته صعرا
اذا انفرجت عنه بروق سيوفهم * رأيت النجوم الزهر قد قارنت بدرا
* فلله يوم عم بالنفس بشره * وسارت الى أرض العراق به البشرى
* تهن أمير المؤمنين بمثله * نصيرا يسد الثغر أو يفتح الثغرا
حسام اذا هزته يمناك هزة * ترقرق ماء والتظى حده جمرا
طراز على كم الخلافة مذهب * وجوهرة في تاجها تكسف البدرا
أبا الفتح شكرا الاختصاص صنيعة * فحسبك في الدنيا جلالا وفي الاخرى

وقال من البسيط والقافية من المتراكب

الله أكبر ليس الحسن في العرب * كم تحت لمة ذا التركي من عجب
صبح الجبين بليل الشعر منعقد * والخد يجمع بين الماء واللهب
تنفست عن عبير الراح ريقته * وافتر مبسمه الشهدي عن حبب
لا في العذيب ولا في بارق غزلي * بل في لمى فمه أو ثغره الشنب
نعم اذا ما الدجى ولى تنفس عن * ريح من الراح أو ضرب من الضرب

كأنه

كأنه حين يرمى عن حنيته * بدر رمى عن هلال الافق بالشهب
يا جاذب القوس تقريبا لوجنته * والهائم الصب منها غير مقترب
أليس من نكد الايام يحرمها * فى ويلقها سهم من الخشب
لدن المعاطف قاسى القلب مبتسم * لا عن رضى معرض عنى بلا غضب
فكم له فى اختلاق الذنب من سبب * وليس لى فى قيام العذر من سبب
تميل أعطافه تيها بجاجات * كما تميل رماح الخط بالعذب
أشار نحوى وجنح الليل معتكر * بمعصم من شعاع الكأس مختضب
بكر جلاها أبوها قبل ما جليت * فى حجرة الدن أوفى قشرة العنب
حمراء تفعل بالالباب ما فعلت * سيوف شاه ارمن فى عسكر لجب
ملك يفرق يوم السلم ما جمعت * يمناه فى الحرب باقندية القضب
ثبت تحف جماهير الجيوش به * كأن أفلاكها دارت على القطب
دم العدى وصليل المرهفات له * أحلى وأطيب من كأس على طرب
فى غيرموسى أحاديث الندا اختلفت * وهو الكريم بلاشك ولا ريب
الاشرف الواهب الآلاف مبتسما * وذاك تعجز عنه عصبة السحب
صحت له كيمياء المجد اذ سبكت * يمناه للبذل اكسيرا من الذهب
* لا تعجبن لاموال يفرقها * على العفاة بقاها أعظم العجب
الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب
نفس لآبائها من نفسها شرف * كذا الثمار لها فضل على الخشب
* عليه نور الهى أشعته * تغنيه عن كثرة الحجاب والحجب
مت يا حسود انتظارا ان مولده * قد كان فى برج سعد غير منقلب
وقف على جوزهر الرأس عاشره * وبيت أعدائه وقف على الذنب
يا كوكبا أسعد الايام طالعه * وهو الوباء لاهل الشرك والصلب
لا خيب الله فى ذا العيد عودة من * رجاؤه فى ندا كفيك لم يخب

وقال من الكامل والقافية من المتدارك

أفديه ان حفظ الهوى أوضيعا * ملك الفؤاد فما عسى ان أصنعا
من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه * حلوا فقد جهل المحبة وادعى
يا أيها الوجه الجميل تدارك الـ * صبر الجميل فقد عفا وتضعضعا

هل في فؤادك رحمة لمتيم * ضمت جوانحه فؤادا موجعا
هل من سبيل ان أبث صبابتي * أو أشتكي بلواي أو أتوجعا
اني لاستحي كما عودتني * بسوى رضاك اليك ان أتشفعا
ياعين عذرك في حبيبك واضح * سحي له رقته دما أو أدمعا
الله أبدى البدر من أزراره * والشمس من قسمات موسى أطلعا
الاشرف الملك الذي ساد الورى * كهلا ومكتمل الشباب ومرضعا
ردت به شمس السماح على الورى * فاستبشروا ورأوا موسى يوشعا
سهل اذا لمس الصفا سال الندا * صعب اذا لحظ الاصم تصدعا
دان ولكن من سؤال عفاته * سام على سمك السماء ترفعا
يابرق هذا منك أصدق شيمة * ياغيث هذا منك أحسن موقعا
ياروض هذا منك أبهج منظرا * يابحر هذا منك أعذب مشرعا
ياسهم هذا منك أصوب مقصدا * ياسيف هذا منك أسرع مقطعا
ياصبح هذا منك أسفر غرة * يانجم هذا منك أهدى مطلعا
جلت أنامله السيوف فلم تزل * شكرا لذلك سجدا أو ركعا
حلت فلا برحت مكانا لم يزل * من در أفواه الملوك مرصعا
أمظفر الدين استمع قولي وقل * لعثار عبد أنت مالكه لعا
أيضيق بي حرم اصطناعك بعدما * قد كان منفرجا على موسعا
هذا وقد طرزت باسمك مدحة * لاترتضي شنف الثريا مسمعا
عذراء ماقصد الزمان بربها * الا وقام بها خطيبا مصقعا
وعلى كلا الحالين انى شاكر * داع لان الله يسمع من دعا

وقال من الرجز والقافية من المتدارك

وحق من بدل نومي بالسهر * وعذب القلب بأنواع الفكر
وأسقم الجسم بسقم جفنه * وأسهر الطرف وللقلب أسر
ماحلت ذاك الوجه لما أن بدا * في جنح ليل شعره الاقمر
وهو فما ظن دموع مقلتي * لما جرى من فيضها الامطر
أحور والفتور حشو طرفه * ياحبذا ذاك الفتور والحور
مر بنا يخطر في مشيته * والقلب من خطرته على خطر

هزلنا من قده رمحا ومن * الحاظه بانا ذلى سيفا شهر
مخالف ان قلت دع زيارتى * زار وان قلت له صلنى هجر
والله ما غدرته الاوفى * ولا وفيت عهده الاغدر

وقال من السريع والقافية من المتدارك

يانار أشواقى لا تخمدى * لعل ضيف الطيف أن يهتدى
حسبته ماء فصادفته * لمع سراب ليس يروى الصدى
تكلفت عينى له هجعة * كنغبة الطائر فى المورد
صورفى مرآتها صورة * تجل عن لمس فم أويد
ان نعت فى الليل روحى به * فسوف يشقى جسدى فى غد
الصد والهجران قد جعا * بالله قل لى فمن اقتدى
أشكو الى الله ملولا اذا * قلت انتهى فى هجره يبتدى
البدر فى مكسر سربوشه * حف بليل الشعر الاسود
وبان فى قرطقه جدول * لكن له قلب من الجلمد
كأنما هميانه برزخ * يمنع موج الردف أن يعتدى
خازانا من نرجس ذابل * وافتر عن نور اقاح ندى
وقام يلوى عطفه قائلا * لا تغترر بى فكذا موعدى
فقلت يا لله مات الوفا * فقال موسى لم يمت خذ يدى
الملك الاشرف شاه ارمن * رب المعالى والندا والندى
ملك له الفضل على تبع * والفضل لا يكسب بالمولد
لولم تر الاملاك فى وجهه * غرته الغراء لم تسجد
الطاعن النجلاء مكحولة * ناب لها النقع عن الاثمد
والضارب الفوهاء مفترة * عن صارم كالمبسم الادرد
يصدى اذا ارواه ماء الطلى * وأعجب الاشياء رى الصدى
تقول للفرسان أسيافه * بنا كفيت الطعن لا ترعد
نحن بسد الثغر اوفتحه * ادرى وقد قمنا به فاقعد
سله تجد أفتى جميع الورى * فليهتد السائل اويجتدى
يزرى على فيح عبوس الحيا * حياؤه الطلق الجميل الندى

يا مالك الارض وان كان فى * حصونه يا مالك الفرقد
ملأتها بالخيل والرجل والـــبيض المواضى والقنا الاملد
تكاد أن تزحف يوم الوغى * الى العدى من أفقها الابعد
لبست منها تاج ملك على * كسرى أنوشروان لم يعقد
وقال من المنسرح والقافية من المتراكب
يا بارقا اذكر الحشى شجنه * منزلنا بالعقيق من سكنه
امرتع اللهو يانع خضر * أم غير الدهر بعد نادمنه
يا برق هذا جسمى يذوب ضنا * ومهجتى بالعقيق مرتهنه
يا برق أشكو عساك تخبرهم * وكل من هام يشتكى شجنه
بلغ حديث الحمى وساكنه * لمغرم أنحل الهوى بدنه
اسمعه ذكر الحبيب مقتربا * فقد أصمت عذا له اذنه
هم آنسوه لكن بوحشتهم * ونفروا عن جفونه وسنه
أشقى المحبين عادم وطرا * فكيف ان كان عادما وطنه
سقيا لايامنا التى سلفت * كانت بطيب الوصال مقترنه
لو بيع يوم منها وكيف به * كنت بعمرى مسترخصا ثمنه
اليك يا عاذلى فلست أنا * اول صب جنا لهم فتنه
فكم لنفسى على سيئة * وكم لموسى على من حسنه
مجازف فى عطاء آمله * محرر الرأى عند من وزنه
للاجر والشكر خازن أبدا * ولم يصن ماله ولا خزنه *
مؤيد الرأى من ينافسه * تحت حضيض الخمول قد دفنه
لولم تفيض للجود راحته * لم نعترف فرضه ولا سننه
له بنان تهدى لنا منحا * ومن يعاديه يشتكى محنه
وقال من الخفيف والقافية من المتواتر
قت ليل الصدود الا قليلا * ثم رتلت ذكركم ترتيلا
ووصلت السهاد أقبح وصل * وهجرت الرقاد هجرا جميلا
مسمعى كل عن كلام عذول * حين ألقى عليه قولا ثقيلا
وفؤاد قد كان بين ضلوعى * أخذته الاحباب أخذا وبيلا

قل لراقى الجفون ان لعينى * فى بحار الدموع سبحا طويلا
ماس عجبا كانه ما رأى غصـ * ـن نار طيبا ولا كثيبا مهيلا
وجى عن محبه كأس ثغر * حين أضحى مزاجها زنجبيلا
بان عنى فصحت فى أثر العيـ * ـس ارحمونى ومهلوهم قليلا
أنا عبد للفاضل بن على * قد تبتلت بالثنا تبتيلا
لا تسمه وعدا بغير نوال * انه كان وعده مفعولا
واذا كان خصمك الدهر والحكم الى الله فاتخذه وكيلا
راع أعداءه بصفر اليراعا * ت فأنسى صريرهن الصليلا
ان مدحى له أشد وطاء * وقريضى أقوى وأقوم قيلا
فاستمع لفظه ولذ بحماه * تلق قولا جزلا ونيلا جزيلا
جل عن سائر الخلائق فضلا * فاخترعنا فى مدحه التنزيلا
لا أذم الزمان اذ أنت فيه * يا سحاب الندا لرزقى كفيلا
لى ديون على علاك وهذا * وقت يسر فوف واصنع جميلا
أغنى رزق المقيم على الشـ * ـه وان رمت رحلة ونزولا

وقال الحسن بن هانئ الحكمى ابو نواس من المديد والقافية من المتراكب

أيها المنتاب من عفره * لست من ليلى ولا سمره
لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المر من ثمره
فاتصل ان كنت متصلا * بقوى من أنت من وطره
خفت مأثور الحديث غدا * وغدا دان لمنتظره *
خاب من أسرى الى بلد * غير معلوم مدا سفره
وسدتنى ثنى ساعده * سنة حلت الى شفره
* فامض لا تمنن على يدا * منك المعروف من كدره
* رب فتيان ربأتهم * مسقط العيوق فى سحره
فاتقوا بى ما يريبهم * ان تقوى الشر من حذره
وابن عم لا يكاشفنا * قد لبسناه على غمره
كمن الشنآن فيه لنا * ككمون النار فى حجره
ورضاب بت أرشفه * ينقع الظمآن من خصره

فلنبه خوط أمحلة * لان ثنياه لمهتصره *
* ذا ومغبر مخارمه * تحصر الابصار عن قطره
لا ترى عين البصير به * ماخلا الآجال من نفره
خاض بي لجيه ذو جزر * يفعم الفضلين من ضفره
يكتسى عثنونه زبدا * فنصيلاه الى نحره *
* ثم يعتم الحباج به * كاعتمام الفوف فى عشره
ثم تذروه الرياح كما * طار قطن الندف عن وتره
* كل حاجاتى تناولها * وهو لم ينقض قوى أشره
* ثم أدنانى الى ملك * يأمن الجانى لدى حجره
تأخذ الايدى مظالمها * ثم تستذرى الى عصره
كيف لا يدنيك من أمل * من رسول الله من نفره
فاسل عن نوء تؤمله * حسبك العباس من مطره
* ملك قل الشبيه له * لم تقع عين على خطره
لا تغطى عنه مكرمة * بربا واد ولا خمره *
ذللت تلك الفجاج له * فهو مختار على بصره
سبق التفريط رائده * وكفاه العين من أثره
* واذا مج القنا علقا * وتراأى الموت فى صوره *
* راح فى ثنيى مفاضته * أسدا يدمى شبا ظفره
* تتأبا الطير غدوته * ثقة بالشبع من جزره
وترى السادات ماثلة * لسليل الشمس من قمره
فهم شتى ظنونهم * حذر المظنون من فكره
وكريم الخال من يمن * وكريم الجد من مضره *
قد لبست الدهر لبس فتى * أخذ الآداب عن غيره

وقال كمال الدين ابن النبيه من الرمل والقافية من المتراكب

ان عينا منكم وقد ظمئت * قد سقاها الدمع حتى رويت
آه من وجد جديد لم يزل * وعظام ناحلات بليت
أنا والاظعان من شوق معا * نحوكم اعناقنا قد لويت

انتهى

أنتم الانجم مذ غبتمو * بسوى أنواركم ما هديت
ساكنى الفسطاط لو أبصرتكم * جليت مرآة عين صديت
ان اعاد الله شملى بكمو * سعدت آمال نفس شقيت
ان ارضا أنتمو سكانها * غنيت عن أن تقولوا سقيت
فوجوه كرياض أزهرت * ورياض كوجوه جليت
بأبى منكم غزال مهجتى * بظبى ألحاظه قد غزيت
ساحر الالحاظ الوى وعده * فهو كالاصداغ لما لويت
بلغيه يا نسيم الريح عن * مهجة المشتاق ماذا لقيت
ان أسرار الهوى ما نشرت * وأحاديث الضنى ما طويت
ولقد كان لنفسى جلد * وأراها اليوم فيه دهيت
لى عذر فى النوى عن أرضكم * فسقتها أدمعى ان رضيت
انما منبج موسى جنة * عندها أوطاننا قد نسيت
ملك مذ جردت هيبته * اغمد الاسياف حتى صديت
هو فى الهيجاء نار تلتظى * وهو فى السلم جنان جنيت
لا يبالى ان خلت اكياسه * وله الارض بشكر مليت
خذ أحاديث علاه انها * بأسانيد مديحى رويت
قام بالدنيا وبالاخرى معا * فهى ضرات به قد رضيت
حسن الظاهر للناس ولله منه حسنات خفيت
يخضع الجبار من هيبته * والرعايا فى حماه حميت
يا مليك الدين والدنيا ويا * صفوة المجد التى قد بقيت
ويح اعدائك بل ويل لهم * معشر أبصارهم قد عميت
كل يوم لك فى اكبادهم * بمعاليك جراح دميت *

وقال من الوافر

أمانا أيها القمر المطل * فمن جفنيك أسياف تسل
يزيد جمال وجهك كل يوم * ولى جسد يذوب ويضمحل
وما عرف السقام طريق جسمى * ولكن دل من أهوى يدل
يميل بطرفيه التركى عنى * صدقتم ان ضيق العين بخل

اذا نشرت ذوائبه عليه * ترى ماء يرف عليه ظل
وقد يهدى صباح الخد قوما * بليل الشعر قد تاهوا وضلوا
أيا ملك القلوب فتكت فيها * وفتكك فى الرعية لا يحل
قليل الوصل ينفعها فان لم * يصبها وابل منه فطل
أدر كأس المدام على الندامى * فمن خديك لى راح ونقل
فسيرانى بغيرك ليس تطفا * واحزانى بغيرك لا تبل *
بمنظرك البديع تدل تيها * ولى ملك بدولته أدل *
أبو الفتح الكريم الطلق موسى * فتى يعطى الجزيل ويستقل
به أضحت فجاج الارض خصبا * فما للمحل فى بلد محل *
أغر على سرير الملك منه * سليمان وأهل الارض نمل
وعلا غيره كيسا فكيسا * وملء زمانه كرم وعدل *
وقالوا احفظ هذا المال عقل * فقلت نعم وبعض العقل جهل
فليس يذمه الامطايا * الى أبوابه تطوى وسبل *
تملكه البلاد قنا وجود * وبتر من يطاولها بذل
اذا انبثت عساكره اتساعا * تضايق دونها حزن وسهل
بوارقها لعين الافق داء * وعثيرها لعين الشمس كحل
لمولانا الخليفة فيه راى * حديد لا يفل ولا يقل
تأمل فى الكنانة منه سهما * سديدا لا يطيش ولا يزل
فهيأه وأرسله اختصاصا * ورواه الحديث وذاك فضل
فدامت هذه النعمى عليه * ودام فانه للخير أهل *

وقال من المتقارب

دع النوح خلف حدوج الركائب * وسل فؤادك عن كل ذاهب
بيض السوالف حمر المرا * شف صفر الترائب سود الذوائب
فما العيش الا اذا ما انظمت * بثغر الحباب ثنايا الحبائب
أحاشيك من وقفة بالطلول * تبل الصدا بصداها المجاوب
تكلف صم الحجار الكلام * وكم فى جنون الهوى من عجائب

ولو

ولو كنت تشكو الهوى صادقا * لما علتك الا طلى الكواذب
تأمل كؤس عتيق الرحيق * ترى الماء يحمد والجمر ذائب
لما في الزجاجة رقص الشباب * ومفرقها أشمط اللون شائب
وترعد غيظا اذا ابرزت * من الدن كالمحصنات الكواعب
كأن الحباب على رأسها * جواهر قد كللت فى عصائب
محرمها صح عند المجو * س أن السجود الى النار واجب
شهدنا ومطربنا خاطب * زواج ابنة الكرم بابن السحائب
فمن قطرات الرذاذ النثار * ومن وشى زهر الربيع المراتب
رياض كخضرة جو السماء * وأزهارها مثل زهر الكواكب
فللوحش سرب بقيعانها * وللطير فى جوها سطر كاتب
برزنا الى اللهو فى حلبة * حسان الوجوه خفاف المراكب
بنادقهم فى عيون القسى * كأحداقهم فى قسى الحواجب
فتلك لها طائر فى السماء * وهذى لها طائر القلب واجب
وحلت سوابق شهب خواط * ف يجن المنا سرحو المخالب
بزاة لها حدق الأقحوان * وأظفارها كحماة العقارب
فللأفق نسران ذا واقع * وذا طائر حذر الموت هارب
وأطلق كلابنا ضاريا * يبارى هبوب الصبا والجنائب
تطير به أربع كالرياح * ويفتر عن مرهفات قواضب
ويضرب فى ليل جلبابه * شعاع شهاب من العين ثاقب
وعدنا نجر ذيول السرو * ر والطير والوحش ملء الحقائب
كما ابتهجت من سرور خلاط * وقد جاء موسى بجر المواكب
مليك اذا سار بين السيوف * ترى البدر بين اشتباك الكواكب
وتزأر من تحت ذاك الركاب * أسود لها من ظباها مخالب
فتلك اللهاذم زهر النجوم * ومعتكر النقع جنح الغياهب
بدا فهوت فى التراب الثغور * كما انتظم الدر فوق الترائب
ينادونه باختلاف اللغات * كتلبية الحج من كل جانب
يخيفهم بأس برق الحديد * ويطمعهم صيب المواهب

تؤم الجوارح أعلامه * تروح بطانا وتغدو سواغب
كأن الصناجق أوكارها * فكم عصبة تحت تلك العصائب
أيا ملك الارض حقا اليك * مآل مشارقها والمغارب
ستفتح قسطينة عنوة * وما كان للروم منها يقارب
كأنى بأبراجها قدهوت * وصفر المجانيق فيها ضوارب
وقد زحف البرج زحف العروس * الهاجر ذيول الكتائب
وما لبسه غير نسج الحديد * وما حليه غير بيض القواضب
وأضرمت النار حشو النقوب * وثار الدخان كجنح الغياهب
وليس الكهانة من شيمتى * ولكن حزبك بالله غالب
لك الله من قائل قاتل * يقاتل بالكتب قبل الكتائب
فما مجلس العدل يوم القضاء * بأولى به من سروج السلاهب

وقال زهير من المجتث

مولاى كن لى وحدى * فاننى لك وحدك
وكن بقلبك عندى * فان كلى عندك
لى فيك قصد جميل * لاخيب الله قصدك
حاشاك تؤثر بعدى * ولست أوثر بعدك
ان تنس عهدى فانى * والله لم أنس عهدك
أضعت ود محب * مازال يحفظ ودك
مالى عليك اعتراض * اذب كما شئت عبدك
مولاى ان غبت عنى * واسوء حالى بعدك

وأوزان هذه القصائد على تفاوتها فى كثرة الاستعمال هى الاكثر استعمالا وبقيتها قليل تقرأ الديوان الكبير فلا تجد منها بيتا هذا ولم يزل الناس مقتصرين على الاوزان العربية حتى مضى صدر من الاسلام ثم تكلم الناس بعد بكلام موزون معرب وملحون موافق للاوزان العربية وغير موافق وتنوعوا الى ستة أنواع أضافوها للشعر وسموها الفنون السبعة وعملوا فيها رسائل وعرفوا الشعر بأنه الكلام الموزون بالاوزان العربية الذى لا يجوز فيه اللحن المقفى

*(الفن

(الفن الثاني المواليا)

وأول من تكلم بهذا النوع بعض أتباع البرامكة بعدما حصل لهم فكانوا ينوحون عليهم به ويكثرون من قولهم ياموالي فصار يعرف بهذا الاسم وهو مشهور فلا حاجة لتمثيله

(الفن الثالث فن التوشيح)

وغالب ما كان منه معرب وهو مختلف الاوزان والاوضاع والسبب في ذلك أن تأليف التوشيح كان لغرض تطبيق ألفاظ على مؤلفات من الاصوات بمقتضى صناعة الموسيقى فكان أهل تلك الصناعة يؤلفون من الاصوات التي تخرجها الضربات على الاوتار المختلفة مثلا مؤلفا يناسب أن تقابل الاصوات المندرجة فيه بحروف متحركة أو ساكنة فكان مؤلف التوشيح تابعا لما تقتضيه تلك الاصوات فتارة توافق الاوزان العربية وتارة تخالفها وقد ذكر كثير من التواشيح في كثير من الكتب الادبية مثل كتاب نفح الطيب وسفينة الشيخ محمد شهاب رحمه الله تعالى ومن ألطفها توشيح القاضي هبة الله المشهور بابن سناء الملك فلا بأس بايراده مثالا لهذا النوع وهو

كللي يا سحب تيجان الربى بالحلي واجعلي سوارك منعطف الجدول

(دور)

ياسما فيك وفي الارض نجوم وما كلما أغربت نجما أشرقت أنجما

وهي ما تهطل إلا بالطلى والدمى

(قفله)

فاهطلي على قطوف الكرم كي تمتلي وانقلي للدن طعم الشهد والفوفل

(دور)

تعقد كالكوكب الدري للرتصد يعتقد فيها المجوسي بما يعتقد

فانتقد يا ساقي الراح بها واعتمد

(قفله)

واملي لي حتى تراني عنك في معزل قل لي فالراح كالعشق ان يزد يقتل

(دور)

من ظلم في دولة الحسن اذا ما حكم فالسدم يجول في باطنه والندم

والقلم يكتب ما سطر فوق القمم

(قفله)

ممن ولى في دولة الحسن ولم يعدل يعزل إلا لحاظ الرشا الا كحل

(دور)

يلا أريم عن شرب صهباء وعن عشق ريم فالنعيم عيش جديد ومدام قديم
لا أهيم الا بهذين فقم يانديم

(قفله)

خوانهل من اكؤس صورن من صندل أفضل من نكهة العنبر والمندل

(دور)

هل يعود عيش قطعناه بوادي زرود والجنود في حضرتي تضرب جنكا وعود
والحسود في معزل عناغدا لا يسود

(قفله)

عذلى لا تعذلوني فالهوى لذلى ما الخلى في الحب مثل العاشق المبتلى

(دور)

أسفرت ليلتنا بالانس مذ أقمرت بشرت علتقى المحبوب واستبشرت
شمرت فقلت للظلماء مذ قصرت

(قفله)

طولى ياليلة الوصل ولا تنجلى واسبلى سترك فالمحبوب في منزلى

*(دور المديح)

يانسيم بلغ سلام المستهام السقيم لكريم طه امام المرسلين العظيم
عن اليم وجدى به حدث وشوقى القديم

(قفله)

ليس لى من ملجأ سوى الحى الافضل الجلى وآله أولى الجناب العلى

(الفن الرابع فن الدوبيت)

وهذا الاسم من كلمتين فارسية وهى دو بمعنى اثنين وعربية وهى بيت احد أبيات الشعر وبه سمى هذا النوع لكونه ينظم بيتين بيتين يتصور الناظم معنى ويسكنه فيهما وهو مشهور عند العجم بالرباعى ولبعض شعرائهم اختصاص بشهرة اجادة الرباعيات واجزاؤه فعلن بسكون ثانيه متفاعلن وتارة يتغير الى متفاعيل بتقديم ساكن

ساكن الوتد على متحركه الثاني فعولن فعلن بتحريك ثانيه ومثاله قول بعضهم

أهوى رشأ حوى من الحسن فنون * عيناه تقول للهوى كن فيكون

غنى فتمايل الندامى طربا * لا شك هو النسيم والقوم غصون

وقول سيدي عمر بن الفارض

أهوى رشأ رشيق القد حلي * قد سلطه الغرام والوجد علي

ان قلت خذ الروح يقل واعجبا * الروح لنا فهات من عندك شي

(الفن الخامس الزجل)

ويقال ان اول من تكلم به صبي مغربي يقال له ابن قزمان وذلك انه وهو في المكتب عشق بعض صبيانه فرفع أمره للمؤدب فزجره ومنعه من مجالسة حبيبه فكتب في لوحه قوله هذا

الملاح ولاد أماره * ولوحاش ولاد نصاره

وبن قزمان جا يغفر * ماقبلو لشيخ غفاره

فاطلع عليه المؤدب فقال قد هجوتنا بكلام مجزول فيقال انه سمي زجلا من هذه الكلمة ثم صار ابن قزمان هذا شيخ صناعة هذا الفن وهو فن العامة الذين لا يعرفون الاعراب فاذ كانهم ينظمونه بلغتهم وأوزانه كثيرة جدا حتى ان أهله يقولون صاحب ألف وزن ليس بزجال ويسمون ماينا ظر القصيدة منه جملا ومن ظريفه جمل ابن الفحام وهو

مطلع ودائرة

في بحر عشقك ولغرام لغريم * كم من هلك يامن حلا منهلك

ون كان عذولي شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

(دور في البحر)

في بحر عشقك زد شجوني شجن * من مد معي بحر يجوي قد وفي

اضحى بغير مقيس تخني لجنون * وزد على اعلى لفسيح ماخفي

وصبح منادي لشوق علياسأل * بالوجد ولبلبال وطل وا كتفي

ونبت اشجاني لعبد هواك * وصرت غارق في لجاج لهلاك

ون كن عذولي شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

(دور في القمر)

من بن بكون يا بهجة لعاشقين * لبدر حسنك واقوام لرشيق

ومن يشبه طلعتك فى الكمال * بطلعة البدر المنير الشريق
ومن يقس فرقك بفرقو إذا * فرقت عنو ياغزال الفريق
ان شافك البدر يستحى ويختفى * منك وأطرق فى ظلام محالك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لايعرفك يجهلك

(دور فى تشبيه الخال)

خالك بخدك جل من قد صنع * نقطه من العنبر على لج نضار
اوصفر كاتب فى صحيفة عقيق * اوعبد زنجى يحرس الجلنار
اوهو مجوسى من كبار مجوس * رام السجود لمارأى الخدنار
فى ماصفالى خدك العندمى * يظهر سود عن كل من أملك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لايعرفك يجهلك

(دور فى اللحاظ)

لماعلى عرش الخد يدستوى * خالك وهو رب الجمال العظيم
أرسل نذير اللحظ يدع القلوب * لسبل عشقك والغرام الغريم
وسن هجرك والجفا افرضه * نادت وقلبى بالمحبه كليم
آمنت بالله يانذير اللحاظ * ها أنت ساحر والهوى أرسلك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لايعرفك يجهلك

(دور فى الثغر)

لنا روى خدك صحيح الخبر * عن عارضك عن خالك العنبرى
عن نكهة الرق عن رحيق اللما * عن مبسمك عن ريقك السكرى
بأن فى رشفه حياة النفوس * وصح اسند ثغرك الجوهرى
فكيف تعجب من صحيح الخبر * يروه نذير اللحظ عن سلسلك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لايعرفك يجهلك

(دور فى العذار)

ومن علينا جرعذار الدقيق * والعارض اللام حترمت المنام
جانى عذل جاهل قليل الادب * عارض ولم فى حب عارض ولام
لمارأيته ماقبل معذره * ولارثى فى الحب نادت سلام
بالاغى فى عارضن عارضين * كم صب من جور العوارض هلك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لايعرفك يجهلك

دور فى جمع أوصاف الجمال

ياظبي رائع فى رياض الحشا * يابدر مشرق فى سماء الجمال
ياشمس فى برج الحمل أشرقت * ياغصن فى روض النهامس ومال
ياجامع وصاف الجمال الجميل * يامفرد الحسن الحسن والدلال
ياعين حياتى كن طبيب الكئيب * بحق من بالحسن قد كملك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

دور

هل تدر بالله يافريد الجمال * من علم الظبي النفور النفار
أومن أعار البدر حسن السنا * والنرا اذا لح فى دجى الاعتكار
وسحر هاروت البديع الحلال * ايش هو السبب فيه أولا ايش ستعار
شاف الغزل حسنك وشاف القمر * نورك وذل السحر من عزلك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

دور فى قصة سيدنا يوسف

نساز ليخا لورأوا ياعزيز * حسنك وشكلك والجمال الجميل
وطابع الحسن الحسن والدلال * واللحظ والطرف الغضيض الكحيل
لقطعوا منهم بدال الكفوف * اكبدو لا بالقطع يشفى الغليل
وتخرس الالسن اذا مارأوك * وهم يقولوا دا ملك أوملك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

دور فى جهات الحجاز

بالله يا ريم النقا واعذيب * بحسن ترو جناتك الابرقين
جد بالشفا واسمح بلثم الشفا * على افز يابدر بالشفوتين
وكن مفرح من صبا منحنى * تروى دموع السفح من كل عين
يا كعبة العشاق ومروى الصفا * ريقك شفا ياسعد من قبلك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

دور المديح

يافاتح الخير ياختام الرسل * يامنتهى للعلم يامبتدى
يامصطفى أنت الصراط القويم * ياسر عين الغيب لمن اهتدى

ها أنت باب الله حياة النفوس * وخالقك قد أرسلك للهدى
وليلة الاسرى كما أرخوا * أدنك وبالخلق محسن كلك
ومن كن عذولى شمتك بالملال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

(الفن السادس والسابع) فن كان وكان وفن القومه وهما كما قال أصحاب هذه الفنون فرعان من الزجل وانما أفردوهما نوعين بسبب تغيرات لا تكون فى الزجل مثال الاول

يا رايحين لزبكيه * بالله خدونى معكم
ايك أرى باب لهوى * وشاهد الاقمار

ومثال الثانى

يارب ياستار * لا تكشف الاستار
وغفر لعبدك ذنوبه * انك كريم غفار

(المقصد الرابع فى الكتابة وقرض الشعر والانشاء) الكتابة ويقال علم الخط القياسى فى مقابلة خطين لا يقاس عليهما وهما خط المصحف العثمانى الذى تحرم مخالفته أو تكره على خلاف المذاهب فى ذلك وخط العروضيين عند بيان أوزان الشعر وهى فن معرفة الكتابة على الصورة المصطلح عليها و بيان ذلك يحسن أن يكون فى أربعة أبواب اتباعا لمن اختص بفضيلة ضبط هذا الفن عن انتشار ومن كتابه المسمى بالمطالع النصرية تلخيص ما سنلخص رحمه الله تعالى الشيخ أبو الوفاء نصر الهورينى امام عصره وحافظ وقته

(الباب الاول) فى الهمزة والالف ونون التوكيد والتنوين ونون اذا وهاء التأنيث (الكلام على الهمزة) الهمزة وتسميتها ألفا باسم نظرا لتصويرها فى بعض الاحوال اذا كانت أول كلمة رسمت مطلقا ألفا ولا تكون حينئذ ساكنة لما ثبت فى اللغة من عدم الابتداء بالساكن بل اذا كانت ساكنة أول أصول كلمة وأريد الابتداء بكلمتها اجتلب لذلك الهمزة التى تسمى همزة الوصل مثل أؤمر إئت ولهذه الهمزة فى الرسم أحوال فترسم ألفا بعد الفاء والواو ونحو فأمر وأت و بعد غيرهما فان كانت همزة الوصل مضمومة مثل أؤمر رسمت همزة الكلمة واوا وان كانت همزة الوصل مكسورة نطق بها أولم ينطق رسمت ياء مثل ثم ائتوا واذا وقعت حشوا فان كانت ساكنة رسمت حرفا من جنس الحركة السابقة عليها فترسم ألفا فى نحو رأس وياء فى نحو بئر وواوا فى نحو نؤى

نؤى وسؤل وان كانت مكسورة رسمت ياء وفى الواقعة بعد ضمة خلاف بين سيبويه وتلميذه الاخفش فالاخفش يقول برسمها واوا وحينئذ واستحسن بعضهم الجرى على مذهبه اذا وقع بعدها ياء وان كانت مضمومة رسمت واوا مثل رؤف وان كانت مفتوحة رسمت بعد فتحة ألفا مثل رأس القوم صار لهم رئيسا وبعد كسرة ياء مثل فئة ومئة وبعد ضمة واوا مثل سؤال وفؤاد وبعد سكون ترسم ألفا ان كان الساكن صحيحا والا حذفت ان لم يحصل لبس فترسم ألفا للتمييز *(تنبيه)* الهمزة الواقعة بعد همزة الاستفهام فى نحو أأنبئ أأنزل أأسجد أئفكا أئذا والواقعة بعد اللام الموطئة نحو لئن جئت وبعد حين وأمثاله فى حينئذ ويومئذ وهمزة لئلا دون لأن جاء مثلا وهمزة هؤلاء على خلاف فى بعض ذلك تنزل منزلة المتوسطة فتجرى عليها أحكامها فترسم المضمومة واوا وترسم المفتوحة ألفا بعد فتحة وياء بعد كسرة وترسم المكسورة ياءا واذا وقعت آخر الكلمة فان تلت فتحة رسمت ألفا كقرأ ويقرأ وان تلت كسرة رسمت ياء كبرئ والجئ وان تلت ضمة رسمت واوا كوضؤ ولؤلؤ وان تلت سكونا لم تصور لكن قال صاحب أدب الكاتب ان همزة نحو رأى ونأى من المنقوص ترسم ياء وهذا اذا لم يتصل بالكلمة علامات الاعراب الحرفية ولا احدى الياآت الثلاث ياء المتكلم وياء المخاطبة وياء النسب ولا الضمائر المتصلة فان اتصل بها شئ من ذلك عدت حشوا وحينئذ اذا اتصل بالتى ترسم ألفا ضمير فالمتقدمون كانوا يرسمونها احرفا من جنس حركتها نفسها والمتأخرون يرسمونها ألفا ولا يعتبرونها متوسطة كيقرؤه ويقرأه ومن بنائه ومن خطائه قيل والراجح مذهب المتقدمين واذا اتصل بنحو قرأ ويقرأ الف الاثنين رسمت الهمزة ألفا لدفع اللبس بفعل الواحد فى نحو الزيدان قرأا لمخالف الزيدان قرأ أخوهما وبفعل الاناث واذا ثنى نحو نبأ لم ترسم ألفه واذا اتصل بها واو الضمير أو واو الجمع حذفت كقرؤا ويقرؤن وقارؤن واذا اتصلت بياء المخاطبة كتبت ياء نحو لم تقرئى واذا اتصلت بياء المتكلم أو بياء النسب نحو ملجئى وسبئى نسبة الى سبأ فحقها ان ترسم ياء والجارى كتبها ألفا واذا اتصلت بياء الجمع كقارئين وناشئين رسمت ياء واذا اتصل بالتى تكتب ياء ضمير تتغير معه حركاتها الاعرابية لم يتغير رسمها كقارئنا ومنشئكم وكذا اذا اتصل بها ألف الاثنين أو ألف التثنية وكذا اذا اتصل بها واو الضمير أو واو الجمع واذا اتصل بها ياء الجمع حذفت واذا اتصل بها ياء المتكلم أو ياء المخاطبة عند رفع الفعل حذفت أيضا وعند نصبه وجزمه قيل ترسم وقيل تحذف واذا

اتصل بالتي تكتب واوا ضمير نحو أخذت من لؤلؤك ولتكافؤهم رسمت واوا على المختار واذا اتصل بنحو ردء و بطؤ ألف الاثنين أوثنى نحو لؤلؤا أوا تصل بنحو وضوء واو الجماعة رسمت الهمزة واوا أيضا وكذا اذا اتصل بنحو لؤلؤ ياء المتكلم أو ياء النسب واذا اتصل بالتي تحذف ضمير صورت بحرف من جنس حركتها فترسم واوا في مثل حوم وطؤها وياء في مثل خذه بملئه وألفا في مثل رأيت الجيش وردأه واذا ثنيت نحو جزء صورت الهمزة ألفا مع الياء فقط واذا اتصل بنحو جزء ياء المتكلم أو ياء النسب رسمت الهمزة ياء واذا اتصل بنحو جاء ضمير المفعول لا ترسم الهمزة ألفا وكذا تحذف الهمزة من نحو جاء وشاء حيث يسند لواو الجماعة واذا أضيف نحو كساء ورواء الى ضمير أو اتصل به ياء النسب صورت الهمزة بحرف من جنس حركتها الاحالة النصب فتحذف فترسم واوا في نحو هذا كساؤك وياء في نحو كسائي وكسائه والكسائي

واذا اتصل بنحو مجيء و بريء من اما ضمير المفعول لم ترسم الهمزة وكذا اذا ثنى نحو مجيء وكذا في أمر المخاطبة بنحو جيئي وفيئي واذا أضيف مثل وضوء وقرء للضمير كوضوئي وقرء وئهن رسمت الهمزة ياء حال جره ولم ترسم حال رفعه ونصبه واذا أضيف نحو شيء رفي علم تصور همزته أصلا

والهمزة الواقعة قبل هاء التأنيث قبل انها متطرفة تقديرا لانهم يقولون ان هاء التأنيث في تقدير الانفصال وكأنها كلمة مستقلة وترسم ألفا ان كان قبلها حرف صحيح والا حذفت

(الكلام على الالف)

الالف ان كانت حشوا ولو تقديرا بأن كان بعدها هاء التأنيث أو كانت طرفا في الحروف أو في الاسماء المبنية رسمت ألفا الا في بلى وعلى والى وحتى من الحروف فترسم ياء لقولك عليك واليك وامالة بلى وحمل حتى على الى والا في لدى ومتى وأنى التي بمعنى كيف أو من أين والى الموصولة وأولى الاشارية من الاسماء المبنية فترسم ياء أيضا ومهما على القول بأنها بسيطة وضعا والجاري رسمها ألفا وان كانت طرفا في الاسماء المعربة أو الافعال رسمت ياء لاحد مقتضيين الاول ان تزيد على ثلاثة أحرف ولو بالتضعيف نحو حلى مضعف جلا الثاني أن تكون منقلبة عن ياء ويعرف ذلك بالنقل ويسهل معرفته النظر لتثنية الكلمة وجمعها جمع تأنيث والى المضارع في الافعال والمصدر ويمنع من كتابتها ياء أمران الاول ان تسبقها ياء كحيا فترسم ألفا الا اذا جعل علما فترسم ياء على القاعدة والثاني أن يتصل بها ما يجعلها حشوا كالضمير في أعطاه

احداهن

احداهن و بمقتضى م فعلت وحتام والام استفهاما وحتاك وحتامهنا
واذا وقع ما يرسم ياء فى شعرا وسجع على الالف فالاحسن كتبه ألفا للمشاكلة
والكلمات التى وردت مقصورة وممدودة يجوز كتب مقصورها بالياء أو بالالف
وفى المقصور اذا نون خلاف ومذهب سيبويه رسمه بالالف نصبا وبعض النحاة يرى رسم
الالف ألفا مطلقا تبعا للفظ وليته جرى العمل على ذلك فقد أوقع هذا الرسم
الاصطلاحى فى غلط كثير فتسمع الناس مثلا يقولون من لدى الحضرة ورسمت الفا لاحد
مقتضيين أيضا الاول أن تكون منقلبة عن واو كتلا ودعا من الافعال وعصا ومها من
الاسماء والثانى أن تكون فى كلمة أعجمية أو فى كلمة عربية مجهولة الاصل كالددا
اللعب وخسا وزكا للفرد والزوج ولكن جوزوا كتب مثل هذا ياء أيضا واذا سبق
هذه الالف همزة نحو شأى ونأى بمعنى افتخر رسمت ياء

(الكلام على نون التوكيد ونون اذا والتنوين)

ترسم نون التوكيد الخفيفة ألفا الا عند خوف اللبس نحو ولا تضربن زيدا واضربن عمرا
اذا أمرت واحدا من اثنين وترسم نون اذا بالالف على اختيار بعض وبالنون على اختيار
بعض آخر وبالالف عند عملها وبالنون عند الغائها أو بالعكس على اختلاف النقل
فى اختيار بعض آخر واذا هذه هى الجوابية الواقعة فى قولك اذا تصيب جوابا لمن يقول
أريد ان أفعل كذا وأما التنوين فلا يصور فى الكتابة الا حالة النصب فيصور ألفا
ان لم يكن بعد تاء تأنيث أو همزة ترسم ألفا أو همزة تحذف لوجود ألف قبلها كعطاء
وجزاء

(الكلام على هاء التأنيث) هى تاء التأنيث التى تمنع الصرف فى الاعلام و يوقف
عليها بالهاء كفاطمة وطلحة وراوية وعلامة وخليفة وعدة فترسم بالهاء بخلاف تاء
التأنيث من أخت وبنت

(الباب الثانى فى زيادة حروف)

تزاد الالف أولا وهى همزة الوصل التى سبق بيان مواضعها وحشوا فى لفظ مائة على
خلاف فى ذلك وهذا الرسم أوجب غلط الناس فى النطق بالكلمة ماية كغاية وطرفا بعد
واو الضمير المتطرفة من نحو كتبوا واكتبوا ولم يكتبوا وتزاد الواو حشوا فى أولى الاشارية
وأولو وأولات الذين بمعنى أصحاب وصاحبات وطرفا فى لفظ عمرو علما غير منصوب
ولا مضاف لضمير ولا قافية بيت ولا مزيد فيه أل وتزاد هاء السكت فى مواضعها

(الباب الثالث في حذف بعض الحروف)

تحذف الهمزة من نحو تثاءب ماضيا وجاء وكساء منصوبا ومن نحو سموءل وتوءم بفتح الهمزة وسكون الواو ومن نحو ضوء ووضوء في غير حالة الكسر ومن نحو جيئل بفتح الهمزة وسكون الياء وبئس بكسر الهمزة ومن نحو شيئك وفيئك ومن نحو قرؤا ويقرؤن ورؤس جمع رأس ومن نحو دعاء وفجاءة ومن نحو وضوء وضوء وسوءة وشنوءة بفتح الشين وسكون الواو وضم النون ومن نحو هنيء وشيء وخطيئة وهيئة ومن نحو ترآه ويسوؤن ولا تسيئي يا هند ومن نحو اسرائيل من نحو باؤا وجاؤا ومن نحو السوءى ومن نحو لم يبوآ ومن نحو لم يجيئا ولم يفيئا ومن نحو الموؤدة ومن نحو فئة قالوا القياس حذفها في ترآه وما بعده والعمل الآن على عدم حذفها في مثل في ومن هذا في وتحذف همزة الوصل من أل اذا دخل عليها همزة الاستفهام ولم يكن لبس واذا دخل عليها اللام الحرفية خافضة أو غيرها كما تحذف من بالعنبر وبالحارث اللذين أصلهما بنو العنبر وبنو الحارث وفي لغة من يقول علماء وعلماء في من الماء وعلى الماء وتحذف همزة الوصل أيضا من نحو اصطفى واستخرج فعلين واصطفاء واستخراج مصدرين اذا دخلت عليه همزة الاستفهام وتحذف من لفظ اسم اذا دخلت عليه همزة الاستفهام ومن بسم الله الرحمن الرحيم اذا لم يذكر متعلق مقدما أو مؤخرا ومن لفظ ابن اذا دخلت عليه همزة الاستفهام أو ياء الندائية ومنه ومن ابنة اذا وقع كل منهما صفة لعلم شخصي أو جنسي وأضيف لعلم كذلك ولو تنزيلا ولم يكن لفظ ابن أو ابنة أول سطر كأنس بن مالك ومالك بن أنس ومحمد بن مالك وفلان أو فلانة بن أو ابنة فلان أو فلانة وضل بن ضل وهي بن بي لمن لا يعرف أبوه ومحمد بن الخطيب وأبو بكر بن أم جعفر وتحذف الالف من نحو آدم وآثر وماآل ومن نحو السموات ومن لفظ الله والاله وإله العالم ومن لفظ الرحمن معرفا كسابقه دون النكرة منهما ومن لفظ الحارث والسلام معرفين أيضا ومن كل علم على وزن فاعل كمالك وصلح بخلاف الاوصاف كرجل صالح مالك ومن بعض الاعلام المشتهرة كابراهيم واسمعيل واسحاق ومعوية ولا تحذف لخوف اللبس من نحو عباس ولا من نحو اسرائيل لوجود حذف فيه فلا يجمع فيه حذفان وتحذف من لفظ ثلاث في ثلثمائة وثلث نسوة وثلث رجال وثلث وثلاثين ومن لفظ الثلاثا اسم اليوم وتحذف جوازا من نحو غاني لبالي ان لم تحذف الياء والا وجب اثباتها كقوله

لها ثنايا أربع حسان * وأربع فثغرها ثمان

وتحذف من لفظ لكن مخففة أو مشددة وتحذف من ما الاستفهامية التي لم تركب مع ذا مخفوضة بحرف أو مضاف مثل على مه و بمقتضى مه وبما الموصولة في نحو بما شئت فقط ومن لفظ أما اذا وقع بعدها القسم مثل أما وأبيك وتحذف من ذا الاشارية وياء الندائية وأنا ضمير المتكلم وها التنبيهية مع اسم اشارة ليس أوله تاء ولا هاء ولا بعده كاف مثل هذا وهذان وأى هذا بخلاف هاتا وهاهنا وهاذاك ومن لفظ هالله وآلله فى القسم ومن ها أنا وها أنت لا من هاهو وهاهى ولا تحذف ألف ذا الامثنى أو مع لام التبعيد ولا تحذف ألف أنا الضمير الا فى هاءنذاء وتحذف ألف يا الندائية فى يا أيها ويا أهل ونحو يا إبراهيم ويا إسحاق بخلاف نحو يا آدم ويا آزر مما حذف ثانيه وتحذف ياء المنقوص كقاض ومفت منكرا غير منصوب ولا مضاف وتحذف الواو من لفظ داود وطاوس وناوس ونحو رؤس ولا تحذف من مثل قؤول وصؤول على فعول للمبالغة لدفع اللبس بقول وصول مصدرين وتحذف لام من الثلاث فى نحو لم يخلق الانسان للعب ولا للهو وقوله صلى الله عليه وسلم لله ارحم بالمؤمن بفتح اللام وهى لام الابتداء كما تحذف من الموصولات تكتب بلامين اذا دخل عليها لام الخفض أو لام الابتداء وتحذف التاء من آخر الفعل اذا أسند لتاء الفاعل نحو لعنتم وتحذف النون من آخر الفعل اذا اتصل بكلمة نا الفاعل أو نون النسوة أو نون الوقاية فى نحو آمنا والنسوة بن وأعنى ولم يمكنى وتحذف النون أيضا من كلتى من وعن الجارتين اذا اتصل بهما ما أو من وتحذف نون ان الشرطية اذا اتصل بها ما الزائدة أو لا النافية وتحذف نون ان المصدرية حيث تكون ناصبة اذا اتصل بها ما أو لا وتحذف من نعما فى نحو ان تبدوا الصدقات فنعما هى

(الباب الرابع فى وصل بعض الكلم ببعض على خلاف الاصل الذى هو الفصل ليناسب الخط اللفظ)

اذا كانت الكلمة من حرف واحد كباء الجر ولامه ولام الابتداء وصلت بما بعدها وذلك لانه لا يصح الوقف عليها او ابتناء الكتابة على الوقف والابتداء ولذلك وجب وصل الكلمات التى لا يصح الابتداء بها بما قبلها كالضمائر البارزة المتصلة وعلامات التأنيث والتثنية فكل ما لا يوقف عليه وما لا يبدأ به يوصل بما بعده وبما قبله ولو صارت الكلمة بالتصرف على حرف واحد كالامر من وقى ومن وعى فانه يوصل بما بعده ان كان ضميرا لعدم صحة الوقف عليه وعدم صحة الابتداء بالضمير فيكون الوصل فى مثله لمقتضيين

فلو وليه اسم ظاهر وجب ان تلحقه هاء السكت ويلفظ بها وقفا لا وصلا الا اذا أجريت الوصل مجرى الوقف فلك الوجهان فى النطق بقول الشاعر

فه بالعقود وبالايمان لا سيما * عهد وفاء به من أعظم القرب

ويجب وصل المركبات المزجية كبعلبك ومعد يكرب وقالى قلى وليس منها الاعداد المركبة كخمسة عشر فلا توصل نعم وصلوا ثلاث مئه الى تسعمائة والحق بالمركبات المزجية بابى يومئذ اذا لم تضف كلمة اذ كما سبق التنبيه على رسمه وينبغى ان يتنبه للضمير الواقع بعد الكلمة هل هو منفصل أو متصل لاختلاف الحال فى الكتابة فليس حال يوم هم على النار يفتنون مثل حال يومهم الذى يوعدون وتوصل ما الاستفهامية بحرف جر وبمضاف نحو مم وعم وفيم وبمقتضام فعلت كذا وتوصل ما الموصولة وما النكرة بمن وفى وعن فقط وتوصل ما الزائدة كافة وغير كافة مهيئة وغير مهيئة بما قبلها الا فى اين ما ومتى ما كقلما وطالما وانما وكأنما وربما وبما وأيما وتوصل ما المصدرية فى كلما جئتنى اكرمتك وأينما صنعت ومثلها الا فى مثل ان ما صنعت معجب وضابط الوصل أن يكون معنى شرط أو استفهام وتوصل ما المصدرية بكلمة سى بمعنى مثل فى قولهم لا سيما وبكلمة مثل من نحو أسلمنا مثلما أسلم وبكلمة ريث كما فى قول الشنفرى

ولكن نفسا حرة لا تقيم بى * على الضيم الا ريثما أتحول

مصدر ريث أى بطأ ما فهو من المصادر الواقعة ظروفا بالنيابة عن المضاف المحذوف أى وقت ريث التحول وتوصل كلمة من شرطية أو غيرها بحرفى من وعن فقط مثل عمن انت ورضيت عمن رضيت عنه فلا ترسم النون بين الميمين وتوصل كلمة لا بهمزتى ان الشرطية وان الناصبة للفعل سواء صورتا ألفا أو ياء على ما سبق هذا ولما كانت الحروف الهجائية انما تدل على مادة اللفظ مست الحاجة لوضع علامات لبيان الحركات تسمى شكلا كما انهم لما اصطلحوا على تصوير بعض الحروف بغير صورها الاصلية أو عدم تصويرها احتاجوا أيضا العلامات تدل على المادة مثلا العلامة التى تسمى قطعة توضع فوق الهمزة القطعية والاحرف المصورة بها الهمزة ووضع الهمزة التى ليس لها صورة كما ان الاحرف لما اشترك بعضها فى الصورة لزم النقط لتمييز بعضها من بعض ولم يكن ذلك الا بتنبيه التحريف والتصحيف ومع الداعى الى هذه الاحترامات فربما لم يحافظوا عليها بل هو الاكثر ولذلك فسدت اللغة العربية وكانت هذه الاصطلاحات

غير

غير مفيدة افادة الضبط الذى كان يلزم لحفظ صورة اللغة ومعرفة المنقوط من غيره من التعاليم الاولية غير ان الاصطلاح الرسمى يوجب التنبيه على ان هاء التانيث لا يجوز نقطها اذا وقعت طرفا فى سجع أو قافية وفى غير ذلك يجب نقطها بنقطتى التاء عند خوف اللبس والاجاز الامران وأن الياء اذا وقعت طرفا أو وسطا بدلا عن همزة لا تنقط كالماء والقاف والنون اذا وقعت طرفا أو اذا كانت الياء وسطا محققة كمعايش وجب نقطها واذا كانت بدل همزة بعد كسرة ساكنة أو مفتوحة كبئر ومئة جاز فيها الامران (كتابة الانشاء ويقال صناعة الترسل) وهى المسماة فى زماننا كتابة التحريرات أى الاتيان بالمحرر من الكلام فى مقابلة كتابة الاموال المسماة الآن كتابة الحسابات وهى تأليف كلام بأى لسان متميز عن المعتاد فى غرض من أغراض الشركة الانسانية وهى صناعة تقوى بقوة الدولة وتتسع باتساع أحوالها وعموم نشوة الفرح بين الناس لان أهل الصناعة اذ ذاك يشتغلون بابتداء المكاتبات عن أمرائهم والاجابة عنهم وتدوينهم المخاطبات فى التهانى والتشكرات والتسليات والشفاعات والاستعطاف والعتاب والاعتذار الى غير ذلك من المعانى وقد بلغت الكتابة العربية حيث كانت الدولة عربية والايام فى اقبالها مبلغا جازته الكتابة التركية حيث قامت دولتها كما نطق بذلك عقلاء العارفين بالالسن وينبهك على شرف كتابة الانشاء ما ناله أهلها من الرفعة ونباهة الذكر فقد كان اسم الوزير فى الدولة العباسية وما قارنها من الدول الاسلامية مختصا برئيس ديوان الرسائل وهو لديوان المعين لكتابة الانشاء المسمى فى زمننا بالمعية السنية فمن اشتهر بهذه الصناعة وكان وزير دولته ومدبر أمره الربيع والفضل ابنه وبنو برمك يحيى وابناه الفضل وجعفر وبنو الفرات وغيرهم فى الدولة العباسية والاستاذ ابن العميد والصاحب ابن عباد اسماعيل وغيرهما فى سلطنة بنى بويه وعبد الرحيم المشهور بالقاضى الفاضل والعماد الاصبهانى فى سلطنة بنى أيوب وابن زيدون ولسان الدين ابن الخطيب بالمغرب كل أولئك سادوا بصنعة الكتابة وعلت أقدارهم حتى ملئت الكتب فى ذكر مناقبهم وأخبار أيامهم ونقل اسم الكتابة الى الفن المتعلق بها المعدود فى فنون الادب وعلوم العربية وهذا الفن عبارة عن تنبيهات ترشد من يريد أن يتعلم تلك الصناعة وليس كغيره من الفنون ذا قواعد مضبوطة بمعرفتها تكون نهاية العلم بها فان لمن يريد ان يتعلم الانشاء فى كيفية التعلم كما قاله ابن الاثير (طريقتين) احداهما ان يحفظ القرآن ويفهم معناه وجملة من الاحاديث والآثار

والاشعار مع تحصيل ما يلزم تحصيله من الفنون السابقة ثم يجتهد فى الانشاء على نحو أساليب الكلام الذى حفظه فتارة يصيب وتارة يخطئ حتى يحكم لنفسه طريقة قال وهى أصعب الطريقتين (الطريقة الثانية) ان يزيد على ما تقدم الاطلاع على منشآت من تقدمه وحفظ الكثير منها واستعمال الفكر فى انتقاد تراكيبها واختيار ما اختير فى ابتدا آتها وانتهاآتها ثم يأتى بما قدر عليه من اتباع او اختراع اذا وعيت ذلك فاختصار ما أطال به المؤلفون فى هذا الفن على تفاوتهم فى ذلك يحسن أن يكون فى ثلاث جهات

(الجهة الاولى) فى ذكر ما يلزم تحصيله لمن يريد ان يكون منشأ

(الجهة الثانية) فى أمور كلية

(الجهة الثالثة) فى ذكر طرف من طرائف منشآت أذكياء أهل الصناعة

(الجهة الاولى) فيما يجب تحصيله على من يريد ان يكون كاتبا حسب ما كانت تقتضيه أحوال الازمنة السالفة يجب عليه ان يتوسع فى حفظ منتقيات اللغة فاصلا بين مشتركها ومختصها ومتباينها ومترادفها ومتكافئها ومطلقها ومقيدها ملاحظا مجازاتها وكناياتها حتى اذا دفع لصفة خيل وسلاح وجيش أو صورة حرب وكيف بدأت وحمى فيها الوطيس وانتهت والنصر والهزيمة أو صفة غلمان وجوار أو حيوانات وحشية أو غير وحشية الى غير ذلك من المعانى التى يعرض للكاتب ان يصفها ويتسع فى الكلام عليها لم يعجز ان يأتى بالعبارات الدالة على حقيقة الغرض الذى أخذ فى تفهيمه وان يجيد معرفة النحو حتى يأمن بملاحظته حين يقرأ وحين يكتب من اللحن وقد كانوا يستقبحون اللحن جدا حتى ان بعض الملوك كالمأمون أبعد بلحنه عن الخدمة وقيل

النحو يبسط من لسان الالكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلها * فأجلها عندى مقيم الالسن

وان يكن قد تغير الحال فى ذلك حتى انه يحكى ان كاتبا كتب فى صدر كتاب يخبر فيه عن تمام برج أمر السلطان ببنائه قد تجز ما أمر به أبو فلان فلما سمعه الامير المأمور بذلك العمل غضب على الكاتب وقال له تقول عن السلطان أبو وهى كلمة مبتذلة بألسنة العامة قل أبى فانها المناسبة للتعظيم فقال له الكاتب أبو فاعل حقه الرفع فقال الامير وهذه أعجب متى رأيت السلطان يحمل طينا أو حجرا حتى تقول انه فاعل فان ذلك لا يمنع

من

من تحصيل الفضيلة التي بها الشرف بين أهل الفضل وان يعرف التصريف حتى يأمن من الخطأ في مثل أبنية المصادر والمصدر الميمي واسم المكان واسم الزمان والتأنيث والتذكير والتثنية وصيغ الجموع والتصغير والنسب وان يحصل علوم البلاغة ليستعمل كل حال من أحوال التراكيب في موضعها و يعرف متى تحسن الاستعارة والكناية والمجاز وكيف يستعمل المحسنات البديعة قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في كتابه حسن التوسل الى صناعة الترسل وهذه العلوم الثلاثة وان لم يضطر اليها ذو الذهن الثاقب والطبع السليم والقريحة المطاوعة والفكرة المتقدمة والبديهة المجيبة والروية المتصرفة لكن العالم بها يتمكن من أزمة المعاني وصناعة الكلام يقول عن علم و يتصرف عن معرفة و ينتقد بحجة ويتخير بدليل و يستحسن ببرهان و يصوغ الكلام بترتيب فقد أبان رحمه الله تعالى عموم الحاجة الى معرفة هذه العلوم ولم يقف عند استغناء الاذكياء عنها كما فعل ابن السبكي رحمه الله في خطبة كتابه عروس الافراح شرح تلخيص المفتاح حيث قال اما أهل بالادنا فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله عليه من الذوق السليم والفهم المستقيم والاذهان التي هي أرق من النسيم وألطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم اكسبهم النيل تلك الحلاوة واشار اليهم باصابعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء فضلا عن الاغمار الاعمار ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الاسرار خلف الاستار

والسيف ما لم يلف فيه صيقل * من طبعه لم ينتفع بصقال

فيا لها غنيمة لم يوجف عليها من خيل ولا ركاب ولم يزحف اليها بعدو عذبة ولا بلحاق لاحق وانسكاب سكاب وأراد أكرم الله مثواه وأبلغه وافر حظه من رضاه أذكياء أهل مصر وجاراه في ذلك أبو العباس أحمد القلقشندي حيث نقل ذلك في كتابه صبح الاعشى وأورد استشهادا على ذلك بعض كلام من كلام عوامهم كقول بعضهم في الزجل

قف نقول لك يا فهيم * ماصنع وجد لغزال
أرخ ليل شعر لبهيم * وتلثم بالهلال
وكشف ذاك للتمام * ورفع ليل لشعر
اهتتك فيه بالغرام * كل ما كان استتر

ويراعى في النطق بالزجل اللحن المعتاد لحفظ الوزن ووزن هذا الزجل فاعلاتن فاعلات وان يحفظ القرآن الشريف متأملا مقاصد فصوله ومواقع آياته بعضها من بعض وحسن

الارتباط بينها حتى يكون له نورا يهتدى به فى طريقه التى يريد أن يسلكها وبعد ذلك فانه يستشهد بآياته بعد المقارنة بينها وبين الاغراض التى يحاول انشاء الكلام لاجلها على ماشاء من المعانى ويحلى كتبه بالاقتباس منه فى مواضع الاقتباس على ماسبق التنبيه له فى علم البديع ويعتبر حسن الاقتباس بمثل قوله صلى الله عليه وسلم على ماحكاه فى تاريخه القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى فى كتاب لاكثم بن صيفى وقد كتب له عليه الصلاة والسلام يستعلمه عن أمره حين شاع ذكر مبعثه وهذا نص الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى اكثم بن صيفى أحمد الله اليك ان الله أمرنى أن أقول لا اله الا الله أقولها وآمر الناس بها والخلق خلق الله والامر أمر الله خلقهم وأماتهم وهو ينشرهم ولتعلمن نبأه بعد حين وقول أبى بكر رضى الله عنه فى عهده بالخلافة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجر انى استعملت عليكم عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذاك علمى به وان جار وبدل فلا علم بالغيب والخير أردت ولكل امرئ ما اكتسب من الاثم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وان يحفظ كثيرا من صحاح الاحاديث للاغراض التى لاجلها يحفظ القرآن وان يقرأ التواريخ التى يغلب عليها التحقيق كتاريخ الخطيب البغدادى وتاريخ الحافظ الذهبى وتاريخ ابن الاثير ليحكم فى الوقائع بحكم نظائرها ويعرف الاحوال الحاضرة بمعرفة أمثالها الغابرة وان يحفظ كثيرا من الامثال العربية وغيرها والاقوال الصادرة عن الحكماء فانها خزائن الحكم ومستودعات المعانى ومنها تعرف حسن الايجاز وبراعة العبارات وحيث كنت آخذا فى التعلم وجب ان نورد لك هنا زيادة على ماسبق فى البديع شيئا من الامثال والحكم لتكون لك داعية لطلب مثلها من مواضعها فمن الامثال العربية (ان من البيان لسحرا) قاله النبى صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه عمرو بن الاهتم والزبرقان ابن بدر وقيس بن عاصم فسأل عليه الصلاة والسلام عمرو بن الاهتم عن الزبرقان فقال عمرو مطاع فى أدنيه شديد العارضة أى البيان واللسن مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان يارسول الله انه ليعلم منى اكثر من هذا ولكنه حسدنى فقال عمرو اما والله انه لزمر المروءة أى قليل ضيق العطن أحمق الوالد لئيم الخال فرأى الغضب فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم لما كان التناقض فى كلامه فقال والله يارسول الله ما كذبت

فى

في الاولى ولقد صدقت في الاخرى ولكنني رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما وجدت فقال عليه الصلاة والسلام ان من البيان لسحرا يعني ان بعض البيان يعمل عمل السحر ومعنى السحر اظهار الباطل في صورة الحق والبيان اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسن وانما شبه بالسحر لحدة عمله في سامعه وسرعة قبول القلب له يضرب في استحسان المنطق وايراد الحجة البالغة

(ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى)

المنبت المنقطع عن أصحابه في السفر والظهر الدابة قاله عليه الصلاة والسلام لرجل اجتهد في العبادة حتى هجمت عيناه أي غارتا فلما رآه قال له ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ان المنبت أي الذي يجد في سيره حتى ينبت أخيرا سماه بما تؤول اليه عاقبته كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون يضرب لمن يبالغ في طلب الشئ ويفرط حتى ربما يفوته على نفسه

(ان الموصين بنو سهوان)

يضرب عند التعجب من نسيان من وصى بعمل شئ بكثرة وقوعه والسهوان السهو أو الساهي وبنو السهو يكونون كأبي الفضل وأخي الكرم وعلى كونه الساهي فالمراد به أبو البشر

(ان المعافى غير مخدوع)

يضرب لمن يخدع فلا ينخدع والمعنى أن من عوفي مما خدع به لم يضره ما كان خودع به وأصل المثل ان رجلا من بني سليم يسمى قادحا كان في زمن أمير يكنى أبا مضعون وكان في ذلك الزمن رجل آخر من بني سليم أيضا يقال له سليط وكان عشق امرأة قادح فلم يزل بها حتى أجابته وواعدته فأتى سليط قادحا وقال اني عشقت جارية لابي مضعون وقد واعدتني فاذا دخلت عليه وقعدت معه في المجلس فاذا أراد القيام فاسبقه فاذا انتهيت الى موضع كذا فاصفر حتى أعلم بمجيئكم فاخذ حذري ولك كل يوم دينار تخدعه بهذا وكان أبو مضعون آخر الناس قياما من النادي ففعل قادح ذلك وكان سليط يختلف الى امرأته يجري ذكر النساء يوما فذكر أبو مضعون جواريه وعفافهن فقال قادح وهو يعرض بأبي مضعون ربما غرا واثق وخدع الوامق وكذب الناطق وملت العاتق أي ربما سئمت الانثى من خبائها فعهرت ثم قال

لا تنطقن بأمر لا تيقنه * يا عمرو ان المعافى غير مخدوع

وعمرو اسم أبي مظعون فعلم عمرو أنه يعرض به فلما تفرق القوم وثب على قادح فخنقه وقال أصدقني فحدثه قادح بالحديث فعرف أبو مظعون أن سليطا قد خدعه فأخذ عمرو بيد قادح ثم مر به على جواريه فاذا هن مقبلات على ما وكان به لم يفقد منهن واحدة ثم انطلق آخذا بيد قادح الى منزله فوجد سليطا قد افترش امرأته فقال له أبو مظعون ان المعافى غير مخدوع تهكما بقادح فأخذ قادح السيف وشدّ على سليط فهرب فلم يدركه ومال الى امرأته فقتلها

(ان الحديد بالحديد يفلح)

الفلح الشق ومنه الفلاح للحرّاث لانه يشق الارض أي يستعان في الامر الشديد بما يشاكله ويقاويه

(ان الدواهي في الآفات تهترس)

ويروى تهتمس وهو قلب تهترس من الهرس وهو الدق يعني ان الآفات يموج بعضها في بعض ويدق بعضها بعضا كثرة يضرب عند اشتداد الزمان واضطراب الفتن وأصله ان رجلا مر بآخر وهو يقول يارب إمّا مهرة أو مهرا فأنكر عليه ذلك وقال لا يكون الجنين الا مهرة أو مهرا فلما ظهر الجنين كان مشياء الخلق مختلفه أي فيه شئ غير شئ فقال الرجل عند ذلك

قد طرّقت بجنين نصفه فرس * ان الدواهي في الآفات تهترس

(ان العصا من العصية)

قال أبو عبيدة كذا قال الاصمعي وأنا أحسبه العصية من العصا الا ان يراد ان الشئ الجليل يكون في بدء أمره صغيرا كما قالوا ان القرم من الافيل فيجوز حينئذ على هذا المعنى ان يقال العصا من العصية قال المفضل أوّل من قال ذلك الافعى الجرهمي وذلك ان نزارا لما حضرته الوفاة جمع بنيه مضر واياد و ربيعة وانمار فقال يا بني هذه القبة الحمراء وكانت من أدم لمضر وهذا الفرس الادهم والخباء الاسود لربيعة وهذه الخادم وكانت شمطاء لاياد وهذه البدرة والمجلس لانمار يجلس فيه فان أشكل عليكم كيف تقتسمون فائتوا الافعى الجرهمي ومنزله بنجران فتشاجروا في ميراثه فتوجهوا الى الافعى الجرهمي فبينما هم في مسيرهم اليه ذرأى مضر أثر كلأ قد رعى فقال ان البعير الذي رعى هذا الاعور وقال ربيعة انه لازور وقال اياد انه لابتر قال انمار انه لشرود فساروا قليلا فاذا هم برجل ينشد جمله فسألهم عن البعير فقال مضر أهو أعور قال نعم قال ربيعة أهو أزور قال نعم قال اياد أهو

أهو أبتر قال نعم قال انمار أهو شرود قال نعم وهذه والله صفة بعيري فدلوني عليه قالوا والله ما رأيناه قال هذا والله الكذب وتعلق بهم وقال كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته فساروا حتى قدموا نجران فلما نزلوا نادى صاحب البعير هؤلاء أخذوا جملي ووصفوا لي صفته ثم قالوا لم نره فاختصموا الى الافعى وهو حكم العرب فقال الافعى كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته رعى جانبا وترك جانبا فعلمت انه أعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدته فعلمت انه أزور لانه أفسده لشدة وطئه لازوراره وقال اياد عرفت انه أبتر باجتماع بعره ولو كان ذيالا لمصع به وقال انمار عرفت انه شرود لانه كان يرعى في المكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان أرق منه وأخبث نبتا فعلمت انه شرود فقال للرجل ليسوا باصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من أنتم فأخبروه فرحب بهم ثم أخبروه بما جاء بهم فقال أتحتاجون الي وأنتم كما أرى ثم أنزلهم فذبح لهم شاة وأتاهم بخمر وجلس لهم الافعى حيث لا يرى وهو يسمع كلامهم فقال ربيعة لم أر كاليوم لحما أطيب منه لولا ان شاته غذيت بلبن كلبة فقال مضر لم أر كاليوم خمرا أطيب منه لولا ان حبلتها نبتت على قبر فقال اياد لم أر كاليوم رجلا أسرى منه لولا انه ليس لابيه الذي يدعى له فقال انمار لم أر كاليوم كلاما انفع في حاجتنا من كلامنا وكان كلامهم باذنه فقال ما هؤلاء الا شياطين ثم دعا القهرمان فقال ما هذه الخمر وما أمرها قال هي من حبلة غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها وقال للراعي ما أمر هذه الشاة قال هي عناق أرضعتها بلبن كلبة وذلك ان أمها كانت قد ماتت ولم يكن في الغنم شاة ولدت غيرها ثم أتى أمه فسألها عن أبيه فأخبرته انها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له قالت فخفت أن يموت ولا ولد له فيذهب الملك فأمكنت من نفسي ابن عم له كان نازلا عليه فخرج الافعى اليهم فقص القوم عليه قصتهم وأخبروه بما أوصى به أبوهم فقال ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر فذهب بالدنانير والابل الحمر فسمي مضر الحمراء لذلك وقال واما صاحب الفرس الادهم والخباء الاسود فله كل شيء أسود فصارت لربيعة الخيل الدهم فقيل ربيعة الفرس وما أشبه الخادم الشمطاء فهو لاياد فصار له الماشية البلق من الحبلق والنقد فسمي اياد الشمطاء وقضى لانمار بالدراهم وبما فضل فسمي انمار الفضل فصدروا من عنده على ذلك فقال الافعى ان العصا من العصية وان خشينا من أخشن ومساعدة الخاطل تعد من الباطل فأرسلهن مثلا وخشين وأخشن جبلان أحدهما أصغر من الآخر والخاطل

الجاهل والخطل فى الكلام اضطرابه والعصية تصغير تكبير مثل أنا عذيقها المرجب وجذيلها المحكك والمراد انهم يشبهون أباهم فى جودة الرأى وقيل ان العصا اسم فرس والعصية اسم أمه يراد أنه يحكى الأم فى كرم العرق وشرف العتق

(ان البلاء موكل بالمنطق)

قال المفضل يقال ان أول من قال ذلك أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فيما ذكره ابن عباس قال حدثنى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه فدفعنا الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر وكان نسابة فسلم فردوا عليه السلام فقال ممن القوم قالوا من ربيعة فقال أمن هامتها أم من لهازمها قالوا من هامتها العظمى قال فأى هامتها العظمى أنتم قالوا ذهل الاكبر قال أفمنكم عوف الذى يقال له لا حر بوادى عوف قالوا لا قال أفمنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا قال أفمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار قالوا لا قال أفمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها قالوا لا قال أفمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة قالوا لا قال فأنتم أخوال الملوك من كندة قالوا لا قال فلستم ذهلا الاكبر أنتم ذهل الاصغر فقام اليه غلام قد بقل وجهه يقال له دغفل فقال

ان على سائلنا ان نسأله * والعبء لا تعرفه أو تحمله

ياهذا انك قد سألتنا فلم نكتمك شيئا فمن الرجل أنت قال رجل من قريش قال بخ بخ أهل الشرف والرياسة فمن أى قريش أنت قال من تيم بن مرة قال أمكنت والله الرامى من صفا الثغرة أفمنكم قصى بن كلاب الذى جمع القبائل من فهر وكان يدعى مجمعا قال لا قال أفمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف قال لا قال أفمنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء الذى كأن فى وجهه قمرا يضىء ليل الظلام الداجى قال لا قال أفمن المفيضين بالناس أنت قال لا قال أفمن أهل الندوة أنت قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت قال لا قال أفمن أهل الحجابة أنت قال لا قال أفمن أهل السقاية أنت قال لا قال واجتذب أبو بكر زمام ناقته فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دغفل صادف درأ السيل درأ يصدعه اما والله لو ثبت لاخبرتك انك من زمعات قريش أو ما أنا بدغفل قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على قلت لابى بكر لقد وقعت من الاعرابى على باقعة قال أجل ان لكل طامة طامة وان البلاء موكل بالمنطق

وفى

وفى قصة المثل امثال قوله *(لاحر بوادى عوف)* يتمثل به فى عظم من يتعاظم بنواحى من يقدر على قهره وقوله *(ان على سائلنا ان نسأله)* ويحمل التمثل به ظاهره وقوله *(والعبء لا تعرفه أو تحمله)* يتمثل به فى طلب الاختبار وترك الاكتفاء بما يبدو فان الشئ الذى تريد حمله فيكون عبأ ربما يكون كبيرا فى النظر خفيفا فى الوزن وربما كان ثقيل الوزن وهو صغير الحجم

(أم فرشت فأنامت)

يضرب فى بر الرجل بصاحبه قال قراد

وكنت له عما لطيفا ووالدا * رؤفا وأما مهدت فأنامت

(اذا ترضيت أخاك فلا أخا لك)

الترضى الارضاء بجهد ومشقة يقول اذا ألجأك أخوك الى ان تترضاه وتداريه فليس هو بأخ لك

(ان ترد الماء بماء أكيس)

يتمثل به عند الامر بالاقتصاد فى المعيشة والمحافظة على قليله وان كان وائقا بحصول كثير له فى المستقبل وأصله فى المسافر عرف قربه من المنهل فاسرف فى استعمال ما حمل من الماء

(احدى حظيات لقمان)

الحظية تصغير الحظوة بفتح حائه وهى المرماة قال أبو عبيد هى التى لا نصل لها ولقمان هذا هو لقمان بن عاد وحديثه أنه كان بينه وبين رجلين من عاد يقال لهما عمرو وكعب ابنا تقن بن معاوية وكانا ربى ابل وكان لقمان رب غنم فاعجبت لقمان الابل فراودهما عنها فأبيا ان يبيعاه فعمد الى ألبان غنمه من ضأن ومعزى وأنافح من أنافح السخل فلما رأيا ذلك لم يلتفتا اليه ولم يرغبا فى ألبان الغنم فلما رأى ذلك لقمان قال اشتريا ها ابنى تقن أقبلت ميسا وأدبرت هيسا وملأت البيت أقطا وحيسا اشتريا ها ابنى تقن انها الضأن تجز جفالا وتنتج رخالا وتحلب كثبا ثقالا فقالا لا نشتريها يا لقم انها الابل حلن فاتسقن وجرين فأعنقن وبغبر ذلك أفلتن يغزرن اذا قطن فلم يبيعاه الابل ولم يشتريا الغنم فجعل لقمان يداورهما وكانا يرعيانه وكان يلتمس أن يغفلا فيشد على الابل ويطردها فلما كان ذات يوم أصابا أرنبا وهو يرصدهما رجاء أن يصيبهما فيذهب بالابل فأخذا صفيحة من الصفا فجعلها أحدهما فى يده ثم جعل عليها كومة من تراب قد أحمياه فلا الارنب فى ذلك التراب فلما أنضجاها نفضا عنها التراب فأكلاها فقال

لقمان ياويلتا أنيئا أكلاها أم الريح أقبلاها أم بالشيح اشتويا ها ولما رآهما لقمان لا يغفلان عن ابلهما ولم يجد فيهما مطمعا القيهما ومع كل واحد منهما جفير مملو نبلا وليس معه غير نبلين يخدعهما فقال ما تصنعان بهذه النبل الكثيرة التي معكما انما هي حطب فوالله ما احمل معي غير نبلين فان لم اصب بهما فلست بمصيب فعمدا الى نبالهما فنثراها غير سهمين فعمدا الى النبل فحواها ولم يصب لقمان منهما بعد ذلك غرة وكان فيما يذكرون أن عمرو بن تقن امرأة فطلقها فتزوجها لقمان وكانت المرأة وهي عند لقمان تكثر أن تقول لافتى الا عمرو وكان ذلك يغيظ لقمان ويسوءه كثرة ذكرها فقال لقمان لقد اكثرت في عمرو فوالله لاقتلن عمرا فقالت لا تفعل وكانت لابني تقن سمرة يستظلان بها حتى ترد ابلهما فيستقبلانها فصعدها لقمان واتخذ فيها عشا رجاء ان يصيب من ابني تقن غرة فلما وردت الابل تجرد عمرو واكب على البئر يستقي فرماه لقمان من فوقه بسهم في ظهره فقال حس احدى حظيات لقمان فذهب مثلا ثم أهوى الى السهم فانتزعه فوقع بصره على الشجرة فاذا هو بلقمان فقال انزل فنزل فقال استق بهذه الدلو فزعموا ان لقمان لما أراد أن يرفع الدلو حين امتلأت نهض نهضة فضرط فقال له عمرو اضرطا آخر اليوم وقد زال الظهر فأرسلها مثلا ثم ان عمرا أراد ان يقتل لقمان فتبسم لقمان فقال عمرو أضاحك أنت قال لقمان ما أضحك الا من نفسي اما اني نهيت عما ترى فقال ومن نهاك قال فلانة قال عمرو أفلي عليك ان وهبتك لها ان تعلمها ذلك قال نعم فخلى سبيله فأتاها لقمان فقال لافتى الا عمرو فقالت أقد لقيته قال نعم لقيته فكان كذا وكذا ثم أسرني فأراد قتلي ثم وهبني لك قالت لافتى الا عمرو يضرب لمن عرف بالشر فاذا جاءت هنة من جنس أفعاله قيل احدى حظيات لقمان اي انه فعلة من فعلاته الميس والهيس كالحيس بفتح فسكون يصف مشي الغنم عند اقبالها من المراعي للبيوت وهي بطان ممتلئة الضروع وعند ادبارها عن البيوت للراعي وهي خماص والجفال كغراب الصوف الكثير والكثبه بضم فسكون ملء القدح والرخال بكسر الراء جمع رخلة أو رخل كذلك وهي الانثى ومن ولد الضأن

(انك خير من تفاريق العصا)

قالوا هذا من قول غنية الاعرابية لابنها وكان عارما كثير التلفت الى الناس مع ضعف أسر ودقة عظم فواثب يوما فتى فقطع الفتى أنفه فأخذت غنية دية أنفه فحسنت حالها بعد فقر مدقع ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت ديتها فزادت حسن حال ثم واثب آخر

فقطع

فقطع شفته فاخذت الدية فلما رأت ما صار عندها من الابل والغنم والمتاع وذلك من كسب جوارح ابنها حسن رأيها فيه وذكرته في أرجوزتها فقالت

أحلف بالمروة حقا والصفا * انك خير من تفاريق العصا

قيل لاعرابي ما تفاريق العصا قال العصا تقطع ساجور او السواجير تكون للكلاب وللاسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور فتصير أوتادا ويفرق الوتد فتصير كل قطعة شظاظا (ككتاب) خشبة تعقف لتجعل في عروتي جوالقين فان جعل لرأس الشظاظ كالفلكة صار للبختي مهارا بكسر الميم وهو العود الذي يدخل في انف البختي واذا فرق المهار جاءت منه توادوهي الخشبة التي تشد على خلف الناقة اذا صرت هذا اذا كانت عصا فاذا كانت قناة فكل شق منها قوس بندق فان فرقت الشقة صارت سهاما فان فرقت السهام صارت حظاء فان فرقت الحظاء صارت مغازل فان فرقت المغازل شعب به الشعاب اقداحه المصدوعة وقصاعه المشقوقة على انه لايجد لها أصلح منها وأليق بها يضرب فيمن نفعه أعم من نفع غيره

(انما يعاتب الاديم ذو البشرة)

المعاتبة المعاودة وبشرة الاديم ظاهره الذي عليه الشعر أي ان ما يعاد الى الدباغ من الاديم ما سلمت بشرته يضرب لمن فيه مراجعة ومستعتب قال الاصمعي كل ما كان في الاديم محتمل ما سلمت البشرة فاذا نغلت البشرة بطل الاديم ومن هنا أخذ العتاب بين الاخوان لذكر الهفوات ثم الاعتذار أو الاعتراف والمسامحة والعود الى المصافاة فيكون ذلك بمنزلة دبغ الجلد لازالة فضلاته

(ان العصا قرعت لذي الحلم)

قيل ان اول من قرعت له العصا عمرو بن مالك بن ضبيعة أخو سعد بن مالك الكناني وذلك ان سعدا أتى النعمان بن المنذر ومعه خيل له قادها وأخرى عراها فقيل له لم عريت هذه وقرنت هذه قال لم أقد هذه لامنعها ولم أعر هذه لاهبها ثم دخل على النعمان فسأله عن أرضه فقال اما مطرها فغزير واما نبتها فكثير فقال له النعمان انك لقوال وان شئت أتيتك بما تعيا عن جوابه قال نعم فأمر وصيفا له أن يلطمه فلطمه لطمة فقال ما جواب هذه قال سفيه مأمور قال الطمه أخرى فلطمه قال ما جواب هذه قال لو أخذ بالاولى لم يعد للاخرى وانما أراد النعمان ان يتعدى سعد في المنطق فيقتله قال الطمه ثالثة فلطمه قال ما جواب هذه قال رب يؤدب عبده قال الطمه أخرى فلطمه

قال ما جواب هذه قال ما بكت فأسجع فأرسلها امثالا قال النعمان أصبت فامكث عندي واعجبه ما رأى منه فمكث عنده ما مكث ثم انه بدا للنعمان ان يبعث رائدا فبعث عمرا أخا سعد فأبطأ عليه فأغضبه ذلك فأقسم لئن جاء ذامّا الكلأ أو حامدا له ليقتلنه فقدم عمرو وكان سعد عند الملك فقال سعد أتأذن ان أكلمه قال إذن يقطع لسانك قال فأشير اليه قال إذن تقطع يدك قال فأقرع له العصا قال فاقرعها فتناول سعد عصا جليسه وقرع بعصاه قرعة واحدة فعرف انه يقول له مكانك ثم قرع بالعصا ثلاث قرعات ثم رفعها الى السماء ومسح عصاه بالارض فعرف انه يقول له لم أجد جدبا ثم قرع العصا مرارا ثم رفعها شيئا وأومأ الى الارض فعرف انه يقول ولا نباتا ثم قرع العصا قرعة وأقبل نحو الملك فعرف انه يقول كلمه فأقبل عمرو حتى قام بين يدي الملك فقال له أخبرني هل حمدت خصبا أو ذممت جدبا فقال عمرو لم أذمم هزلا ولم أحمد بقلا الارض مشكلة لا خصبها يعرف ولا جدبها يوصف رائدها واقف ومنكرها عارف وآمنها خائف قال الملك أولى لك فقال سعد بن مالك يذكر قرع العصا

قرعت العصا حتى تبين صاحبي * ولم تك لولا ذاك في القوم تقرع
فقال رأيت الارض ليست بمحل * ولا سارح فيها على الرعي يشبع
سواء فلا جدب فيعرف جدبها * ولا صابها غيث غزير فتمرع
فنجيابها حوباء نفس كريمة * وقد كاد لولا ذاك فيهم تقطع

هذا قول بعضهم وقال آخرون في قولهم ان العصا قرعت لذي الحلم ان ذا الحلم هذا هو عامر بن الظرب العدواني وكان من حكماء العرب لا تعدل بفهمه فهما ولا بحكمه حكما فلما طعن في السن أنكر من عقله شيئا فقال لبنيه انه قد كبرت سني وعرض لي سهو فاذا رأيتموني خرجت من كلامي وأخذت في غيره فاقرعوا لي المجن بالعصا وقيل كانت له جارية يقال لها خصيلة فقال لها اذا أنا خولطت فاقرعي لي العصا وأتى عامر بخنثى ليحكم فيه فلم يدر ما الحكم فجعل ينحر لهم ويطعمهم ويدافعهم بالقضاء فقالت خصيلة ما شأنك قد أتلفت مالك فخبرها انه لا يدري ما حكم الخنثى فقالت أتبعه مباله قال الشعبي فحدثني ابن عباس بها قال فلما جاء الله بالاسلام صارت سنة فيه وعامر هو الذي يقول

أرى شعرات على حاجبي * بيضا نبتن جميعا تؤاما
ظللت أهاهي بهن الكلاب * أحسبهن صوارا قياما

واحسب

واحسب أني اذا ما مشيت شخصا امامي رآني فقاما

يقال انه عاش ثلثمائة سنة وهو الذي يقول

تقول ابنتي لما رأتني كأنني * سليم أفاعي ليله غير مودع
وما الموت أفناني ولكن تتابعت * على سنون من مصيف ومربع
ثلاث مئين قد مررن كواملا * وها أنا هذا أرتجي مر أربع
فأصبحت مثل النسر طارت فراخه * اذا رام تطيارا يقال له قع
أخبر أخبار القرون التي مضت * ولا بد يوما ان يطار بمصرعي

قال ابن الاعرابي أول من قرعت له العصا عامر بن الظرب العدواني وربيعة تقول بل هو قيس بن خالد بن ذي الجدين وتميم تقول بل هو ربيعة بن مخاشن أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم واليمن تقول بل هو عمرو بن حممة الدوسي قال وكانت حكام تميم في الجاهلية أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة والاقرع بن حابس وربيعة بن مخاشن وضمرة بن ضمرة غير ان ضمرة حكم فأخذ رشوة فغدر وحكم قيس عامر بن الظرب وغيلان بن سلمة الثقفي وكانت له ثلاثة أيام يوم يحكم فيه بين الناس ويوم ينشد فيه شعره ويوم ينظر فيه الى جماله وجاء الاسلام وعنده عشر نسوة فخيره النبي صلى الله عليه وسلم فاختار أربعا فصارت سنة وحكام قريش عبد المطلب وأبو طالب والعاصي بن وائل وحكيمات العرب صحر بنت لقمان وهند بنت الخس وجمعة بنت حابس وابنة عامر بن الظرب الذي يقال له ذو الحلم قال المتلمس يريده

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما *

والمثل يضرب لمن اذا نبه انتبه

(أنا النذير العريان)

قال ابن الكلبي كان من حديث النذير العريان ان أبا دؤاد الشاعر كان جار المنذر بن ماء السماء وان أبا دؤاد نازع رجلا بالحيرة من بهراء يقال له رقبة بن عامر فقال له رقبة صالحني وحالفني قال أبو دؤاد فمن أين تعيش أبا دؤاد فوالله لولا ما تصيب من بهراء لهلكت ثم افترقا على تلك الحالة وان أبا دؤاد أخرج بنين له ثلاثة في تجارة الى الشام فبلغ ذلك رقبة فبعث الى قومه فأخبرهم بما قال له أبو دؤاد عند المنذر وأخبرهم ان القوم ولد أبي دؤاد فخرجوا الى الشام فقتلوهم وبعثوا برؤسهم الى رقبة فلما أتته الرؤس صنع طعاما كثيرا ثم أتى المنذر فقال له قد اصطنعت لك طعاما فأنا أحب أن تتغدى عندي

ثم اتاه المنذر وأبودؤاد معه فبينما الجفان ترفع وتوضع اذ جاءت جفنة عليها أحد روس بنى أبى دؤاد فقال أبودؤاد أبيت اللعن انى جارك وقد ترى ما صنع بى وكان رقبة جار المنذر قال فوقع المنذر منهما فى سوأة وأمر برقبة فحبس وقال لابى دؤاد ما يرضيك قال ان تبعث بكتيبتيك الشهباء والدوسر اليهم فقال له المنذر قد فعلت فوجه اليهم الكتيبتين قال فلما رأى ذلك رقبة من صنع المنذر قال لامرأته الحقى بقومك فانذريهم فعمدت الى بعض ابل البهرانى فركبته ثم خرجت حتى أتت قومها فعرفت ثم قالت أنا النذير العريان فأرسلتها مثلا وعرف القوم ما تريد فصعدوا الى علياء الشام وأقبلت الكتيبتان فلم تصيبا منهم أحدا فقال المنذر لابى دؤاد قد رايت ما كان منهم أفيسكتك عنى ان أعطيك بكل رأس مائتى بعير قال نعم فاعطاه ذلك وفيه يقول قيس ابن زهير العبسى

سأفعل ما بدالى ثم آوى * الى جار كجار أبى دؤاد

وقال غيره انما قالوا النذير العريان لان الرجل اذا رأى الغارة قد فجأتهم وأراد انذار قومه تجرد من ثيابه وأشار بها ليعلم أنه قد فجأهم أمر ثم صار مثلا لكل أمر تخاف مفاجأته ولكل أمر لا شبهة فيه

(اياك أعنى واسمعى ياجاره)

أول من قال ذلك سهل بن مالك الفزارى وذلك انه خرج يريد النعمان فمر ببعض احياء طيء فسأل عن سيد الحى فقيل له حارثة بن لأم فأم رحله فلم يصبه شاهدا فقالت له أخته انزل فى الرحب والسعة فنزل فأكرمته ولاطفته ثم خرجت من خبائها فرأى أجمل أهل دهرها وأكملهم وكانت عقيلة قومها وسيدة نسائها فوقع فى نفسه منها شئ فجعل لا يدرى كيف يرسل اليها ولا ما يوافقها من ذلك فجلس بفناء الخباء يوما وهى تسمع كلامه فجعل ينشد ويقول

يا أخت خير البدو والحضاره * كيف ترين فى فتى فزاره
أصبح يهوى حرة معطاره * اياك أعنى واسمعى ياجاره

فلما سمعت قوله عرفت انه اياها يعنى فقالت ماذا بقول ذى عقل أريب ولا رأى مصيب ولا أنف نجيب فأقم ما أقمت مكرما ثم ارتحل متى شئت مسلما ويقال اجابته نظما فقالت

انى أقول يافتى فزاره * لا أبتغى الزوج ولا الدعاره
ولا فراق أهل هذى الجاره * فارحل الى أهلك باستخاره

فاستحيا

فاستحيا الفتى وقال ما أردت منكرا واسوأتاه قالت صدقت فكأنها استحييت من تسرعها الى تهمته فارتحل فأتى النعمان فحباه واكرمه فلما رجع نزل على أخيها فبينا هو مقيم عندهم تطلعت اليه نفسها وكان جميلا فأرسلت اليه ان اخطبني ان كان لك الى حاجة يوما من الدهر فانى سريعة الى ماتريد فخطبها وتزوجها وسار بها الى قومه يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئا غيره

(ان غدا لناظره قريب)

أي لمنتظره يقال نظرته أي انتظرته وأول من قال ذلك قراد بن أجدع وذلك ان النعمان بن المنذر خرج يتصيد على فرسه اليحموم فأجراه على أثر عير فذهب به الفرس فى الارض ولم يقدر عليه وانفرد عن أصحابه واخذته السماء فطلب ملجأ يلجأ اليه فدفع الى بناء فاذا فيه رجل من طيء يقال له حنظلة ومعه امرأة له فقال لهما هل من مأوى فقال حنظلة نعم فخرج اليه فأنزله ولم يكن للطائى غير شاة وهو لا يعرف النعمان فقال لامرأته أرى رجلا ذا هيئة وما أخلقه ان يكون شريفا خطيرا فما الحيلة قالت عندى شئ من طحين كنت ادخرته فاذبح الشاة لاتخذ من الطحين ملة قال فأخرجت المرأة الدقيق فخبزت منه ملة وقام الطائى الى شاته فاحتلبها ثم ذبحها فاتخذ من لحمها مرقة مضيرة وأطعمه من لحمها وسقاه من لبنها واحتال له شرابا فسقاه وجعل يحدثه بقية ليلته فلما أصبح النعمان لبس ثيابه وركب فرسه ثم قال يا أخا طيء اطلب ثوابك أنا الملك النعمان قال أفعل ان شاء الله ثم لحق الخيل فمضى نحو الحيرة ومكث الطائى بعد ذلك زمانا حتى أصابته نكبة وجهد وساءت حاله فقالت له امرأته لو أتيت الملك لاحسن اليك فاقبل حتى انتهى الى الحيرة فوافق يوم بؤس النعمان فاذا هو واقف فى خيله فى السلاح فلما نظر اليه النعمان عرفه وساءه مكانه فوقف الطائى المنزول به بين يدى النعمان فقال له أنت الطائى المنزول به قال نعم قال أفلا جئت فى غير هذا اليوم قال أبيت اللعن وما كان علمى بهذا اليوم قال والله لو سنح لى فى هذا اليوم قابوس ابنى لم أجد بدا من قتله فاطلب حاجتك من الدنيا وسل ما بدا لك فانك مقتول قال أبيت اللعن وما أصنع بالدنيا بعد نفسى قال النعمان انه لا سبيل اليها قال فان كان لا بد فأجلنى حتى ألم بأهلى فأوصى اليهم وأهيئ حالهم ثم أنصرف اليك قال النعمان فأقم لى كفيلا بموافاتك فالتفت الطائى الى شريك بن عمرو بن قيس من بنى شيبان وكان يكنى أبا الحوفزان وكان صاحب الردافة وهو واقف بجنب النعمان فقال له

يا شريكا يا ابن عمرو * هل من الموت محاله
يا أخا كل مضاف * يا أخا من لا أخا له
يا أخا النعمان فك اليوم ضيفا قد أتى له
طال ما عالج كرب الموت لا ينعم باله *

فأبى شريك ان يتكفل به فوثب اليه رجل من كلب يقال له قراد بن أجدع فقال للنعمان أبيت اللعن هو على قال النعمان أفعلت قال نعم فضمنه اياه ثم أمر للطائى بخمسمائة ناقة فمضى الطائى الى أهله وجعل الاجل حولا من يومه ذلك الى مثل ذلك اليوم من قابل فلما حال عليه الحول وبقى من الاجل يوم قال النعمان لقراد ما أراك الا هالكا غدا فقال قراد

فان يك صدر هذا اليوم ولى * فان غدا لناظره قريب

فلما أصبح النعمان ركب فى خيله ورجله متسلحا كما كان يفعل حتى أتى الغريين فوقف بينهما وأخرج معه قرادا وأمر بقتله فقال له وزراؤه ليس لك ان تقتله حتى يستوفى يومه فتركه وكان النعمان يشتهى ان يقتل قرادا ليفلت الطائى من القتل فلما كادت الشمس تجب وقراد قائم مجرد فى ازار على النطع والسياف الى جنبه أقبلت امرأته وهى تقول

أيا عين بكى لى قراد بن أجدعا * رهينا لقتل لا رهينا مودعا
أتته المنايا بغتة دون قومه * فأمسى أسيرا حاضر البيت أضرعا

فبينما هم كذلك اذ رفع لهم شخص من بعيد وقد أمر النعمان بقتل قراد فقيل له ليس لك ان تقتله حتى يأتيك الشخص فتعلم من هو فكف حتى انتهى اليهم الرجل فاذا هو الطائى فلما نظر اليه النعمان شق عليه مجيئه فقال له ما حملك على الرجوع بعد افلاتك من القتل قال الوفاء قال وما دعاك الى الوفاء قال دينى قال النعمان وما دينك قال النصرانية قال النعمان فاعرضها على فعرضها عليه فتنصر النعمان وأهل الحيرة أجمعون وكان قبل ذلك على دين العرب فترك القتل منذ ذلك اليوم وأبطل تلك السنة وأمر بهدم الغريين وعفا عن قراد والطائى وقال والله ما أدرى أيهما أوفى وأكرم أهذا الذى نجا من القتل فعاد أم الذى ضمنه والله لا أكون ألأم الثلاثة فأنشأ الطائى يقول

ما كنت أخلف ظنه بعد الذى * أسدى الى من الفعال الخالى
ولقد دعتنى للخلاف ضلالتى * فأبيت غير تمجدى وفعالى

انى

انى امرؤ منى الوفاء سجية * وبزاء كل مكارم بذال

وقال أيضا يمدح قرادا

ألا اغا يسمو الى المجد والعلى * مخاريق امثال القراد بن أجدعا

مخاريق أمثال القراد وأهله * فانهم الاخيار من رهط تبعا

(ان أخاك من آساك)

يقال آسيت فلانا بمالى أوغيره اذا جعلته اسوة لك و واسيت لغة فيه ومعنى المثل ان أخاك حقيقة من قدمك وآثرك على نفسه يضرب فى الحث على مراعاة الاخوان وأول من قال ذلك خزيم بن نوفل الهمدانى وذلك أن النعمان بن ثواب العبدى ثم الشنى كان له بنون ثلاثة سعد وسعيد وساعدة وكان أبوهم ذاشرف وحكمة وكان يوصى بنيه ويحملهم على أدبه اما ابنه سعد فكان شجاعا بطلا من شياطين العرب لا يقام لسبيله ولم تفته طلبته قط ولم يفر عن قرن وأما سعيد فكان يشبه أباه فى شرفه وسودده وأما ساعدة فكان صاحب شراب وندامى واخوان فلما رأى الشيخ حال بنيه دعا سعدا وكان صاحب حرب فقال يابنى ان الصارم ينبو والجواد يكبو والاثر يعفو فاذا شهدت حربا فرأيت نارها تستعر وبطلها يخطر وبحرها يزخر وضعيفها ينصر وجبانها يجسر فاقلل المكث والانتظار فان الفرار غير عار اذا لم تكن طالب ثار فانما ينصرون هم واياك ان تكون صيد رماحها ونطيح نطاحها وقال لابنه سعيد وكان جوادا يابنى لايبخل الجواد فابذل الطارف والتلاد وأقلل التلاح تذكر عند السماح وابل اخوانك فان وافيهم قليل واصنع المعروف عند محتمله وقال لابنه ساعدة وكان صاحب شراب يابنى ان كثرة الشراب تفسد القلب وتقلل الكسب وتجد اللعب فأبصر نديمك واحم حريمك وأعن غريمك واعلم ان الظمأ القامح خير من الرى الفاضح وعليك بالقصد فان فيه بلاغا ثم ان أباهم النعمان بن ثواب توفى فقال ابنه سعيد وكان جوادا سيدا لآخذن بوصية أبى ولابلون اخوانى وثقاتى فى نفسى فعمد الى كبش فذبحه ثم وضعه فى ناحية خبائه وغشاه ثوبا ثم دعا بعض ثقاته فقال يافلان ان أخاك من وفى لك بعهده وحاطك برفده ونصرك بوده قال صدقت فهل حدث أمر قال نعم انى قتلت فلانا وهو الذى تراه فى ناحية الخباء ولابد من التعاون عليه حتى يوارى فما عندك قال يالها سوأة وقعت فيها قال فانى أريد أن تعيننى عليه حتى أغيبه قال لست لك فى هذا بصاحب فتركه وخرج فبعث الى آخر من ثقاته فأخبره

بذلك وسأل معونته فرد عليه مثل ذلك حتى بعث الى عدد منهم كلهم يرد عليه مثل جواب الاول ثم بعث الى رجل من اخوانه يقال له خزيم بن نوفل قال له ياخزيم مالى عندك قال ما يسرك وماذاك قال انى قتلت فلانا وهو الذى تراه مسجى قال أيسر خطب فتريد ماذا قال أريد أن تعيننى حتى أغيبه قال هان ما فزعت فيه الى أخيك وغلام سعيد قائم معهما فقال له خزيم هل اطلع على هذا الامر أحد غير غلامك هذا قال لا قال انظر ما تقول قال ما قلت الا حقا فأهوى خزيم الى غلامه فضربه بالسيف فقتله وقال ليس عبد بأخ لك فأرسلها مثلا وارتاع سعيد وفزع لقتل غلامه فقال ويحك ما صنعت وجعل يلومه فقال خزيم ان أخاك من آساك فأرسلها مثلا قال سعيد فانى أردت تجربتك ثم كشف عن الكبش وخبره بما لقى من اخوانه وثقاته وما ردوا عليه فقال خزيم سبق السيف العذل فذهبت مثلا

(ألا من يشترى سهرا بنوم)

قالوا ان أول من قال ذلك ذو رعين الحميرى وذلك ان حميرة فرقت على ملكها حسان وخالفت أمره لسوء سيرته فيهم ومالوا الى أخيه عمرو وحملوه على قتل أخيه حسان وأشاروا عليه بذلك ورغبوه فى الملك ووعدوه حسن الطاعة والموازرة فنهاه ذو رعين من بين حمير عن قتل أخيه وعلم انه ان قتل أخاه ندم ونفر عنه النوم وانتقض عليه أموره وانه سيعاقب الذى أشار عليه بذلك ويعرف غشهم له فلما رأى ذو رعين انه لا يقبل ذلك منه وخشى العواقب قال هذين البيتين وكتبهما فى صحيفة وختم عليها بخاتم عمرو وقال هذه وديعة لى عندك الى أن أطلبها منك فأخذها عمرو ودفعها الى خازنه وأمره برفعها الى الخزانة والاحتفاظ بها الى أن يسأل عنها فلما قتل أخاه وجلس مكانه فى الملك منع منه النوم وسلط عليه السهر فلما اشتد ذلك عليه لم يدع باليمن طبيبا ولا كاهنا ولا منجما ولا عرافا ولا عائفا الا جمعهم ثم أخبرهم بقصته وشكا اليهم ما به فقالوا له ما قتل رجل أخاه أو ذا رحم منه على نحو ما قتلت أخاك الا أصابه السهر ومنع منه النوم فلما قالوا له ذلك أقبل على من كان أشار عليه بقتل أخيه وساعده عليه من اقيال حمير فقتلهم حتى أفناهم فلما وصل الى ذى رعين قال له أيها الملك ان لى عندك براءة مما تريد أن تصنع بى قال وما براءتك وأمانك قال مر خازنك ان يخرج الصحيفة التى استودعتكها يوم كذا وكذا فأمر خازنه فأخرجها فنظر الى خاتمه عليها ثم فضها فاذا فيها

ألا من يشترى سهرا بنوم * سعيد من يبيت قرير عين
فاما حمير غدرت وخانت * فمعذرة الاله لذى رعين

ثم قال أيها الملك قد نهيتك عن قتل أخيك وعلمت انك ان فعلت ذلك أصابك الذي قد أصابك فكتبت هذين البيتين براءة لى عندك مما علمت انك تصنع بمن أشار عليك بقتل أخيك فقبل ذلك منه وعفا عنه وأحسن جائزته يضرب لمن غمط النعمة وكره العافية

(ان كنت كذوبا فكن ذكورا)

يضرب للرجل يكذب ثم ينسى فيحدث بخلاف ذلك

(اذا اشتريت فاذكر السوق)

يعنى اذا اشتريت فاذكر البيع لتجتنب العيوب

(بلغ السيل الزبى)

هى جمع زبية وهى حفرة تحفر للاسد اذا أرادوا صيده وأصلها الرابية لا يعلوها الماء فاذا بلغها السيل كان جارفا مجحفا يضرب لما جاوز الحد قال المؤرج حدثنى سعيد ابن سماك بن حرب عن أبيه عن ابن المعتمر قال أتى معاذ بن جبل بثلاثة نفر قتلهم أسد فى زبيه فلم يدر كيف يفتيهم فسأل عليا رضى الله عنه وهو محتب بفناء الكعبة فقال قصوا على خبركم قالوا اصدنا أسدا فى زبية فاجتمعنا عليه فتدافع الناس عليه فرموا برجل فيها فتعلق الرجل بآخر وتعلق الآخر بآخر فهووا فيها ثلاثتهم فقضى فيها على رضى الله عنه ان للاول ربع الدية وللثانى النصف وللثالث الدية كلها فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بقضائه فقال لقد أرشدك الله للحق

(بخ بخ ساق بخلخال)

بخ كلمة يقولها المتعجب من حسن الشئ وكماله الواقع موقع الرضاء كانه قال ما أحسن ما أراه وهو ساق محلاة بخلخال ويجوز ان يريد بالباء معنى مع فيكون التعجب من حسنهما يضرب فى التهكم والهزء من شئ لاموضع للتهكم فيه وأول من قال ذلك الورثة بنت ثعلبة امرأة ذهل بن شيبان بن ثعلبة وذلك ان رقاش بنت عمرو بن عثمان من بنى ثعلبة طلقها زوجها كعب بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة فتزوجها ذهل بن شيبان زوج الورثة ودخل بها وكانت الورثة لا تترك له امرأة الا ضربتها وأجلتها فخرجت رقاش يوما وعليها خلخالان فقالت الورثة بخ بخ ساق بخلخال فذهبت مثلا فقالت

رقاش أجل ساق بخلخال لا كخلخالك المختال فوثبت عليها الورثة لتضربها فضبطتها رقاش وضربتها وغلبتها حتى عجزت عنها فقالت الورثة

ياويح نفسي اليوم أدركني الكبر * أأبكي على نفسي العشية أم أذر
فوالله لو أدركت في بقية * للاقيت مالاقى صواحبك الأخر

فولدت رقاش لذهل بن شيبان مرة وأبا ربيعة ومحلما والحارث بن ذهل

(أبلغ من قس)

هو قس بن ساعدة بن حذافة بن زهير بن اياد بن نزار الايادى وكان من حكماء العرب واعقل من سمع به منهم وهو أول من كتب من فلان الى فلان وأول من أقر بالبعث من غير علم وأول من قال أما بعد وأول من قال البينة على من ادعى واليمين على من أنكر وقد عمر مائة وثمانين سنة قال الاعشى

وأبلغ من قس وأجرى من الذى * بذى الغيل من خفان أصبح خادرا

وأخبر عامر بن شراحيل الشعبى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ان وفد بكر ابن وائل قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من حوائجهم قال هل فيكم أحد يعرف قس بن ساعدة الايادى قالوا كلنا نعرفه قال فما فعل قالوا هلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانى به على جمل أحمر بعكاظ فانما يقول أيها الناس اجتمعوا واستمعوا وعوا كل من عاش مات وكل من مات فات وكل ما هو آت آت ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع وبحار تموج وتجارة تروج وليل داج وسماء ذات أبراج اقسم قس حقا لئن كان فى الارض رضا ليكونن بعده سخط وان لله عزت قدرته دينا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا فأقاموا أم تركوا فناموا ثم أنشد أبو بكر رضى الله عنه شعرا حفظه له وهو قوله

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها * يسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضى الى * ولا من الباقين غابر
أيقنت انى لا محا * لة حيث صار القوم صائر

*(ابخل

(أبخل من مادر)

هو رجل من بنى هلال بن عامر بن صعصعة وبلغ من بخله انه سقى ابله فبقى فى أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض به فسمى مادرا لذلك واسمه مخارق قال أبو الندى وذكروا أن بنى فزارة وبنى هلال بن عامر تنافروا الى أنس بن مدرك الخثعمى وتراضوا به فقالت بنو عامر يا بنى فزارة أكلتم أير حمار فقالت بنو فزارة قد أكلناه ولم نعرفه وحديث ذلك ان ثلاثة نفر اصطحبوا فزارى وثعلبى وكلابى فصادوا حمارا ومضى الفزارى فى بعض حاجته فطبخا وأكلا وخبئا للفزارى جردان الحمار فلما رجع الفزارى قالا قد خبأنا لك فكل فأقبل يأكله ولا يكاد يسيغه فقال أكل شواء العير جوفان يعنى به الذكر وجعلا يضحكان ففطن وأخذ السيف وقال لتأكلانه أو لاقتلنكما ثم قال لاحدهما وكان اسمه مرقة كل منه فأبى فضربه فأبان رأسه فقال الآخر طاح مرقة فقال الفزارى وأنت ان لم تلقمه قال محمد بن حبيب أراد ان لم تلقمها فلما ترك الالف التى الفتحة على الميم قبل الهاء كما قالوا بلم الحيرة وأى رجال به أى بها قلت انما قدر الهاء فى تلقمها ارادة المضغة أو البضعة والافليس فى الكلام الذى مضى تأنيث ترجع الهاء اليه فقالت بنو فزارة ولكن منكم يا بنى هلال من قرى فى حوضه فسقى ابله فلما رويت سلح فيه ومدره بخلا به ان يشرب فضله فقضى أنس بن مدرك على الهلاليين فأخذ الفزاريون منهم مائة بعير وكانوا تراهنوا عليها وفى بنى فزارة يقول الكميت بن ثعلبة والكميت من الشعراء ثلاثة أقدمهم هذا ثم كميت بن معروف ثم كميت بن زيد وكلهم من بنى أسد

نشدتك يا فزار وأنت شيخ * اذا خيرت تخطئ فى الخيار
أصيحانية أدمت بسمن * أحب اليك أم أير الحمار
بلى أير الحمار وخصيتاه * أحب الى فزارة من فزار

فحذف الهاء من فزارة كما تحذف فى الترخيم وان كان هذا فى غير النداء ويجوز ان يكون أراد من فزارى فخفف ياء النسبة وفى بنى هلال يقول الشاعر

قد جللت خزيا هلال بن عامر * بنى عامر طرا بسلحة مادر
فأف لكم لا تذكروا الفخر بعدها * بنى عامر أنتم شرار المعاشر

وفى بنى فزارة يقول ابن دارة

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها بأسيار

لاتأمننه ولاتامن بوائقه * بعد الذى امتل أير العير فى النار
أطعمتم الضيف جوفانا مخاتلة * فلاسقاكم إلهى الخالق البارى

قال حمزة وحدثنى أبو بكر بن دريد قال حدثنى أبو حاتم عن أبى عبيدة انه قرأ عليه حديث مادر فضحك قال فقلت له ما الذى أضحكك فقال تعجبى من تسيير العرب الامثال لمادر وسيرو اماهو أهم منها لكان أبلغ لها فلت مثل ماذا قال مثل مادر هذا جعلوه علما فى البخل بفعلة تحتمل التأويل وتركوا مثل ابن الزبير مع ما يؤثر على لفظه وفعله من دقائق البخل فتركوه كالغفل من ذلك انه نظر الى رجل من أصحابه وهو يومئذ خليفة يقاتل الحجاج بن يوسف على دولته وقد دق الرجل فى صدور أهل الشام ارماحا فقال له ياهذا اعتزل عن حربنا فان بيت المال لا يقوى على هذا وقال فى تلك الحرب لجماعة من جنده اكلتم تمرى وعصيتم أمرى وسمع أن مالك بن أشعر الزامى من بنى مازن أكل من بعير وحده وحمل ما بقى على ظهره فقال دلونى على قبره أنبشه وقال لرجل أتاه مجتديا وقد أبدع به فشكا اليه حفا ناقته فقال اخصفها بهلب وارقعها بسبت وانجد بها يبرد خفها فقال الرجل يا أمير المؤمنين جئتك مستوصلا ولم آتك مستوصفا فلا بقيت ناقة حملتنى اليك فقال إن وصاحبها ولهذا الرجل فيه شعر قد نسى قلت وفى بعض النسخ من كتاب افعل كان هذا الرجل عبد الله بن فضالة الاسدى ولما انصرف من عنده قال

أرى الحاجات عند أبى خبيب * نكدن ولا أمية بالبلاد
ومالى حين أقطع ذات عرق * الى ابن الكاهلية من معاد

فى أبيات وابن الكاهلية هو عبد الله بن الزبير لان جدته من جداته كانت من بنى كاهل فلما بلغ الشعر ابن الزبير قال لو علم لى اما ألام من عمته لسبنى بها قال أبو عبيدة فلو تكلف الحارث بن كلدة طبيب العرب أو مالك بن زيد مناة وحنيف الحناتم ابلا العرب من وصف علاج ناقة الاعرابى ما تكلفه هذا الخليفة لما كانوا بعشر دينه وكان مع هذا يأكل فى كل أسبوع أكلة ويقول فى خطبته انما بطنى شبر فى شبر وعندى ما عسى يكفينى فقال فيه الشاعر

لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد * أفضلت فضلا كثيرا للمساكين
فان تصبك من الايام جائحة * لا نبك منك على دنيا ولا دين

(تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها)

أى لاتكون ظئرا وان آذاها الجوع ويروى ولا تأكل ثدييها وأول من قال ذلك الحارث ابن

ابن سليل الاسدي وكان حليفا لعلقمة بن خصفة الطائي فزاره فنظر الى ابنته الزباء وكانت من أجمل أهل دهرها فأعجب بها فقال له أتيتك خاطبا وقد ينكح الخاطب ويدرك الطالب ويمنح الراغب فقال له علقمة أنت كفؤ كريم يقبل منك الصفو ويؤخذ منك العفو فأقم ننظر في أمرك ثم انكفأ الى أمها فقال ان الحارث بن سليل سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا وقد خطب الينا الزباء فلا ينصرفن الا بحاجته فقالت امرأته لابنتها أي الرجال أحب اليك الكهل الجحجاح الواصل المياح أم الفتى الوضاح قالت لا بل الفتى الوضاح قالت ان الفتى يغيرك وان الشيخ يميرك وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحديث السن الكثير المن قالت يا أمتاه ان الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أنيق الكلا قالت أي بنية ان الفتى شديد الحجاب كثير العتاب قالت ان الشيخ يبلي شبابي ويدنس ثيابي ويشمت بي أترابي فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث على مائة وخمسين من الابل وخادم وألف درهم فابتنى بها ثم رحل بها الى قومه فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهي الى جانبه اذ أقبل اليه شباب من بني أسد يعتلجون فتنفست صعداء ثم أرخت عينيها بالبكاء فقال لها ما يبكيك قالت مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ فقال لها ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها قال أبو عبيد فان كان الاصل على هذا الحديث فهو على المثل السائر لا تأكل ثدييها وكان بعض العلماء يقول هذا لا يجوز وانما هو لا تأكل بثدييها قلت كلاهما في المعنى سواء لان معنى لا تأكل ثدييها لا تأكل أجرة ثدييها ومعنى بثدييها أي لا تعيش بسبب ثدييها وبما يغلان عليها ثم قال الحارث لها أما وأبيك لرب غارة شهدتها وسبية أردفتها وخمرة شربتها فالحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك وقال

تهزأت ان رأتني لابسا كبرا * وغاية الناس بين الموت والكبر
فان بقيت لقيت الشيب راغمة * وفي التعرف ما يمضي من العبر
وان يكن قد علا رأسي وغيره * صرف الزمان وتغيير من الشعر
فقد أروح للذات الفتى جذلا * وقد أصيب بها عينا من البقر
عني اليك فاني لا توافقني * عور الكلام ولا شرب على الكدر

يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الاموال

(تطلب أثرا بعد عين)

العين المعاينة يضرب لمن ترك شيئا يراه ثم تبع أثره بعد فوت عينه قال الباهلي أول

من قال ذلك مالك بن عمرو العاملى وفى كتاب أبى عبيد مالك بن عمرو الباهلى قال وذلك ان بعض ملوك غسان كان يطلب فى عامله ذحلا فاخذ منهم رجلين يقال لهما مالك وسماك ابنا عمرو فاحتبسهما عنده زمانا ثم دعاهما فقال لهما انى قاتل أحدكما فايكما أقتل فجعل كل واحد منهما يقول اقتلنى مكان أخى فلما رأى ذلك قتل سماكا وخلى سبيل مالك فقال سماك حين ظن انه مقتول

ألا من شجت ليلة عامده * كما أبدا ليلة واحده

فابلغ قضاعة ان جئتهم * وخص سراة بنى ساعده

وأبلغ نزارا على نأيها * بان الرماح هى العائده

وأقسم لو قتلوا مالكا * لكنت لهم حية راصده

برأس سبيل على مرقب * ويوما على طرق وارده

فأم سماك فلا تجزعى * فللموت ما تلد الوالده *

وانصرف مالك الى قومه فلبث فيهم زمانا ثم ان ركبا مروا وأحدهم يتغنى بهذا البيت

وأقسم لو قتلوا مالكا * لكنت لهم حية راصده

فسمعت بذلك أم سماك فقالت يا مالك قبح الله الحياة بعد سماك اخرج فى الطلب باخيك فخرج فى الطلب فلقى قاتل أخيه يسير فى ناس من قومه فقال من أحس لى الجمل الاحمر فقالوا له وعرفوه يا مالك لك مئة من الابل فكف فقال لا أطلب أثرا بعد عين فذهبت مثلا ثم حمل على قاتل أخيه فقتله وقال فى ذلك

* يا راكبا بلغا ولا تدعا * بنى قمير وان هم جزعوا

فليجدوا مثل ما وجدت فقد * كنت حزينا قد مسنى وجع

لا أسمع اللهو فى الحديث ولا * ينفعنى فى الفراش مضطجع

لا وجد ثكلى كما وجدت ولا * وجد عجول أضلها ربع

ولا كبير أضل ناقته * يوم توافى الحجيج واجتمعوا

ينظر فى أوجه الركاب فلا * يعرف شيئا والوجه ملتمع

جللته صارم الحديدة كالملح وفيه سفاسق لمع *

بين ضميروباب جلق فى * أثوابه من دمائه دفع *

* أضربه بادبا نواجذه * يدعو صداه والرأس منصدع

بنى قمير قتلت سيدكم * فاليوم لا رنة ولا جزع *

فاليوم

فاليوم قناعلى السواءفان * نحو وافدهرى ودهركم يرع

السفاسق جمع سفسقة بفتحتين أو كسرتين بينهما سكون فرند السيف وهى نقط تلمع في صفائه

(تسمع بالمعيدى خير من أن تراه)

ويروى لان تسمع بالمعيدى خير وان تسمع ويروى تسمع بالمعيدى لاأن تراه والمختار أن تسمع يضرب لمن خبره خير من مرآه ودخل الباء على تقدير تحدث به خبر قال المفضل أول من قال ذلك المنذر بن ماء السماء وكان من حديثه ان كبيش بن جابر أخا ضمرة ابن جابر من بنى نهشل كان عرض لأمة لزرارة بن عدس يقال لها رشية كانت سبية أصابها زرارة من الرفيدات وهم حى من العرب فولدت له عمرا وذؤيبا وبرغوثا فمات كبيش وترعرع الغلمة فقال لقيط بن زرارة يا رشية من أبو بنيك قالت كبيش بن جابر قال فاذهبى بهؤلاء الغلمة فعدسى بهم وجه ضمرة وخبريه من هم وكان لقيط عدوا لضمرة فانطلقت بهم الى ضمرة فقال ما هؤلاء قالت بنو أخيك فانتزع منها الغلمة وقال الحقى باهلك فرجعت فاخبرت أهلها بالخبر فركب زرارة وكان رجلا حليما حتى أتى بنى نهشل فقال ردوا على غلمتى فسبه بنو نهشل وأهجروا له فلما رأى ذلك انصرف فقال له قومه ماصنعت قال خيرا ما أحسن ما لقينى به قومى فمكث حولا ثم أتاهم فاعادوا عليه أسوأ ما كانوا قالوا له فانصرف فقال له قومه ماصنعت قال خيرا قد أحسن بنو عمى وأجملوا فمكث بذلك سبع سنين يأتيهم فى كل سنة فيردونه بأسوإ الرد فبينما بنو نهشل يسيرون ضحى اذ لحق بهم لاحق فاخبرهم ان زرارة قد مات فقال ضمرة يا بنى نهشل انه قد مات حليم اخوتكم اليوم فاتقوهم بحقهم ثم قال ضمرة لنسائه قفن أقسم بينكن الثكل وكانت عنده هند بنت كرب بن صفوان وامرأة يقال لها خليدة من بنى عجل وسبية من عبد القيس وسبية من الازد من بنى طمثان وكان لمن أولاد غير خليدة فقالت لهند وكانت لها مصافية ولى الثكل بنت غيرك ويروى ولى الثكل بنت غيرك على سبيل الدعاء فارسلتها مثلا فأخذ ضمرة شقة بن ضمرة وأمه هند وشهاب بن ضمرة وأمه العبدية وعنوة ابن ضمرة وأمه الطمثانية فارسل بهم الى لقيط بن زرارة وقال هؤلاء رهن لك بغلمتك حتى أرضيك منهم فلما وقع بنو ضمرة فى يدى لقيط أساء ولايتهم وجفاهم وأهانهم فقال فى ذلك ضمرة بن جابر

صرمت اخا شقة يوم غول * واخوته فلا حلت حلالى

كأني اذ رهنت بني قومي * دفعتهم الى الصهب السبال
ولم أرهنهم بدم ولكن * رهنتهم بصلح أو بمال
صرمت اخا شقة يوم غول * وحق اخا شقة بالوصال

فاجابه لقيط

أبا قطن اني أراك حزينا * وان العجول لا يبالي حنينا
أفي ان صبرتم نصف عام لحقتنا * ونحن صبرنا قبل سبع سنينا

فقال ضمرة

لعمرك انني وطلاب حبي * وترك بني في الشطر الاعادي
لمن نوكى الشيوخ وكان مثلي * اذا ما ضل لم ينعش بهاد

ثم ان بني نهشل طلبوا الى المنذر بن ماء السماء ان يطلبهم من لقيط فقال لهم المنذر نحوا عني وجوهكم ثم أمر بخمر وطعام ودعا لقيطا فاكلا وشربا حتى اذا أخذت الخمر منهما قال المنذر للقيط يا خير الفتيان ماتقول في رجل اختارك الليلة على ندامى مضر قال وما أقول فيه أقول انه لا يسألني شيئا الا أعطيته اياه غير الغلمة قال المنذر أما اذا استثنيت فلست قابلا منك شيئا حتى تعطيني كل شيء سألتك قال فذلك لك قال فاني أسألك الغلمة ان تهبهم لي قال سلني غيرهم قال ما أسألك غيرهم فارسل لقيط اليهم فدفعهم الى المنذر فلما أصبح لقيط لام قومه فندم فقال في المنذر

انك لو غطيت أرجاء هوة * مغمسة لا يستثار ترابها
بثوبك في الظلماء ثم دعوتني * لجئت اليها سادرا لا أهابها
فاصبحت موجودا على ملوما * كأن نضيت عن حائض لي ثيابها

قال فارسل المنذر الى الغلمة وقدمات ضمرة وكان صديقا للمنذر فلما دخل عليه الغلمة وكان يسمع بشقة ويعجبه ما يبلغه عنه فلما رآه قال تسمع بالمعيدي خير من أن تراه فارسلها مثلا قال شقة أبيت اللعن وأسعدك الله ان القوم ليسوا بجزر يعني الشاء انما يعيش الرجل باصغريه لسانه وقلبه فاعجب المنذر كلامه وسره كل ما رأى منه قال فسماه ضمرة باسم أبيه فهو ضمرة بن ضمرة وذهب قوله يعيش الرجل باصغريه مثلا وينشد على هذا

ظننت به خيرا فقصر دونه * فيارب مظنون به الخير يخلف

قلت وقريب من هذا ما يحكى أن الحجاج أرسل الى عبد الملك بن مروان بكتاب مع رجل فجعل عبد الملك يقرأ الكتاب ثم يسال الرجل فيشفيه بجواب ما يساله فيرفع عبد الملك

رأسه

رأسه اليه فيراه أسود فلما اعجبه ظرفه وبيانه قال متمثلا

فان عرارا ان يكن غير واضح * فاني احب الجون ذا المنكب العمم

فقال له الرجل يا امير المؤمنين هل تدري من عرار أنا والله عرار بن عمرو بن شاس الاسدي الشاعر

(ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل)

الدخل العيب الباطن يضرب لذي المنظر لا خير عنده قال المفضل اول من قال ذلك عثمة بنت مطرود البجيلية وكانت ذات عقل ورأي مستمع في قومها وكانت لها اخت يقال لها خود وكانت ذات جمال وميسم وعقل وان سبعة اخوة غلمة من بطن الازد خطبوا خودا الى ابيها فاتوه وعليهم الحلل اليمانية وتحتهم النجائب الفره فقالوا نحن بنو مالك بن غفيلة ذي النحيين فقال لهم انزلوا على الماء فنزلوا ليلتهم ثم اصبحوا غادين في الحلل والهيئة ومعهم ربيبة لهم يقال لها الشعثاء كاهنة فمروا بوصيدها يتعرضون لها وكلهم وسيم جميل وخرج ابوها فجلسوا اليه فرحب بهم فقالوا بلغنا ان لك بنتا ونحن كما ترى شباب وكلنا يمنع الجانب ويمنع الراغب فقال ابوها كلكم خيار فاقيموا نرى راينا ثم دخل على بنته فقال ما ترين فقد اتاك هؤلاء القوم فقالت انكحني على قدري ولا تشطط في مهري فان تخطئني احلامهم لا تخطئني اجسامهم لعلي اصيب ولدا واكثر عددا فخرج ابوها فقال اخبروني عن افضلكم قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة اسمع اخبرك عنهم هم اخوة وكلهم اسوة اما الكبير فمالك جرئ فاتك يتعب السنابك ويستصغر المهالك واما الذي يليه فالغمر بحر غمر يقصر دونه الفخر نهد صقر واما الذي يليه فعلقمة صليب المعجمة منيع المشتمة قليل الجمجمة واما الذي يليه فعاصم سيد ناعم جلد صارم أبي حازم جيشه غانم وجاره سالم واما الذي يليه فثواب سريع الجواب عتيد الصواب كريم النصاب كليث الغاب واما الذي يليه فمدرك بذول لما يملك عزوب عما يترك يفني ويهلك واما الذي يليه فجندل لقرنه مجدل مقل لما يحمل يعطي ويبذل وعن عدوه لا ينكل فشاورت اختها فيهم فقالت اختها عثمة ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل اسمعي مني كلمة ان شر الغريبة يعلن وخيرها يدفن انكحي في قومك ولا تغررك الاجسام فلم تقبل منها وبعثت الى ابيها انكحني مدركا فانكحها ابوها على مائة ناقة ورعاتها وحملها مدرك فلم تلبث عنده الا قليلا حتى صبحهم فوارس من بني مالك بن كنانة

فاقتتلوا ساعة ثم ان زوجها واخوته وبنى عامر انكشفوا فسبوها فبينا هى تسير بكت فقالوا ما يبكيك أعلى فراق زوجك قالت قبحه الله قالوا لقد كان جميلا قالت قبح الله جمالا لا نفع معه انما ابكى على عصيانى اختى وقولها ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل واخبرتهم كيف خطبوها فقال لها رجل منهم يكنى أبا نواس شاب اسود أفوه مضطرب الخلق أترضين بى على ان أمنعك من ذئاب العرب فقالت لاصحابه أكذلك هو قالوا نعم انه مع ما ترين ليمنع الحليلة وتتقيه القبيلة قالت هذا أجمل جمال واكمل كمال قد رضيت به فزوجوها منه

(نعست الجحلة)

أول من قال هذا افند مولى عائشة بنت سعد بن أبى وقاص وكان أحد المغنيين المجيدين وكان يجمع بين الرجال والنساء وله يقول ابن قيس الرقيات

قل لافند يشيع الاظعانا * طالما سر عيشنا وكفانا

وكانت عائشة أرسلته يأتيها بنار فوجد قوما يخرجون الى مصر فخرج معهم فاقام بها سنة ثم قدم فأخذ نارا وجاء يعدو فعثر وتبدد الجمر فقال نعست الجحلة وفيه يقول الشاعر

مارأينا للغراب مثلا * اذ بعثناه يجى بالمشملة

غير فند أرسلوه قابسا * فثوى حولا وسب الجحلة

المشملة كساء تجمع فيه المقدحة بآلاتها وقال بعضهم الرواية المشملة بفتح الميم وهى مهب الشمال يعنى الجانب الذى بعث نوح عليه السلام الغراب اليه ليأتيه بخبر الارض أجفت أم لا

(تجمع بين خلابة وصدودا)

يضرب لمن يجمع بين خصلتى شر قالوا هو من قول جرير بن عطية وذلك ان الحجاج بن يوسف أراد قتله فمشت اليه مضر فقالوا اصلح الله الامير لسان مضر وشاعرها هبه لنا فوهبه لهم وكانت هند بنت اسماء بن خارجة ممن طلب فيه فقالت للحجاج ائذن لى فاسمع من قوله قال نعم فامر بمجلس له وجلس فيه هو وهند ثم بعث الى جرير فدخل وهو لا يعلم بمكان الحجاج فقالت يا ابن الخطفى انشدنى قولك فى التشبيب قال والله ما شببت بامرأة قط وما خلق الله شيئا ابغض الى من النساء ولكنى اقول فى المديح ما بلغك فان شئت اسمعتك قالت يا عدو نفسه فاين قولك

يجرى السواك على اغر كانه * برد تحدر من متون غمام

مارقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام
لو كنت صادقة الذى حدثتنا * لوصلت ذاك فكان غير رمام

قال جرير لا والله ما قلت هذا ولكنى أقول

لقد جرد الحجاج بالحق سيفه * الا فاستقيموا لا يميلن مائل
ولا يستوى داعى الضلالة والهدى * ولا حجة الخصمين حق وباطل

فقالت هند دع ذا عنك فاين قولك

خليلى لا تستشعرا النوم اننى * أعيذكما بالله أن تجدا وجدى
ظمئت الى برد الشراب وغرنى * جدا مزنة يرجى جداها وما تجدى

قال جرير بل أنا الذى أقول

من يأمن الحجاج اما عقابه * فمر وأما عقده فوثيق
يخفتك حتى انزلتنى مخافتى * وقد كان من دونى عماية نيق
يسر لك البغضاء كل منافق * كما كل ذى دين عليك شفيق

قالت دع ذا عنك ولكن هات قولك

يا عاذلىّ دعا الملامة واقصرا * طال الهوى واطلتما التفنيدا
انى وجدتك لو اردت زيادة * فى الحب منى ما وجدت مزيدا
اخليتنا وصددت ام محمد * افتجمعين خلابة وصدودا
لا يستطيع اخو الصبابة ان يرى * حجرا أصم وان يكون حديدا

(اتيه من فقيد ثقيف)

قالوا كان بالطائف فى اوّل الاسلام اخوان فتزوّج احدهما امرأة من بنى كنة ثم رام سفرا فاوصى الاخ بها فكان يتعهدها كل يوم بنفسه وكانت من احسن الناس وجها فذهبت بقلبه فضنى واخذت قوته حتى عجز عن المشى ثم عجز عن القعود وقدم اخوه فلما رآه بتلك الحالة قال مالك يا أخى ما تجد قال ما اجد شيئا غير الضعف فبعث اخوه الى الحارث بن كلدة طبيب العرب فلما حضر لم يجد به علة من مرض ووقع له ان ما به من عشق فدعا بخمر وفت فيها خبزا فاطعمه اياه ثم اتبعه بشربة منها فتحرك ساعة ثم نغض راسه ورفع عقيرته بهذه الابيات

ألما بى على الابيا * ت بالخيف نزرهنه
غزال ثم يحتل * بها دور بنى كنه

غـزال احور العيـ*ـن في منطقه غنه
فعرف انه عاشق فاعاد عليه الخبر فأنشأ يقول

ايها الجيرة اسلموا * وقفوا كي تكلموا
خرجت مزنة من البـ*ـحر ريا تجمجم
هي ماكنتي وتز * عم انى لها حم

فعرف اخوه مابه فقال يا اخي هي طالق ثلاثا فتزوجها فقال هي طالق يوم اتزوجها ثم ثاب اليه ثائب من العقل والقوة ففارق الطائف حضرا وهام في البر فما رؤى بعد ذلك فمكث اخوه اياما ثم مات كمدا على اخيه فضرب به المثل وسمى فقيد ثقيف وأما قولهم

(أتيه من أحمق ثقيف)

فهذا من التيه الذى هو الصلف واحمق ثقيف هو يوسف بن عمرو وكان أمير العراقين من قبل هشام بن عبد الملك وكان أتيه واحمق عربي امر ونهى في دولة الاسلام ومن حمقه ان حجاما كان يحجمه فلما أراد ان يشرطه ارتعدت يده فاحس بذلك يوسف وكان حاجبه قائما على رأسه فقال له قل لهذا البائس لا تخف وكان يوسف قصيرا جدا فقيئا فكان الخياط عند قطع ثيابه اذا قال له يحتاج لى زيادة اكرمه وحباه واذا قال يفضل شيء اهانه واقصاه

(ثكل أرأمها ولدا)

قاله بيهس الملقب بنعامة لامه حين رجع اليها بعد اخوته الذين قتلوا قال المفضل كان من حديث بيهس انه كان رجلا من بنى فزارة بن ذبيان بن بغيض وكان سابع سبعة اخوة فاغار عليهم ناس من اشجع بينهم وبينهم حرب وهم في ابلهم فقتلوا منهم ستة وبقى بيهس وكان يحمق وكان اصغرهم فارادوا قتله ثم قالوا وما تريدون من قتل هذا يحسب عليكم برجل ولا خير فيه فتركوه فقال دعوني اتوصل معكم الى الحى فانكم ان تركتموني وحدى اكلتني السباع وقتلني العطش ففعلوا فاقبل معهم فلما كان من الغد نزلوا فنحروا جزورا في يوم شديد الحر فقالوا ظللوا لحمكم لا يفسد فقال بيهس لكن بالاثلاث لحم لا يظلل فذهبت مثلا فلما قال ذلك قالوا انه لمنكر وهموا ان يقتلوه ثم تركوه وظلوا يشوون من لحم الجزور ويأكلون فقال أحدهم ما أطيب يومنا وأخصبه فقال بيهس لكن على بلدح قوم عجفى فذهبت مثلا ثم انشعب طريقهم فاتى أمه فاخبرها الخبر قالت فما جاء بك من بين اخوتك فقال بيهس لو خيرت لاخترت فذهبت مثلا ثم ان أمه
عطفت

عطفت عليه ورقت له فقال الناس لقد احبت ام بيهس بيهسا فقال بيهس ثكل ارأمها ولدا أي عطفها على ولد فارسلها مثلا ثم ان أمه جعلت تعطيه بعد ذلك ثياب اخوته فيلبسها ويقول يا حبذا التراث لولا الذلة فارسلها مثلا ثم انه أتى على ذلك ماشاء الله فمر بنسوة من قومه يصلحن امرأة منهن يردن ان يهدينها لبعض القوم الذين قتلوا اخوته فكشف ثوبه عن استه وغطى به رأسه فقلن له ويحك ما تصنع يا بيهس فقال

البس لكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بوسها

فارسلها مثلا ثم أمر النساء من كنانة وغيرها فصنعن له طعاما فجعل يأكل ويقول حبذا كثرة الايدي في غير طعام فارسلها مثلا فقالت له أمه لا يطلب هذا بثار أبدا فقالت الكنانية لا تأمني الأحمق وفي يده سكين فارسلتها مثلا ثم انه اخبر ان ناسا من اشجع في غار يشربون فيه فانطلق بخال له يقال له ابو حنش فقال له هل لك في غار فيه ظباء لعلنا نصيب منها ويروى هل لك في غنيمة باردة فارسلها مثلا ثم انطلق بيهس بخاله حتى اقامه على فم الغار ثم دفع ابا حنش في الغار فقال ضربا ابا حنش فقال بعضهم ان ابا حنش لبطل فقال ابو حنش مكره اخوك لا بطل فارسلها مثلا قال المتلمس في ذلك

ومن طلب الاوتار ما حز انفه * قصير وخاض الموت بالسيف بيهس
نعامة لما صرع القوم رهطه * تبين في أثوابه كيف يلبس

(جري المذكيات غلاب)

المذكية من الخيل التي قد اتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان والغلاب المغالبة اي ان المذكي يغالب مجاريه فيغلبه لقوته ويجوز ان يراد ان ثاني جريه ابدا اكثر من باديه وثالثه اكثر من ثانيه فكانه يغالب بالثاني الاول وبالثالث الثاني فجريه ابدا غلاب وهذا معنى قول ابي عبيد حيث قال فهي تحتمل ان تغالب الجري غلابا ويروى جري المذكيات غلاء جمع غلوة يعني ان جريها يكون غلوات ويكون شأوها بطيئا الا كالجذع يضرب لمن يوصف بالتبريز على اقرانه في حلبة الفضل

(جاور رينا واخبرينا)

قال يونس كان رجلان يتعشقان امرأة وكان احدهما جميلا وسيما وكان الآخر دميما تقتحمه العين فكان الجميل منهما يقول عاشرينا وانظري الينا وكان الدميم يقول جاورينا واخبرينا فكانت تدني الجميل فقالت لاختبرنهما فقالت لكل واحد منهما ان ينحر جزورا فاتيتهما متنكرة فبدات بالجميل فوجدته عند القدر يلحس الدسم

ويأكل الشحم ويقول احتفظوا كل بيضاءليه يعني الشحم فاستطعمته فأمر لها بثيل الجزور فوضع في قصعتها ثم أتت الدميم فاذا هو يقسم لحم الجزور ويعطي كل من سأله فسألته فأمر لها بأطايب الجزور فوضع في قصعتها فرفعت الذي أعطاها كل واحد منهما على حدة فلما أصبحا غدوا اليها فوضعت بين يدي كل واحد منهما ما أعطاها وأقصت الجميل وقربت الدميم ويقال اهتزت وجنته يضرب في القبيح المنظر الجميل المخبر

(جدع الحلال أنف الغيرة)

قاله صلى الله عليه وسلم ليلة زفت فاطمة الى علي رضي الله تعالى عنهما وهذا حديث يروى عن الحجاج بن منهال يرفعه

(جوع كلبك يتبعك)

ويروى اجع كلبك وكلاهما يضرب في معاشرة اللئام وما ينبغي ان يعاملوا به قال المفضل أول من قال ذلك ملك من ملوك حمير كان عنيفا على أهل مملكته يغصبهم أموالهم ويسلبهم ما في أيديهم وكانت الكهنة تخبره انه سيقتلونه فلا يحفل بذلك وان امرأته سمعت أصوات السؤال فقالت اني لارحم هؤلاء لما يلقون من الجهد ونحن في العيش الرغد واني لاخاف عليك ان يصيروا سباعا وقد كانوا لنا أتباعا فرد عليها جوع كلبك يتبعك وأرسلها مثلا فلبث بذلك زمانا ثم أغزاهم فغنموا ولم يقسم فيهم شيئا فلما خرجوا من عنده قالوا لاخيه وهو أميرهم قد ترى ما نحن فيه من الجهد ونحن نكره خروج الملك منكم أهل البيت الى غيركم فساعدنا على قتل أخيك واجلس مكانه وكان قد عرف بغيه واعتداءه عليهم فاجابهم الى ذلك فوثبوا عليه فقتلوه فمر به عامر بن جذيمة وهو مقتول وقد سمع بقوله جوع كلبك يتبعك فقال ربما أكل الكلب مؤدبه اذا لم ينل شبعه فارسلها مثلا

(اجناؤها أبناؤها)

قال أبو عبيد الاجناء هم الجناة والابناء البناة والواحد جان وبان وهذا جمع عزيز في الكلام ان يجمع فاعل على افعال قال وأصل المثل ان ملكا من ملوك اليمن غزا وخلف بنتا وان ابنته أحدثت بعده بنيانا قد كان أبوها يكرهه وانما فعلت ذلك برأي قوم من أهل مملكته أشاروا عليها وزينوه عندها فلما قدم الملك وأخبر بمشورة أولئك ورأيهم أمرهم بأعيانهم ان يهدموه وقال عند ذلك اجناؤها أبناؤها فذهبت مثلا يضرب في سوء المشورة والرأي وللرجل يعمل الشئ بغير روية ثم يحتاج الى نقض ما عمل وافساده

والفساد ومعنى المثل ان الذين جنوا على هذه الدار بالهدم هم الذين عمروها بالبناء

(الجرع أروى والرشيف أنقع)

الرشف والرشيف المص للماء والجرع بلعه والنقع تسكين الماء للعطش أى ان الشراب الذى يترشف قليلا قليلا اقطع للعطش وانجع وان كان فيه بطء وقوله أروى أى أسرع ريا وقوله أنقع أى أثبت وأدوم ريا من قولهم سم ناقع أى ثابت يضرب لمن يقع فى غنيمة فيؤمر بالمبادرة والاقتطاع لما قدر عليه قبل أن يأتيه من ينازعه وقيل معناه ان الاقتصاد فى المعيشة أبلغ وأدوم من الاسراف فيها

(الجار ثم الدار)

هذا كقولهم الرفيق قبل الطريق وكلاهما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أبو عبيد كان بعض فقهاء أهل الشام يحدث بهذا الحديث ويقول معناه اذا أردت شراء دار فسل عن جوارها قبل شرائها

(جف حجرك وطاب نشرك أكلت دهشا وحطبت قشا)

قال يونس بن حبيب كان من حديث هذين المثلين ان امرأة زارتها بنت أخيها وبنت أختها فأحسنت تزويرهما فلما كان عند رجوعهما قالت لابنة أخيها جف حجرك وطاب نشرك فسرت الجارية بما قالت لها عمتها وقالت لابنة أختها أكلت دهشا وحطبت قشا فوجدت بذلك الصبية وشق عليها ما قالت لها خالتها فانطلقت بنت الاخ الى أمها مسرورة فقالت لها أمها ما قالت لك عمتك فقالت قالت لى خيرا ودعت لى قالت وكيف قالت لك قالت قالت جف حجرك وطاب نشرك قالت أى بنية مادعت لك بخير ولكن دعت بان لا تحملى ولدا أبدا فيبل حجرك ويغير نشرك وانطلقت الاخرى الى أمها فقالت لها أمها ما قالت لك خالتك قالت وما عسى أن تقول لى دعت الله على قالت وكيف قالت لك قالت قالت أكلت دهشا وحطبت قشا قالت بل دعت الله لك يا بنية ان يكثر ولدك فينازعوك فى المال ويقمشوك حطبا

(حرك لها حوارها تحن)

الحوار ولد الناقة والجمع القليل أحورة والكثير حوران وحيران ولا يزال حوارا حتى يفصل فاذا فصل عن أمه فهو فصيل ومعنى المثل ذكره بعض أشجانه يهيج له وهذا المثل قاله عمرو بن العاص لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام

(حسبك من شر سماعه)

أي اكتف من الشر بسماعه ولا تعاينه ويجوز أن يريد يكفيك سماع الشر وان لم تقدم عليه ولم تنسب اليه قال أبو عبيد أخبرني هشام بن الكلبي أن المثل لام الربيع ابن زياد العبسي وذلك ان ابنها الربيع كان أخذ من قيس بن زهير بن جذيمة درعا فعرض قيس لام الربيع وهي على راحلتها في مسير لها فأراد أن يذهب بها ليرتهنها بالدرع فقالت له أين عزب عنك عقلك يا قيس أترى بني زياد مصالحيك وقد ذهبت بامهم يمينا وشمالا وقال الناس ما قالوا وشاؤوا وان حسبك من شر سماعه فذهبت كلمتها مثلا تقول كفى بالمقالة عارا وان كان باطلا يضرب عند العار والمقالة السيئة وما يخاف منها وقال بعض النساء الشواعر

سائل بنا في قومنا * وليكف من شر سماعه

وكان المفضل فيما حكي عنه يذكر هذا الحديث ويسمي أم الربيع ويقول هي فاطمة بنت الخرشب من بني انمار بن بغيض

(حلي أصم وأذني غير صماء)

أي أعرض عن الخنا بحلمي وان سمعته باذني

(حسبك من غنى شبع وري)

أي اقنع من الغنى بما يشبعك ويرويك وجد بما فضل وهذا المثل لامرئ القيس يذكر معزى كانت له فيقول

اذا ما لم تكن ابل فمعزى * كأن قرون جلتها العصي
فتملأ بيتنا أقطا وسمنا * وحسبك من غنى شبع وري

قال أبو عبيد وهذا يحتمل معنيين أحدهما يقول اعط كل ما كان لك وراء الشبع والري والآخر القناعة باليسير يقول اكتف به ولا تطلب ماسوى ذلك والاول الوجه لقوله في شعر له آخر وهو

ولو انما أسعى لادنى معيشة * كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي
وما المرء ما دامت حشاشة نفسه * بمدرك أطراف الخطوب ولا آل

فقد أخبر ببعد همته وقدره في نفسه

(الحديث ذو شجون)

أي ذو طرق الواحد شجن بسكون الجيم والشواجن أودية كثيرة الشجر الواحدة شاجنة

شاجنة وأصل هذه الكلمة الاتصال والالتفاف ومنه الشجنة والشجنة الشجرة الملتفة الاغصان يضرب هذا المثل في الحديث يتذكر به غيره وقد نظمها الشيخ أبو بكر علي ابن الحسين القهستاني هذا المثل ومثلاً آخر في بيت واحد وأحسن ماشاء وهو

تذكر نجداً والحديث شجون * فجن اشتياقاً والجنون فنون

وأول من قال هذا المثل ضبة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وكان له ابنان يقال لاحدهما سعد وللآخر سعيد فنفرت ابل لضبة تحت الليل فوجه ابنيه في طلبها فتفرقا فوجدها سعد فردها ومضى سعيد في طلبها فلقيه الحارث بن كعب وكان على الغلام بردان فسأله الحارث اياهما فأبى عليه فقتله وأخذ برديه فكان ضبة اذا أمسى فرأى تحت الليل سواداً قال أسعد أم سعيد فذهب قوله مثلاً يضرب في النجاح والخيبة فمكث ضبة بذلك ماشاء الله ان يمكث ثم انه حج فوافى عكاظ فلقي بها الحارث بن كعب ورأى عليه بردي ابنه سعيد فعرفهما فقال له هل أنت مخبري ماهذان البردان اللذان عليك قال بلى لقيت غلاماً وهما عليه فسألته اياهما فأبى علي فقتلته وأخذت برديه هذين فقال ضبة بسيفك هذا قال نعم فقال فاعطنيه أنظر اليه فاني أظنه صارماً فأعطاه الحارث سيفه فلما أخذه من يده هزه وقال الحديث ذو شجون ثم ضربه به حتى قتله فقيل له ياضبة أفي الشهر الحرام فقال سبق السيف العذل فهو أول من سار عنه هذه الامثال الثلاثة قال الفرزدق

لا تأمنن الحرب ان استعارها * كضبة اذ قال الحديث شجون

(الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت)

هذا من كلام أكثم بن صيفي وقريب من هذا قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه

(خذ الامر بقوابله)

أي بمقدماته يعني دبره قبل أن يفوتك تدبيره والباء بمعنى في أي فيما يستقبلك منه يقال قبل الشيء واقبل يضرب في الامر باستقبال الامور

(خطب يسير في خطب كبير)

قاله قصير بن سعد اللخمي لجذيمة بن مالك بن نصر الذي يقال له جذيمة الابرش وجذيمة الوضاح والعرب تقول للذي به البرص به وضح تفاديا من ذكر البرص وكان جذيمة ملكاً على شاطئ الفرات وكانت الزباء ملكة الجزيرة وكانت من أهل باجرمي وتتكلم

بالعربية وكان جذيمة قد وترها بقتل أبيها فلما استجمع امرها وانتظم شمل ملكها أحبت
ان تغزو جذيمة ثم رأت ان تكتب اليه انها لم تجد ملك النساء الا قبحا في السماع وضعفا
في السلطان وانها لم تجد لملكها موضعا ولا لنفسها كفؤا غيرك فاقبل الي لاجمع ملكي
الى ملكك واصل بلادي ببلادك وتقلد أمري مع أمرك تريد بذلك الغدر فلما اتى
كتابها جذيمة وقدم عليه رسلها استخفه مادعته اليه ورغب فيما أطمعته فيه فجمع
أهل الحجا والرأي من ثقاته وهو يومئذ ببقة من شاطئ الفرات فعرض عليهم مادعته اليه
وعرضت عليه فاجتمع رأيهم على ان يسير اليها فيستولي على ملكها وكان فيهم قصير
وكان أريبا حازما أثيرا عند جذيمة فخالفهم فيما أشاروا به وقال رأي فاتر وغدر حاضر
فذهبت كلمته مثلا ثم قال لجذيمة الرأي ان تكتب اليها فان كانت صادقة في قولها
فلتقبل اليك والا لم تمكنها من نفسك ولم تقع في حبالتها وقد وترتها وقتلت أباها فلم يوافق
جذيمة ما أشار به فقال قصير

اني امرؤ لا يميل العجز ترويتي اذا أتت دون شئ مرة الوذم

فقال جذيمة لا ولكنك امرؤ رأيك في الكن لا في الضح فذهبت كلمته مثلا ودعا جذيمة
عمرو بن عدي ابن أخته فاستشاره فشجعه على المسير وقال ان قومي مع الزباء ولو قد
رأوك صاروا معك فاحب جذيمة ماقاله وعصى قصيرا فقال قصير لا يطاع لقصير أمر
فذهبت مثلا واستخلف جذيمة عمرو بن عدي على ملكه وسلطانه وجعل عمرو بن عبد
الجن معه على جنوده وخيوله وسار جذيمة في وجوه اصحابه فأخذ على شاطئ الفرات
من الجانب الغربي فلما نزل دعا قصيرا فقال ما الرأي يا قصير قال قصير ببقة خلفت
الرأي فذهبت مثلا قال وما ظنك بالزباء قال القول رداف والحزم عثراته تخاف فذهبت
مثلا واستقبله رسل الزباء بالهدايا والالطاف فقال يا قصير كيف ترى قال خطب يسير
في خطب كبير فذهبت مثلا وستلقاك الخيول فان سارت امامك فالمرأة صادقة وان
اخذت جنبتيك واحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك فاركب العصا فانه لا يشق
غبارها فذهبت مثلا وكانت العصا فرسا لجذيمة لا تجارى واني راكبها ومسايرك عليها
فلقيته الخيول والكتائب فحالت بينه وبين العصا فركبها قصير ونظر اليه جذيمة على
متن العصا موليا فقال ويل امه حزما على متن العصا فذهبت مثلا وجرت به الى غروب
الشمس ثم نفقت وقد قطعت ارضا بعيدة فبنى عليها برجا فقال له برج العصا وقالت العرب
خير ما جاءت به العصا فذهبت مثلا وسار جذيمة وقد احاطت به الخيل حتى دخل على
الزباء

الزباء فلما رأته تكشفت فاذا هي مضفورة الاسب فقالت يا جذيمة أداب عروس ترى فذهبت مثلا فقال جذيمة بلغ المدى وجف الثرى وأمر غدر أرى فذهبت مثلا ودعت بالسيف والنطع ثم قالت ان دماء الملوك شفاء من الكلب فأمرت بطست من ذهب قد أعدته له فسقته الخمر حتى سكر وأخذت الخمر منه مأخذها فأمرت براهشيه فقطعا وقدمت اليه الطست وقد قيل لها ان قطر من دمه شئ في غير الطست طلب بدمه وكانت الملوك لا تقتل بضرب الاعناق الا في القتال تكرمة للملك فلما ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه في غير الطست فقالت لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعوا دما ضيعه أهله فذهبت مثلا وهلك جذيمة وجعلت الزباء دمه في ربعة لها وخرج قصير من الحي الذي هلكت العصا بين أظهرهم حتى قدم على عمرو بن عدي وهو بالحيرة فقال له قصير أثائر أنت قال بل ثائر سائر فذهبت مثلا ووافق قصير الناس وقد اختلفوا فصارت طائفة مع عمرو بن عدي اللخمي وجماعة منهم مع عمرو بن عبد الجن الجرمي فاختلف بينهما قصير حتى اصطلحا وانقاد عمرو بن عبد الجن لعمرو بن عدي فقال قصير لعمرو بن عدي تهيأ واستعد ولا تطل دم خالك قال وكيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجو فذهبت مثلا وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن هلاكها فقالت أرى هلاكك بسبب غلام مهين غير أمين وهو عمرو بن عدي ولن تموتي بيده ولكن حتفك بيدك ومن قبله ما يكون ذلك فحذرت عمرا واتخذت لها نفقا من مجلسها الذي كانت تجلس فيه الى حصن لها في داخل مدينتها وقالت ان فجأني أمر دخلت النفق الى حصني ودعت رجلا مصورا من أجود أهل بلادهم تصويرا وأحسنهم عملا فجهزته وأحسنت اليه وقالت سر حتى تقدم على عمرو بن عدي متنكرا فتخلو بحشمه وتنضم اليهم وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور ثم اثبت لي عمرو بن عدي معرفة فصوره جالسا وقائما وراكبا ومتفضلا ومتسلحا بهيأته ولبسته ولونه فاذا أحكمت ذلك فاقبل الي فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدي وصنع ما أمرته به الزباء وبلغ من ذلك ما أوصته به ثم رجع الى الزباء بعمل ما وجهته له من الصورة على ما وصفت وأرادت ان تعرف عمرو بن عدي فلا تراه على حال الا عرفته وحذرته وعلمت علمه فقال قصير لعمرو بن عدي اجدع أنفي واضرب ظهري ودعني واياها فقال عمرو وما أنا بفاعل وما أنت لذلك مستحقا عندي فقال قصير خل عني اذا وخلاك ذم فذهبت مثلا فقال له عمرو فأنت أبصر فجدع قصير أنفه وأثر آثارا بظهره فقالت العرب لمكر ما جدع قصير أنفه وفي ذلك يقول المتلمس

وفي طلب الاوتار ماخز أنفه * قصير ورام الموت بالسيف بيهس

ثم خرج قصير كانه هارب وأظهر ان عمرا فعل ذلك به وأنه زعم انه مكر بخاله جذيمة وغره من الزباء فسار قصير حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيرا بالباب فأمرت به فأدخل عليها فاذا أنفه قد جدع وظهره قد ضرب فقالت ما الذي أرى بك يا قصير قال زعم عمرو أني قد غررت خاله وزينت له المصير اليك وغششته ومالأتك ففعل بي ماترين فأقبلت اليك وعرفت اني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك فأكرمته وأصابت عنده من الحزم والرأي ما أرادت فلما عرف انها استرسلت اليه ووثقت به قال ان لي بالعراق أموالا كثيرة وطرائف وثيابا وعطرا فابعثيني الى العراق لاحمل مالي وأحمل اليك من بزوزها وطرائفها وثيابها وطيبها وتصيبين في ذلك أرباحا عظاما وبعض مالا غنى بالملوك عنه وكان اكثر ما يطرفها من التمر الصرفان وكان يعجبها فلم يزل يزين ذلك حتى أذنت له ودفعت له أموالا وجهزت معه عبيدا فسار قصير بما دفعت اليه حتى قدم العراق وأتى الحيرة متنكرا فدخل على عمرو فاخبره الخبر وقال جهزني بصنوف البز والامتعة لعل الله يمكن من الزباء فتصيب ثأرك وتقتل عدوك فأعطاه حاجته فرجع بذلك الى الزباء فاعجبها ما رأت وسرها وازدادت به ثقة وجهزته ثانية فسار حتى قدم على عمرو فجهزه وعاد اليها ثم عاد الثالثة وقال لعمرو اجمع لي ثقات أصحابك وهيء الغرائر والمسوح واحمل كل رجلين على بعير في غرارتين فاذا دخلوا مدينة الزباء اقمتك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا باهل المدينة فمن قاتلهم قتلوه وان أقبلت الزباء تريد النفق جللتها بالسيف ففعل عمرو ذلك وحمل الرجال في الغرائر بالسلاح وسار يكمن النهار ويسير الليل فلما صار قريبا من مدينتها تقدم قصير فبشرها وأعلمها بما جاء به من المتاع والطرائف وقال لها آخر البز على القلوص فارسلها مثلا وسألها ان تخرج فتنظر الى ما جاء به وقال لها جئت بما صاء وصمت فذهبت مثلا ثم خرجت الزباء فأبصرت الابل تكاد قوائمها تسوخ في الارض من ثقل احمالها فقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا

* أم صرفانا تارزا شديدا *

فقال قصير في نفسه * بل الرجال قبضا قعودا * فدخلت الابل المدينة حتى كان آخرها بعيرا مر على بواب المدينة وكان بيده منخسة فنخس بها الغرارة فاصابت خاصرة الرجل الذي فيها فضرط فقال البواب بالرومية بشذب ساقا يقول شر في الجوالق

فارسلها

فارسلها مثلا فلما توسطت الابل المدينة أنيخت ودل قصير عمرا على باب النفق الذى كانت الزباء تدخله وأرته اياه قبل ذلك وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا باهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو على باب النفق وأقبلت الزباء تريد النفق فأبصرت عمرا فعرفته بالصورة التى صورت لها فمصت خاتمها وكان فيه السم وقالت بيدى لا بيد ابن عدى فذهبت كلمتها مثلا وتلقاها عمرو فجللها بالسيف وقتلها وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها وانكفأ راجعا الى العراق وفى بعض الروايات مكان قولها أداب عروس ترى أشوار عروس ترى فقال جذيمة أرى داب فاجرة غدور بظراء تفلة قالت لا من عدم مواس ولا من قلة أواس ولكن شيمة من اناس فذهبت مثلا

(الدين النصيحة)

الاصل فى النصيحة التلفيق بين الناس من النصح وهو الخياطة وذلك ان تلفق بين التفاريق وهذا من حديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمامه قالوا لمن يا رسول الله قال لله ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قالت العلماء النصيحة لله ان يخلص العبد العمل لله والنصيحة لرسوله ان يصفو قلبه فى قبول دعوى النبوة ولا يضمر خلافها والنصيحة للمسلمين ان لا يتميز عنه فى حال من الاحوال وقيل النصيحة لائمة المسلمين ان لا يشق عصاهم ولا يعق فتواهم

(رب أخ لك لم تلده أمك)

يروى هذا المثل للقمان بن عاد وذلك أنه أقبل ذات يوم فبيناهو يسير اذ أصابه عطش فهجم على مظلة فى فنائها امرأة تداعب رجلا فاستسقى لقمان فقالت المرأة اللبن تبغى أم الماء قال لقمان أيهما كان ولا عداء فذهبت كلمته مثلا قالت المرأة أما اللبن فخلفك وأما الماء فأمامك قال لقمان المنع كان أوجز فذهبت مثلا قال فبيناهو كذلك اذ نظر الى صبى فى البيت يبكى فلا يكترث له ويستسقى فلا يسقى فقال ان لم يكن لكم فى هذا الصبى حاجة فادفعوه الى فكفلته فقالت المرأة ذاك الى هانئ وهانئ زوجها فقال لقمان وهانئ من العبد فذهبت مثلا ثم قال لها من هذا الشاب الى جنبك فقد علمته ليس ببعلك قالت هذا أخى قال لقمان رب أخ لك لم تلده أمك فذهبت مثلا ثم نظر الى أثر زوجها فى فتل الشعر فعرف فى فتله شعر البناء انه أعسر فقال ثكلت الاعسر أمه لو يعلم العلم لطال غمه فذهبت مثلا فذعرت المرأة من قوله ذعرا شديدا فعرضت عليه الطعام والشراب فأبى وقال المبيت على الطوى حتى تنال به كريم المثوى خير من اتيان مالا تهوى فذهبت مثلا ثم مضى حتى اذا كان مع العشاء اذا هو برجل يسوق ابله وهو

يرتجز ويقول

روحي الى الحي فان نفسي * رهينة فيهم بخير عرس
حسانة المقلة ذات أنس * لا يشتري اليوم لها بأمس

فعرف لقمان صورته ولم يره فهتف به يا هاني فقال ما بالك فقال

ياذا البجاد الحلكه * والزوجة المشتركه
عش رويدا أبلكه * لست لمن ليست لكه

فذهبت مثلا قال هاني تور نور الله أبوك قال لقمان على التنوير وعليك التغيير ان كان عندك نكير كل امرئ في بيته أمير فذهبت مثلا ثم قال انى مررت وبي أوام فدفعت الى بيت فاذا أنا بامرأة تغازل رجلا فسألتها عنه فزعمته أخاها ولو كان أخاها الحكى عن نفسه وكفاها الكلام فقال هاني وكيف علمت ان المنزل منزلي والمرأة امرأتي قال عرفت عقائق هذه النوق في البناء وهذه الحلبة في الفناء وسقب هذه الناب وأثر يدك في الاطناب قال صدقتني فداك أبي وأمي وكذبتني نفسي فما الرأي قال هل لك علم قال نعم بشأني قال لقمان كل امرئ بشأنه عليم فذهبت مثلا قال له هاني هل بقيت بعد هذه قال لقمان نعم قال وماهو قال تحمي نفسك وتحفظ عرسك قال هاني افعل قال لقمان من يفعل الخير يجد الخير فذهبت مثلا ثم قال الرأي ان تقلب الظهر بطنا والبطن ظهرا حتى يتبين لك الامر أمرا قال افلا اعاجلها بكية تورد ها المنية فقال لقمان آخر الدواء الكي فأرسلها مثلا ثم انطلق الرجل حتى أتى امرأته فقص عليها القصة وسل سيفه فلم يزل يضربها به حتى بردت

(رب عجلة تهب ريثا)

ويروى تهب ريثا قال أبو زيد وريثا نصب على الحال في هذه الرواية أي تهب رائثة فأقيم المصدر مقام الحال وفي الرواية الاولى نصب على المفعول به وأول من قال ذلك فيما حكى المفضل مالك بن عوف بن أبي عمرو بن عوف بن محلم الشيباني وكان سنان ابن مالك بن أبي عمرو بن عوف بن محلم شام غيما فأراد أن يرحل بامرأته خماعة بنت عوف بن أبي عمرو فقال له مالك اين تظعن يا أخي قال أطلب موقع هذه السحابة قال لا تفعل فانه ربما خيلت وليس فيها قطر وأنا اخاف عليك بعض مقانب العرب قال لكني لست أخاف ذلك فمضى وعرض له مروان القرظ بن زنباع بن حذيفة العبسي فأعجله عنها وانطلق بها وجعلها بين بناته واخواته ولم يكشف لها سترا فقال مالك

ابن

ابن عوف لسنان ما فعلت أختي قال تغتني عنها الرماح فقال مالك رب عجلة تهب ريثا ورب فروقة يدعى ليثا ورب غيث لم يكن غيثا فأرسلها مثلا يضرب للرجل يشتد حرصه على حاجة ويخرق فيها حتى تذهب كلها

(رب ساع لقاعد)

ويروى معه وآكل غير حامد يقال ان أول من قاله النابغة الذبياني وكان وفد الى النعمان بن المنذر وفود من العرب فيهم رجل من عبس يقال له شقيق فمات عنده فلما حبا النعمان الوفود بعث الى أهل شقيق بمثل حباء الوفد فقال النابغة حين بلغه ذلك رب ساع لقاعد وقال للنعمان

أبقيت للعبسي فضلا ونعمة * ومحمدة من باقيات المحامد
حباء شقيق فوق أعظم قبره * وما كان يحبى قبله قبر وافد
أتى أهله منه حباء ونعمة * ورب امرئ يسعى لآخر قاعد

ويروى اسلمي أم خالد رب ساع لقاعد قالوا ان أول من قال ذلك معاوية بن أبي سفيان وذلك انه لما أخذ من الناس البيعة ليزيد ابنه قال له يابني قد صيرتك ولي عهدي بعدي وأعطيتك ما تمنيت فهل بقيت لك حاجة أو في نفسك أمر تحب أن افعله قال يزيد يا أمير المؤمنين ما بقيت لي حاجة ولا في نفسي غصة ولا أمر أحب ان أناله الا أمر واحد قال وماذاك يابني قال كنت أحب ان اتزوج أم خالد امرأة عبد الله بن عامر بن كريز فهي غايتي ومنيتي من الدنيا فكتب معاوية الى عبد الله بن عامر فاستقدمه فلما قدم عليه أكرمه وانزله أياما ثم خلا به فأخبره بحال يزيد ومكانه منه وايثاره هواه وسأله طلاق أم خالد على ان يطعمه فارس خمس سنين فأجابه الى ذلك وكتب عهده وخلى عبد الله سبيل أم خالد فكتب معاوية الى الوليد بن عتبة وهو عامل المدينة ان يعلم أم خالد أن عبد الله قد طلقها فلما انقضت عدتها دعا معاوية أبا هريرة فدفع اليه ستين ألفا وقال له ارحل الى المدينة حتى تأتي أم خالد فتخطبها على يزيد وتعلمها انه ولي عهد المسلمين وانه سخي كريم وان مهرها عشرون ألف دينار وكرامتها عشرون ألف دينار وهديتها عشرون ألف دينار فقدم أبو هريرة المدينة ليلا فلما أصبح أتى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه الحسن بن علي فسلم عليه وسأله متى قدمت قال قدمت البارحة قال وما أقدمك فقص عليه القصة فقال له الحسن فاذكرني لها قال نعم ثم مضى فلقيه الحسين بن علي وعبيد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهم فسألاه عن مقدمه فقص

عليهما القصة فقالا له اذ كرنا لها قال نعم ثم مضى فلقيه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن مطيع بن الاسود فسألوه عن مقدمه فقص عليهم القصة فقالوا اذ كرنا لها قال نعم ثم أقبل حتى دخل عليها فكلمها بما أمر به معاوية ثم قال لها ان الحسن والحسين ابني علي وعبد الله بن جعفر وعبيد الله بن العباس وابن الزبير وابن مطيع سألوني ان اذكرهم لك قالت أما هي فالخروج الى بيت الله والمجاورة له حتى أموت أو تشير علي بغير ذلك قال ابو هريرة أما انا فلا اختار لك هذا قالت فاختر لي قال اختاري لنفسك قالت لا بل اختر انت لي قال لها اما انا فقد اخترت لك سيدي شباب اهل الجنة فقالت قد رضيت بالحسن بن علي فخرج اليه ابو هريرة فأخبر الحسن بذلك وزوجها منه وانصرف الى معاوية بالمال وقد كان بلغ معاوية قصته فلما دخل عليه قال له انما بعثتك خاطبا ولم ابعثك محتسبا قال ابو هريرة انها استشارتني والمستشار مؤتمن فقال معاوية عند ذلك اسلمي ام خالد رب ساع لقاعد وآكل غير حامد فذهبت مثلا

(رب زارع لنفسه حاصد سواه)

قال ابن الكلبي اول من قال ذلك عامر بن الظرب وذلك انه خطب اليه صعصعة بن معاوية ابنته فقال يا صعصعة انك جئت تشتري مني كبدي وارحم ولدي عندي منعتك او بعتك النكاح خير من الايمة والحسيب كفؤ الحسيب والزوج الصالح يعد أبا وقد انكحتك خشية ان لا اجد مثلك ثم اقبل على قومه فقال يا معشر عدوان أخرجت من بين اظهركم كريمتكم على غير رغبة عنكم ولكن من خط له شئ جاءه رب زارع لنفسه حاصد سواه ولولا قسم الحظوظ على غير الجدود ما ادرك الآخر من الاول شيئا يعيش به ولكن الذي ارسل الحيا انبت المرعى ثم قسمها كلا لكل فم بقلة ومن الماء جرعة انكم ترون ولا تعلمون لن يرى ما اصف لكم الا كل ذي قلب واع ولكل شئ راع ولكل رزق ساع اما كيس واما احمق وما رايت شيئا قط الا سمعت حسه ووجدت مسه وما رايت موضوعا الا مصنوعا وما رايت جائيا الا داعيا ولا غانما الا خائبا ولا نعمة الا ومعها بؤس ولو كان يميت الناس الداء لاحياهم الدواء فهل لكم في العلم العليم قيل ما هو وقد قلت فأصبت واخبرت فصدقت فقال امورا شتى وشيئا شيئا حتى يرجع الميت حيا ويعود لا شئ شيئا ولذلك خلقت الارض والسماء فتولوا عنه راجعين فقال ويلها نصيحة لو كان من يقبلها

زينب

(زينب ستره)

قالوا هي زينب بنت عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن المخزومي وكانت عجوزا كبيرة ولها جوار مغنيات وكان ابن زهيمة المدني الشاعر واسمه محمد مولى خالد بن أسيد يتعشق بعض جواريها ويشبب بها ويغنيه يونس الكاتب ويلقيه على جواريها فيسر بذلك ويصلها ويكسوها فمن قوله فيها

أقصدت زينب قلبي بعدما * ذهب الباطل مني والغزل

وله فيها أشعار ثم ان زينب حجبتها الشئ بلغها فقال ابن زهيمة

وجد الفؤاد بزينبا * وجدا شديدا متعبا
أمسيت من كلف بها * ادعى الشقي المسهبا
ولقد كنيت عن اسمها * عمدا لكيلا تغضبا
وجعلت زينب سترة * وكتمت أمرا معجبا

يضرب عند الكناية عن الشئ

(زرغبا تزدد حبا)

قال المفضل أول من قال ذلك معاذ بن صرم الخزاعي وكانت أمه من عك وكان فارس خزاعة وكان يكثر زيارة اخواله قال فاستعار منهم فرسا وأتى قومه فقال له رجل يقال له حبيش بن سودة وكان له عدوا تسابقني على ان من سبق صاحبه أخذ فرسه فسابقه فسبق معاذ وأخذ فرس حبيش وأراد أن يغيظه فطعن ابطال الفرس بالسيف فسقط فقال لا أم لك قتلت فرسا خيرا منك ومن والديك فرفع معاذ السيف فضرب مفرقه فقتله ثم لحق باخواله وبلغ الحي ما صنع فركب أخ لحبيش وابن عم له فلحقاه فشد على أحدهما فطعنه فقتله وشد على الآخر فضربه بالسيف فقتله وقال في ذلك

ضربت حبيشا ضربة لا لئيمة * ولكن بصاف ذي طرائق مستك
قتلت حبيشا بعد قتل جواده * وكنت قديما في الحوادث ذا فتك
قصدت لعمرو بعد بدر بضربة * تخر صريعا مثل عاترة النسك
لكي يعلم الاقوام اني صارم * خزاعة أجدادي واغي الى عك
فقد ذقت يا حبش بن سودة ضربتي * وجربتني ان كنت من قبل في شك
تركت حبيشا ثاويا ذا نوائح * خضيب دم جاراته حوله تبكي
ترن عليه أمه بانتحابها * وتقشر جلدي محجريها من الحك

لـيرفع أقواما حـلولي فيهـم * ويزري بقوم ان تركتهـم تركى *
وحصني سراة الطرف والسيف معقلي * وعطري غبار الحـروب لا عبق المسك
تتوق غـداة الروع نفسي الى الوغى * كتوق القطا تهـوى الى الوشـل الرك
ولست برعـديد اذا راع معضـل * ولا في نوادي القوم بالضـيق المسـك
وكم مالك جـــــدلته بمهنـد * وسابغـة بيضاء محكمة السك

قال فأقام في اخواله زمانا ثم انه خرج مع بني اخواله في جماعة من فتيانهـم يتصـيدون فحمل معاذ على عـير فلحقه ابن خال له يقال له الغضـبان فقال خـل عن العـير فقال لا ولا نعمت عين فقال له الغضبان اما والله لو كان فيك خير لما تركت قومك فقال معاذ زر غبا تزدد حبا فأرسلها مثلا ثم أتى قومه فأراد أهل المقتول قتله فقال لهم قومه لا تقتلوا فارسكم وان ظلم فقبلوا منه الدية ومن هذا المثل قال الشاعر

اذا شئت ان تقلى فزر متواترا * وان شئت ان تزداد حبا فزر غبا

وقال آخر

* عليك باغباب الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
ألم تر أن القطـر يسأم دائمـا * ويسأل بالايدي اذا هو أمسـكا

(زوج من عود خير من قعود)

هذا المثل لبعض نساء الاعـراب قال المبرد حدثني علي بن عبـد الله عن ابن عائشة قال كان ذو الاصبع العـدواني رجـلا غيورا له بنات أربع وكان لا يزوجهن غيرة فاستمع عليهن يوما وقد خلون يتحدثن فقالت قائلة منهن لتقل كل واحدة منا ما في نفسها ولنصدق جميعا فقالت كبراهن

الا ليت زوجي من اناس ذوي غنى * حديث شباب طيب النشر والذكر
* لصوق بأكباد النساء كأنه * خليفـة جان لا يقـيم على هجـر

وقالت الثانية

الا ليتـه يعطى الجمال بديهـة * له جفنة تشقى بها النيب والجزر
له حـكمات الدهر من غـير كبرة * تشـين فلا وان ولا ضرع غمـر

فقلن لها أنت تريدين سيدا وقالت الثالثة

الا هـل تراها مرة وحـليلها * أشم كنصل السيف عـين المهند
عليم بأدواء النساء ورهطـه * اذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

فقلن

فقلن لها أنت تريدين ابن عمك قد عرفنه وقلن للصغرى ماتقـولين قالت لا أقول شيئا فقلن لا ندعـك وذاك انك قد اطلعت على أسرارنا وتكتمين سرك فقالت زوج من عود خير من قعود فخطبن فزوجن أجمع ثم أمهلهن حولا ثم زار الكبرى فقال لها كيف رأيت زوجك فقالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال فما مالكم قالت الابل قال وماهى قالت نأكل لحمانها مزعا ونشرب ألبانها جرعا وتحملنا وضعفتنا معا فقال زوج كريم ومال عميم ثم زار الثانية فقال كيف رأيت زوجك قالت يكرم الحليلة ويقرب الوسيلة قال فما مالكم قالت البقر قال وماهى قالت تألف الفناء وتملأ الاناء وتودك السقاء ونساء مع نساء فقال رضيت فحظيت ثم زار الثالثة فقال كيف رأيت زوجك فقالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعزى قال وماهى قالت لو كنا نولدها فطما ونسلخها أدما لم نبغ بها نعما فقال جذومغنية ثم زار الرابعة فقال كيف رأيت زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال فما مالكم قالت شر مال الضأن قال وماهى قالت جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن فقال أشبه امرؤ بعض بزه قال على بن عبد الله قلت لابن عائشة ماقولها وأمر مغويتهن يتبعن قال اماتراهن يمررن فتسقط الواحدة منهن فى ماء أو وحل أو غير ذلك فيتبعنها عليه وقوله جذومغنية جمع جذوة وهى القطعة

(سقط العشاء به على سرحان)

قال أبو عبيد أصله ان رجلا خرج يلتمس العشاء فوقع على ذئب فأكله وقال الاصمعى أصله ان دابة خرجت تطلب العشاء فلقيها ذئب فأكلها وقال ابن الاعرابى أصل هذا أن رجلا من غنى يقال له سرحان بن هزلة كان بطلا فاتكا يتقيه الناس فقال رجل يوما والله لارعين ابلى هذا الوادى ولا أخاف سرحان بن هزلة فورد بابله ذلك الوادى فوجد به سرحان وهجم عليه فقتله وأخذ ابله وقال

أبلغ نصيحة ان راعى أهلها * سقط العشاء به على سرحان
سقط العشاء به على متغشمر * طلق اليدين معاود لطعان

يضرب فى طلب الحاجة يؤدى صاحبها الى التلف

(أساء سمعا فأساء جابة)

ويروى ساء سمعا فأساء اجابة وساء فى هذا الموضع تعمل عمل بئس نحو قوله تعالى ساء مثلا ونصب سمعا على التمييز وأساء سمعا نصب على المفعول به تقول أسأت القول

وأساء العمل وقوله فأساء جابة هي بمعنى اجابة يقال أجاب اجابة وجابة وجوابا وجيبة ومثل الجابة في موضع الاجابة الطاعة والطاقة والغارة والعارة قال المفضل هذه خمسة أحرف جاءت هكذا قلت وكلها أسماء وضعت في موضع المصادر قال المفضل ان أوّل من قال ذلك سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي وكان تزوّج صفية بنت أبي جهل ابن هشام فولدت له أنس بن سهيل فخرج معه ذات يوم وقد خرج وجهه يريد الضحى فوقفا بحزورة مكة فأقبل الاخنس بن شريق الثقفي فقال من هذا قال سهيل ابني قال الاخنس حياك الله يافتى قال لا والله ما أمي في البيت انطلقت الى أم حنظلة تطحن دقيقا فقال أساء سمعا فأساء جابة فأرسلها مثلا فلما رجعا قال ابوه فضحني ابنك اليوم عند الاخنس قال كذا وكذا فقالت الام انما ابني صبي قال سهيل أشبه امرؤ بعض بزه فأرسلها مثلا

(سمن كلبك يأكلك)

ويروى أسمن قالوا أوّل من قال ذلك حازم بن المنذر الحماني وذلك انه مر بمحلة همدان فاذا هو بغلام ملفوف في المعاوز فرحمه وحمله على مقدم سرجه حتى أتى به منزله وأمر أمة له أن ترضعه فأرضعته حتى فطم وأدرك وراهق الحلم فجعله راعيا لغنمه وسماه جحيشا فكان يرعى الشاء والابل وكان زاجرا عائفا فخرج ذات يوم فعرضت له عقاب فعافها ثم مر به غداف فزجره وقال

تخبرني شواحج الغدفان * والخطب يشهدن مع العقبان
اني جحيش معشري همدان * ولست عبدا لبني حمان

فلا يزال يتغنى بهذه الابيات وان ابنة لحازم يقال لها رعوم هويت الغلام وهويها وكان الغلام ذا منظر وجمال فاتبعته رعوم ذات يوم حتى انتهى الى موضع الكلأ فسرح الشاء فيه واستظل بشجرة واتكأ على يمينه وأنشأ يقول

* أما لك أم فتدعى لها * ولا أنت ذو والد يعرف
أرى الطير تخبرني انني * جحيش وان أبي حوشف
يقول غراب غدا سانحا * وشاهده جاهدا يحلف
بأني لهمدان في غرها * وما أنا جاف ولا أهيف *
ولكنني من كرام الرجال * اذا ذكر السيد الاشرف

وقد كمنت له رعوم تنظر ما يصنع فرفع صوته أيضا يتغنى ويقول

يا حبذا ريتي رعوم * وحبذا منطقها الرخيم
وريح ما يأتي به النسيم * انى بها مكاف أهيم
لو تعلمين العلم يا رعوم * انى من همدانها صميم

فلما سمعت رعوم شعره ازدادت فيه رغبة وبه اعجابا فدنت منه وهي تقول

طار اليكم عرضا فؤادي * وقل من ذكراكم رقادي
وقد جفاجني عن الوساد * أبيت قد حالفني سهادي

فقام اليها جحيش فعانقها وعانقته وقعدا تحت الشجرة يتغازلان فكانا يفعلان ذلك أياما ثم ان أباها افتقدها يوما وفطن لها فرصدها حتى اذا خرجت تبعها فانتهى اليهما وهما على سوأة فلما رآهما قال سمن كلبك يأكلك فأرسلها مثلا وشد على جحيش بالسيف فأفلت ولحق بقومه همدان وانصرف حازم الى ابنته وهو يقول موت الحرة خير من العرة فأرسلها مثلا فلما وصل اليها وجدها قد اختنقت فماتت فقال حازم هان على الثكل لسوء الفعل فأرسلها مثلا وأنشأ يقول

قد هان هذا الثكل لولا انني * أحببت قتلك بالحسام الصارم
ولقد هممت بذاك لولا انني * شمرت في قتل اللعين الظالم
فعليك مقت الله من غدارة * وعليك لعنته ولعنة حازم

وقال قوم ان رجلا من طسم ارتبط كلبا فكان يسمنه ويطعمه رجاء أن يصيد به فاحتبس عليه بطعمه يوما فدخل عليه صاحبه فوثب عليه فافترسه قال عوف بن الاحوص

أراني وعوفا كالمسمن كلبه * فخدشه أنيابه وأظافره

وقال طرفة

ككلب طسم وقد تربيه * يعله بالحليب في الغلس
ظل عليه يوما بقرقرة * ان لا يلغ في الدماء ينتهس

(السليم لا ينام ولا ينيم)

قال المفضل اول من قال ذلك الياس بن مضر وكان من حديث ذلك فيما ذكر الكلبي عن الشرقي بن القطامي ان ابل الياس ندت ليلا فنادى ولده وقال انى طالب الابل في هذا الوجه وأمر عمرا ابنه ان يطلب في وجه آخر وترك عامرا ابنه لعلاج الطعام قال فتوجه الياس وعمرو وانقطع عمير ابنه في البيت مع النساء فقالت ليلى بنت حلوان امرأته

لاحدى خادميها اخرجى فى طلب أهلك وخرجت ليلى فلقيها عامر محتقبا صيدا قد عالجه فسألها عن أبيه وأخيه فقالت لا علم لى فأتى عامر المنزل وقال للجارية قصى أثر مولاك فلما ولت قال لها تقرصى أى اتئدى وانقبضى فلم يلبثوا ان أتاهم الشيخ وعمرو ابنه قد أدرك الابل فوضع لهم الطعام فقال الياس السليم لا ينام ولا ينيم فأرسلها مثلا وقالت ليلى امرأته والله ان زلت أخندف فى طلبكما والمة قال الشيخ فأنت خندف قال عامر وأنا والله كنت أدأب فى صيد وطبخ قال فأنت طابخة قال عمرو فما فعلت أنا أفضل أدركت الابل قال فأنت مدركة وسمى عمير قمعة لانقماعه فى البيت فغلبت هذه الالقاب على أسمائهم يضرب مثلا لمن لا يستريح ولا يريح غيره

(اسع بجدك لا بكدك)

قالوا ان أول من قال ذلك حاتم بن عميرة الهمدانى وكان بعث ابنيه الحسل وعاجنة الى تجارة فلقى الحسل قوما من بنى أسد فأخذوا ماله وأسروه وسار عاجنة أياما ثم وقع على مال فى طريقه من قبل أن يبلغ موضع متجره فأخذه ورجع وقال فى ذلك

كفانى الله بعد السير انى * رأيت الخير فى السفر القريب
رأيت البعد فيه شقى ونأى * ووحشة كل منفرد غريب
فأسرعت الاياب بخير حال * الى حوراء خرعبة لعوب
* وانى ليس يثنينى اذا ما * رحلت سنوح شحاج نعوب

فلما رجع تباشر به أهله وانتظروا الحسل فلما جاء ابانه الذى كان يجىء فيه ولم يرجع رابهم أمره وبعث أبوه أخا له لم يكن من أمه يقال له شاكر فى طلبه والبحث عنه فلما دنا شاكر من الارض التى بها الحسل وكان الحسل عائفا زجر الطير فقال

تخبرنى بالنجاة القطاة * وقول الغراب بها شاهد
تقول ألا قد دنا نازح * فداء له الطرف والتالد
أخ لم تكن أمنا أمه * ولكن أبونا أب واحد
تداركنى رأفة حاتم * فنعم المربب والوالد

ثم ان شاكرا سأل عنه فأخبر بمكانه فاشتراه ممن أسره بأربعين بعيرا فلما رجع به قال له أبوه اسع بجدك لا بكدك فذهبت مثلا

(سرعنك)

قالوا ان أول من قال ذلك خداش بن حابس التميمى وكان قد تزوج جارية من بنى سدوس

سدوس يقال لها الرباب وغاب عنها بعدما ملكها أعواما فعلقها آخر من قومها يقال له سلم ففضحها وان سلما شردت له ابل فركب فى طلبها فوافاه خداش فى الطريق فلما علم به خداش كتمه أمر نفسه ليعلم علم امرأته وسارا فسأل سلم خداشا من الرجل فخبره بغير نسبه فقال سلم

أغبت عن الرباب وهام سلم * بها ولما بعرسك ياخداش
فيالك بعل جارية هواها * صبور حين تضطرب الكباش
ويالك بعل جارية كعوب * تزيد لذاذة دون الرياش
وكنت بها أخا عطش شديد * وقد يروى على الظمأ العطاش
فان أرجع ويأتها خداش * سيخبره بما لاقى الفراش

فعرف خداش الامر عند ذلك ثم دنا منه فقال حدثنا يا أخا بنى سدوس فقال سلم علقت امرأة غاب عنها زوجها فأنا أنعم أهل الدنيا بها وهى لذة عيشى فقال خداش سر عنك فسارا ساعة ثم قال حدثنا يا أخا بنى سدوس عن خليلتك قال تسديت خباءها ليلا فبت بأقر ليلة أعلو وأعلى وأعانق وأفعل ما أهوى فقال خداش سر عنك وعرف الفضيحة فتأخر واخترط سيفه وغطاه بثوبه ثم لحقه وقال ما آية ما بينكما اذا جئتها قال أذهب ليلا الى مكان كذا من خبائها وهى تخرج فتقول

ياليل هل من ساهر فيك طالب * هوى خلة لا ينزحن ملتقاهما
فأجاوبها نعم ساهر قد كابد الليل هائم * بهائمة ما هومت مقلتاهما

فتعرف انى انا هو ثم قال خداش سر عنك ودنا حتى قرن ناقته بناقته وضربه بسيفه فاطار قحفه وبقى سائره فوق رحله يضطرب ثم انصرف فاتى المكان الذى وصفه سلم فقعد فيه ليلا وخرجت الرباب وهى تتكلم بذلك البيت فجاوبها بالآخر فدنت منه وهى ترى انه سلم فقنعها بالسيف ففلق ما بين المفرق الى الزور ثم ركب وانطلق يضرب فى التغابى والتغاضى عن الشئ قلت بقى معنى قوله سر عنك قيل معناه دعنى واذهب عنى وقيل معناه لا تربع على نفسك واذا لم يربع على نفسه فقد سار عنها وقيل العرب تزيد فى الكلام عن فتقول دع عنك الشك أى دع الشك وقيل أرادوا بعنك لا أبا لك وانشد

فصار واليوم له بلابل * من حب جمل عنك ما يزايل

أى لا أبا لك فعلى هذا معناه سر لا أبا لك على عادتهم فى الدعاء على الانسان من غير ارادة الوقوع

(صدقني سن بكره)

البكر الفتى من الابل ويقال صدقته الحديث وفي الحديث يضرب مثلا في الصدق واصله ان رجلا ساوم رجلا في بكر فقال ماسنه فقال صاحبه بازل ثم نفر البكر فقال له صاحبه هدع هدع وهذه لفظة يسكن بها الصغار من الابل فلما سمع المشترى هذه الكلمة قال صدقني سن بكره ونصب سن على معنى عرفني سن ويجوز ان يقال أراد صدقني خبر سن ثم حذف المضاف وروى صدقني سن بالرفع جعل الصدق للسن توسعا قال أبو عبيد وهذا المثل يروى عن علي رضي الله تعالى عنه انه أتى فقيل له ان بني فلان وبني فلان اقتتلوا فغلب بنو فلان فانكر ذلك ثم أتاه آت فقال بل غلب بنو فلان القبيلة الاخرى فقال علي صدقني سن بكره وقال أبو عمرو دخل الاحنف على معاوية بعد ما مضى علي رضي الله تعالى عنه فعاتبه معاوية وقال له اما اني لم انس ولم أجهل اعتزالك يوم الجمل ببني سعد ونزولك بهم سفوان وقريش تذبح بناحية البصرة ذبح الحيران ولم أنس طلبك الى ابن ابي طالب ان يدخلك في الحكومة ان تزيل عني أمرا جعله الله لي وقضاه ولم أنس تحضيضك بني تميم يوم صفين على نصرة علي كل ببكنه قال فخرج الاحنف من عنده فقيل له ماصنع بك وما قال لك قال صدقني سن بكره أي خبرني بما في نفسه وما انطوت عليه ضلوعه

(صارت الفتيان حمما)

هذا من قول الحمراء بنت ضمرة بن جابر وذلك ان بني تميم قتلوا سعد ابن هند أخا عمرو ابن هند الملك فنذر عمرو ليقتلن باخيه مائة من بني تميم فجمع أهل مملكته فسار اليهم فبلغهم الخبر فتفرقوا في نواحي بلادهم فاتى دارهم فلم يجد الا عجوزا كبيرة وهي الحمراء بنت ضمرة فلما نظر اليها والى حمرتها قال لها اني لاحسبك أعجمية فقالت لا والذى أساله ان يخفض جناحك ويهد عمادك ويضع وسادك ويسلبك بلادك ما أنا باعجمية قال فمن أنت قالت أنا بنت ضمرة بن جابر ساد معدا كابرا عن كابر وأنا أخت ضمرة بن ضمرة قال فمن زوجك قالت هوذة بن جرول قال وأين هو الآن اما تعرفين مكانه قالت هذه كلمة أحمق لو كنت أعلم مكانه حال بينك وبيني قال وأى رجل هو قالت هذه أحمق من الاولى أعن هوذة يسال هو والله طيب العرق سمين العرق لا ينام ليلة يخاف ولا يشبع ليلة يضاف يأكل ماوجد ولا يسال عما فقد فقال عمرو أما والله لولا اني أخاف ان تلدى مثل أبيك وأخيك وزوجك لاستبقيتك فقالت وأنت والله لا تقتل الانساء أعاليها

ثدى

ثدي وأسافلها دمي والله ما أدركت ثارا ولا محوت عارا وما من فعلت هذه به بغافل عنك ومع اليوم غد فأمر باحراقها فلما نظرت الى النار قالت ألا فتى مكان عجوز فذهبت مثلا ثم مكثت ساعة فلم يفدها أحد فقالت هيهات صارت الفتيان حمما فذهبت مثلا ثم ألقيت في النار ولبث عمرو عامة يومه لا يقدر على احد حتى اذا كان في آخر النهار أقبل راكب يسمى عمارا توضع به راحلته حتى أناخ اليه فقال له عمرو من أنت قال انا رجل من البراجم قال فما جاء بك الينا قال سطع الدخان وكنت قد طويت منذ أيام فظننته طعاما فقال عمرو ان الشقي وافد البراجم فذهبت مثلا وأمر به فالقي في النار فقال بعضهم ما بلغنا انه اصاب من بني تميم غيره وانما احرق النساء والصبيان وفي ذلك يقول جرير

وأخزاكم عمرو كما قد خزيتم * وادرك عمارا شقي البراجم

ولذلك عيرت بنو تميم بحب الطعام لما لقي هذا الرجل قال الشاعر

اذا ما مات ميت من تميم * فسرك ان يعيش فجئ بزاد

بخبز او بلحم او بتمر * او الشئ الملفف في البجاد

تراه ينقب الآفاق حولا * ليأكل راس لقمان بن عاد

(صغراهن شراهن)

ويروى صغراها شراها ويروى مراها وأول من قال ذلك امرأة كانت في زمن لقمان ابن عاد وكان لها زوج يقال له الشجبي وخليل يقال له الحلي فنزل لقمان بهم فرأى هذه المرأة ذات يوم انتبذت من بيوت الحي فارتاب لقمان بامرها فتبعها فرأى رجلا عرض لها ومضيا جميعا وقضيا حاجتهما ثم ان المرأة قالت للرجل اني أتماوت فاذا اسندوني في رجمي فائتني ليلا فاخرجني ثم اذهب الى مكان لا يعرفنا أهله فلما سمع لقمان ذلك قال ويل للشجبي من الحلي فذهبت مثلا ثم رجعت المرأة الى مكانها وفعلت ما قالت فاخرجها الرجل وانطلق بها أياما الى مكان آخر ثم تحولت الى الحي بعد برهة فبيناهي ذات يوم قاعدة مرت بها بناتها فنظرت اليها الكبرى فقالت أمي والله فقالت الوسطى صدقت والله قالت المرأة كذبتما ما انا بكما بام ولا لابيكما بامرأة فقالت لهما الصغرى اما تعرفان محياها وتعلقت بها وصرخت فقالت الأم حين رأت ذلك صغراهن شراهن فذهبت مثلا ثم ان الناس اجتمعوا فعرفوها فرفعوا القصة الى لقمان بن عاد وقالوا له اقض بيننا فلما نظر لقمان الى المرأة عرفها فقال عند جهينة الخبر اليقين يعني نفسه وما عاين منها فاخبر لقمان الزوج بما عرف واقبل على المرأة فقص عليها قصتها كيف

صنعت وكيف قالت لصديقها فلما أتاها بما لا تنكر قالت ما كان هذا في حسابي فأرسلتها مثلا فقيل للقمان احكم فيها فقال ارجوها كما رجت نفسها في حياتها فرجمت فقال الشعبي احكم بيني وبين الحلي فقد فرق بيني وبين أهلي فقال يفرق بين ذكره وانثيه كما فرق بينك وبين اثاثك وأخذ الحلي بجب ذكره

(صحيفة المتلمس)

قال المفضل كان من حديثها ان عمرو بن المنذر بن امرئ القيس كان يرشح أخاه قابوس وهما لهند بنت الحارث بن عمرو الكندي آكل المرار ليملك بعده فقدم عليه المتلمس وطرفة فجعلهما في صحابة قابوس وأمرهما بلزومه وكان قابوس شابا يعجبه اللهو وكان يركب يوما في الصيد فيركض ويتصيد وهما معه يركضان حتى رجعا عشية وقد لغبا فيكون قابوس من الغد في الشراب فيقفان بباب سرادقه الى العشي وكان قابوس يوما على الشراب فوقفا ببابه النهار كله ولم يصلا اليه فضجر طرفة وقال

فليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثا حول قبتنا تخور
من الزمرات أسبل قادماها * وضرتها مركنة درور
يشاركنا لنا رخلان فيها * وتعلوها الكباش فما تنور
لعمرك ان قابوس ابن هند * ليخلط ملكه نوك كثير
قسمت الدهر في زمن رخي * كذاك الحكم يقصد أو يجور
لنا يوم وللكروان يوم * تطير البائسات ولا نطير
* فأما يومهن فيوم سوء * يطاردهن بالحدب الصقور
وأما يومنا فنظل ركبا * وقوفا ما نحل ولا نسير

وكان طرفة عدوا لابن عمه عبد عمرو وكان كريما على عمرو ابن هند وكان سمينا بادنا فدخل مع عمرو الحمام فلما تجرد قال عمرو ابن هند لقد كان ابن عمك طرفة رآك حين قال ما قال وكان طرفة هجا عبد عمرو فقال

ولا خير فيه غير أن له غنى * وأن له كشحا اذا قام أهضما
تظل نساء الحي يعكفن حوله * يقلن عسيب من سرارة ملهما
* له شربتان بالعشي وشربة * من الليل حتى آض جبسا مورما
ويشرب حتى يغمر المحض قلبه * فان أعطه أترك لقلبي مجثما

فلما قال له ذلك قال عبد عمرو انه قال ما قال وأنشده * فليت لنا مكان الملك عمرو *
فقال

فقال عمرو ما اصدقك عليه وقد صدقه ولكن خاف ان ينذره وتدركه الرحمة فمكث غير كثير ثم دعا المتلمس وطرفة فقال لعلكما قد اشتقتما الى أهلكما وسركما ان تنصرفا قالا نعم فكتب لهما الى ابى كرب عامله على هجر أن يقتلهما وأخبرهما انه قد كتب لهما بحباء ومعروف واعطى كل واحد منهما شيئا فخرجا وكان المتلمس قد أسن فمرا بنهر الحيرة على غلمان يلعبون فقال المتلمس هل لك فى كتابينا فان كان فيهما خير مضينا له وان كان شر اتقيناه فابى طرفة عليه فاعطى المتلمس كتابه بعض الغلمان فقرأه عليه فاذا فيه السوأة فالقى كتابه فى الماء وقال لطرفة أطعنى وألق كتابك فأبى طرفة ومضى بكتابه قال ومضى المتلمس حتى لحق بملوك بنى جفنة بالشام وقال المتلمس فى ذلك

من مبلغ الشعراء عن أخويهم * نبأ فتصدقهم بذاك الانفس
اودى الذى علق الصحيفة منهما * ونجا حذار حبائه المتلمس
ألقى صحيفته ونجت كوره * وجناء مجمرة المناسم عرمس
عيرانة طبخ الهواجر لحمها * فكان نقبتها أديم أملس *
ألق الصحيفة لاابا لك انه * يخشى عليك من الحباء النقرس

ومضى طرفة بكتابه الى العامل فقتله (وروى) عبيد راوية الاعشى قال حدثنى الاعشى قال حدثنى المتلمس واسمه عبد المسيح بن جرير قال قدمت أنا وطرفة بن العبد على عمرو ابن هند وكان طرفة غلاما معجبا تائها فجعل يتخلج فى مشيه بين يديه فنظر اليه نظرة كادت تقتلعه من مجلسه وكان عمرو لا يتبسم ولا يضحك وكانت العرب تسميه مضرط الحجارة لشدة ملكه وملك ثلاثا وخمسين سنة وكانت العرب تهابه هيبة شديدة وهو الذى يقول له الذهاب العجلى واسمه مالك بن جندل بن سلمة من بنى عجل ولقب بالذهاب لقوله

وماسيرهن اذ علون قراقرا * بذى أمم ولا الذهاب ذهاب
أبى القلب ان يأتى السدير وأهله * وان قيل عيش بالسدير غرير
به البق والحمى وأسد خفية * وعمرو ابن هند يعتدى ويجور

قال المتلمس فقلت لطرفة حين قمنا يا طرفة انى أخاف عليك من نظرته اليك مع ماقلت لاخيه قال كلا قال فكتب الى المكعبر وكان عامله على البحرين وعمان لى كتابا ولطرفة كتابا فخرجنا حتى اذا هبطنا بذى الركاب من النجف اذا أنا بشيخ عن يسارى يتبرز ومعه كسرة يأكلها ويقصع القمل فقلت بالله ان رأيت شيخا أحمق وأضعف وأقل عقلا

منك قال ماتنكر قلت تبرز وتأكل وتقصع القمل قال أخرج خبيثا وأدخل طيبا وأقتل عدوا وأحق مني والآثم حامل حتفه بيمينه لايدري مافيه فنبهني وكانما كنت نائما فاذا أنا بغلام من أهل الحيرة يسقي غنيمة له من نهر الحيرة فقلت ياغلام أتقرأ قال نعم قلت اقرأ فاذا فيه باسمك اللهم من عمرو ابن هند الى المكعبر اذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فألقيت الصحيفة في النهر وذلك حين أقول

ألقيتها بالثني من جنب كافر * كذلك أقنو كل قط مضلل

رضيت لها لما رأيت مدادها * يجول به التيار في كل جدول

وقال يا طرفة معك والله مثلها قال كلا ما كان ليكتب بمثل ذلك في عقر داره قومي فأتى المكعبر فقطع يديه ورجليه ودفنه حيا يضرب لمن يسعى بنفسه في حينها ويغررها

(طال الابد على لبد)

يعنون آخر نسور لقمان بن عاد وكان قد عمر سبعة أنسر وكان يأخذ فرخ النسر فيجعله في جوبة في الجبل الذي هو في أصله فيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أقل أو اكثر فاذا مات أخذ آخر مكانه حتى هلكت كلها الا السابع أخذه فوضعه في ذلك الموضع وسماه لبدو كان أطولها عمرا فضربت العرب به المثل وقالوا طال الابد على لبد قال الاعشى

وأنت الذي ألهيت قيلا بكاسه * ولقمان اذ خيرت لقمان في العمر

لنفسك ان تختار سبعة أنسر * اذا مامضى نسر خلوت الى نسر

فعمر حتى خال ان نسوره * خلود وهل تبقى النفوس على الدهر

فعاش لقمان زعموا ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة قال النابغة *أخنى عليها الذي أخنى على لبد* وقال لبيد

ولقد جرى لبد فادرك جريه * ريب المنون وكان غير مثقل

لما رأى لبد النسور تطايرت * رفع القوادم كالفقير الاعزل

من تحته لقمان يرجو نهضه * ولقد يرى لقمان ان لا يأتلي

قال أبو عبيدة هو لقمان بن عاد بن الجين بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح كانه جعل عاديا وعادا اسمي رجل والعرب نزعم ان لقمان خير بين بقاء سبع بعرات سمر من أطب عفر في جبل وعر لا يمسها القطر و بين بقاء سبعة انسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاستحقر الابعار واختار النسور فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له ياعم مابقي

من

من عمرك الاعمر هذا فقال لقمان هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما انقضى عمر لبد رآه لقمان واقعا فناداه انهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات ومات لقمان معه فضرب به المثل فقيل طال الابد على لبد وأتى أبد على لبد

(أطن ماءكم هذا ماء عناق)

قالوا كان من حديثه ان رجلا بيناهو يستقي وبيده تلقاء وجهه فنظر فاذا هو برجل معانق امرأته يقبلها فاخذ العصا واقبل مسرعا لا يشك فيما رأى فلما رأته امرأته جعلت الرجل في خالفة البيت بين الخالفة والمتاع فنظر يمينا وشمالا فلم ير شيئا وخرج فنظر في الارض فلم ير شيئا فكذب بصره فقالت المرأة كانها تريه انها قد استنكرت من أمره شيئا مادهاك يا أبا فلان اريعك شئ فكتمها الذي رأى ومضى لحاجته فلما كان في الورد الثاني قالت يا أبا فلان هل لك ان اكفيك السقي وتودع اليوم فاني قد اشفقت عليك قال نعم ان شئت فاقام في المنزل فانطلقت تسقي وتحينت منه غفلة فاخذت العصا ثم اقبلت حتى تفلق بها رأسه فشجته فقال ويلك مالك ومادهاك قالت ومادهاني يا فاسق أين المرأة التي كانت معك تعانقها فقال لا والله ما كانت عندي امرأة وما عانقت اليوم امرأة قالت بلى أنا نظرت اليها بعيني وأنا على الماء فحالفها فلما اكثرت قال ان تكوني صادقة فان ماءكم هذا ماء عناق يضرب مثلا في الدواهي قاله ابو عمرو وروى غيره عناق بفتح العين وقال العناق والعناقة الخيبة وانشد

سرى لك بالعناقة من سعاد * خيال فاجتنى ثمر الفؤاد

وهما مستعاران للخيبة والامر الظالم من عناق الارض ومنه قولهم لقيت منه اذني عناق لانهما اسودان ولا يفارقهما السواد

عناق الارض دابة سوداء اهـ

(عند الصباح يحمد القوم السرى)

قال المفضل ان أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث اليه ابو بكر رضي الله تعالى عنهما وهو باليمامة أن سر الى العراق فاراد سلوك المفازة فقال له رافع الطائي قد سلكتها في الجاهلية هي خمس للابل الواردة ولا اظنك تقدر عليها الا ان تحمل من الماء فاشترى مائة شارف فعطشها ثم سقاها الماء حتى رويت ثم كتبها وكعم أفواهها ثم سلك المفازة حتى اذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخيل وخشي ان يذهب ما في بطون الابل نحر الابل واستخرج ما في بطونها من الماء فسقى الناس والخيل ومضى فلما كان في الليلة الرابعة قال رافع انظروا هل ترون سدرا عظيما فان رأيتموها والا فهو الهلاك

فنظر الناس فرأوا السدر فأخبروه فكبر وكبر الناس ثم هجموا على الماء فقال خالد

لله در رافع أنى اهتدى * فوز من قراقر الى سوى
خمسا اذا سار به الجيش بكى * ما سارها من قبله أنس يرى
عند الصباح يحمد القوم السرى * وتنجلى عنهم غيابات الكرى

يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة

(عند جهينة الخبر اليقين)

قال هشام بن الكلبي كان من حديثه ان حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب خرج ومعه رجل من جهينة يقال له الاخنس بن كعب وكان الاخنس قد أحدث فى قومه حدثا فخرج هاربا فلقيه الحصين فقال له من أنت ثكلتك أمك فقال له الاخنس بل من أنت ثكلتك أمك فردده هذا القول حتى قال الاخنس أنا الاخنس بن كعب فاخبرنى من أنت والا أنفذت قلبك بهذا السنان فقال له الحصين أنا الحصين بن عمرو الكلابى ويقال بل هو الحصين بن سبيع الغطفانى فقال له الاخنس فما الذى تريد قال خرجت لما يخرج له الفتيان قال الاخنس وانا خرجت لمثل ذلك فقال له الحصين هل لك ان نتعاقد أن لا نلتقى أحدا من عشيرتك أو عشيرتى الا سلبناه قال نعم فتعاقدا على ذلك وكلاهما فاتك يحذر صاحبه فلقيا رجلا فسلباه فقال لهما هل لكما ان تردا على بعض ما أخذتما منى وأدلكما على مغنم قالا نعم فقال هذا رجل من لخم قد قدم من عند بعض الملوك بمغنم كثير وهو خلفى فى موضع كذا وكذا فردا عليه بعض ماله وطلبا اللخمى فوجداه نازلا فى ظل شجرة وقدامه طعام وشراب فحياه وحياهما وعرض عليهما الطعام فكره كل واحد أن ينزل قبل صاحبه فيفتك به فنزلا جميعا فاكلا وشربا مع اللخمى ثم ان الاخنس ذهب لبعض شأنه فرجع واللخمى يتشحط فى دمه فقال الجهنى وهو الاخنس وسل سيفه لان سيف صاحبه كان مسلولا ويحك فتكت برجل قد تحرمنا بطعامه وشرابه فقال اقعد يا أخا جهينة فلهذا وشبهه خرجنا فشربا ساعة وتحدثا ثم ان الحصين قال يا أخا جهينة اتدرى ما صعلا وما صعلا قال الجهنى هذا يوم شرب وأكل فسكت الحصين حتى اذا ظن أن الجهنى قد نسى ما يراد به قال يا أخا جهينة هل أنت للطير زاجر قال وماذاك قال ما تقول هذه العقاب الكاسر قال الجهنى وأين تراها قال هى ذه وتطاول ورفع رأسه الى السماء فوضع الجهنى بادرة السيف فى نحره فقال أنا الزاجر والناحر واحتوى على متاعه ومتاع اللخمى

القمى وانصرف راجعا الى قومه فمر ببطنين من قيس يقال لهما مراح وانمار فاذا هو امرأة تنشد الحصين بن سبيع فقال لها من أنت قالت أنا صخرة امرأة الحصين قال أنا قتلته فقالت كذبت ما مثلك يقتل مثله أما لولم يكن الحى خلوا ما تكلمت بهذا فانصرف الى قومه فاصلح أمرهم ثم جاءهم فوقف حيث يسمعهم وقال

وكم من ضيغم ورد هموس * أبى شبلين مسكنه العرين
علوت بياض مفرقه بعضب * فاضحى فى الفلاة له سكون
واضحت عرسه ولها عليه * بعيد هدو ليلتها رنين
وكم من فارس لا تزدريه * اذا شخصت لموقعه العيون
كصخرة اذ تسائل فى مراح * وانمار وعلمهما ظنون
تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبر اليقين
فمن يك سائلا عنه فعندى * لصاحبه البيان المستبين
جهينة معشرى وهم ملوك * اذا طلبوا المعالى لم يهونوا

قال الاصمعى وابن الاعرابى هو جفينة بالفاء وكان عنده خبر رجل مقتول وفيه يقول الشاعر

تسائل عن أبيها كل ركب * وعند جفينة الخبر اليقين

قال فسألوا جفينة فاخبرهم خبر القتيل وقال بعضهم هو حفينة بالحاء المهملة يضرب فى معرفة الشئ حقيقة

(العاشية تهيج الآبية)

يقال عشوت فى معنى تعشيت وغدوت فى معنى تغديت ورجل عشيان أى متعش وقال ابن السكيت عشى الرجل وعشيت الابل تعشى عشى اذا تعشت قال أبو النجم يعشى اذا أظلم عن عشائه يقول يتعشى وقت الظلمة قال المفضل خرج السليك بن السلكة واسمه الحارث بن عمرو بن زيد مناة بن تميم وكان انكر العرب وأشعرهم وكانت أمه أمة سوداء وكان يدعى سليك المقانب وكان ادل الناس بالارض وأعداهم على رجله لا تعلق به الخيل وكان يقول اللهم انك تهيئ ما شئت لما شئت اذا شئت انى لو كنت ضعيفا لكنت عبدا ولو كنت امرأة لكنت أمة اللهم انى أعوذ بك من الخيبة فاما الهيبة فلا هيبة أى لا أهاب أحدا زعموا أنه خرج يريد أن يغير فى ناس من أصحابه فمر على بنى شيبان فى ربيع والناس مخصبون فى عشية فيها ضباب ومطر فاذا هو ببيت قد انفرد

في مجلس حكمه وعدي أمير البصرة وكان اعرابي الطبع فقال لا باس يا هناه أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع مني قال للاستماع جلست قال اني تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال وشرطت لاهلها ان لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال في حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من حكمت قال على ابن أخي عمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالتك

(في سبيل الله سرجي وبغلي)

أول من قال ذلك المقدام بن عاطف العجلي وكان قد وفد على كسرى فاكرمه فلما أراد الانصراف حمله على بغل مسرج من مراكبه فلما وصل الى قومه قالوا ما هذا الذي أتيتنا به فانشأ يقول

أتيتكم ببغل ذي مراح * أقب بحولة الملك الهمام
يحول اذا حملت عليه سرجا * كما جال المفدح ذو اللجام
وما يزداد الا فضل جري * اذا ما مسه عرق الحزام
وابت أمه منه وما ان * أبوه من المسومة الكرام
له أم مفدحة صفون * وكان أبوه ذا دبر دوامي

وكان يروضه رياضة الخيل فربحه ريحة كسر بها شراسيفه فمرض من ذلك برهة وأمر بالبغل فحمل عليه الكور وأمتعة الحي ولم يعلف فنفق البغل وبرئ المقدام من مرضه فركب الى الصيد وحمل السرج على ناقة له علوق فلما ركبها ومسها وقع ازكابين هوت به فبدر وحين وطارت به في الارض فلم يقدر عليها وتقطع السرج فقال المقدام نفق البغل وأودى سرجنا في سبيل الله سرجي وبغلي يضرب في التسلي عما يهلك ويودي به الزمان

(قد حيل بين العير والنزوان)

أول من قال ذلك صخر بن عمرو أخو الخنساء قال ثعلب غزا صخر بن عمرو بني أسد ابن خزيمة فاكتسح ابلهم فجاءهم الصريخ فركبوا فالتقوا بذات الاثل فطعن أبو ثور الاسدي صخرا طعنة في جنبه وافلت الخيل فلم يقعص مكانه وجوي منها فمرض حولا حتى مله أهله فسمع امرأة تقول لامرأته سلمى كيف بعلك فقالت لا حي فيرجى ولا ميت فينعى لقد لقينا منه الامرين فقال صخر * أرى أم صخر لا تمل عيادتي * وفي رواية أخرى فمرض زمانا حتى ملته امرأته وكان يكرمها فمر بها رجل وهي قائمة وكانت ذات

ذات خلق وادراك فقال لها يباع الكفل فقالت نعم عما قليل وكان ذلك بسمعه صخر فقال اما والله لئن قدرت لاقدمنك قبلى ثم قال لها ناوليني السيف انظر اليه هل تقله يدى فناولته فاذا هو لا يقله فقال

أرى أم صخر لا تمل عيادتى * وملت سليمى مضجعى ومكانى
فأى امرئ ساوى بام حليلة * فلا عاش الا فى شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو استطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان
وما كنت أخشى ان اكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان
فللموت خير من حياة كانها * معرس يعسوب برأس سنان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما * واسمعت من كانت له اذنان

قال أبو عبيدة فلما طال به البلاء وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد فى موضع الطعنة قيل له لو قطعتها لرجونا ان تبرأ فقال شأنكم وأشفق عليه قوم فنهوه فأبى فاخذوا شفرة فقطعوا ذلك الموضع فيئس من نفسه وقال

اجارتنا ان الحتوف تنوب * على الناس كل المخطئين تصيب
اجارتنا ان تسأليني فانني * مقيم لعمرى ما أقام عسيب
كانى وقد ادنوا لحز شفارهم * من الصبر دامى الصفحتين نكيب

ثم مات فدفن الى جنب عسيب وهو جبل بقرب من المدينة وقبره معلم هناك

(قد أنصف القارة من راماها)

القارة قبيلة وهم عضل والديش ابنا الهون بن خزيمة وانما سموا قارة لاجتماعهم والتفافهم لما أراد الشداخ ان يفرقهم فى بنى كنانة فقال شاعرهم

دعونا قارة لا تنفرونا * فنجفل مثل اجفال الظليم

وهى رماة الحدق فى الجاهلية وهم اليوم فى اليمن و يزعمون أن رجلين التقيا أحدهما قارى فقال القارى ان شئت صارعتك وان شئت سابقتك وان شئت راميتك فقال الآخر قد اخترت المراماة فقال القارى قد أنصفتنى وأنشأ يقول

قد أنصف القارة من راماها * انا اذا ما فئة نلقاها
ترد أولاها على أخراها

ثم انتزع له بسهم فشك به فؤاده قال أبو عبيد أصل القارة الاكمة وجمعها قور وقال ابن واقد وانما قيل انصف القارة من راماها فى حرب كانت بين قريش و بين بكر بن

عبد مناف بن كنانة قال وكانت القارة مع قريش وهم قوم رماة فلما التقى الفريقان راماهم الآخرون فقيل قد أنصفهم هؤلاء اذ ساووهم في العمل الذي هو شأنهم وصناعتهم وفي بعض الآثار الا أخبركم باعدل الناس قيل بلى قال من انصف من نفسه وفي بعضها أيضا أشد الاعمال ثلاثة انصاف الناس من نفسك والمواساة بالمال وذكر الله تعالى على كل حال

(قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا)

قالوا ان أول من قال ذلك النعمان بن المنذر اللخمي للربيع بن زياد العبسي وكان له صديقا ونديما وان عامرا ملاعب الاسنة وعوف بن الاحوص وسهيل بن مالك واربد بن ربيعة وشعاسا الفزاري وقلابة الاسدي قدموا على النعمان وخلفوا لبيدا يرعى ابلهم وكان أحدثهم سنا وجعلوا يغدون الى النعمان ويروحون فاكرمهم وأحسن نزلهم غير أن الربيع كان اعظم عنده قدرا فبينما هم ذات يوم عند النعمان اذ دخل بهم الربيع وعابهم وذكرهم بأقبح ماقدر عليه فلما سمع القوم ذلك انصرفوا الى رحالهم وكل انسان منهم مقبل على بثه ورقح لبيد السؤال فلما رأى أصحابه ومابهم من الكآبة سألهم مالكم فكتموه فقال لهم والله لا أحفظ لكم متاعا ولا أسرح لكم ابلا أو تخبروني بالذي كنتم فيه وانما كتموا عنه لان أم لبيد امرأة من بني عبس وكانت يتيمة في حجر الربيع فقالوا خالك قد غلبنا على الملك وصد بوجهه عنا فقال لبيد هل فيكم من يكفيني الابل وتدخلونني على النعمان معكم فواللات والعزى لادعنه لاينظر اليه أبدا فخلفوا في ابلهم قلابة الاسدي وقالوا للبيد أوعندك خير قال سترون قالوا انا نبلوك في هذه البقلة لبقلة بين أيديهم دقيقة الاغصان قليلة الاوراق لاصقة بالارض تدعى التربة صفها لنا واشتمها فقال هذه التربة التي لاتذكي نارا ولا تؤهل دارا ولا تسر جارا عودها ضئيل وفرعها كليل وخيرها قليل شر البقول مرعى واقصرها فرعا فتعسا لها وجدعا القوا أخا عبس أرده عنكم بتعس وأدعه من أمره في لبس قالوا نصبح فنرى رأينا وقال لهم عامر انظروا هذا الغلام فان رأيتموه نائما فليس أمره بشئ انما يتكلم بما جاء على لسانه ويهذي بما يهجس في خاطره وان رأيتموه ساهرا فهو صاحبكم فرمقوه فرأوه قد ركب رحلا حتى اصبح فخرج القوم وهو معهم حتى دخلوا على النعمان وهو يتغدى والربيع يأكل معه فقال لبيد أبيت اللعن أتأذن لي في الكلام فأذن له فانشأ يقول

يارب هيجا هي خير من دعه * أكل يوم هامتي مقرعه

نحن

نحن بنو أم البنين الاربعه * ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المدعدعه * والضاربون الهام تحت الخيضعه
يا واهب الخير الكثير من سعه * اليك جاوزنا بلادا مسبعه
نخبر عن هذا خبيرا فاسمعه * مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه
ان استه من برص ملمعه * وانه يدخل فيها اصبعه
يدخلها حتى يوارى أشجعه * كأنه يطلب شيئا أطمعه

ويروى ضيعه فلما سمع النعمان الشعر أفف ورفع يده من الطعام وقال للربيع أكذاك أنت قال لا واللات لقد كذب ابن الفاعلة قال النعمان لقد خبث على طعامى فغضب الربيع وقام وهو يقول

لئن رحلت ركابى ان لى سعة * ما مثلها سعة عرضا ولا طولا
ولو جمعت بنى لخم بأسرهم * ما وازنوا ريشة من ريش سمويلا
فابرق بأرضك يا نعمان متكئا * مع النطاسى طورا وابن توفيلا

وقال لا ابرح أرضك حتى تبعث الى من يفتشنى فتعلم أن الغلام كاذب فاجابه النعمان

شرد برحلك عنى حيث شئت ولا * تكثر على ودع عنك الاباطيلا
فقد رميت بداء لست غاسله * ما جاور النيل يوما أهل ابليلا
قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا * فما اعتذارك عن شئ اذا قيلا

قوله بنو أم البنين الاربعه هم خمسة مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وطفيل بن مالك أبو عامر بن الطفيل وربيعة بن مالك وعبيدة بن مالك ومعاوية بن مالك وهم أشراف بنى عامر فجعلهم أربعة لاجل القافية وسمويل أحد أجداد الربيع وهو فى الاصل اسم طائر وأراد بالنطاسى روميا يقال له سرحون وابن توفيل رومى آخر كانا ينادمان النعمان

(كل فتاة بابيها معجبه)

يضرب فى عجب الرجل برهطه وعشيرته وأول من قال ذلك العجفاء بنت علقمة السعدى وذلك انها وثلاث نسوة من قومها خرجن فاتعدن بروضة يتحدثن فيها فوافين بها ليلا فى قمر زاهر وليلة طلقة ساكنة وروضة معشبة خصبة فلما جلسن قلن ما رأينا كالليلة ليلة ولا كهذه الروضة روضة أطيب ريحا ولا انضر ثم افضن فى الحديث فقلن أى النساء أفضل قالت احداهن الخرود الودود الولود قالت الاخرى خيرهن ذات الغناء

بطيب الثناء وشدة الحباء قالت الثالثة خيرهن السموع الجموع النفوع غير المنوع قالت الرابعة خيرهن الجامعه لاهلها الوادعة الرافعة لا الواضعة قلن فأى الرجال أفضل قالت احداهن خيرهم الحظى الرضى غير الحظال ولا التبال قالت الثانية خيرهم السيد الكريم ذو الحسب العميم والمجد القديم قالت الثالثة خيرهم السخى الوفى الرضى الذى لا يغير الحرة ولا يتخذ الضرة قالت الرابعة وأبيكن ان فى أبى لنعتا كرم الاخلاق والصدق عند التلاق والفلج عند السباق ويحمده اهل الرفاق قالت العجماء عند ذلك كل فتاة بأبيها معجبة وفى بعض الروايات ان احداهن قالت ان أبى يكرم الجار ويعظم النار وينحر العشار بعد الحوار ويحمل الامور الكبار فقالت الثانية ان أبى عظيم الخطر منيع الوزر عزيز النفر يحمد منه الورد والصدر فقالت الثالثة ان أبى صدوق اللسان كثير الاعوان يروى السنان عند الطعان قالت الرابعة ان أبى كريم النزال منيف المقال كثير النوال قليل السؤال كريم الفعال ثم تنافرن الى كاهنة معهن فى الحى فقلن لها اسمعى ما قلنا واحكمى بيننا واعدلى ثم اعدن عليها قولهن فقالت لهن كل واحدة منكن ماردة على الاحسان جاهدة لصواحباتها حاسدة ولكن اسمعن قولى خير النساء المبقية على بعلها الصابرة على الضراء مخافة أن ترجع الى أهلها مطلقة فهى تؤثر حظ زوجها على حظ نفسها فتلك الكريمة الكاملة وخير الرجال الجواد البطل القليل الفشل اذا سأله الرجل ألفاه قليل العلل كثير النفل ثم قالت كل واحدة منكن بأبيها معجبة

(كل شاة برجلها معلقة)

قال ابن الكلبى أول من قال ذلك وكيع بن سلمة بن زهير بن اياد وكان ولى أمر البيت بعد جرهم فبنى صرحا باسفل مكة عند سوق الحناطين اليوم وجعل فيه امة يقال لها حزورة وبها سميت حزورة مكة وجعل فى الصرح سلما فكان يرقاه ويزعم انه يناجى الله تعالى وكان ينطق بكثير من الخير وكان علماء العرب يزعمون انه صديق من الصديقين وكان من قوله مرضعة أو فاطمة ووادعة وقاصمة والقطيعة والفجيعة وصلة الرحم وحسن الكلام ومن كلامه زعم ربكم ليجزين بالخير ثوابا وبالشر عقابا ان من فى الارض عبيد لمن فى السماء هلكت جرهم وربلت وكذلك الصلاح والفساد فلما حضرته الوفاة جمع ايادا فقال لهم اسمعوا وصيتى الكلام كلمتان والامر بعد البيان من رشد فاتبعوه ومن غوى فارفضوه وكل شاة برجلها معلقة فأرسلها مثلا قال ومات وكيع

ذنبي على الجبال وفيه يقول بشير بن الحجير الايادي

ونحـن اياد عباد الاله * ورهط مناجيه في سلم
ونحن ولاة حجاب العتيق * زمان النخاع على جرهـم

يقال ان الله سلط على جرهم داء يقال له النخاع فهلك منهم ثمانون كهلا في ليلة واحدة سوى الشبان وفيهم قال بعض العرب

هلكت جرهم الكرام فعالا * وولاة البنية الحجاب
نخعوا ليلة ثمانون كهلا * وشبابا كفى بهم من شباب

(كيف اعاودك وهذا أثر فأسك)

اصل هذا المثل على ما حكاه العرب على لسان الحية ان أخوين كانا في ابل لهما فأجدبت بلادهما وكان بالقرب منهما واد خصيب وفيه حية تحميه من كل أحد فقال أحدهما للآخر يا فلان لو أني أتيت هذا الوادي المكلئ فرعيت فيه ابلي واصلحتها فقال له اخوه اني اخاف عليك الحية الا ترى ان أحدا لا يهبط ذلك الوادي الا أهلكته قال فوالله لافعلن فهبط الوادي ورعى به ابله زمانا ثم ان الحية نهشته فقتلته فقال أخوه والله ما في الحياة بعد أخي خير فلاطلبن الحية ولاقتلنها أو لاتبعن اخي فهبط ذلك الوادي وطلب الحية ليقتلها فقالت الحية له الست ترى اني قتلت أخاك فهل لك في الصلح فأدعك بهذا الوادي تكون فيه وأعطيك كل يوم دينارا ما بقيت قال أو فاعلة انت قالت نعم قال اني افعل فحلف لها وأعطاها المواثيق لا يضرها وجعلت تعطيه كل يوم دينارا فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالا ثم انه ذكر أخاه فقال كيف ينفعني العيش وانا أنظر الى قاتل أخي فعمد الى فأس فأخذها ثم قعد لها فمرت به فتبعها فضربها فأخطأها ودخلت الجحر ووقعت الفأس بالجبل فوق جحرها فأثرت فيه فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار فخاف الرجل شرها وندم فقال لها هل لك في أن نتواثق ونعود الى ما كنا عليه فقالت كيف اعاودك وهذا أثر فأسك يضرب لمن لا يفي بالعهد وهذا من مشاهير أمثال العرب قال نابغة بني ذبيان

واني لالقى من ذوي الغي منهم * وما أصبحت تشكو من الشجو ساهره
كما لقيت ذات الصفا من حليفها * وكانت تريه المال غبا وظاهره
فلما رأى ان ثمر الله ماله * وأثل موجودا وسد مفاقره
اكب على فأس يحد غرابها * مذكرة من المعاول باتره

فقام لها من فوق جحر مشيد * ليقتلها أو تخطئ الكف بادره
فلما وقاها الله ضربة فأسه * وللشر عين لا تغمض ناظره
فقال تعالى نجعل الله بيننا * على مالنا أو تنجزي لي آخره
فقالت يمين الله افعل انني * رأيتك مشؤما يمينك فاجره
ابى لي اثر لا يزال مقابلي * وضربة فأس فوق رأسي فاقره

(كلاهما وتمرا)

ويروى كليهما أوّل من قال ذلك عمرو بن حمران الجعدي وكان حمران رجلا لسنا ماردا وأنه خطب صدوف وهي امرأة كانت تؤبد الكلام وتسجع في المنطق وكانت ذات مال كثير وقد أتاها قوم كثير يخطبونها فردتهم وكانت تتعنت خطابها في المسألة وتقول لا أتزوّج الا من يعلم ما أسأله عنه ويجيبني بكلام على حدته لا يعدوه فلما انتهى اليها حمران قام قائما لا يجلس وكان لا يأتيها خاطب الا جلس قبل اذنها فقالت ما يمنعك من الجلوس قال حتى يؤذن لي قالت وهل عليك أمير قال رب المنزل أحق بفنائه ورب الماء أحق بسقائه وكل له ما في وعائه فقالت اجلس فجلس قالت له ما أردت قال حاجة ولم آتك لحاجة قالت تسرها أم تعلنها قال تسر وتعلن قالت فما حاجتك قال قضاؤها هين وأمرها بين وأنت بها أخبر وبنجحها أبصر قالت فاخبرني بها قال قد عرضت وان شئت بينت قالت من أنت قال انا بشر ولدت صغيرا ونشأت كبيرا ورأيت كثيرا قالت فما اسمك قال من شاء أحدث اسما وقال ظلما ولم يكن الاسم عليه حتما قالت فمن أبوك قال والدي الذي ولدني ووالده جدي فلم يعش بعدي قالت فما مالك قال بعضه ورثته وأكثره اكتسبته قالت فمن أنت قال من بشر كثير عدده معروف ولده قليل صدده يفنيه أبده قالت ما ورثك أبوك عن أوليه قال حسن الهمم قالت فأين تنزل قال على بساط واسع في بلد شاسع قريبه بعيد وبعيده قريب قالت فمن قومك قال الذين انتمي اليهم وأجني عليهم وولدت لديهم قالت فهل لك امرأة قال لو كانت لي لم أطلب غيرها ولم أضيع خيرها قالت كأنك ليست لك حاجة قال لو لم تكن لي حاجة لم أنخ ببابك ولم أتعرض لجوابك وأتعلق بأسبابك قالت انك لحمران بن الاقرع الجعدي قال ان ذلك ليقال فانكحته نفسها وفوضت اليه أمرها ثم انها ولدت له غلاما فسماه عمرا فنشأ ماردا مفوها فلما أدرك حمله أبوه راعيا

يرعى له الابل فبيناهو يوما اذ رفع اليه رجل قد أضر به العطش والسغوب وعمرو قاعد وبين يديه زبد وتمر وتامك فدنا منه الرجل فقال اطعمني من هذا الزبد والتامك فقال عمرو نعم كلاهما وتمرا فاطعم الرجل حتى انتهى وسقاه لبنا حتى روى وأقام عنده أياما فذهب كلامه مثلا ورفع كلاهما أي لك كلاهما ونصب تمرا على معنى وأزيدك تمرا ومن روى كليهما فانه نصبه على معنى اطعمك كليهما وتمرا وقال قوم من رفع حكى ان الرجل قال انلني مما بين يديك فقال عمرو أيما أحب اليك زبد أم سنام فقال الرجل كلاهما وتمرا أي مطلوبي كلاهما وأزيد معهما تمرا أو وزدني تمرا

(لن يهلك امرؤ عرف قدره)

قال المفضل ان أول من قال ذلك اكثم بن صيفي في وصية كتب بها الى طئ كتب اليهم أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم واياكم ونكاح الحمقاء فان نكاحها غرر وولدها ضياع وعليكم بالخيل فاكرموها فانها حصون العرب ولا تضعوا رقاب الابل في غير حقها فان فيها ثمن الكريمة ورقوء الدم وبالبانها يتحف الكبير ويغذى الصغير ولو ان الابل كلفت الطحن لطحنت ولن يهلك امرؤ عرف قدره والعدم عدم العقل لا عدم المال ولرجل خير من ألف رجل ومن عتب على الدهر طالت معتبته ومن رضي بالقسم طابت معيشته وآفة الرأي الهوى والعادة املك والحاجة مع المحبة خير من البغض مع الغنى والدنيا دول فما كان لك أتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك والحسد داء ليس له دواء والشماتة تعقب ومن برّ يوما بره وقبل الرماء تملأ الكنائن الندامة مع السفاهة دعامة العقل الحلم خير الامور مغبة الصبر بقاء المودة عدل التعاهد من يزر غبا يزدد حبا التغرير مفتاح البؤس من التواني والعجز نتجت الهلكة لكل شئ ضراوة فضر لسانك بالخير عي الصمت أحسن من عي المنطق الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت كثير التنصح يهجم على كثير الظنة من ألحف في المسئلة ثقل من سأل فوق قدره استحق الحرمان الرفق يمن والخرق شؤم خير السخاء ما وافق الحاجة خير العفو ما كان بعد القدرة فهذه خمسة وثلاثون مثلا في نظام واحد

(لاماءك أبقيت ولا حرك أنقيت)

ويروى ولا درنك أصله ان رجلا كان في سفر ومعه امرأته وكانت عاركا فطهرت وكان معهما ماء يسير فاغتسلت فلم يكفها لغسلها وأنفدت الماء فبقيا عطشانين فعندها

قال لها هذا القول وقال المفضل أول من قال ذلك الضب بن أروى الكلاعي وذلك انه خرج تاجرا من اليمن الى الشام فسار أياما ثم حاد عن أصحابه فبقي منفردا في تيه من الارض حتى سقط الى قوم لا يدري من هم فسأل عنهم فاخبرانهم همدان فنزل بهم وكان ظريفا يفاوان امرأة منهم يقال لها عمرة بنت سبيع هويته وهويها فخطبها الضب الى أهل بيتها وكانوا لا يزوجون الا شاعرا أو عائفا أو عالما بعيون الماء فسألوه عن ذلك فلم يعرف منها شيئا فأبوا تزويجه فلم يزل بهم حتى أجابوه فتزوجها ثم ان حيا من احياء العرب أرادوا الغارة عليهم فتطيروا بالضب فاخرجوه وامرأته وهي طامث فانطلقا ومع الضب سقاء من ماء فسار يوما وليلة وامامهما عين يظنان انهما يصبحانها فقالت له ادفع الى هذا السقاء حتى أغتسل فقد قاربنا العين فدفع اليها السقاء فاغتسلت بما فيه ولم يكفها ثم صبحا العين فوجداها ناضبة وادركهما العطش فقال لها الضب لا ماءك أبقيت ولا حرك أنقيت ثم استظلا بشجرة حيال العين فانشأ الضب يقول

تالله ما طلة أصاب بها * بعلا سواى قوارع العطب
وأى مهر يكون أثقل مما طلبوه اذن من الضب *
أن يعرف الماء تحت صم الصفا * ويخبر الناس منطق الخطب
أخرجني قومها بان الرحا * دارت بشؤم لهم على القطب

فلما سمعت امرأته ذلك فرحت وقالت ارجع الى القوم فانك شاعر فانطلقا راجعين فلما وصلا خرج القوم اليهما وقصدوا ضربهما وردهما فقال لهم الضب اسمعوا شعري ثم اقتلوني فانشدهم شعره فنجا وصار فيهم آثر من بعضهم قال الفرزدق

وكنت كذات الحيض لم تبق ماءها * ولا هي من ماء العذابة طاهر

(لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا)

ويروى عن بعض الحكماء أنه قال لا تكن في الاخاء مكثرا ثم تكون فيه مدبرا فيعرف سرفك في الاكثار بجفائك في الادبار ومنه الحديث أحبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما ومنه قول النمر بن تولب

احبب حبيبك حبا رويدا * فليس يعولك ان تصرما *
وابغض بغيضك بغضا رويدا * اذا انت حاولت ان تحكما

وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما المرء بخليله فلينظر امرؤ من يخالل وقريب منه بيت عدي

عدى بن زيد

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه * فان القرين بالمقارن يقتدى

(لا ناقتى فى هذا ولا جملى)

أصل المثل للحارث بن عباد حين قتل جساس بن مرة كليبا وهاجت الحرب بين الفريقين وكان الحارث اعتزلهما قال الراعى

وما هجرتك حتى قلت معلنة * لا ناقة لى فى هذا ولا جمل

يضرب عند التبرى من الظلم والاساءة وذكروا أن محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب شرورلما خرج الناس على الحجاج فقال لا ناقتى فى ذا ولا جملى فلما دخل بعد ذلك على الحجاج قال أنت القائل لا ناقتى فى ذا ولا جملى لا جعل الله لك فيه ناقة ولا جملا ولا رحلا فشمت به حجار بن أبجر العجلى وهو عند الحجاج فلما دعا بغدائه جاؤا بغريضة فقال ضعوها بين يدى أبى عبد الله فانه لبنى يحب اللبن أراد أن يدفع عنه شماتة حجار وقال بعضهم ان أول من قال ذلك الصدوف بنت حليس العذرية وكان من شأنها انها كانت عند زيد بن الاخنس العذرى وكان لزيد بنت من غيرها يقال لها الفارعة وان زيدا عزل ابنته عن امرأته فى خباء لها وأخدمها خادما وخرج زيد الى الشام وان رجلا من عذرة يقال له شبث هويها وهويته ولم يزل بها حتى طاوعته فكانت تأمر راعى أبيها ان يعجل ترويح ابله وأن يحلب لها حلبة ابلها قيلا فتشرب اللبن نهارا حتى اذا أمست وهدأ الحى رحل لها جملا كان لابيها ذلولا فقعدت عليه وانطلقا حتى كانا ينتهيان الى منتهى من الارض فيكونان بها ليلتهما ثم يقبلان فى وجه الصبح فكان ذلك دأبهما فلما فصل أبوها من الشام مر بكاهنة على طريقه فسألها عن أهله فنظرت له وقالت أرى جملك يرحل ليلا وحلبة تحلب ابلك قيلا وأرى نعما وخيلا فلا ابث فقد كان حدث بآل شبث فاقبل زيد لا يلوى على شئ حتى أتى أهله ليلا فدخل على امرأته وخرج من عندها مسرعا حتى دخل خباء ابنته فاذا هى ليست فيه فقال لخادمها اين الفارعة ثكلتك أمك قالت خرجت تمشى وهى حرود زائرة تعود لم تر بعدك شمسا ولا شهدت عرسا فانفتل عنها الى امرأته فلما رأته عرفت الشر فى وجهه فقالت يا زيد لا تعجل واقف الاثر فلا ناقة لى فى هذا ولا جمل فهى أول من قال ذلك

(لا تراهن على الصعبة ولا تنشد القريض حتى يحجل)

هذا المثل للحطيئة لما حضرته الوفاة اكتنفه أهله وبنو عمه فقيل له يا حطىء أوص

قال وبم أوص مالي بين بني قالوا قد علمنا ان مالك بين بنيك فأوص فقال ويل للشعر من راوية السوء فأرسلها مثلا فقالوا أوص فقال اخبروا أهل ضابئ بن الحارث انه كان شاعرا حيث يقول

لكل جديد لذة غير انني * وجدت جديد الموت غير لذيذ

ثم قال لا تراهن على الصعبة ولا تنشد القريض حتى يحيل فأرسلها مثلا يضرب في التحذير وفي بعض الروايات انه قيل له يا أبا مليكة اوصه قال مالي للذكور دون الاناث قالوا ان الله لم يأمر بذا قال فاني آمر قال أوصه قال اخبروا آل الشماخ ان أخاهم اشعر العرب حيث يقول

وظلت باعراف صياما كانها * رماح نحاها وجهة الريح راكز

قالوا اوصه فان هذا لا يغني عنك شيئا قال ابلغوا كندة ان أخاهم أشعر العرب حيث يقول

فيالك من ليل كان نجومه * بامراس كتان الى صم جندل

يعني امرأ القيس قالوا اوصه فان هذا لا يغني عنك شيئا قال اخبروا الانصار ان أخاهم امدح العرب حيث يقول

يغشون حتى ما تهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل

قالوا أوصه فان هذا لا يغني عنك شيئا قال اوصيكم بالشعر خيرا ثم انشأ يقول

الشعر صعب وطويل سلمه * اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه * والشعر لا يطيعه من يظلمه
يريد ان يعربه فيعجمه * ولم يزل من حيث يأتي يحرمه
من يسم الاعداء يبق ميسمه

قالوا اوصه فان هذا لا يغني عنك شيئا قال

كنت احيانا شديد المعتمد * وكنت أحيانا على خصمي ألد
قد وردت نفسي وما كادت ترد

قالوا اوصه فان هذا لا يغني عنك شيئا قال واجزعاه على المديح الجيد يمدح به من ليس من أهله قالوا أوصه فان هذا لا يغني عنك شيئا فبكى قالوا وما يبكيك قال ابكي الشعر الجيد من راوية السوء قالوا أوص للمساكين بشيء قال اوصيهم بالمسألة واوصي الناس أن لا يعطوهم قالوا اعتق غلامك فانه قد رعى عليك ثلاثين سنة قال هو عبد ما بقي على الارض

الارض عبسى ثم قال احملونى على حمارى ودوروا بى حول هذا التل فانه لم يمت على الحمار كريم فعسى ربى ان يرحمنى فحمله ابناه واخذا بضبعيه ثم جعلا يسوقان الحمار حول التل وهو يقول

قد عجل الدهر والاحداث يمكما * فاستغنيا وشبك انى فان
ودليانى فى غبراء مظلمة * كما تدلى دلاة بين اشطان

قالوا يا أبا مليكة من اشعر العرب قال هذا الجحر اذا طمع بخير وأشار بيده الى فيه وكان آخر كلامه فمات وكان له عشرون ومائة سنة منها سبعون فى الجاهلية وخمسون فى الاسلام ويروى انه أراد سفرا فلما قدم راحلته قالت له امرأته متى ترجع فقال

عدى السنين لغيبتى وتصبرى * ودع الشهور فانهن قصار

فقالت اذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

قالوا وما مدح قوما الا رفعهم وما هجا قوما الا وضعهم وقال يهجو نفسه وقد نظر فى المرآة وكان دميما

أبت شفتاى اليوم الا تكلما * بسوء فما ادرى لمن انا قائله
أرى لى وجها شوه الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

(لا غزو الا التعقيب)

يقال عقب الرجل وهو أن يغزو مرة ثم يثنى من سنته قال طفيل يصف الخيل

طوال الهوادى والمتون صليبة * مغاوير فيها للاريب معقب

وأول من قال ذلك حجر بن الحارث بن عمرو آكل المرار وذلك ان الحارث بن مندلة ملك الشام وكان من ملوك سليح من ملوك الضجاعم وهو الذى ذكره مالك بن جوبن الطائى فى شعره فقال

هنالك لا أعطى رئيسا مقادة * ولا ملكا حتى يؤب ابن مندله

وكان قد اغار على أرض نجد وهى ارض حجر بن الحارث هذا وذلك على عهد بهرام جور وكان بها اهل حجر فوجد القوم خلوفا ووجد حجرا قد غزا اهل نجران فاستاق ابن مندلة مال حجر وأخذ امرأته هند الهنود ووقع بها فاعجبها وكان آكل المرار شيخا كبيرا وابن مندلة شابا جميلا فقالت له النجاء النجاء فان وراءك طالبا حثيثا وجمعا كثيرا ورأيا صليبا وحزما وكيدا فخرج ابن مندلة مغذا الى الشام وجعل يقسم المرباع نهاره أجمع فاذا كان الليل اسرجت له السرج يقسم عليها فلما رجع حجر وجد ماله قد استيق

ووجد هندا قد أحدثت فقال من اغار عليكم قالوا ابن منذلة قال مذ كم فقالوا مذ ثمان ليال فقال حجر ثمان فى ثمان لا غزو الا التعقيب فأرسلها مثلا يعنى غزوه الاول والثانى (قلت) قوله ثمان فى ثمان يعنى ثمان ليال أدخلت فى ثمان أخرى اذ كانت غزوة نجران كذا فقرنت بمثلها من هذا الغزو الآخر وأراد ثمان ليال فى أثر ثمان ليال يعنى انه سبقه بثمان ليال حين اغار على قومه وسيلحقه فى ثمان ليال ثم اقبل مجدا فى طلب ابن منذلة حتى دفع الى واد دون منزل ابن منذلة فكمن فيه وبعث سدوس بن شيبان بن ذهل ابن ثعلبة وكان من مناكير العرب فقال له حجر اذهب متنكرا الى القوم حتى تعلم لنا علمهم فانطلق سدوس حتى انتهى الى ابن منذلة وقد نزل فى سفح الجبل وأوقد نارا وأقبل يقسم المرباع ونثر تمرا وقال من جاء بحزمة حطب فذهب سدوس وأتى بحزمة حطب والقاها على النار وأخذ قبضة من تمر فألقاها فى كنانته وجلس مع القوم يستمع الى ما يقولون وهند خلف ابن منذلة تحدثه فقال ابن منذلة يا هند ما ظنك الآن بحجر قالت أراه ضاربا بجوشنه على واسطة رحله وهو يقول سيروا سيروا لا غزو الا التعقيب وذلك مثل ما قال زوجها سواء ثم قالت هند لابن منذلة والله ما نام حجر قط الا وعضو منه حى قال ابن منذلة وما علمك بذلك وانتهرها قالت بلى كنت له فاركا فبينما هو ذات يوم فى منزل له قد أخرج اليه رابعا فضرب له قبة من قبابه ثم أمر بجزر فنحرت وبشاء فذبحت فصنع ذلك ثم ارسل للناس فدعاهم فاطعمهم فلما طعموا وخرجوا نام كما هو مكانه وانا جالسة عند باب القبة وأقبلت حية وهو نائم باسط رجله فذهبت الحية لتنهشه فقبض رجله ثم تحولت من قبل يده لتنهشه فقبض يده اليه ثم تحولت من قبل رأسه فلما دنت منه وهو يغط قعد جالسا فنظر الى الحية فقال ما هذه يا هند فقلت ما فطنت لها حتى جلست قال لا والله وذلك كله يسمع سدوس فلما سمع الحديث رجع الى حجر فنثر التمر من الكنانة بين يديه وقال

أتاك المرجفون بامر غيب * على دهش وجئتك باليقين

فلما حدثه بحديث امرأته مع ابن منذلة عرف انه قد صدقه فضرب بيده على المرار وهى شجرة مرة اذا اكلت منها الابل قلصت مشافرها فاكل منها من الغضب فلم يضره فسمته العرب آكل المرار ثم خرج حتى اغار على ابن منذلة فنذر به ابن منذلة فوثب على فرسه ووقف فقال له آكل المرار هل لك فى المبارزة فأينا قتل صاحبه انقاد له جنده المقتول قال له ابن منذلة انصفت وذلك بعين هند فاختلفا بينهما بطعنتين فطعنه

آكل

آكل المرار طعنة جندله بها عن فرسه فوثبت هند الى ابن مندلة تفديه وانتزعت الرمح من نحره وخرجت نفسه فظفر آكل المرار بجنده واستنقذ جميع ما كان ذهب به من ماله ومال اهل بلاده وأخذ هندا فقتلها مكانه وأنشأ يقول

لمن النار أوقدت بحفير * لم ينم غير مصطل مقرور
ان من يأمن النساء بشئ * بعد هند لجاهل مغرور
كل أنثى وان تبينت منها * آية الحب حبها خيتعور

(لا تجزعن من سنة أنت سرتها)

قالوا ان أول من قال ذلك خالد ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي وذلك ان أبا ذؤيب كان قد نزل في بني عامر بن صعصعة على رجل يقال له عبد عمرو بن عامر فعشقته امرأة عبد عمرو وعشقها فخببها على زوجها واحتملها وهرب بها الى قومه فلما قدم منزله تخوف أهله فأسرها منهم في موضع لا يعلم وكان يختلف اليها اذا أمكنه وكان الرسول بينها وبينه ابن أخت له يقال له خالد وكان غلاما حدثا له منظر وصباحة فمكث بذلك برهة من دهر وشب خالد وأدرك فعشقته المرأة ودعته الى نفسها فاجابها وهويها ثم انه حولها من مكانها ذلك فأتى بها مكانا غيره وجعل يختلف اليها فيه ومنع اباذؤيب عنها فأنشأ أبو ذؤيب يقول

ما حمل البختي عام عياره * عليه الوسوق برها وشعيرها
باعظم مما كنت حملت خالدا * وبعض امانات الرجال غرورها
فلما تراماه الشباب وغيه * وتبع منه فتنة وفجورها
لوى رأسه عنا ومال بوده * أغانيج خود كان فينا يزورها

فلما بلغ ذلك ابن أخته خالدا أنشأ يقول

فهل أنت اما أم عمرو تبدلت * سواك خليلا دائما تستخيرها
فررت بها من عند عمرو بن عامر * وهي همها في نفسها وسجيرها
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها * فأول راض سنة من يسيرها
ولا تك كالثور الذي دفنت له * حديدة حتف دائبا يستثيرها

(ماوراءك ياعصام)

قال المفضل أول من قال ذلك الحارث بن عمرو ملك كندة وذلك انه لما بلغه جمال ابنة عوف بن محلم الشيباني وكمالها وقوة عقلها دعا امرأة من كندة يقال لها عصام ذات عقل

ولسان وأدب وبيان وقال لها اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف فمضت حتى انتهت الى أمها وهي امامة ابنة الحارث فاعلمتها ما قدمت له فأرسلت امامة الى ابنتها وقالت أي بنية هذه خالتك أتتك لتنظر اليك فلا تستري عنها شيئا ان أرادت النظر من وجه أو خلف وناطقيها ان استنطقتك فدخلت اليها فنظرت الى ما لم تر قط مثله فخرجت من عندها وهي تقول ترك الخداع من كشف القناع فأرسلتها مثلا ثم انطلقت الى الحارث فلما رآها مقبلة قال لها ما وراءك يا عصام قال صرح المخض عن الزبد رأيت جبهة كالمرآة المصقولة يزينها شعر حالك كأذناب الخيل ان أرسلته خلته السلاسل وان مشطته قلت عناقيد جلاها الوابل وحاجبين كأنما خطا بقلم أو سودا بحمم تقوسا على مثل عيني ظبية عبهرة بينهما أنف كحد السيف الصنيع حفت به وجنتان كالارجوان في بياض كالجمان شق فيه فم كالخاتم لذيذ المبتسم فيه ثنايا غر ذات أشر تقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان بعقل وافر وجواب حاضر تلتقي فيه شفتان حمراوان تحلبان ريقا كالشهد اذا دلك في رقبة بيضاء كالفضة ركبت في صدر كصدر تمثال دمية وعضدان مدمجان يتصل بهما ذراعان ليس فيهما عظم يمس ولا عرق يجس ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما لين عصبهما تعقد ان شئت منهما الانامل تنأى في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابها تحت ذلك بطن طوى طي القباطي المدمجة كسر عكنا كالقراطيس المدرجة تحيط بتلك العكن سرة كالمدهن المجلو خلف ذلك ظهر فيه كالجدول ينتهي الى خصر لولا رحمة الله لانبتر لها كفل يقعدها اذا نهضت وينهضها اذا قعدت كأنه دعص الرمل لبده سقوط الطل يحمله فخذان لفا كأنما قلبا على نضد جمان تحتهما ساقان خدلتان كالبرديتين وشيتا بشعر أسود كأنه حلق الزرد يحمل ذلك قدمان كحذو اللسان فتبارك الله مع صغرهما كيف يطيقان حمل ما فوقهما فأرسل الملك الى أبيها فخطبها فزوجها اياه وبعث بصداقها فجهزت فلما أرادوا أن يحملوها الى زوجها قالت لها أمها أي بنية ان الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ولو ان امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما اليها كنت اغنى الناس عنه ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال أي بنية انك فارقت الجو الذي منه خرجت وخلفت العش الذي فيه درجت الى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا فكوني له

امة

أمة يكن لك عبدا وشيكا يا بنية احملي عني عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة والتعهد لموقع عينه والتفقد لموضع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا طيب ريح الكحل أحسن الحسن والماء أطيب الطيب المفقود والتعهد لوقت طعامه والهدء عنه عند منامه فان حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مبغضة والاحتفاظ ببيته وماله والارعاء على نفسه وحشمه وعياله فان الاحتفاظ بالمال حسن التقدير والارعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ولا تفشي له سرا ولا تعصي له أمرا فانك ان أفشيت سره لم تأمني غدره وان عصيت أمره أوغرت صدره ثم اتقي مع ذلك الفرح ان كان ترحا والاكتئاب عنده ان كان فرحا فان الخصلة الاولى من التقصير والثانية من التكدير وكوني أشد ما تكونين له اعظاما يكن أشد ما يكون لك اكراما وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له مرافقة واعلمي انك لا تصلين الى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت والله يخير لك فحملت فسلمت اليه فعظم موقعها منه وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن (وروى) أبو عبيد ماوراءك عصام على التذكير وقال يقال ان المتكلم به النابغة الذبياني قاله لعصام بن شهبر حاجب النعمان وكان مريضا وقد أرجف بموته فسأله النابغة عن حال النعمان فقال ماوراءك يا عصام ومعناه ما خلفت من أمر العليل أوما امامك من حاله ووراء من الاضداد قلت يجوز ان يكون أصل المثل ماذكرت ثم اتفق الاسمان فخوطب كل بما استحق من التذكير والتأنيث

(مقتل الرجل بين فكيه)

المقتل القتل وموضع القتل أيضا ويجوز ان يجعل اللسان قتلا مبالغة في وصفه بالافضاء اليه قال * انما هي اقبال وادبار * ويجوز أن يجعل موضع القتل أي بسببه يحصل القتل ويجوز ان يكون بمعنى القاتل فالمصدر ينوب عن الفاعل كانه قال قاتل الرجل بين فكيه قال المفضل أول من قال ذلك اكثم بن صيفي في وصية لبنيه وكان جمعهم فقال تباروا فان البر يبقى عليه العدد وكفوا ألسنتكم فان مقتل الرجل بين فكيه ان قول الحق لم يدع لي صديقا الصدق منجاة لا ينفع التوقي مما هو واقع في طلب المعالي يكون العناء الاقتصاد في السعي أبقى للجمام من لم يأس على مافاته ودع بدنه ومن قنع بما هو فيه قرت عينه التقدم قبل التندم أصبح عند رأس الامر أحب الي من أن أصبح عند ذنبه

لم يهلك من مالك ما وعظك ويل لعالم أمر من جاهله يتشابه الامر اذا أقبل واذا أدبر عرفه الكيس والاحمق البطر عند الرخاء حمق والعجز عن البلاء أمن لا تغضبوا من اليسير فانه يجني الكثير لا تجيبوا فيما لا تسألوا عنه ولا تضحكوا مما لا يضحك منه تناؤا في الديار ولا تباغضوا فانه من يجتمع يقعقع عنده الزموا النساء المهانة نعم لهو الحرة المغزل حيلة من لا حيلة له الصبر ان تعش ترما لم تره المكثار كحاطب ليل من اكثر أسقط لا تجعلوا سرا الى أمة فهذه تسعة وعشرون مثلا منها ما قد مر ذكره فيما سبق من الكتاب ومنها ما يأتي ان شاء الله تعالى وقد أحسن من قال رحم الله امرأ أطلق ما بين كفيه وامسك ما بين فكيه ولله در أبي الفتح البستي حيث يقول في هذا المثل

تكلم وسدد ما استطعت فانما * كلامك حي والسكوت جماد
فان لم تجد قولا سديدا تقوله * فصمتك عن غير السداد سداد

واحتذاه القاضي أبو أحمد منصور بن محمد الهروي فقال

اذا كنت ذا علم وماراك جاهل * فاعرض ففي ترك الجواب جواب
وان لم تصب في القول فاسكت فانما * سكوتك عن غير الصواب صواب

وضمن الشيخ أبو سهل النيلي شرائط الكلام قوله

أوصيك في نظم الكلام بخمسة * ان كنت للموصي الشفيق مطيعا
لا تغفلن سبب الكلام ووقته * والكيف والكم والمكان جميعا

(من صدق الله نجا)

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان ثلاثة نفر انطلقوا الى الصحراء فمطرتهم السماء فلجؤا الى كهف في جبل ينتظرون اقلاع المطر فبينما هم كذلك اذ هبطت صخرة من الجبل وجثمت على باب الغار فيئسوا من الحياة والنجاة فقال أحدهم لينظر كل واحد منكم الى أفضل عمل عمله فليذكره ثم ليدع الله تعالى عسى ان يرحمنا او ينجينا فقال أحدهم اللهم ان كنت تعلم اني كنت بارا بوالدي وكنت آتيهما بغبوقهما فيغتبقانه فأتيت ليلة بغبوقهما فوجدتهما قد ناما وكرهت ان أوقظهما وكرهت الرجوع فلم يزل ذاك دأبي حتى طلع الفجر فان كنت عملت ذلك لوجهك فافرج عنا فمالت الصخرة عن مكانها حتى دخل عليهم الضوء وقال الآخر اللهم انك تعلم اني هويت امرأة ولقيت في شأنها أهوالا حتى ظفرت بها وقعدت منها مقعد الرجل من المرأة قالت انه لا يحل لك ان تفض خاتمي الا بحقه فقمت عنها فان كنت تعلم انه ما حملني على

ذلك الا ابتغاء وجهك فافرج عنا فانفرجت الصخرة حتى لو شاء القوم ان يخرجوا لقدروا وقال الثالث اللهم انك تعلم انى استأجرت اجراء فعملوا الى فوفيتهم اجورهم الا رجلا واحدا ترك اجره عندى وخرج مغاضبا فربيت أجره حتى نما وبلغ مبلغا ثم جاء الاجير فطلب أجرته فقلت هاك ماترى من المال فان كنت عملت ذلك لك فافرج عنا فسالت الصخرة وانطلقوا سالمين فقال صلى الله عليه وسلم من صدق الله نجا ومعنى صدق الله لقى الله بالصدق وهو أن يحقق قوله فعله

(منك أنفك وان كان اجدع)

يضرب لمن يلزمك خيره وشره وان كان ليس بمستحكم القرب وأول من قال ذلك قنفذ ابن جعونة المازنى للربيع بن كعب المازنى وذلك ان الربيع دفع فرسا كان قد أبر على الخيل كرما وجودة الى أخيه كيش ليأتى به أهله وكان كيش انوك مشهورا بالحمق وقد كان رجل من بنى مالك يقال له قراد بن جرم قدم على أصحاب الفرس ليصيب منهم غرة فيأخذها فكان داهية فمكث فيهم مقيما لا يعرفون نسبه ولا يظهره فلما نظر الى كيش راكبا الفرس ركب ناقته ثم عارضه فقال يا كيش هل لك فى عانة لم أر مثلها سمنا ولا عظما وعيرمعها من ذهب فاما الاتن فتروح بها الى أهلك فتملأ قدورهم وتفرح صدورهم وأما العير فلا فتقار بعده قال له كيش وكيف لنا به قال أنالك به وليس يدرك الا على فرسك هذا ولا يرى الا بليل ولا يراه غيرى قال كيش فدونكه قال نعم وامسك أنت راحلتى فركب قراد الفرس وقال انتظرنى فى هذا المكان الى هذه الساعة من غد قال نعم ومضى قراد فلما توارى أنشأ يقول

صبحت فى العير خلالا هو ركا * لنطعم الحى جميعا عيركا
فسوف تأتى بالهوان أهلكا * وقبل هذا ما خدعت الانوكا

فلم يزل كيش ينتظره حتى أمسى من غده وجاع فلما لم يرله أثرا انصرف الى أهله وقال فى نفسه ان سألنى أخى عن الفرس قلت تحوّل ناقة فلما رآه أخوه الربيع عرف أنه خدع عن الفرس فقال له أين الفرس قال تحوّل ناقة قال فما فعل السرج قال لم أذكر السرج فأطلب له علة فصرعه الربيع ليقتله فقال له قنفذ بن جعونة أله عنا فانك فان انفك منك وان كان أجدع فذهبت مثلا وقدم قراد بن جرام على أهله بالفرس وقال فى ذلك

رأيت كيشا نوكه لى نافع * ولم أر نوكا قبل ذلك ينفع

يؤمل عيرا من نضار وعسجد * فهل كان لى فى غير ذلك مطمع
وقالت له امسك قلوصى ولا ترم * خداعا له اذ ذوالمكايد يخدع
فأصبح يرمى الخافقين بطرفه * وأصبح تحتى ذوأفانين جرشع
أبرعلى الجود العناجيج كلها * فليس ولو اقحمته الوعر يكسع

(من ير يوما ير به)

قال المفضل أول من قال ذلك كلحب بن شؤبوب الاسدى وكان يغير على طئ وحده فدعا حارثة بن لام الطائى رجلا من قومه يقال له عترم وكان بطلا شجاعا فقال له اما تستطيع ان تكفينى هذا الخبيث فقال بلى ثم أرسل معه عشرة من العيون حتى علموا مكانه وانطلق اليه الرجل فى جماعة فوجدوه نائما فى ظل اراكة وفرسه مشدودة عنده فنزل عنده الرجل ومعه آخر اليه فأخذ كل واحد منهما باحدى يديه فانتبه فنزع يده اليمنى من ممسكها وقبض على حلق الآخر فقتله وبادر الباقون اليه فأخذوه وشدوه وثاقا فقال لهم ابن المقتول وهو حوذة بن عترم دعونى أقتله كما قتل أبى قالوا حتى نأتى به حارثة فأبى فقالوا له والله لئن قتلته لنقتلنك وأتوا به حارثة بن لام فقال له حارثة يا كلحب ان كنت أسيرا فطالما أسرت فقال كلحب من ير يوما ير به فأرسلها مثلا وقال حوذة لحارثة اعطنيه أقتله كما قتل أبى قال دونكه وجعلوا يكامونه وهو يعالج كتافه حتى انحل ثم وثب على رجليه يحاريهم وتوائبوا على الخيل واتبعوه فأعجزهم فقال حوذة فى ذلك

الى الله أشكو أن أؤب وقد ثوى * قتيلا فأودى سيد القوم عترم
فبات ضياعا هكذا بيد امرئ * لئيم فلولا قيل ذو الوتر معلم

فأجابه كلحب

احوذة ان تفخر وتزعم اننى * لئيم ففى عترم اللؤم الالأم
فاقسم بالبيت المحرم من منى * أليه برصادق حين يقسم
لضب بقفر من قفار وضبة * وخوع ويربوع الفلا منك اكرم
فهل أنت الا خنفساء لئيمة * وخالك يربوع وجدك شيهم
أتوعدنى بالمنكرات واننى * صبور على ما ناب جلد صلخدم
فان افن او أعمر الى وقت هذه * فانى ابن شؤبوب جسور غشمشم

(من يشترى سيفى وهذا اثره)

قال المفضل أول من قال ذلك الحارث بن ظالم المرى وذلك ان خالد بن جعفر بن كلاب لما

لما قتل زهير بن جذيمة العبسي ضاقت به الارض وعلم ان غطفان غير تاركيه فخرج حتى أتى النعمان فاستجار به فاجاره ومعه أخوه عتبة بن جعفر ونهض قيس بن زهير فاستعد لمحاربة بني عامر وهجم الشتاء فقال الحارث بن ظالم يا قيس أنتم أعلم وحربكم وأنا رائح الى خالد حتى أقتله قال قيس قد أجاره النعمان قال الحارث لاقتلنه ولو كان في حجره وكان النعمان قد ضرب على خالد وعلى أخيه قبة وأمرهما بحضور طعامه ومدامه فاقبل الحارث ومعه تابع له من بني محارب فأتى باب النعمان فاستأذن فاذن له النعمان وفرح به فدخل الحارث وكان من أحسن الناس وجها وحديثا واعلم الناس بايام العرب فاقبل النعمان عليه بوجهه وحديثه وبين أيديهم تمر يأكلونه فلما رأى خالد اقبال النعمان على الحارث غاظه فقال يا أبا ليلى الا تشكرني قال فيماذا قال قتلت زهيرا فصرت بعده سيد غطفان وفي يد الحارث تمرات فاضطربت يده وجعل يرعد ويقول أنت قتلته والتمر يسقط من يده ونظر النعمان الى ما به من الزمع فنخس خالدا بقضيبه وقال هذا يقتلك وافترق القوم وبقي الحارث عند النعمان وأشرج خالد قبته عليه وعلى أخيه وناموا وانصرف الحارث الى رحله فلما هدأت العيون خرج الحارث بسيفه شاهره حتى أتى قبة خالد فهتك شرجها بسيفه ودخل فرأى خالدا نائما وأخوه الى جنبه فايقظ خالدا واستوى قائما فقال له الحارث يا خالد أظننت ان دم زهير كان سائغا لك وعلاه بسيفه حتى قتله وانتبه عتبة فقال له الحارث لئن نبست لالحقنك به وانصرف الحارث وركب فرسه ومضى على وجهه وخرج عتبة صارخا حتى أتى باب النعمان فنادى يا سوء جواراه فاجيب لاروع عليك فقال دخل الحارث على خالد فقتله وأخفر الملك فوجه النعمان فوارس في طلبه فلحقوه سحرا فعطف عليهم فقتل منهم جماعة وكثروا عليه فجعل لا يقصد جماعة الافرقها ولا الفارس الا قتله وهو يرتجز ويقول

أنا أبو ليلى وسيفي المعلوب * من يشتري سيفي وهذا أثره

وارتدع القوم عنه وانصرفوا الى النعمان يضرب في المحاذرة من شئ قد ابتلي بمثله مرة قال الاغلب العجلي

قالت له في بعض ما تسطره * من يشتري سيفي وهذا أثره

(انصر أخاك ظالما أو مظلوما)

يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا فقيل يا رسول الله هذا ننصره مظلوما

فكيف ننصره ظالما فقال صلى الله عليه وسلم تردّه عن الظلم قال أبو عبيد أما الحديث فهكذا وأما العرب فكان مذهبها في المثل نصرته على كل حال قال المفضل أول من قال ذلك جندب العنبر بن تميم بن عمرو وكان رجلا دميما فاحشا وكان شجاعا وانه جلس هو وسعد بن زيد مناة يشربان فلما أخذ الشراب فيهما قال جندب لسعد وهو يمازحه ياسعد لشرب ابن اللقاح وطول النكاح وحسن المزاح أحب اليك من الكفاح ودعس الرماح وركض الوقاح قال سعد كذبت والله انى لاعمل العامل وانحر البازل واسكت القائل قال جندب انك لتعلم أنك لو فزعت دعوتنى عجلا ومابتغيت لى بدلا ورأيتنى بطلا اركب العزيمة وامنع الكريمة واحمى الحريمة فغضب سعد وأنشأ يقول

هل يسود الفتى اذا قبح الوجه * وأمسى قراه غير عتيد
واذا الناس فى الندى رأوه * ناطقا قال قول غير سديد

فاجابه جندب

ليس زين الفتى الجمال ولكن * زينه الضرب بالحسام التليد
ان يك الغنى فزين والا * ربما ضن باليسير العتيد

قال سعد وكان عائفا أما والذى أحلف به لتأسرنك ظعينة بين العرينة والدهينة ولقد أخبرنى ماسيرى انه لا يفكك غيرى فقال جندب كلا انك لجبان تكره الطعان وتحب القيان فتفرقا على ذلك فغبرا حينا ثم ان جندبا خرج على فرس له يطلب القنص فاتى على أمة لبنى تميم يقال ان اصلها من جرهم فقال لها اتمكنينى مسرورة أو تقهرين مجبورة قالت مهلا فان المرء من نوكه يشرب من سقاء لم يوكه فنزل اليها عن فرسه مدلا فلما ادنا منها قبضت على يديه بيد واحدة فمازالت تعصرهما حتى صار لا يستطيع ان يحركهما ثم كتفته بعنان فرسه وراحت به مع غنمها وهى تحدو به وتقول

لا تأمنن بعدها الولائدا * فسوف تلقى باسلا مواردا

* وحية تضحى لحى راصدا * قال فمر بسعد فى ابله فقال ياسعد اغثنى قال سعد ان الجبان لا يغيث فقال جندب

يا أيها المرء الكريم المشكوم * انصر أخاك ظالما أو مظلوم

فاقبل اليه سعد فاطلقه ثم قال لولا ان يقال قتل امرأة لقتلتك قال كلا لم يكن ليكذب طيرك

ظلمك و يصدق غيرك قال صدقت (قوله) انصر أخاك ظالما يجوز أن يكون ظالما أو مظلوما حالين من قوله أخاك و يجوز ان يكونا حالين من الضمير المستكن فى الامر يعنى انصره ظالما ان كنت خصمه أو مظلوما من جهة خصمه اى لا تسلمه فى اى حال كنت

(ويل للشجى من الخلى)

ذكرت قصته فى حرف الصاد عند قولهم صغراها شراها وهذه رواية أخرى قال المدائنى ومحمد بن سلام الجمحى اول من قال ذلك اكثم بن صيفى التميمى وكان من حديثه انه لما ظهر النبى عليه الصلاة والسلام بمكة ودعا الناس الى الاسلام بعث اكثم بن صيفى ابنه حبيشا فأتاه بخبره فجمع بنى تميم وقال يا بنى تميم لا تحضرونى سفيها فانه من يسمع يخل ان السفيه يوهن من فوقه ويثبت من دونه لا خير فيمن لا عقل له كبرت سنى ودخلتنى ذلة فاذا رأيتم منى حسنا فاقبلوه وان رأيتم منى غير ذلك فقوموني أستقم ان ابنى شافه هذا الرجل مشافهة وآتانى بخبره وكتابه يأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر ويأخذ فيه بمحاسن الاخلاق ويدعو الى توحيد الله تعالى وخلع الاوثان وترك الحلف بالنيران وقد عرف ذو و الرأى منكم ان الفضل فيما يدعو اليه وان الرأى ترك ما ينهى عنه ان احق الناس بمعونة محمد صلى الله عليه وسلم ومساعدته على امره أنتم فان يكن الذى يدعو اليه حقا فهو لكم دون الناس وان يكن باطلا كنتم أحق الناس بالكف عنه وبالستر عليه وقد كان اسقف نجران يحدث بصفته وكان سفيان ابن مجاشع يحدث به قبله وسمى ابنه محمدا فكونوا فى امره اوّلا ولا تكونوا آخرا ائتوا طائعين قبل ان تأتوا كارهين ان الذى يدعو اليه محمد صلى الله عليه وسلم لو لم يكن دينا كان فى اخلاق الناس حسنا اطيعونى واتبعوا أمرى اسأل لكم أشياء لا تنزع منكم أبدا واصبحتم أعز حى فى العرب واكثرهم عددا واوسعهم دارا فانى ارى امرا لا يجتنبه عزيز الا ذل ولا يلزمه ذليل الا عز ان الاول لم يدع للآخر شيأ وهذا امر له ما بعده من سبق اليه غمر المعالى واقتدى به التالى والعزيمة حزم والاختلاف عجز فقال مالك بن نويرة قد خرف شيخكم فقال اكثم ويل للشجى من الخلى والهفى على أمر لم اشهده ولم يسعنى

(هلم جرا)

قال المفضل اى تعالوا على هينتكم كما يسهل عليكم وأصل ذلك من الجر فى السوق وهو ان تترك الابل والغنم ترعى فى سيرها قال الراجز

لطالما جرتنكن جرا * حتى نوى الاعجف واستمرا
فاليوم لا آلو الركاب شرا

وأول من قال ذلك المستطعم عمرو بن جران الجعدى زبدا وتمرا كناحتى قال له عمرو كلاهما وتمرا وقدمر ذكرهما فى حرف الكاف واسم ذلك الرجل عائذ وكان له اخ يسمى جندلة وهما ابنا يزيد اليشكرى ولما رجع عائذ قال له اخوه جندلة

اعائذ ليت شعرى أى ارض * رمت بك بعد ماقد غبت دهرا
فلم يك يرتجى لكم اياب * ولم نعرف لدارك مستقرا
فقد كان الفراق أذاب جسمى * وكان العيش بعد الصفو كدرا
وكم قاسيت عائذ من فظيع * وكم جاوزت أملس مقشعرا
اذا جاوزتها استقبلت أخرى * واقود مشمخر النيق وعرا

فاجابه عائذ فقال

اجندل كم قطعت اليك أرضا * يموت بها ابو الاشبال ذعرا
قطعت ولامعات الآل تجرى * وقد اوترت فى الموماة كدرا
وطامسة المتون ذعرت فيها * خواضب ذات آرآل وغبرا
وان جاوزت مقفرة رمت بى * الى أخرى كتلك هلم جرا
فلما لاح لى سعب ولوح * وقد متع النهار لقيت عمرا
فقلت فهات زبدا أوسناما * فقال كلاهما ونزاد تمرا
فقدم للقرى شطبا وزبدا * وطلت لديه عشرا ثم عشرا

(يسار الكواعب)

كان من حديثه انه كان عبدا اسود يرعى لاهله ابلا وكان معه عبد يرعاه وكان اولى يسار بنت قرت يوما بابله وهى ترتع فى روض معشب فجاء يسار بعلبة لبن فسقاها وكان أفلج الرجلين فنظرت الى فجعه فتبسمت ثم شربت وجزته خيرا فانطلق فرحا حتى اتى العبد الراعى وقص عليه القصة وذكر له فرحها وتبسمها فقال له صاحبه يا يسار كل من لحم الحوار واشرب لبن العشار واياك وبنات الاحرار فقال دحكت الى دحكة لا اخيبها يقول ضحكت ضحكة ثم قام الى علبة فلأها وأتى بها ابنة مولاه فنبهها فشربت ثم اضطجعت وجلس العبد حذاءها فقالت ماجاءبك فقال ماخفى عليك ماجاءبى فقالت واى شئ هو قال دحكك الذى دحكت الى فقالت حياك الله وقامت الى سفط

لها

لها فأخرجت منه بخورا ودهنا وتعمدت الى موسى ودعت بجمرة وقالت له ان ريحك ريح الابل وهذا دهن طيب فوضعت البخور تحته وتطأطأت كأنها تصلح البخور وأخذت هذا كيره وقطعت ابا الموسى ثم شممته الدهن فسلتت أنفه وأذنيه وتركته فصار مثلا لكل جان على نفسه ومتعد طوره قال الفرزدق لجرير

وانى لاخشى ان خطبت اليهم * عليك الذى لاقى يسار الكواعب

ويقال ايضا يسار النساء وكان من العبيد الشعراء وله ابن شاعر يقال له اسماعيل بن يسار النساء وكان مفلقا هذا ومما يفيدك نورا ويزيد نفسك سرورا ويكون لفكرك هاديا ولمرآة ذهنك جاليا وله بالامثال شبه ما صدر عن اولى الالباب من صحابة الانبياء وغيرهم من الحكماء وها أنا مثبت انموذج ذلك من كلام امير المؤمنين على كرم الله وجهه قال وأكثر ما كان يقول ذلك اذا فرغ من صلاة الليل اشهد ان السموات والارض وما بينهما آيات تدل عليك وشواهد تشهد بما اليه دعوت كل يؤدى عنك الحجة ويشهد لك بالربوبية موسوم بآثار نعمتك ومعالم تدبيرك علوت بها عن خلقك فأوصلت الى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر وكفاها رجم الاحتجاج فهى مع معرفتك بك وولهها اليك شاهدة بانك لا تأخذك الاوهام ولا تدركك العقول ولا الابصار اعوذ بك ان اشير بقلب أو لسان أو يد الى غيرك لا اله الا أنت واحدا احدا فردا صمدا ونحن لك مسلمون (وقال) الهى كفانى فخرا أن تكون لى ربا وكفانى عزا أن أكون لك عبدا أنت كما اريد فاجعلنى كما تريد (وقال) ما خاب امرؤ عدل فى حكمه واطعم من قوته وذخر من دنياه لآخرته (وقال) افضل على من شئت تكن اميره واستغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن اسيره وقال لولا ضعف اليقين ما كان لنا ان نشكو محنة يسيرة نرجو فى العاجل سرعة زوالها وفى الآجل عظيم ثوابها بين اضعاف نعم لو اجتمع اهل السموات والارض على احصائها ما وفوا به فضلا عن القيام بشكرها وقال من علامات المأمون على دين الله بعد الاقرار والعمل الحزم فى امره والصدق فى قوله والعدل فى حكمه والشفقة على رعيته لا تخرجه القدرة الى خرق اى حمق ولا اللين الى ضعف ولا تمنعه العزة من كرم عفو ولا يدعوه العفو الى اضاعة حق ولا يدخله الاعطاء فى سرف ولا يتخطى به القصد الى بخل ولا تأخذه نعمة الله ببطر وقال الفسق نجاسة فى الهمة وكلب فى الطبيعة وقال قلوب الجهال تستفزها الاطماع وترتهن بالامانى وتتعلق بالخدائع وكثرة الصمت

زمام اللسان وحسم الفطنة واماطة الخاطر وعذاب الحس (وقال) عداوة الضعفاء للاقوياء والسفهاء للحكماء والاشرار للاخيار طبع لا يستطاع تغييره (وقال) العقل في القلب والرحمة في الكبد والنفس في الرئة (وقال) اذا أراد الله بعبد خيرا حال بينه وبين شهوته وحجز بينه وبين قلبه واذا أراد الله به شرا وكله الى نفسه (وقال) الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو (وقال) رحم الله عبدا اتقى ربه وناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به (وقال) ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنى والعدل في الغضب والرضى (وقال) اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش واياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم هو الذي سفك دماء الرجال وهو الذي قطع ارحامها فاجتنبوه (وقال) اذا فعلت كل شئ فكن كمن لم يفعل شيأ (وقال) وقد سأله رجل فقال بماذا أسوء عدوي فقال أن تكون على غاية الفضائل لانه ان كان يسوؤه ان يكون لك فرس فاره اوكلب صيود فهو لأن تذكر بالجميل وينسب اليك أشد مساءة (وقال) اذا قذفت بشئ فلا تتهاون به وان كان كذبا بل تحرز من طرق القذف جهدك فان القول وان لم يثبت يوجب ريبة وشكا (وقال) عدم الادب سبب كل شر والجهل بالفضائل عدل الموت (وقال) ما اصعب على من استعبدته الشهوات ان يكون فاضلا (وقال) من لم يقهر حسده كان جسده قبرا لنفسه (وقال) احمد من يغلظ عليك ويعظك لا من يزكيك ويتملقك (وقال) اختر ان تكون مغلوبا وأنت منصف ولا تختر أن تكون غالبا وأنت ظالم (وقال) لا تشين محاسنك بالفخر والتكبر (وقال) لا تنفك المدينة من شر حتى تجمع مع قوة السلطان قوة دينه وقوة حكمته (وقال) اذا أردت ان تحمد فلا تظهر منك حرص على الحمد (وقال) من كثر همه سقم بدنه ومن ساء خلقه عذب نفسه ومن لاحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته وأفضل ايمان العبد أن يرى الله معه حيث كان (وقال) في التجارب علم مستأنف والاعتبار يفيدك الرشاد وكفاك ادبا لنفسك ما كرهته من غيرك وعليك لاخيك مثل الذي عليه لك (وقال) الغضب يثير كامن الحقد ومن عرف الايام لم يغفل الاستعداد ومن أمسك عن الفضول عدلت رأيه العقول (وقال) اسكت واستتر تسلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق (وقال) اكبر الفخر ان لا تفخر (وقال) ما اصعب اكتساب الفضائل وايسر اتلافها (وقال) لا تنازع جاهلا ولا تشايع واهقا ولا تعاد مسلطا (وقال) ما كنت كاتمه عدوك من سر

فلا

فلا يطلعن عليه صديقك واعرف قدرك يستعل أمرك وكفي بما مضى مخبرا عما بقي

* احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالمضرة

(وقال) لا تعدن عدة تحقرها قلة الثقة بنفسك ولا يغرنك المرتقى السهل اذا كان المنحدر وعرا (وقال) اتق العواقب عالما بأن للاعمال جزاء وأجرا واحذر تبعات الامور بتقديم الحزم فيها (وقال) من استرشد غير العقل أخطأ منهاج الرأى ومن أخطأته وجوه المطالب خذلته الحيل ومن أخل بالصبر أخل به حسن العاقبة فان الصبر قوة من قوى العقل وبقدر مواد العقل وقوتها يقوى الصبر (وقال) الخطأ في اعطاء من لا ينبغي ومنع من ينبغي واحد (وقال) العشق مرض ليس فيه أجر ولا عوض (وقال) الخصومة تمحق الدين (وقال) الجهاد ثلاثة جهاد باليد وجهاد باللسان وجهاد بالقلب فأول ما يغلب عليه من الجهاد يدك ثم لسانك ثم يصير الى القلب فان كان لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا نكس فجعل أعلاه أسفله (وقال) ما أنعم الله على عبد نعمة فشكرها بقلبه الا استوجب المزيد عليها قبل ظهورها على لسانه (وقال) الحاجة مسألة والدعاء زيادة والحمد شكر والندم توبة (وقال) لن واحلم تنبل ولا تكن معجبا فتمقت وتمتهن (وقال) مالى أرى الناس اذا قرب اليهم الطعام ليلا تكلفوا انارة المصابيح ليبصروا ما يدخلون في بطونهم ولا يهتمون بغذاء النفس بان ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب في اعتقاداتهم وأعمالهم (وقال) الفقر هو أصل حسن سياسة الناس وذلك انه اذا كان من حسن السياسة أن يكون بعض الناس يسوس وبعضهم يساس وكان من يساس لا يستقيم ان يساس من غير ان يكون فقيرا محتاجا فقد تبين ان الفقر هو السبب الذى به يقوم حسن السياسة (وقال) لا تتكلم بين يدى أحد من الناس دون ان تسمع كلامه وتقيس ما فى نفسك من العلم الى ما فى نفسه فان وجدت ما فى نفسه اكثر فحينئذ ينبغي لك ان تروم زيادة الشئ الذى به يفضل على ما عندك (وقال) اذا كان اللسان آلة لترجمة ما يخطر فى النفس فليس ينبغي ان تستعمله فيما لم يخطر فيها (وقال) اذا كان الآباء هم السبب فى الحياة فعلموا الحكمة الذين هم السبب فى جودتها (وقال) وشكا اليه رجل تعذر الرزق فقال لا تجاهد الرزق جهاد المغالب ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم فان ابتغاء الفضل من السنة والاجمال فى الطلب من العفة وليست العفة دافعة رزقا

ولا الحرص جالبا فضلا لان الرزق مقسوم وفى شدة الحرص اكتساب المآثم وقال

اذا استغنيت عن شئ فدعه * وخذ ما أنت محتاج اليه

(وقال) العمر أقصر من ان تعلم كل ما يحسن بك علمه فتعلم الأهم فالاهم (وقال) من رضى بما قسم الله له استراح قلبه و بدنه (وقال) ابعد ما يكون العبد من ربه اذا كان همه بطنه وفرجه (وقال) ليس فى الحواس الظاهرة شئ أشرف من العين فلا تعطوها سؤلها فتشغلكم عن ذكر الله (وقال) ارحموا ضعفاءكم فالرحمة لهم سبب رحمة الله لكم (وقال) ازالة الجبال اسهل من ازالة دولة قد أقبلت فاستعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء (وقال) ليس الموسر من كان يساره باقيا عنده زمانا يسيرا و يمكن ان يغتصبه غيره منه ولا يبقى بعد موته له لكن اليسار على الحقيقة هو الباقى دائما عند مالكه ولا يمكن ان يؤخذ منه و يبقى له بعد موته وذلك هو الحكمة (وقال) الشرف اعتقاد المنن فى أعناق الرجال (وقال) يضر الناس أنفسهم فى ثلاثة أشياء الافراط فى الاكل اتكالا على الصحة وتكلف حمل ما لا يطاق اتكالا على القوة والتفريط فى العمل اتكالا على القدر (وقال) احزم الناس من ملك جده هزله وقهر رأيه هواه واعرب عن ضميره فعله لم يخدعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده (وقال) من لم يصلح خلائقه لم ينفع الناس تأديبه (وقال) من اتبع هواه ضل ومن جاد ساد وخمود الذكر اجمل من ذميم الذكر (وقال) لهب الشوق أخف محملا من مقاساة الملالة (وقال) بالرفق تنال الحاجة و بحسن التأنى تسهل المطالب (وقال) بعزيمة الصبر تطفى نار الهوى و بنفى العجب يؤمن كيد الحساد (وقال) بحسب مجاهدة النفوس و ردها عن شهواتها ومنعها عن مسامحة لذاتها ومنع ما أدت اليه العيون الطامحة من لحظاتها تكون المثوبات والعقوبات والحازم من ملك هواه فكان يملكه له قاهرا ولما قدحت الافكار من سوء الظنون زاجرا فمتى لم ترد النفس عن ذلك هجم عليها الفكر بمطالبة ما شغفت به فعند ذلك تأنس بالآراء الفاسدة والاطماع الكاذبة والامانى المتلاشية وكما ان البصر اذا اعتل رأى اشباحا وخيالات لا حقيقة لها كذلك النفس اذا اعتلت بحب الشهوات وانطوت على قبيح الارادات رأت الآراء الكاذبة فالى الله سبحانه نرغب فى اصلاح ما فسد من قلوبنا وبه نستعين على ارشاد نفوسنا فان القلوب بيده يصرفها كيف يشاء (وقال) ما شئ احق بطول سجن من لسان (وقال) لا نذر فى معصية ولا يمين فى قطيعة (وقال) لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح (وقال) اياكم والكسل فانه من كسل لم يؤد لله حقا

حقا (وقال) احسبوا كلامكم من اعمالكم واقلوه الا فى الخير (وقال) احسنوا صحبة النعم فانها تزول وتشهد على صاحبها بما عمل فيها (وقال) لا تؤاخين الفاجر فانه يزين لك فعله و يود لو أنك مثله و يحسن لك اقبح خصاله ومدخله ومخرجه من عندك شين وعار ونقص ولا الاحمق فانه يجهد لك نفسه ولا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فضرك سكونه خير لك من نطقه وبعده خير لك من قربه وموته خير لك من حياته ولا الكذاب فانه لا ينفعك معه عيش ينقل حديثك و ينقل الحديث اليك حتى انه ليحدث بالصدق فلا يصدق (وقال) ما استقصى كريم قط قال تعالى فى وصف نبيه صلى الله عليه وسلم عرف بعضه وأعرض عن بعض (وقال) رب كلمة يحترعها حليم مخافة ما هو شر منها وكفى بالحلم ناصرا (وقال) من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها (وقال) من استحيا من الناس ولم يستحى من نفسه فليس لنفسه عنده قدر (وقال) غاية الادب ان يستحي الانسان من نفسه (وقال) البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ومن البصر بالحجة ان يدع الافصاح بها الى الكناية عنها اذا كان الافصاح أوعر طريقة وكانت الكناية أبلغ فى الدرك وأحق بالظفر (وقال) اياك والشهوات وليكن مما تستعين به على كفها علمك بانها ملهية لعقلك مهجنة لرأيك شائنة لعرضك شاغلة لك عن معاظم أمورك مشتدة بها التبعة عليك فى آخرتك انما الشهوات لعب فاذا حضر اللعب غاب الجد ولن يقام الدين وتصلح الدنيا الا بالجد فاذا نازعتك نفسك الى اللهو واللذات فاعلم أنها قد نزعت بك الى شر منزع وأرادت بك أفضح الفضوح فغالبها مغالبة ذلك وامتنع منها امتناع ذلك وليكن مرجعك منها الى الحق فانها مهما تترك من الحق لا تتركه الا الى الباطل ومهما تدع من الصواب لا تدعه الا الى الخطأ فلا تداهنن هواك فى اليسير فيطمع منك فى الكثير وليس شئ مما أوتيت فاضلا عما يصلحك وليس لعمرك وان طال فضل عما ينوبك من الحق اللازم لك ولا بما لك وان كثر فضل عما يجب عليك فيه ولا بقوتك وان تمت فضل عن أداء حق الله عليك ولا برأيك وان حزم فضل عما لا تعذر بالخطا فيه فليمنعك علمك بذلك من أن تبطل لك عمرا فى غير نفع أو تضيع لك مالا فى غير حق أو ان تصرف لك قوة فى غير عبادة أو تعدل لك رأيا فى غير رشد فالحفظ الحفظ لما أوتيت فان بك الى صغير ما أوتيت والكبير منه اشد الحاجة وعليك باضاعته منه أشد المرزأة ولا سيما العمر الذى

كل منفرد سواه مستخلف وكل ذاهب بعده مرتجع فان كنت شاغلا نفسك بلذة فليكن لذتك فى محادثة العلماء ودرس كتبهم فانه ليس سرورك بالشهوات بالغا منك مبلغا الا وإكبابك على ذلك ونظرك فيه بالغه منك غير أن ذلك يجمع الى عاجل السرور تمام السعادة وخلاف ذلك يجمع الى عاجل الغى وخامة العاقبة وقديما قيل أسعد الناس أدركهم لهواه اذا كان هواه فى رشده فاذا كان هواه فى غير رشده فقد شقى بما أدرك منه وقديما قيل عود نفسك الجميل فباعتيادك اياه يعود لذيذا (وقال) وكل ثلاث بثلاث الرزق بالحمق والحرمان بالعقل والبلاء بالمنطق (وقال) ثلاثة ان لم تظلمهم ظلموك عبدك وزوجتك وابنك (وقال) للمنافقين علامات يعرفون بها تحيتهم لعنة وطعامهم نهمة وغنيمتهم غلول لا يعرفون المساجد الا هجرا ولا يأتون الصلاة الا دبرا مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون خشب بالليل صخب بالنهار (وقال) الحسد حزن لازم وعقل هائم ونفس دائم والنعمة على المحسود نعمة وهى على الحاسد نقمة (وقال) يا حملة العلم لم تحملونه فانما العلم لمن علم ثم عمل بما علم ووافق عمله علمه وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف علمهم عملهم يقعدون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه ان يجلس الى غيره أولئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك الى الله سبحانه (وقال) تعلموا العلم صغارا تسودوا به كبارا وتعلموا العلم ولو لغير الله فانه سيصير لله العلم ذكر لا يحبه الا ذكر من الرجال (وقال) ليس شئ أحسن من عقل زانه علم ومن علم زانه حلم ومن حلم زانه صدق ومن صدق زانه رفق ومن رفق زانه تقوى ان ملاك العقل ومكارم الاخلاق صون العرض والجزاء بالقرض والاخذ بالفضل والوفاء بالعهد والانجاز للوعد ومن حاول أمرا بالمعصية كان أقرب الى ما يخاف وابعد مما يرجو (وقال) اذا جرت المقادير بالمكاره سبقت الآفة الى العقل فحيرته وانطلقت الالسن بما فيه تلف الانفس (وقال) لا تصحبوا الاشرار فانهم يمنون عليكم بالسلامة منهم (وقال) لا تقسروا أولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم (وقال) لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فان الناس لا يسئلون فى كم فرغ من العمل انما يسئلون عن جودة صنعته (وقال) ليس كل ذى عين يبصر ولا كل ذى اذن يسمع فتصدقوا على ذوى العقول الزمنة والالباب الحائرة بالعلوم التى هى أفضل صدقاتكم ثم تلا ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون

(وقال)

وقال) المؤمن لاتقتله كثرة المصائب وتواتر النوائب عن التسليم لربه والرضاء بقضائه كالحمامة التى تؤخذ فراخها من وكرها ثم تعود اليه (وقال) ما مات من أحيا علما ولا افتقر من ملك فهما (وقال) العلم صبغ النفس وليس يفوق صبغ الشئ حتى ينظف من كل دنس (وقال) اعلم ان الذى مدحك بما ليس فيك انما هو مخاطب غيرك وثوابه وجوابه قد سقط عنك (وقال) احسانك الى الحر يحركه على المكافأة واحسانك الى النذل يبعثه على معاودة المسئلة (وقال) الاشرار يتبعون مساوى الناس ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيح منه (وقال) موت الرؤساء أسهل من رياسة السفل (وقال) ينبغى لمن ولى أمر قوم ان يبدأ بتقويم نفسه قبل ان يشرع فى تقويم رعيته والا كان بمنزلة من رام استقامة ظل العود قبل ان يستقيم ذلك العود (وقال) اذا قوى الوالى فى عمله حركته ولايته على حسب ما هو مركوز فى طبعه من الخير والشر (وقال) ينبغى للوالى ان يعمل بخصال ثلاث تأخير العقوبة فى سلطان الغضب والاناة فيما يرتئيه من رأى وتعجيل مكافأة المحسن بالاحسان فان فى تأخير العقوبة امكان العفو وفى تعجيل المكافأة بالاحسان طاعة الرعية وفى الاناة انفساخ الرأى وحمد العاقبة ووضوح الصواب (وقال) من حق العالم على المتعلم ان لا يكثر عليه السؤال ولا يعنته فى الجواب ولا يلح عليه اذا كسل ولا يفشى له سرا ولا يغتاب عنده أحدا ولا يطلب عثرته فاذا زل تأنيت أوبته وقبلت معذرته وان تعظمه وتوقره ما حفظ أمر الله وعظمه وان لا تجلس امامه وان كانت له حاجة سبقت غيرك الى خدمته فيها ولا تضجرن من صحبته فانما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك منها منفعة وتخصه بالتحية واحفظ شاهده وغائبه وليكن ذلك كله لله عز وجل فان العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد فى سبيل الله واذا مات العالم ثلم فى الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وطالب العلم تشيعه الملائكة حتى يرجع (وقال) وصول معدم خير من جاف مكثر ومن أراد أن ينظر ماله عند الله فلينظر ما لله عنده (وقال) لقد سبق الى جنات عدن أقوام ما كانوا أكثر الناس صلاة ولا صياما ولا حجا ولا اعتمارا ولكن عقلوا عن الله أمره فحسنت طاعتهم وصح ورعهم وكمل يقينهم ففاقوا غيرهم بالحظوة ورفيع المنزلة (وقال) ان الله سبحانه وتعالى أدب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال له خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما علم انه قد تأدب قال له وانك لعلى خلق عظيم فلما استحكم له من رسوله ما أحب قال ما آتاكم

الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا (وقال) كنت أنا والعباس وعمر نتذاكر المعروف فقلت أنا خير المعروف ستره وقال العباس خيره تصغيره وقال عمر خيره تعجيله فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيم أنتم فذكرناله فقال خيره ان يكون هذا كله فيه (وقال) العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم (وقال) اذا خبث الزمان كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفعت وكان خوف الموسر أشد من خوف المعسر (وقال) انظر الى المتنصح اليك فان دخل من حيث يضار الناس فلا تقبل نصيحته وتحرز منه وان دخل من حيث العدل والصلاح فاقبلها منه (وقال) اعداء الرجل قد يكونون أنفع من اخوانه لانهم يهدون اليه عيوبه فيتجنبها ويخاف شماتتهم به فيضبط نعمته ويتحرز من زوالها بغاية طوقه (وقال) المرآة التي ينظر الانسان فيها الى اخلاقه هي الناس لانه يرى محاسنه من أوليائه منهم ومساويه من أعدائه فيهم (وقال) انظر وجهك كل وقت في المرآة فان كان حسنا فاستقبح ان تضيف اليه فعلا قبيحا او تشينه به وان كان قبيحا فاستقبح ان تجمع بين قبيحين (وقال) موقع الصواب من الجهال مثل موقع الخطأ من العلماء (وقال) ذك قلبك بالادب كما تذكى النار بالحطب (وقال) لا تصرم أخاك على ارتياب ولا تقطعه دون استعتاب (وقال) خير المقال ماصدقه الفعال (وقال) اذا لم ترزق غنى فلا تحرمن من تقوى (وقال) من عرف الدنيا لم يحزن للبلوى (وقال) دع الكذب تكرما ان لم تدعه تأثما (وقال) المعتذر من غير ذنب يوجب على نفسه الذنب (وقال) كثرة الجدال توجب الشك (وقال) خير القلوب أوعاها (وقال) الحياء لباس سابغ وحجاب مانع وستر من المساوي واق وحليف للدين وموجب للمحبة وعين كالئة تذود عن الفساد وتنهى عن الفحشاء والعجلة في الامور مكسبة للذلة وزمام للندامة وسلب للمروءة وشين للحجا ودليل على ضعف العقدة (وقال) اذا بلغ المرء من الدنيا فوق قدره تنكرت للناس أخلاقه (وقال) لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق من طبعه شرا وأنت لا تعلم (وقال) ينبغي للعاقل ان يتذكر عند حلاوة الغذاء مرارة الدواء (وقال) ان حسدك أخ من اخوانك على فضيلة ظهرت منك فسعى في مكروهك فلا تقابله بمثل ما كافك به فيعذر نفسه في الاساءة وتشرح له طريقا الى مايحبه فيك لكن اجتهد في التزيد من تلك الفضيلة التي حسدك عليها فانها تسوءه من غير أن توجده حجة عليك (وقال) اذا أردت أن تعرف طبع الرجل فاستشره

فانك

فانك تقف من مشورته على عدله وجوره وخيره وشره (وقال) يجب عليك ان تشفق
على ولدك من اشفاقك عليه (وقال) اذا خدمت رئيسا فلا تلبس مثل ملبوسه
ولا تركب مثل مركوبه ولا تستخدم مثل خدمه فعساك تسلم منه (وقال) لا تحدث
بالعلم السفهاء فيكذبوك ولا الجهال فيستثقلوك ولكن حدث به من يتلقاه من أهله
بقبول وفهم يفهم عنك ما تقول ويكتم عليك ما يسمع فان لعلمك عليك حقا كما ان عليك
فى مالك حقا بذله لمستحقه ومنعه عن غير مستحقه (وقال) اياك وصاحب السوء فانه
كالسيف المسلول يروق منظره ويقبح أثره (وقال) العاقل من اتهم رأيه ولم يثق بما
سوّلته له نفسه (وقال) أمر لا تدرى متى يغشاك لا يمنعك ان تستعدله قبل ان
يفجأك (وقال) ليس فى البرق الخاطف مستمتع ان يخوض فى الظلمة (وقال) اذا
أعجبك ما يتواصفه الناس من محاسنك فانظر فيما بطن من مساويك ولتكن
معرفتك بنفسك أوثق عندك من مدح المادحين لك (وقال) خيار الناس
يترفعون عن ذكر معايب الناس ويهمون المخبر بها ويأثرون الفضائل ويتعصبون
لاهلها ويستعرضون مآثر رؤساء وافضالهم عليهم ويطالبون أنفسهم بالمكافأة
عليها وحسن الرعاية لها (وقال) من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه وحنينه
الى أوطانه وحفظه قديم اخوانه (وقال) مكارم الاخلاق عشر خصال السخاء والحياء
والصدق وأداء الامانة والتواضع والغيرة والشجاعة والحلم والصبر والشكر (وقال)
من الخير اداء الامانة المكافأة على الصنيعة لانها كالوديعة عندك (وقال) النفس
تكون الحركة عليه فى الخير سهلة متيسرة والحركة فى الاضرار عسرة بطيئة والشرير
بالضد من ذلك (وقال) لا تقيان فى استعمال عمالك وامرائك شفاعة الا شفاعة
الكفاية والامانة (وقال) اذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لانه باستشارتك قد
خرج من عداوتك ودخل فى مودتك (وقال) العدل صورة واحدة والظلم صوره
كثيرة ولهذا سهل ارتكاب الجور وصعب تحرى العدل وهما يشبهان الاصابة
فى الرماية والخطأ فيها وان الاصابة تحتاج الى ارتياض وتعهد والخطأ لا يحتاج الى
شئ من ذلك (وقال) لا يخطئ المخاص فى الدعاء احدى ثلاث ذنب يغفر أو خير يعجل
أو شر يؤجل (وقال) لا ينتصف ثلاثة من ثلاثة بر من فاجر وعاقل من جاهل وكريم
من لئيم (وقال) أشرف الملوك من لم يخالطه البطر ولم يحل عن الحق وأغنى الاغنياء
من لم يكن للحرص أسيرا وخير الاصدقاء من لم يكن على اخوانه مستصعبا وخير

الاخلاق أعوانها على التقى والورع (وقال) اياك ومواقف الاعتذار فرب عذر أثبت الحجة على صاحبه وان كان بريئا (وقال) قوت الاجسام الغذاء وقوت العقول الحكمة فتى فقد واحد منهما قوته بار واضمحل (وقال) لاتفرح بسقطة غيرك فانك لاتدرى ماتتصرف الايام بك (وقال) غضب العاقل فى فعله وغضب الجاهل فى قوله (وقال) مروا الاحداث بالمراء والجدال والكهول بالفكر والشيوخ بالصمت (وقال) بلوغ أعلى المنازل من غير استحقاق من أكبر أسباب الهلكة (وقال) ليت شعرى ما أدرك من فاته العلم بل أى شئ فات من أدرك العلم (وقال) ذو الهمة وان حط نفسه يأبى الاعلوا كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا (وقال) العاقل اذا تكلم بكلمة أتبعها حكمة ومثلا والاحمق اذا تكلم بكلمة أتبعها حلفا (وقال) ابتداء الصنيعة نافلة وربها فريضة (وقال) رب صلف أدى الى تلف (وقال) المروءة التامة مباينة العامة (وقال) السفل اذا تعلموا تكبروا واذا تمولوا استطالوا والعلية اذا تعلموا تواضعوا واذا افتقروا صالوا (وقال) أعجز الناس من قصر فى طلب الصديق وأعجز منه من وجده فضيعه (وقال) اذا قعدت وأنت صغير حيث تحب قعدت وأنت كبير حيث تكره (وقال) عاملوا الاحرار بالكرامة المحضة والاوساط بالرغبة والرهبة والسفلة بالهوان (وقال) لاتبلغ فى سلامك على الاخوان حد النفاق ولا تقصر بهم عن درجة الاستحقاق (وقال) ارحم الفقراء لقلة صبرهم والاغنياء لقلة شكرهم وارحم الجميع لطول غفلتهم (وقال) من كذب ذهب بماء وجهه ومن ساء خلقه كثر غمه ونقل الصخور من مواضعها أهون من تفهيم من لا يفهم (وقال) لما عرف أهل النقص حالهم عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا ويرفع حقيرا وليس بفاعل (وقال) من كثر مزاحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه (وقال) لاتقطع أخاك الا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه ولا تتبعه بعد القطيعة وقيعة فيه فتسد طريقه عن الرجوع اليك ولعل التجارب ان ترده عليك وتصلحه لك (وقال) الجاهل صغير وان كان شيخا والعالم كبير وان كان حدثا (وقال) الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود (وقال) عقل الكاتب فى قلمه (وقال) الادب عند الاحمق كالماء العذب فى أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة (وقال) مما تكتسب به المحبة ان تكون عالما كجاهل وواعظا كموعوظ (وقال) لاتعجب للسلطان كيف يحسن وهو اذا أساء وجد من يزكيه ويمدحه (وقال) اذا صادقت

انسانا

انسانا وجب ان تكون صديق صديقه وليس يجب عليك ان تكون عدوّ عدوّه لان هذا انما يجب على خادمه لا على مماثل له (وقال) ليس يكمل فضيلة الرجل حتى يكون صديقا لمتعاديين (وقال) العقل الاصابة بالظن ومعرفة مالم يكن بما كان (وقال) تعرف خساسة المرء بكثرة كلامه فيما لا يعنيه واخباره عن مالا يسأل عنه (وقال) خير ماء وشربه الملك قلة الخلاف وتخفيف المؤنة (وقال) أولى الاشياء ان يتعلمها الاحداث الاشياء التي اذا صاروا رجالا احتاجوا اليها (وقال) لا تطلب الحياة لتأكل بل اطلب الاكل لتحيا (وقال) من أمضى يومه فى غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد بناه أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عق يومه (وقال) خير الشعر ما كان مثلا وخير الامثال مالم يكن شعرا (وقال) ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوّك أو صديقك يعني بحسن التربية وسوئها (ومما يناسب ما أوردنا) ويكون حفظه كالالطالب صناعة الانشاء طرف الاراجيز التى ضمنها أصحابها أمثال تلك المعانى فعليه ان يطلبها من مظانها ونورد منها الارجوزة التى استخلصها تقى الدين أبو بكر ابن حجة الحموى من كتاب الصادح والباغم ورتب أبياتها كما استحسن غير ترتيبها فى ذلك الكتاب وهى

الحمد لله الذى هذبنا * واختارنا للعلم اذ أدبنا
فان للآداب فضلا يذكر * فلا تخاطب كل من لا يشعر
يا مدعى الحكمة فى كلامه * ومن يروم السحر فى نظامه
خذ حكما وكلها أمثال * ليس لها فى عصرنا مثال
ألفها ابن حجة للنجبا * لان فيها رأس مال الادبا
واختارها من مفردات الصادح * فكان ذا من اكبر المصالح
من كل بيت ان تمثلت به * سكنت من سامعه فى قلبه
وقد تهجمت على الشريف * لكنني خاطبت بالمعروف
وجئت من كلامه بنبذة * تجلب للسامع كل لذة
وترفع الاديب ان تمثلا * بها اذا خاطب أرباب العلا
من حكم تتبعها وصايا * مقبولة من أحسن السجايا
من أول وأوسط وآخر * جمعتها جمع أديب شاعر
حتى دنا البعيد للقريب * وانتظم البديع بالغريب

وانتجمت فى جمعها ارجوزه * بديعة غريبة وجيزه
وكل من أنكر ما أحكمت فى * ترتيبها يكون غير منصف
فلينظر الاصل ليعرف السبب * ويعترف ان كان من أهل الادب
أول ما يرغب فى استهلاله * من نظمه الحكم فى مقاله
العيش بالرزق وبالتقدير * وليس بالرأى ولا التدبير
فى الناس من تسعده الاقدار * وفعله بجمعه ادبار *
من عرف الله أزال التهمه * وقال كل فعله للحكمه
من أنكر القضاء فهو مشرك * ان القضاء بالعباد أملك
* ونحن لا نشرك بالله ولا * نقنط من رحمته اذ نبتلى
عار علينا وقبيح ذكر * ان نجعل الكفر مكان الشكر
وليس فى العالم ظلم جارى * اذ كان ما يجرى بأمر البارى
وأسعد العالم عند الله * من ساعد الناس بفضل الجاه
ومن أغاث البائس الملهوفا * أغاثه الله اذا أخيفا *
ان العظيم يدفع العظيما * كما الجسيم يحمل الجسيما
* فان من خلائق الكرام * رحمة ذى البلاء والاسقام
وان من شرائط العلو * العطف فى البؤس على العدو
قد قضت العقول ان الشفقه * على الصديق والعدو صدقه
وقد علمت والبيب يعلم * بالطبع لا يرحم من لا يرحم
فالمرء لا يدرى متى يمتحن * فانه فى دهره مرتهن *
وان نجا اليوم فما ينجو غدا * لا يأمن الآفات الا ذو الردى
لا تغتر بالخفض والسلامة * فانما الحياة كالمدامة
والعمر مثل الكأس والدهر القذر * والصفو لا بد له من الكدر
وكل انسان فلا بد له * من صاحب يحمل ما أثقله
جهد البلاء صحبة الاضداد * فانها كى على الفؤاد *
أعظم ما يلقى الفتى من جهد * ان يبتلى فى جنسه بالضد
* فانما الرجال بالاخوان * واليد بالساعد والبنان
لا يحقر الصحبة الا جاهل * أو مارق عن الرشاد غافل

صحبة يوم نسب قريب * وذمة يحفظها اللبيب
وموجب الصداقة المساعده * ومقتضى المودة المعاضده
لاسيما في النوب الشدايد * والمحن العظيمة الاوابد
فالمرء يحيى ابدا اخاه * وهو اذا ما عد من اعداه
وان من عاشر قوما يوما * ينصرهم ولا يخاف لوما
وان من حارب من لا يقوى * لحربه جرّ اليه البلوى
فحارب الاكفاء والاقرانا * فالمرء لا يحارب السلطانا
واقنع اذا حاربت بالسلامه * واحذر فعالا توجب الندامه
فالتاجر الكيس في التجاره * من خاف في متجره الخساره
يجهد في تحصيل راس ماله * ثم يروم الربح باحتياله
وان رايت النصر قد لاح لكا * فلا تقصر واحترز ان تهلكا
واسبق الى الاجود سبق الناقد * فسبقك الخصم من المكايد
وانتهز الفرصة ان الفرصه * تصير ان لم تنتهزها غصه
كم بطر الغالب يوما فترك * عنه التوقي واستهان فهلك
ومن اضاع جنده في السلم * لم يحفظوه في لقاء الخصم
وان من لا يحفظ القلوبا * يخذل حين يشهد الحروبا
والجند لا يرجون من اضاعهم * كلا ولا يحمون من اجاعهم
واضعف الملوك طرا عقدا * من غرّه السلم فاقصى الجندا
والحزم والتدبير في المطاوله * والصبر لا في سرعة المزاوله
وفي الامور تظهر الجواهر * ما غلب الايام الا الصابر
لا تياسن من فرج ولطف * وقوة تظهر بعد ضعف
فربما جاءك بعد الياس * روح بلا كد ولا التماس
في لمحة الطرف بكاء وضحك * وناحز باد ودسع ينسفك
تنال بالرفق وبالتاني * ما لم تنل بالحرص والتعنى
ما احسن الثبات والتجلدا * واقبح الحيرة والتبلدا
ليس الفتى الا الذي ان طرقه * خطب تلقاه بصبر وثقه

اذا الرزايا اقبلت ولم تقف * فسم أحوال الرجال تختلف
وكم لقيت لذة في زمني * فاصبر الآن لهذا المحن
فالموت لا يكون الا مرة * والموت احلى من حياة مرة
انى من الموت على يقين * فاجهد الآن لما يقيني
صبرا على اهوالها ولا ضجر * وربما فاز الفتى اذا صبر
لا يجزع الحر من المصائب * كلا ولا يخضع للنوائب
فالحر للعبء الثقيل يحمل * والصبر عند النائبات يجمل
لكل شيء مدة وتنقضي * ما غلب الايام الا من رضي
قد صدق القائل في الكلام * ليس ابنى بعظم العظام
لا خير في جسامة الاجسام * بل هو في العقول والافهام
فالخيل للحرب وللجمال * والابل للحمل وللترحال
لا تحتقر شيئا صغيرا محتقر
فربما اسالت الدم الابر
لا تخرج الخصم ففي اخراجه * جميع ما تكره من لجاجه
لا تطلب الغائب باللجاج * وكن اذا كويت ذا انضاج
فاعجز من ترك الموجودا * طماعة وطلب المفقودا
وفتش الامور عن اسرارها * كم نكتة جاءتك مع اظهارها
تزمت للجهل قبيح الظاهر * وما نظرت حسن السرائر
ليس يضر البدر في سناء * ان الضرير قط لا يراه
كم حكمة اضحت بها المحافل * نافقة وانت عنها غافل
ويغفلون عن خفي الحكمه * ولو راوها لازالوا التهمه
كم حسن ظاهره قبيح * وقبيح [illegible] مليح
والحق قد تعلمه الفتى * ياباه لا تقف فليس لك
فاسأل كامل في الرجال * لا ينبغي تزخرف المقال
[illegible] وقوله مردود * وقل ما يصدق الحسود
[illegible] لا بيان كان [illegible]
[illegible] والرجل [illegible]
[illegible] بالتني [illegible] الفساد

ان أكل من ترى أذهانا * من حسب الاساءة الاحسانا
فادفع اساءة العدا بالحسنى * ولا تخل يسراك مثل اليمنى
وللرجال فاعلما مكايد * وخدع منكرة شدائد
فانذب لا يخضع للشدائد * قط ولا يغتاظ بالمكايد
فرقع الخرق بلطف واجتهد * وامكر اذا لم ينفع الصدق وكد
فهكذا الحازم اذ يكيد * يبلغ فى الاعداء ما يريد
وهو يرى منهم فى الظاهر * وغيره مخصص الاظافر
والشهم من يصلح أمر نفسه * ولو بقتل ولده وعرسه
فان من يقصد قلع ضرسه * لم يعتمد الا صلاح نفسه
وان من خص اللئيم بالندى * وجدته كمن يربى أسدا
وليس فى طبع اللئيم شكر * وليس فى أصل الدنى نصر
وان من الزمه وكلفه * ضد الذى فى طبعه ما أنصفه
كذاك من يصطنع الجهالا * ويؤثر الارذال والانذالا *
* لو انكم أفاضل أحرار * ما طهرت بينكم الاسرار
ان الاصول تجذب الفروعا * والعرق دساس اذا أفيعا
ما طاب فرع أصله خبيث * ولا زكا من مجده حديث
قد يدركون رتبا فى الدنيا * ويبلغون وطرا من بغيا
لكنهم لا يبلغون فى الكرم * مبلغ من كان له فيها قدم
وكل من تمات أطرافه * فى طيبها وكرمت اسلافه
كان خليقا بالعلى وبالكرم * وبرعت فى أصله حسن الشيم
* لولا بنو آدم بين العالم * ما بان للعقول فضل العالم
فواحد يعطيك فضلا وكرم * فذاك من يكره فقد ظلم
وواحد يعطيك للصانعه * أو حاجة له اليك واقعه
لا تشرها الى حطام عاجل * كم اكلة أودت بنفس الآكل
واحذر أخى يأتى من الشره * وقس بما رأيته ما لم تره
فليس من عقل الفتى أوكرمه * افساد شخص كامل لعرمه
* فالبغى داء ماله دواء * ليس لملك معه بقاء *

والبغى فاحذره وخيم المرتع * والعجب فاتركه شديد المصرع
والغدر بالعهد قبيح جدا * شر الورى من ليس يرعى العهدا
عند تمام الامر يبدو نقصه * وربما ضر الحريص حرصه
وربما ضرك بعض مالكا * وساءك المحسن من رجالكا
فالمرء يفدى نفسه بوفره * عساه ان ينجو به من أسره
لا تعطين شيئا بغير فائده * فانها من الهدايا الفاسده
هذا الذى ألفته واخترته * من رجز الشريف وانتخبته
وجمة الآداب يا اهل الادب * ان الشريف قد أتانا بالعجب
* قلنا جميعا اذ سمعنا رجزه * كم قد أتى محمد بمعجزه
من كل بيت شطره قصيد * وكلنا لبيته عبيد *
* فرحمة الله له فى الآخره * خاتمة مع الهباة الوافره
ثم الصلاة والسلام دائما * على الذى للرسل جاء خاتما

والشريف المذكور صاحب الصادح والباغم هو المشهور بالرضى وكان رضى الله عنه من اكبر أمراء زمانه تولى نقابة الاشراف ببغداد وغيرها من الوظائف الجليلة وقد أفاض الله عليه من بركات بيته النبوى العلوى فلم يكن أشعر منه على الاطلاق ولا يطمع أحد أن يجاريه فى سباق شعره مدون فى أربعة أجزاء وقد اقتفى أثره فاحسن تلميذه وصنيعته مهيار الديلمى وسنورد عليك ان شاء الله متى أفضنا فى أمر الشعر من كلامهما مصداق ذلك هذا وعلى من يريد المهارة فى صناعة الانشاء ان يكثر من حفظ جياد الاشعار متفهما معانيها متأملا لحسن سياقها لما فى ذلك له من جميل الفوائد التى منها معرفة المعانى المودعة فيها بعد كد أفكار ذوى العقول فى تحصيلها ومنها الاستشهاد بشطر بيت أو اكثر على ما يكون أسلفه فى نثره من الدعاوى ومن التضمين بان يتمم المعنى الذى أبرزه النثر بشطر بيت أو اكثر أو يقرن معنى بما يناسبه ومنها استعماله فى الحل الذى سبق التنبيه عليه فى البديع نقل ان عبد الرحيم البيسانى المشهور بالقاضى الفاضل لما ورد الديار المصرية فى آخر دولة العبيديين على نية الاقامة بها والتعيش فيها بحرفة الكتاب لقى ابن الخلال رئيس الكتاب اذ ذاك وعرض عليه نيته وأنه استعد لذلك بحفظ القرآن الشريف وبعض الاخبار النبوية وديوان الحماسة وهو كتاب جمع فيه أبو تمام أشعارا انتخبها من أشعار العرب وأجاد الانتخاب حتى انه

قيل

قيل انه في اختياره أشعر منه في شعره ورتبه على عشرة أبواب كل باب في نوع من أنواع الشعر وأمره ان يبتدئ التعلم بحل أبيات ذلك الديوان واخراجها من صورة النظم الى صورة نثرية لاتنقص ولا تتراجح عما كانت عليه وهي نظم فلما أتم ذلك عرضه عليه فأظهر استحسانه وأثنى عليه وأمره أن يحلها مرة ثانية فمنذ ذلك تصرف قلمه في الصناعة ولم يزل يترقى حتى كان الواحد المشار اليه في الدولة الكردية الماحية للدولة العبيدية واذ كان ذلك كذلك فلابد أن نورد لك من كل باب من أبواب الحماسة جملة صالحة تحفظها وتتأمل معانيها وتفكر في استعمالها لتلك الاغراض حتى تجد الزمن الذى تتمكن فيه بتوفيق الله تعالى ان تطلع على جميع الكتاب وغيره مما يلزم لطالب الادب ان يطلع عليه من الكتب فمن باب الحماسة والحماسة الشدة وبها سميت الاشعار التى يذكر فيها الشدة على النفس في احتمال المكاره والصبر عليها لحفظ الشرف وحماية مايجب على الانسان حمايته قال رجل من قوم يقال لهم بنو العنبر وسنة العرب في النطق بأمثال هذه العبارة ان يقولوا بلعنبر وبلحارث أغارت على ابله جماعة يقال لهم بنو اللقيطة فلم يعنه قومه على استنقاذها منهم وركن الى بنى مازن فأعانوه واستخلصوا ابله يشكرهم ويهجو قومه

لو كنت من مازن لم تستبح ابلى * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
اذا لقام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذولوثة لانا
قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم * طاروا اليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم * في النائبات على ماقال برهانا
لكن قومى وان كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشر في شئ وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته * سواهم من جميع الناس انسانا
فليت لى بهم قوما اذا ركبوا * شنوا الاغارة فرسانا وركبانا

اللوثة بفتح فسكون الشدة والقوة ومنها اشتقاق الليث وبضم فسكون مرسل الضعف والاسترخاء وكلاهما يحتمل البيت وهو على الاولى أبلغ في وصف بنى مازن بالشجاعة وفي الثانية تعريض بقومه وقال ثابت بن جابر المشهور بتأبط شرا يقال انه يوما من الايام أخذ سيفا تحت ابطه وخرج فسئلت عنه أمه فقالت لأأدرى تأبط شرا ومضى فغلب عليه ذلك اللقب يذكر بعض ماجرياته وكان شجاعا فاتكا مغوارا عرف بذلك

من صغره وحاصل القصة التي فيها الابيات انه كان استكشف في أرض بعض أعدائه غارا في رأس جبل قائم ليس له الا طريق واحدة ضيقة اتخذته محل بيناف فكان يجيء يشتاره رأس كل سنة فاتفق ان فطن به قوم من أعدائه أهل الناحية فاخذوا عليه الطريق ودعوه الى الخروج فعرفهم وقال على شريطة ماذا أخرج فقالوا على غير شريطة فطاولهم الكلام وأخذ يريق العسل على الجانب الثاني من الجبل ثم وضع صدره على الصفا وأرخى نفسه فذهب يهوي حتى وصل أسفل الجبل سالما وكان بين الموضع الذي استقر فيه والموضع الذي فيه أعداؤه مسيرة ثلاثة أيام يدورون مع الجبل وهذه الابيات

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده * أضاع وقاسى أمره وهو مدبر

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا * به الخطب الا وهو للقصد مبصر

فذاك قريع الدهر ما عاش حولا * اذا سد منه منخر جاش منخر

أقول للحيان وقد صفرت لهم * وطابي ويومي ضيق الجحر معور

هما خطتا إما إسار ومنة * وإما دم والقتل بالحر أجدر

وأخرى أصادي النفس عنها وانها * لمورد حزم ان فعلت ومصدر

فرشت لها صدري فزل عن الصفا * به جؤجؤ عبل ومتن مخصر

فخالط سهل الارض لم يكدح الصفا * به كدحة والموت خزيان ينظر

فأبت الى فهم وما كدت آيبا * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

قريع الدهر الذي قرعته الايام بنوائبها حتى عرف وجوه المنافع والاضار بالممارسة والتجارب فان معرفة ذلك تكون أثبت وأمكن من معرفة من كانت طريقه اليها التعلم والاخذ عن الاخبار يقال فلان صنيعة الدهر وحنكته التجارب وأدبته الايام والليالي الى غير تلك من العبارات وقوله هما خطتا إما إسار يروى برفع إسار وما بعده بدلا فحذف النون شاذ ويروى بالخفض فالحذف للاضافة وقوله صفرت لهم وطابي هو مثل يضرب لمفارقة الروح البدن أي كان ذلك في خيالهم وحسبما سولت لهم تلك الحكمة .ه وقوله اذا سد منه منخر أي كلما ضاق عليه أمر من الحيلة اتسع له آخر وقوله وكم مثلها فارقتها أي كم مثل تلك المنزلة فارقتها وأهلها يتحسرون على افلاتي وفراتي من يدهم وقال ابو كبير الهذلي يذكر تأبط شرا وهو غلام وكان قد تزوج أمه فكان يرى من تبينه استنكافه لذلك وانه يضمر له السوء فعرض ذلك على أمه فسمحت نفسها بان يعمل فيه ما شاء فاصبح ذات يوم وقال ياثابت هل لك في الغزو فقال ذلك

ذلك من أمري خرجا وأبو كبير يريد به السوء ولم يكن يتمكن لنباهة الغلام وشدة حرصه ولم يكونا تزودا لسفرهما فاشتد الجوع في الليلة الثانية بأبي كبير ولاحت لهما من بعيد نار فقال يا ثابت اقصد النار وأنا أنتظرك عسى ان تجد ما نأكل فقال أهذا وقت أكل فقال لابد من ذلك فلما قصد النار وجد عندها رجلين من مشاهير لصوص العرب فهما به وجرى اليهما حتى أطمعهما في نفسه ثم انعطف فقتل أقربهما اليه ثم جرى للآخر فألحقه به وجاء النار فأخذ ما كان من طعام وأحضره الى أبي كبير وقال كل لا اشبع الله بطنك فسأله عما جرى فقال كل ولا تسأل فألح عليه حتى أخبره بما كان فعند ذلك عظم في صدره جدا واشتدت مهابته له وخوفه منه ثم سارا حتى وجدا ابلا فاستاقاها ورجعا قافلين فكان يسير به اليوم أجمع وصدرا من الليل ثم يقول له أنام وتحرس ثم تنام واحرس وكان ذلك دأبهما فبينا ثابت نائم في بعض نوباته اذ بدا لابي كبير أن يقتله واراد ان يختبره أولا ان كان قد غمره النوم أولا فأخذ حصاة ونبذها ناحية رأسه فنهض ثابت قائما كانه كعب قناة وقال ماهذه الوجبة فقال أبو كبير لا أدري سمعت كما سمعت فطاف ثابت حول الابل وعس فلم يجد شيئا ثم رجع ونام فنبذ أبو كبير حصاة أصغر من الاولى فكان منهما كما كان في المرة الاولى فلما كانت الثالثة قال ثابت يا هذا قد رابني أمرك منذ الليلة والله لئن عدت سمعت شيئا قتلتك قال أبو كبير فلاقيت الخوف منه حتى سهرت بقية الليلة خوف أن يتحرك بعضها فيسمع فيبرقسه فلما رجعا قال أبو كبير لام ثابت ليست أم مثل هذا لي بزوجة وهذه الابيات

ولقد سريت على الظلام بمغشم * جلد من الفتيان غير مثقل
* ممن حملن به وهن قواعد * حبك النطاق فشب غير مهبل
ومبرإ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل
* حملت به في ليلة مزؤودة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل
فأتت به حوش الفؤاد مبطنا * سهدا اذا ما نام ليل الهوجل
فاذا نبذت له الحصاة رأيته * ينزو لوقعتها طمور الاخيل
* واذا يهب من المنام رأيته * كرتوب كعب الساق ليس بزمل
ما ان يمس الارض إلا منكب * منه وحرف الساق طي المحمل
واذا رميت به الفجاج رأيته * يهوي مخارمها هوي الاجدل
واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

صعب الكريهة لا يرام جنابه * ماضي العزيمة كالحسام المصقل
يحمي الصحاب اذا تكون عظيمة * واذا هم نزلوا فمأوى العيل

قوله مغشم هو صيغة الآلة اذا كان الغرض صفة الشئ بكونه عدة للفعل فهو بمنزلة آلته عبر عنه بصيغتها كقول امرئ القيس في صفة الفرس * مكر مفر مقبل مدبر معا * بكسر ميمي مكر ومفر واذا أريد صفته بكونه قويا في الفعل ثابتا فيه مستمرا عبر عنه بصيغة فعول احدى صيغ المبالغة المشهورة كصبور وصدوق واذا أريد صفته بكثرة الفعل مع تخلل الترك عبر بفعال كقولهم طلاع انجاد وخواض غمرات واذا أريد صفته بكونه له عادة عبر بمفعال كقولهم هو مخدار للابل وهو فرق دقيق ينبغي التنبه له ليستعمل كل شئ في موضعه وقوله مهبل أي غير مشئوم بأن يقال له هبلتك امك أي فقدتك كما يقال لمن لا خير فيه بل هو ومفدى يقال له جعلت فداءك كما يقال لمن يؤمل منه النفع والمهبل أيضا اللحيم المورم الوجه وقوله حملت به في ليلة قال ان المرأة اذا أكرهت على الجماع ضعفت شهوتها وكانت القوة الفعالة الشهوة للرجل فاذا حملت في تلك الحالة جاء الولد نجيبا لانهما خفيف نديا وقوله واذا نظرت الى أسرة وجهه الاسرة الخطوط التي تظهر في الجبين وقد شرفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذا البيت حيث تمثلت به وقد نظرت الى وجهه صلى الله عليه وسلم يتحدر منه العرق وهو مقبل على مباشرة خصف نعله فقالت كان أبا كبير رآك حيث يقول واذ نظرت الى أسرة وجهه البيت فقام لها النبي صلى الله عليه وسلم وقبلها بين عينيها وقال رجل من بني قيس بن ثعلبة وقيل انها لبشامة بن حزن النهشلي ومن يقول انها للقيسي يروي قوله الآتي * انا بني مالك لا ندعي لأب * وأهل القول الثاني يروون انا بني نهشل

* انا محيوك يا سلمى فحيينا * وان سقيت كرام الناس فاسقينا
وان دعوت الى جلى ومكرمة * يوما سراة كرام الناس فادعينا
انا بني نهشل لا ندعي لأب * عنه ولا هو بالابناء يشرينا
ان تبتدر غاية يوما لمكرمة * تلق السوابق منا والمصلينا
وليس يهلك منا سيد أبدا * الا افتلينا غلاما سيدا فينا
انا لنرخص يوم الروع أنفسنا * ولو نسام بها في الأمن أغلينا
بيض مفارقنا تغلي مراجلنا * نأسو بأموالنا آثار أيدينا
اني لمن معشر أفنى أوائلهم * قيل الكماة الا أين المحامونا

لو كان

لوكان فى الالف منا واحد فدعوا * من فارس خالهم اياه يعنونا
* اذا الكماة تنحوا أن يصيبهم * حد الظباة وصلناها بأيدينا
ولا تراهم وان جلت مصيبتهم * مع البكاة على من مات يبكونا
ونركب الكره احيانا فيفرجه * عنا الحفاظ وأسياف تواتينا

قوله وان سقيت كرام الناس أى وان أردت ان تدعى بالسقيا الكرام الناس فادعى لنا فانا هم وليس الغرض الدعاء حقيقة ولكن التعجب واستعظام الامر فان من استعظم شيئا يقول سقاه الله وهذا استحسانك عمل انسان تقول حياك الله وقوله

* تلق السوابق منا والمصلينا * هما من أسماء خيل الحلبة أى خيل السباق وكان من عادتهم أن يجروها عشرة عشرة فكانت تجىء العشرة نحو الغاية وهى القصب المركوز فى آخر مسافة السباق التى يقال فيها احرز قصب السبق فكان أول حصان يسمى المجلى والسابق لانه جلى عن نفسه والثانى يسمى المصلى لان جحفلته تكون عند صلوى السابق والصلوان عرقان يكتنفان الصلب أو عظمان اختلف فى تفسيرهما والثالث يسمى المسلى والرابع التالى والخامس المرتاح والسادس العاطف والسابع المؤمل والسبعة لها انصبة من مبلغ المراهنة والثامن الحظى والتاسع اللطيم والعاشر السكيت مثل كميت ويشدد فيقال سكيت كجميز ويسمى أيضا فسكلا كقنفذ وزبرج وذكر هذه الاسماء فى نظم وصف به حلبة سباق محمد بن يزيد بن مسلمة ابن عبد الملك بن مروان فقال

فجلى الاغر وصلى الكميت * وسلى فلم يذمم الادهم
* واتبعها رابع تاليا * وانى من المجد المتهم
* وماذم مرتاحها خامسا * وقد جاء يقدم ما يقدم
وسادسها العاطف المستحير يكاد لحيرته يحرم
وخاب المؤمل فيما يخيب وعن له الطائر الاشأم
وجاء الحظى لها ثامنا * فأسهم حصته المسهم
* حد اسبعة وأتى ثامنا * وثامنة الخيل لا تسهم
وجاء اللطيم لها تاسعا * فمن كل ناحية يلطم
* يخب السكيت على إثرها * وعلياه من فنبه أعظم
على ساقة الخيل يعدو بها * ملجما وسائسها ألوم *

اذ قيل من رب ذا المجنب * من الحزن بالصمت معتصم

خبيئة الأول كونه أقل ذوات الانصباء وقوله أسهم حدثته المهم أي كانت حدثته بهما لذوي السهام وحصته التي له لولشئ نامنا وقوله اقتلينا أي انتزعنا وميزنا كما ينزع الفلو عن أمه عند الفطام والفلو كعدو وعدو المهر الصغير عند فطامه وقوله الكماة جمع كام كقاض وقوله جمع كمي مسامحة وسمي الشجاع كميا لانه يكتم صفات نفسه حتى تعبر عنها أفعاله أو يستر نفسه في السلاح وقال زفر بن الحارث يفتخر لاعدائه بالغلبة

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة * ليالي لاقينا جذاما وحميرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه * ببعض أبت عيدانه أن تكسرا
ولما لقينا عصبة تغلبية * يقودون جردا للمنية ضمرا
سقيناهم كأسا سقونا بمثلها * ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

وتغلب التي ذكرها في الشعر قوم من قضاعة وليست تغلب وائل وقال يذكر هزيمته في تلك الواقعة ويعتذر

أريني سلاحي لا أبا لك انني * أرى الحرب لا تزداد الا تماديا
ولم تر مني نبوة قبل هذه * فراري وتركي صاحبي ورائيا
عشية أجري بالصعيد ولا أرى * من الناس الا من علي ولا ليا
أيذهب يوم واحد ان أسأته * بصالح أيامي وحسن بلائيا
وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدي

ولما رأيت الخيل زورا كأنها * جداول زرع أرسلت فاسبطرت
فجاشت الي النفس أول مرة * فردت على مكروهها فاستقرت
علام تقول الرمح يثقل عاتقي * اذا أنا لم أطعن اذا الخيل كرت
لحا الله جرما كلما ذر شارق * وجوه كلاب هارشت فازبأرت
فلم تغن جرم نهدها اذ تلاقتا * ولكن جرما في اللقاء ابذعرت
ظللت كأني للرماح دريئة * أقاتل عن أبناء جرم وفرت
فلو أن قومي أنطقتني رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرت

اسبطرت امتدت في استرسالها وازبأرت تهيأت وابذعرت تفرقت وتناكدت وأصل الاجرار أن يشق لسان الفصيل ويوضع فيه عود ليمتنع بذلك من رضاع أمه واستعير هاهنا

هاهنا القبيح الاسكات والمنع من النطق بالثناء وجرم هؤلاء كانوا نزلوا في جوار عمرو وفيهم ثار لنهد فجاؤا يطلبونه منهم فاراد بدفعهم عمرو وبعض جيرانه فثبت ولم يثبتوا قال أنيف بن زبان النبهاني من طي

جمعنا لكم من حي عوف ومالك * كتائب يردي المقرفين نكالها
لهم عجز بالرمل فالحزن فاللوى * وقد جاوزت حيي جديس رعالها
وتحت نحور الخيل حرشف رجلة * تتاح لغرات القلوب نبالها
أبى لهم ان يعرفوا الضيم انهم * بنو ناتق كانت كثيرا عيالها
فلما أتينا السفح من بطن حائل * بحيث تلاقي طلحها وسيالها
دعوا لنزار وانتمينا لطيئ * كاسد الشرى اقدامها ونزالها
فلما التقينا بين السيف بيننا * لسائلة عنا حفي سؤالها
* ولما تدانوا بالرماح تضلعت * صدور القنا منهم وعلت نهالها
ولما عصينا بالسيوف تقطعت * وسائل كانت قبل سلمى حبالها
فولوا وأطراف الرماح عليهم * قوادر مربوعاتها وطوالها *

حرشف رجلة بفتح أولهما وسكون ثانيهما جماعة المشاة الكثيرة وقال عمرو بن معديكرب

ليس الجمال بمئزر * فاعلم وان رديت بردا
ان الجمال معادن * ومناقب أورثن مجدا
أعددت للحدثان سا * بغة وعداء علندا
نهدا وذا شطب يقد * البيض والابدان قدا
* وعلمت اني يوم ذا * ك منازل كعبا ونهدا
قوم اذا لبسوا الحديـ * ـد تنمروا حلقا وقدا
كل امرئ يجري الى * يوم الهياج بما استعدا
* لما رأيت نساءنا * يفحصن بالمعزاء شدا
وبدت لميس كأنها * بدر السماء اذا تبدى
وبدت محاسنها التي * تخفى وكان الامر جدا
نازلت كبشهم ولم * أر من نزال الكبش بدا
هم ينذرون دمي وانـ * ـذر ان لقيت بأن أشدا
كم من أخ لي صالح * بوأته بيدي لحدا

ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا
أغنى غناء الذاهبين أعد للأعداء عدا
ذهب الذين أحبهم * وبقيت مثل السيف فردا

قوله ان الجمال معادن أي غرائز وطبائع وقد أقر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام والمناقب هي الاحوال والافعال وبها وبالغرائز يكون تمام الشرف في الانسان والعلندا الشديد يوصف به الخيل والابل والبيض جمع بيضة وهي والمغفر والخرذة وقاء الرأس من ضمن السلاح والابدان جمع بدن اصنف من أصناف الدروع والقد درع من جلد وقوله ولا يرد بكاي زندا أي لا يرد شيئا كما يقال لا يرد فتيلا وقال قيس ابن الحطيم

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر * لها نفذ لولا الشعاع أضاءها
ملكت بها كفي فأنهرت فتقها * يرى قائم من دونها ما وراءها
يهون على ان ترد جراحها * عيون الاواسي اذ حمدت بلاءها
وساعدني فيها ابن عمرو بن عامر * خداش فأدى نعمة وأفاءها
وكنت امرأ لا أسمع الدهر سبة * أسب بها الا كشفت غطاءها
فاني في الحرب الضروس موكل * باقدام نفس ما أريد بقاءها
اذا ما اصطبحت أربعا خط مئزري * وأتبعت دلوي في السماح رشاءها
متى يأت هذا الموت لا تلق حاجة * لنفسي الا قد قضيت قضاءها
ثأرت عديا والخطيم فلم أضع * ولاية أشياخ جعلت ازاءها

وقال الحارث بن هشام أخو أبي جهل يعتذر من فراره يوم بدر وتركه أخاه وبقية أهله حتى عيره حسان بن ثابت حيث يقول

ان كنت كاذبة الذي حدثتني * فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الاحبة ان يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام

دعا عليها بلحوق العار والفضيحة كما لحق هذا العار وذكر ذلك في ضمن أبيات الحماسة للجمع بين الشئ وضده وهذه أبيات الاعتذار

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا فرسي باشقر مزبد
وشممت ريح الموت من تلقائهم * في مأزق والخيل لم تتبدد

وعلمت انى ان أقاتل واحدا * أقتل ولا يضرر عدوى مشهدى
فصددت عنهم والاحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مرصد

الاشقر المزبد هو الدم الخارج إما من جرحه أو جرح فرسه

وقال حبان بن الحكم السلمى المشهور بالفرار يتبجح بالفرار وانه مقتضى العقل وان من أمره انه يوافق السفهاء فى آرائهم حتى يشتبكوا فاذا اشتبكوا رجع هو الى ما هو الخير عنده

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدى
فتركتهم تقص الرماح ظهورهم * من بين منعفر وآخر مسند
ما كان ينفعنى مقال نسائهم * وقتلت دون نسائها لا تبعد

يقال ان بعض العلماء سئل تفسير قوله وكتيبة فقال هو كقوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر الآية وقال الحصين بن الحمام المرى

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل ان أتقدما
فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما
نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فاعل تقطر ضمير الكلوم والدم مفرد مفعول

وقال رجل من بنى عقيل وقد حاربه بنو عمه فقتل منهم

بكره سراتنا يا آل عمرو * نغاديكم بمرهفة صقال
نعديهن يوم الروع عنكم * وان كانت مثلمة النصال
لهن لون من الهامات كاب * وان كانت تحادث بالصقال
ونبكى حين نقتلكم عليكم * ونقتلكم كانا لا نبالى *

من هذا أخذ البحترى قوله وحلاه بحلية البديع المزاوجة

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها

وهذا الكلام فى الانتقام والاخذ بالثأر عن قريب من قريب آخر وقد اختلفت آراؤهم فى ذلك فمنهم من رجح الانتقام لتبريد الغلة ودفع الهوان وان كان فيه نقص عدد الحماة والانصار ومنهم من رجح العفو إبقاء لوفور العدد فمن الاول ما مضى وقول قيس بن زهير

شفيت النفس من حمل بن بدر * وسيفى من حذيفة قد شفانى

فان أك قد بردت بهم غليلى * فلم أقطع بهم الا بنانى *

وكان جل وحذيفة قريبين قتلا قريبا له فقتلهما وقوله فان أك قد بردت بهم غليلى جمع الضمير لانه رده على القتيلين وقومهما فانه قتلهما وأدخل الحزن على قومهما وفرح هو وقومه وبذلك برد غليله ومن الثانى قول الحارث بن وعلة الذهلى

قومى هم قتلوا أميم أخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى

فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمى

وقول اعرابى

أقول للنفس تأساء وتعزية * احدى يدى أصابتنى ولم ترد

كلاهما خلف من بعد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

وفى هذا قليل بعد عما قبله فانه جعل سبب العفو القرابة وعدم الارادة والسابق جعل السبب محض القرابة وقال بعض بنى فقعس

* رأيت موالى الالى يخذلوننى * على حدثان الدهر اذ يتقلب

فهلا أعدونى لمثلى تفاقدوا * اذا الخصم أبزى مائل الرأس أنكب

وهلا أعدونى لمثلى تفاقدوا * وفى الارض مبثوث شجاع وعقرب

فلا تأخذوا عقلا من القوم اننى * أرى العار يبقى والمعاقل تذهب

كانك لم تسبق من الدهر ليلة * اذا أنت أدركت الذى كنت تطلب

قوله رأيت موالى الألى أى رأيت بنى عمى هم الألى فالألى مفعول ثان وقوله اذا الخصم أبزى مذكر بزواء ومن معانى البزاء ومنه الاستعارة خروج الصدر ودخول الظهر يفعل ذلك الخصم تكبرا وقوله شجاع وعقرب كناية عن العدو ولذلك صح ان يكون مبتدأ ومعطوفا عليه ومبثوث خبر دون تثنية اذ المعنى وعدو مبثوث فى الارض ولهم فى هذا المعنى وهو تفظيع أخذ الدية والتحريض على الثأر كلام كثير وقال عنترة طى.

أطل حمل الشناءة لى وبغضى * وعش ماشئت فانظر من تضير

فما بيديك نفع أرتجيه * وغير صدودك الخطب الكبير

ألم تر أن شعرى سار عنى * وشعرك حول بيتك ما يسير

اذا أبصرتنى أعرضت عنى * كان الشمس من قبلى تدور

وقال الطرماح بن حكيم من وادى هذا الكلام

لقد زادنى حبا لنفسى اننى * بغيض الى كل امرئ غير طائل

وانى

واني شـقي بالشام ولاترى * شقيا بهم الاكريم الشمائل
اذا ما رآني قطع الطرف بينه * وبيني فعل العارف المتجاهل
ملأت عليه الارض حتى كأنها * من الضيق في عينيه كفة حابل
أكل امرئ ألفى أباه مقصرا * معاد لأهل المكرمات الأوائل
اذا ذكرت مسعاة والده اضطنى * ولا يضطنى من شتم أهل الفضائل
وما منعت دار ولا عز أهلها * من الناس الا بالقنا والقنابل

القنابل جمع قنبل أو قنبلة بفتح فسكون ففتح للجماعة من الناس أو الخيل

(وقال يزيد بن الحكم الكلابي)

دفعنا كم بالقول حتى بطرتم * وبالراح حتى كان دفع الاصابع
فلما رأينا جهلكم غير منته * وما غاب من أحلامكم غير راجع
مسسنا من الآباء شيأ وكلنا * الى حسب في قومه غير واضع
فلما بلغنا الامهات وجدتم * بني عمكم كانوا كرام المضاجع
بني عمنا لاتشتمونا ودافعوا * على حسب ما فات قيد الاكارع
وكان بني عم نزا الجهل بيننا * فكل يوفى حقه غير وادع

قوله ما فات قيد أي لم يزل عن موضعه قدر كراع وضع الجمع موضع المفرد لاقامة الشعر ولأن الجمع لا يقع به اشتباه اذ الغرض التقليل وذلك يأتي من حقارة الكراع بضم أوله وقال ابراهيم بن كنيف النبهاني

تعز فان الصبر بالحر أجمل * وليس على ريب الزمان معول
فلو كان يغني أن يرى المرء جازعا * لحادثة أو كان يغني التذلل
لكان التعزي عند كل مصيبة * ونائبة بالحر أولى وأجمل
فكيف وكل ليس يعدو حمامه * وما لامرئ عما قضى الله مزحل
فان تكن الايام فينا تبدلت * ببؤسى ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة * ولا ذللتنا للتي ليس تجمل
ولكن رحلناها نفوسا كريمة * تحمل ما لا يستطاع فتحمل
وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا * فصحت لنا الاعراض والناس هزل

قوله مزحل من زحل أي لا يتجاوز ولا يفوت المرء ما قضاه الله عليه وقال عويف القوافي الفزاري

ذهب الرقاد فما يحس رقاد * مما شجاك ونامت العوّاد
خبر أتاني عن عيينة موجع * كادت عليه تصدع الاكباد
بلغ النفوس بلاؤه فكأننا * موتى وفينا الروح والاجساد
يرجون عثرة جدنا ولو انهم * لا يدفعون بنا المكاره بادوا
لما أتاني عن عيينة أنه * أمسى عليه تظاهر الاقياد
نخلت له نفسي النصيحة انه * عند الشدائد تذهب الاحقاد
وذكرت أي فتى يسد مكانه * بالرفد حين تقاصر الارفاد
أم من يهين لنا كرائم ماله * ولنا اذا عدنا اليه معاد

الاجساد في الشعر جمع جسد والمراد به الدم كما هو المراد في قول النابغة

* وما هريق على الانصاب من جسد * وقال بشر بن المغيرة أخي المهلب ابن أبي صفرة وهو أبو يزيد المذكور في الشعر وكان المهلب أمير العسكر اذذاك وهو مشهور يتوجع في هذه الابيات من عمه وأبيه وابن عمه

جفاني الامير والمغيرة قد جفا * وأمسى يزيد لي قد أزورّ جانبه
وكلهم قد نال شبعا لبطنه * وشبع الفتى لؤم اذا جاع صاحبه
فيا عم مهلا واتخذني لنوبة * تنوب فان الدهر جم عجائبه
أنا السيف الا أن للسيف نبوة * ومثلي لا تنبو عليك مضاربه

وقال رجل في ابنه واختلف في تسميته فقيل هو أبو الشغب العبسي وقيل غير ذلك

رأيت رباطا حين تم شبابه * وولى شبابي ليس في بره عتب
اذا كان أولاد الرجال حزازة * فأنت الحلال الحلو والبارد العذب
لنا جانب منه دميث وجانب * اذا رامه الاعداء ممتنع صعب
وتأخذه عند المكارم هزة * كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

الحزازة تألم النفس غيظا أي اذا كانوا سيبها وقال اسحاق بن خلف

لولا أميمة لم أجزع من العدم * ولم أقاس الدجى في حندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي * ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
احاذر الفقر يوما أن يلم بها * فيهتك الستر عن لحم على وضم
تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا * والموت أكرم نزّال على الحرم
أخشى فظاظة عم أو جفاء أخ * وكنت أبقي عليها من أذى الكلم

وقال

وقال حطان بن المعلى

أنزلني الدهر على حكمه * من شامخ عال الى خفض
وغالني الدهر بوفر الغنى * فليس لي مال سوى عرضي
أبكاني الدهر ويا ربما * أضحكني الدهر بما يرضي
لولا بنيات كزغب القطا * رددن من بعض الى بعض
لكان لي مضطرب واسع * في الارض ذات الطول والعرض
* وانما أولادنا بيننا * اكبادنا تمشي على الارض
لو هبت الريح على بعضهم * لامتنعت عيني من الغمض

قوله لولا بنيات كزغب القطا أي ضعاف كفراخ القطا التي لم يقو ريشها بعد بل هو زغب فهي في الاحتياج الى ما يعولها ويجلب رزقها وقوله رددن من بعض الى بعض يريد أن كبارهن وان قويت بنيتهن حتى ردت اليهن الصغار يحفظنهن ويدبرن أمورهن فهن ضعاف العقول والعزائم بحيث يرددن الى الصغار ويجعلن من عددهن اذ الفريقان في الضعف سواء فخلاصة المعنى ان البنات في عدم غنائهن واحتياجهن الى من يكفلهن ويعول أمرهن لا تميز لبعضهن عن البعض وقال رجل أسدي

وما أنا بالنكس الدني ولا الذي * اذا صدعني ذو المودة أحرب
ولكنني ان دام دمت وان يكن * له مذهب عني فلي عنه مذهب
الا أن خير الود ود تطوعت * له النفس لا ود أتى وهو متعب

يقال ان الافصح اذا أخبر بموصول عن ضمير متكلم أو مخاطب ان يؤتى بالضمائر طبق الموصول ضمائر غيبة وهذا الشعر على خلاف ذلك فكان يقول

* اذا صدعنه ذو المودة يحرب * ويحرب بغناه ومن كلام علي كرم الله وجهه
* أنا الذي سمتني أمي حيدره * فهو كالشعر وقال بشامة بن حزن

ولقد غضبت لخندف ولقيسها * لما ونى عن نصرها خذالها
دافعت عن اعراضها فمنعتها * ولدى في امثالها أمثالها *
اني امرؤ أسم القصائد للعدا * ان القصائد شرها أغفالها
قومي بنو الحرب العوان بجمعهم * والمشرفية والقنا اشعالها
مازال معروفا لمرة في الوغى * عل القنا وعليهم انهالها
من عهد عاد كان معروفا لنا * أسر الملوك وقتلها وقتالها *

في القاموس ولد الياس بن مضر عمرا وهو مدركة وعامرا وهو طابخة وعميرا وهو قمعة وأمهم خندف كزبرج وهي ليلى بنت حلوان بن عمران وكان الياس خرج في نجعة فنفرت ابله من أرنب فخرج اليها عمرو فأدركها وخرج عامر فتصيدها وطبخها وانقمع عمير في الخباء وخرجت أمهم تسرع فقال لها الياس أين تخندفين فقالت ما زلت أخندف في أثركم فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف فسميت القبيلة باسم أمها وقوله اسم القصائد وسم القصيدة عبارة عن ذكر من قيلت برسمه من ممدوح أو مهجو وقال العباس بن مرداس وهي من المنصفات اذ لم يكتم حال أعدائه

ولم أر مثل الحي حيا مصبحا * ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
اكر وأحمى للحقيقة منهم * واضرب منا بالسيوف القوانسا
اذا ما شددنا شدة نصبوا لنا * صدور المذاكي والرماح المداعسا
اذا الخيل جالت عن صريع نكرها * عليهم فما يرجعن الا عوابسا

ذكاء الخيل تمامها وخروجها من سن الفتاء وقال عبد الشارق بن عبد العزى الجهني من المنصفات أيضا

الا حييت عنا يا ردينا * نحييها وان كرمت علينا
ردينة لو رأيت غداة جئنا * على اضماتنا وقد احتوينا
فأرسلنا أبا عمرو ربيئا * فقال ألا انعموا بالقوم عينا
ودسوا فارسا منهم عشاء * فلم نغدر بفارسهم لدينا
فجاؤا عارضا بردا وجئنا * كمثل السيل نركب وازعينا
تنادوا يال بهثة اذ رأونا * فقلنا أحسني ملأ جهينا
سمعنا دعوة عن ظهر غيب * فجلنا جولة ثم ارعوينا
فلما ان تواقفنا قليلا * انخنا للكلاكل فارتمينا
فلما لم ندع قوسا وسهما * مشينا نحوهم ومشوا الينا
تلألؤ مزنة برقت لاخرى * اذا حجلوا بأسياف ردينا
شددنا شدة فقتلت منهم * ثلاثة فتية وقتلت قينا
وشدوا شدة أخرى فجروا * بأرجل مثلهم ورموا جوينا
وكان أخي جوين ذا حفاظ * وكان القتل للفتيان زينا
فآبوا بالرماح مكسرات * وأبنا بالسيوف قد انحنينا

فباتوا

فباتوا بالصعيد لهم أحاح * ولو خفت لنا الكلمى سرينا

قوله نحييها وان كرمت علينا تحقق المنافرة بأن يراد بتحيتها تحية الوداع أو تحية الغائب أداء لواجب المحبة على لسان رسول مراغمة للغيرة أو يراد بكرمها عليه تعذرها وامتناعها وقوله على أضماتنا وقد احتوينا أى على أشد أحقادنا وقد أخلينا أجوافنا وكانت تغلب لهم عادة اذا أرادوا الحرب وقوله نركب وازعينا أى لا يطيع أحد الجيشين وازعه ورئيسه اذا أراد أن يكفه عن الاقدام والملأ فى قوله احسنى ملأ معناه الخلق وبهثة ولد الزنا وهو اسم للقبيلة هنا وقال المساور بن هند بن زهير

أودى الشباب فماله متقفر * وفقدت أترابى فأين المغبر

وأرى الغوانى بعدما أوجهننى * أعرضن ثمت قلن شيخ أعور

ورأين رأسى صار وجها كله * إلا قفاى ولحية ما تضفر

ورأين شيخا قد تحنى ظهره * يمشى فيقعس أو يكب فيعثر

لما رأيت الناس هر وافتنة * عمياء توقد نارها وتسعر

وتشعبوا شعبا فكل جزيرة * فيها أمير المؤمنين ومنبر

ولتعلمن ذبيان ان هى أعرضت * أنا لنا الشيخ الاعز الاكبر

ولنا قناة من ردينة صدقة * زوراء حاملها كذلك أزور

اقتفر الشئ تتبعه وقوله ولحية لا تضفر تأسف على فقد الذوائب التى من شأنها الضفر وقوله يقعس أى يكون كالاقعس وهو مقابل الاحدب وفى قوله يكب فيعثر قلب لأمن اللبس وقال عروة بن الورد العبسى

قلت لقوم فى الكنيف تروّحوا * عشية بتنا عند ماوان رزح

تنالوا الغنى أو تبلغوا بنفوسكم * الى مستراح من حمام مبرح

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا * من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أو يصيب رغيبة * ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

كان عروة غائبا فلما حضر وجد قومه قد نهكهم الجدب وهم رزح قاعدون فى ملتف من الشجر وهو الكنيف ينتظرون الهلاك فقال لهم تروحوا يحرضهم على النهوض فى طلب المعيشة فترتيب البيت الاول قلت لقوم رزح فى الكنيف عشية بتنا عند ماوان تروحوا تنالوا الغنى أو تقتلوا فتريحوا أنفسكم من حالة تشبه الحمام لكنه حمام مبرح وقال ربيعة بن مقروم

أخوك أخوك من يدنو وترجو * مودته وان دعى استجابا *
اذا حاربت حارب من تعادي * وزاد سلاحه منك اقترابا
وكنت اذا قريني جاذبته * حبالي مات أو تبع الجذابا
فان أهلك فذي حنق لظاه * علي تكاد تلتهب التهابا
محضت بدلوه حتى تحسى * ذنوب الشر ملأى أو قرابا
بخلي فاشهد النجوى وقالن * بي الاعداء والقوم الغضابا
فان الموعدي يرون دوني * أسود خفية الغلب الرقابا
كان على سواعدهن ورسا * علا لون الاشاجع أو خضابا

قوله فذي حنق أي فرب حذفها بعد الفاء وهو أحد مواضع حذفها وقوله الغلب الرقابا نصب معمول الصفة على التشبيه بالمفعول به وقال سنان بن الفحل أخو بني أم الكهف من طيء

وقالوا قد جننت فقلت كلا * وربي ما جننت وما انتشيت
ولكني ظلمت فكدت أبكي * من الظلم المبين أو بكيت
فان الماء ماء أبي وجدي * وبئري ذو حفرت وذو طويت
وقبلك رب خصم قد تمالوا * علي فما هلعت ولا دعوت
ولكني نصبت لهم جبيني * وآلة فارس حتى قريت

تمالوا أصله تمالؤوا بالهمز فخفف وصار معتلا وفي الابيات ذو الطائية وهي بمعنى التي والشاعر من أهل أشهر لغات طيء في استعمال كلمة ذو الذين ينطقون بها على صورة واحدة دائما وقال اياس بن مالك الطائي

سمونا الى جيش الحروري بعدما * تناذره اعرابهم والمهاجر *
بجمع تظل الاكم ساجدة له * واعلام سلمى والهضاب النوادر
فلما ادركناهم وقد قلصت بهم * الى الحي خوص كالحني ضوامر
انخنا اليهم مثلهن وزادنا * جياد السيوف والرماح الخواطر
كلا ثقلينا طامع بغنيمة * وقد قدر الرحمن ما هو قادر
فلم أر يوما كان أكثر سالبا * ومستلبا سربا له لا يناكر
واكثر منا يافعا يبتغي العلى * يضارب قرنا دارعا وهو حاسر
فما كانت الابدي ولا انا طار القنا * ولا عثرت منا الجدود العواثر

حروري بفتح الراء الاولى بلد ينسب لها بعض الخوارج والخوارج أهل مذهب في الاسلام أولهم جماعة خرجوا على علي ومعاوية ومن كان معهم من المسلمين بعدما كان من حرب صفين وجرى من أمر تحكيم الحكمين فقالوا بكفر من حكم الحكمين وكانوا يتشددون في أحكامهم وعظم أمرهم وشغلوا ملوك الاسلام بالحرب مدة من الزمان واشتهر فيهم كثير بالشجاعة والاقدام وكانوا يرون انهم هم أئمة الاسلام وأمير المؤمنين منهم والمذكور في الشعر جيش من جيوشهم وصفه الشاعر بالقوة والشدة وانه عمت مخافته الناس فكان يتناذره أهل البادية وهم الاعراب والفريق المهاجر وهم من ترك البادية وسكن الامصار وقوله بجمع تضل الاكم أي بجمع كثيف ذو خيل وابل كثيرة بحيث انه يثقل وطأته يسوى مرتفعات الارض فيعني بسجود الاكم هبوطها وزوال ارتفاعها وقوله كان اكثر سالبا أي من ذلك اليوم ومستلبا سرباله بنصب سربال مفعول ثان تقول استلبته كذا وقال سعيد بن ناشب

تفندني فيما ترى من شراستي * وشدة نفسي ام سعد وماتدري
فقلت لها ان الكريم وان حلا * ليلفى على حال أمر من الصبر
وفي اللين ضعف والشراسة هيبة * ومن لم يهب يحمل على مركب وعر
ومابي على من لان لي من فظاظة * ولكنني فظ أبي على القسر
أقيم صغا ذي الميل حتى أرده * وأخطمه حتى يعود الى القدر
فان تعذليني تعذلي بي مرزأ * كريم نثا الاعسار مشترك اليسر
اذا هم ألقى بين عينيه عزمه * وصمم تصميم السريجي ذي الاثر

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب

سائل بنا في قومنا * وليكف من شر سماعه
قيسا وما جمعوا لنا * في مجمع باق شناعه
فيه السنور والقنا * والكبش ملتمع قناعه
بعكاظ يعشي الناظرين اذا هم لمحوا شعاعه
فيه قتلنا مالكا * قسرا وأسلمه رعاعه
* ومجدلا غادرنه * بالقاع تنهسه ضباعه

السنور يراد به الدروع ويراد به السلاح كله وقال امية بن ابي الصلت يشتكي من ولده

غذوتك مولودا وعلتك يافعا * تعل بما ادني اليك وتنهل

اذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت * لشكواك الا ساهرا أتململ
كأني انا المطروق دونك بالذي * طرقت به دوني وعيني تهمل
فلما بلغت السن والغاية التي * اليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي منك جبها وغلظة * كأنك انت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق أبوتي * فعلت كما الجار المجاور يفعل
وسميتني باسم المفند رأيه * وفي رأيك التفنيد لو كنت تعقل
تراه معدا للخلاف كأنه * برد على أهل الصواب موكل

وقالت امرأة في مثل هذا المعنى

ربيته وهو مثل الفرخ اعظمه * أم الطعام ترى في جلده زغبا
حتى اذا آض كالفحال شذبه * اباره ونفى عن متنه الكربا
أنشى يمزق أثوابي يؤدبني * أبعد شيبي عندي يبتغي الادبا
اني لأبصر في ترجيل لمته * وخط لحيته في خده عجبا
قالت له عرسه يوما لتسمعني * مهلا فان لنا في أمنا اربا
ولو رأتني في نار مسعرة * ثم استطاعت لزادت فوقها حطبا

أعظمه أم الطعام أي اكثره حوصلته وأم الطعام من الآدمي المعدة وابار النخل تلقيح اناثها من ذكورها والابار فاعل ذلك فاضافته الى الفحال وهو ذكر النخل لادنى ملابسة كالاضافة في قوله تعالى فان أجل الله لآت والكرب أصول السعف انتهى ما أردت ايراده من باب الحماسة وهذه جملة من باب الرثاء وهو ذكر محاسن الميت والبكاء عليه والتحسر على فقده يقال رثيته ورثوته والمرثية الكلام الذي يكون به الرثاء قال أبو خراش الهذلي وقد سافر أخوه وابنه فاسرا وقتل أخوه والقى رجل رداءه على ابنه واجتهد في اطلاقه وتخليصه ممن أرادوا قتله

حمدت الهي بعد عروة إذ نجا * خراش وبعض الشر أهون من بعض
فوالله ما أنسى قتيلا رزئته * بجانب قوسى ما مشيت على الارض
على انها تعفو الكلوم وانما * نوكل بالادنى وان جل ما يمضي
ولم أدر من ألقى عليه رداءه * على انه قد سل عن ماجد محض
ولم يك مثلوج الفؤاد مهبجا * أضاع الشباب في الربيلة والخفض
ولكنه قد لوحته مخامص * على انه ذو مرة صادق النهض

وقد قيل ان الذى أتى عليه الرداء هو عروة وقد وجده ملقيه مكشوف العورة وهذا القول أوفق لسياق الكلام والريالة تطلق على السمن والنعمة فاذا أريد السمن فهو على حذف مضاف أى فى تحصيل الريالة وكانوا يتمدحون بقلة الطعام والشراب اما لكثرة الاشتغال بالمهمات واما لايثار الغير وقال عبدة بن الطبيب

عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ماشاء أن يترحما
تحية من غادرته غرض الردى * اذا زار عن شحط بلادك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وقال هشام بن عقبة العدوى اخو ذى الرمة يرثى أوفى بن دلهم

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده * عزاء وجفن العين ملآن مترع
نعى الركب أوفى حين آبت ركابهم * لعمرى لقد جاؤا بشر فأوجعوا
نعوا باسق الافعال لايخلفونه * تكاد الجبال الصم منه تصدع
خوى المسجد المعمور بعد ابن دلهم * وأمسى بأوفى قومه قد تضعضعوا
فلم تنسنى أوفى المصيبات بعده * ولكن نكء القرح بالقرح أوجع

وقال متمم بن نويرة يرثى أخاه مالكا وكانا أسلما وهاجر متمم الى المدينة وبقى مالك فى البادية وكان عريف قوم أى نقيبهم والمتكلم عنهم فلما قبض النبى صلى الله عليه وسلم ارتد كثير من العرب ومنهم مالك هذا وكانت ابل الصدقة مجموعة فى موضع يقال له رحرحان لم تصل بعد الى المدينة فأغار عليها مالك ونهب منها ثلاثمائة فلامه على ذلك الاقرع بن حابس وضرار بن القعقع ومشايخ فى بنى تميم يحرضانهم عليه ليردوه عن منكر فعله فقال فى ذلك

أرانى الله بالنعم المندى * ببرقة رحرحان وقد أرانى
أإن قرت عيون واستغيثت * غنائم قد تجود بها بنانى
حويت جميعها والسيف صلت * ولم ترعد يداى ولا جنانى
تمنى يا ابن عوذة فى تميم * وصاحبك الاقيرع تلحيانى
ألم أك نار رابية تلظى * فتتقيا أذاى وترهبانى
فقل لابن المذبب يغض طرفا * على قطع المذلة والهوان

النعم المندى هى الابل تسقى قليلا ثم تراح ناحية ثم تورد الماء لتحصيل تمام الرى يظهر غيظه وشماتته باجتماع ابل الصدق وكانوا يرون ذلك نهبا لامولهم وقوله تمنى أى

أي تقشى وهو مسلول قوله إن قرشيون وقوله يا ابن عوذة ناداه باسم أمه تحقيرا وعوذة أم ضرار ومليكة أم الاقرع فلما قام أبو بكر بالامر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشا رئيسه خالد بن الوليد لقتال أهل الردة وأوصاه بقتل مالك هذا فلما قتل أكثر من رثائه والبكاء عليه أخوه متمم يروى ان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قال لمتمم يوما لو رثيت أخي زيدا بمثل ما رثيت به أخاك فقال متمم له لو علمت ان أخي صار لما صار اليه أخوك ما رثيته يعني لو علم موته على الاسلام فقال عمر ما عزاني أحد بمثل ما عزاني به متمم والابيات المراد اثباتها من رثاء متمم قوله

لقد لامني عند القبور على البكى * رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال اتبكي كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الشجا يبعث الشجا * فدعني فهذا كله قبر مالك

ولابن نباتة المصري قصيدة يرثي فيها ملكا دعى ابنه بالجلوس مكانه مطلعها

هناء محا ذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما
ثغور ابتسام في ثغور مدامع * شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

يقول فيها ملمحا بمالك ومتمم ابني نويرة

فقدنا الاعناق البرية مالكا * وثمنا الافعال الجميل متمما

وسنوردها بعد ان شاء الله تعالى وقال رجل من خثعم

تهل الزمان وحل غير مصرد * من آل عتاب وآل الاسود
من كل فياض اليدين اذا غدت * نكباء تلوي بالكنيف الموصد
فاليوم أضحوا للمنون وسيقة * من رائح عجل وآخر مغتد
خلت الديار فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردي بالسودد

النكباء واحدة النكب وهي الرياح الخارجة بين المهاب الاصلية وهي مهب الصبا للشرق ومهب الشمال ومهب الجنوب ومهب الدبور واذا توالت النكب كان الجدب والكنيف الموصد الحظيرة من الشجر التي يجعل لها إصاد أي باب وعتبة اعتناء بها ومحافظة عليها وألوت بها أفسدتها وجود الجواد أظهر ما يكون في الجدب وقال محمد بن بشير الخارجي نسبة الى خارجة

نعم الفتى فجعت به اخوانه * يوم البقيع حوادث الايام
سهل الفناء اذا حللت ببابه * طلق اليدين مؤدب الخدام

واذا

واذا رأيت صديقه وشقيقه * لم تدر أيهما ذوو الارحام

اراد بالصديق والشقيق الجنس أى اصدقاءه واشقاءه ولذلك قال أيهما ذووا الارحام

وقال دريد بن الصمة يرثى أخاه ودريد هذا من فرسان العرب المعدودين وقتل فى غزوة حنين مع المشركين وكانوا أخرجوه معهم شيخا فانيا ليستضيئوا برأيه

نصحت لعارض وأصحاب عارض * ورهط بنى السوداء والقوم شهدى

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج * سراتهم فى الفارسى المسرد

فلما عصونى كنت منهم وقد أرى * غوايتهم وانني غير مهتدى

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

وهل أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا * فقلت أعبد الله ذلكم الردى

فجئت اليه والرماح تنوشه * كوقع الصياصى فى النسيج الممدد

وكنت كذات البو ريعت فأقبلت * الى جلد من مسك سقب مقدد

فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست * وحتى علانى حالك اللون أسودى

قتال امرئ آسى أخاه بنفسه * ويعلم ان المرء غير مخلد

فان يك عبد الله خلى مكانه * فما كان وقافا ولا طائش اليد

كميش الازار خارج نصف ساقه * بعيد من الآفات طلاع أنجد

قليل التشكى للمصيبات حافظ * من اليوم أعقاب الاحاديث فى غد

تراه خميص البطن والزاد حاضر * عتيد ويغدو فى القميص المقدد

وان مسه الاقواء والجهد زاده * سماحا واتلافا لما كان فى اليد

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه * فلما علاه قال للباطل ابعد

وطيب نفسى اننى لم أقل له * كذبت ولم أبخل بما ملكت يدى

قوله مدجج على صيغة اسم الفاعل أو اسم المفعول تام السلاح وذات البو هى الناقة يموت ولدها فيحشى جلده على صورة ولدها لترأمه أى تشمه وتعطف عليه تخيلا انه ابنها فتدر الحلب ومسك الحيوان جلده بفتح فسكون والسقب ولد الناقة الصغير والصياصى جمع صيصاة بكسر فسكون شوكة للحائك يسوى به اللحمة والسدى من منسوجه وقال تأبط شرا كما روى أبو تمام ولكن قيل ان الشعر لخلف الاحمر واستدلوا على ذلك بأنه قد ذكر فيه سلع وهو بالمدينة وتأبط شرا كان فى بلاد بعيدة عنها وبها

انتهت حياته وكيفما كان فالشعر جيد

ان بالشعب الذي دون سلع * لقتيلا دمه ما يطل
خلف العبء علي وولى * انا بالعبء له مستقل *
ووراء الثار مني ابن أخت * مصع عقدته ما تحل
مطرق يرشح سما كما أطرق أفعى ينفث السم صل
* خبر ما نابنا مصمئل * جل حتى دق فيه الاجل
بزني الدهر وكان غشوما * بأبي جاره ما يذل *
شامس في القر حتى اذا ما * ذكت الشعرى فبرد وظل
يابس الجنبين من غير بؤس * وندي الكفين شهم مدل
ظاعن بالحزم حتى اذا ما * حل حل الحزم حيث يحل
غيث مزن غامر حيث يجدي * واذا يسطو فليث أبل
مسبل في الحي أحوى رفل * واذا يغزو فسمع ازل
وله طعمان أري وشري * وكلا الطعمين قد ذاق كل
يركب الهول وحيدا ولا يصحبه الا اليماني الافل
وفتو هجروا ثم أسروا * ليلهم حتى اذا انجاب حلوا
كل ماض قد تردى بماض * كسنا البرق اذا ما يسل
فادركنا الثار منهم ولما * ينج ملحيين إلا الاقل
فاحتسوا أنفاس نوم فلما * هوموا رعتهم فاشمعلوا
فلئن فلت هذيل شباه * لبما كان هذيلا يفل
وبما أبركها في مناخ * جعجع ينقب فيه الاظل
وبما صبحها في ذراها * منه بعد القتل نهب وشل
صليت مني هذيل بخرق * لا يمل الشر حتى يملوا
ينهل الصعدة حتى اذا ما * نهلت كان لها منه عل
حلت الخمر وكانت حراما * وبلأي ما ألمت تحل
فاسقنيها يا سواد بن عمرو * ان جسمي بعد خالي لخل
تضحك الضبع لقتلى هذيل * وترى الذئب لها يستهل
وعتاق الطير تغدو بطانا * تتخطاهم فما تستقل

طل

طل دم القتيل أهدر ولم يؤخذ بثاره والمصع الشديد القتال والمصمئل الشديد وقوله رزئني الدهر بأبي يزعمنا سلبت تتعدى بنفسه يقال رزئني كذا ولكن في رزهنا معنى فجع فالباء لاجله وهو التضمين وليث أبل أي ماض على وجهه لا يبالي مالقي ورفل بكسر ففتح أي طويل الشعر أو الذنب الاذرى والشرى العسل وشجرمر مناخ جحجع أي غليظ وعر والاظل باطن الخف و ينقب يصيبه النقب أي يتخدش وقال الحارث ابن زيد الخيل

ألا بكر الناعي بأوس بن خالد * أخي الشتوة الغبراء والزمن المحل
فان يقتلوا بالغدر أوسا فانني * تركت أبا سفيان ملتزم الرحل
فلا تجزعي يا أم أوس فانه * تصيب المنايا كل حاف وذي نعل
قتلنا بقتلانا من القوم عصبة * كراما ولم نأكل بهم حشف النخل
ولولا الأسى ما عشت في الناس ساعة * ولكن اذا ما شئت جاوبني مثلي

قال أبو رياش كان سبب هذه الابيات ان عمر بن الخطاب بعث رجلا يكنى أبا سفيان ليس بالهاشمي ولا الأموي الى البادية يستقرئهم فمن لم يقرأ شيئا ضربه فانتهى الى بني نبهان فاستقرأ أوس بن خالد بن عمرو ابن عم لزيد الخيل فلم يقرأ شيئا فضربه فمات من ضربه فقامت أم أوس تندبه فأقبل حريث بن زيد الخيل حتى دخل على أبي سفيان فقتله وأصحابه وقال هذه الابيات وقالت قتيلة سميت بمصغر قتلة بنت النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن هاشم بن عبد مناف وكان النضر من أشد أهل مكة على النبي صلى الله عليه وسلم فكان يشتري كتب القصص بين فارس والروم و يقول ان كان محمد يقص على الناس أخبار عاد وثمود فأنا أقص عليكم أخبار فارس والروم يريد بهذا معارضة القرآن وابطال الرسالة وفيه نزل قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية فلما أسر ببدر أمر صلى الله عليه وسلم بقتله صبرا والقتل صبرا أن يحبس مكتوفا ويرمى حتى يموت ولما انشدت قتيلة الابيات و بلغت النبي صلى الله عليه وسلم رق لها وقال لو بلغتني قبل قتله لعفوت عنه وقال لا تقتل قريش صبرا بعد هذا اليوم

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
* بلغ به ميتا فان تحية * ما ان تزال بها الركائب تخفق
مني اليه وعبرة مسفوحة * جادت لمائحها وأخرى تخنق

فليسمعن النضر ان ناديته * ان كان يسمع ميت أو ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تشقق
أمحمد ولأنت ضنء نجيبة * من قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من أصبت وسيلة * واحقهم ان كان عتق يعتق

الضن‌ء بفتح أوله الفرع وبكسره الاصل وقولها واحقهم ان كان عتق يعتق أي بأن يعتق حذف الخافض وان فارتفع الفعل وكان تامة وقال ابن عنمة الضبي في مقتل بسطام بن قيس قتله عاصم بن خليفة وكان ابن عنمة مجاورا في بني شيبان فخاف على نفسه لما قتل بسطام فرثاه يستميل بذلك بني شيبان وهو من بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة

لام الارض ويل ما أجنت * بحيث أضر بالحسن السبيل
نقسم ماله فينا وندعو * أبا الصهباء اذ جنح الاصيل
أجدك لاتراه ولن تراه * تخب به عذافرة ذمول
حقيبة رحلها بدن وسرج * تعارضها مربية دؤول
الى ميعاد أرعن مكفهر * تضمر في جوانبه الخيول
لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيطة والفضول
أفاتته بنو زيد بن عمرو * ولا يوفي ببسطام قتيل
وخر على الالاءة لم يوسد * كأن جبينه سيف صقيل

الحسن في الابيات اسم جبل وامامه هضبة يقال لها حسين ويقولون الحسنان في التثنية وحقيبة الرحل وعاء خلف الراكب كالخرج والبدن الدرع القصيرة والمربية الدؤول أي المتقاربة العدو عبارة عن الفرس فانهم كانوا يركبون الابل في سفرهم للغزو ويجنبون الخيل ليركبوها في الحرب والمرباع الربع كالمعشار العشر ولا يستعمل غيرهما كان رئيس الجيش يأخذ ربع الغنيمة ثم يقسم والصفايا جمع صفية كان للرئيس ان يصطفي ماشاء كسيف أوفرس وكان من عادتهم عند افتتاح الحرب ان يبادر فارس فارسا فاذا قتله فالحكم في سلبه للرئيس اما ان ينفله القاتل واما ان يرده للغنم والنشيطة ما يصيبونه قبل الوصول الى المقصد وهي للرئيس والفضول أشياء كانت تبقى بعد القسمة فيأخذها وكان لهم النقيعة وهي جمل يذبحه الرئيس قبل القسمة يطعمه الناس

بقي من ذلك في الاسلام الصفايا فقد استصفى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ذا الفقار سيف منبه بن الحجاج وجويرية بنت الحارث في المصطلق وجعل صداقها عتقها وصفية بنت حيي من خيبر كذلك وأبدل الربع بالخمس للمذكورين في قوله تعالى واعلموا ان ماغنمتم الآية وبطل الباقي وقال الغطمش

ألا رب من يغتابني وذأنني * أبوه الذي يدعى اليه وينسب
على رشدة من أمه أو لغية * فيغلبها فحل على النسل منجب
فبالخير لا بالشر فارج مودتي * وأي امرئ يقتال منه الترهب
أقول وقد فاضت لعيني عبرة * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب
أخلاي لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

قوله أي امرئ يقتال هو افتعال من القول أي وأي امرئ يظهر منه الترهب القول بالمودة ذلك الضعيف المقهور دون القوي فانه لا يظهر المودة الا وهي حق فلا يتخالق فالاستفهام انكاري أي لا أحد يقتال منه الترهب جعل من يقتال منه لاشئ وقالت زينب بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد وهو شاعر ومن كلامه في الغزل

* بنفسي من لو مر برد بنانه * على كبدي كانت شفاء أنامله
ومن هابني في كل شئ وهبته * فلا هو يعطيني ولا أنا سائله
أرى الاثل من بطن العقيق مجاوري * مقيما وقد غالت يزيد غوائله
فتى قد قد السيف لا متضائل * ولا رهل لباته وبآدله *
اذا نزل الاضياف كان عذورا * على الحي حتى تستقل مراجله
مضى وورثناه دريس مفاضة * وأبيض هنديا طويلا حمائله
وقد كان يروي المشرفي بكفه * ويبلغ أقصى حجرة الحي نائله
* كريم اذا لاقيته متبسما * واما تولى أشعث الرأس جافله
اذا القوم أموا بيته فهو عامد * لأحسن ما ظنوا به فهو فاعله
ترى جازريه يرعدان وناره * عليها عداميل الهشيم وصامله
يجران ثنيا خيرها عظم جاره * بصيرا بها لم تعد عنها مشاغله

البآدل جمع بادلة بتثليث أوله وهو اللحم حوال الثدي وقولها واما تولى أي أعرض غضبا في مقابلة حال الرضا المدلول عليها بالتبسم وأشعث الرأس جافله صفة الغضبان المتهيئ للحرب وجافله تأكيد لاشعث والعذور السيئ الخلق وأرادت أنه سريع

في تهيئة القرى وارتعاد الجازر بن اما من خوفه أو من البرد في وقت الشدة والاحتياج والعداميل جمع عدمول القديم والصامل اليابس أي هو معتد دائما للقرى وقولها خيرها اعظم جاره أرادت أن خير ما فيها هو العظم بلحمه الذي يهدى للجار كالذراع مثلا وقولها بصيرا أي يذبحها عامدا لا غلطا فهو يتخير للقرى انتهى المنقول من باب الرثاء وهذه جملة من باب الادب وهي أشعار تنبه على الفضائل الانسانية مثل كتمان السر والمحافظة على حقوق الصداقة قال مسكين الدارمي

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم * على سر بعض غير أني جماعها
لكل امرئ شعب من القلب فارغ * وموضع نجوى لا يرام اطلاعها
يظلون شتى في البلاد وسرهم * الى صخرة أعيا الرجال انصداعها

وقال المرار بن سعيد

اذا شئت يوما ان تسود عشيرة * فبالحلم سد لا بالتسرع والشتم
وللحلم خير فاعلمن مغبة * من الجهل الا أن تشمس من ظلم

وقال شبيب بن البرصاء المري يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب البرصاء هذه من أبيها فقال لا أرضاها لك يا رسول الله فان بها برصا وليس بها برص فعاد فوجدها قد برصت

واني لتراك الضغينة قد بدا * ثراها من المولى فلا استثيرها
مخافة ان تجني علي وانما * يهيج كبيرات الامور صغيرها
لعمري لقد أشرفت يوم عنيزة * على رغبة لو شد نفسي مريرها
تبين أعقاب الامور اذا مضت * وتقبل أشباها عليك صدورها
اذا افتخرت سعد بن ذبيان لم تجد * سوى ما ابتنينا ما يعد فخورها
ألم تر أنا نور قوم وانما * يبين في الظلماء للناس نورها

من الادب الحزم ومن الحزم الاغضاء عن الصغير اذا كان يهيج كبيرا وقال معن بن اوس

لعمرك ما أدري واني لأوجل * على أينا تعدو المنية أول
واني أخوك الدائم العهد لم أحن * ان ابزاك خصم أو نبا بك منزل
أحارب من حاربت من ذي عداوة * وأحبس مالي ان غرمت فاعقل
وان سؤتني يوما صفحت الى غد * ليعقب يوما منك آخر مقبل
كأنك تشفي منك داء مساءتي * وسخطي وما في ريبتي ما تعجل

وانى على أشياء منك تريبنى * قديما لذو صفح على ذاك مجمل
ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى * يمينك فانظر أى كف تبدل
وفى الناس ان رثت حبالك واصل * وفى الارض عن دار القلى متحوّل
اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
وكنت اذا ما صاحب رام ظنتى * وبدّل سوأ بالذى كنت أفعل
قلبت له ظهر المجن فلم أرم * على ذاك الا ريثما أتحول
اذا انصرفت نفسى عن الشئ لم تكد * اليه بوجه آخر الدهر تقبل

قوله ان ابزاك أى قهرك القيت حركة الهمزة على النون ومزحل من زحل بمعنى تأخر وبعد وقوله وما فى ريبنى ما تعجل أى ليس فى اساءتى شئ اداتك الذى تعجله أخرجه بعد التظنن الى التحقيق وقال عمرو بن قميئة

يالهف نفسى على الشباب ولم * أفقد به اذ فقدته أمما
اذ أسحب الريط والمروط الى * أدنى تجارى وانفض اللمما
لاتغبط المرء ان يقال له * أمسى فلان لسنه حكما
ان سره طول عمره فلقد * أضحى على الوجه طول ما سلما

المراد بالتجار باعة الخمر وقوله لاتغبط المرء معناه لاتعد كون الانسان بصير الكبره واستحكام رأيه رشيدا يتحاكم اليه من جليل النعم بعد نعمة الشباب والادب فى هذه الابيات انه اشار الى انه ينبغى ان يكون الشباب وان لهافيه الانسان مالها بالتعقل وضبط ما يمر من الاحوال ذريعة لان يعتاض الانسان من لذاته شرف الرياسة اذا فارقه كقول الآخر

ان الشباب الذى مجد عواقبه * فيه نلذ ولا لذات للشيب

كانه لم يعتبر من فرط فى شبابه حتى ساءت آخرته شيئا مذكورا وقال اياس بن القائف

تقيم الرجال الاغنياء بأرضهم * وترمى النوى بالمقترين المراميا
فأكرم أخاك الدهر ما دمتما معا * كفى بالممات فرقة وتنائيا
اذا زرت أرضا بعد طول اجتنابها * فقدت صديقى والبلاد كما هيا

وقال ربيعة بن مقروم الضبى

وكم من حامل لى ضب ضغن * بعيد قلبه حلو اللسان

ولو انى أشاء نقمت منه * بشغب أو لسان تيحان
ولكنى وصلت الحبل منه * مواصلة بحبل أبى بيان
وضمرة ان ضمرة خير جار * علقت له بأسباب متان
هجان الحى كالذهب المصفى * صبيحة ديمة يجنيه جان

هجان الحى كريمه وخالصه والذهب المصفى أى بخالقه و يكون مستورا بالاغبرة فاذا دام المطر على معدنه أزال الاغبرة فانكشف فيجنيه جناته وذكر أن أبا بيان وضمرة صديقاه خالصا الصداقة والادب فى الشعر التنبيه على انه ينبغى ان يعرف الانسان عدوه من صديقه ثم يعرف للصديق حقه و يدارى العدو على احتراسه منه ومن كلام الناس اللبيب من دارى وروى ان عيينة بن حصن الفزارى دخل على النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يؤمر بحجاب النساء فرأى عائشة فسأله عنها فقال هى بنت ابى بكر فقال عيينة أتنزل لى عنها وانزل لك عن أجمل نساء العالم فقال له النبى ذلك لا يكون فى الاسلام فلم يزل صلى الله عليه وسلم يكرمه فلما خرج من عنده قال النبى بئس الرجل وعشيرته فقالت عائشة أليست هذه الغيبة فقال لا انه الاحمق المطاع فى قومه و نالنبش فى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم فنبه النبى صلى الله عليه وسلم على استعمال المداراة وهى سنة فينبغى للانسان ان لا يتخذ عدوا وقوله فى الشعر بشغب أو لسان تيحان الشغب المصاخبة فى الجدال والتيحان الذى يعرض لما لا يعنيه وقوله وصلت الحبل منه الى آخره معناه قرنته على معرفة عداوته بالصديق الذى أنا متحقق من صداقته فهما فى المعاملة سواء وقال عبد الله بن همام السلولى وقد سعى به ساع عند زياد بن أبى سفيان فقال له هجانى فقال أجمع بينكما فقال افعل فأحضر عبد الله وقال له هجوتنى فأنكر فقال هذا أخبرنى فسكت قليلا ثم خاطب الرجل بقوله

وأنت امرؤ إما ائتمنتك خاليا * فخنت واما قلت قولا بلا علم
فأنت من الامر الذى كان بيننا * بمنزلة بين الخيانة والاثم

ورأيت لبعض الناس اعتراضا على هذا التقسيم فقال ان الخيانة اثم فلم تصح المقابلة وليس كما رأى فان الشاعر أراد إدارة الامر بين صدق قبيح لما فيه من الخيانة و بين كذب والكذب ولو على سبيل الاحتمال قبيح وعبر عن الكذب بالاثم فانه لا شبهة فى كونه اثما بخلاف حالة الخيانة فان فيها شبهة الصدق فهو كلام متين صادر عن عقل صحيح فقول المرء ما لم يعلم وان وافق الواقع واتفق كونه صوابا ذميم سيئ وقال سالم بن وابصة

وابصة الاسدى

أحب الفتى ينفى الفواحش سمعه * كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعى الصدر لا باسطا أذى * ولا مانعا خيرا ولا قائلا هجرا
اذا شئت ان تدعى كريما مكرما * أديبا ظريفا عاقلا ماجدا حرا
اذا ما أتت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا
غنى النفس ما يكفيك من سد خلة * فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

يشبه البيت الاخير قول المتنبي

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

والمعنى ان من اشتغل بتربية المال وتنميته لم يكن له وقت لاكتساب الفضائل واغتنام اللذاذات فكان فقيرا من ذلك فالموفق يكون له من العيش ما لا يحتاج معه ثم يصرف الاوقات بعد فى تتميم الانسانية وقال عقيل بن علفة المرى

وللدهر أثواب فكن فى ثيابه * كلبسته يوما أجد وأخلقا
وكن أكيس الكيس اذا كنت فيهم * وان كنت فى الحمقى فكن أنت أحمقا

يروى عن الشافعى رضى الله عنه مثل هذا وهو قوله

وأنزلنى طول النوى دار غربة * يصاحبنى فيها الذى لا أشاكله
أحامقه حتى يقال سجية * ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وقال بعض الفزاريين

أكنيه حين أناديه لاكرمه * ولا ألقبه والسوأة اللقب
كذاك أدبت حتى صار من خلقى * انى وجدت ملاك الشيمة الادب

قوله انى وجدت هو على ان المفعول الاول ضمير الشأن والجملة هى المفعول الثانى أوهو على حذف لام الابتداء المعلقة للفعل عن العمل لانه متى تقدم الفعل لم يجز إلغاؤه

وقال رجل من بنى قريع

متى ما يرى الناس الغنى وجاره * فقير يقولوا عاجز وجليد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى * ولكن احاظ قسمت وجدود
اذا المرء أعيته المروءة ناشئا * فطلابها كهلا عليه شديد
وكائن رأينا من غنى مذمم * وصعلوك قوم مات وهو حميد

وقال آخر

أضحت أمور الناس يغشين عالما * بما يتقى منها وما يتعمد
جدير بأن لا أستكين ولا أرى * اذا الامر ولى مدبرا أتبلد

أراد بالعالم نفسه فهو على تقدير يغشين منى عالما والتبلد مأخوذ من بلد البلد لنقرته وما حولها فان المتحير ربما يضرب بادة صدره كما يقال يقرع سنه ندمه

وقال آخر

وانك لاتدرى إذا جاء سائل * أأنت بما تعطيه أم هو أسعد
عسى سائل ذو حاجة ان منعته * من اليوم سؤلا أن يكون له غد
وفى كثرة الايدى لذى الجهل زاجر * وللحلم أبقى للرجال وأعود

غد اسم يكون يعنى عسى أن يكون السائل الذى عليه الأوقات الحاضرة تكون له الأوقات المستقبلة كقوله

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

وعنى بكثرة الأيدى كثرة الاخوان من قولهم المرء قليل بنفسه كثير باخوانه وفى كثرة الاخوان العز وامتناع الجانب بحيث يكون ذلك زاجرا للجاهل قاطعا للطمعه فى البطش بكثير الاخوان قال آخر فى هذا المعنى وهو أظهر

عليك باخوان الصفاء فانهم * عماد إذا استنجدتهم وظهور
وان قليلا ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير

وقال آخر

واياك والامر الذى ان توسعت * موارده ضاقت عليك المصادر
فما حسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

وقال العباس بن مرداس

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفى أثوابه أسد مزير
ويعجبك الطرير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الطرير
فما عظم الرجال لهم بفخر * ولكن فخرهم كرم وخير
بغاث الطير أكثرها فراخا * وأم الصقر مقلات نزور
ضعاف الطير أطولها جسوما * ولم تطل البزاة ولا الصقور
لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بكل وجه * ويحبسه على الخسف الجرير

وتضربه

ونضربه الوليدة بالهراوى * فلا غير لديه ولا نكير
فان أك فى شراركم قليلا * فانى فى خياركم كثير

مزر من باب كرم مزارة فهو مزير أى ظريف أوشديد القلب نافذ وهو أنسب ويروى مريرأى ممر اسم مفعول من أمر الشئ أى أحكمه فهو حكيم يعنى محكم وأصله من أمر الحبل احكم فتله فهو ذومرة بكسر أوله أى قوة وقال منظور بن سحيم

ولست بهاج فى القرى أهل منزل * على زادهم أبكى وأبكى البواكيا
فاما كرام موسرون أتيتهم * فحسبى من ذو عندهم ما كفانيا
واما كرام معسرون عذرتهم * واما لئام فادكرت حيائيا
وعرضى أبقى ما ادخرت ذخيرة * وبطنى أطويه كطى ردائيا

قوله على زادهم أبكى هو استهزاء بمن يطعن على الناس ويصفهم بالبخل ويشتكى منهم الحرمان فان الناس بين كريم ولئيم فالكريم مشكور أو معذور واللئيم لا يقصد فى حاجة ومن غلط فقصده أو تعمد قصده فعلى نفسه يلوم حيث لم يتأمل أو وضع حاجته فى غير موضع فهو احتجاج قاطع لعذر الهاجى وقال آخر

وأعرض عن مطاعم قد أراها * فأتركها وفى بطنى انطواء
فلا وأبيك ما فى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير * ويبقى العود ما بقى اللحاء

قوله وأعرض عن مطاعم هو كقول عنترة

ولقد أبيت على الطوى وأظله * حتى أنال به كريم المأكل

يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما أنشد قصيدة هذا البيت أظهر استحسانه وقال ما وصف لى أعرابى فأحببت أن أراه الا عنترة وقال مالك بن حريم الهمدانى

أنبئت والايام ذات تجارب * وتبدى لك الايام ما لست تعلم
* بأن ثراء المال ينفع ربه * ويثنى عليه الحمد وهو مذمم
وان قليل المال للمرء مفسد * يحز كما حز القطيع المحرم
يرى درجات المجد لا يستطيعها * ويقعد وسط القوم لا يتكلم

القطيع المحرم السوط الخشن الجافى يعنى ان الفقر يؤثر فى صاحبه تأثير هذا السوط فيمن يضرب به وقوله يثنى عليه الحمد أى يعطفه وقال محمد بن بشير

ماذا يكلفك الروحات والدلجا * البر طورا وطورا تركب اللججا

كم من فتى قصرت فى الرزق خطوته * ألفيته بسهام الرزق قد فلجا
ان الامور اذا انسدّت مسالكها * فالصبر يفتق منها كل ما رتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
قدّر لرجلك قبل الخطو موضعها * فمن علا زلقا عن غرة زلجا
ولا يغرنك صفو أنت شاربه * فربما كان بالتكدير ممتزجا

ليس قوله ماذا يكافك البيت تثبيطا عن السعى وادامة الحركة فى الطلب وانما هو نهى عن كثرة الاضطراب بغير تأمل جادة الطريق التى يغلب على الظن ايصالها الى المقصود كما هو مدلول جميع الشعر فحقيقة معناه انه ينبغى للانسان أن يسعى سعيا حسنا مقرونا بالتبصر والصبر فى تحصيل المرغوب وقال محمد الكندى الملقب بالمقنع

يعاتبنى فى الدين قومى وانما * ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
أسدّ به ماقد أخلوا وضيعوا * ثغور حقوق ما أطاقوا لها سدّا
وفى جفنة ما يغلق الباب دونها * مكللة لحما مدفقة ثردا
وفى فرس نهد عتيق جعلته * حجابا لبيتى ثم أخدمته عبدا
وان الذى بينى وبين بنى أبى * وبين بنى عمى لمختلف جدّا
فان أكلوا لحمى وفرت لحومهم * وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم * وان هم هووا غيى هويت لهم رشدا
وان زجروا طيرا بنحس تمرّ بى * زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم * وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالى ان تتابع لى غنى * وان قل مالى لم أكلفهم رفدا
وانى لعبد الضيف مادام نازلا * وما شيمة لى غيرها تشبه العبدا

وقال رجل من الفزاريين يذهب حسرته على قصره فانهم يتمدحون بتمام الاجسام كما قال الشاعر

تبين لى ان القماءة ذلة * وان أعزاء الرجال طيالها

وقال الله تعالى وزاده بسطة فى العلم والجسم

ان لا يكن عظمى طويلا فاننى * له بالخصال الصالحات وصول
ولا خير فى حسن الجسوم ونبلها * اذا لم تزن حسن الجسوم عقول

اذا كنت فى القوم الطوال علوتهم * بعارفة حتى يقال طويل
وكم قد رأينا من فروع كثيرة * تموت اذا لم تحيهن أصول *
ولم أر كالمعروف أما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل

وقال مضرس بن ربعى

انا لنصفح عن مجاهل قومنا * ونقيم سالفة العدو الاصيد
ومتى نخف يوما فساد عشيرة * نصلح وان نر صالحا لا نفسد
واذا غدوا صعدا فليس عليهم * منا الخبال ولا نفوس الحسد
ونعين فاعلنا على ما نابه * حتى نيسره لفعل السيد
ونجيب داعية الصباح بثائب * عجل الركوب لدعوة المستنجد
فنفل شوكتها ونفثأ حميها * حتى تبوخ وحمينا لم يبرد
ونحل فى دار الحفاظ بيوتنا * زمن الجمائل فى الددين الاسود

وقال قيس بن الخطيم

وما بعض الاقامة فى ديار * يهان بها الفتى إلا ابلاء
وبعض خلائق الاقوام داء * كداء البطن ليس له دواء
يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما يشاء *
وكل شديدة نزلت بقوم * سيأتى بعد شدتها رخاء
ولا يعطى الحريص غنى لحرص * وقد ينمى على الجود الثراء
غنى النفس ما عمرت غنى * وفقر النفس ما عمرت شقاء
وليس بنافع ذا البخل مال * ولا مزر بصاحبه السخاء
وبعض الداء ملتمس شفاه * وداء النوك ليس له شفاء

وقال يزيد بن الحكم الثقفى يعظ ابنه بدرا

يا بدر والامثال يضـ * ـربها الذى اللب الحكيم
* دم للخليل بوده * ما خير ود لا يدوم
واعرف لجارك حقه * والحق يعرفه الكريم
واعلم بأن الضيف يو * ما سوف يحمد أو يلوم
والناس مبتنيان محـ * ـمود البناية أو ذميم
* واعلم بنى فانه * بالعلم ينتفع العليم

إن الامور دقيقها * مما يهيج له العظيم
والتبل مثل الدين تقضيه وقد يلوى الغريم
والبغي يصرع أهله * والظلم مرتعه وخيم
ولقد يكون لك البعيد أخا ويقطعك الحميم
والمرء يكرم للغنى * ويهان للعدم العديم
قد يقتر الحول التقي ويكثر الحمق الاثيم
يملى لذاك ويبتلى * هذا فايهما المضيم
والمرء يبخل في الحقو * ق وللكلالة ما يسيم
ما بخل من هو للمنو * ن وريبها عرض رجيم
ويرى القرون أمامه * همدوا كما همد الهشيم
وتخرب الدنيا فلا * بؤس يدوم ولا نعيم
كل امرئ ستئيم منـ * ـه العرس أو منها يئيم
ما علم ذي ولد أيثكله ام الولد اليتيم *
والحرب صاحبها الصليب على تلاتلها العزوم
من لا يمل ضراسها * ولدا الحفيظة لا يخيم
واعلم بان الحرب لا * يسطيعها المرح السؤم
والخيل أجودها المنا * هب عند كبتها الازوم

وقال منقذ الهلالي

أي عيش عيشي اذا كنت منه * بين حل و بين وشك رحيل
كل فج من البلاد كاني * طالب بعض أهله بذحول
ما أرى الفضل والتكرم الا * كفك النفس عن طلاب الفضول
وبلاء حمل الايادي وان تسمع منا تؤتى به من منيل *

وقال محمد بن أبي شحاذ الضبي

اذا أنت أعطيت الغنى ثم لم تجد * بفضل الغنى ألفيت مالك حامد
اذا أنت لم تعرك بجنبك بعض ما * يريب من الادنى رماك الاباعد
اذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تزل * عليك بروق جمة ورواعد
اذا العزم لم يفرج لك الشك لم تزل * جنيبا كما استتلى الجنيبة قائد

وقال

وقل غناء عنك مال جمعته * اذا صار ميراثا وواراك لاحد
اذا أنت لم تترك طعاما تحبه * ولا مقعدا تدعى اليه الولائد
* تجللت عارا لايزال يشبه * سباب الرجال نثرهم والقصائد

وقالت حرقة بنت النعمان

بينا نسوس الناس والأمر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة تتنصف
فأف لدنيا لايدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف *

وقال الصلتان العبدي

أشاب الصغير وأفنى الكبير * كرّ الغداة ومر العشى
اذ الليلة هرّمت يومها * أتى بعد ذلك يوم فتى
نروح ونغدو لحاجاتنا * وحاجة من عاش لاتنقضى
تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة مابقى
اذا قلت يوما لمن قد ترى * أرونى السرى أروك الغنى
ألم تر لقمان أوصى ابنه * وأوصيت عمرا فنعم الوصى
بنى بدا خب نجوى الرجال * فكن عند سرك خب النجى
وسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفى *

انتهى المختار من باب الادب ويليه منتقى باب النسيب النسيب ذكر محاسن النساء والاخبار عن تصرف هواهن به وكان يتغنى بما يقوله من ذلك ولاجل ذلك ترى صيغة المصدر الصوتى ويسمى النسيب غزلا والغزل فى الاصل ظهور الانسان فى أحوال الغزال من الملاعبة ونحوها الحركة قال الصمة القشيرى وهو شاعر غزل هوى بنت عم له فقال لها ربا فخطبها الى عمه فروجها اياها على خمسين من الابل فجاء الى أبيه فسأله ذلك فساق عنه تسعا وأربعين وقال عمك لايناظرنا بنقصان ناقة فساقها الى عمه وذكر له ما قال أبوه فأبى أن يقبلها الا كملا فلج أبوه ولج عمه فقال والله مارأيت ألأم منكما جميعا وانى لألأم ان أقمت معكما فرحل الى الشام فتتبعتها نفسه فقال ومثل هذا الشعر من بين النسيب يسمى بالغرامى

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن أن تأتى الامر طائعا * وتجزع ان داعى الصبابة أسمعا
قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى * وقل لنجد عندنا أن يودعا

بنفسي تلك الارض ما أطيب الربا * وما أحسن المصطاف والمتربعا
وليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا * وحالت بنات الشوق يحنن نزعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
تلفت نحو الحي حتى وجدتني * وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني * على كبدي من خشية أن تصدعا

وقال الحسين بن مطير الاسدي

لقد كنت جلدا قبل أن توقد النوى * على كبدي جمرا بطيئا خمودها
وقد كنت أرجو أن تموت صبابتي * اذا قدمت أيامها وعهودها
فقد جعلت في حبة القلب والحشا * عهاد الهوى تولى بشوق يعيدها
بسود نواصيها وحمر أكفها * وصفر تراقيها وبيض خدودها
مخصرة الاوساط زانت عقودها * بأحسن مما زينتها عقودها
* يمنيننا حتى ترف قلوبنا * رفيف الخزامى بات طل يجودها

وقال أبو صخر الهذلي

أما والذي أبكى وأضحك والذي * أمات وأحيا والذي أمره الامر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى * أليفين منها لا يروعهما الذعر
فيا حبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الايام موعدك الحشر
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وقال ابن أذينة

* ان التي زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقة فأدقها وأجلها *
حجبت تحيتها فقلت لصاحبي * ما كان أكثرها لنا وأقلها
واذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها

وقال آخر

وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر
أي لا كله والنفس له طالبة ولا عن بعضه وهي به غير قانعة وقال آخر

اقو

أقول لصاحبي والعيس تهوي * بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد * وريا روضه بعد القطار
وأهلك اذ يحل الحي نجدا * وأنت على زمانك غير زار *
شهور ينقضين وما شعرنا * بانصاف لهن ولا سرار *

وقال عمر بن أبي ربيعة وهو من فتيان قريش وكل شعره غزل واشتهر بذلك وله أخبار ولد ليلة مات عمر بن الخطاب فقيل أي حق رفع وأي باطل وضع وكان ابن عباس يسترجع لاستماع انشاده شعره فكان ربما يأتيه وهو في مجلس استفتاء الناس اياه فينصرف عنهم اليه وكان مع غزله وشدة كلفه بمحادثة النساء عفيفا

ولما تفاوضنا الحديث وأسفرت * وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما عرفنني * وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا
وقربن أسباب الهوى لمتيم * يقيس ذراعا كلما قسن اصبعا
وقلت لمطريهن ويحك انما * ضررت فهل تسطيع نفعا فتنفعا

يروى ان عائشة بنت طلحة وكانت من أجمل نساء زمانها يقال ان أبا هريرة رآها يوما في المسجد وهي مارة الى عائشة أم المؤمنين فقال انها من الحور العين كانت لا تستر وجهها وكان زوجها مصعب بن الزبير يأمرها بستره فتقول ان الله وسمني بميسم جمال فلا أحب أن أستر نعمة الله علي وقال عبد الله بن الدمينة الخثعمي

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد * لقد زادني مسراك وجدا على وجد
أإن هتفت ورقاء في رونق الضحى * على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن * جليدا وأبديت الذي لم تكن تبدي
وقد زعموا أن المحب اذا دنا * يمل وان النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ذاك قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذي عهد

وقال آخر

ألا طرقتنا آخر الليل زينب * عليك سلام هل لما فات مطلب
وقالت تجنبنا ولا تقربننا * وكيف وأنتم حاجتي أتجنب
يقولون هل بعد الثلاثين ملعب * فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب

اقد جل خطب الشيب ان كان كلما * بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

وقال كثير

وأدنيتني حتى اذا ما ملكتني * بقول يحل العصم سهل الاباطح
تناهيت عني حين لالي حيلة * وغادرت ما غادرت بين الجوانح

وقال آخر

سلي البانة الغيناء بالاجرع الذى * به البان هل حييت أطلال دارك
وهل قمت فى أطلالهن عشية * مقام أخي البأساء واخترت ذلك
وهل هملت عيناى فى الدار غدوة * بدمع كنظم اللؤلؤ المتهالك
أرى الناس يرجون الربيع وانما * ربيعي الذى أرجو نوال وصالك
أرى الناس يخشون السنين وانما * سنى الذى أخشى صروف احتمالك
لئن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرني انى خطرت ببالك
ليهنك امساكي بكفي على الحشا * ورقراق عيني رهبة من زيالك

الغيناء الطائلة فهي تستر ما تحتها والغاني السحاب من الستر يسمى غيناء ومنه غان على قلبه كذا ويروى الغناء ويصفون الشجر بالغناء لما يسمع منه اذا مرت به الريح

قال بعضهم

للثرى تحتها سبات ولما * ء خرير وللغصون غناء

وقال آخر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * عليك شجي فى الحلق حين تبين
وان هي أعطتك الليان فانها * لغيرك من خلانها ستلين
وان حلفت لا ينقض النأى عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

وقال أبو بكر بن عبد الرحمن الزهري

ولما نزلنا منزلا طله الندى * أنيقا وبستانا من النور حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمنينا فكنت الامانيا

وقال معدان بن المضرب الكندي

صفا ودليلي ما صفا ثم لم تطع * عدوا ولم تسمع به قيل صاحب
فلما تولي ودليلي بجانب * وقرم تولينا لقوم وجانب
وكل خليل بعد ليلي يخافني * على العهد راو يرضي بودمقارب

وقال

ل آخر

هل الحب الا زفرة بعد زفرة * وحر على الاحشاء ليس له برد
وفيض دموع العين يا مى كلما * بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو

وقال يزيد بن المنتشر القشيري المشهور بابن الطثرية وهي أمه نسبت لحي من قضاعة يقال لهم طثر

عقيلية أما ملاث ازارها * فدعص وأما خصرها فبتيل
تقيظ أكناف الحمى ويظلها * بنعمان من وادي الاراك مقيل
أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكلا ليس منك قليل
فيا خلة النفس التي ليس دونها * لنا من اخلاء الصفاء خليل
ويا من كتمنا حبه لم يطع به * عدو ولم يؤمن عليه دخيل
أما من مقام اشتكي غربة النوى * وخوف العدا فيه اليك سبيل
فديتك أعدائي كثير وشقتي * بعيد وأشياعي لديك قليل
وكنت اذا ما جئت جئت بعلة * فأفنيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بأرضك حاجة * ولا كل يوم لي اليك رسول
صحائف عندي للعتاب طويتها * ستنشر يوما والعتاب طويل
فلا تحملي ذنبي وأنت ضعيفة * فحمل دمي يوم الحساب ثقيل

وقال آخر

بيضاء آنسة الحديث كأنها * قمر توسط جنح ليل مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد * ان الحسان مظنة للحسد
خود إذا كثر الحديث تعوذت * بحمى الحياء وان تكلم تقصد
وترى مدامعها ترقرق مقلة * سوداء ترغب عن سواد الاثمد

انما يكون الليل ذا برد إذا صفا الجو وقال آخر

أهابك اجلالا وما بك قدرة * علي ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس أنك عندها * قليل ولكن قل منك نصيبها

وقال ابن الدمينة

ألا لا أرى وادي المياه يثيب * ولا النفس عن وادي المياه تطيب
أحب هبوط الواديين وانني * لمشتهر بالواديين غريب *

أحقا عباد الله ان لست واردا * ولا صادرا إلا على رقيب
ولا زائرا فردا ولا في جماعة * من الناس الا قيل أنت مريب
وهل ريبة في ان تحن نجيبة * الى إلفها أو أن يحن نجيب
وان الكثيب الفرد من جانب الحمى * الى وان لم آته لحبيب *
لك الله انى واصل ما وصلتنى * ومثن بما أوليتنى ومثيب
وآخذ ما أعطيت عفوا وانني * لازور عما تكرهين هيوب
فلا تتركي نفسي شعاعا فانها * من الوجد قد كادت عليك تذوب
وانى لاستحييك حتى كانما * على بظهر الغيب منك رقيب
وقال آخر
تحمل أصحابي ولم يجدوا وجدى * وللناس أشجان ولى شجن وحدى
أحبكم ما دمت حيا فان أمت * فواكبدا ممن يحبكم بعدى
وقال أبو حية النميري
* رمته أناة من ربيعة عامر * نؤوم الضحى في مأتم أى مأتم *
فجاء كخوط البان لا متتابع * ولكن بسيماذى وقار وميسم
فقلن لها سرا فديناك لا يرح * صحيحا وان لم تقتليه فألمى
فألقت قناعا دونه الشمس واتقت * بأحسن موصولين كف ومعصم
وقالت فلما أفرغت في فؤاده * وعينيه منها السحر قلن له قم
فود بجدع الانف لو أن صحبه * تنادوا وقالوا في المناخ له نم
الاناة امامن وني وابدال الهمزة من الواو المفتوحة قليل كاحد وأجم في وجم أى سكت حزنا أو من أنى أى تأنى وقوله فجاء كخوط البان أى المرمى حين أقبل أقبل في وقار وتؤدة شابا ناعما معتدل القامة كالخوط بضم الخاء أى الغصن والمتتابع المتسرع نحماقة والمأتم الجمع من النساء في خير أو شر وقال أبو الشيص الخزاعى
وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم
* أجد الملامة في هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمنى اللوم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم * اذ كان حظى منك حظى منهم
وأهنتنى فأهنت نفسي صاغرا * ما من يهون عليك ممن يكرم
المحب يستطيب اللوم والعذل لما فيه من ذكر الحبيب كما قال وقال آخر

أصفى

أصغي الى قول العذول بجملتي * مستفهما عنكم بغير ملال
لتلقطي زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

وخالف ذلك المتنبي حيث يقول

أأحبه وأحب فيه ملامة * ان الملامة فيه من أعدائه

وقال آخر

ولا غرو إلا ما يخبر سالم * بأن بني استاهها نذروا دمي
ومالي من ذنب اليهم علمته * سوى انني قد قلت يا سرحة اسلمي
نعم فاسلمي ثم اسلمي ثمت أسلمي * ثلاث تحيات وان لم تكلم

لا غرو الا ما يخبر أي لا عجب الا الاخبار والسرحة واحدة السرح وهو من الشجر ما لا شوك له ويقابله العضه كنى بالسرحة عن المرأة وقال زياد بن جمل أو ابن منقذ التميمي وكان قد أتى اليمن واشتاق بلاده

لا حبذا أنت يا صنعاء من بلد * ولا شعوب هوى مني ولا نقم
ولن أحب بلادا قد رأيت بها * عنسا ولا بلدا حلت به قدم
اذا سقى الله أرضا صوب غادية * فلا سقاهن الا النار تضطرم
وحبذا حين تمسي الريح باردة * وادي أشي وفتيان به هضم
الواسعون اذا ما جر غيرهم * على العشيرة والكافون ما جرموا
والمطعمون اذا هبت شآمية * وبا كر الحي من صرادها صرم
وشتوة فللوا أنياب لزبتها * عنهم اذا كلحت أنيابها الازم
حتى انجلى حدها عنهم وجارهم * بنجوة من حذار الشر معتصم
هم البحور عطاء حين تسألهم * وفي اللقاء اذا تلقى بهم بهم
وهم اذا الخيل جالوا في كواثبها * فوارس الخيل لا ميل ولا قزم
لم ألق بعدهم حيا فأخبرهم * إلا يزيدهم حبا الى هم
كم فيهم من فتى حلو شمائله * جم الرماد اذا ما أخمد البرم
تحب زوجات أقوام حلائله * اذا الانوف امترى مكنونها الشبم
ترى الارامل والهلاك تتبعه * يستن منه عليهم وابل رذم
كأن أصحابه بالقفر يمطرهم * من مستحير غزير صوبه ديم
غمر الندى لا يبيت الحق يثمده * الا غدا وهو سامي الطرف يبتسم

الى المكارم يبنيها و يعمرها * حتى ينال أموراً دونها قحم
تسقى به كل مرباع مودعة * عرفاء يشتو عليها تامك سنم
ترى الجفان من الشيزى مكللة * قدامه زانها التشريف والكرم
ينوبها الناس أفواجا اذا نهلوا * علوا كما عل بعد النهلة النعم
زارت رويقة شعثا بعدما هجعوا * لدى نواحل فى ارساغها الخدم
وقمت للزور مرتاعا فأرقنى * فقلت أهى سرت أم عادنى حلم
وكان عهدى بها والمشى يبهظها * من القريب ومنها النوم والسأم
وبالتكاليف تأتى بيت جارتها * تمشى الهوينا وما تبدو لها قدم
سود ذوائبها بيض ترائبها * درم مرافقها فى خلقها عمم
* رويقانى وماج الحجيج له * وما أهل بجنبى نخلة الحرم
لم ينسنى ذكركم مذ لم ألاقكم * عيش سلوت به عنكم ولا قدم
ولم تشاركك عندى بعد غانية * لا والذى أصبحت عندى له نعم
متى أمر على الشقراء معتسفا * خل النقا بمروح لحمها زيم
والوشم قد خرجت منه وقابلها * من الثنايا التى لم أقلها ثرم
ياليت شعرى عن جنبى مكسحة * وحيث تبنى من الحناءة الاطم
عن الاشاءة هل زالت مخارمها * وهل تغير من آرامها الارم
وجنة ما يذم الدهر حاضرها * جبارها بالندى والحمل محتزم
فيها عقائل أمثال الدمى خرد * لم يغذهن شقا عيش ولا يتم
يمشى بهن كرام ما يذمهم * جار غريب ولم يؤذى لهم حشم
مخدمون ثقال فى مجالسهم * وفى الرحال اذا صاحبتهم خدم
بل ليت شعرى متى أغدو تعارضنى * جرداء سابحة أو سابح قدم
نحو الاميلح أو سمنان مبتكرا * بفتية فيهم المرار والحكم
ليست عليهم اذ يغدون أردية * الا جياد قسى النبع واللجم
من غير عدم ولكن من تبذلهم * للصيد حين يصيح القانص اللحم
فيفزعون الى جرد مسومة * أفنى دوابرهن الركض ولاكم
يرضخن صم الحصى فى كل هاجرة * كما تطايح عن مرضاخه العجم
يغدو أمامهم فى كل مربأة * طلاع أنجدة فى كشحه هضم

المغوب وتقسم بضمتين موضعان تقول للشئ هو منى هوى أى محبوب وعنس وقدم بفتحتين حيان من أحياء اليمن من الاول الاسود العنسى الكذاب الذى تنبأ على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وكان ساحر المنطق وقتله فيروز الديلمى وهضم جمع هضوم أى يهضمون المال فى وجوه الخير والصراد كرمان السحاب لا ماء فيه والصرم جمع صرمة بكسر فسكون الجملة من الابل واستعيرها هنا الازبة السنة المجدبة وقلوا أنيابها أزالوا شدائدها من تفليل حد السيف أى احداث الفلول به والا ٓزم جمع أزوم والازوم الامساك على الشئ بالاسنان وكواثب الخيل جمع كاثبة أعالى ظهورها واذا الخيل حالوا فى كواثبها من تراكيب الاشتغال أى اذا قصدوا الخيل والقذم بفتحتين أراذل الناس وقوله الايريدهم حبا الى هم أى الا يريدون أنفسهم حبا الى لا برارهم على غيرهم وضع الضمير المنفصل موضع المتصل والبرم اللئيم البخيل على وزن الشيم بفتح أوله وهو البرد والعرفاء التى طال وبرها حتى صار لها مثل العرف والجبار النخل الطويل والارم العلم وزنا ومعنى والحناءة نوع رمل يستعمل فى بناء الاطم بضمتين وهى الحصون والقصور وقال عمرو ضبيعة الرقاشى

تضيق جفون العين عن عبراتها * فتسفحها بعد التجلد والصبر
وغصة صدر أظهرتها فرفهت * حزازة حر فى الجوانح والصدر
ألا ليقل من شاء ما شاء انما * يلام الفتى فيما استطاع من الامر
قضى الله حب المالكية فاصطبر * عليه فقد تجرى الامور على قدر

وقال جميل

بثينة ما فيها اذا ما تبصرت * معاب ولا فيها اذا نسبت أشب
لها النظرة الاولى عليهم وبسطة * وان كرت الابصار كان لها العقب
اذا ابتذلت لم يزرها ترك زينة * وفيها اذا ازدانت لذى نيقة حسب

ذلك المختار من باب النسيب وهاك أشياء من باب الهجاء وهو من هجاه يهجوه اذا رماه بالمعايب فى أعماله أو أعمال أسلافه قال موسى بن جابر الحنفى

كانت حنيفة لا أبا لك مرة * عند اللقاء أسنة لا تنكل
فرأت حنيفة ما رأت أشياءها * والريح أحيانا كذاك تحول

وقال قراد بن حنش الصاردى

لقومى أدعى للعلى من عصابة * من الناس يا حار بن عمرو تسودها

وأنتم سماء يعجب الناس رزها * بآبدة تنحى شديد وئيدها
تقطع أطناب البيوت بحاصب * وأكذب شئ برقها ورعودها
فويل امها خيلا بهاء وشارة * اذا لاقت الاعداء لولا صدودها

الرز بالكسر الصوت تسمعه من بعيد والباء في بآبدة بمعنى مع والآبدة الداهية ... من انحى أي اعتمد والحاصب الريح تأتي بالحصباء أي الحصى اشد تهاملهم وايهامهم بما يظهر منه بسحاب له برق ورعد مصحوب بريح شديدة ثم لا يمطر شيئا ...

وقال طرفة بن العبد

فرق عن بيتيك سعد بن مالك * وعوفا وعمرا ما تشي وتقول
وأنت على الادنى شمال عرية * شآمية تزوي الوجوه بليل
وأنت على الاقصى صبا غير قرة * تذاءب منها مرزغ ومسيل
وأعلم علما ليس بالظن انه * اذا ذل مولى المرء فهو ذليل
وان لسان المرء ما لم تكن له * حصاة على عوراته لدليل

أراد بالبيتين العصبة وذوي الارحام وقصد تخليصه بالهجاء واخراجهم من شرف أهله بسوء عمله ومرزغ ومسيل أي ذات رزغة وهي الوحل وسيل وقال قعنب بن ضمرة

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * مني وما سمعوا من صالح دفنوا
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بشر عندهم أذنوا
جهلا علينا وجبنا عن عدوهم * لبئست الخلتان الجهل والجبن

ولبعضهم زيادة في هذا المعنى

ان يعلموا الخير أخفوه وان علموا * شرا أذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

وقال محرز بن المكعبر الضبي لبني عدي بن جندب بن العنبر

أبلغ عديا حيث صارت بها النوى * وليس لدهر الطالبين فناء
كسالى اذا لاقيتهم غير منطق * يلهى به المتبول وهو عناء
أخبر من لاقيت أن قد وفيتم * ولو شئت قال المنبئون أساؤا
لهم زئبة تعلو صريعة أمرهم * وللامر يوما راحة فقضاء
واني لراجيكم على بطء سعيكم * كما في بطون الحاملات رجاء
فهلا سعيتم سعي عصبة مازن * وهل كفلائي في الوفاء سواء
لهم أذرع باد نواشر لحمها * وبعض الرجال في الحروب غثاء

كأن دنانيرا على قسماتهم * وان كان قد شف الوجوه لقاء

وقال سويد بن مشنوء

دعي عنك مسعودا فلا تذكرنه * الى سوء واعرضي لسبيل
تهيتك عنه في الزمان الذي مضى * ولا ينتهي الغاوي لأول قيل

وقال رجل من طيء

ان امرأ يعطي الاسنة نحره * وراء قريش لا أعدله عقلا
يذمون لي الدنيا وقد ذهبوا بها * فما تركوا فيها لملتمس نعلا

يعني الامراء في خطبهم والنعل بفتح أوله أو ضمه خلف صغير زائد في اخلاف الحلوبة وقال أبو الاسد عصري أبو تمام في الحسن بن رجاء بن ابي الضحاك ولابي تمام فيه مديح

فلا نظرن الى الجبال وأهلها * والى منابرها بطرف أخزر *
* مازلت تركب كل شئ قائم * حتى اجترأت على ركوب المنبر

الجبال ناحية كان الحسن المذكور يلي امارتها والنظر بطرف أخزر أي ينظر من مؤخره هو نظر الاحتقار ونزل بالراعي النميري رجل من بني كلاب في ركب معه ليلا في سنة مجدبة وقد عزبت عن الراعي ابله فنحر لهم ناقة من رواحلهم وصبحت الراعي ابله فأعطى رب الناب نابا مثلها وزاده ناقة ثنية فقال

عجبت من السارين والريح قرة * الى ضوء نار بين فردة فالرحا
الى ضوء نار يشتوي القد أهلها * وقد يكرم الاضياف والقد يشتوى
فلما أتونا فاشتكينا اليهم * بكوا وكلا الحيين مما به بكى *
بكى معوز من أن يلام وطارق * يشد من الجوع الازار على الحشا
فألطفت عيني هل أرى من سمينة * ووطأت نفسي للغرامة والقرى
فأبصرتها كوماء ذات عريكة * هجانا من اللاتي تمتعن بالصوى
* فأومأت ايماء خفيا لحبتر * ولله عينا حبتر أيما فتى
وقلت له الصق بأيبس ساقها * فان يجبر العرقوب لا يرقأ النسا
* فأعجبني من حبتر أن حبترا * مضى غير منكوب ومنصله انتضى
كأني وقد أشبعتهم من سنامها * جلوت غطاء عن فؤادي فانجلى
فبتنا وباتت قدرنا ذات هزة * لنا قبل ما فيها شواء ومصطلى
* وأصبح راعينا بريمة عندنا * بستين أبقتها الاخلة والخلا

فقلت لرب الناب خذها ثنية * وناب علينا مثل نابك في الحيا

القرة بفتح القاف الباردة وفردة بفتح أوّله والرحاء وضعان قصد تعيين منزله والقد الجلد والانسان اذا جاع يأكل كل مالان والعريكة السنام والصوى جمع صوة بضم الصاد الارض الغليظة ويروى الصوى مصدر صوى كفرح أى خلا الضرع من اللبن وتمنع الناقة به انها الاتحلب فهى حائل تربى لحمها وشحمها وقوله الصق نابيس ساقها معناه بالغ فى القطع ايسيل دمها من مسيل لا ينقطع سيلانه حتى يفنى الدم وهو الانسا ورقأ الدم والدمع انقطع والاخلة جمع خلال جمع خلة نوع من النبات والخلال رطبه ويروى الاجلة بالجيم جمع جلال وهو الغطاء وأراد حينئذ أن حفظها من البرد بالوقاء ورعيها أبقياها أو انقياها أى اكثرا فيها النقى وهو مخ العظام وهما روايتان والحيا المطر يسمى به النبات مجازا للسببية ويتجوز عن النبات للشحم فهو مجاز عن مجاز فقال الحلال ابن أرقم الملقب بالخنزر النميرى

بنى قطن ما بال ناقة ضيفكم * تعشون منها وهى ملقى قتودها
غدا ضيفكم يمشى وناقة رحله * على طنب الفقماء ملقى قديدها
وبات الكلابى الذى يبتغى القرى * بليلة نحس غاب عنها سعودها
أمن ينقص الأضياف أكرم عادة * اذا نزل الاضياف أم من يزيدها
كأنكم ان قمتم تنحرونها * براذين مشدود عليها لبودها
فما فتح الاقوام من باب سوأة * بنى قطن الا وأنتم شهودها

تعشون اى تتعشون حذفت منه تاء والقتود عدة الجمل والفقماء زوجة الراعى وأصل الفقم خروج الثنايا السفلى حتى لا تقع عليها العليا والقديد اللحم يشرح ليجفف وكان ينشر على أطناب البيوت وهى الحبال التى تشد بها ولا حق لهذا الهاجى فى هجائه بعد ما صنع الراعى ولذلك أجابه عن فريته بقوله

ماذا نكرتم من قلوص نحرتها * بسيفى وضيفان الشتاء شهودها
فقد علموا أنى وفيت لربها * فراح على عنس بأخرى يقودها
قريت الكلابى الذى يبتغى القرى * وأمك اذ تحدى اليناء قعودها
رفعنا لها نارا تثقب للقرى * ولقحة أضياف طويلا ركودها
اذا أخليت عود الهشيمة أرزمت * جوانبها حتى تبيت تذودها
اذا نصبت للطارقين حسبتها * نعامة حزباء تقاصر جيدها

تبيت المحال الغر في حجراتها * شكاري مراها ماؤها وحديدها
بعثنا اليها المنزلين فحاولا * لكي ينزلاها وهي حام حيودها
فباتت تعد النجم في مستحيرة * سريع بأيدي الآكلين جمودها
فلما قريناها العكيس تملأت * مذاخرها وارفض رشحا وريدها
ولما قضت من ذي الاناء لبانة * أرادت الينا حاجة لانريدها

نكر الشيء وأنكره نفر منه واستقبحه والعنس بفتح أوله الناقة الصلبة وأثقاب النار وتذكيتها اذ كؤها ومابه الاثقاب ثقوب كوقود بفتح أولهما وأراد بلقحة الاضياف القدر استعارة رشحها بقوله اذا أخليت أي أعطيت الخلاء وارزام الناقة حنينها والمحال فقار الظهر الواحدة محالة وجعلها غرا لسمنها وشكاري جمع شكرى وهي في الاصل الضرع الممتلئة ولذلك قال مراها أي اعتصرها والخلاصة ان الماء بحرارته استخرج مافيها وقوله فباتت تعد النجم أي أملك باتت تنظر في مرق القدر وهو المراد بالمستحيرة من قولهم استحار الماء أي دار حتى ملأ قرارته وتعد النجم امامن العد الحسباني أو الحسابي فالاول يصف المرقة بالدسومة حتى تمثل فيها صورة النجوم والثاني يقول ان الثريا تمثلت في الاناء لكونها محاذية للرؤس اذ كان الوقت في وسط الشتاء والعكيس لبن يصب عليه مرق وتملأت مذاخرها أي المواضع التي تدخر فيها الاغذية ووصفها بغاية الشره حيث تملأت جدا حتى تصبب عرقها وذلك في قوله وارفض رشحا وريدها وقوله ولما قضت من ذي الاناء لبانة أي ولما شبعت فوق كفايتها فان اللبانة بعد الحاجة الاصلية اغتلمت وطوى ذلك في قوله أرادت الينا حاجة لانريدها يقال أراد اليه وطلب اليه كذا والحيود جمع حيد بفتح أوله المراد منها هنا الجوانب وقال رجل من أسد

دببت للمجد والساعون قد بلغوا * جهد النفوس وألقوا دونه الازرا
وكابروا المجد حتى مل اكثرهم * وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لاتحسب المجد تمرا أنت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وقال آخر

ومستعجل بالحرب والسلم حظه * فلما استثيرت كل عنها محافره
وحارب فيها بامرئ حين شمرت * من القوم معجاز لئيم مكاسره
فأعطى الذي يعطي الذليل ولم يكن * له سعي صدق قدمته اكابره

وقال آخر

كاثر بسعد إن سعدا كثيرة * ولا تبغ من سعد وفاء ولا نصرا
ولا تدع سعدا للقراع وخلها * اذا أمنت ونهتها البلد القفرا
يروعك من سعد بن عمرو جسومها * وتزهد فيها حين تقتلها خبرا

وقال آخر

أعاريب ذوو فخر بإفك * وألسنة لطاف في المقال
رضوا بصفات ما عدموه جهلا * وحسن القول من حسن الفعال

أي ورضوا بحسن القول بدل حسن الفعال وقال آخر

هجوت الأدعياء فناصبتني * معاشر خلتها عربا صحاحا
فقلت لهم وقد نبحوا طويلا * على فلم أجب لهم نباحا
أمنهم أنتم فأكف عنكم * وأدفع عنكم الشتم الصراحا
والا فاجحدوا رأيي فاني * سأنفي عنكم التهم القباحا
وحسبك تهمة ببرىء قوم * يضم على أخي سقم جناحا

وقال فرعان بن الاعرف في ابنه منازل

جزت رحم بيني وبين منازل * جزاء كما يستنزل الدين طالبه
لربيته حتى اذا آض شيظما * يكاد يساوي غارب الفحل غاربه
فلما رآني أبصر الشخص أشخصا * قريبا وذا الشخص البعيد أقاربه
تعمد حقي ظالما ولوى يدي * لوى يده الله الذي هو غالبه
وكان له عندي اذا جاع أو بكى * من الزاد أحلى زادنا وأطايبه
وربيته حتى اذا ما تركته * أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
وجمعتها دهما جلادا كأنها * أشاء نخيل لم تقطع جوانبه
فأخرجني منها سليبا كأنني * حسام يمان فارقته مضاربه
أإن أرعشت كفا أبيك وأصبحت * يداك يدي ليث فانك ضاربه

انتهى المنقول من باب الهجاء ودونك ما يستحسن من باب الاضياف والمديح قال مرة ابن محكان التميمي

ياربة البيت قومي غير صاغرة * ضمي اليك رحال القوم والقربا
في ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة * حتى يلف على خيشومه الذنبا

ماذا

ماذا ترين أندنيهم لارحلنا * فى جانب البيت أم نبنى لهم قببا
لمرمل الزاد معنى بحاجته * من كان يكره ذما أو يتقى حسبا
وقمت مستبطنا سيفى فاعرض لى * مثل المجادل كوم بركت عصبا
فصادف السيف منها ساق متلية * جلس فصادف منه ساقها عطبا
زيافة بنت زياف مذكرة * لما نعوها لراعى سرحنا انتحبا
* أمطيت جازرنا أعلى سناسنها * فصار جازرنا من فوقها قتبا
ينشنش اللحم عنها وهى باركة * كما تنشنش كفا قاتل سلبا
وقلت لما غدوا أوصى قعيدتنا * غدى بنيك فلن تلقيهم حقبا
أدعى أباهم ولم اقرف بأمهم * وقد عمرت ولم أعرف لهم نسبا
أنا ابن محكان أخوالى بنو مطر * أنمى اليهم وكانوا معشرا نجبا

وقال أبو زياد الاعرابى الكلابى

له نار تشب على يفاع * اذا النيران ألبست القناعا
ولم يك أكثر الفتيان مالا * ولكن كان أرحبهم ذراعا

اليفاع المرتفع من الارض وكان من عادتهم ايقاد النار على رؤس المرتفعات ليبصرها الساري فيقصدها وقال آخر

سأشكر عمرا ان تراخت منيتى * أيادى لم تمنن وان هى جلت *
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتى من حيث يخفى مكانها * فكانت قذى عينيه حتى تجلت

وقال آخر

تركت ضأنى تود الذئب راعيها * وانها لاترانى آخر الابد *
الذئب يطرقها فى الدهر واحدة * وكل يوم ترانى مدية بيدى

وقال العرندس

هينون لينون ايسار ذوو كرم * سوّاس مكرمة أبناء ايسار
ان يسألوا الحق يعطوه وان خبروا * فى الجهد أدرك منهم طيب اخبار
وان تودّدتهم لانوا وان شهموا * كشفت اذمار شر غير اشرار
فيهم ومنهم يعد المجد متلدا * ولا يعد تنا خزى ولا عار *
لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا * ولا يمارون ان ماروا باكثار

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التي يسري بها الساري

شهموا بالبناء للمجهول من شهم كمنع أي حرك للشر وأفزع وقال آخر

رهنت يدي بالعجز عن شكر بره * وما فوق شكري للشكور مزيد
ولو كان شيئا يستطاع استطعته * ولكن ما لا يستطاع شديد

وقال الحسين بن مطير الاسدي

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس أنعم *
فيمطر يوم الجود من كفه الندى * ويمطر يوم البأس من كفه الدم
ولو أن يوم البأس خلى عقابه * على الناس لم يصبح على الارض مجرم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * على الناس لم يصبح على الارض معدم

وقالت ليلى الاخيلية

يا أيها السدم الملوي رأسه * ليقود من أهل الحجاز بريما
أتريد عمرو بن الخليع ودونه * كعب اذا لوجدته مرؤوما
ان الخليع ورهطه في عامر * كالقلب ألبس جؤجؤا وحزيما
لا تغزون الدهر آل مطرف * لا ظالما أبدا ولا مظلوما
ومخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى اذا رفع اللواء رأيته * تحت اللواء على الخميس زعيما

السدم النادم أو اللجوج أو هو مستعار من فحل الابل الممنوع ناحية عن الدخول في الابل فهو يهدر وحده والملوي رأسه المتكبر جهلا والبريم أصله حبل يفتل من قوى مختلفة الالوان مستعار للجيش من الاخلاط وقالت وقيل هي لابيها

نحن الاخايل لا يزال غلامنا * حتى يدب على العصا مذكورا
تبكي السيوف اذا فقدن اكفنا * جزعا وتعلمنا الرفاق بحورا *
ولنحن أوثق في صدور نسائكم * منكم اذا بكر الصراخ بكورا

وقال آخر

اذا انتدى واحتبى بالسيف دان له * شوس الرجال خضوع الجرب للطالي
كأنما الطير منهم فوق هامهم * لا خوف ظلم ولكن خوف اجلال

وقال العجير السلولي

أقول لعبد الله وهنا وردوننا * مناخ المطايا من منى فالمحصب

* لك الخير علنا بها على ساعة * تمر وسهواء من الليل يذهب
فقام فأدنى من وسادى وساده * طوى البطن ممشوق الذراعين شرجب
بعيد من الشئ القليل احتفاظه * عليك ومنزور الرضا حين يغضب
هو الظفر الميمون ان راح أو غدا * به الركب والتلعابة المتحبب

أول الشعر غزل فانه أراد بضمير ودونا نفسه وحبيبته والكناية فى قوله لك الخير علنا بها عن حبيبته وسهواء من الليل ويروى وتهواء بكسر التاء أى جانب منه والشرجب الطويل والاحتفاظ الغضب أى لا يغضب عليك غضب السفهاء من الشئ الذى لا خطر له فان جاء موضع الغضب فهو قليل الرضا فبقية الشعر مدح لصاحبه عبد الله وقال حجر بن خالد يمدح النعمان بن المنذر

سمعت بفعل الفاعلين فلم أجد * كمثل أبى قابوس حزما ونائلا
فساق الهى الغيث من كل بلدة * اليك فأضحى حول بيتك نازلا
فاصبح منه كل واد حللته * من الارض مسفوح المذانب سائلا
متى تنع ينع الجود والبأس والتقى * وتصبح قلوص الحرب جرباء حائلا
فلا ملك ما يدركنك سعيه * ولا سوقة ما يمدحنك باطلا

وقال آخر

* ومستنبح بعد الهدوء دعوته * بشقراء مثل الفجر ذاك وقودها
فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * بموقد نار محمد من يرودها *
نصبنا له جوفاء ذات ضبابة * من الدهم مبطانا طويلا ركودها
فان شئت أثويناك فى الحى مكرما * وان شئت بلغناك أرضا تريدها

وقال آخر

ومستنبح تهوى مساقط رأسه * الى كل شخص فهو للسمع أصور
يصفقه أنف من الريح بارد * ونكباء ليل من جمادى وصرصر
حبيب الى كلب الكريم مناخه * بغيض الى الكوماء والكلب أبصر
حضأت له نارى فأبصر ضوءها * وما كاد لولا حضأة النار يبصر
دعته بغير اسم هلم الى القرى * فأسرى يبوع الارض والنار تزهر
فلما أضاءت شخصه قلت مرحبا * هلم وللصالين بالنار ابشروا
* فجاء ومحمود القرى يستفزه * اليها وداعى الليل بالصبح يصفر

تأخرت حتى لم تكد تصطفى القرى * على أهله والحق لا يتأخر *
وقت بنصل السيف والبرك هاجد * بهاذره والموت فى السيف ينظر
فاعضضته الطولى سناما وخيرها * بلاء وخير الخير ما يتخير *
فاوفض عنها وهى ترغو حشاشة * بذى نفسها والسيف عريان أحمر
فباتت رحاب جونة من لحامها * وفوها بما فى جوفها يتغرغر

مساقط الرأس ميلاته فهو مصدر الى كل شخص أى شئ قائم يرجره انسانا او السبع النعم وهو له أصور أى مائل الرأس لاجله وصفقه أنف الريح أى ضربه اوله وحف أالنار أذ كاها فرفعها والبهاذر السمان الواحد بهذرة أو بهذورة أو بهذار وأوفض عنها تفرقن والحشاشة بقية النفس نصب تمييزا وعريان غير مصروف ضرورة وقال عمرو بن الاهتم

* ذريني فان الشح يا أم هيثم * لصالح أخلاق الرجال سروق
ذريني وحطى فى هواى فانني * على الحسب الزاكى الرفيع شفيق
ذريني فانى ذو فعال تهمني * نوائب يغشى رزؤها وحقوق
* وكل كريم يتقى الذم بالقرى * وللحق بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

الصاحب يحط رحله حيث يحط صاحبه فهو موافق غير مفارق استعير للموافقة وقال عروة بن الورد

إنى أمرؤ عافى انائى شركة * وأنت امرؤ عافى انائك واحد
أتهزأ منى أن سمنت وأن ترى * بوجهى شحوب الحق والحق جاهد
اقسم جسمى فى جسوم كثيرة * وأحسو قراح الماء والماء بارد

العفاة طلاب المعروف وقال آخر

أجلك قوم حين صرت الى الغنى * وكل غنى فى القلوب جليل
وليس الغنى الا غنى زين الفتى * عشية يقرى أو غداة ينيل

وقال آخر

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسى له * أكيلا فانى لست آكله وحدى
أخا طارقا أو جار بيت فاننى * أخاف مذمات الاحاديث من بعدى

وانى

وا‍ ‍‍ـبد الضـيف مادام ثاويا * ومافى الا تلك من شيمة العبـد
آخر
وليس فتى الفتيان من جل همه * صبوح وان أمسى ففضل غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح أوغدا * لضر عـدو أو لنفع صـديق
وقال حسان بن حنظلة الطائى
تلك ابنـة العدوى قالت باطـلا * أزرى بقومك قـلة الاموال
* إنا لعـمر أبيك يحمد ضيفنا * ويسود مقـترنا على الاقـلال
وأنا امرؤ من آل حيـة منصـبى * وبنو جوين فاسألى أخـوالى
واذا دعوت بنى جـديلة جاءنى * مرد عـلى جرد المتون طوال *
* أحلامنا تزن الجبال رزانة * ويزيد جاهلنا على الجهـال
وقال النمرى ويقال انها لرجل من باهلة
وداع دعا بعد الهدوء كأنمـا * يقـاتل أهوال السرى وتقاتله
فلما سمعت الصوت ناديت نحوه * بصوت كريم الجـد حلو شمـائله
فابرزت نارى ثم أثقبت ضوءها * وأخرجت كلبى وهو فى البيت داخله
فلما رآنى كبر الله وحـده * وبشر قلبـا كان جمـا بلابـله
فقلت له أهـلا وسهلا ومرحـبا * رشدت ولم أقعد اليـه أسـائله
* وقمت الى برك هجـان أعده * لوجبـة حق نازل أنا فاعـله
بأبيض خطت نعله حيث أدركت * من الارض لم تخطل على حمائله
* فجـال قليلا واتقـانى بخيره * سـناما وأملاه من الني كاهـله
بقرم هجـان مصعب كان فحلها * طويل القرى لم يعد أن شق بازله
فخر وظيف القرم فى نصف ساقه * وذاك عقـال لا ينشط عاقـله
* بذلك أوصـانى أبى وبمثله * كذلك أوصـاه قديمـا أوائله
مثل هذا لكونه مدح المرء نفسه أفرده الناس بعد باسم الفخر فيقولون فى تمييز الشعر
قال يمدح وقال يفتخر وقال حاتم
وعاذلة قامت عـلى تـلومـنى * كأنى اذا أعطيت مالى أضيمها
أعاذل ان الجـود ليس بمهلكى * ولا مخلد النفس الشحيحة لومها
وتذكر أخـلاق الفتى وعظـامه * مغيبة فى اللحـد بال رميمهـا

ومن يتدع ما ليس من خيم نفسه * يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وقال

أكف يدي عن ان ينال التماسها * أكف صحابي حين حاجاتنا معا
أبيت هضيم الكشح مضطمر الحشا * من الجوع أخشى الذم أن أتضلعا
واني لاستحي رفيقي ان يرى * مكان يدي من جانب الزاد أقرعا
وانك مهما تعط بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وقال جويه بن النضر

قالت طريفة ماتبقى دراهمنا * وما بنا سرف فيها ولا خرق
انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا * ظلت الى طرق المعروف تستبق
ما يألف الدرهم الصباح صرتنا * لكن يمر عليها وهو منطلق
حتى يصير الى نذل يخلده * يكاد من صره اياه ينمزق

باب المدح أوسع أبواب الشعر وكفى هذا القدر من مدائح الحماسة ودونك مثال ما يسمى من الشعر بالصفات وذلك لانه يذكر شيئا فيأخذ في متابعة أوصافه قال البعيث الحنفي يصف ناقة

وهاجرة يشوي مهاها سمومها * طبخت بها عيرانة واشتويتها
مفرجة منفوجة حضرمية * مساندة سر الهساري انتقيتها
فطرت بها شجعاء قرواء جرشعا * اذا عد مجد العيس قدم بيتها
وجدت أباها راضها وأمها * فاعطيت فيها الحكم حتى حويتها

وقال عنترة بن الاخرس يصف ثعبانا

لعلك تنفي من أراقم أرضنا * بأرقم يسقي السم من كل منطف
تراه باجواز الهشيم كأنما * على متنه أخلاق برد مفوف
كأن بضاحي جلده وسراته * ومجمع ليتيه تهاويل زخرف
كأن مثني نسعة تحت حلقه * بما قد طوى من جلده المتغضف
اذا أنسل الحيات بالصيف لم يزل * يشاعر باقي جلدة لم تقرف

من استعمال جملة الرجاء في الدعاء ما في صدر هذا الشعر دعا عليه بان يغذرله ويدهاه بأرقم أو برجل يشبه ثعبانا هذه صفته وتغضف الجلد تثنيه واستعار الانسال الذي هو سقوط ريش الطائر لسلخ الحية فانه يقال سلخت الحية اذا خلعت ثوبها وأنسل الطائر

اذا

سقط ريشه ويشاء ريمن لبس الشعار وهو الثوب الذي يلي البدن وأراد بالجلبة أيه ولم يقرف ولم ينقشر يصفه بصلابة جلده وقال ملحة الجرمي يصف سحابا

أرقت وطال الليل للبارق الومض * حبيا سرى مجتاب أرض الى أرض

نشاوى من الادلاج كدرى مزنه * يقضى بجذب الارض مالم يكد يقضى

تحن بأجواز الفلا قطراته * كما حن نيب بعضهن الى بعض *

كأن الشماريخ العلى من صبيره * شماريخ من لبنان بالطول والعرض

يبارى الرياح الحضرميات مزنه * بمنهمر الارواق ذى قزع رفض

يغادر محض الماء ذوهو محضه * على أثره ان كان للماء من محض

يروى العروق الهامدات من البلى * من العرفج النجدى ذو باد والحمض

وبات الحبى الجون ينهض مقدما * كنهض المدانى قيده الموعث النقض

البارق ذو البرق وهو عامل الحال من قوله حبيا واجتاب الارض وجابها قطعها بالسير ونشاوى من الادلاج مستعار لقطع السحاب المتمايلة لثقلها بكثرة مائها والكدرى أصله من صفة القطا استعاره لما فى لونه كدرة من المزن الصبير السحاب الابيض والحبى الجون السحاب الاسود أو الابيض الذى يشبه سيره لثقله حبو الصبي ولذلك ينهض كما ينهض البعير المقارب قيده الذى يسير فى الوعثاء وهو الرمل الذى تسوخ فيه الاقدام النقض المزيل الضعف هذا ما أورد أبو تمام فى باب الصفات من الحماسة وهذا النوع كثير يقولون فى تمييزه من دواوين الشعر قال يصف كذا ان كان الكلام مسوقا للصفة وقال ووصف فى هكذا كالاسد والذئب ان كانت القصيدة فى نوع من أنواع المعانى واستطرد فيها بصفة ما وصف ثم عقبه بذكر بعض ما قيل فى السير والنعاس قال بعضهم

وفتيان بنيت لهم ردائى * على أسيافنا وعلى القسى

فظلوا الاذنين به وظلت * مطاياهم ضوارب باللحى

فلما صار نصف الليل هنا * وهنا نصفه قسم السوى

دعوت فتى أجاب فتى دعاه * بلبيه أشم شمردلى *

فقام يصارع البردين لدنا * يقوت العين من نوم شهى

فقاموا يرحلون منفهات * كأن عيونها نزح الركى

وقال حندج بن حندج المرى

فى ليل صول تناهى العرض والطول * كأنما ليله بالليل موصول

لا فارق الصبح كفي ان ظفرت به * وان بدت غرة منه وتحجيل
لساهر طال في صول تململه * كأنه حية بالسوط مقتول
متى أرى الصبح قد لاحت مخايله * والليل قد مزقت عنه السرابيل
ليل تحير ما ينحط في جهة * كأنه فوق متن الارض مشكول
نجومه ركد ليست بزائلة * كأنما هن في الجو القناديل
ما اقدر الله ان يدني على شحط * من داره الحزن ممن داره صول
الله يطوي بساط الارض بينهما * حتى يرى الربع منه وهو مأهول

وقال حميد الارقط ووصف فيها الصقر عند ما جاء به التشبيه وتلك عادتهم واقتدى بهم الشعراء

قد اغتدى والصبح محمر الطرر * والليل يحدوه تباشير السحر
وفي تواليه نجوم كالشرر * بشحق المبعة ميال العذر
* كأنه يوم الرهان المحتضر * وقد بدا أول شخص ينتظر
* دون اثاني من الخيل زمر * ضار غداينفض صئبان المطر
عن زف ملحاح بعيد المنكدر * أفني تظل طيره على حذر
يلذن منه تحت أفنان الشجر * من صادق الودق طروح بالبصر
بعيد توهيم الوقاع والنظر * كأنما عيناه في حرفي حجر *
بين ماقي لم تخرق بالابر

طرر الشيء حافاته وشحق المبعة أي بعيد النشاط فهو لا يفني عن قرب ويروى مشعل المبعة أي ملتهبها والعذر خصل الشعر في نواحي الرأس والاثاني الجماعات لا واحد له وقيل هو جمع أثبية كأمنية والضاري الجري وصيبان المطر بفتح الصاد صبائبه أو هو صئبان بكسر الصاد والهمز بعدها جمع صؤاب على التشبيه والمنكدر المهوي ومن صادق الودق أي صادق الهبوط بدل من قوله منه وبعيد توهيم الوقاع والنظر أي هو لا يلحقه وهم في نظره ولا وقوعه وقوله لم تخرق بالابر أي هو على وحشيته لم يأخذه الناس والصقر اذا أخذ خيطت عيناه أي خيطتا للأنس انتهى ما اخترت اثباته من هذا الباب وهاك طرفا من باب الملح وأراد أرتسام بالملح الاشعار الهزلية المستطرفة قال بعضهم

يقول لي الامير بغير جرم * تقدم حين جد بنا المراس

فمالي ان أطعتك من حياة * ومالي غير هذا الرأس راس

وقالت امرأة

فقدت الشيوخ وأشياعهم * وذلك من بعض أقواليه
ترى زوجة الشيخ مغمومة * وتمسي لصحبته قاليه *
* فلا بارك الله في عرده * ولا في غضون استه الباليه
* وان دمشق وفتيانها * أحب الينا من الجاليه
نكحت المديني اذ جاءني * فيالك من نكحة غاليه
له ذفر كصنان التيو * س أعيا على المسك والغاليه

وقال أبو الخندق الاسدي وقيل انه لدعبل

أعوذ بالله من ليل يقربني * الى مضاجعة كالدلك بالمسد
لقد لمست معراها فما وقعت * مما لمست يدي الا على وتد
في كل عضو لها قرن تصك به * جنب الضجيع فيضحي واهي الجسد

وقال عمر بن أبي ربيعة

خبروها بانني قد تزوجت فظلت تكاتم الغيظ سرا
* ثم قالت لاختها ولاخرى * جزعا ليته تزوج عشرا
وأشارت الى نساء لديها * لاترى دونهن للسر سترا
ما لقلبي كأنه ليس مني * وعظامي كأن فيهن فترا
من حديث نمى الى فظيع * خلت في القلب من تلظيه جمرا

وقال آخر

جزى الله عنا ذات بعل تصدقت * على عزب حتى يكون له أهل
فانا سنجزيها بما فعلت بنا * اذا ما تزوجنا وليس لها بعل
أفيضوا على عزابكم بنسائكم * فما في كتاب الله أن يحرم الفضل

وقال آخر

وفيشة زين وليست فاضحه * نابله طورا وطورا رامحه *
على العدو والصديق جامحه * من لقيت فهي له مصافحه
تستدفرج القحبة المسافحه * مفسدة لابن العجوز الصالحه
كأنها صنجة ألف راجحه

وقال آخر

وفيشة ليست كهذي الفيش * قد ملئت من نزق وما يش
اذا بدت قلت أمير الجيش * من ذاقها يعرف طعم العيش

وقال آخر

لا أكتم الاسرار لكن أنمها * ولا أترك الاسرار تغلي على قلبي
وان قليل العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وأورد أبو تمام مقدمة النساء بباب جعله عاشر الابواب فيه قال بعضهم

دمشق خذيها واعلمي ان ليلة * تمر بعودي نعشها ليلة القدر
أكلت دما ان لم أرعك بضرة * بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

وقال آخر

سقى الله دارا فرق الدهر بيننا * وبينك فيها وابلا سائل القطر
* ولا ذكر الرحمن يوما وليلة * ملكتك فيها لم تكن ليلة البدر

وقال آخر في امرأة طلقها

رحلت أنيسة بالطلاق * وعتقت من رق الوثاق
* بانت فلم يألم لها * قلبي ولم تبك المآقي
* ودواء ما لا تشتهيه النفس تعجيل الفراق
لو لم أرح بفراقها * لارحت نفسي بالاباق
وخصيت نفسي لا أريد حليلة حتى التلاقي

وقال آخر

تمت عبيدة الا من محاسنها * والملح منها مكان الشمس والقمر
قل للذي عابها من عائب حنق * أقصر فرأس الذي قد عبت للحجر

وقال آخر

لا تنكحن عجوزا ان أتيت بها * واخلع ثيابك منها ممعنا هربا
وان أتوك وقالوا انها نصف * فان أمثل نصفيها الذي ذهبا

وقال آخر

وقطاء مدبابة يدي الكيد مضحكها * قدراً بالعرض والعينان بالطول
مسافة الفم ملتقى شدقيه نقرتها * كاد مشفرها قد طار من فيل
استانها

سنانها اضعفت فى خلفها عددا * مظهرات جميعا بالرواويل

الراوول كطاووس السنة الزائدة تنبت خلف الاصلية وقال آخر

ألا م على بغضى لما بين حية * وضبع وتمساح تغشاك من بحر
تحاكى نعيما زال فى قبح وجهها * وصفحتها المابدت سطوة الدهر
هى الضربان فى المفاصل خاليا * وشعبة برسام ضممت الى النحر
اذا سفرت كانت لعينك سخنة * وان برقعت فالفقر فى غاية الفقر
وان حدثت كانت جميع مصائب * موفرة تأتى بقاصمة الظهر
حديث كقلع الضرس أو نتف شارب * وغنج كحطم الانف عيل به صبرى
وتفتر عن قلح عدمت حديثها * وعن جبلى طى وعن هرمى مصر

وأنشد أبو عبيدة لأبى الغطمش الحنفى

منيت بزنمردة كالعصا * ألص وأخبث من كندش
تحب النساء وتأبى الرجا * ل وتمشى مع الاخبث الاطيش
لها وجه قرد إذا ازينت * ولون كبيض القطا الابرش
وثدى يجول على نحرها * كقربة ذى الثلة المعطش
لها ركب مثل ظلف الغزال * أشد اصفرارا من المشمش
وفخذان بينهما نفنف * يجيز المحامل لم تخدش
وساق مخلخلها حمشة * كساق الجرادة أو أحمش
كأن الثاآليل فى وجهها * اذا سفرت بدد الكشمش
لها جمة فوقها جثلة * كمثل الخوافى من المرعش

الزنمردة المرأة المتشبهة بالرجال أصلها فارسية من كلمتين زن وهى المرأة ومرد وهو الرجل وكندش قيل هو لص مشهور وقيل هو العقعق أو الفارة لكونهما يوصفان بالسرقة والركب منبت العانة ذلك وحيث كانت العزيمة على ان أورد هنا لك طرفا من جيد الشعر فى بعض طوال قصائد لفحول من الشعراء تعين كما اقتضاه الحال ان أقدم تعريفك بما يسميه أهل الادب فن القريض وسماه قدامة فى نقد الشعر لتعرف ما المراد بجيد الشعر ورديئه فتكون على بصيرة من ذلك قرأت لابى هلال العسكرى كتابه المشهور بالصناعتين فوجدته رتبه عشرة أبواب

الباب الاول فى تعريف البلاغة

وها أنا ذا ألخص لك منه ما تقع الكفاية به فى ذلك الغرض أما البلاغة والايجاز وما يقابله والبديع ففى ضمنه والقول فى المبادى والمقاطع مقدم ثم تمت لكل أريد لك نور بصيرة بما أثبت لك مرسوما استدل بها فى هذه الابواب قال فى باب البلاغة وبعد أن تكلم عليها وعلى الفصاحة بكلام ان انعمت فكرك بعدت الى أحسن منه وأضبط قد جاء عن الحكماء والعلماء فى البلاغة أقوال انا ذاكر معظمها قال اسحاق بن حسان لم يفسر أحد البلاغة تفسير ابن المقفع اذ قال البلاغة اسم جامع لمعان تجرى فى وجوه كثيرة فمنها ما يكون فى السكوت ومنها ما يكون فى الاستماع ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا ومنها ما يكون خطبا وربما كانت رسائل فعامة ما يكون من هذه الابواب فالوحى فيها والاشارة الى المعنى أبلغ والايجاز هو البلاغة فقوله منها ما يكون فى السكوت فالسكوت يسمى بلاغة مجازا وهو فى حالة لا ينجع فيها القول ولا تنفع اقامة الحجج اما عند جاهل لا يفهم الخطاب أو عند وضيع لا يرهب الجواب أو ظالم سليط يحكم بالهوى ولا يرتدع بكلمة التقوى واذا كان الكلام يعرى من الخير أو يجلب الشر فالسكوت أولى كما قال أبو العتاهية

ما كل نطق له جواب * جواب ما يكره السكوت

وقال معاوية لابن أوس ابغنى محدثا قال أو تحتاج معى الى محدث قال أستريح منك اليه وربما كان صمتك فى حال أوفق من كلامك وله وجه آخر وهو قولهم كل صامت ناطق من جهة الدلالة وذلك ان دلائل الصنعة فى جميع الاشياء واضحة والموعظة بها قائمة وقد قال الرقاشى سل الارض من شق أنهارك وغرس أشجارك

أشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا ولما مات الاسكندر وقف عليه بعض اليونانية فقال قد طالما وعظنا هذا الشخص بكلامه وهو اليوم الساكت الواعظ بسكوته وحقا انه في يومه هذا أوعظ فنظم هذا الكلام أبو العتاهية في قوله

وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وأحسن من هذا كله وأبلغ قول الله عز وجل وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقوله تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة معناه يدل على الله بصنعته وكأنه يسجد وان لم يسجد ولم يقر بذلك وقوله تبارك وتعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وقوله وربما كانت رسائل بعامة ما يكون من هذه الأبواب معناه وربما كانت كلاما مشتملا على الشعر والسجع والخطبة فالباء فيه للملابسة ثم أفرد الوحي والاشارة والايجاز بالثناء لظهور بداعتها وحسن موقعها من النفوس وحاصل كلام ابن المقفع ان لكل شئ موضعا يكون وضع غيره فيه اساءة وقال حكيم الهند أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك ان يكون الخطيب رابط الجاش ساكن الجوارح متخير اللفظ لا يكلم سيد الامة ولا الملوك بكلام السوقة ويكون في قواه التصرف في كل طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ويصفيها كل التصفية ويهذبها كل التهذيب ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما وفيلسوفا عليما ومن تعود حذف فضول الكلام واسقاط مشترك الالفاظ نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة فيها الا على جهة الاستطراف والتطرف لها قال واعلم أن حق المعنى أن يكون الاسم له طبقا وتلك الحال له وفقا ولا يكون الاسم فاضلا ولا مقصرا مشتركا ولا مضمنا ويكون تصفحه لمصادر كلامه بقدر تصفحه لموارده ويكون لفظه مونقا ومعناه نيرا واضحا ومدار الامر على افهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على قدر منازلهم وان تؤاتيه آلته وتتصرف معه أداته ويكون في التهمة لنفسه معتدلا وفي حسن الظن بها مقتصدا فانه ان تجاوز الحق في مقدار حسن الظن أودعها تهاون الآمنين وان تجاوز بها مقدار الحق في التهمة ظلمها وأودعها ذل المظلومين فقوله أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة أي أول آلات البلاغة جودة القريحة وطلاقة اللسان وذلك من فعل الله عز وجل لا يقدر العبد على اكتسابه لنفسه واجتلابه لها ومن الناس

من اذا خلا بنفسه وأعمل فكره أتى بالبيان العجيب والتبيان البديع المصيب واستخرج المعنى الرائق وجاء باللفظ الرائع واذا حاور أو ناظر قصر وتأخر فحذق هذا لا يتعرض لارتجال الخطب ولا يجارى أصحاب البداهة فى ميدان القريض ويكتفى بنتائج فكره والناس فى صناعة الكلام على طبقات منهم من اذا حاور وناظر أبلغ وأجاد واذا كتب وأملى أخل وتخلف ومنهم من اذا أملى برز واذا حاور أو كتب قصر ومنهم من اذا كتب أحسن واذا حاور وأملى أساء ومنهم من يحسن فى جميع هذه الحالات ومنهم من يسىء فيها كلها فأحسن حالات المسىء الامساك وأحسن حالات المحسن التوسط فان الاكثار يورث الاملال وقل ما يخلو صاحبه من الزلل والعيب والخطل وليس ينبغى للمحسن فى أحد هذه الفنون المسىء فى غيرها ان يتجاوز ما هو محسن فيه الى ما هو مسىء فيه فان اضطر فى بعض الاحوال الى تجاوزه فخير سبيله قصد الاختصار وتجنب الاكثار والاهذار ليقل السقط فى كلامه ولا يكثر العيب فى منطقه وقيل لابن المقفع لم لا تطيل القصائد قال لو أطلتها عرف صاحبها يريد ان المحدث يتشبه بالقديم فى القليل من الكلام فاذا طال أخل فعرف انه كلام مولد على ان السابق فى ميادين البلاغة اذا أكثر أسقط فكيف المقصر عن غايتها والمتخلف عن أمدها ومن تمام آلة البلاغة التوسع فى معرفة العربية ووجوه الاستعمال لها والعلم بفاخر الالفاظ وساقطها وجيدها ورديئها ومعرفة المقامات وما يصلح فى كل واحد منها من الكلام وقوله وذلك ان يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح هذا لان الحيرة والدهش يورثان الحبسة والحصر وهما سببا الارتاج والاخبال وقد بلغك ما أصاب عثمان بن عفان رضى الله عنه لما صعد المنبر فأرتج عليه فقال ان اللذين كانا قبلى كانا يعدان لهذا المقام مقالا وأنتم الى امام عادل أحوج منكم الى امام قائل وستأتيكم الخطبة على وجهها ثم نزل وصعد بعض العرب منبرا بخراسان فأرتج عليه فقال

لئن لم أكن فيكم خطيبا فاننى * بسيفى اذا جد الوغى لخطيب

ونزل ومن حسن الاعتذار عند الارتاج ما روى ان داود بن على خطب فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فلما قال أما بعد امتنع عليه الكلام ثم قال أما بعد فقد يجد المعسر ويعسر الواجد ويفل الحديد ويقطع الكليل وانما الكلام بعد الافحام كالاشراق بعد الاظلام وقد يعزب البيان ويعتقم الصواب وانما اللسان بضعة من الانسان يفتر بفتوره اذا نكل وينثال بانبساطه اذا ارتجل ألا وانا لا ننطق

بطرا

بطرا ولا نسكت حصرا بل نسكت معتبرين وننطق مرشدين ونحن بعد أمراء الكلام فينا وشجت اعراقه وعلينا عطفت أغصانه ولنا تهدلت ثمرته فنتخير منه ما احلولى وعذب ونطرح منه ما املولح وخبث و من بعد مقامنا مقام و بعد يومنا أيام يعرف فيها فضل البيان وفصل الخطاب والله أفضل مستعان ثم نزل وعلامة سكون نفس الخطيب ورباطة جاشه هدوه في كلامه وتمهله في منطقه وقال ثمامة كان جعفر بن يحيى أنطق الناس قد جمع الهدو والجزالة والتمهل والحلاوة ولو كان في الارض ناطق يستغني عن الاشارة لكانه وقوله متخير الالفاظ هذا رأس البلاغة على تخير اللفظ وتخير اللفظ أصعب من جمعه وتأليفه وقوله ويكون في قواه فضل للتصرف في كل طبقة وهو أن يكون صانع الكلام قادرا على جميع ضروبه متمكنا من جميع فنونه لا يعتاص عليه قسم من أقسامه فان كان شاعرا تصرف في وجوه الشعر مديحه وهجائه ومراثيه وصفاته ومفاخره وغير ذلك من أصنافه ولاختلاف قوى الناس في الشعر وفنونه قيل كان امرؤ القيس أشعر الناس اذا ركب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى اذا طرب وكذلك الكاتب ربما تقدم في ضرب من الكتابة وتأخر في غيره وسهل عليه نوع منها وعسر عليه نوع آخر وقال ابراهيم بن العباس سمعت أحمد بن يوسف يقول أمرني المأمون ان اكتب الى النواحي في الاستكثار من القناديل في المساجد فبت لا أدري كيف ابتدي فأتاني آت في منامي فقال لي قل فان في ذلك عمارة للمساجد وارشادا للسابلة واضاءة للمتهجدين ونفيا لمكامن الريب وتنزيها لبيوت الله من وحشة الظلم فانتبهت وقد انفتح لي ما أريد فابتدأت بهذا وأتممت عليه والمقدم في صنعة الكلام هو المستولي عليه من جميع جهاته المتمكن من جميع أنواعه وبهذا فضلوا جريرا على الفرزدق وقالوا ان في الشعر ضروبا ما كان يعرفها الفرزدق وشاهد ذلك انه لما ماتت زوجته النوار ناح عليها بشعر جرير

لولا الحياء لهاجني استعبار * ولزرت قبرك والحبيب يزار

وكان البحتري يفضل الفرزدق على جرير ويزعم انه يتصرف من المعاني فيما لا يتصرف فيه جرير ويورد منه في كل قصيدة خلاف ما يورده في الاخرى قال وجرير يكرر في هجاء الفرزدق ذكر الزبير وجعثن والنوار وانه قين مجاشع لا يذكر شيئا غير هذا وسئل بعضهم عن أبي نواس ومسلم فذكر ان أبا نواس أشعر لتصرفه في وجوه الشعر وكثرة

مذاهبه فيه ومسلم جار على وتيرة ولا يتغير عنها وأبلغ من هذه المنزلة ان يكون في قوة صانع الكلام ان يأتي مرة بالجزل وأخرى بالسهل فيلين اذا شاء ويشتد اذا أراد ومن هذا الوجه فضلوا جريرا على الفرزدق وأبا نواس على مسلم قال جرير

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام
تجري السواك على أغر كأنه * برد تحدر من متون غمام

فانظر الى رقة هذا الكلام والفرزدق يجري على طريقة واحدة والتصرف في الوجوه أبلغ وقال أبو نواس

قل لذي الوجه النضير * ولذي الردف الوثير
ولغلاق همومي * ولمفتاح سروري
يا قليلا في التلاقي * وكثيرا في الضمير

فانظر الى سلاسة هذا الكلام وسهولته وقال

* ماهوى إلا له سبب * يبتدي منه وينشعب
فتنت قلبي محجبة * برداء الحسن تنتقب
خليت والحسن تأخذه * تنتقي منه وتنتخب *
فانتقت منه طرائفه * واستزادت فضل ما تهب
صار جدا ما مزحت به * رب جد ساقه اللعب

فهذا أجزل من الاول قليلا وقال في صفة الكلاب

أنعت كلبا جال في رباطه * جول مصاب فر من اسعاطه
عند طبيب خاف من سياطه * هم نابه وهاج من نشاطه
كالكوكب الدري في انخراطه * عند تهاوي الشد وانبساطه
يقتحم القائد في حطاطه * وفده البيداء في احتباطه
لما رأى العاهب في اقواطه * سانحة ومر في التباطه
كالبرق يذري المرو بالتقاطه * مثل قلي طار في انفاطه
وانصاع يتلوه على فطاطه * انصف لا يياس من خلاطه
يصيد بعد البعد وانبساطه * ان لم يفت العاب من نياطه
فلم يزل بأخذ في اطاطه * كالصقر ينقض على حطاطه
يقشر وجه الارض من بلاطه * باربع تقول من افراطه

لشدة

لشدة الجري ولا سخطاطه * ما ان تمس الارض في أشواطه
قد خدشت رجلاه في اباطه * وخرم الاذنين بانتشاطه
تخلج ذراعيه الى ملاطه * يقد عنه الصيق بانعطاطه
في هبوات الصيق أو رباطه * فأدرك الظبي ولم يباطه
ولف عشرين الى أشراطه * فلم يزل يقرن في رباطه
ويخمط الشاوون من خماطه * ويطبخ الطابخ من اسقاطه
حتى علا في الجو من شياطه * كدا خن النفط الى نفاطه

المصاب هاهنا المجنون واسعاطه انشاقه السعوط لمداواته وقوله يقحم القائد في خطاطه أي لقوته يجذبه حتى يوقعه في حال حطه أي اندفاعه في العدو والاعتباط الجري على غير روية والعاهب بفتح أوله المسن من تيوس الجبل والاقواط جمع قوط بفتح أوله القطيع أو الجماعة وفي بمعنى مع والالتباط خبط الارض في العدو ويذري المروأي يفرقها والقطاط ككتاب المثال ومعناه انه يتبعه في طريقه لا يميل والاغضف مسترخي الاذنين ذاهبتين الى خلف والغطاط كسحاب القطا والصيق بكسر أوله الغبار في الهواء والانعطاط الانشقاق والملاط العضد الى الكتف والاشراط الاشباه والخمط الشي فانظر اليه كيف يتصرف بين الشدة واللين ويضع كل واحد منهما في موضعه ويستعمله في حينه وعلى ذكر المفاضلة بين الشعراء فلا بأس ان استطرد لك هاهنا بذكر كلام رايته في شرح ديوان أبي نواس يتضمن صفة شعراء تطلع به على مال كل منهم في أنفس علماء عصرهم وما كان لأولئك العلماء من الفطنة والنقد وتمييز الاشياء والوقوف بكل عند حده وهذا نصه قال ابن دريد سألت أبا حاتم عن أبي نواس فقال ان جد أحسن وان هزل ظرف وان وصف بالغ يلقي الكلام على عواهنه لا يبالي من حيث أخذه وهذه الحكاية وجدتها في اماليه في اثناء أوصاف خمسة وعشرين رجلا من الشعراء المحدثين أنا أحكيها على وجهها لما فيها من الفائدة قال وسألته عن بشار فقال نظار غواص مطيل مجيد يصف مالم يركانه قد رآه على ان في شعره خللا كثيرا قلت فمروان قال شاعر راض عن نفسه يستحسن كلما جاء منه معجب لا يرى ان أحدا يتقدمه كثير الصواب كثير الخطأ ليس لشعره صنعة قلت فمسلم قال خليج صاف ينزع من بحر كدر كالزنديوري تارة وبله أخرى قلت فأبو العتاهية قال غناء جم واقتدار سهل وشعر كغرز الزجاج وربما أشبه الياقوت والزبرجد قلت فابن الاحنف

قال يأتي دلوه في الدلاء فيغترف الصفو أحيانا والحمأة أحيانا الا ان كدرها كثرة
صفوه قلت فسلم الخاسر قال مقتل مداح شعره ديباج وعهن يتوه ازدرى .. يشهر
بالجيد قلت فالعتابي قال عالم باشعار العرب محتذ على مثالهم أحيانا وربما مال الى
تعقيد الكلام على انه ينال مرامه من كلتي الجهتين قلت فالخزيمي قال صنعة محكمة
لا يكابر طبعه ولا يكد فكره يسوق ما انقاد له عفوا قلت فأشجع قال يحسن ويسيء
فصوله مختلفة ان شئت قلت مطبوع وان شئت قلت متكلف قلت فأبو الشيص قال
جد كله فيه حلاوة وبشاشة كالسدرة التي نفضت فيها المستعذب والمستبدع قلت
فعلي ابن جبلة قال بحاث عن الكلام الفخم والمعنى الرائع لا ينال مرتبة القدماء ويجل
عن منزلة النظراء قلت فدعبل قال شديد الاسر محكم الصنعة قليل الطلاوة فحش
الهجاء غير مقنع المديح قلت فأبو تمام قال سيل كثير الغثاء غزير الغمار جم
النطاف فاذا صفا فهو السلاف بالماء الزلال قلت فالخاركي قال ظريف معتدل فصل
الالفاظ متسعة المعاني قلت فابن سعد القوصرة قال ورق ناضر وعود خوار ان حفظ
لم ينفع وان ضيع لم يضر قلت فابن بشير قال عذب الكلام سهله اذا أراد الشيء قدر
عليه وان اشتدت كلفته في مرامه قلت فابن أبي عيينة قال أعجبه اقتداره فتجاوز
مقداره على انه اذا افتخر أوثق واذا شكى انتج قلت فعبد الصمد بن المعذل
قال خراج ولاج يعتسف تارة ويهتدي أخرى ان سلك سبل العرب الاول أرب وان
مال الى طريق المولدين شاكه قلت فعلي بن الجهم قال كلام رصين ومسلك وعر
عقله أغلب على شعره من طبعه قلت فبكر بن النطاح قال تشبه بالاعراب فأفرط
وتجاوز حد المولدين فأسهب فهو الساقط بين المرتبتين قلت فخالد النجار قال
مين الكلام رخو النظام ان طال بلد وان قصر أجهد قلت فأبو دلامة قال جد
وهزل ومجتنى ومرغوب عنه اذا قصد مراما تناوله متناوشا قلت فأبو الشمقمق
قال هجاء ولداغ ومديحه بلاء أكثره لا نفع فيه قلت فغيلان قال كلام مؤلف
تلفظه اسماع الجهال وتلفظه آذان العلماء قال ابن دريد وذهب عني ان أسأل عن
الاعرابيين المطبوعين السيد والنميري فقد أغفل ابن دريد استيصاف هذين الشاعرين
ووقع لي وصفهما في حكايتين أخريين فاما النميري فذكر اسحاق الموصلي قال حضرت
الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك وعنده منصور النميري ومسلم بن الوليد ينشدانه
فالتفت الي وقال يا اسحاق احكم أيهما أشعر فقلت انه قل من حكم بين الشعراء فسلم منهم

ولكن

ولكن ان أحب الامير تكلفت وصف شعرهما فقال صف فقلت اما النميرى فان شعره حسن البناء قريب المعنى سهل كلامه صعب مرامه سليم المتون كثير العيون وأما مسلم فانه مزج كلام البدويين بكلام الحضريين فضمنه المعانى اللطيفه وكساه الالفاظ الظريفه فله جزالة البدويين ورقة الحضريين فقال الفضل وصفت والله فأحسنت وأوتيت الحكم فحكمت النميرى أشعرهما وأما الحكاية الاخرى فللجاحظ فصل من فصول كتبه ذكر فيه السيد الحميرى وابان بن عبد الحميد وابا العتاهية وبشارا وأبا نواس فقال أما السيد الحميرى فأطبع الناس على قول الشعر وأقلهم صنعة وأبعدهم من التكلف وأجدر ان ينقل جميع أحاديث الناس شعرا سهلا بلا تعسف ولا استكراه وأما ابان بن عبد الحميد فلم يكن فى زمانه أطبع منه ولا أسلس كلاما ولا أسهل مخارج وكان يقول على التاء والذال والغين والظاء مائة قصيدة وأما أبو العتاهية فاحد المطبوعين وكاد كلامه يكون شعرا على ان غزله ضعيف مشاكل لطبع النساء وأما بشار وأبو نواس فمعناهما واحد والمدة اثنان بشار حل من الطبع بحيث لم يتكلف قط قولا ولا تعب من عمل شعر وأبو نواس حل من الطبع بحيث يصل شعره الى القلب بلا اذن رجعنا الى نقل كلام أبى هلال فى شرح قول حكيم الهند قال وقوله ولا يكلم سيد الامة بكلام الامة ولا الملوك بكلام السوقة لان ذلك جهل بالمقامات وما يصلح فى كل واحد منها من الكلام وأحسن الذى قال لكل مقام مقال فاذا كان موضع الكلام على طبقات الناس فليخاطب السوقى بكلام السوقى والبدوى بكلام البدوى ولا يتجاوز به ما يعرفه الى مالا يعرفه فتذهب فائدة الكلام وتنعدم منفعة الخطاب وقوله ولا يدقق المعانى كل التدقيق لان الغاية فى تدقيق المعانى سبيل الى تعمية المعنى وهى لكنة الا اذا أريد به الالغاز وكانت فى تعميته فائدة مثل أبيات المعانى وأما من أراد الابانة فى مديح أو غزل أو صفة شئ فأتى باغلاق دل ذلك على عجزه عن الابانة وقصوره عن الافصاح وقوله ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح تنقيح اللفظ ان يهذبه بناء لا يكثر فى الاستعمال فربما وقع من يقصد ذلك فى اساءة بغفله عنها الاغترار بالاقتدار على ابتداع ماليس جاريا فى كلام الناس مثل ماوقع لبعضهم فى خطاب وزير حيث قال فى الدعاء له أحسن الله اثابتك فرد عليه الوزير فى الجواب وأحسن فقال وأنت فجمل الله أماتتك وقوله ويصفيها كل التصفية ويهذبها كل التهذيب فتصفيته تعريته من الوحشى ونفى الشواغل عنه

وتهذيبه وتبرئته من الردىء المرذول والسوقي المردود فمن الكلام المهذب الصافي قول بعض الكتاب مثلك أوجب حقا لا يجب عليه وسمح بحق يجب له وقبل واضح العذر واستكثر قليل الشكر لا زالت أياديك فوق شكر أوليائك ونعمة الله عليك فوق آمالهم فيك وقول أحمد بن يوسف يومنا يوم لذيذ الحواشي وطيء النواحي وهذه سماء قد تهللت بروقها وضحكت لوامع بروقها وأنت قطب السرور ونظام الامور فلا تغب عنا فنقل ولا تفردنا فنستوحش فان الحبيب بحبيبه كثير وبمساعدته جدير وقوله ولا يفعل ذلك حتى يلاقي حكيما ونطاسويا عليما ومن تعود حذف فضول الكلام ومشتركات الالفاظ انظر في المنطق على جهة الصناعة فيها الا على جهة الاستطراف والتظرف لما يقول ينبغي ان يتكلم بداخل الكلام ونادره ورصينه ومحكمه عند من يفهمه عنه ويقبله منه وأما قوله من تعود حذف فضول الكلام فهو ان يسقط من الكلام ما يكون الكلام مع اسقاطه تاما غير منقوص ولا يكون في زيادته فائدة سأل معاوية رجلا عن البلاغة فقال هي ان تقول فلا تخطئ وتسرع فلا تبطئ فقال معاوية أو قلت هي ان لا تخطئ ولا تبطئ حذف منه الفضل وقوله ومشتركات الالفاظ هو ان يريد الابانة عن معنى فيأتي بالفاظ لا تدل عليه خاصة بل تشترك فيها معه معان أخر فلا يعرف السامع أيها أراد وربما استبهم الكلام في نوع من هذا الجنس حتى لا يوقف على معناه الا بالتوهم فمن الجنس الاول قول جرير

لو كنت أعلم ان آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

فليس يدرى الى أى شئ أشار بقوله فعلت ما لم أفعل ان يبكى اذا رحلوا أو يهيم على وجهه من الغم الذى لحقه أو يتبعهم اذا ساروا أو يمنعهم من المضى على عزيمة الرحيل أو يأخذ منهم شيأ يتذكرهم به أو يدفع اليهم شيأ يتذكرونه به أو غير ذلك مما يجوز ان يفعله العاشق عند فراق أحبته فلم يبين عن غرضه وأحوج السائل أن يسأله عما أراد فعله عند رحيلهم وليس هذا كقولهم لو رأيت عليا عليه السلام بين الصفين فان ارادة المبالغة والنكاية بينة وامارة الاقتصار في بيت جرير واضحة فمن سمعه وان لم يكن من اهل البلاغة يستبرده ويستغثه ويترجح الاخر ويستجيده ومثله قول سعد ابن مالك الاسدي

فانك لو لاقيت سعد بن مالك * للاقيت منه بعض ما كان يفعل

فلم

فلم يبين بقوله عما أراد يلقى منه أخيرا أم شرا الا أن يسمع ما قبله وما بعده فيتبين معناه وأما فى نفس البيت فلا يتبين وأقول ان النقد على جرير فى غير محله حيث كان كلامه مع نفسه وليس لاحد أن يسأله عما أراد وقصده أن يخفى مراده فذلك مقتضى الحال ومثله قول أبى تمام

وقنا فقلنا بعد ان أفرد الثرى * به ما يقال فى السحابة تقلع

وقول الناس فى السحاب اذا أقلع على وجوه كثيرة فمنهم من يمدحه ومنهم من يكره اقشاعه على حسب ما كانت حالها عندهم ومواقعها منهم فلم يبين بقوله ما يقال فى السحابة تقلع معنى يعتمده السامع وأين هو من قول مسلم

فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة * أثنى عليها السهل والاوعار

على ان المحتج له لو قال العادة فى السحاب ان يحمد أثره ويثنى عليه بعده لما كان مبعدا ولم أرد عيب أبى تمام انما أريد الاخبار عن وجه الاشتراك وذكر ما يتشعب منه ويقرب من بابه وينظر اليه من قريب أو من بعيد وأما ما يستبهم فلا يعرف المعنى الا بالتوهم فمثل قول ابى تمام

جهمية الاوصاف الا أنهم * قد لقبوها جوهر الاشياء

فوجه الاشتراك فى هذا ان للجهم مذاهب كثيرة وآراء مختلفة متشعبة لم يدل فحوى كلام أبى تمام على شئ منها يصلح ان يشبه به الخمر وتنسب اليه الا أن يتوهم المتوهم فيقول انما أراد كذا وكذا من مذاهب جهم من غير ان يدل الكلام منه على شئ بعينه ولا يعرف معنى قوله قد لقبوها جوهر الاشياء الا بالتوهم أيضا ومن الكلام الخالى من الاشتراك كلام بعضهم لاخ له أراد فراقه لما تصفحت أخلاقك فوجدتها مباينة لشاكلتى زائغة عن قصد طريقى صبرت عليها رياضة لنفسى على الصبر لمساوى أخلاق المعاشرين ولعلمى بكامن العدوان فى العالمين والذى رجوت من مروءة خصالك عما أقابلها من التجاوز فأسحب فى سوء آثارها أذيال التغاضى رأيت ذلك لا يقوم اعوجاج مذاهبك ولا يعطف بك الرأى على رشدك فلما فنيت حيلتى فيك وانقطعت أسباب أملى منك ورأيت الداء لا يزيد على التعهد الا فسادا والخرق على الترقيع الا اتساعا قدمت اليأس منك على الرجاء فيك واحتسبت أيامى السالفة فى استصلاحى لك اقول والاحتراز عن المشترك أمر مهم محتاج لدقة نظر واطالة فكر حتى يأخذ بجميع موارد الانتقاد ويضرب دونها بالاسداد فيسلم مما وقع فيه كثير

من فحول الشعراء ونستبين ذلك مما أحكيه لك يحكى ان جريرا قدم المدينة مرة وشاعرها يومئذ الاحوص فاجتمع الناس لتعظيم جرير إذ كان من اكابر شعراء ذلك العصر ولم ير من الاحوص ما يرضيه فاراد ان يطأطئ منه ويحط من كبره فقال له يا أحوص أنت القائل

يقر بعيني ما يقر بعينها * وأحسن شيء ما به العين قرت

فقال نعم يرى انه استحسنه وانه سيثني عليه فكان الامر على خلاف ذلك وقابله من البيت بداهية فقال له انه يقر بعينها ان يدخل فيها مثل ذراع البكر أفيقر بعينك ذلك فخجل الاحوص ولم يقابله بعد وان الفرزدق لما قال يفتخر

اذا نحن سرنا سارت الناس خلفنا * وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

قال بعض أهل عصره ذلك وقومه أذلاء وكان وان ابن هرمة لما قال في التمدح بالكرم

ناري ونار الجار واحدة * واليه قبلي تنزل القدر

قالت امرأته لا تنزلها نار الجار وقدره ولما قال المتنبي في صفة جسمه بالنحول على عادة العشاق

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدني * وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد في مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولا أنني رجل * لولا مخاطبتي اياك لم ترني

قال معاصره الرمادي شاعر الاندلس لم يزد أن جعل نفسه ضرطة يسمع صوتها ولا يرى لها شخص فاتفق ان قال الرمادي في غزل قصيدة

في أي جارحة أصون معذبي * سلمت من التجريح والتنكيل

فقال المتنبي يصونه في استه ولكن لم يبلغ من الرمادي بهذا الانتقاد ما بلغه منه وهذا النوع من الانتقاد والذي يسميه ظرفاء اهل مصر بالتنكيت ولهم فيه غرائب وعلى من يحب تربية ذوقه وايقاظ فكره ان يسامرهم ويستفيد ذلك منهم فالعاقل يخرج من الهزل الى الجد ويتوصل من صغار الامور الى كبارها رجعنا الى كلام ابي هلال قال وقوله وحق المعنى ان يكون الاسم له طبقا أي اللفظ بقدر المعنى غير زائد عليه ولا ناقص عنه وكان ذلك من قول امرئ القيس * طبق الارض تحرى وتدر * أي هو على الارض كالطبق على الاناء لا ينقص منه شيء قول امرئ القيس هذا في صفة المطر والبيت

دِيمةٌ هطلاءُ فيها وطفٌ * طبقُ الارضِ تحرّى وتدرّ

وقوله ولا يكون الاسم فاضلا ولا مقصرا امثال الفاضل من اللفظ عن المعنى قول عروة ابن أذينة

واسق العدوّ بكأسه واعلم له * بالغيب ان قد كان قبل سقاكما
واجز الكرامة من ترى ان لوله * يوما بذلت كرامة لجزاكما

ومعنى هذا الكلام محصور تحت ثلاث كلمات اجز كلا بفعله وكان السكوت لعروة خيرا منه ومن الكلام الفاضل لفظه عن معناه قول أبي العيال الهذلي

ذكرت أخي فعاودني * صداع الرأس والوصب

فذكر الرأس مع الصداع فضل وقول أوس بن حجر

وهم لمقل المال أولاد علة * وان كان محضا في العمومة مخولا

فقوله المال مع المقل فضلة يعني ان المقل والمكثر معناهما في الاستعمال الفقير والغني وأولاد علة هم الاولاد لامهات شتى وهم غالبا أعداء بعضهم فمعنى الكلام ان الناس أعداء الفقير والمقصر من الكلام ما لا ينبئك عن معناه عند سماعك اياه ويحوجك الى شرح كبيت الحارث بن حلزة

والعيش خير في ظلا * ل النوك ممن عاش كدّا

معناه والعيش في ظلال الحماقة وهو العيش الرخي خير من عيش العقلاء وهو العيش الشديد ذلك حسبما هو دائر بين الناس من أن الدنيا لا تزال مع الحمقا والعاقل محروم منها وللناس في ذلك كلام كثير وقوله ولا مضمنا التضمين ان يكون الفصل الاول مفتقرا الى الفصل الثاني والبيت الاول محتاجا الى الاخير كقول الشاعر

كأن القلب ليلة قيل يغدى * بليلى العامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت * تجاذبه وقد علق الجناح

فلم يتم المعنى الا في البيت الثاني وهو قبيح ومثاله من نثر الكتاب قول بعضهم وجعل سيدنا أخذا من كل مادعى به أو يدعى في الاعياد باجزل الاقسام وأوفر الاعداد وقال بعض الحكماء البلاغة قول يسير يشتمل على معنى خطير وهذا مثل قول الآخر البلاغة علم كثير في قول يسير ومثاله قول الاعرابي وقد سئل عن مال يسوقه لمن هو فقال لله في يدي فأي شئ لم يدخل تحت هذا الكلام القليل من الفوائد الخطيرة والحكم البارعة الجسيمة وقال الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه فدخل

تحت قوله فهو حسبه من المعاني ما يطول ترجمه من ابتداء وكفاية ما تخشى وهذا مثل قوله عز وجل وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وسئل بعض الأوائل عن سبب موت أخيه فقال كونه أي سبب موته كونه أي وجوده سبب لفساده وطبيعة خلقته وقد تنازع الناس في هذا المعنى أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي قال قيل لأعرابي كيف حالك فقال ما حال من يفنى ببقائه ويسقم بسلامته ويؤتى من مأمنه وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا محمد بن يحيى قال حدثنا الغلابي قال حدثنا ابن عائشة قال قلت لأبي حدثني حماد بن سلمة عن حميد بن ثابت عن أنس والحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كفى بالسلامة داء وقال يا بني لا أراه مسندا وقد قال حميد بن ثور

أرى بصري قد رابني بعد صحة * وحسبك داء أن تصح وتسلما

وقال الآخر

كانت قناتي لا تلين لغامز * فألانها الإصباح والإمساء
ودعوت ربي بالسلامة جاهدا * ليصحني فإذا السلامة داء

وأول من أتى بهذا المعنى النمر بن تولب في قوله

يود الفتى طول السلامة والغنى * فكيف ترى طول السلامة يفعل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة * ينوء إذا رام القيام ويحمل

وقال آخر

ما حال من آفته بقاؤه * نفس تغذى بإفنائه

وقال ابن الرومي

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة * إذا زال عن عين البصير غطاؤها
وكيف بقاء الناس فيها وإنما * ينال بأسباب الفناء بقاؤها

ولبعض المتأخرين في هذا المعنى شعر حسن لا بأس بإثباته ما ثبت أوله وهو

صحة المرء للسقام طريق * وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نغتذي نموت ونحيا * أقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقيناه من غدر دنيا فلا كا * نت ولا كان أخذها والعطاء
صرفها راجع إليها فهذا * يعقب الصبح يستمر المساء
صالف تحت راحه وشراب * كرعت فيه مومس خرقاء

ليت

ليت شعري حسام تربه الايـ * ـام أم ليس تعقل الاشياء
* قبح الله لذة لشقانا * نالها الامهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقـ * ـد فايجادنا علينا بلاء

وليس هم البلاغة حسن الاقتضاب عند البديهة والغزارة عند الاطالة الاقتضاب أخذ القليل من الكثير وأصله من قولهم اقتضبت الغصن اذا قطعته من شجرته فمن البديهة الحسنة ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا ابراهيم بن أحمد الشطي قال حدثني أحمد بن يحيى قال دخل المأمون ديوان الخراج فمر بغلام جميل على أذنه قلم فأعجبه ما رأى من حسنه فقال من أنت يا غلام فقال يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك وخريج أدبك والمتقلب في نعمتك الحسن بن رجاء فقال المأمون بالاحسان في البديهة تفاضلت العقول ثم أمر برفع رتبته واعطائه مائتي ألف درهم ومن الاقتضاب الجيد ما ورد في خبر عن أبي عبيدة قال استقفيت غلامين في الصبا فركنت منهما بلوغ الغاية فيما كنا زكنت بلغني ان النظام يتعاطى علم الكلام فمر بي وهو غلام على حمار يطير به فقلت يا غلام ما عيب الزجاج فقال سريع الكسر بطيء الجبر وبلغني ان أبا نواس يتعاطى قرض الشعر فلقيني وهو سكران يوما وما طر شاربه بعد فقلت كيف فلان عندك فقال ثقيل الظل جامد النسيم فقلت زد فقال مظلم الهواء منتن الفناء فقلت زد فقال غليظ الطبع بغيض الشكل قلت زد قال وخم الطلعة عسر القلعة قلت زد قال نابي الجنبات بارد الحركات ثم قلت حسبك فقال زدني سؤالا أزدك جوابا فقلت كفى من القلادة ما أحاط بالعنق ومن جيد البديهة ما كان من يحيى بن أكثم وقد قال له المأمون صف لي حالي عند الناس فقال يا أمير المؤمنين قد انقادت لك الامور بأزمتها وملكتك الامة فضول أعنتها بالرغبة اليك والمحبة لك والرفق منك بهم ومنك عليهم فالحمد لله الذي جمع بك بعد التقاطع ورفعنا في دولتك بعد التواضع فقال يا يحيى تحبيرا أم ارتجالا قال وهل يمتنع فيك وصف أو يتعذر على مادحك قول أو يفحم فيك شاعر أو يتلجلج فيك خطيب ومن حسن البديهة ما يحكى انه قدم للمهدي رجل من خراسان فقال أطال الله بقاء أمير المؤمنين انا قوم نأينا عن العرب وشغلتنا الحروب عن الخطب وأمير المؤمنين يعلم طاعتنا وما فيه مصلحتنا فيكتفي منا باليسير عن الكثير ويقتصر على ما في الضمير ومن حسن البديهة ما سمعته فيما يحكى ان اعرابيا دخل على المنصور فتكلم فأعجب بكلامه فقال له سل حاجتك فقال

يبقيك الله ويزيد في سلطانك فقال سل حاجتك فليس في كل وقت نزوريذلك فقال ولم يا أمير المؤمنين فوالله يا أمير المؤمنين ما استقصر عمرك ولا أخاف بخلك ولا أغتنم مالك وان سؤالك لشرف وان عطاءك لزين وما بامرئ بذل وجهه لك نقص ولا شين أخذ المعنى الاخير من قول أمية بن أبي الصلت في عبد الله بن جدعان

عطاؤك زين لامرئ ان حبوته * بسيب وما كل العطاء يزين
وليس بشين لامرئ بذل وجهه * اليك كما بعض السؤال يشين

وقال جعفر بن يحيى البلاغة ان يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك ويخرجه من الشركة ولا يستعين عليه بطول الفكر ويكون سليما من التكلف بعيدا من سوء الصنعة بريئا من التعقيد غنيا عن التأمل قوله ان يكون الاسم يحيط بمعناك فالاسم هاهنا اللفظ أي يحصر اللفظ جميع المعنى ويشتمل عليه فلا يشذ منه شيء يحتاج الى أن يعرف بشرح أو بتفسير فاذا سمعت اللفظ عرفت أقصى المعنى وهذا مثل قول الآخر البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر ولا يكون الكلام بانفساح ذلك حتى يعرى من العيب ويتضمن الجزالة والسهولة وجودة الصنعة بما ذكرنا ومثال ذلك ما كتب بعضهم الى أخ له اما بعد فان المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك فيما قدمت من خير وأسفك على ما فاتك من بر وقول اعرابي لابنه يا بني ان الدنيا تسعى على من يسعى لها فالهرب قبل العطب فقد آذنتك بدين وانطوت لك على حين وقال الشاعر

حلال لليلى ان تروح فؤاده * بهجر ومغفور لليلى ذنوبها
تطلع من نفسي اليك نوازع * عوارف ان اليأس منك نصيبها
وزالت زوال الشمس عن مستقرها * فمن مخبري في أي أرض غروبها

وقال آخر

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا * سوى ان يقولوا انني لك عاشق
أجل صدق الواشون أنت حبيبة * الي وان لم تصف منك الخلائق

وقوله ويجلي عن مغزاك أي يوضح مقصدك ويبين للسامع مرادك ينفي عن التعمية والاغلاق وقوله ويخرجه من الشركة فقد مضى تفسيره وقوله ولا يستعين عليه بطول الفكرة هذا لان الكلام اذا تقطعت أجزاؤه ولم تتصل فصوله ذهب رونقه وغاض ماؤه وانما رونق الكلام اذا جرى جريان السيل وانصب انصباب القطر

وقال

وقال ثمامة ما رأيت أحدا اذا تكلم لا يتحبس ولا يتوقف ولا يتلقف ولا يتلجلج ولا يتنحنح ولا يترقب لفظا استدعاه من بعد ولا يلتمس التخلص الى معنى قد اعتاص عليه بعد طلبه الا جعفر بن يحيى فن الكلام الجاري مجرى السيل قول بعض العرب لبعض ملوك بني أمية أقطعت فلانا أرضا وسط حلتنا وسوء خطتنا ومركز رماحنا ومنزل لقاحنا ومخرج نسائنا ومنقلب آبائنا ومسرح شبابنا ومصبحنا في صيفنا فقال تكفون وعوضه منها وردها عليهم ويروى أن الامام أبا محمد الحسن ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله وسلامه عليهما خطب فقال اعلموا ان الحلم زين والوقار مروءة والصلف نقمة والاكثار صلف والعجلة سفه والسفه ضعف والقلق ورطة ومجالسة أهل الدناءة شين ومخالطة أهل الفسوق ريبة فهذه هي البلاغة التامة والبيان الكامل وكما قال بعضهم البلاغة صواب في سرعة جواب والعي اكثار في اهذار وابطاء في دقة اخطاء وقال بعضهم لست ممن يتوهم بجهله ويظن بقلة عقله ان الديانة والامانة والنزاهة والصيانة انما هي في تشمير ثوبه واحفاء شاربه وكشفه عن ساقه وزهوه باطماره وانعال خفه وترقيع ثوبه واظهار سجادته وتعليق سبحته وخفض صوته وخضوع جسمه دون قلبه واختلاس مشيه وخفة وطئه بين قومه ولا يرتشي في حكمه ويأخذ على علمه ويطلب الدنيا بدينه ولا يرفع طرفه من عظمته وكبريائه ولا يكلم الناس من تصنعه وريائه فهذا الكلام وأمثاله في طول النفس يدل على اقتدار المتكلم وفضل قوته في التصرف وقوله ويكون سليما من التكلف فالتكلف طلب الشئ بصعوبة للجهل في طلبه بالسهولة فالكلام اذا جمع بتعب وجهد ونبوّ وأتت ألفاظه من بعد فهو متكلف مثاله قول بعضهم في دعائه اللهم ربنا والهنا صل على محمد نبينا ومن أراد بناسوأ فاحطط ذلك السوء به وارسخه به كرسوخ السجيل على أصحاب الفيل وانصرنا على كل باغ وحسود كما انتصرت لناقة ثمود وقوله بريئا من سوء الصنعة فسوء الصنعة يتصرف على وجوه منها سوء التقسيم وفساده وقبح الاستعارة والتطبيق وفساد النسج والسبك الى غير ذلك مما سننبهك عليه لاحق الكلام وروى أنه قال بريئا من الصنعة فالصنعة النقصان من غاية الجودة والقصور عن حد الاحسان ويحكى ان النابغة لما دخل المدينة شرب وغناه المغني قصيدته

أمن آل مية رائح أو مغتد * عجلان ذا زاد وغير مزود

وحركة رويها الكسرة فلما سمع قوله * وبذاك خبرنا الغراب الاسود * وقوله * عنم يكاد من اللطافة يعقد * استنكر ذلك وخرج من المدينة وهو يقول دخلت المدينة فوجدت في شعري صنعة فخرجت منها وانا اشعر الناس وقوله في صنعة هو كقول الصانع اذا لم يتم عمله في شيء هذا الشيء لم يزل فيه شغل أي هو محتاج لان يصنع حتى يتم ويبلغ أحسن أحواله مثلا أحسن أحوال القصيدة ان تكون أبياتها جميعها متفقة الروي وقصيدة النابغة المذكورة محتاجة الى تغيير تركيب البيتين حتى يوافق رويهما بقية القصيدة فقال انه غير قوله * وبذاك خبرنا الغراب الاسود * الى * وبذاك تنعاب الغراب الاسود * وهو قريب لا شدة فيه ... والفرق بين خبرنا وتنعاب فقصيدة الاولى صادرة من مصدر شعري ... في غاية البعد والتكلف لها وقهرها في وضعها بغير مقرها وحكي انه كان ابن الاعرابي يأمر بكتب جميع ما يجري في مجلسه فانشده رجل يوما ارجوزة لابي تمام في وصف السحاب على انها لبعض العرب

سارية لم تكتحل بغمض * كدراء ذات هطلان محض
موقورة من خلة وحمض * تمضي وتبقى نعما لا تمضي *
قضت بها السماء حق الارض

فقال ابن الاعرابي اكتبوها فلما كتبوها قيل انها لحبيب بن أوس فقال خرق خرق لاجرم ان اثر الصنعة فيها بين وقال الفرزدق ان لنا اشد صنعة أي ... وصنعة وقوله بعيد من التعقيد والمعقد الاغلاق وهو استعمال الوحشي وتعليق الكلام بعضه ببعض حتى يستبهم المعنى فمن امثلة ذلك ما يحكى ان رجلا مرضت أمه فكتب رقاعا وطرحها في المسجد الجامع بمدينة السلام يطلب فيها الدعاء من الناس لامه وهذا ما كتب فيها صين امرؤ ودعا لامرأة مقسئنة قد منيت باكل الطرموق فاصابها من أجله الاستمصال ان يمن الله عليها بالاطرغشاش والابرغشاش الطرموق الخفاش والاستمصال الاسهال والاطرغشاش والابرغشاش البرء فكان كل من قرأ رقعته يلعنه ويلعن أمه والتعليق كقول أبي تمام

جاري اليه البين وصل خريدة * ماشت اليه المطل مشي الاكبد
* يا يوم شرد يوم لهوي لهوه * بصبابتي واذل عز تجلدي
يوم أفاض جوى أغاض تعزيا * خاض الهوى بحري حجاه المزبد

وقوله

وقوله فالمجد لا يرضى بان ترضى بأن * يرضى امرؤ يرجوك الا بالرضى

وقول المتنبي

من يهتدي في الفعل ما لا يهتدي * في القول حتى يفعل الشعراء

وبلغنا ان اسحق بن ابراهيم كان ينشد مثل هذا عند الحسن بن وهب فكان يقول له يا هذا انك تشدد على نفسك فكل ما كان من الكلام بهذه المثابة كان مذموما مردودا وكان السكوت خيرا منه وقوله غنيا عن التأمل أي هو مستغن لوضوحه عن تأمل معانيه وترديد النظر فيه كقول بعضهم لصديق له وجدت المودة منقطعة ما دامت الحشمة عليها مسلطة ولا يزول سلطان الحشمة الا بالمكة المؤانسة ومما يؤيد ما قلناه قول الجاحظ من أعاره الله عز وجل من معونته نصيبا وأفرغ عليه من محبته ذنوبا حبب اليه المعاني وسلس له نظام اللفظ وكان قد أعفى المستمع من كد التلطف وأراح قارئ الكتاب من الفهم معناه انه يعفيه ويريحه من تعب ان يتطلب المراد بشدة النظر وكثرة التأمل حتى يعثر عليه ولبعضهم البلاغة التقريب من المعنى البعيد والتباعد من حشو الكلام وذلك بالقصد الى الايجاز في صواب والحجة وحسن الاستعارة ومثله قول آخر البلاغة تقريب ما بعد من الحكمة بأيسر الخطاب وتقريب المعنى البعيد بان يعمد الى المعنى اللطيف فيكشفه وينفي الشواغل عنه فيفهمه السامع من غير فكر فيه وتدبر له مثل قول الاول في امرأة

لم ندر ما الدنيا وما فيها * وحسنها حتى رأيناها

انك لو أبصرتها ساعة * أجللتها ان تتمناها *

وقول بعضهم لملك من الملوك أما التعجب من مناقبك فقد نسخه تواترها فصارت كالشئ القديم الذي قد أنس به لا كالشئ البديع الذي يتعجب منه ومن هذا أخذ أبو تمام قوله

على انها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

وقول آخر لبعض الملوك أيضا أخلاقك تجعل العدو صديقا وأحكامك تجعل الصديق عدوا وقال بعض القدماء لكل جليلة دقيقة ودقيقة الموت الهجر قال أبو هلال * وقلت اسم التفرق بين * لكن معناه موت * وجدانا كل شئ * اذا تباعدن فوت * وقوله والتباعد من حشو الكلام فالحشو يكون على ثلاثة أضرب اثنان منها مذمومان وواحد محمود فاحد المذمومين هو ادخالك في الكلام

لفظا لو أسقطته لكان الكلام تاما مثل قول الشاعر

أبني فتى لم تذر الشمس طالعة * يوما من الدهر الا ضر أو نفعا

فقوله يوما من الدهر حشوا لا يحتاج اليه وقول بعض بني عبس

أبعد بني بكر أؤمل مقبلا * من العيش أو آسى على اثر مدبر

وليس وراء الصبر شئ برده * عليك اذا ولى سوى الصبر فاصبر

أولاك بنو خير وشر كليهما * ومعرفة أني أريد ومنكر *

قوله أريد زيادة وحشو وقوله كليهما يكاد يكون حشوا وكذلك قوله اذا ولى والضرب الآخر العبارة عن المعنى بكلام طويل لا فائدة في طوله ويمكن أن يعبر عنه بأقصر منه مثل قول النابغة

تبينت آيات لها فعرفتها * لستة أعوام وذا العام سابع

كان ينبغي لسبعة أعوام ثم يتم البيت بما فيه فائدة ذات والذي أحوج النابغة لذلك ان العام السابع لم يتم وأما الضرب المحمود فكقول كثير

لوان الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

قوله وأنت منهم حشوا الا انه مليح وهذا ما يسمى في البديع اعتراضا ومن الكلام الذي لا حشو فيه قول صبرة بن سليمان حين دخل على معاوية مع الوفود فتكلموا فأكثروا فقال صبرة يا أمير المؤمنين انا حي فعال ولسنا حي مقال ونحن بأدنى فعالنا عند أحسن مقالهم قال معاوية صدقت ومن هذا قول الشاعر

وتجهل أيدينا ويحلم رأينا * ونشتم بالافعال لا بالتكلم

وكتب رجل لأخ له ثقتي بكرمك تمنع من اقتضائك وعلى اشغالك تحدو الى أذكارك. ولآخر في الناس طبائع سيئة فارتبط بمن رجحت محاسنه وقال الحسن رضوان الله عليه نعم الله على العبد أكثر من أن تشكر الا أن يعان عليها وذنوبه أكثر من أن يسلم الا أن يعفى له عنها قيل ومن البلاغة قرب المأخذ وتناول المعنى من قريب دون كد له وتعمل في تحصيله وفي ذلك غرائب كالاتفاقات يحكى ان الرشيد قال ليلة وهو في ندمائه قد طلعت الثريا فقال واحد منهم كأنها قدريا وقال رجل برد الماء وطاب فقال آخر حبذا الماء شرابا وطال وقوف بشار بباب يعقوب فانشد

* طال الثواء على رسوم المنزل * فرفع يعقوب فقال *فاذا تشاء أبا معاذ فادخل *

ومن قرب المأخذ أن الجاحظ أو غيره قال للجماز أنا أريد أن أنظر الى الشيطان فقال

انظر

انظر فى المرآة وقال بعض الولاة لاعرابى قل الحق والا أوجعتك ضربا فقال وأنت فاعمل به فوالله لما أوعدك الله به منه أعظم مما أوعدتنى به منك ومنه ان المأمون قال لام الفضل بن سهل بعد قتله اياه أتجزعين ولك ولد مثلى فقالت وكيف لا أجزع على ولد أفادنيك وكانت أمه من الرضاعة ولابى حنيفة اذا أتتك معضلة فاجعل جوابها منها ومن ذلك ما يحكى ان عبد الملك دعا يوما بالغداء وبحضرته رجل فدعاه الى غدائه فقال ليس بى غداء قد تغديت يا أمير المؤمنين فقال عبد الملك ما أقبح بالرجل ان يأكل حتى لا يكون فيه فضل للطعام فقال يا أمير المؤمنين فى فضل ولكن أكره ان آكل فأصير الى ما استقبحه أمير المؤمنين وقال محمد بن على عليهما السلام البلاغة قول يفقه فى لطف وفقه القول فهم حقيقته واللطيف من الكلام ما تعطف به القلوب النافرة وتؤنس به الافئدة المستوحشة وتلين به العريكة الابية المستصعبة وتبلغ به الحاجة وتقيم به الحجة فتخلص نفسك من العيب وتلزم صاحبك الذنب من غير ان تهيجه وتقلقه وتستدعى غضبه وتستبين حفيظته كقول بعض الكتاب لاخ له انفذ الى أبو فلان كتابا منك فيه درة من عتاب كان أحلى عندى من تعريسة الفجر وألذ من الزلال العذب وذلك العتبى داعيا مستجابا له وعاتبا معتذرا اليه ولو شئت مع هذا ان أقول ان العتب عليك أوجب والاعتذار اليك ألزم لفعلت ولكنى أسامحك ولا أشاحك وأسلم اليك ولا أرادك لان أفعالك عندى مرضية وشيمك لدى مقبولة ولولا أن للعجمة موقعها لاعرضت عما أومأت اليه وما عرضت مما بدأت وقلت

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

فانظر كيف خلص نفسه من الجرم وأوجبه لصاحبه فى الطف وجه وألين مس ومن الكلام الذى يعطف القلوب النافرة قول آخر لاخيه زين الله ألفتنا بعاودة صلتك واجتماعنا بترادف زيارتك وأيامنا الموحشة بغيبتك برؤيتك توعدتنى بالانتقام على اخلالى بمطالعتك وصنتنى من عقوبتك على ما ابتدأت به من عدم مشاهدتك وقال على كرم الله وجهه البلاغة ايضاح الملبسات وكشف عوار الجهالات وتستبين ذلك فيما يحكى عن المأمون وقد أحضر رجلا ارتد الى النصرانية بعد الاسلام فقال له ما أوحشك من الاسلام فقال كثرة الاختلاف فيكم فقال المأمون اما اختلافنا فمنه ما يكون كاختلافنا فى الاذان وتكبير الجنائز والتشهد وصلاة الاعياد وتكبير

التشريق ووجوه القرآن واختلاف وجوه القراآت وما أشبه ذلك وليس هذا باختلاف
وانما ذلك توسعة وتخفيف من المحنة ومنه ما يكون كاختلافنا في تأويل الآية من
كتابنا وتأويل الخبر عن نبينا مع اجتماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر
فان كان الذي أوحشك هو هذا حتى أنكرت هذا الكتاب فينبغي ان يكون اللفظ
بجميع التوراة والانجيل متفقا على تأويله كما يكون متفقا على تنزيله ولا يكون بين
النصارى اختلاف في شئ من التأويلات ولو شاء الله ان ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه
وورثة رسله كلاما لا يحتاج الى التفسير لفعل ولكنا لم نر شيئا من الدين والدنيا دفع الينا
على الكفاية ولو كان الامر كذلك لسقطت المحنة والبلوى وذهبت المسابقة والمنافسة
ولم يكن تفاضل وليس على هذا بنى الله الدنيا فقال المرتد انك أمير المؤمنين حقا
وقال ابن المقفع البلاغة كشف ما غمض من الحق وتصوير الحق في صورة الباطل والذي
قاله أمر صحيح ولا يخفى موضع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز والتحصيل وذلك
ان الامر الصحيح الثابت المكشوف ينادي على نفسه بالصحة ولا يحوج الى التكلف
لصحته حتى يوجد المعنى فيه خطيب وانما الشأن في تحسين ما ليس بحسن وتصحيح ما ليس
بصحيح بضرب من الاحتيال والتخييل ونوع من العلل والمعاريض والمعاذير ليخفى في
موضع الاساءة ويغمض موضع التقصير وما أكثر ما يحتاج الكاتب الى هذا الجنس
عند اعتذاره من هزيمة أو حاجته الى تغيير رسم أو رفع منزلة دنئ له فيه هوى أو حط
منزلة شريف استحق ذلك منه الى غيرها مما من عوارض أموره فاعلى رتب البلاغة ان
يحتج للمذموم حتى يخرجه في معرض المحمود والمحمود حتى يصيره في منزلة المذموم وقد ذم
عبد الملك بن صالح المشورة وهي ممدوحة بكل لسان فقال ما استشرت أحدا الا تكبر
علي وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتني الذلة فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل
مهيب في الصدور واذا افتقرت الى العقول حقرتك العيون فتضعضع شأنك ورجفت
بك أركانك واستحقرك الصغير واستخفك الكبير وما عز سلطان لم يغنه عقله عن
عقول وزرائه ونصحائه قلت عبد الملك هذا أحد عقلاء بني العباس وبلغائهم وكان
خليفة وقته هارون منحرفا عنه جدا لكثرة سعي بغضائه به وتفهيم الخليفة انه في عزيمة
ان يتغلب على الملك وانه بقوة بلاغته وحسن تصرفه في العقول قد وجد الاسباب
الموصلة الى هذا الغرض وكانه قد حقق عنده شؤم هذا الاسم الاموي فكان يحبسه
ثم يحتج عن نفسه ويثبت براءته مما رمي به فيطلقه ويروى انه قال له مرة وفيه شاهد
على

على ما نحن فيه بلغني ان فيك حقدا فقال له يا أمير المؤمنين ان كان الحقد بقاء الخير والشر في قلبي لفاعليهما فأنا حقود فقال هارون ما سمعت مثل احتجاجك للحقد يعني من المسلم الذي لا ينبغي ان ينازع فيه حسن تذكر الانسان ما صنع به من خير ليكافأ عليه بما أمكنه أو شر ليحترس من مثله ويجازي به ان اقتضت ضرورة ذلك ومدح بعضهم الموت فقال

قد قلت اذ مدحوا الحياة فأكثروا * في الموت ألف فضيلة لا تعرف

منها أمان لقائه بلقائه * وفراق كل معاشر لا ينصف

وذلك باب واسع يرد عليك منه ان شاء الله تعالى وللناس فيه موضوعات ضمنوها شعرا ونثرا في مدح الشيء وذمه كالتحف والظرف لابي منصور عبد الملك الثعالبي صاحب يتيمة الدهر انتهى ما أردت نقله من باب البلاغة وها أنا مثبت لك من باب الايجاز وما يقابله ما تتبين به حق التبين موضع كل منها والحجة لحسن كل واحد في موضعه فمن الكلام الدال على حسن الايجاز واختيار أهل البلاغة له ما نقله أبو هلال رحمه الله حيث قال قال أصحاب الايجاز الايجاز هو البلاغة وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر والخطل وهما من أعظم أدواء الكلام وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة وفي تفضيل الايجاز يقول جعفر بن يحيى لكتابه ان قدرتم ان تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا وقال بعضهم الزيادة في الحد نقصان وقال محمد الامين عليكم بالايجاز فان له افهاما وللاطالة استبهاما وقال شبيب بن شبة قليل كاف خير من كثير شاف وقال آخر اذا طال الكلام عرضت له أسباب التكلف ولا خير في شيء يأتي به التكلف وقيل لبعضهم ما البلاغة قال الايجاز قيل وما الايجاز قال حذف الفضول وتقريب البعيد وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول لرجل كفاك الله ما أهمك فقال هذه البلاغة وسمع آخر يقول عصمك الله من المكاره فقال هذه البلاغة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم وقيل لبعضهم لم لا تطيل الشعر قال حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق وقيل لآخر لم لا تطيل شعرك فقال لست أبيعه مذارعة وقيل للفرزدق ما صيرك الى القصائد القصار بعد الطوال قال لاني رأيتها في القلوب أوقع وفي المحافل أجول وقالت بنت الحطيئة لابيها ما بال قصارك أكثر من طوالك قال لانها في الآذان أجول وبالافواه أعلق وقال أبو سفيان لابن الزبعري قصرت في شعرك قال حسبك من الشعر غرة لائحة وسمة واضحة وقيل للنابغة

الذبيانى لم لا تطيل القصائد كما أطال صاحبك ابن حجر فقال من انتحل أسفر وقيل لبعض المحدثين مالك لا تزيد على أربعة واثنين فقال هى بالقلوب أوقع والى الحفظ أسرع وبالالسن أعلق وللمعانى أجمع وصاحبها أبلغ وأوجز وقيل لابن حازم ألا تطيل القصائد فقال

أبى لى ان أطيل الشعر قصدى * الى المعنى وعلى بالصواب
وايجازى بمختصر قريب * حذفت به الفضول من الجواب
فأبعثهن أربعة وخمسا * مثقفة بالفاظ عذاب
خوالد ما حدا ليل نهارا * وما حسن الصبا بأخى الشباب
وكن اذا وسمن مسافرات * تهاداها الرواة مع الركاب

وقال أمير المؤمنين على رضوان الله وسلامه عليه ماراًيت بليغا قط الا وله فى الالفاظ ايجاز وفى المعانى اطالة وقيل لاياس بن معاوية مافيك عيب غيرانك كثير الكلام قال أفتسمعون صوابا أم خطأ قالوا بل صوابا قال فالزيادة من الخير خير وليس كما قال لان للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية ومافضل عن مقدار الاحتمال ودعا الى الاستثقال وصار سببا للملال فذلك الهذر والاسهاب والخطل وهو معيب عند كل لبيب وقال بعضهم البلاغة بالايجاز أنجع من البيان بالاطناب وقالوا المكثار كحاطب الليل وقيل لبعضهم من أبلغ الناس قال من جلا المعنى المتين باللفظ الوجيز وطبق المفصل قيل التحزيز مأخوذ من كلام معاوية وهو قوله لعمرو بن العاص لما أقبل أبو موسى ياعمرو انه قد ضم اليك رجل قصير اللسان طويل الرأى والعرفان فأقل الحز وطبق المفصل ولا تلقه بكل رأيك فقال عمرو أكثر من الطعام مابطن قوم الا فقدوا بعض عقولهم ثم أورد أبو هلال بعد هذا الكلام أمثلة للايجاز منها قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة وقد أسلفنا تعريفك به وفضل العبارة على قرينتها من كلام العرب وهى القتل أنفى للقتل وقوله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وعقبه بقوله لا يوازى هذا الكلام فى الاختصار شئ وقوله ياأيها الناس انما بغيكم على أنفسكم وقوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا وقوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وقوله فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا تحير فى فصاحته جميع البلغاء ولا يجوز أن يوجد مثله فى كلام البشر وقوله ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقوله ياأرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى الآية تتضمن مع الفصاحة والايجاز دلائل القدرة وقوله ألا له الخلق والامر

كلمتان

ان اسمه وسعتا جميع المكونات والمقدورات والموجودات والمعدومات وروى ان عمر قرأها فقال من بقى له شئ فليطلبه وقوله فى صفة خمر أهل الجنة لا يصدعون عنها ولا ينزفون فقوله لا ينزفون انتظم عدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب وانحلال القوى وفساد الصحة وانقطاع الاخوة المختصة بالآخرة وقوله تعالى أولئك لهم الأمن دخل تحت الامن جميع المحبوبات لانه نفى به ان يخافوا شيئا أصلا من الفقر والموت وزوال النعمة والجور وغير ذلك من أصناف المكروه فلا ترى كلة أجمع من هذه وقوله تعالى والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس انتظم جميع أنواع التجارات وصنوف المرافق التى يبلغها الحد والاحصاء ومثله قوله ليشهدوا منافع لهم تضمن جميع منافع الدنيا والآخرة وقوله تعالى فاصدع بما تؤمر ثلاث كلمات تشتمل على أمر الرسالة وشرائعها وأحكامها على الاستقصاء وقوله تعالى كل أمر مستقر ثلاث كلمات اشتملت عواقب الدنيا والآخرة وقوله وله ماسكن فى الليل والنهار وقوله جل وعز خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فجمع جميع مكارم الاخلاق بأصلها لان فى العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين واعطاء المانعين وفى الامر بالمعروف تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان وغض الطرف عن المحرمات والتبرؤ من كل قبيح اذ لا يجوز ان يأمر بالمعروف وهو ملابس شئ من المنكر وفى الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مقابلة السفيه بما يوقع فى الذم ويسقط القدر وقوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها فدل بشيئين على جميع ماأخرجه من الارض قوتا ومتاعا للناس من العشب والشجر والحطب واللباس والنار والملح وغير ذلك والشاهد على انه أراد ذلك كله قوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم وقوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فانظر هل يمكن أحدا من أصناف المتكلمين ايراد هذه المعانى فى مثل هذا القدر من الالفاظ وقوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين جمع الاشياء كلها حتى لا يشذ منها شئ على وجه وقوله تعالى وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين جمع فيه من نعم الجنة مالا تحصره الافهام ولا تبلغه الاوهام وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحة والفراغ نعمتان وقوله عليه الصلاة والسلام نية المرء خير من عمله قلت وهذا من أمثلة المبالغة فانه نبه على عظم أمر النية بتفضيلها على العمل وظاهر انه أفضل اذ هو المستتبع للمنافع المرادة فمآل الكناية تعظيم شأن النية وحينئذ فلا حيرة فى تفسير الخبر

ولا يصح أن يقال ان معناه النية فرد من أفراد العمل وخير من الخيرات وان لفظ خير ليس اسم تفضيل وقوله ترك الشر صدقة وقوله صلى الله عليه وسلم اذا أعطاك الله خيرا فليبن وأبدأ بمن تعول وارتضخ من الفضل ولا تعجز عن نفسك ويروى وابدأ بنفسك ثم بمن تعول وهو مثل قوله ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقوله لا تعجز عن نفسك أي لا تغلبك نفسك بما ترتكب فيها من شح فتكون لما تهوى قليل الثقة وقول أعرابي اللهم هب لي حقك وأرض عني خلقك وقول آخر يذم قوما أولئك قوم جعلوا أموالهم مناديل لأعراضهم فالخير بهم زائد والمعروف لهم شاهد أي يقون أعراضهم بأموالهم ولآخر يمدح انسانا انه يعطي عطاء من يعلم ان الله مادته وقول آخر أما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستحي من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك وقول آخر ان شككت في نيتي فسل قلبك عن قلبي ثم تبع ذلك بايراد أمثلة للمساواة فمنها قوله تعالى حور مقصورات في الخيام وقوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون وقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنما والزكاة مغرما وقوله عليه السلام اياك والمشارة فانها تذهب الغرة وتظهر العرة ومن نثر الكتاب قول بعضهم سألت عن خبري فأنا في صحة وعافية لا عيب فيها الا فقدك ونعمة لا مزيد فيها الا بك وأستصوب اطراح لفظ القصد وما شاكله من الكلام فتقول مثلا لا عيب فيها الا بعدك أو غيبتك وقول آخر قد علمتني نبوتك سلوتك وأسلمني يأسي منك الى الصبر عنك وقول آخر حفظ الله النعمة عليك وفيك وتولى اصلاحك والصلاح لك وأجزل من الخير حظك والحظ منك ومن عليك وعلينا بك وقول آخر يئست من صلاحك وأخاف من فسادي بك وقول آخر قد أطنب في ذم الحمار من شبهه به ومن المنظوم قول طرفة

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وقول آخر

تهدي الأمور بأهل الرأي ما صلحت * وان تولت فبالأشرار تنقاد

وقول آخر

أهابك اجلالا وما بك قدرة * علي ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس انك عندها * قليل ولكن قل منك نصيبها

وقول آخر

فاما

فأما الذى يحصيهم فكثر * وأما الذى يطريهم فقلل

أى كثروا عددا وقلوا مددا فهو كقول الآخر

كاثر بسعد إن سعدا كثيرة * ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا

وقول آخر

أصد بأيدى العيس عن قصد أرضها * وقلبى إليها بالمودة قاصد

وقول الآخر

يقول أناس لا يضيرك فقدها * بلى كل ماشف النفوس يضيرها

وقول آخر

يطول اليوم لا ألقاك فيه * وحول نلتقى فيه قصير

وقالوا لا يضيرك نأى شهر * فقلت لصاحبى فلمن يضير

قال أبو هلال قوله لصاحبى يكاد يكون فضلا قلت ولو قال الشاعر ونأى شهر لا يضير على معنى الاستفهام الانكارى والتعجب من قولهم لكان موافقا الاحتقار نأى الشهر فان زعمهم ان نأى شهر لا يضير أحدا لا أنه لا يضيره دون غيره ثم عقب ذلك بان أورد من أمثلة ايجاز الحذف قوله تعالى واسأل القرية أى أهلها وقوله وأشربوا فى قلوبهم العجل أى حبه وقوله الحج أشهر معلومات أى وقت الحج وقول الشاعر

لهم مجلس صهب السبال أذلة * سواسية احرارها وعبيدها

أى أهل مجلس وسواسية جمع سوائم وقول آخر

تراه كان الله يجدع أنفه * وعينيه ان مولاه بات له وفر

أى ويفقأ عينيه وقول آخر

اذا ما الغانيات برزن يوما * وزججن الحواجب والعيونا

أى وكحلن العيونا وقوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا أى لكان هذا القرآن وقوله أيضا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم أى لعذبكم وقول الشاعر

وأقسم لو شئ أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أى لرددناه وقول رجل وقد سئل عن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه لم يقل فيه مستزيد لو انه انه جمع الحلم والعلم والسلم والقرابة القريبة والهجرة القديمة وهو البصير بالاحكام والبلاء العظيم فى الاسلام أى لو انه كان كذا وكذا الامور يرى انها فاتته وقول آخر

مازلت امتطى النهار اليك واستدل بفضلك عليك حتى اذا جننى الليل فقبض البصر ومحا الاثر أقام بدنى وسافر أملى والاجتهاد عاذر واذا بلغتك فقط ومن الحكايات المشتملة على كلام يتضمن أمثلة لايجاز الحذف مايحكى ان عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالدا فقال ياأخى لقد هممت ان أقتل الوليد بن عبد الملك فقال خالد بئس والله ماهممت به فى ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين فقال ان خيلى مرت به فعبث بها وأصغرنى فيها فقال أنا أكفيك فدخل على عبد الملك فقال ياأمير المؤمنين ان الوليد ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين مرت به خيل لابن عمه عبد الله بن يزيد فعبث بها وأصغره فيها وعبد الملك مطرق فرفع رأسه فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة فقال خالد واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا فقال عبد الملك أفى عبد الله تكلمنى والله لقد دخل على فما أقام لسانه لحنا فقال خالد فعلى الوليد تعول فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان فقال خالد ان كان عبد الله يلحن فان أخاه خالد فقال له عبد الملك اسكت ياخالد فوالله ماتعد فى العير ولا فى النفير فقال خالد اسمع ياأمير المؤمنين ثم أقبل عليه فقال من للعير والنفير جدى أبو سفيان صاحب العير وجدى عتبة بن ربيعة صاحب النفير ولكن لوقلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان قلنا صدقت فقوله أفعلى الوليد تعول أى فانه أسوأ حالا فى ذلك من عبد الله وقوله فان أخاه سليمان أى وهو لا يلحن وقوله فان أخاه خالد أى وهو كما تعرف وقوله لاتعد فى العير ولا فى النفير مثل فى الاحتقار ومعناه انه ليس بشئ يذكر وأصله كما صرف الكلام اليه خالد عن التمثل انه لما سمع أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم ان يتلقى ركب تجارتهم عند قدومه من الشام وهو العير وكان رئيسه أبا سفيان صخر بن حرب أبا معاوية خرجوا بأجمعهم ورئيسهم عتبة بن ربيعة ليمنعوا تجارتهم وهو المسمى بالنفير فكانت غزوة بدر الشهيرة وقوله لوقلت غنيمات وحبيلات الى آخره اشارة لقصة وهى ان النبى صلى الله عليه وسلم نعم على الحكم أبى مروان وجد عبد الملك أمورا فنفاه الى الطائف وأقام هنالك يعيش فى قطعة من الغنم بقية مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتى أبى بكر وعمر ورده الى المدينة عثمان ابن عفان رضى الله عنه فى خلافته وكان ذلك من الحجج التى تمسك بها المسلمون اذ ذاك على اساءة عثمان رضى الله عنه واذا أحسنت النظر وتفهم المعانى وماتستدعيه

من

من الالفاظ لم يصعب عليك ان تتبين عمل القرائن الحالية واللفظية ونيابتها عن ذكر بعض ماتقتضيه المعانى فى كلمة كان أوأكثر وبهذا القدر مع ماسلف من فن المعانى تجد نفسك مادة لاتقانه معرفة الايجاز بنوعيه والمساواة وموضع كل ثم هاك بعض ماقيل فى الاطناب قال أبوهلال قال أصحاب الاطناب المنطق انما هو بيان والبيان لايكون الا بالاشباع والشفاء لايقع الا بالاقناع وأفضل الكلام أبينه وأبينه أشده احاطة بالمعانى ولايحاط بالمعانى احاطة تامة الا بالاستقصاء والايجاز للخواص والاطناب مشترك فيه الخاص والعام والغبى والفطن ولمعنى ما أطيلت الكتب السلطانية فى افهام الرعايا والقول القصد ان الاطناب والايجاز كما اعترف به مادحو الاطناب يحتاج اليهما فى جميع الكلام وكل نوع منه ولكل واحد منهما موضع والحاجة الى الايجاز فى موضعه كالحاجة الى الاطناب فى مكانه فمن أزال التدبير فى ذلك عن جهته واستعمل الاطناب فى موضع الايجاز أخطأ كما روى عن جعفر بن يحيى انه قال مع عجبه بالايجاز حيث يقول كما سلف لكتبته ان استطعتم ان تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا أى وجيزة مثل التوقيعات وهى العبارات التى تكتب عن السلطان أو نوابه على القصص لاجراء مافيها فانه كما جرت العادة يختار لها أوجز العبارات فربما كان التوقيع كلمة أو كلمتين متى كان الايجاز أبلغ كان الاكثار عيا ومتى كانت الكتابة فى موضع الاكثار كان الايجاز تقصيرا وأمر يحيى بن خالد اثنين ان يكتبا كتابا فى معنى واحد فأطال أحدهما واختصر الآخر فقال للمختصر وقد نظر فى كتابه ماأرى موضع مزيد وقال للطيل ماأرى موضع نقصان قلت لامعنى لايراد أبى هلال هذه الحكاية فى هذا الموضع اذ غرضه تمييز موضع كل من الايجاز والاطناب ويؤخذ من هذا الكلام انه ربما كان المعنى موضعا لاختلاف الرأى والذوق فبعض يرى حسن الاطناب وآخر حسن الايجاز وربما يستدعى المعنى أحدهما فقط فيكون الكاتب أو المتكلم أسيرا لذلك الاستدعاء وقال غيره البلاغة الايجاز فى غير عجز والاطناب فى غير خطل ولاشك ان الكتب الصادرة عن السلاطين فى الامور الجسيمة والفتوح الجليلة وتفخيم النعم الحادثة أو الترغيب فى الطاعة والنهى عن المعصية سبيلها ان تكون مشبعة مستقصاة تملأ الصدور وتأخذ بمسامع القلوب فمن هنا ترى ان ما كتبه المهلب بن أبى صفرة الى الحجاج فى فتح الازارقة الحمد لله الذى كفى بالاسلام فقد ماسواه وجعل الحمد متصلا بنعمته وقضى ان لاينقطع المزيد من فضله حتى ينقطع الشكر من خلقه ثم انا كنا

وهكذا قول الحارث بن عباد * قربا مربط النعامة مني * كررها في أكثر من ذلك لما كانت الحاجة الى التكرير ماسة والضرورة اليه داعية لعظم الخطب وشدة موقع الفجيعة فهذا يدل على ان الاطناب عندهم مستحسن كما ان الايجاز في مكانه مستحب ولا بد للكاتب في اكثر أنواع مكاتباته من شعب من الاطناب يستعملها اذا أراد المزاوجة بين الفصلين ولا يعاب ذلك منه وذلك مثل ان يكتب عظمت نعمتنا عليه وتظاهر احساننا اليه فيكون الفصل الاخير داخلا معناه في الفصل الاول وقال مروان آخر ملوك بني أمية وقد أحاط به أعداؤه لخادمه باسل من أغفل القليل حتى يكثر والصغير حتى يكبر والخفي حتى يظهر أصابه مثل هذا وهذا كلام في غاية الحسن وان كان معنى الفصلين الاخيرين داخلا في الفصل الاول وقال أبو تمام

رب خفض تحت السرى وغناء * من عناء ونضرة من شحوب

الغناء داخل في الخفض والعناء داخل في السرى ومعناه وأجدى من ذلك كله قول الله عز وجل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي والاحسان داخل في العدل وايتاء ذي القربى داخل في الاحسان والفحشاء داخلة في المنكر والبغي والمنكر داخلان في الفحشاء وهذا يدل على أن عظم مدار البلاغة على تحسين اللفظ لان المعاني اذا دخل بعضها في بعض هذا الدخول وكانت الالفاظ مختارة حسن الكلام واذا كانت المعاني مرتبة حسنة والمعارض سيئة كان الكلام مردودا فاعتمد على ما مثلته لك وقس عليه ومن الله الهداية وقال أبو هلال في باب القول عن مبادي الكلام ومقاطعه والخروج من فصل الى فصل قال بعض الكتاب احسنوا معاشر الكتاب الابتداآت فانهن دلائل البيان وقالوا ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يتطير منه ويستجفى من الكلام والمخاطبة كالبكاء ووصف اقفار الدار وتشتت الالاف ونعي الشباب لاسيما في القصائد التي تتضمن المدائح والتهاني وتستعمل ذلك في المراثي ووصف الخطوب الحادثة فان الكلام اذا كان مؤسسا على هذا المثال تطير منه سامعه وان كان يعلم ان الشاعر انما يخاطب نفسه دون الممدوح مثل ابتداء ذي الرمة

ما بال عينيك منها الماء ينسكب * كأنه من كلى مفرية سرب

وكان بعيني عبد الملك علة يدمعان منها فقال له مالك وهذا يا بغيض وقد أنكر الفضل البرمكي على أبي نواس * أربع البلى ان الخشوع لباد * فلما انتهى الى قوله سلام

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم * بني برمك من رائحين وغادي

استحكم تطيره وقيل انه لم يمض أسبوع حتى نكبوا قلت واذا كان هذا الشعر من أبي نواس مقصودا ان يكون على هذا النحو وانه به مأمور تعجيلا لاساءتهم ومبادرة بتنغيص حياتهم واشعارهم بعزيمة الانتقام منهم كما قيل ذلك لم يكن مثالا لما نحن فيه وحكى انه لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان الذي كان للعباسة جلس فيه وجمع أهله وأصحابه وأمر أن يلبس الناس كلهم الديباج وجعل سريره في الايوان المنقوش بالفسافس الذي كان في صدره صورة العنقاء فجلس على سرير مرصع بانواع الجوهر وجعل على رأسه التاج الذي كانت فيه الدرة اليتيمة وفي الايوان أسرة أبنوس عن يمينه وعن يساره من عند السرير الذي عليه المعتصم الى باب الايوان فكلما دخل رجل رتبه هو بنفسه في الموضع الذي يليق به فما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم فاستأذنه اسحاق بن ابراهيم الموصلي في النشيد فأذن له فانشده شعرا ما سمع الناس أحسن منه في صفته وصفة المجلس الا ان أوله تشبيب بالديار القديمة وبقية آثارها فكان أول بيت منها

يا دار غيرك البلى ومحاك * يا ليت شعري ما الذي ابلاك

فتطير المعتصم من ذلك وتغامز الناس وعجبوا كيف ذهب على اسحاق مع فهمه وعلمه وطول خدمته للملوك قال راوي الحكاية فأقمنا يوما وانصرفنا فما عاد منا اثنان الى ذلك المجلس وخرج المعتصم الى سر من رأى وخرب القصر وأنشد البحتري أبا سعيد قصيدة أولها

لك الويل من ليل تطاول آخره * ووشك نوى حي تزم أباعره

فقال أبو سعيد بل الويل والحرب لك فغيره وجعله له الويل وهو ردىء أيضا وأنشد أبو مقاتل الداعي

لا تقل بشرى ولكن بشريان * غرة الداعي ويوم المهرجان

فأوجعه الداعي ضربا ثم قال هلا قلت * ان تقل بشرى فهذى بشريان * ولم يجزه وقال جائزته تحسين أدبه فان أراد أن يذكر دارا فليذكرها كما ذكرا الخزيمي

ألا يا دار دام لك الحبور * وساعدك الغضارة والسرور

وكما قال أشجع

قصر عليه تحية وسلام * نشرت عليه جمالها الايام

وقالوا أحسن ابتدا آت الجاهلية قول النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وأحسن مرثية جاهلية ابتداء قول أوس بن حجر

أيتها النفس اجملي جزعا * ان الذي تحذرين قد وقعا

وأحسن مرثية اسلامية ابتداء قول أبي تمام

أصم بك الناعي وان كان أسمعا * وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

وقد بكى امرؤ القيس واستبكى ووقف واستوقف وذكر الحبيب والمنزل في نصف بيت

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * فهو من أجود الابتدا آت وكرره في مطلع قصيدة أخرى وهو قوله

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان * وربع عفت آياته منذ أزمان

وهو أحسن وأتم من الاول ومن احكم ابتدا آت العرب قول السموأل

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل

وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل

وقال بعضهم احكم ابتدا آتهم قول لبيد

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

وبعضهم يجعل ابتداء هذه القصيدة

ألا تسألان المرء ماذا يحاول * أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

ومن جياد ابتدا آت الجاهلية قول النابغة

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل * وكيف تصابي المرء والشيب شامل

قالوا وكان عبد الحميد لا يبتدئ بلو ولا ان رأيت وقد جعل الناس قول أبي تمام

* يا بعد غاية دمع العين ان بعدوا * من جياد الابتداء وقوله

* سعدت غربة النوى بسعاد * وسئل بعضهم عن أحذق الشعراء فقال من يتفقد الابتداء والمقطع ولما نظر أبو العميثل في قصيدة أبي تمام

* هن عوادي يوسف وصواحبه * فاستر ذل ابتداءها واسقط القصيدة كلها حتى راجعه أبو تمام واوقفه على موضع الاحسان منها فراجع عبد الله بن طاهر وأجازه قال أبو العميثل هذا كان من علماء الشعراء المقيمين في خدمة عبد الله بن طاهر وهو أمير خراسان اذ ذاك وكان الشعراء يقصدونه من الجهات البعيدة يمدحونه يبتغون جوائزه

بجوائزه ولكن لم يكن ليسمع شعرا حتى يسمعه أبو العميثل وأصحابه فان استجادوه أبلغوه الامير واثنوا على صاحبه فيجيزه وان لم يستجيدوه ردوه صفر اليدين ومن عيون أبيات هذه القصيدة قوله فى صفة مشقة السفر وعلو همة الركب

وركب كامثال الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه

لامر عليهم أن يتم واصدوره * وليس عليهم ان تتم عواقبه

وقوله فى صفة الجمل بالنحول والهزال من شدائد السفر فى الفيافى

رعته الفيافى بعدما كان حقبة * رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

ولابى تمام ابتداآت كثيرة تجرى هذا المجرى منها قوله

قدك اتئب أربيت فى الغلواء * كم تعذلون وأنتم سجرائى

تفسير هذا البيت انه عدد الالفاظ الصادرة من العذال على سبيل التعجب والاستهزاء وهى قولهم "قدك" أى حسبك اتئب وأصله أوتئب أى استح أربيت فى الغلواء أى زدت فى الغلو والتغرير بنفسك فى أمر العشق ثم التفت الى العذال فقال يخاطبهم كم تعذلون وأنتم سجرائى أى خلطائى جمع سجير بمعنى مشاجر ومن الابتداآت البديعة قول مسلم

أجررت ذيل خليع فى الصبى غزل * وشمرت همم العذال فى عذلى

والابتداء أول ما يقع فى السمع من كلامك والمقطع آخر ما يبقى فى النفس من قولك فينبغى أن يكونا جميعا مرتقيين وقد استحسن لبعض المتأخرين يعنى المتنبى ابتداءه

* أريقك ام ماء الغمامة أم خمر * وله بعد ذلك ابتداآت المصائب وفراق الحبائب منها قوله

هذى برزت لنا فهجت رسيسا * ثم انصرفت وماشفيت نسيسا

وقوله * جللا كمابى فليك التبريح * وقوله * أحاد أم سداس فى أحاد * وقوله

لجنية ام غادة رفع السجف * لوحشية لاما لوحشية شنف

قلت وهذه القصيدة يقولها فى مدح قاض فقيه ومنها وفيه قبح الاستعارة وسوء العبارة قوله

فقيه رست للعلم فى أرض صدره * جبال جبال الارض فى جنبها قف

وقوله

في الخد إن عزم الخليط رحيلا * دمع تزيد به الخدود محولا

قال اسماعيل بن عباد ان المحول في الخدود من البديع المزور فهذه وما شاكلها ابتدا آت لاخلاق لها واذا كان الابتداء حسنا بديعا ومليحا رشيقا كان داعية لاستماع ما يجيء بعده من الكلام ولهذا المعنى يقول الله تعالى الم وحم وطس وطسم وكهيعص فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد ليكون ذلك داعية لهم الى الاستماع وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كل كلام لم يبدأ فيه بحمد الله فهو أبتر هذا وقال أبو هلال في بيان وجوب الاعتناء بمواضع فصل كلام من كلام ووصل الكلام بعضه ببعض قيل للفارسي ما البلاغة قال معرفة الفصل من الوصل وقال المأمون لبعضهم من أبلغ الناس قال من قرب الامر البعيد المتناول والصعب الدرك بالالفاظ اليسيرة قال ما عدل سهمك عن الغرض ولكن البليغ من كان كلامه في مقدار حاجته ولا يجيل الفكرة في اختلاس ما صعب عليه من الالفاظ ولا يكره المعاني بانزالها في غير منازلها ولا يتعمد الغريب الوحشي ولا الساقط السوقي والبلاغة اذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام فقد استحسن المامون الجواب ولكنه عرفه انه غير مقنع فساق له ما عنده وينبغي أن يكون الجواب وصفة ابلغ الناس وقال أبو العباس السفاح لكاتبه قف عند الكلام وحدوده واياك ان تخلط المرعى بالهمل ومن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل من الوصل وقال الاحنف بن قيس ما رأيت رجلا تكلم فاحسن الوقف عند مقاطع الكلام ولا عرف حدوده الا أبا عمرو ابن العلاء كان اذا تكلم تفقد مقاطع الكلام وأعطى حق المقام وغاص في استخراج المعنى بألطف مخرج حتى كان يقف عند المقطع وقفا يحول بينه وبين تبعيته من الالفاظ وكان كثيرا ما ينشد

اذا ما بدا فوق المنابر قائلا * أصاب بما يومي اليه المفاصلا

وحكي ان شبيب بن شبة كان يوما قاعدا بباب المهدي فاقبل عبد الصمد بن الفضل الرقاشي فلما رآه شبيب قال أتاكم والله كليم الناس فلما جلس قال شبيب تكلم يا أبا العباس فقال أمعك يا أبا معمر وأنت خطيبنا وسيدنا قال نعم والله ما رأيت قلبا أقرب من لسان من قلبك من لسانك قال في أي شيء تحب أن أتكلم قال واذا شيخ يتوكأ على عصا قال صف لنا هذه العصا فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم ذكر السماء فقال رفعها الله بغير عمد وجعل فيها نجوم رجم ونجوم اهتداء وأدار فيها سراجا وقمرا منيرا لتعلموا عدد السنين

السنين والحساب وأنزل منها ماء مباركا أحيا به الزرع والضرع وأدر به الاقوات وحفظ به الارواح وأنبت منها أنواعا مختلفة يصرفها من حال الى حال تكون حبة ثم يجعلها عرقا ثم يقيمها على ساق فبينا تراها خضرا تترف اذ تراها يابسة تتقصف لينتفع بها العباد وتعمر بها البلاد ثم جعل من يبسها هذه العصا ثم أقبل على الشيخ وقال وكان هذا نطفة فى صلب أبيه ثم صار علقة حين خرج منه ثم مضغة ثم عظما ولحما فصار جنينا أوجده الله بعد عدم وأنشأه من بدء وقفه مكتهلا ونقضه شيخا الى ان صار الى هذه الحال من الكبر فاحتاج الى هذه العصا فى آخر حالاته فتبارك المدبر للعباد قال شبيب فما سمعت كلاما على بديهة أحسن منه وقال معاوية يا أشدق قم عند قروم العرب وحجاجها فسل لسانك وجل فى ميادين البلاغة وليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بال فانى شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى على بن أبى طالب عليه السلام كتابا فكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المصرم صرمته ولما أقام أبو جعفر المنصور صالحا خطيبا بحضرة شبيب بن شبة واشراف قريش فتكلم أقبل شبيب فقال يا أمير المؤمنين ما رأيت كاليوم أبين بيانا ولا أربط جنانا ولا أفصح لسانا ولا أبل ريقا ولا أغمض عروقا ولا أحسن طريقا الا ان الجواد عسير لم يرض فحملته القوة على تعسف الاحكام وخبطها وترك الطريق اللاحب وأيم الله لو عرف فى خطبته مقاطع الكلام لكان أفصح من نطق بلسان وقال المأمون ما أعجب بكتاب أحد كاعجابى بكتاب القاسم ابن عيسى فانه يوجز فى غير عجز ويصيب مقاطع الكلام ولا تدعوه المقدرة الى الاطناب ولا تميل به الغزارة الى الاسهاب يحلى عن مراده فى كتبه ويصيب المغزى فى ألفاظه وكان يزيد بن معاوية يقول اياكم ان تجعلوا الفصل وصلا فانه أشد وأعيب من اللحن وقال أكثم بن صيفى كانت ملوك الجاهلية تقول لكتابها افصلوا بين كل منقضى معنى وصلوا اذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض وكان الحارث بن أبى شمر الغسانى يقول لكاتبه المرقش اذا نزع بك الكلام الى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين تبيعته من الالفاظ فانك ان مذقت الفاظك بغير ما يحسن ان تمذق به نفرت القلوب عن وعيه وملته الاسماع واستثقلته الرواة وكان بزرجمهر يقول اذا مدحت رجلا وهجوت آخر فاجعل بين القولين فصلا حتى يعرف المدح من الهجاء كما تفعل بكتبك اذا استأنفت القول فاكملت ما سلف من اللفظ وقال الحسن بن وهب لكاتبه الحرانى ما منزلة الكاتب فى قوله وفعله قال ان يكون مطبوعا محتنكا بالتجربة عالما بحلال

ومثله قول الشنفرى فى آخر قصيدة

وانى لحلو إن أريدت حلاوتى * ومر اذا نفس العزوف أمرت
أبى لما آبى قريب مقادتى * الى كل نفس تنتحى فى مسرتى

وهذان البيتان أجود ما تضربه فى هذه القصيدة وقال بشر بن أبى حازم فى آخر قصيدة

ولا ينجى من الغمرات الا * براكاء القتال أو الفرار

فقطعها على مثل سائر والامثال أحب الى النفوس لحاجتها اليها عند المحاضرة والمجالسة وقال الهذلى

عصاك الاقارب فى أمرهم * فزايل بأمرك أو خالط
ولا تسقطن سقوط النوا * ة من كف مرتضخ لاقط

فقطعها على تشبيه مليح ومثل حسن وهكذا يفعل الكاتب الحاذق والمترسل المبرز الاترى ما كتب الصاحب فى آخر رسالة له فان حنثت فيما حلفت فلا خطوت لتحصيل مجد ولا نهضت لاقتناء حمد ولا سعيت الى مقام فخر ولا حرصت على علو ذكر وهذه اليمين لو سمعها عامر بن الظرب أحد مشاهير قضاة العرب لقال هى الغموس لا القسم باللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فأتى بأيمان غريبة ومعان ظريفة وكتب أيضا فى آخر رسالة وأنا متوقع لكتابك توقع الظما آن للماء الزلال والصوام لهلال شوال وكتب آخر أخرى وسأل أن أخلفه فى تجشيم مولاى الى هذا المجمع ليقرب عليه تناول البدر بمشاهدته ولمس الشمس بغرته فانظر كيف تقع كلماته على كل معنى بديع ولفظ شريف هذا وحسن المقطع وجودة الفاصلة وحسن تمكنها فى موضعها على ثلاثة اضرب فضرب منها ان يضيق على الشاعر موضع القافية فيأتى بلفظ قصير قليل الحروف فيتم به البيت كقول زهير

واعلم ما فى اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عم

وقول النابغة * جفت أعاليه وأسفله ند * وقول الاعشى

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها
وبعده لكى يعلم الناس انى امرؤ * أتيت اللذاذة من بابها

وقول امرئ القيس

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقول

وقول طرفة

اذا ابتدر القوم السلاح وجدتني * منيعا اذا بلت بقائمه يدي

وقول النابغة من القصيدة التي أولها * أمن آل مية رائح أو مغتد *

لا مرحبا بغد ولا أهلا به * ان كان تفريق الاحبة في غد

أفد الترحل غير ان ركابنا * لما تزل برحالها وكأن قد

وقوله

كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

وقوله * تشفى ببرد لثاتها العطش الصدى * وقول آخر

ألا يا غرابي بينها لا تصدعا * وطيرا جميعا بالنوى وقعا معا

وقول ابن أحمر

وان كانت النعماء عندك لامرئ * فمثلا بها فاجز المطالب أوزد

وقول أبي حية * فقلنا لها سرا فديناك لا يرح * الابيات السالفة ومن

شعر المحدثين قول ابن عبدة

دنياد عوتك مسمعا فأجيبي * وبما اصطفيتك في الهوى فأثيبي

دومي أدم لك بالوفاء على القضا * اني بعهدك واثق فثقي بي

وقول آخر

أتتني تؤنبني في البكا * فأهلا بها وبتأنيبها

وقالت وفي قولها حشمة * أتبكي بعين ترانا بها

فقلت اذا استحسنت غيركم * أمرت الدموع بتأديبها

والضرب الاخر أن يضيق به المكان أيضا ويعجز عن ايراد كلمة سالمة تحتاج الى اعراب فيأتي بكلمة ليست كذلك يتم بها البيت مثل قول امرئ القيس

* كذئب الغضا يمشي الضراء ويتقي * وقول زهير

* صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلو * ثم قال

وقد كنت من سلمى سنين ثمانيا * على صير أمر ما يمر ولا يحلو

وقوله

لذي الحلم من ذبيان عندي مودة * وحفظ ومن يلحم بي الشر أنسج

مخوفا كأن الطير في منزلاته * على جيف الحسرى مجالس تنتحي

وقول ذي الرمة

أراح رفاق جيرتك الجمالا * كأنهم يريدون احتمالا
وكدت أموت من حزن عليهم * ولم أر حادي الاظعان بالا

وقول الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

والضرب الثالث ان تكون لفظة لائقة بما تقدمها من الالفاظ وتكون مستقرة في قرارها ومتمكنة في موضعها حتى لا يسد مسدها غيرها وان لم تكن قافية الحروف كقول الحطيئة

هم القوم الذين اذا ألمت * من الايام مظلمة أضاؤا

وقول آخر

صلى الاله على امرئ ودعته * وأتم نعمته عليه وزادها

وقول البحتري

ظللنا نرجم فيك الظنون * أحاجبه أنت أم حاجبه

وقول أبي نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

ومعايب من القوافي قول ابن الرقيات وقد أنشد عبد الملك

ان الحوادث بالمدينة قد * أوجعنني وقرعن مروتيه
وجببنني جب السنام فلم * يتركن ريشا في مناكبيه

فقال له عبد الملك أحسنت الا انك تخنثت في قوافيه فقال ما عدوت قول الله عز وجل ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وليس كما قال لان فاصلة الآية حسنة الموقع وفي قوافي شعره لين يدرك ذلك بالوجدان وسببه اللفظي ان فواصل الآية كائنة من مدة وحركتين وحرف السكت وقوافيه من ساكن يابس أولين وثلاث حركات وحرف السكت فتجد في الآية من الشدة بقدر ما تجد في أبياته من اللين ولذلك وصفه عبد الملك بالتخنث وهو التشبه بالمخنثين في التلفظ والمخنث الرجل في خلائق النساء طبعا أو تطبعا ومن عيوب القوافي ان تكون القافية مستدعاة لا تفيد معنى وانما أوردت ليستوي الروي فقط قلت وهذا من أقبح عيوب الشعر فان الشعر انما هو بالقوافي واذا احتاج من يريد ان يقول الشعر لمثل ذلك فراحة الناس في سكوته مثل قول أبي تمام كالظبية

كالظبية الادماء صافت وارتعت * زهر العرار الغض والجثجاثا

ليس في وصف الظبية بانها ترعى الجثجاث فائدة وسواء رعت الجثجاث أو القلام أو غير ذلك من النبات واذا قصد لنعت الظبية بزيادة حسن قيل انها تعطو الشجر لانها حينئذ ترفع رأسها فيطول جيدها وتظهر محاسنها كما قال

والجيد منها جيد جازية * تعطو اذا ما طالها المرد

وقريب منه قول الآخر

وسابغة الاذيال زغف مفاضة * يكفكفها عني نجاد مخطط

وليس لتخطيط النجاد معنى يرجع الى السيف ولا الى الدرع فلت واذا انتهى الى ان يقول كما يقول بعض المصنفين القيد لبيان الواقع يقال وما حيلة المضطر الا بارد العذر ومثله قول آخر

أأنثر البز فيمن ليس يعرفه * وأنثر الدر بين العمي في الغلس

وليس لذكر الغلس مع العمى معنى لان الاعمى يستوي عنده الغلس والهاجرة ولو قال العمش لكان أقرب من العمى على ان الجميع لا خير فيه وقول ابن الرومي

ألا ربما سؤت الغيور وساءني * وبات كلانا من أخيه على وحر

وقبلات أفواها عذابا كأنها * ينابيع خمر حصبت لؤلؤ البحر

فقوله لؤلؤ البحر أفسد البيت وأطفأ نوره لان اللؤلؤ لا يكون في النهر ولا غيره من المواضع فنسبته الى البحر لا فائدة فيه الا اقامة الروي هذا وروح المقصود بالنقل من كتاب أبي هلال قوله في تمييز الكلام جيده من رديئه ونادره من بارده قال الكلام أيدك الله يحسن بسلاسته وسهولته وصناعته وتخير لفظه واصابة معناه وجودة مطالعه ولين معاطفه واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه وتشبه اعجازه بهواديه وموافقة ما خره لمباديه مع قلة ضروراتها بل عدمها أصلا حتى لا يكون لها في الالفاظ أثر فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطلعه وجودة مقطعه وحسن رصفه وتأليفه وكمال صوغه وتركيبه فاذا كان الكلام كذلك صار بالقبول حقيقا وبالتحفظ خليقا كقول القائل

هم الالى وهبوا للمجد أنفسهم * فما يبالون ما نالوا اذا حمدوا

وقول معن بن أوس

لعمري ما أهديت كفي لريبة * ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها * ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلم اني لم تصبني مصيبة * من الدهر الا قد أصابت فتى قبلي
ولست بماش ما حييت لمنكر * من الامر لا يمشي الى مثله مثلي
ولا مؤثر نفسي على ذي قرابة * وأوثر ضيفي ما أقام على أهلي

وقال الآخر

ولست بنظار الى جانب الغنى * اذا كانت العلياء في جانب الفقر

وقال آخر

ذريني أسير في البلاد لعلني * أصيب فتى فيه لذى الحق محمل
فان نحن لم نسطع دفاعا لحادث * تلم به الايام فالصبر اجمل
أليس كثيرا ان تلم ملمة * وليس علينا في الحقوق معول

ومما هو صحيح في وصفه جيد في رصفه قول الشنفرى

أديم مطال الجوع حتى أميته * وأضرب عنه القلب صفحا فاذهل
ولولا اجتناب الذم لم يلف مشرب * يعاش به الا لدي ومأكل
ولكن نفسا حرة ما تقيم بي * على الضيم الا ريثما أتحول

وقول بشار

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وقول دعبل

وما ان قتلناهم باكثر منهم * ولكن بأوفى للطعان واكرما
وان امرأ أمست مساقط رأسه * باسوان لم يترك له الحزم معلما
حللت محلا يقصر الطرف دونه * ويعجز عنه الطيف ان يتجشما

وقول النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

وليس لهذا البيت نظير في كلام العرب قال بعضهم نظيره قول أوس بن حجر

ولست بخابئ أبدا طعاما * حذار غد لكل غد طعام

هذا وان كان نظيره في التأليف فانه دونه لما تكرر فيه من لفظ غد فاذا كان الكلام على ما وصفت لك من العذوبة والجزالة والسهولة والرصانة مع السلاسة والنصاعة واشتمل على الرونق والطلاوة وسلم من حيف التأليف وبعد من سماجة التركيب وورد على الفهم الثاقب

تناقب قبله ولم يرده وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يمجه والنفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن الى ما توافقه وتنفر عما تضاده وتخالفه فالعين تألف الحسن وتقذى بالقبيح والانف يرتاح للطيب ويعاف المنتن والفم يلتذ بالحلو ويمج المر والسمع يتشوف للصوت الرائع وينزوى عن الجهير الهائل واليد تنعم باللين وتتأذى بالخشن والفهم يأنس بالكلام المعروف ويسكن الى المألوف ويصغى الى الصواب ويهرب من المحال وينقبض عن الوخم ويتأخر عن الجافى الغليظ ولا يقبل الكلام المضطرب الا الفهم المضطرب والروية الفاسدة وليس الشأن فى ايراد المعانى لان المعانى يعرفها العربى والاعجمى والقروى والبدوى وانما هو فى جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته ومائه مع صحة السبك والتركيب والخلو من النظم والتأليف وليس يطلب من المعنى الا ان يكون صوابا ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التى تقدمت الاترى الى قول حبيب بن أوس

مستسلم لله سائس أمة * لذوى تجهضمها له استسلام

فانه أتى بصواب اللفظ [illegible] ولا محسن ولا مقبول وقال أبو داود رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحها [illegible] الكلام وحليها الاعراب وبهاؤها تخير الالفاظ والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه وأنشد

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ خشية الرقباء

ومن الدليل على أن مدار البلاغة تحسين اللفظ ان الخطب الفائقة والاشعار الرائقة ما عملت لافهام المعانى فقط لان الردىء من الالفاظ يقوم مقام الجيد منها فى الافهام وانما يدل حسن الكلام واحكام الصنعة ورونق ألفاظه وجودة مقاطعه وبديع مباديه وغريب مبانيه على فضل قائله وفهم منشيه واكثر هذه الاوصاف ترجع الى الالفاظ دون المعانى ولهذا يتأنق الكاتب فى الرسالة والخطيب فى الخطبة والشاعر فى القصيدة ويبالغون فى تجويدها ويغلون فى ترتيبها ليدلوا على براعتهم وحذقهم وصناعتهم ولو كان الامر فى المعانى لطرحوا اكثر ذلك فربحوا كدا كثيرا وأسقطوا عن أنفسهم تعبا طويلا ودليل آخر ان الكلام اذا كان لفظه حلوا عذبا وسلسا سهلا ومعناه وسطا دخل فى جملة الجيد وجرى مع الرائع النادر كقول الشاعر

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهارى رحالنا * ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح

فليس تحت هذه الالفاظ كبير معنى وهى رائقة معجبة وانما المعنى ولما قضينا الحج ومسحنا وشددت رحالنا على مهارى الابل سرنا فانحدرت فى بطون الاودية وبارد الشعر مثل قول عمرو بن معديكرب

قد علمت سلمى وجاراتها * ما قطر الفارس الا أنا
شككت بالرمح سرابيله * والخيل تعدو زيما حولنا

زيما أى متفرقة وقول أبى العتاهية

مات والله سعيد بن وهب * رحم الله سعيد بن وهب
يا أبا عثمان أبكيت عينى * يا أبا عثمان أبكيت قلبى

والبارد فى شعر أبى العتاهية كثير والشعر كلام منسوج ولفظ منظوم وأحسنه ما تلاءم نسجه ولم يسخف وحسن نظمه ولم يهجن ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام فيكون جلفا بغيضا ولا السوقى من الالفاظ فيكون مهلهلا دونيا فالبعيض كقول أبى تمام

قد كان حزن الخطب فى احزانه * حتى دعاه الحسين للاسهال
جعلوا القنا الدرجات للكزجات * ذات الغيل والحرجات والادحال

قلت هذان البيتان المستكرهان من أبيات قصيدة فتحية معتصمية من غرر قصائد أبى تمام البيت الاول فى صفة حال العدو أولا وآخرا وذلك انه كان ممتنعا باقامته فى أماكن مرتفعة وعرة ذات أشجار ومهاوى فكان لا يقدر عليه وهو معنى قوله * قد كان حزن الخطب فى أحزانه * أى أشد الخطب فى سكناه حزن الارض وهو ضد السهل والبيت الثانى فى صفة عسكر المعتصم أى جعلوا القنا سلما لهذه المواضع المرتفعة الوعرة المشتملة على الشجر الملتف وهو الغيل والحرجات ومهاو وهى الادحال وقوله

يا دهر قوم من أخدعيك فقد * أضججت هذا الانام من خرقك

ولا خير فى المعانى اذا استكرهت قهرا والالفاظ اذا أجبرت قسرا ولا خير فيما أجيد لفظه اذا سخف معناه ولكن فى غرابة المعنى اذا شرف لفظه مع وضوح المغزى وظهور المقصد وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا

الابكد ويستعظمونه اذا وجدوا ألفاظه كزة غليظة ويستحقرون الكلام اذا رأوه سلساً عذباً وسهلاً حلواً ولم يعلموا ان السهل اذا أمنع جانباً وأعزه طلباً وهو أحسن موقعاً وأعذب مستمعاً ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع ويحكى ان الفضل بن سهل وصف عمرو بن مسعدة فقال هو أبلغ الناس ومن بلاغته يظن الظان انه يكتب مثل كتبه فاذا رامها تعذرت عليه وان ابراهيم بن العباس بن الاحنف أنشد يوما بعض أصحابه

ان قال لم يفعل وان سيل لم * يبذل وان عوتب لم يعتب
صب بعصياني ولو قال لي * لا تشرب البارد لم أشرب

ثم قال هذا والله الشعر الحسن المعنى السهل اللفظ العذب المستمع القليل النظير العزيز الشبيه المطمع الممتنع البعيد مع قربه الصعب مع سهولة فجعل أصحابه يقولون هذا الكلام والله أحسن من شعره وانه قيل للسيد الحميري ألا تستعمل الغريب في شعرك فقال ذلك عي في زماني وتكلف مني لو قلته وقد رزقت طبعاً واتساعاً في الكلام وأنا أقول ما يعرفه الصغير والكبير ولا يحتاج الى تفسير ثم أنشد

* أيا رب اني لم أرد بالذي به * مدحت علياً غير وجهك فارحم

فهذا كلام عاقل يضع الشيء موضعه ويستعمله في ابانه ومن الكلام المطبوع السهل ما وقع به علي بن عيسى قد بلغتك أقصى طلبتك وأنلتك غاية بغيتك وأنت مع ذلك تستقل كثيري وتستقبح حسني فيك فأنت كما قيل

كالحوت لا يكفيه شئ يلهمه * يصبح ظمآن وفي البحر فمه

ومن المنظوم المطمع الممتنع قول البحتري عفا الله عنه

أيها العاتب الذي ليس يرضى * نم هنيئاً فلست أطعم غمضا
ان لي من هواك وجداً قد استهـ * ـلك نومي ومضجعاً قد أقضا
فجفوني في عبرة ليس ترقى * وفؤادي في لوعة ما تقضى
أحيني بالوصال ان كان جودا * وأثبني بالحب ان كان قرضا
* بأبي شادن تعلق قلبي * بجفون فواتر اللحظ مرضى
لست أنساه اذ بدا من قريب * يتثنى تثني الغصن غضا
واعتذاري اليه حين تجافى * لي عن بعض ما أتيت وأغضى
واعتلاقي تفاح خديه تقبيـ * ـلا ولثماً طورا وشما وعضا

أيها الراكب الذي طلب الجو * د فابكى كوم المطايا وأنضى
زرحياض الامام تلق نوالا * وسع الراغبين طولا وعرضا
هو أندى من الغمام وأوحى * وقعات من الحسام وأمضى
يتوخى الاحسان قولا وفعلا * وبطبع الاله بسطا وقبضا
فضل الله جعفر بخلال * جعلت حبه على الناس فرضا

ويقول فيها

وأرى المجد بين عارفة منك ترجى وعزمة منك تمضى

قلت قول البحترى أيها العاتب الذى ليس يرضى لم يقل أيها الساخط الذى ليس يرضى ليحصل الطباق فى كلامه مع ولوعهم بالبديع اذذاك لان لفظ العاتب أأدب وأحشم مع انه لم يفته الطباق فان العتب يستلزم السخط فاجتمع له مع الطباق المعنوى الكناية الظريفة فهو من تخير الالفاظ ونبهتك بهذا لان تصرف التفاتك الى ملاحظة مثله فتلتزم التأنى فى تعرف لطائف الكلام فلا تدرسه درسا وتمر عليه مرا بحيث تفوتك بغيتك وأنت مكدود فى طلبها وقوله أبكى كوم المطايا ليس من البكاء وانما هو من البك وهو ذهاب اللبن بكأت الناقة كمنع فهو وما بعده عبارة عن اهزال المطايا بتدريجها ومن هذا الموضع تعرف انه ينبغى ان تكون الامور على حسب الازمنة فربما كان الامر مستحسنا فى زمن حسب أحوال أهله ويصير فى زمن آخر غير مستحسن حسب تغير الاحوال الا ترى ان الشعر فى الصدر الاول كان على صورة لم يكن عليها بعد حتى دخل فى صور شتى وكان المتأخر معيبا باستعماله فى صورة الاول ثم هذا لا يخص الشعر والانشاء فلقد سمعت قول أمير المؤمنين على كرم الله وجهه لا تقسروا أولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم وكان أخذ الاجرة على تعليم القرآن محكوما بحرمته ثم أفتى العلماء بعد بجوازه للضرورة ولذلك شواهد كثيرة وهذه الاشارة كافية ونرجع لما نحن فيه قال أبو هلال ومن أمثلة السهل قول محمد بن وهب

مازال يلثمنى مراشفه * ويعلنى الابريق والقدح
حتى استرد الليل خلعته * ونشا خلال سواده وضح
وبدا الصباح كأن غرته * وجه الخليفة حين يمتدح
أنت الذى بك ينقضى فرحا * ضيق البلاد لنا وينفسح
نشرت بك الدنيا محاسنها * وتزينت بصفاتك المدح

ومن السهل المطبوع المختار الجيد قول الآخر

صرفت الدهر فانصرفا * ولم ترع الذي سلفا
وبنت فلم أذب كمدا * عليك ولم أمت أسفا
كلانا واجد في النا * س ممن ملّه خلفا

وليس الغرض من سهولة الكلام وبيان معناه ان يبلغ الى حد مثل قول بعضهم

يارب قد قل صبري * وضاق بالحب صدري
واشتد شوقي ووجدي * وسيدي ليس يدري
مغفل عن عذابي * وليس يرحم ضري
ان كان أعطى اصطبارا * فلست أملك صبري
أنا الفدا لغزال * دنا فقبل نحري
وقال لي من قريب * ياليت بيتك قبري

فانه اذا الان الكلام حتى يصير الى هذا الحد فليس فيه خير لاسيما اذا ارتكبت فيه مثل هذه الضرورات فان تسكين الياء من أعطى غير جائز والفداء ممدود فقصروه واما الجزل المختار من الكلام فهو الذي تعرفه فطناء العامة اذا سمعوه ولا يستعملونه في محاوراتهم كقول القائل

لاتسأل القوم عن مالي وكثرته * قد يقتر المرء يوما وهو محمود
أمضي على سنة من والدي سلفت * وفي أرومته ماينبت العود

ومن النثر قول يحيى بن خالد أعطانا الدهر فأسعف ثم عطف علينا فعسف قلت يحيى هذا هو ابن خالد بن برمك أبو الفضل وجعفر وهم الوزراء المشهورون بالبرامكة وكانوا بلغوا من المنزلة وعلو الشأن مبلغا لم يصله غيرهم وكان الرشيد يقول ليحيى يا أبي لكونه كان تولى تربيته وكان يسمى الفضل وجعفرا أخويه ثم لم تزل بهم الايام حتى اقتضت أسباب تغير قلب الخليفة عليهم تغيرا أوجب حبسهم واهانتهم واخلاء الدنيا منهم ومن شعر يحيى وهو في السجن

سألونا عن حالنا كيف أنتم * من هوى عرشه فكيف يكون
نحن قوم أصابنا حدث الدهـ * ـر فظلنا لحكمه نستكين *

وجميع كلامهم نثرا ونظما كان على هذه الصورة فرحمهم الله تعالى قال أبو هلال ومن شواهد ذلك ما كتب به سعد بن حميد في الاستعطاف واسترجاع المودة

وأنا من لا يحاجك عن نفسه ولا يغالطك عن جرمه ولا يلتمس رضاك الا من جهته ولا يستدعي هواك الا من طريقته ولا يستعطفك الا بالاقرار بالذنب ولا يستميلك الا بالاعتراف بالجرم نبت بي عنك غرة الحداثة وردتني اليك الحنكة وباعدتني منك الثقة بالايام وقادتني اليك الضرورة فان رأيت ان تستقبل الصنيعة بقبول العذر وتجدد النعمة باطراح الحقد فان قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الاساءة وان أيام القدرة وان طالت قصيرة والمتعة بها وان كثرت قليلة فعلت وفي هذا الكلام وما قبله قوة في سهولة ومما هو أجزل من هذا قول الشعبي للحجاج وأراد قتله لخروجه عليه مع ابن الاشعث أجدب بنا الجناب وأحزن بنا المنزل فاستحلسنا الحذر واكتحلنا السهر وأصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة اتقياء ولا فجرة أقوياء فعفا عنه فأجود الكلام ما يكون جزلا سهلا لا ينغلق معناه ولا يستبهم مغزاه ولا يكون مكدودا مستكرها ومتعرا متقعرا ويكون بريئا من الغثاثة عاريا من الرثاثة والكلام اذا كان لفظه غثا ومعرضه رثا كان مردودا ولو احتوى على أجل معنى وانبله وارفعه وأفضله كقول بعضهم

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا * ولا أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

قال أبو هلال فمثل هذا لا يدخل في جملة المختار ومعناه كما تراه نبيل فاضل جليل ولا أرى لمثل هذا معنى فهو كلام منحرف وضيع لم يجمل نفسه في الرتبة التي أعدها له الدين فانه لا ينبغي من العلماء ان ينعزلوا ناحية عن ساسة الناس بل يجب عليهم ان يخالطوهم مخالطة يحيونهم فيها بالموعظة ويعطفونهم على الهدى ويرشدونهم لصنع الجميل فان الدين والدنيا لا يصح فصلهما كما قال صلى الله عليه وسلم لا تسب الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر ثم قال أبو هلال وللمعاني خطأ وصواب وأنا منبه عليهما ليتتبع من يريد العمل برسمنا مواقع الصواب فيلزمها ويقف على مواقع الخطأ فيجتنبها فنقول ان الكلام ألفاظ تشتمل على معان تدل عليها وتعبر عنها فيحتاج صاحب البلاغة الى اصابة المعنى كحاجته الى تحسين اللفظ لان المدار بعد على اصابة المعاني فانها تحل من الكلام محل الابدان والالفاظ تجري معها مجرى الكسوة ومزية احداهما على الاخرى معروفة ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الالفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل الى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام

الكلام ما تهيأ له فى الاولى ألا ترى ان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التى رسمها لمن بعده من اللسان الفارسى فحولها الى اللسان العربى فلا يستكمل صناعة الكلام الا باصابة المعنى وتصحيح اللفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال والمعانى على ضربين أحدهما يبتدعه صاحب الصناعة من غير ان يكون له فيه امام يقتدى به ولا رسوم قائمة فى أمثلة مماثلة يعمل عليها وهذا الضرب ربما يقع عليه عند الخطوب الحادثة ويتبينه عند الامور النازلة الطارئة والآخر ما يحتذيه على مثال تقدم ورسم فرط وينبغى ان يطلب الاصابة فى جميع ذلك ويتوخى فيه الصورة المقبولة والعبارة المستحسنة ولا يتكل فيما ابتكره على فضيلة ابتكاره اياه ولا يعتد بابتداعه له ذلك الاعتداد فيساهل نفسه فى تهجين صورته فيذهب حسنه ويطمس نوره ويكون فيه الى الذم أقرب منه الى المدح والمعانى بعد ذلك على وجوه منها ما هو قبيح مستقيم نحو قولك قد زيدا رأيت وانما قبح لانك أفسدت النظام بالتقديم والتأخير ومنها ما هو مستقيم النظم وهو كذب مثل قولك حملت الجبل وشربت ماء البحر ومنه ما هو محال كقولك آتيك أمس وأتيتك غدا وكل محال فاسد وليس كل فاسد محالا ألا ترى ان قولك قام زيد فاسد وليس بمحال فالمحال ما لا يجوز كونه البتة كقولك الدنيا بيضة وأما قولك حملت الجبل وأمثاله فكذب وليس بمحال لامكان ان يزيد الله فى قوتك فتحمله ويجوز ان يكون الكلام الواحد كذبا ومحالا كقولك رأيته قائما قاعدا ومررت بيقظان نائم فتصل كذبا بمحال فصار الذى هو الكذب هو المحال بالجمع بينهما وان كان لكل واحد منهما معنى على حياله ومنها الغلط وهو ان يقول ضربنى زيد وأنت تريد ضربت زيدا فغلطت فان تعمدت كان كذبا وللخطأ صور مختلفة أنبهك على أشياء منها وأبين وجوهها وأشرح أبوابها لتقف عليها فتجتنبها ويكون فيما أوردت دلالة على أمثاله مما تركت ومن لا يعرف الخطأ كان جديرا بالوقوع فيه فمن ذلك قول امرئ القيس

ألم تسأل الربع القديم بعسعسا * كأنى أنادى أو أكلم أخرسا

فهذا فاسد لانه لا يقال كلمت حجرا فلم يجبنى فكأنه كان رجلا وتبعه أبو نواس فقال يصف دارا

كأنها اذ خرست جازم * بين ذوى تفنيده مطرق

والجيد قول كثير فى امرأة

فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت
كأني أنادي صخرة حين أعرضت * من الصم لو تمشي بها العصم زلت

فشبه المرأة عند السكوت والتغافل بالصخرة يعني ان وضع التشبيه على ان يشبه الضعيف بالقوي اذا لم يكن الغرض مجرد التعريف كما سلف لك في البيان ولا يحسن التشبيه المقلوب الا اذا اشتمل على نكتة كما سلف أيضا وهذان التشبيهان منه ولم تظهر نكتة محسنة له فيهما ظهورها في قول ابن وهب وبدا الصباح ومن خطأ المعنى قول الراعي

يكسو المفارق واللبات ذا أرج * من قصبه معتلف الكافور درّاج

أراد المسك فجعله من قصب الظباء والقصب بضم فسكون المعى جعل الظباء تعتلف الكافور فيتولد منها لذلك المسك وهذا من طرائف الغلط وقريب منه قول زهير

يخرجن من شربات ماؤها طحل * على الجذوع يخفن الغم والغرقا

ظن ان الضفادع يخرجن من الماء مخافة الغرق ومثله قول ابن أحمر

* لم يدر ما نسج اليرندج قبلها * فظن اليرندج منسوجا وهو جلد أسود يعمل منه الخفاف واصل الكلمة فارسية ومن الغلط مثل قول امرئ القيس

أغرك مني ان حبك قاتلي * وانك مهما تأمري القلب يفعل

واذا لم تغررها هذه الحال منه فما الذي يغرها وليس للمحتج عنه ان يقول انه اغا عنى بالقتل التبريح فان الذي يلزمه مع ذكر القتل يلزمه أيضا مع ذكر التبريح ومما أخذ أيضا على امرئ القيس قوله في الفرس

فللسوط ألهوب وللساق درة * وللزجر منه وقع أهوج منعب

فلو وصف أخس حمار وأضعفه ما زاد على ذلك فالجيد قوله

على سابح يعطيك قبل سؤاله * أفانين جري غير كز ولا وان

فما سمعنا أبلغ ولا أجود من قوله أفانين جري وقول علقمة

فأدركهن ثانيا من عنانه * يمر كمر الرائح المتحلب

فقال أدرك طريدته وهو ثان من عنانه ولم يضرب بسوط ولم يمره بساق ولم يزجره بصوت قالت وكذلك الجواد انما يرفع رأسه بشد العنان فيعرف أن قد أريد منه الجري فيخرج ما عنده ويحكى ان امرأ القيس لما قال قصيدته هذا البيت وقال علقمة الفحل قصيدته التي في رويها ووزنها تحاكما الى أم جندب زوج امرئ القيس فحكمت

لعلقمة

علقمة على امرئ القيس بهذين البيتين فطلقها وتزوجها علقمة وسنورد تلك القصيدتين بعد ان شاء الله تعالى ومما عيب ويعاب قول الاعشى

ويأمر لليحموم كل عشية * بقت وتعليف وقد كاد يسنق

أى تصيبه التخمة واليحموم اسم فرس الملك يقول انه يأمر لفرسه كل عشية بقت وتعليف وهذا مما لا يمدح به الملوك بل ولا رجل من خساس الناس وقريب منه قول الاخطل

وقد جعل الله الخلافة منهم * لأبلج لا عارى الخوان ولا جدب

يقوله فى عبد الملك ومثل هذا لا يمدح به الملوك وأطرف منه قول كثير بن عبد الرحمن الخزاعى

وان أمير المؤمنين بلطفه * غزا كامنات الصدر منى فنالها

فجعل أمير المؤمنين يتودد اليه وقوله لعبد العزيز بن مروان

وما زالت رقاك تسل ضغنى * وتخرج من مكامنها ضبابى

وترقينى لك الراقون حتى * أجابت حية تحت الحجاب

وانما يمدح الملوك بمثل قول الشاعر

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها * على البر كان البر أندى من البحر

ومثل قول النابغة

فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت ان المنتأى عنك واسع

ومن غفلة كثير قوله فى المنى

ألا ليتنا يا عز كالذى غنى * بعيرين نرعى فى الخلاء ونعزب

كلانا به عر فمن يرنا يقل * على حسنها جرباء تعدو وأجرب

نكون لذى مال كثير مغفل * فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

اذا ما وردنا منهلا هاج أهله * الينا فما ننفك نرمى ونضرب

فقالت له عزة لقد أردت بى الشقاء الطويل ومن قبيح التمنى قول جنادة

من حبها أتمنى أن يلاقينى * من نحو بلدتها ناع فينعاها

لكى يكون فراق لا لقاء له * وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

ومثل قبح هذا التمنى قبح دعاء عبد بنى الحسحاس اذ يقول

وراهنّ ربى مثل ماقد ورينني * وأحمى على أكبادهن المكاويا

وللناس فى المنى كلام كثير بين مدح لها واستحسان وذم واستهجان قال الشاعر

أمانى من ليلى حسان كأنما * سقتنى بها ليلى على ظمأ بردا

منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وللطغرائى

أعلل النفس بالآمال أرقبها * ما أضيق العيش لولا فسحة الامل

ومن ذم التمنى قول عنترة

ألا قاتل الله الطلول البواليا * وقاتل ذكراك السنين الخواليا

* وقولك للشئ الذى لاتناله * اذا ما هويته النفس باليت ذاليا

ومن خطأ الوصف قول أبى ذؤيب فى صفة فرس

قصر الصبوح لها فشرّج لحمها * بالنى فهو تسوخ فيه الاصبع

تأبى بدرّتها اذا ما استكرهت * الا الحميم فانه يتبضع

قال الاصمعى هذه الفرس لاتساوى درهمين لانه جعلها كثيرة اللحم رخوة يدخل فيها الاصبع وانما توصف بهذا الشاة يضحى بها وجعلها لاتجرى الا بالاستقرار ومن خطأ المعانى قول الاعشى

وما رابها من ريبة غير أنها * رأت لمتى شابت وشابت لداتيا

وأى ريبة عند امرأة أعظم من شيب ومثله قول الآخر

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

وأعجب منه قوله

صدت هريرة عنا ماتكلمنا * جهلا بأم خليد حبل من تصل

أإن رأت رجلا أعشى أضربه * ريب المنون ودهر خائن ختل

وأى شئ أبغض عند النساء من العشا وأعجب مافى هذا الكلام انه قال من تصل بعدى هذه المرأة وأنا بهذه الصفة من العشا والفقر والشيب فلا ترى كلاما أحمق من هذا ومن الخطأ قول من أراد أن يفتخر فأوقع نفسه فى أخس تشبيه حيث يقول

تعرضت تيم لى عمدا لاهجوها * كما تعرض لاست الخارئ الحجر

ومن الخطأ فى التشبيب قول كثير

وما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب

بأطيب من أرادان عـزة موهنا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

يقال ان عجوزا لقيته وبيدها رونة عليها نار وضعت فيها مندلا فقالت لم تزدها في الصفة على هذا والصواب في مثل ذلك قول امرئ القيس

ألم تريانى كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فجعلها طيبة الذات ومن عيوب المديح عدول المادح عن الفضائل التى تخص النفس من العقل والعفة والعدل والشجاعة الى ماهو من أوصاف الجسم كقول ابن الرقيات في ابن مروان

يأتلق التاج فوق مفرقه * على جبين كانه الذهب

فغضب عبد الملك وقال قد قلت في مصعب

انما مصعب شهاب من الله * تجلت عن وجهه الظلماء

فأعطيته المدح بكشف الغم وجلاء الظلم وأعطيتنى مالا فخر فيه وهو اعتدال التاج فوق جبينى الذى هو كالذهب في النضارة ذلك الى مارميتنى به من صفة الاعاجم وجيد المدح قوله

ما نقموا من بنى أمية الا * انهم يحلمون ان غضبوا

وانهم سادة الانام ولا * تصلح الا عليهم العرب

ومن التقصير في المديح ماتراه فيما يحكى انه اجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج فقال من مدحنى منكما بشعر يوجز فيه ويحسن القول في صفتى فهذه الخلعة له فقال الفرزدق

ومن يأمن الحجاج والطير تتقى * عقوبته إلا ضعيف العزائم

فقال جرير

ومن يأمن الحجاج اما عقابه * فمر وأما عقده فوثيق

يسر لك البغضاء كل منافق * كما كل ذى دين عليك شفيق

فقال الحجاج للفرزدق ماعملت شيئا فان الطير يتقى من الصبى والخشبة ودفع الخلعة الى جرير ومن خطأ المدح قول مروان بن أبى حفصة في المأمون

أضحى امام الهدى المأمون مشتغلا * بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

وحين أنشد هذا البيت لعمارة بن عقيل قال له مازدته على ان وصفته بصفة عجوز في يدها سبحة هلا قلت كما قال جدى يعنى جريرا في عمر بن عبد العزيز

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه * ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

ومن الغلط قول أبي تمام

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه * بكفيك ما ماريت في انه برد

وما وصف أحد من أهل الجاهلية ولا أهل الاسلام الحلم بالرقة وانما يصفونه بالرجحان والرزانة كما قال الشاعر

أحلامنا تزن الجبال رزانة * ويزيد جاهلنا على الجهال

هذا ومرجع أسباب الخطأ في المعاني الى الجهل بالاحوال والغفلة عما ينبغي أن يقال ومن لم يتكلم الا بعد علم ولم يخاطب الا بعد صحة فهم نجا من الوقوع في مثل ما وقع فيه أولئك وحسبك هذا دليلا مرشدا الى اعتبار غيره به فيقوى التفاتك ويزيد انتباهك حتى تعتبر كل مقام وتنطق فيه بما يليق به وتهتدي الى ذلك تمام الاهتداء بمطالعة أقوال من اتفق الناس على استحسان أقوالهم والمبالغة في تأملها اذا كرارات الانتقادات وما أشبهها مما لا يصعب عليك ملاحظته مع ما ضرب لك من الامثلة فاذا رعيت ذلك وقد وجدت من طبعك استعدادا لانشاء الكلام وتحرير النظام بأن تكون قوي الحافظة والذاكرة بحيث يكون استحضارك لما تمس اليه الحاجة من الالفاظ ومصنوع العبارات كالامثال أسرع من البرق فأقبل على ذلك والا فدع التكلف فانه ليس يأتي منك بخير تكد فكرك وتضيع وقتك وتؤذي سامعك وقل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وتذكر ما روي عن المبرد حيث يقول لا أحتاج الى وصف نفسي لان الناس يعلمون انه ليس أحد من الخافقين يختلج في نفسه مسألة مشكلة الا لقيني بها وأعدني لها فأنا عالم ومتعلم وحافظ ودارس لا يخفى علي مشتبه من الشعر والنحو والكلام المنثور والخطب والرسائل ولربما احتجت الى اعتذار من فلتة والتماس حاجة فأجعل المعنى الذي أقصده نصب عيني ثم لا أجد سبيلا الى التعبير عنه بيد ولا لسان ولقد بلغني ان عبد الله ابن سليمان ذكرني بجميل فحاولت ان اكتب اليه رقعة أشكره فيها وأعرض ببعض أموري فاتعبت نفسي يوما في ذلك فلم أقدر على ما أرتضيه منها وكنت أحاول الافصاح عما في ضميري فينصرف لساني الى غيره وما حكي عن بعض أكابر العلماء وقد قيل له لم لا تقول الشعر فقال ما أرضاه لا يجيئني ويجيئني ما لا أرضاه وعن اليوناني الذي كان يعلم الشعر فتبرع فيه تلامذته وهو لا يقوله فسئل في ذلك فقال أنا كالمسن أرهف ولا أقطع فهذا اعتراف العقلاء الراضين بما قسم لهم الواقفين عند حدودهم المتحققين بقوله صلى الله عليه وسلم من طلب ما لم يخلق تعب ولم يرزق ثم ليكن

امر

أمر الكاتب فى الكتابة على ما وصف أبو هلال حيث يقول واعلم ان المعانى التى تنشأ الكتب فيها من الامر والنهى سبيلها ان تؤكد غاية التوكيد بجهة كيفية نظم الكلام لا بجهة كثرة اللفظ لأن حكم ماينفذ من السلطان فى كتبه شبيه بحكم توقيعاته من اختصار اللفظ وتأكيد المعنى هذا اذا كان الامر والنهى واقعين فى جملة واحدة لا تقع فيها وجوه التمثيل للاعمال فاما اذا وقعا فى ذلك الجنس فان الحكم فيهما يخالف ماذكرناه وسبيل الكلام فيهما ان يحمل على الاطالة والتكرير دون الحذف والايجاز وذلك مثل مايكتب عن السلطان فى أمر الاموال وجباياتها واستخراجها فسبيل الكلام ان تقدم فيه ذكر مارآه السلطان فى ذلك ودبره ثم تعقب فى ذكر الامر بامتثاله ولا تقتصر على ذلك حتى تكرر وتؤكد لتتأكد الحجة على المأمور به ويحذر مع ذلك من الاخلال والتقصير ومنها الاحماد والاذمام والثناء والتقريظ والذم والاستصغار والعذل والتوبيخ وسبيل ذلك ان يشبع الكلام فيه ويمد القول حسب ماتقتضيه آثار المكتوب اليه فى الاحسان والاساءة والاجتهاد والتقصير ليرتاح بذلك قلب المطيع ويبسط أمله ويرتاع قلب المسيء ويأخذ نفسه بالارتداع فاما مايكتبه العمال الى الامراء ومن فوقهم فان سبيل ما كان واقعا منها فى انهاء الاخبار وتقرير صورة مايلونه من الاعمال ويجرى على أيديهم من صنوف الاموال ان يمد القول حتى يبلغ غاية الشفاء والاقناع وتمام الشرح والاستقصاء اذ ليس للايجاز والاقتصار فيه موضع ويكون ذلك بالالفاظ السهلة القريبة المأخذ السريعة الى الفهم دون مايقع فيه استكراه وتعقيد وربما تعرض الحاجة فى انهاء الخبر الى استعمال الكناية والتورية عن الشيء دون الافصاح به لما فى التصريح من هتك الستر وفى حكايته عن عدو ما أطلق لسانه به من اطراح مهابة الرئيس فيجب اجلاله عنه وفى الصدق مايسوؤه سماعه ويقع بخلاف محبته فيحتاج منشئ الكتاب الى استعمال لفظ فى العبارة لا تنخرق معه هيبة الرئيس ولا يعرض فيه بما يشتد عليه ولا يكون أيضا معها خيانة فى طى مايجب نشره ولا يكمل لهذا الا المبرز الكامل المقدم وسبيل مايكتب به فى باب الشكر ألا يقع فيه اسهاب فان اسهاب المبالغ فى الشكر يرجع الى نوع من الابرام والتثقيل ولا يحسن منه ان يستعمل الاكثار من الثناء والدعاء أيضا فان ذلك فعل الاباعد الذين لم يتقدم لهم وسائل من الخدمة ومقدمات من الحرمة وتكون صناعتهم التكسب بتقريظ الملوك واطراء السلاطين فلا يقبح اكثار الثناء من هؤلاء وليس يحسن تكرير الدعاء فى صدور

الكتب والرقاع وعند ما يجري به من ذكر الرئيس فان ذلك مشنأة وكلامه وحكم ما يستعمل من ذلك في الكتب حكم ما يستعمل شفاها منه ويقبح من خادم السلطان ان يشغل ***** في مخاطبته اياه بكثرة الدعاء له وتكريره عند استئناف كل لفظة وسبيل ما يكتب به التابع الى المتبوع في معنى الاستعطاف ومسألة النظر الا يكثر من شكاية الحال ورقتها واستيلاء الخصاصة عليه فيها فان ذلك يجمع الى الاضجار والابرام شكاية الرئيس بسوء حاله وقلة ظهور نعمته عليه وهذا عند الرؤساء مكروه جدا بل يجب ان يجعل الشكاية ممزوجة بالشكر والاعتراف بشمول النعمة وتوفير الفائدة وسبيل ما يكتب به في الاعتذار من شئ ان يتجنب الاطناب والاسهاب الى ايراد النكت التي يتوهم انها مقنعة في ازالة الموجدة ولا يمعن في تبرئة ساحته من الاساءة والتقصير فان ذلك مما يكرهه الرؤساء والذي جرت به عادتهم استحسان الاعتراف من خدمهم وخولهم بالتقصير والتفريط في قضاء حقوقهم وتأدية فروضهم ليكون لهم فيما يعقبون به ذلك من العفو والتجاوز موضع منة مستأنفة تستدعي شكرا وعارفة مستجدة تقتضي نشرا وأما اذا بالغ المتنصل في براءة ساحته من كل ما قذف به فلا موضع للاحسان اليه في اعفائه من ترك التسخط بل ذلك أمر واجب له وفي منع الرئيس حصته منه ظلم واساءة وينبغي أن لا يكثر الالفاظ عنده وان احتاج الى اعادة المعاني أعادها بعيدة منها بغير اللفظ الذي ابتدأه به مثل ما قال معاوية من لم يكن في بني عبد المطلب جوادا فهو دخيل ومن لم يكن من بني الزبير شجاعا فهو لزيق ومن لم يكن من ولد المغيرة تياها فهو مستند والمعنى واحد والكلام على ما تراه حسن ولو قال لزيق ثم أعاده لسمج هذا قلت فهذا مثال رسمه أبو هلال ليكون عمل الكاتب على موجبه ويهتدي به الى رعاية مقامات الخطاب في سائر أصناف المعاني وليس على المؤلف ان يبين للشاعر كل صغيرة وكبيرة وانما عليه ان يعين له الطريق التي ينبغي ان تسلكها ثم تستعمل دونك وقوة فكرك في تمييز لا شيء واعطاء كل شئ حقه حسبما تقف عليه من الآداب التي أودعتها أسلافك في منشآتهم نثرا ونظما وما يخصك به الفتاح العليم مما يشاء كل ذلك وينظم في سلكه ثم قال أبو هلال في الابانة عن حسن النظم وجودة الرصف والسبك أجناس الكلام المنظومة ثلاثة الرسائل والخطب والشعر وجميعها يحتاج الى حسن التأليف وجودة التركيب وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية فاذا كان المعنى سبيا ورصف الكلام جيدا كان أحسن

أحسن موقعا وأطيب مسمعا فهو بمنزلة العقد اذا جعل كل خرزة الى ما يليق بها كان رائقا فى المرأى وان لم يكن مرتفعا نبيلا وان اختل نظمه فضمت الحبة الى ما لا يليق بها اقتحمته العين وان كان فائقا ثمينا وحسن الرصف ان توضع الالفاظ فى مواضعها وتمكن من أماكنها ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف والزيادة الا حذفا ما تقتضيه الاحوال المبينة بعلم المعانى ويضم كل لفظة منها الى شكلها وتضاف الى وفقها وقال العتابى الالفاظ أجساد والمعانى أرواح وانما تراها بعيون القلوب فاذا قدمت منها مؤخرا أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيرت المعنى كما انه لو حوّل رأس الى موضع يد أو يد الى موضع رأس أو رجل لتحوّلت الخلقة وتغيرت الحلية وقد أحسن فى هذا التمثيل ونبه به على ان الذى ينبغى فى صنعته وضع كل شئ موضعه ليخرج بذلك من سوء النظم فى سوء النظم المعاظلة وقد مدح عمر بن الخطاب رضى الله عنه زهيرا بمجانبتها اذ قال حين فضله على الشعراء كان لا يعاظل فى شعره ولا يمدح الرجال الا بما فى الرجال وأصل هذه الكلمة من قولهم تعاظلت الجرادتان اذا ركبت احداهما على الاخرى وعاظل الرجل على المرأة اذا ركبها فمن المعاظلة قول الفرزدق

تعش فان عاهدتنى لا تخوننى * نكن مثل من ياذئب يصطحبان

وقوله

تخامص عن برد الوشاح اذا مشت * تخامص حافى الخيل فى الامعز الوجى

أى تخامص حافى الخيل الوجى فى الامعز وقول لبيد

وشمول قهوة باكرتها * فى التباشير من الصبح الاول

وقول أبى حية النميرى

كما خط الكتاب بكف يوما * يهودى يقارب أو يزيل

وقول امرأة من قيس

هما أخوا فى الحرب من لا أخاله * اذا خاف يوما نبوة فدعاهما

تريد أخوا من لا اخاله فى الحرب وليس للمحدث أن يقول هذه الابيات حجة ويبنى عليها فانه لا يعذر فى شئ منها الاجماع الناس اليوم على مجانبة أمثالها واستجادة ما يصح من الكلام واسترذال ما يشكل ويستبهم قات وذلك لان الشعر وان كان للعرب صناعة كما هو لغيرهم فانهم هم المخترعون له والسنة الالهية على ان الفكر الانسانى لا يحيط بجميع ما يحسن فى أمر ويقبح ولكن يأتى فى فكر ما فات غيره ولذلك كان شعراء العرب ينتقد

بعضهم على بعض ومنه حصل التفاوت فى البلاغة واختلف الناس فى تفضيل شاعر على شاعر حتى تبينت محاسن الصناعة ومساويها فمن أراد أن يكون من أهلها فعليه ان ينتهى من التعلم الى غايته حتى يتمكن من اعطاء الصناعة حقها فقد نصبت له الامثلة وعينت له الحدود قال أبو هلال فمن الكلام المستوى النظم الملتئم الرصف قول أخت طريف ترثيه

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تحزن على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى * ولا المال الا من قنى وسيوف
كأنك لم تشهد طعانا ولم تقم * مقاما على الاعداء غير خفيف
فلا تجزعا يا ابنى طريف فاننى * أرى الموت حلالا بكل شريف

والمنظوم الجيد ما خرج مخرج المنثور فى سهولته وسلاسته وسهولته وقلة ضروراته ومن ذلك قول بعض المحدثين

وقوفك تحت ظلال السيوف * أقرّ الخلافة فى دارها
كأنك مطالع فى القلوب * اذا ما تناجت باسرارها
وكرّاة طرفك مردودة * اليك بغامض أخبارها
وفى راحتيك الردى والندى * وكلتاهما طوع مختارها
* وأقضية الله محتومة * وأنت منفذ أقدارها

ولا تكاد القصيدة تستوى أبياتها فى حسن التأليف ولا بد ان تتخالف فى ذلك كقول عبيد بن الابرص

وقد علا لمتى شيب فودّعنى * له الغوانى وداع الصارم القالى
وقد أسلى همومى حين تحضرنى * بجسرة كعلاة القين شملال
زيافة بقتود الرحل ناجية * تفرى الهجير بتبغيل وإرقال

فهذا نظم حسن وتأليف مختار وفيها ما هو ردى ولا خير فيه كقوله

بان الشباب فآلى لا يلم بنا * واحتل بى من مشيب كل محلال

وقوله

فبت ألعبها طورا وتلعبنى * ثم انصرفت وهى منى على بال

فقوله واحتل بى من مشيب كل محلال بغيض خارج عن طريق الاستعمال وأبغض منه قوله وهى منى على بال بتسكين هى ضرورة وقوله

وكبش

وكبش ملومة باد نواجذها * شهباء ذات سرابيل وابطال

السرابيل الدروع فلو وضع السيوف مع الدرع لكان أجود ومثل هذا النقد مما سبقت به العرب وقوله

وقهوة كرضاب المسك طاب بها * فى دنها كرّ حول بعد أحوال

هذا البيت متوسط وقوله

باكرتها قبل ان يبدو الصباح انا * فى بيت منهمر الكفين مفضال

النصف الثانى خير من الاول فان قوله باكرتها كاف وما بعده فضل وكقول النمر ابن تولب

لعمرى لقد أنكرت نفسى ورابنى * مع الشيب ابدال التى أتبدل

فضول أراها فى أديمى بعدما * يكون لفاق الجسم أوهو أجمل

وبطء عن الداعى فلست بآخذ * سلاحى اليه مثل ما كنت أفعل

كأن محطا فى يدى حارثية * صناع علت منى به الجلد من عل

تدارك ماقبل الشباب وبعده * حوادث أيام تمرّ وأغفل

يود الفتى طول السلامة جاهدا * فكيف ترى طول السلامة يفعل

فهذه الابيات جيدة السبك حسنة الرصف وقوله

فلا الجارة الدنيا لها تلحينها * ولا الضيف عنها ان أناخ محول

فالنصف الاول مختل لانه خالف فيه وجه الاستعمال ووجه الكلام ولا تلحى جارتها الدنيا أى القريبة وأعطى المرأة فى النصف الثانى ماليس من صفتها وقوله

اذا هتكت أطناب بيت وأهله * بمعطنها لم يوردوا الماء قيلوا

هذا مضطرب لتناوله المعنى من بعد ووجه الكلام ان يقول اذا دنت ابلنا من حى ولم تردا بلهم الماء قيلوا والقيل شرب نصف النهار يعنى انهم اعزهم وشدة بأسهم متى وردوا ماء وعنده من سبقهم اليه قدموهم ولم يجسروا ان يتقدموهم بل يضطرون الى تأخيرا السقى لغير وقته وهو نصف النهار ووقته الغداة ومثال حسن الرصف من المنثور قول القائل ولولا ان أجود الكلام مايدل قليله على كثيره وتغنى جملته عن تفصيله لوسعت نطاق القول فيما انطوى عليه من خلوص المودة وصفاء المحبة فجال مجال الطرف فى ميدانه وتصرف تصرف الروض فى افتنانه لكن البلاغة بالايجاز أبلغ من البلاغة بالاطناب ومن تمام حسن الرصف ان يخرج الكلام مخرجا يكون له فيه

طلاوة وماء فربما كان الكلام مستقيم الالفاظ صحيح المعانى ولا يكون له رونق ولارواء وذلك بان يخرج فى غيرة تكلف وكد وشد وتفكر وتعمل ويكون سالاسهلا وله ماء ورواء ورقراق وعليه فريدلا يكون على غيره مما عسر بروزه واستكره خروجه تدرك ذلك بالوجدان بعد كثرة قراءة مختلفات الاشعار فانك تجد لنفسك من الفرح عند قراءة بعضها مالاتجده عند قراءة غيره واعتبر ذلك بمثل قول الحطيئة

هم القوم الذين اذا ألمت * من الايام مظلمة أضاؤا

وقوله

له فى بنى الحاجات أيد كأنها * تساقط ماء المزن فى البلد القفر

وقول أشجع

قصر عليه تحية وسلام * نشرت عليه جمالها الايام
واذا سيوفك صافحت هام العدا * طارت لهن عن الفراخ الهام
برقت سماؤك للعدو فأمطرت * هاما لها ظل السيوف غمام
وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

ففى هذه الابيات مع جودتها رونق ليس فى غيرها مما يجرى مجراها من صحة المعنى وصواب اللفظ هذا ومما ينبغى ان نطلعك عليه مع ماسبق تتميما لمعرفتك ودلالة لك على ما يعترضك فى الطريق التى تسلكها المعرفة انشاء الكلام نثرا ونظما ان المعانى دائرة بين الناس يتفاوتون فى التعبير عنها ومنه نشأ القول بان الناس يأخذ بعضهم من بعض وتنويع ذلك الاخذ الى حسن وغير حسن فوجب ان نسوق لك أمثلة من ذلك لتطلب الحسن وتجتنب غيره قال أبو هلال ليس لاحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعانى ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ولكن عليهم اذا أخذوها ان يكتبوها عندهم ويبرزوها فى معارض من تأليفهم ويؤدوها فى غير حليتها الاولى ويزيدوا فى حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها فاذا فعلوا ذلك فهم أولى بها ممن سبق اليها ولولا ان القائل يؤدى ماسمع ما كان فى طاقته ان يقول وانما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه لولا ان الكلام يعاد لنفد على ان المعانى مشتركة بين العقلاء وربما وقع المعنى الجيد للسوقى والنبطى والزنجى وانما يتفاضل الناس فى الالفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها

ونظمها وقد يقع للمتأخر معنى سبقه اليه المتقدم من غير ان يلم به ولكن كما وقع للاول وقع للآخر وهذا امر عرفته من نفسي فلست أمترى فيه وذلك انى كنت عملت فى صفة النساء * سفرن بدورا وانتقبن أهلة * وظننت انى سبقت الى جمع هذين التشبيهين فى نصف بيت الى ان وجدته لبعض البغداديين فكثر تعجبي وعزمت على ألا احكم على المتأخر بالسرق من المتقدم حكما حتما وقد قيل ان من أخذ المعنى فكساه لفظا من عنده كان هو أولى به ممن تقدمه وقالوا ان أبا عذرة الكلام من سبك لفظه على معناه ومن أخذ معنى بلفظه كله أو بعضه فذلك هو السارق كقول النابغة

بأنك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقد سبقه اليه رجل من كندة فى عمرو بن هند حيث يقول

هو الشمس وافت يوم دجن فأفضلت * على كل ضوء والملوك كواكب

والحاذق يخفى دبيبه الى المعنى حتى يأخذه فى ستر فيحكم له بالسبق اليه من يمر به وأحد أسباب اخفاء السرق ان يأخذ المعنى المستعمل فى صفة خمر فيجعله فى مديح أو من مديح فينقله الى وصف مثلا الا انه لا يكمل لهذا الا المبرز الكامل المقدم فممن أخفى دبيبه الى المعنى وستره غاية الستر أبو نواس فى قوله * أعطتك ريحانها العقار * اذ كان قد أخذه من قول الاعشى على ماقالوا

وسبيئة مما تعتق بابل * كدم الذبيح سلبتها جريالها

سئل الاعشى عن سلبتها جريالها والجريال حمرة المدام أوهى المدام الحمراء فقال شربتها حمراء وبلتها بيضاء فبقى حسن لونها فى بدنى ومعنى أعطتك ريحانها العقار أى شربتها فانتقل اليك وكذلك قوله

لا ينزل الليل حيث حلت * فدهر شرابها نهار

من قول قيس بن الخطيم

قضى لها الله حين صورها الخالق الا تجنها السدف

فنقل ذلك أبو نواس من صفة المرأة الى الخمر وكقول أبي تمام

جمعت عرى أعمالها بعد فرقة * اليك كما ضم الانابيب عامل

قيل نقله الى المدح من قول أبي حال الربعي فى الرثاء

أولئك أخوان الصفاء رزئتهم * وما الكف الا اصبع ثم اصبع

وكقول البحترى

ولو ان مشتاقا تكلف غير ما * فى وسعه لسعى اليك المنبر

نقله الى المدح من قول العرجى فى الغزل

لو كان حيا قبلهن ظعائنا * حيا الحطيم وجوههن وزمزم

الا انه غير خاف ثم المدار فى حسن الاخذ على ان يشتمل كلام الآخذ على ما لم يشتمل عليه كلام المأخوذ منه من حسن تركيب أو اختصار عبارة أو زيادة معنى وتبين ذلك فيما تراه من الامثلة قال مسلم بن الوليد

أحب الريح ما هبت شمالا * وأحسدها اذا هبت جنوبا

أخذه من قول جران العود

اذا هبت الارواح من نحو أرضكم * وجدت لرياها على كبدى بردا

وقال أيضا * ويغمد السيف بين النحر والجيد * أخذه من قول بعض الفرسان

جعلت السيف بين الليت منه * وبين سواد لحيته عذارا

فاغماد السيف أقوى من جعله عذارا وقال أبو نواس

سبط البنان اذا احتبى بنجاده * غمر الجماجم والسماط قيام

يصف ممدوحه ببسطة القامة فيقول انه وهو قاعد محتب بنجاده يطول من حوله من العسكر وهم قيام وكان الخليفة اذا جلس مجلس المهابة قام بجانبيه صفان ممتدان الى مسافة من العسكر يمشى بينهما المار اليه وهما السماطان وكان يقال قال فلان القصيدة الفلانية وأنشدها بين السماطين أخذ أبو نواس قوله من قول جرير

وقد أطول نجاد السيف محتبيا * مثل الردينى هزته الانابيب

وقال أيضا فى هذا المعنى

أشم طويل الساعدين كانما * يناط نجادا سيفه بلواء

أخذه من قول عنترة

بطل كأن ثيابه فى سرحة * يحذى نعال السبت ليس بتوأم

وقال محمد بن عطية العدوى

ما العيش الا فى جنون الصبى * فان تقضى فجنون المدام

* راح اذا ما الشيخ والى بها * خسا ترى برد الغلام

قيل أخذه من قول حسان

ان شرخ الشباب والشعر الاسـ * ـود ما لم يعاص كان جنونا

وقال

وقال أبو تمام

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاوّل *
كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاوّل منزل

أخذه من قول كثير

اذا ما أرادت خلة ان تزيلنا * أبينا وقلنا الحاجبية أوّل

وقال أبو تمام أيضا

وركب كأطراف الاسنة عرّسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه
لامر عليهم ان تتم صدوره * وليس عليهم ان تتم عواقبه

أخذ البيت الاوّل من قول البعيث

أطافت بركب كالأسنة هجد * بخاشعة الارجاء غبر صحونها

والبيت الثاني من قول اعرابي

غلام وغى تقحمها فأبلى * فخان بلاءه الزمن الخؤون
وكان على الفتى الاقدام فيها * وليس عليه ما جنت المنون

وقال في رثاء ولدين لعبد الله بن طاهر

نجمان شاء الله ألا يطلعا * الا ارتداد الطرف حتى يأفلا
ان الفجيعة بالرياض نواضرا * لاجل منها بالرياض ذوابلا
لهفي على تلك المخايل فيهما * لو أمهلت حتى تكون شمائلا
لو ينسآن لكان هذا غاربا * للمكرمات وكان هذا كاهلا
ان الهلال اذا رأيت نموّه * أيقنت ان سيصير بدرا كاملا

ألم في هذه المعاني بقول الفرزدق وأجاد ما شاء

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح * عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفي جوفه من دارم ذو حفيظة * لو ان المنايا أنسأته لياليا

ويحكى عن أبي نواس انه كان يقول مازلت أستحسن قول الشماخ

اذا بلغتني وحملت رحلي * عرابة فاشرقي بدم الوتين

وموافقة ذي الرمة اياه في قوله

اذا ابن أبي موسى بلالا بلغته * فقام بفأس بين عينيك جازر

حتى سمعت قول الفرزدق

علام تلفتين وأنت تحتي * وخير الناس كلهم أمامي
متى تردى الرصافة تستريحي * من التهجير والدبر الدوامي

فتبعته فى قولى

وإذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الحصى * فلها علينا حرمة وذمام *

وقلت

أقول لناقتي إذ بلغتني * لقد أصبحت عندي باليمين
فلم أجعلك للغربان نحلا * ولا قلت اشرقي بدم الوتين
حرمت على الازمة والولايا * واعلاق الرحالة والوضين

فأنت تراه قد اعترف بالمتابعة ولم يخش فيها معابة لما عرفت من استحسان سلوكهم تلك السبيل إذا أحسنوا وأجادوا وقد شرف هذا المعنى صلى الله عليه وسلم حيث قال لامرأة قالت نجوت على هذه النجيبة ونذرت ان بلغتني ان أنحرها بئس ما جزيتها ويحكى ان دعبلا كان جالسا يوما في جماعة فجرى ذكر أبي تمام فوقع فيه كما هو شأن اكثر المتعاصرين المشتركين فى صناعة وقال انه يتتبع معاني فيأخذها فقال رجل ما من ذاك أعزك الله فقال قلت

وان امرأ أسدى الي بشافع * اليه ويرجو الشكر مني لاحمق
شفيعك فاشكر فى الحوائج انه * يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فقال

فتى أقوم بحق شكرك اذ جنت * بالغيب كفك لي ثمار نواله
فلقيت بين يديك حلو عطائه * ولقيت بين يديه مر سؤاله *
واذا امرؤ أسدى اليك صنيعة * من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل أحسن والله فقال دعبل كذبت قبحك الله فقال الرجل ان كان سبق الى هذا المعنى فتبعته لما أحسنت وان أخذه منك لقد أجاده فصار أولى به منك فغضب دعبل وقام فانظر هداك الله في مثل هذا يفدك أدبا فأي اساءة أساء دعبل فان من أسدى يستوجب الشكر على أي حال ولمن أسدى بشفيع منتان وما على المحسنين من سبيل وقد أظهر دعبل حماقته فى قوله أحمق ويخلق وكان طبع دعبل لا يصبر عن الهجاء وبقي مدة مستخفيا يدور فى البلاد لهجائه الملوك وكان يقول أنا منذ كذا وكذا أحمل خشبتي على كتفي يعني خشبة الصلب لكونه كان يتوقع ذلك لافراطه في

فى التشبيع وذمه خلفاء وقته وأى احسان أحسن أبو تمام فى سلاسة عبارته وتمام أدبه وسمع بشار قول المجنون

ألا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالاكف تلين

فقال والله لو جعلها عصا من زبد أو مخ لما أحسن ألا قال مثل ما قلت

وحوراء المدامع من معد * كأن حديثها ثمر الجنان
اذا قامت بسبحتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

واستهجن الناس قوله عظامها ولما قال بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

تبعه سلم الخاسر فقال

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

فلما سمع بشار هذا البيت قال ذهب ابن الفاعلة ببيتي وكان تلميذه ومن حسن الاتباع قول ابراهيم بن العباس الصولى اذا كان للمحسن من الثواب ما يقنعه وللمسىء من العقاب ما يقمعه ازداد المحسن فى الاحسان رغبة وانقاد المسىء للحق رهبة اتبع فيه عليا كرم الله وجهه حيث يقول يجب على الوالى أن يتعهد أموره ويتفقد أعوانه حتى لا يخفى عليه احسان محسن ولا اساءة مسىء ثم لا يترك واحدا منهما بغير جزاء فان ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسىء وانفسد الامر وضاع العمل وقال بعضهم

أأفاتل الحجاج عن سلطانه * بيد تقر بأنها مولاته
ماذا أقول اذا وقفت ازاءه * فى الصف واحتجت له فعلاته

وقال نصيب

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

أى ولو سكتوا أثنت عليك العطايا الظاهرة وقيل شهادة الاحوال أعدل من شهادة الاقوال فكتب من كتب اتباعا لذلك لو أمسك لسانى عن شكرك لنطق أثرك على وفى موضع آخر ولو جحدت احسانك لأكذبتنى آثارك ونمت على شواهده وقال أبو نواس

قولا لهارون امام الهدى * عند احتفال المجلس الحاشد
أنت على ما بك من قدرة * فلست مثل الفضل بالواجد
ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

أخذه من قول جرير

اذا غضبت علي بنو تميم * وجدت الناس كلهم غضابا

وقال ابن عيينة

ما كنت الا كلحم ميت * دعا الى اكله اضطرار

أخذه من قول الاول

وان بقوم سوّدوك لفاقة * الى سيد لو يظفرون بسيد

وقال ابراهيم بن العباس

أفضل بين حديد * تقاصر عنها المثل

فبسطتها للغنى * وسطوتها للاجل

وباطنها للندى * وظاهرها للقبل

فقال ابن الرومي

أصبحت بين خصاصة وتجمل * والمرء بينهما يموت هزيلا

فامدد الى يدا تعوّد بطنها * بذل النوال وظهرها التقبيلا

ولكن قول ابراهيم باطنها وظاهرها أحسن من تعوّد بطنها وقال بشار

الدهر طلاع باحداثه * ورسله فيها المقادير

محجوبة تنفذ أحكامها * ليس لها عن ذاك تأخير

فتبعه ابن الرومي حيث يقول في المدح

يظل عن الحرب العوان بمعزل * وآثاره فيها وان غاب شهد

كما احتجب المقدار والحكم حكمه * على الناس طرّا ليس عنه معرد

قال أبو هلال الأن قول بشار أكثر ماء وطلاوة وقال أبو تمام

وجدت رجائي فيك وحدك همة * ولكنه في سائر الناس مطمع

قال أبو هلال أخذه البحتري واختصره

ثني أملي واحتازه عن معاشر * يبيتون والآمال فيهم مطامع

وعجبت من قول أبي هلال فقد نزل البحتري عن أبي تمام درجات وأين هو من قوله وحدك همة ومن قوله في سائر الناس وكيف يقول اختصره وقول ثني أملي واحتازه عن معاشر يبيتون وتبعهم ابن الرومي في هذا المعنى حيث قال

يصدق الله الاماني حديثها * ويمرد ويروا غيري وسارق

وقال

وقال أبو تمام

همة تنطح النجوم وجد * آلف للحضيض فهو حضيض

وتبعه البحترى فلم يسئ

متحير يغدو بعزم قائم * فى كل نائبة وجد قاعد

وقال أبو العتاهية

كم نعمة لا تستقل بشكرها * لله فى طى المكاره كامنه

فتبعه أبو تمام بقوله

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

لكنه وان زاد فقول ابى العتاهية أجل وقال أبو تمام

رافعا كفه لبرى فما أحسب * جاء فى لغير الطعام

أخذه البحترى فأوضحه وأحسن العبارة عنه

وعد ليس يعرف من عبوس * بأوجههم أوعدام وعيد

وقال عربى

وفرقت بين ابنى هتيم بطعنة * لها عاند يكسو السليب ازاره

العاند الدم الشديد الخروج فأخذه البحترى وقال

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم * محمرة فكأنهم لم يسلبوا

على ان محمرة حشو وكفاك هذا القدر منبها على اعتبار أمثاله عند قراءة الاشعار متى كنت مستحضرا وهاك أمثلة لقبيح الاخذ فى ذلك لولم يكن من توارد الخواطر قول طرفة

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

أخذه من قول امرئ القيس بتغيير القافية

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وقول الفرزدق

أترجو ربيع ان تجىء صغارها * بخير وقد أعيا ربيعا كبارها

من قول البعيث

أترجو كليبا ان تجىء حديثها * بخير وقد أعيا كليبا قديمها

وفى توارد الخواطر يقول أبو عمرو بن العلاء وقد سئل عن الشاعرين يتفقان

مقول رجال توافت على ألسنتها وفى تحقيق نوادر الخواطر يروى انه لما أنشد عمر ابن أبى ربيعة عبد الله بن العباس رضى الله عنهما قوله (تشط غدا دار جيراننا) سبقه لتميم البيت فقال (وللدار بعد غد أبعد) فقال عمر هكذا قلت فقال هكذا ينبغى أن يقال وان جريرا والفرزدق حضرا مرة مجلس هشام أو غيره وعدى بن الرقاع ينشد قصيدته التى أولها * عرف الديار توهما فاعتادها * فلما وصل الى قوله فى صفة الغزالة وابنها * تزجى أغن كأن ابرة روقه * عرض للملك شغل عن الاستماع فقال الفرزدق لجرير ماذا تراه يقول فقال جرير أراه يستلب مثلا فقال الفرزدق انه يقول * قلم أصاب من الدواة مدادها * فلما عاد عدى للانشاد وأتم البيت هكذا قال جرير لقد حسدت الفرزدق على ادراكه فوق ما حسدت عديا على شعره ومثل ذلك وقع كثيرا سيما فى الاشعار المحكمة التى تنبئ صدورها عن اعجازها وخطب النابغة بين يدى النعمان فقال يفضله على ملك غسان أيفاخرك ابن جفنة واللات لأمسك خير من يومه ولقذالك أحسن من وجهه وليسارك أسمح من يمينه ولعبدك أكبر من قومه ولنفسك أكبر من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من رفده ولهزلك أضرب من جده ولكرسيك أرفع من سريره ولفترك أبسط من شبره ولامك خير من أبيه فأخذ الشعراء قول النابغة ولقذالك أحسن من وجهه قال أبو نواس * يذ حسن الوجوه حسن قفاكا * وقال عبد الصمد بن المعذل

لما رأيت البدر فى * أفق السماء وقد تعلى
ورأيت قرن الشمس فى * أفق السماء وقد تدلى
شبهت ذاك وهذه * وأرى شبيههما أجلا
وجه الحبيب اذا بدا * وقفا الحبيب اذا تولى

قال أبو هلال لا يحسن أن يقال للرجل قفاك حاله كذا وكذا فعبارة النابغة أحسن وسمع الحسن بن وهب قول اعرابى جمعتنى واياها ظلمة الليل وكان البدر يرينها فلما غاب أرتنيه فقال

أرانى البدر سنتها عشاء * فلما أزمع البدر الأفولا
أرتنيه بسنتها فكانت * من البدر المنور لى بديلا

فأساء بالاطالة والتكرير وسوء العبارة فقد فاته قول الاعرابى وكان البدر يرينها وقال البحترى

أضرت

أضرت بضوء البدر والبدر طالع * وقامت مقام البدر لما تغيبا

قال أبو هلال زاد البحترى على الاعرابى فى قوله أضرت قلت ولم يصب فليس قوله أضرت واقعا من الحسن موقع قول الاعرابى وسمع بعضهم قول محمود الوراق

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سروره * وان مس بالضراء أعقبه أجر
وما منهما إلا له فيه نعمة * تضيق بها الاوهام والبر والبحر

فقال وأساء

الحمد لله ان الله ذو نعم * لم يحصها عددا بالشكر من حمدا
شكرى له عمل فيه على له * شكر يكون فما للشكر فيه مدى

وقال على كرم الله وجهه قيمة كل امرئ ما يحسنه فقال ابن طباطبا العلوى

فيا لائمى دعنى أغالى بقيمتى * فقيمة كل الناس ما يحسنونه

وقال آخر (فقيمة كل امرئ علمه) فأساء كل واساءة الاول أشد فان قوله كل الناس ليس كقولهما كل امرئ وقال عربى

دنوت له بأبيض مشرفى * كما يدنو المصافح للعناق

فأساء فى أخذه أبو تمام حيث يقول

حن الى الموت حتى ظن جاهله * بانه حن مشتاقا الى وطن

وأحسن البحترى أخذه فى قوله

تسرع حتى قال من شهد الوغى * لقاء أعاد أم لقاء حبائب

وقال ذو الرمة

وليل كجلباب العروس ادّرعته * باربعة والشخص فى العين واحد
أحم علافى وأبيض صارم * وأسمر خطى وأبيض ماجد

فاساء فى أخذه أبو تمام فى قوله

البيد والعيس والليل التمام معا * ثلاثة أبدا يقرن فى قرن

فقوله والليل التمام معا وقوله ثلاثة أبدا وقوله يقرن فى قرن كلها عبارات قبيحة وأجاد البحترى الاتباع بعض الاجادة فى قوله

اطلبا ثالثا سواى فانى * رابع العيس والدجى والبيد

وقال البحترى

قوم ترى أرماحهم يوم الوغى * مشغوفة بمواطن الكتمان

فقصر عن أصله وهو قول عمرو بن معديكرب

والضارب بين بكل أبيض مرهف * والطاعنين مجامع الاضغان

فقوله مجامع الاضغان أجود من قوله مواطن الكتمان لانهم انما يطاعنون الاعداء من أجل اضغانهم فاذا وقع الطعن فى موضع الضغن فذاك المراد وقال البحترى أيضا

من غادة منعت وتمنع نيلها * فلو انها بذلت لنا لم تبذل

منعت بصيغة فعل المجهول أى منعها أهلها وكذلك بذلت أى لو بذلوها نقصر فيه عن قول عبد الصمد بن المعذل لاختصاره وظهور المعنى فيه

ظبى كأن بخصره * من دقة ظمأ وجوعا

ومن البلية انني * علقت ممنوعا منوعا

وغير حسن قوله ظمأ وجوعا وقد يتفق الشاعران الآخذ والمأخوذ منه فى سوء العبارة كقول ابن أذينة

كأنما عائنها دائبا * زينها استزيين

وقول أبى نواس

كأنهم أثنوا ولم يعلموا * عليك عندى بالذى عابوا

وربما اتفقا فى الاجادة كقول اعرابى * فنم عليها المسك والليل عاكف *

وقول البحترى

وحاولن كتمان الترحل فى الدجى * فنم بهن المسك حين تضوعا

وقال أيضا

فكان العبير بها واشيا * وجرس الحلى عليها رقيبا

وزاحمهما المتنبى بقوله

قاق المليحة وهى مسك هتكها * ومسيرها فى الليل وهى ذكاء

فجمع شيئين كما فعل البحترى فى بيته الثانى ولكنه سقط فى أسفل الرابية وقال عربى

حرام على أرماحنا طعن مدبر * وتندق قدما فى الصدور صدورها

مسلمة أعجاز خيلى فى الوغى * مهتكة لباتها ونحورها

وقال أبو تمام

أناس

أناس اذا ما استحكم الروع كسروا * صدور العوالي في صدور الكتائب

فأحسنا جميعا ومن وادي هذا الكلام قول بعضهم

يلقى السيوف بوجهه وبنحره * ويقيمها منه مقام المغفر

ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا * فهدمت ركن المجد ان لم تعقر

وفي قوله ويقيمها استخدام فان الكناية لسيوف الممدوح وقول أبي بكر بن النطاح

يتلقى الندى بوجه حيي * وصدور القنا بوجه وقاح

وهذا كله مأخوذ من قول كعب بن زهير

لا يقع الطعن الا في نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل

أو من قول حسان

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

هذا ما أردت نقله من كتاب أبي هلال فاستوعبه ثم اعلم ان الناس في نقد الشعر وسائر الكلام صنفان الصنف الاول الشعراء والكتاب ورواة المنظوم والمنثور من العلماء لغرض التعليم والتأديب وهؤلاء انما انتقدوا بما ظهر قبحه وتبين فيه المخالفة للحكمة في تشريف النوع الانساني بالكلام كنوعي التعقيد والحشو والتطويل والخطأ في المعاني واستعمال ألفاظ لا تقعد بمقام في غيره الى ما يشاكل ذلك وكفاك ما سلف منبها عليه وربما تسامحوا في أشياء ليست بتلك المنزلة لما عرفوا من القصور الطبيعي الذي لا يمكن معه الاستكمال على الاطلاق الصنف الثاني أولئك العلماء الذين تكلموا في اثبات اعجاز القرآن الشريف من جهة البلاغة ووضعوا لذلك مصنفات وهؤلاء حيث انهم قرنوا بين الكلام البريء من كل عيب جل أودق ظهر أو خفي وهو كلام من لا تخفى عليه خافية وبين كلام الناس الذين هم موضع السهو والنسيان لا يكاد يسلم لهم كلام من متعلق لزمهم ان يبالغوا في البحث والتفتيش وان لا يتغاضوا عن شيء يمكن أن يؤثر في سلامة الكلام وبراءته من المطاعن وها أنا مورد لك من ذلك أنموذجا قال أحد المصنفين في ذلك الغرض حيث انتهى من القول الى ابانة سقوط درجة الشعر كيفما كان عن درجة الكتاب العزيز من البلاغة فنرجع الآن الى ما ضمناه من الكلام على الاشعار المتفق على جودتها وتقدم أصحابها في صناعتهم ليبين لك تفاوت أنواع الخطاب وتباعد مواقع البلاغة وتستدل على مواضع البراعة وأنت لا تشك في جودة شعر امرئ القيس ولا ترتاب في براعته ولا تتوقف في فصاحته وتعلم انه قد ابدع في

طرق الشعراء أمورا اتبع فيها من ذكر الديار والوقوف عليها الى ما يتصل بذلك من البديع الذى أبدعه والتشبيه الذى أحدثه والملح الذى تجد فى شعره والتصرف الكثير الذى تصادفه فى قوله والوجوه التى ينقسم اليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة وعفو ومتانة ورقة وأسباب تحمد وأمور تؤثر وتمدح وقد ترى الادباء أولا يوازنون به فلانا وفلانا ويضمون أشعارهم الى شعره حتى ربما وازنوا بين شعر من لقيناه وبينه فى أشياء لطيفة وأمور بديعة وربما فضلوهم عليه أو سووا بينهم وبينه أو قربوا موضع تقدمه عليهم وبروزه بين أيديهم ولما اختاروا قصيدته فى السبعيات أضافوا اليها أمثالها وقرنوا بها نظائرها ثم تراهم يقولون لفلان لامية مثلها ثم ترى أنفس الشعراء تتشوق الى معارضته وتساويه فى طريقته وربما غبرت فى وجهه فى أشياء كثيرة وتقدمت عليه فى أسباب عجيبة واذا جاؤا الى تعداد محاسن شعره كان أمرا محصورا وشيئا معروفا أنت تجد من ذلك البديع أو أحسن منه فى شعر غيره وتشاهد مثل ذلك البارع فى كلام سواه وتنظر الى المحدثين كيف توغلوا الى حيازة المحاسن منهم من جمع رصانة الكلام الى سلاسته ومتانته الى عذوبته والاصابة فى معناه الى تحسين بهجته حتى ان منهم من إن قصر عنه فى بعض تقدم عليه فى بعض لان الجنس الذى يرمون اليه والغرض الذى يتواردون عليه مما للآدمى فيه مجال فكل يضرب فيه بسهم ويفوز فيه بقدح ثم قد تتفاوت السهام تفاوتا وتتباين تباينا وقد تتقارب تقاربا على حسب مشاكلتهم فى الصنائع ومساهمتهم فى الحرف ونظم القرآن جنس متميز وأسلوب متخصص فاذا شئت ان تعرف عظم شأنه فتأمل ما نقوله فى هذا الفصل لامرئ القيس فى أجود اشعاره وما تبين لك من عواره على التفصيل وذلك قوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمال

الذين يتعصبون له ويدعون المعرفة بمحاسن الشعر يقولون هذا من البديع لانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر العهد والحبيب والمنزل فى نصف بيت ونحو ذلك وانما بينا هذا لئلا يقع لك ذهابنا عن مواضع المحاسن ان كانت تأمل أرشدك الله أنت تعلم انه ليس فى البيتين شئ قد سبق فى ميدانه شاعرا ولا تقدم به صانعا

وفى

وفى لفظه ومعناه خلل فأول ذلك انه استوقف ثم استبكى لذكرى الحبيب وذكراه لاتقتضى بكاء الخلى وانما يصح طلب الاشعار فى مثل هذا على ان يبكى لبكائه ويرق لصديقه فى شدة برحائه فاما ان يبكى على حبيب صديقه وعشيق رفيقه فأمر محال فان كان المطلوب وقوفه وبكاءه أيضا عاشقا صح الكلام وفسد المعنى من وجه آخر لانه من السخف ان يدعو غيره الى التواجد معه فى حبيبه ثم فى البيتين مالا يفيد من ذكر هذه المواضع وتسمية هذه الاماكن من الدخول وحومل وتوضح والمقراة وسقط اللوى وقد كان يكفيه ان يذكر فى التعريف بعض هذا وهذا التطويل اذا لم يفد كان ضربا من العى ثم ان قوله لم يعف رسمها ذكر الاصمعى من محاسنه انه باق فنحن نحزن على مشاهدته فلو عفا لاسترحنا وهذا بأن يكون من مساويه أولى لانه ان كان صادق الود فلا يزيده عفاء الرسوم الا جدة عهد وشدة وجد وانما فزع الاصمعى لذكر انه أفاد هذه الفائدة خشية ان يعاب عليه فيقال أى فائدة لان يعرفنا انه لم يعف رسم منازل حبيبه وأى معنى لهذا الحشو فذكر ما يمكن انه يذكر ولكن لم يخلصه بانتصاره من الخلل ثم فى هذه الكلمة خلل آخر لانه عقب البيت بأن قال * فهل عند رسم دارس من معول * ذكر أبو عبيدة انه رجع فأكذب نفسه كما قال زهير

قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

وقال غيره أراد بالبيت الاول انه لم ينطمس أثره كله وبالثانى انه ذهب بعضه حتى لا يتناقض الكلامان وليس فى هذا انتصار لان معنى عفا ودرس واحد فاذا قال لم يعف رسمها ثم قال قد عفا فهو تناقض لامحالة واعتذار أبى عبيدة أقرب لو صح ولكن لم يرد هذا القول موردا لاستدراك على ماقاله زهير فهو الى الخلل أقرب وقوله لما نسجتها كان ينبغى ان يقول لما نسجها ولكنه تعسف فجعل مافى تأويل تأنيث لانها فى معنى الريح والاولى التذكير دون التأنيث وضرورة الشعر قد دلته على هذا التعسف وقوله لم يعف رسمها كان الاولى ان يقول لم يعف رسمه لانه ذكر المنزل فان كان رد ذلك الى هذه البقاع والاماكن التى المنزل واقع بينها فذلك خلل لانه انما يريد صفة المنزل الذى نزله حبيبه بعفائه أو انه لم يعف دون ماجاوره وان أراد بالمنزل الدار حتى أنث فذلك أيضا خلل ولو سلم من هذا كله ومما نكره ذكره كراهية التطويل لم نشك فى أن شعر أهل زماننا لايقصر عن البيتين بل يزيد عليهما

ويفضلهما ثم قال

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وإن شفائي عبرة مهراقة * فهل عند رسم دارس من معول

ليس في البيتين أيضا معنى بديع ولا لفظ حسن كالاولين والبيت الاول متعلق بقوله قفا نبك فكأنه قال قفا وقوف صحبي بها على مطيهم أوقفا حال وقوف صحبي وقوله بها متأخر في المعنى وان تقدم في اللفظ ففي ذلك تكلف وخروج عن اعتدال الكلام والبيت الثاني مختل من جهة انه قد جعل الدمع في اعتقاده شافيا كافيا فما حاجته بعد ذلك الى طلب حيلة أخرى ومعول عند الرسوم ولو أراد أن يحسن الكلام لوجب ان يدل على ان الدمع لا يشفيه لشدة ما به من الحزن ثم يسائل هل عند الربع من حيلة أخرى وقوله

كدأبك من أم الحويرث قبلها * وجارتها أم الرباب بمأسل

اذا قامتا تضوع المسك منهما * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

أنت لا تشك في أن البيت الاول قليل الفائدة ليس له مع ذلك بهجة فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ وان كان منزوع المعنى وأما البيت الثاني فوجه التكلف فيه قوله اذا قامتا تضوع المسك منهما ولو أراد ان يجود أفاد ان بهما طيبا على كل حال فاما في حال القيام فقط فذلك تقصير ثم فيه خلل آخر لانه بعد ان شبه عرفها بالمسك شبه ذلك بريا القرنفل وذكره ذلك بعد ذكر المسك نقص وقوله

ففاضت دموع العين مني صبابة * على النحر حتى بل دمعي محملي

ألا رب يوم لك منهن صالح * ولا سيما يوما بدارة جلجل

قوله ففاضت دموع العين ثم استعانته بقوله مني استعانة ضعيفة عند المتأخرين في الصنعة وهو حشو غير مليح ولا بديع وقوله على النحر حشو آخر لان قوله بل دمعي محملي يغني عنه ويدل عليه وليس بحشو حسن ثم قوله حتى بل دمعي محملي اعادة ذكر الدمع حشو آخر وكان يكفيه ان يقول حتى بلت محملي فاحتاج في اقامة الوزن الى هذا كله ثم تقديره انه أفرط في افاضة الدمع حتى بل محمله تفريط منه وتقصير ولو كان أبدع لكان يقول حتى بل دمعي مغانيهم وعراصهم ويشبه ان يكون غرضه اقامة الوزن والقافية فان الدمع يسيل من المحمل وانما يقطر من الواقف والقاعد على الارض أو على الذيل وان بله فلما وانما يقطر وأنت تعلم في شعر الخبزرزي ما هو أحسن من هذا

هذا البيت وأمتن وأعجب منه والبيت الثاني خال من المحاسن والبديع خلو من المعنى وليس له لفظ يروق ولا معنى يروع ولا يرعك تهويله باسم موضع غريب وقال

ويوم عقرت للعذارى مطيتي * فيا عجبا من رحلها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها * وشحم كهداب الدمقس المفتل

تقديره اذكر يوم عقرت مطيتي او يرده على قوله يوم بدارة جلجل قال بعض الادباء قوله يا عجبا يعجب من سفهه في شبابه من نحره ناقته لهن وانما أراد بان لا يكون الكلام من هذا المصراع منقطعا عن الاول وأراد أن يكون الكلام ملائما له وهذا الذي ذكره بعيد وهو منقطع من الاول وظاهره أنه يتعجب من تحمل العذارى رحله وليس في هذا عجب كبير ولا في نحر الناقة لهن تعجب وان كان يعني به انهن حملن رحله وان بعضهن حملته فعبر عن نفسه برحله فهذا قد لا يشبه به ويكون تعجبا لكن الكلام لا يدل عليه ويتجافى عنه ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شيء غريب ولا معنى بديع أكثر من سلامته وقرب معناه وتقارب أمره ومشاكلته طبع المتأخرين من أهل زماننا والى هذا الموضع لم يمر له بيت رائع وكلام رائق وأما البيت الثاني فيعدونه حسنا ويعدون التشبيه مليحا واقعا وفيه شيء وذلك أنه عرف اللحم ونكر الشحم فلا يعلم انه وصف شحمها وذكر تشبيه أحدهما بشيء واقع وعجز عن تشبيه الآخر وهذا نقص في الصنعة وعجز عن اعطاء الكلام حقه وفيه شيء آخر من جهة المعنى وهو أن وصف طعامه الذي اطعم من أضاف بالجودة وهذا قد يعاب وقد يقال ان العرب تفتخر بذلك ولا يرونه عيبا وانما الفرس هم الذين يرون هذا عيبا شنيعا أما تشبيه الشحم بالدمقس فشيء يقع للعامة ويجري على ألسنتهم فليس بشيء قد سبق اليه وانما زاد المفتل لاقامة القافية وفيه شيء آخر وهو ان تبجحه بما أطعم الاحباب مذموم وان ساغ التبجح بما أطعم الاضياف الا أن يكون أورد الكلام مورد المجون والمزاح وقوله

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة * فقالت لك الويلات انك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معا * عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

قوله دخلت الخدر خدر عنيزة تكرير لاقامة الوزن لا فائدة فيه غيرها ولا ملاحة له ولا رونق وقوله في المصراع الاخير من هذا البيت فقالت لك الويلات انك مرجلي كلام مؤنث من كلام النساء نقله على جهته الى شعره وليس فيه غير هذا وتكرير بعد ذلك تقول وقد مال الغبيط يعني قتب الهودج بعد قوله فقالت لك الويلات انك مرجلي

لافائدة فيه غير تقدير الوزن والاحكاية قولها الاول كاف وهو في النظم قبيح لانه ذكر مرة فقالت ومرة تقول في معنى واحد وفصل خفيف وفي مصراع الثاني أيضا تأنيث من كلامهن وذكر أبو عبيدة أنه قال عقرت بعيرى ولم يقل ناقتي لانهم يحملون النساء على ذكور الابل لانها أقوى وفيه نظر لان البعير اسم للذكر والانثى واحتاج الى ذكر البعير لاقامة الوزن وقوله

فقلت لها سيرى وأرخي زمامه * ولا تبعديني عن جناك المعلل

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فالهيتها عن ذى تمائم مغيل

البيت الاول قريب النسج ليس له معنى بديع ولا لفظ شريف كأنه من عبارات المخطين في الصنعة وقوله فمثلك حبلى قد طرقت عابه عليه أهل العربية ومعناه عندهم حتى يستقيم الكلام فرب مثلك حبلى قد طرقت وتقديره أنه زير نساء وأنه يفسدهن ويلهيهن عن حبلهن ورضاعهن لأن الحبلى والمرضعة أبعد من الغزل وطلب الرجال والبيت الثاني غير منتظم مع المعنى الذى قدمه في البيت الاول لأن تقديره لا تبعديني عن نفسك فاني أغلب النساء وأخدعهن عن رأيهن وأفسدهن بالتغازل وكونه مفسدة لهن لا يوجب له وصلهن وترك ابعادهن اياه بل يوجب هجره والاستخفاف به لسخفه ودخوله كل مدخل فاحش وركوبه كل مركب فاسد وفيه من الفحش ما يستنكف الكريم من مثله ويأنف من ذكره وقوله

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وتحتى شقها لم يحوّل

ويوما على ظهر الكثيب تعذرت * على وآلت حلفة لم تحلل

فالبيت الاول غاية في الفحش ونهاية في السخف وأى فائدة لذكره لعشيقته كيف كان يركب هذه القبائح ويذهب هذه المذاهب ويرد هذه الموارد ان هذا ليبغضه الى كل من سمع كلامه ويوجب له المقت وهو لو صدق لكان قبيحا فكيف لو كان كاذبا ثم ليس في البيت لفظ بديع ولا معنى حسن وهذا البيت متصل بالبيت الذى قبله من ذكر المرضع التى لها ولد محول فاما البيت الثاني وهو قوله ويوما فتعجب منه وانما تشدد وتعسرت عليه وحلفت عليه فهو كلام ردىء النسج لا فائدة لذكره لنا أن حبيبته تمنعت عليه يوما بموضع يسميه ويصفه وأنت تجد في شعر المحدثين من هذا الجنس في التغزل ما يذوب معه اللب وتطرب عليه النفس وهذا مما تستنكره النفس ويشمئز منه القلب وليس فيه شيء من الاحسان والحسن وقوله

افاطم

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد ازمعت صرمي فأجملي
أغرك مني ان حبك قاتلي * وانك مهما تأمري القلب يفعل

فالبيت الاول فيه ركاكة جدا وتانيث ورقة ولعل قائلا ان يقول كلام النساء بما يلائمهن من الطبع اوقع وأغزل وليس كذلك لانك تجد الشعراء في المؤنث لم يعدلوا عن رصانة قولهم والمصراع الثاني منقطع عن الاول لا يلائمه ولا يوافقه وهذا يبين لك اذا عرضت معه البيت الذي تقدمه وكيف ينكر تدللها والمتغزل يطرب على دلال الحبيب وتدلله والبيت الثاني قد عيب عليه لانه قد أخبر أن من سبيلها أن لا تغتر بما بدلها من ان حبها يقتله وانما تملك قلبه فما أمرته فعله وكيف يكون ذلك مع ذلك وان كان المعنى غير هذا الذي عيب عليه وانما ذهب مذهبا آخر وهو أنه أراد أن يظهر التجلد فهذا خلاف ما اظهر من نفسه فيما تقدم من الابيات من الحب والبكاء على الاحبة فقد دخل في وجه آخر من المناقضة والاحالة في الكلام ثم قوله تأمري القلب يفعل كان سبيله ان يقول تأمريني اذا القلب لا يؤمر فالاستعارة في ذلك غير واقعة ولا حسنة وقوله

فان كنت قد ساءتك مني خليقة * فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي
وما ذرفت عيناك الا لتضربي * بسهميك في أعشار قلب مقتل

البيت الاول قد قيل في تأويله انه ذكر الثوب وأراد البدن مثل قول الله تعالى وثيابك فطهر وقال أبو عبيدة هذا مثل للهجر وتنسل تبين وتنفصل وهو بيت ركيك المعنى وضيعه وكل ما اضاف الى نفسه ووصفه نهاية سقوط وسفه وضعف ويوجب قطعه فلم يحكم على نفسه بذلك ولكن يورده مورد ان ليست له خليقة توجب هجرانه والتقصي من وصاله وانه مهذب الاخلاق شريف الشمائل فذلك يوجب أن لا ينفك من وصاله والاستعارة في المصراع الثاني فيها تواضع وتقارب وان كانت قريبة وأما البيت الثاني فمعدود من محاسن القصيدة وبدائعها ومعناه ما بكيت الا لتجرحي قلبا معشرا اي مكسرا من قولهم برمة اعشار اذا كانت قطعا هذا تأويل ذكره الاصمعي رضي الله عنه وهو أشبه عند أكثرهم وقال غيره وهذا مثل للاعشار التي تقسم الجزور عليها ويعني بسهميك المعلى وله سبعة انصباء والرقيب وله ثلاثة فاراد انك ذهبت بقلبي أجمع ويعني بقوله مقتل مذلل وأنت تعلم أنه على ما يعني به فهو غير موافق للابيات المتقدمة لما فيها من التناقض الذي بيناه ويشبه ان يكون من قال بالتأويل الثاني فزع اليه لانه رأى اللفظ مستكرها على المعنى الاول لأن القائل اذا قال ضرب فلان بسهمه في الهدف بمعنى أصابه كان كلاما

ساقطا من قولا وهو يرى ان معنى الكلمة ان عينيها كالسهمين النافذين فى اصابة قلبه المجروح فلما بكتا وذرفتا بالدموع كانتا ضاربتين فى قلبه ولكن من حمل على التأويل الثانى سلم من الخلل الواقع فى اللفظ ولكنه اذا حمل على الثانى فسد المعنى واختل لانه ان كان محبا على ما وصف به نفسه من الصبابة فقلبه كله لها فكيف يكون بكاؤها هو الذى يخلص قلبه لها واعلم بعد هذا ان البيت غير ملائم للبيت الاول ولا متصل به فى المعنى وهو منقطع عنه لانه لم يسبق كلام يقتضى بكاءها ولا سبب يوجب ذلك فتركيبه هذا الكلام على ما قبله فيه اختلال ثم لو سلم له بيت من عشرين بيتا او كان بديعا ولا عيب فيه فليس بعجيب لانه لا يدعى على مثله ان كلامه كله متناقض ونظمه كله متباين وانما يكفى ان نبين ان ما سبق من كلامه الى هذا البيت مما لا يمكن ان يقال انه يتقدم فيه أحدا من المتأخرين فضلا عن المتقدمين وانما قدم فى شعره لابيات قد برع فيها وبان حذقه بها وانما انكرنا ان يكون شعره متناسبا فى الجودة ومتشابها فى صحة المعنى واللفظ وقلنا انه يتصرف بين وحشى غريب مستنكر وبين كلام سليم متوسط وبين عامى سوقى فى اللفظ والمعنى وبين حكمة حسنة وبين سخف مستشنع ولهذا قال الله عز اسمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقوله

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

تجاوزت أحراسا وأهوال معشر * على حراص لو يسرون مقتلى

فقد قالوا عنى بذلك أنها كبيضة خدر فى صفائها ورقتها وهذه كلمة حسنة ولكن لم يسبق اليها بل هى دائرة فى أفواه العرب وتشبيه سائر ويعنى بقوله غير معجل انه ليس ذلك مما يتفق قليلا وأحيانا بل يتكرر له الاستمتاع بها وقد يحمله غيره على أنه رابط الجأش فلا يستعجل اذا دخل اليها خوف حصانتها ومنعتها وليس فى البيت كبير فائدة لان الذى حكى فى سائر أبياته قد تضمن مطاولته فى المغازلة واشتغاله بها فتكريره فى هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى ليس فيه الا الزيادة التى ذكر من منعتها والبيت الثانى ضعيف وقوله لو يسرون مقتلى أراد أن يقول لو أسروا فاذا نقله الى هذا ضعف ووقع فى مضمار الضرورة والاختلال على نظمه بين حتى ان المحترز يحترز من مثله وقوله

اذا ما الثريا فى السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل

هذا أنكره عليه [illegible] وقوله اذا ما الثريا فى السماء تعرضت [illegible] الثريا [illegible] حتى قال بعضهم عنى الثريا وانما أراد الجوزاء لانها تتعرض والعرب تفعل ذلك كما قال زهير

كأحمر

كأحمر عاد وانما هو أحمر ثمود وقال بعضهم فى تصحيح قوله تتعرض أول ما تطلع كما ان الوشاح اذا طرح يلقاك بعرضه وهو ناحيته وقال أبو عمرو يعنى اذا أخذت الثريا فى وسط السماء كما يأخذ الوشاح وسط المرأة والاشبه عندنا ان البيت غير معيب من حيث عابوه به وانه من محاسن هذه القصيدة وان كان فيه ضرب من التكلف لانه قال اذا ما الثريا فى السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح فقوله تعرضت من الكلام الذى يستغنى عنه لانها تشبه اثناء الوشاح سواء كانت فى وسط السماء وعند الطلوع والمغيب والتهو يل بالتعرض والتطو يل بهذه الالفاظ لا معنى له وفيه ان الثريا كقطعة من الوشاح المفصل فلا معنى لقوله تعرض اثناء الوشاح وانما أراد أن يقول تعرض قطعة من اثناء الوشاح فلم يستقم له اللفظ وقوله

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها * لدى الستر الا لبسة المتفضل

انظر الى هذا البيت والابيات التى قبله كيف خلط فى النظم وفرط فى التأليف فذكر التمتع بها وذكر الوقت والحال والحراس ثم يذكر كيف كان صفتها لما دخل عليها ووصل اليها من نزعها ثيابها الا ثوبا واحدا والمتفضل الذى فى ثوب واحد وهو الفضل فما كان من سبيله أن يقدمه ذكره مؤخرا وقوله لدى الستر حشو وليس بحسن ولا بديع وقوله

فقمت بها أمشى تجر وراءنا * على أثرنا أذيال مرط مرحل

فلما اجزنا ساحة الحى وانتحى * بنا بطن خبت ذى قفاف عقنقل

البيت الاول ذكر فيه مساعدتها اياه حتى قامت معه ليخلوا وكانت تجر على الاثر أذيال مرط مرحل والمرحل ضرب من البرود يقال لوشيه الترحيل وفيه تكلف لانه قال وراءنا على اثرنا ولو قال على أثرنا كان كافيا والذيل انما يجر وراء الماشى فلا فائدة لذكره وراءنا وتقديرا لقول فقمت امشى بها وهذا أيضا ضرب من التكلف وقوله اذيال مرط كان من سبيله أن يقول ذيل مرط على انه لو سلم من ذلك كان قريبا ليس مما يفوت بمثله غيره ولا يتقدم به سواه وقول ابن المعتز احسن منه

فبت أفرش خدى فى الطريق له * ذلا وأسحب أكمامى على الاثر

وأما البيت الثانى فقوله اجزنا يعنى قطعنا والخبت بطن من الارض والقف رمل منعرج والعقنقل المنعقد من الرمل الداخل بعضه فى بعض وهذا البيت نافر عن الابيات المتقدمة لأن فيها ما هو سلس قريب يشبه كلام المولدين وهذا قد اغرب فيه وأتى بهذه

اللفظة الوحشية المتعقدة وليس فى ذكرها والحاقها بسوابقها من الكلمات فائدة
الكلام الغريب واللفظة الشديدة المباينة لنسج الكلام قد تحمد اذا وقعت موقع
الحاجة فى وصف ما يلائمها كقوله عز وجل فى وصف يوم القيامة يوما عبوسا قمطريرا
فأما اذا وقعت فى غير هذا الموقع فهى مكروهة مذمومة بحسب ما تحمد فى موضعها وروى
ان جريرا أنشد بعض خلفاء بنى امية قصيدته

بان الخليط برامتين فودّعوا * أو كلما جدّوا لبين تجزع
كيف العزاء ولم أجد مذ بنتم * قلبا يقر ولا شرابا ينقع

فكان يزحف من حسن هذا الشعر حتى بلغ قوله

وتقول بوزع قد دببت على العصا * هلا هزئت بغيرنا يا بوزع

فقال افسدت شعرك بهذا الاسم وقوله

هصرت بغصنى دوحة فتمايلت * علىّ هضيم الكشح ريا المخلخل
مهفهفة بيضاء غير مفاضة * ترائبها مصقولة كالسجنجل

فمعنى قوله هصرت جذبت وثنيت وقوله بغصنى دوحة تعسف ولم يكن من سبيله أن
يجعلها اثنين والمصراع الثانى أصح وليس فيه شئ الا ما يتكرر على ألسنة الناس من
هاتين الصفتين وانت تجد ذلك فى وصف كل شاعر ولكنه مع تكرره على الالسن صالح
وأما معنى قوله مهفهفة انها مخففة ليست مثقلة والمفاضة التى اضطرب طولها والبيت مع
مخالفته فى الطبع الابيات المتقدمة ونزوعه فيه الى الالفاظ المستكرهة وما فيه من
الخلل من تخصيص الترائب بالضوء بعد ذكر جميعها بالبياض ليس بطائل ولكنه
قريب متوسط وقوله

تصدّ وتبدى عن أسيل وتتقى * بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الريم ليس بفاحش * اذا هى نصته ولا بمعطل

معنى قوله عن أسيل أى بأسيل وانما يريد خدا ليس بكز وقوله تتقى يقال اتقاه بحقه أى
جعله بينه وبينه وقوله تصد وتبدى عن أسيل متفاوت لان الكشف عن الوجه مع
الوصل دون الصد وقوله تتقى بناظرة لفظة ماجنة ولكن اضافها الى ما نظم به كلامه
وهو مختل وهو قوله من وحش وجرة ويجب أن تكون العبارة بغير هذا كان من سبيله
ان يضيف الى عيون الظباء أو المها دون اطلاق الوحش ففيهن ما تستنكر عيونها وقوله
مطفل

معطفل فسروه على انها ليست بصبية وانها قد استحكمت وهذا اعتذار متعسف وقوله معطفل زيادة لافائدة فيها على هذا التفسير الذى ذكره الاصمعى ولكن قد يحتمل عندى أن يفيد غير هذه الفائدة فيقال انها اذا كانت معطفلا لحظت اطفالها بعين رقة ففى نظر هذه رقة نظر المودة ويقع الكلام معلقا تعليقا متوسطا وأما البيت الثانى فمعنى قوله ليس بفاحش أى ليس بفاحش الطول ومعنى قوله نصته رفعته وقوله ليس بفاحش فى مدح الاعناق كلام وحش موضوع منه واذا نظرت فى اشعار العرب رأيت فى وصف الاعناق ما يشبه السحر فكيف وقع على هذه الكلمة ودفع الى هذه اللفظة وهلا قال كقول أبى نواس

مثل الظباء سمت الى * روض صوادر عن غدير

لست اطول عليك فتستثقل ولا اكثر القول فى ذمه فتستوحش واكلك الى جملة من القول فان كنت من اهل الصنعة فطنت واكتفيت وعرفت مارمينا اليه واستغنيت وان كنت عن الطبقة خارجا وعن الاتقان بهذا الشأن خاليا فلا يكفيك البيان وان استقرينا جميع شعره وتتبعنا عامة ألفاظه ودللنا على ما فى كل حرف منه اعلم ان هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مبتذلة وأبيات متوسطة وأبيات ضعيفة مرذولة وابيات وحشية غامضة مستكرهة وأبيات معدودة بديعة وقد دللنا على المبتذل منها ولا يشتبه عليك الوحشى المستنكر الذى يروع السمع ويهول القلب ويكد اللسان ويعبس معناه فى وجه كل خاطر ويكفهر مطلعه على كل متأمل أوناظر ولا يقع بمثله التمدح والتفاصح وهو مجانب لما وضع له أصل الافهام ومخالف لما بنى عليه التفاهم بالكلام فيجب أن يسقط عن الغرض المقصود ويلحق باللغز والاشارات المستبهمة فأما الذى زعموا انه من بديع هذا الشعر فهو قوله

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها * نئوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

والمصراع الاخير عندهم بديع ومعنى ذلك انها مترفة متنعمة لها من يكفيها ومعنى قوله لم تنتطق عن تفضل يقول لم تنتطق وهى فضل وعن هى بمعنى بعد قال أبو عبيدة لم تنتطق فتعمل ولكنها تتفضل ومما يعدونه من محاسنها

وليل كموج البحر أرخى سدوله * على بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه * واردف اعجازا وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح فيك بامثل

وكان بعضهم يعارض هذا بقول النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطىء الكواكب

وصدر اراح الليل عازب همه * تضاعف فيه الحزن من كل جانب

تقاعس حتى قلت ليس بمنقض * وليس الذى يتلو النجوم بآيب

وقد جرى ذلك بين يدى بعض الخلفاء فقدم ابيات امرئ القيس واستحسن استعارتها وقد جعل لليل صدرا يثقل تنحيه ويبطئ تقضيه وجعل له اردافا كثيرة وجعل له صلبا يمتد ويتطاول ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره أبو تمام من الاستعارات الوحشية البعيدة المستنكرة ورأوا ان الالفاظ جميلة واعلم ان هذا صالح جميل وليس من الباب الذى يقال انه متناه عجيب وفيه الملام بالتكلف ودخل فى التعمل وقد خرجوا له فى البديع من القصيدة قوله

وقد أغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقوله أيضا

له ايطلا ظبى وساقا نعامة * وارخاء سرحان وتقريب تتفل

فأما قوله قيد الاوابد فهو مليح ومثله فى كلام الشعراء وأهل الفصاحة كثير والتعمل بمثله ممكن وأهل زماننا الآن يصنفون نحو هذا تصنيفا ويؤلفون المحاسن تأليفا ثم يوشحون به كلامهم والذين كانوا من قبل لغزارتهم وتمكنهم لم يكونوا يتصنعون لذلك انما كان يتفق لهم اتفاقا ويطرد فى كلامهم اطرادا وأما قوله فى وصفه مكر مفر فقد جمع فيه طباقا وتشبيها وفى سرعة جرى الفرس للشعراء ما هو احسن من هذا وألطف وكذلك فى جمعه بين أربعة وجوه من التشبيه فى بيت واحد صنعة ولكن قد عورض فيه وزوحم والتوصل اليه يسير وتطلبه سهل قريب وقد بينا لك ان هذه القصيدة ونظائرها تتفاوت فى أبياتها تفاوتا بينا فى الجودة والرداءة والسلاسة والانعقاد والسلامة والانحلال والتمكن والتسهل والاسترسال والتوحش والاستكراه وله شركاء فى نظائرها ومنازعون فى محاسنها ومعارضون فى بدائعها ولا سواء بين كلام ينحت من الصخر تارة ويذوب تارة ويتلون تلون الحرباء ويختلف اختلاف الاهواء ويكثر فى تصرفه اضطرابه وتتقاذف به اسبابه

أسبابه وبين قول يجري في سبكه على نظام وفي رصفه على منهاج وفي وضعه على حذو وفي صفاته على باب وفي بهجته ورونقه على طريق مختلفه مؤتلف ومؤتلفه متحد ومتباعده متقارب وشارده مطيع ومطيعه شارد وهو على متصرفاته واحد لا يستصعب في حال ولا يتعقد في شان فأنت ترى هذا الشيخ كيف عمد الى قصيدة قد اتفق العلماء وأهل الادب على تقدمها في الجودة وعلوها في البلاغة حتى جعلوها رأس القصائد السبعيات فافسد بالنقد صورتها وغير في وجه بهجتها ولكن أقول انه مع نورانية كلامه وسلاسة عباراته وحسن سلوكه في تقرير اغراضه قد تحامل على أمرئ القيس بعض التحامل وما كان ينبغي فان التحامل في مقام البرهنة يوجب نفرة عن الاستماع واستصعابا عن الانقياد ويكون ذلك سببا لضياع الحق ولست أقول ان كلام المخلوق أيما بلغ من رتب البلاغة يكاد يدانى كلام الخالق الذى لا تخفى عليه خافية ولكن أقول انه لا ينبغي ان يبخس كلام حقه ولا يوفى قسطه ويعترف له بحظه منها وها أنا مقتف أثره في الكلام على بعض ما تكلم عليه بما يتلاشى معه كثير من انتقاداته ومفصل ما فيه الكلام منها تفصيله الذى أراده الشاعر قوله قفا نبك البيتين فصل أراد فيه بالحبيب والمنزل الجنس فالتنكير فيه للتنويع لا للافراد فكأنه قال ليقف كل منا يبكي صفاء عيشه الماضي وسرور أوقاته السالفة وتمتعه بحبيبه في تلك المنازل الشاغلة لتلك النواحي التي سماها وطوى في ذلك الحديث عن كثرة العمران وعظم المجتمع وذلك سبب لقوة الانس واتساع دائرة السرور والتمكن من الاستمتار باللذات وفيه اقامة العذر في اشتداد الوجد وكثرة الحزن اذ بقدر الانس بالشيء تعم الوحشة عند ذهابه ولاظهار الجزع والمبالغة في الابانة عن العذر قال لم يعف رسمها وذلك من ايجاز الاشارة الذى هو معدود من أكبر دعائم البلاغة فليس ذكره لتلك المواضع فضلا وتأمل عطفه فيها بالفاء دون الواو كما يقتضيه ظاهر الكلام فالكناية اذا من قوله رسمها تعود للمنازل ثم ان مناقشته في الالفاظ مع كونه من رؤس أهل اللغة الذين تنقل عنهم وبكلامهم يحتج فيه خروج وقوله وقوفا الى قوله اذا قامتا فصل يبين فيه ما كان من وعظ صحابته اياه ونصحهم له فكان من كلامهم لا تهلك اسى وتجمل فهل عند رسم دارس من معول ذلك مثلك الآن كدأبك وحالك فيما مضى من فلانة وفلانة واعترض بين اجزاء ما حكاه عنهم بقوله وان شفائي عبرة ودعوى كون البكاء شافيا والالتذاذ بالدموع مصرحا أمر مشهور بين الشعراء قال بعضهم

لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفي نجي البلابل

وقالت الخنساء

ان البكاء هو الشفا * ء من الجوى بين الجوانح

وذلك أمر يعرف بالوجدان فقوله عند رسم دارس ليس من كلامه وعبر بلفظ دارس على معنى المشارفة على الدروس والقرب منه وهو مجاز مشهور الاستعمال حملوا عليه قوله تعالى فيه هدى للمتقين قالوا أي المشارفين للتقوى الصائرين لها فلا تناقض فلما سمع من صحبه هذا الكلام وقد هتفوا به ذكر حبيبتين كانتا له تذكرحالهما فأشار الى صفة ما كانتا عليه من حسن الحال وطيب النعيم وريعان الشباب الى غير ذلك من دواعي الغزل والصبابة بقوله اذا قامتا تضوع المسك والبيت وحده فصل وانما خص حالة القيام لمكان الحركة الموجبة لتموج الهواء الذي تنتشر به الرائحة وتبلغ للبعيد ولذلك وقع التشبيه بعد موقعه فليس غرضه أن يصفهما بالطيب حتى يقال ان ذلك لا يخص حالة دون حالة ولذلك قال تضوع ولم يقل انهما اذا قامتا فهما طيبا الرائحة فالتشبيه بين انتشار الرائحة والمرور مع النسيم وليس تشبيه رائحة برائحة حتى يقال انه نقص وشبه القوي بالضعيف ثم ابان كيفية بكائه ومقدار دموعه وهو حكاية عما وقع له كما هو العادة في اشعار العرب من كونها في الغالب حكاية عن واقع وليس مجرد تخيل كما هو حال المتأخرين من الشعراء فانهم لما أرادوا أن يتبعوا العرب في عمل الشعر تأملوا مذاهبهم فيه وجمعوا تصرفاتهم في انواعه ثم أخذوا في الجمع والتأليف على سبيل الخيال لا على سبيل حكاية الواقع فليس لاحد أن يكذبه في صفة حاله ولا أن يكلفه الكذب بأن يقول ان الدمع بل المقاني وجرى مثل البحر الى غير ذلك من المبالغة وقد فات هذا الشيخ أن يذكر السبب في انحطاط قوله دموع العين مني والسبب في ارتفاع قوله عز ذكره وهن العظم مني والعبارتان من واد واحد وان يبين الفرق بينهما كما تستحضره اذا ذكرت ما سلف من الكلام على الآية في علم المعاني وقوله ألا رب يوم الى قوله ويوما على ظهر الكثيب فصل حكى فيه بعض الوقائع التي كانت له أيام شبابه وهو كلام متلائم آخذ بعضه ببعض يجمعه غرض واحد كما تعرفه من سياق قصته فذكر يوم دارة جلجل وهو يوم عقر الناقة ويوم دخوله الخدر فعطف للاختلاف بالاضافة وليست أياما متعددة كانه قال يوما بدارة جلجل يوم عقرت يوم دخلت وقصة هذا اليوم على ما حكوه عن الفرزدق قال واثم من الفرزدق يوما الى

ظاهر

ظاهر البصرة صبيحة ليلة باتت السماء تسكب بها فرأى آثار دواب ذاهبة الى ناحية فقال
ان هذه الآثار تخبر عن خروج قوم الى ذلك الوادى وما أراهم الا قد اجتمعوا للنزهة وطعام
وشراب فعزم على ان يلحق بهم لعله يصيب معهم بعض مآربه فانتهى به السير على تلك
الآثار الى غدير واذا به نسوة قد نزعن ثيابهن ودخلن فيه فنزل عن بغلته وجلس على
الثياب وقال يوم كيوم دارة جلجل فتضاحك منه النساء وقالوا احدثنا بحديث ذلك اليوم
فاخبر ان جماعة امرئ القيس عزموا يوما على الانتقال من موضع الى موضع فسبق
الرجال ليصلحوا المنزل ويمهدوا موضع الاقامة وتخلف النساء ومايكفيهن من الخدم
فاستخفى امرؤ القيس حتى خرج على آثار النسوة حتى اذا كان نصف النهار وصلن الى
غدير فقال بعضهن لبعض لو نزلنا فى هذا الموضع فاسترحنا واستجممنا نشاطنا بالاستنقاع
فى هذا الغدير فنزلن ونزعن ثيابهن ودخلن الماء وأدركهن امرؤ القيس فجلس على
ثيابهن وحلف انه لا يعطى واحدة ثيابها حتى تخرج وتأخذها بنفسها فبعد ان امتنعن
برهة وخفن ذهاب الوقت تتابعن فى الخروج واحدة بعد واحدة حتى بقيت عشيقته
تقسم عليه وتستعطفه وتتذلل له وهو يأبى حتى خرجت فرآها مقبلة ومدبرة ثم قلن له
حبستنا واجعتنا فاغتنم ذلك منهن ورأى مكان الحيلة فى وصوله الى حبيبته فقال اتأكلن
اذا نحرت ناقتى فقلن نعم فقام اليها وعقرها وجمع الخدم الحطب وأججوا نارا عظيمة فجلس
وجلس يشتوون ويأكلون ويتراءون ويتلاعبون حتى قضوا اغراضهم من الطعام وقاموا
لتتميم السفر فتوزعوا امتاع ناقته وبقى هو فركب مع حبيبته وكان هذا قصده فهو يتعجب
من تمام حيلته وبلوغه غرضه وتراه يقتسر فى الكلام على مواضع النكت ثم حكى
ما جرى بينه وبين حبيبته بعد ركوبه معها وانه أخذ فى مغازلتها وملاعبتها واقتطاف ثمراتها
ونقل انها قالت له لك الويلات انك مرجلى وليس فى نقل كلام الغير على وجهه عيب ألا
ترى الى قوله تعالى شأنه وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى آخره مع
ما اشتمل عليه من وقاحتهم وسفههم وجهلهم بالله وقوله قالت وتقول تأدية للمعانى
بعبارتها فالقول الاول حصل منها مرة والثانى تكرر ولولا ذلك ما كان يجوز أن يقول
وقالت وقد مال الغبيط بنا معا وتعرف تعين ذلك اذا تلوت قوله تعالى أرسل الرياح فتثير
سحابا مع ذكر ماسلف فى علم المعانى وأما قوله فمثلك حبلى فذلك ما من شأنه أن يقوله
فى هذا المقام فانه لا يقول عن نفسه انه راهب فى صومعة بل يخبر بأنه زير نساء مستعمل

حيلة في خدعهن كما يقتضيه استحسان الشباب أهل الترف والنعيم فإنه لما أراد أن يزيل حياءها ويكسر حدتها ويشير من شدتها ليمكن من التمتع بها لم يجد الآن يكلمها بما يقتضي ذلك وقوله ويوما على ظهر الكثيب الى قوله وقد أغتدي والطير في وكناتها فصل أخبر فيه أنها غضبت منه يوما واشتد امتناعها عليه وحلفت دون استثناء فأخذ في عتابها وترضيها وتصرف في ذلك تصرف مثله في خضوع وتذلل وإذا اضطر واشتد جعل ذلك في ضمن تواضع لها واستسلام واعتراف لها بملكه واستيلائها عليه وانقياده لها والمضي مع مرضاتها وتفهيمه إياها أنها قد انفردت به مع تمكنه من التمتع بغيرها من ذوات الشرف والترف والنعيم مع اقدامه في ذلك وجراءته ومساعدتهن إياه فأنت إذا تأملت في فصول القصيدة على ما أشرنا به اليك عرفت أنه لا يتوجه عليه من الانتقادات الا القليل وإنما وقفت معك هذا الموقف ليولد فيك الاطلاع على مثل هذا الكلام جراءة واقداما على استعمال ذوقك واطلاق فكرك في تمييز جيد الكلام ورديئه وصحيحه وفاسده ورفيعه ووضيعه ولا تتمكن منك مهابة أن هذا شعر فلان المشهور فيستولي عليك حال التقليد ثم قال هذا الشيخ في موضع آخر من كتابه ونحن نعمد الى بعض قصائد البحتري فنتكلم عليها كما تكلمنا على قصيدة امرئ القيس وتلك القصيدة التي نتكلم عليها أجود شعره سمعت أبا مسلم الرستمي يقول سمعت البحتري يذكر أن أجود شعر قاله أهلا بذلكم الخيال المقبل قال وسمعت أبا الفضل بن العميد يقول أجود شعره هو قوله في الشيب زجرته لو كان ينزجر قال وسئلت عن ذلك فقلت البحتري أعرف بشعر نفسه من غيره قلت لعل البحتري قال ذلك قبل أن يقول قصيدته الثانية فنحن الآن نقول في هذه القصيدة ما يصلح في مثلها قوله

أهلا بذلكم الخيال المقبل * فعل الذي نهواه أو لم يفعل
برق سرى في بطن وجرة فاهتدت * بسناه أعناق الركاب الضلل

البيت الأول في قوله بذلكم الخيال ثقل روح وتطويل وحشو وغيره أصلح له وأخف منه قول الصنوبري

أهلا بذلك الزور من زور * شمس بدت في فلك الدور

وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف فيصير الى الكزازة وتعود ملاحته بذلك

بذلك ملوحة وفصاحته عيا وبراعته تكلفا وسلاسته تعسفا وملاسته تلويا وتعقدا فهذا فصل وفيه شئ آخر وهو ان هذا الخطاب انما يستقيم مهما خوطب به الخيال حال اقباله فاما ان يحكى الحال التى كانت وسلفت على هذه العبارة ففيه عهدة وفى تركيب الكلام عن هذا المعنى عقدة وهو لبراعته وحذقه فى هذه الصنعة يتعمد نحو هذا الكلام ثم قوله فعل الذى نهواه أولم يفعل ليست بكلمة رشيقة ولا لفظة ظريفة وان كانت كسائر الكلام فاما بيته الثانى فهو عظيم الموقع فى البهجة وبديع المأخذ حسن الرواء انيق المنظر والمسمع يملأ القلب والفهم ويفرح الخاطر وتسرى بشاشته فى العروق وكان البحترى يسمى هذه الابيات عروق الذهب وفيه من الخلل مع الديباجة الحسنة والرونق المليح وذلك انه جعل الخيال كالبرق لاشراقه فى مرآه كما يقال انه يسرى كنسيم الصبا فيطيب ما مر به كذلك اضاء ما حوله ونور ما مر به وهذا غلو فى الصنعة الا أن ذكره بطن وجرة حشو وفى ذكره خلل لأن النور القليل يؤثر فى بطون الارض وما اطمأن منها بخلاف ما يؤثر فى غيرها فلم يكن من سبيله أن يربط ذلك ببطن وجرة وتحديده المكان على الحشو احد من تحديد امرئ القيس بذكر سقط اللوى بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة لم يقنع بذكر حد حتى حده باربعة حدود كأنه يريد بيع المنزل فيخشى ان اخل بحد ان يكون بيعه فاسدا وشرطه باطلا وهذا باب ثم انما يذكر الخيال بخفاء الأثر ودقة المطلب ولطف المسلك وهذا الذى ذكر يضاد هذا الوجه ويخالف ما يوضع عليه أصل الباب ولا يجوز أن يقدر مقدر ان البحترى قطع الكلام الاول وابتدأ بذكر برق لمع من ناحية حبيبه من جهة بطن وجرة لان هذا القطع ان كان فعله كان خارجا به عن النظم المحمود ولم يكن مبدعا ثم كان لا تكون فيه فائدة لان كل برق شمل وتكرر وقع الاهتداء به فى الظلام وكان لا يكون بما نظمه مفيدا ولا متقدما وهو على ما كان من مقصده ذو لفظ محمود ومعنى مستجلب غير مقصود ويعلم بمثله انه طلب العبارات وتعليق القول بالاشارات وهذا من الشعر الجنس الذى يحلو لفظه وتقل فوائده كقول القائل

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا * ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا * وسالت باعناق المطى الاباطح

هذه ألفاظ بديعة المطالع والمقاطع حلوة المجانى والمواقع قليلة المعانى والفوائد فاما قول
البحترى بعد ذلك

من غادة منعت وتمنع نيلها * فلو انها بذلت لنا لم تبذل
كالبدر غير مخيل والغصن غير مميل والدعص غير مهيل

فالبيت الاول على ماتكلف فيه من المطابقة الفاظه أوفر من معانيه وكلماته أكثر من
فوائده ونعلم ان القصد وضع العبارات فى مثله ولو قال هى ممنوعة مانعة كان يشوب من
تطويله وتكثيره الكلام وتهويله ثم هو معنى متداول مكرر على كل لسان وأما البيت
الثانى فانت تعلم ان التشبيه بالبدر والغصن والدعص أمر منقول متداول ولا فضيلة
فى التشبيه بنحو ذلك وانما يبقى تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فى البيت وهذا أيضا
قريب لأن المعنى مكرر ويبقى له بعد ذلك شئ آخر وهو تعمله بالترصيع فى البيت كله
الا ان هذه الاستثناآت فيها ضرب من التكلف لأن التشبيه بالغصن كاف فاذا زاد
فقال كالغصن غير معوج كان ذلك من باب التكلف وكان ذلك زيادة يستغنى عنها
وكذلك والدعص غير مهيل لانه اذا انهال خرج عن ان يكون مطلق التشبيه مصروفا اليه
فلا يكون لتقييده معنى وأما قوله

ما الحسن عندك يا سعاد بمحسن * فيما أتاه ولا الجمال بمجمل
عذل المشوق وان من سيما الهوى * فى حيث يجهله لجاج العذل

قوله فى البيت الاول عندك حشو وليس بواقع ولا بديع وفيه كلفة والمعنى الذى قصده
أنت تعلم انه متكرر على لسان الشعراء وفيه شئ آخر انه يذكر ان حسنها لم يحسن فى تهييج
وجده وتهييم قلبه وضد هذا المعنى هو الذى يميل اليه أهل الهوى والحب وبيت كشاجم
اسلم من هذا وأبعد من الخلل وهو قوله

بحياة حسنك أحسنى وبحق من * جعل الجمال عليك وقفا أجملى

قلت انه لم يوف الكلام على ثقل قوله عندك حقه وانها لم تثقل لكونها حشوا فقط بل
هى غير صحيحة الاستعمال [illegible] الذى عندك [illegible] الحسن
الذى عندك [illegible] وانما يقال حسنك ولطفك [illegible] الذى [illegible] وأما البيت
الثانى فان قوله فى حيث حشو بقوله فى كلامه ووقع ذلك مستنكرا وحشيا نافرا عن طبعه
جافيا

جافيا فى وضعه فهو كرقعة من جلد فى ديباج حسن فهو يمحو حسنه ويأتى على جماله ثم فى المعنى شئ لان لجاج العذل لا يدل على هوى مجهول ولو كان مجهولا لم يهتد العذل اليه فعلم ان المقصد استجلاب العبارات دون المعانى ثم لو سلم من هذا الخلل لم يكن فى البيت معنى بديع ولا شئ يفوت قول الشعراء فى العذل فان ذلك بجاهم الذلول وقولهم المكرر قلت ان البحترى أخرج هذا البيت مخرج التأسف والتحسر وشكوى الحال فى الهوى وتقدير كلامه وان من سيما الهوى ولوازمه لجاج العذل فى حيث تجهله دون تأمل فى قوة اسباب الهوى وعذر صاحبه فقد ادمج فى كلامه ما فصله الآخر حيث يقول

أبصره عاذلى عليه * ولم يكن قبل ذا رآه
فقال لى لو هويت هذا * ما لامك الناس فى هواه
فظل من حيث ليس يدرى * يأمر بالحب من نهاه

وقوله

ماذا عليك من انتظار متيم * بل ما يضرك وقفة فى منزل
ان سئل عى عن الجواب فلم يطق * رجعا فكيف يكون ان لم يسئل

لست أنكر حسن البيتين وظرفهما ورشاقتهما ولطفهما وماءهما وبهجتهما الا ان البيت الاول منقطع عن الكلام المتقدم ضربا من الانقطاع لانه لم يجر لمشافهة العاذل ذكر وانما جرى ذكر العذال على وجه لا يتصل هذا البيت به ولا يلائمه ثم الذى ذكره من الانتظار وان كان مليحا فى اللفظ فهو فى المعنى متكلف لان الواقف فى الدار لا ينتظر أمرا وانما يقف تحسرا وتلذذا وتحيرا والشطر الاخير من البيت واقع والاول مستجلب وفيه تعليق على أمر لم يجر له ذكر لان وضع البيت يقتضى تقدم عذل على الوقوف ولم يحصل ذلك مذكورا فى شعره من قبل وأما البيت الثانى فانه معلق بالاول لم يستقل الا به وهم يعيبون وقوف البيت على غيره ويرون ان البيت التام هو المجود والمصراع التام بنفسه بحيث لا يقف على المصراع الآخر أفضل وأتم وأحسن وفيه شئ آخر لانه لا يصلح ان يكون السؤال سببا لان يعيا عن الجواب وظاهر القول يقتضيه فاما قوله

لا تكلفن لى الدموع فان لى * دمعا يتم عليه ان لم يفضل
ولقد سكنت من الصدود الى النوى * والشرى أرى عند أكل الحنظل
وكذاك طرفة حين أوجس ضربة * فى الرأس هان عليه فصد الاكحل

فالبيت الاول مخالف لما عليه مذهبهم فى طلب الاسعاد بالدموع والاسعاف بالبكاء

ومخالف للاول كلامه لانه يفيد مخاطبة العاذل وهذا يفيد مخاطبة الرفيق وقد بينت لك
ان القوم يسلكون في الالفاظ ونسجها دون ضبط المعاني وترتيبها اولا ترى قال الله
عز وجل والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون
فاخبر أنهم يتبعون القول حيث توجه بهم واللفظ كيف أطاعهم والمعاني حيث تتبع
ألفاظهم وذلك ما وضع عليه الابانة عن المقاصد بالعبارات ثم لو ان هذا البيت وما يتلوه
من البيتين سلم من نحو هذا لم يكن في ذلك شيء يفوت شعر شاعر أو كلام متكلم وأما قوله
والشري أرى فانه وان كان قد تصنع له من جهة الطباق ومن جهة التجنيس المقارب فهي
كلمة ثقيلة على اللسان وهم يذمون نحو هذا كما عابوا على أبو تمام قوله

كريم متى أمدحه أمدحه والورى * معي وإذا ما لمته لمته وحدي

ذكر لي الصاحب بن عباد انه جارى الفضل بن العميد في محاسن القصيدة حتى انتهى الى
هذا البيت فذكر له ان قوله أمدحه أمدحه معيب لثقله من جهة تدارك حروف الحلق ثم
رأيت بعد ذلك المتقدمين تكلموا في هذه النكتة فعلمت ان ذلك شيء عند أهل الصنعة
معروف ثم ان قوله عند أكل المنظر ليس بحسن ولا واقع وأما البيت الثالث فهو أجنبي
من كلامه غريب في طباعه نافر من جملة شعره وفيه كزازة وفجاجة وان كان المعنى صالحا
قلت ان العاذل هو الرفيق وما يصدر منه يكون في رأيه نصيحة توجبها الشفقة وهو عند
المحب عذل الان استحسان الشيخ قوله ماذا عليك من انتظار لم تظهر اصابته فان في
معناه جريا على شدة مناقشته نوعا من الخلل وذلك انه يدعي ان ليس على الرفيق ضرر في
وقوفه بالمنزل وكيف وله أن يقول علي في ذلك اضاعة الوقت في غير طائل وتقسم الشغل
بغير شاغل ثم ان قوله ان سئل عي عن الجواب كونه حجة للعاذل أولى من أن يكون عليه
وأما قوله وكذاك طرفة فهو منتظم مع سابقه فانه من نوع اختيار أخف الضررين
وضرب المثل به صحيح وبديع التلميح بالقصة المشهورة داع لايراده وأما قوله

وأغر في الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على أغر محجل

كالهيكل المبني الا انه * في الحسن جاء كصورة في هيكل

فالبيت الاول لم يتفق له فيه خروج حسن بل هو مقطوع عما سلف من الكلام وعامة
خروجه نحو هذا او هو غير بارع في هذا الباب وهذا مذموم معيب لان من كان
صناعة الشعر [illegible]

وتجويده مع تتبعه للصنعة الكثيرة وتركيب العبارات وتنقيح الالفاظ وتزويرها كان ذلك ادخل في عيبه وأدل على تقصيره أو قصوره وأما قوله واغر في الزمن البهيم محجل فان ذكر التحجيل في الممدوح ليس بالجيد وقد يمكن أن يقال انه اذا قرن بالاغر حسن وجرى مجراه وانخرط في سلكه واهوى الى مضماره ولم ينكر لمكان من جواره فهذا عذر والعدول عنه احسن وانما أراد ان يرد العجز عن الصدر ويأتي بوجه في التجنيس قلت وكيفما كان فالتحجيل في كلامه لم يقع موقعه في قوله صلى الله عليه وسلم أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من آثار الوضوء فالغرة والتحجيل فيه حقيقيان ويستتبعان شرف الشهرة والغرة في كلامهم لمجرد الشهرة وظهور التميز وجلالة القدر فهو كقولهم

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

وفيه شيء لان ظاهر كلامه يوهم انه قد صار متطيبا الاغر الاول ورائها عليه يعني ان من التجريدية لكثرة استعمالها في الشعر تكون اسرع تمثلا للوهم من الابتدائية التي هي المرادة والدقة تقتضي التحرز عن مثله ولو سلم من ذلك لم يكن فيه ما يفوت حدود الشعراء وأقاويل الناس فأما ذكر الهيكل في البيت الثاني ورده بعجز البيت عليه وظنه انه قد ظفر بهذه اللفظة وعمل شيأ حتى كررها فهي كلمة فيها ثقل ونحن نجدهم اذا أرادوا أن يصفوا بنحو هذا قالوا ماهو الا صورة وماهو الا تمثال وماهو الا دمية وماهو الا ظبية ونحو ذلك من الكلمات الخفيفة على القلب واللسان وقد استدرك هو أيضا على نفسه فذكر انه كصورة في هيكل ولو اقتصر على ذكر الصورة وحذف الهيكل كان أولى وأجمل ولو ان هذه الكلمة ذكرها أصحاب العزائم على الشياطين لراعوهم بها وأفزعوهم بذكرها وذلك من كلامهم وشبيه بصناعتهم وأما قوله

وافى الضلوع يشد عقد حزامه * يوم اللقاء على معم مخول

اخواله للرستمين بفارس * وجدوده للتبعين بموكل

نبل المحزم مما يمدح به الخيل فهو لم يأت فيه ببديع وقوله يشد عقد حزامه داخل في التكلف والتعسف لا يقبل من مثله وان قبلناه من غيره لانه يتبع الالفاظ وينقدها نقدا شديدا فهلا قال يشد حزامه أو يأتي بحشو آخر سوى العقد فقد عقد هذا البيت بذكر العقد ثم قوله يوم اللقاء حشو آخر لا يحتاج اليه وأما البيت الثاني فمعناه اصلح من ألفاظه لانها غير مجانسة لطباعه وفيها غلظ ونفار وأما قوله

يهوي كما تهوي العقاب وقد رأت * صيدا وينتصب انتصاب الاجدل

متوجس برقيقتين كأنما * تريان من ورق عليه موصل

ما ان يعاف قذى ولو اوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

البيت الاول صالح وقد قاله الناس ولم يسبق اليه ولم يقل ما لم يقولوه بل هو منقول وفي سرعة عدو الفرس تشبيهات ليس هذا بابدعها وقد يقولون يفوت الطرف ويسبق الريح ويجاري الوهم ولولا ان الاتيان على محاسن ما قالوه في ذلك يخرج الكلام عن غرض الكتاب لنقلت لك جملة مما ذهبوا اليه في هذا المعنى فتعلم انه لم يأت منها بما يجل عن الوصف أو يفوت منتهى الحد على ان الهوى يذكر عند الانقضاض خاصة وليس للفرس هذه الصفة في الحقيقة الا ان يشبه جده في العدو بحالة انقضاض البازي والعقاب وليست تلك الحالة باسرع أحوال طيرانها واما البيت الثاني فقوله ان الاذنين كأنهما من ورق موصل وانما أراد بذلك حدتهما وسرعة حركتهما واحساسهما بالصوت كما يحس الورق بحفيف الريح وظاهر التشبيه غير واقع واذا ضم ما ذكرنا من المعنى كان المعنى حسنا ولكن لا يدل عليه اللفظ وليس هذا البيت برائق الالفاظ ولا مشاكل فيه لطبعه غير قوله متوجس برقيقتين فان هذا القدر حسن وأما البيت الثالث فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب انه من باب الاستطراد ونقلنا نظائر ذلك من قول أبي تمام وغيره وقطعة أبي تمام في نهاية الحسن في هذا المعنى والذي وقع للبحتري في هذا البيت عندي ليس بجيد في لفظ ولا معنى وهو بيت وحش جدا قد صار قذى في عين هذه القصيدة بل وخزا فيها ووبالا عليها قد كدر صفاءها وأذهب بهاءها وماءها وطمس بظلمته سناها وما وجه مدح الفرس بانه لا يعاف قذى من المياه اذا اوردها كأنه أراد ان يسلك مسلك بشار في قوله ولا يشرب الماء الا بدم واذا كان هذا الباب مجانبا وعن هذا السمت بعيدا فهلا وصفه بعزة الشرب كما وصفه المتنبي في قوله

وصول الى المستصعبات بخيله * فلو كان قرن الشمس ماء لا وردا

وهلا سلك فيه مسلك القائل

واني للماء الذي شابه القذى * اذا كثرت وراده لعيوف

ثم ولو أوردته يوما حشو بارد ثم قوله حمدويه الاحول وحش جدا انما أمقت هذا البيت وأبغضه وما أثقله واسخفه وانما غطى على عينه عيبه وزين له ايراده طمعه في الاستطراد وهلا طمع فيه على وجه لا يغض من بهجة كلامه ولا يذهب بطلاوته كان يحكي [illegible] ولا

يتعذر قول الشيخ فهلا وصفه بعزة الشرب وايراد بيت المتنبي عجيب فان ذلك ليس من صفة الفرس بعزة الشرب وانما هو من صفة الممدوح بانه يطلب معالي الامور وأبعد درجات المجد وانه يصل الى ما قصد منها وبالغ في ذلك حتى جعله قادرا على ان يورد خيله الشمس لو صلحت لذلك وليس معناه انه يتخير لخيله المستقى وقطعة أبي تمام التي يقول الشيخ انه أوردها في ضمن ما سبق من كلامه في نوع الاستطراد فهي فيما حكاه بقوله كتب لي الحسن بن عبد الله قال أخبرني محمد بن يحيى حدثني محمد بن علي الانباري قال سمعت البحتري يقول أنشدني أبو تمام لنفسه

وسابح هطل التعداء هتان * على الجراء أمين غير خوان
اظمأ الفصوص ولم نظمأ قوائمه * فخل عينيك في ريان ظمآن
ولو تراه مشيحا والحصى فلق * بين السنابك من مثنى ووحدان
أيقنت ان لم تثبت أن حافره * من صخر تدمر أو من وجه عثمان

وقال لي ما هذا من الشعر قلت لا أدري قال هذا المستطرد أو قال الاستطراد قلت وما معنى ذلك قال يرى انه يصف الفرس ويريد هجاء عثمان فقال وقال البحتري

ما ان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

قال فقيل للبحتري انك أخذت هذا من أبي تمام فقال ما يعاب علي أن آخذ منه وأتبعه فيما يقول قلت واذا كانوا يجعلون من أدب الفرس انه يرد ما أورد لا يتخير موردا دون مورد وبذلك يقوى الانتفاع به وتشتد الثقة بصحبته في الاسفار ومضايق الامور كما هو أدب في الانسان أيضا لم يكن لانتقاد الشيخ موضع وقوله ولو أوردته هي العبارة التي يحسن أن يتوصل بها الى الهجاء ولفظ حمدويه الاحول اسم المهجو وصفته لا يمكن تبديلهما فاذا لا عيب في البيت فاما قوله

ذنب كما سحب الرداء يذب عن * عرف وعرف كالقناع المسبل
تتوهم الجوزاء في أرساغه * والبدر فوق جبينه المتهلل

فالبيت الاول وحش الابتداء منقطع عما سبق من الكلام وقد ذكرنا انه لا يهتدي لوصل الكلام ونظام بعضه الى بعض وانما يتصنع لغير هذا الوجه وكان من سبيله أن لا يخفى عليه ولا يذهب عن مثله ثم قوله كما سحب الرداء قبيح في تحقيق التشبيه وليس بواقع ولا مستقيم في العبارة الا على اضمار انه ذنب يسحبه كما يسحب وقوله يذب عن عرف ليس

يحسن ولا صادق والجود ماذكره امرؤ القيس وهو قوله فى صفة الذنب

ضاف فويق الارض وأما قوله تتوهم الجوزاء فى ارساغه فهو تشبيه مليح ولكنه لم يسبق اليه ولا انفرد به ولو نسخت لك ما قاله الشعراء فى تشبيه الغرة بالهلال والبدر والنجم وغير ذلك من الامور وتشبيه الحجول لتعجبت من بدائع قد وقعوا عليها وأمور ملیحة قد ذهبوا اليها وليس ذلك موضوع كلامنا فتتبع ذلك فى اشعارهم لتعلم ما وصفت لك واعلم انا تركنا بقية كلامه فى وصف الفرس لانه ذكر عشر بن بيتا فى ذلك والذى ذكرناه فى المعنى يدل على ما بعده ولا يعدو ما تركناه أن يكون متوسطا الى حد يفوت طريقة الشعراء ولو تتبعت أقاويل الشعراء فى وصف الخيل علمت انه وان جمع فاوعى وحشر فنادى ففيهم من سبقه فى ميدانه ومنهم من ساواه فى شأوه ومنهم من داناه فالقبيل واحد والنسيج متشاكل ولولا كراهة التطويل لنقلت جملة من اشعارهم فى ذلك لتقف على ما قلت فتجاوزنا الى الكلام على ما قاله فى المدح فى هذه القصيدة قال

لمحمد بن علىّ الشرف الذى * لا يلحظ الجوزاء الا من عل

وسماحة لولا تتابع مزنها * فينا لراح المزن غير مبخل

والجود يعذله عليه حاتم * سرفا ولا جود لمن لم يعذل

البيت الاول منقطع عما قبله على ما وصفنا به شعره من قطعه المعانى وفصله بينها وقلة تأتيه لتجويد الخروج والوصل وذلك نقصان فى الصناعة وتخلف فى البراعة وهذا اذا وقع فى مواضع قليلة عذر فيها وأما اذا كان بناء الغالب من كلامه على هذا فلا عذر له وأما المعنى الذى ذكره فليس بشئ مما سبق اليه وهو شئ مشترك فيه وقد قالوا فى نحوه الكثير الذى يصعب نقل جميعه وفى المعنى قال المتنبي

وعزمة بعثتها همة زحل * من تحتها بمكان الترب من زحل

قلت لا معنى لايراد قول المتنبي مع تأخره عن البحترى وكان عليه حيث أراد ان يذكر شيأ من كلام المتقدمين كأن يقول قال زهير مثلا وينقل مثل قوله

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

وأين زحل فى كلام المتنبي من الجوزاء فى كلام البحترى قال الشيخ وحدثنى اسماعيل ابن عباد انه رأى أبا الفضل ابن العميد قام لرجل ثم قال اما حضره أتدرون من هذا ثم قال هذا الذى قال فى أبيه البحترى لمحمد بن علىّ الشرف الذى

فلك

فذلك منه استعظام للبيت بما مدح به من البيت والبيت الثاني في تشبيه جوده بالسحاب قريب وهو حديث مكرر ليس ينفك مديح شاعر منه وكان من سبيله ان يبدع فيه زيادة ابداع كما قد يقع لهم في نحو هذا ولكن لم يتصنع له وأرسله ارسالا والبيت الثالث وان كان معناه مكررا فلفظه مضطرب بالتأخير والتقديم يشبه ألفاظ المبتدئين يعني ان ترتيب الكلام هكذا والجود سرفا يعذله حاتم عليه وذلك ان سرفا يجب أن يكون مفعولا مطلقا للجود أي والجود جود سرف ولا يصح أن يكون مفعولا له ليعذل لعدم اتحاد الفاعل وأما قوله

فضل وافضال وما أخذ المدى * بعد المدى كالفاضل المتفضل

سار اذا ادّلج العفاة الى الندى * لا يصنع المعروف غير معجل

فالبيت الاول منقطع عما قبله وليس فيه شيء غير التجنيس الذي ليس ببديع لتكرره على كل لسان وقوله ما أخذ المدى فانه لفظ مليح وهو كقول امرئ القيس

سموت اليها بعد ما نام اهلها * سموّ حباب الماء حالا على حال

ولكنها طريقة مبتذلة فهو فيها تابع وأما البيت الثاني فقريب في اللفظ والمعنى وقوله لا يصنع المعروف ليس بلفظ محمود قلت لم يصب الشيخ في دعواه انقطاع البيت عن سابقه فانه اجمال له وجمع لمفصله فانه لما ذكر الشرف وكرم الاعمال عقب ذلك بقوله انه جامع بين الفضل والافضال لا كمن ينفرد بأحدهما وأما قوله

عال على نظر الحسود كأنما * جذبته افراد النجوم بأحبل

أوما رأيت المجد ألقى رحله * في آل طلحة ثم لم يتحوّل

فالبيت الاول منكر جدا في جر النجوم بالاحبل موضعه الى العلو والتكلف فيه واقع والبيت الثاني أجنبي عنه بعيد منه وافتتاحه ردىء وما وجه الاستفهام والتقرير والاستبانة والتوفيق والتبيان أجنبيان من كلامه غريبان في قصيدته ولم يقع له في المدح في هذه القصيدة شيء جيد ألا ترى انه قال بعد ذلك

نفسي فداؤك يا محمد من فتى * يوفي على ظلم الخطوب فتنجلي

اني أريد أبا سعيد والعدا * بيني و بين سحابه المتهلل

كان هذا ليس من طبعه ولا من سبكه وقوله

مضر الجزيرة كلها وربيعة الـ * ـخابور توعد في وأزد الموصل

قد جدت بالطرف الجواد فثنه * لاخيك من أدد أبيك بمنصل

البيت الاول حسن المعنى وان كانت ألفاظه بذكر الاماكن لا يتأتى فيه التحسين وهذا المعنى قد يمكن ايراده بأحسن من هذا اللفظ وأبدع منه وأرق منه كقوله

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

والبيت الثانى قد تعذر عليه وصله بما سبق من الكلام على وجه يلطف وهو قبيح اللفظ حيث يقول فيه فثنه لاخيك من أدد أبيك من أخذه بهذا التعرض لهذا السجع وذكر هذا النسب حتى أفسد به شعره فى قول الشيخ وهذا المعنى يمكن الى آخره نظر وأما قوله بعد ذلك فى وصف السيف يقول

يتناول الروح البعيد مناله * عفوا ويفتح فى القضاء المقفل

باناة فى كل حتف مظلم * وهداية فى كل نفس مجهل

ماض وان لم تمضه يد فارس * بطل ومصقول وان لم يصقل

ليس لفظ البيت الاول بمضاه لديباجة شعره ولا له بهجة نظامه اذ ظهر أثر التكلف عليه وتبين الثقل فيه وأما القضاء المقفل ونحوه فكلام غير شديد ولا مرضى واستعارة لو لم يستعرها كان أولى به وهلا عيب عليه كما عيب على أبى تمام قوله

فضربت الشتاء فى أخدعيه * ضربة غادرته عودا ركوبا

وقالوا يستحق بهذه الاستعارة أن يصفع فى أخدعيه وقد تبعه البحترى فى استعارة الاخدع ولوعا باتباعه فقال فى المدح وعتقت من ذل المطامع أخدعى

أى فان العادة أن يقال أعتقتنى أو أعتقت عنقى قال الشيخ ان شيطانه حيث زين له هذه الكلمة وتابعه حين حسن عنده هذه اللفظة لخبيث مارد وردىء معاند أراد أن يطلق أعنة الذم فيه ويسرح جيوش العتب اليه ولم يقنع بقفل القضاء حتى جعل للحتف ظلمة تجلى بالسيف وجعل السيف هاديا فى النفس المجهل الذى لا يهتدى اليه وليس فى هذا مع تحسين اللفظ وتنميقه شئ لان السلاح وان كان مهيبا فانه يهتدى الى النفس وكان يجب أن يبدع فى هذا ابداع المتنبى فى قوله

كأن الهام فى الهيجاء عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صغت الاسنة من هموم * فما يخطرن الا فى فؤاد

فالا هذا اسلى هذه الوجهة والتشبيه بديع حسن وفى البيت الاول شئ آخر وذلك ان

قوله

قوله و يفلح في القضاء في هذا الموضع حشو ردي، يلحق بصاحبه اللكنة و يلزمه الهجنة
وأما البيت الثالث فانه اصلح هذه الابيات وان كان ذكر الفارس حشوا وتكلفا ولغوا لان
هذا الا يتغير بالفارس والراجل على انه ليس فيه بديع يعني كان يكفي أن يقول ماض
وان لم تمضه يد بطل كما قال الطغرائي

فعادة النصل أن يزهي بجوهره * وليس يعمل الا في يدي بطل

وأما قوله

يغشى الوغا فالترس ليس بجنة * من حده والدرع ليس بمعقل
مصغ الى حكم الردى فاذا مضى * لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
متوقد يفرى باول ضربة * ما أدركت ولو انها في يذبل

البيتان الاولان من الجنس الذي يكثر كلامه عليه وهي طريقته التي لا يجتنبها وذلك
من السبك الكتابي والكلام المتدل الا انه لم يبدع فيهما بشيء وقد زيد عليه فيهما ومن
قصد الى أن يكمل عشرة أبيات في وصف السيف فليس من حكمه أن يأتي بأشياء منقولة
وأمور مذكورة وسبيله ان يغرب ويبدع كما أبدع المتنبي في قوله

سله الركض بعد وهن بنجد * فتصدى للغيث أهل الحجاز

هذا في باب صقاله واضوائه وكثرة مائه وكقوله

ريان لو قذف الذي اسقيته * لجرى من المهجات بحر مزبد

وقوله مصغ الى حكم الردى ان تأملته مقلوب كان ينبغي أن يقول يصغي الردى الى حكمه
كما قال الآخر فالسيف يأمر والاقدار تنتظر وقوله واذا قضى لم يعدل
متكرر على ألسنتهم في الشعر خاصة في نفس هذا المعنى والبيت الثالث سليم وهو
كالاولين في خلوه عن البديع قول المتنبي سله الركض البيت في صفة السيف بالاضاءة
واللمعان ومعناه اتفق انه انسل بسبب ركض متقلده وهو بنجد فبرق حتى بلغ أرض الحجاز
بريقه ولمعانه فحسبوه برقا فتصدوا لما يعقبه من المطر وقوله ريان لو قذف في صفة له بكثرة
القتل به فيعني انه شرب نفوس قتلاه فلو قذف ما شربه من الارواح لجرى منها بحر فهو
في معناه كقوله

نهبت من الاعمار ما لو حويته * لهنئت الدنيا بأنك خالد

قال الشيخ وأما قوله

فاذا أصاب فكل شئ مقتل * واذا أصيب فماله من مقتل

وكأنما سود النمال وحمرها * دبت بايد في قراه وأرجل

البيت الاول يقصد به صنعة اللفظ وهو في المعنى متفاوت لان المضرب قد لا يكون مقتلا وقد يطلق الشعراء ذلك ويرون ان هذا أبدع من قول المتنبي وانه بضده

يقتل السيف في جسم القتيل به * وللسيوف كما للناس آجال

وهذه طريقة لهم يمدحون بها في قصد الرمح طعنا وتقطيع السيف ضربا وفي قوله واذا أصيب فماله من مقتل تعسف لانه يريد بذلك أنه لا ينكسر فالتعبير بما عبر به عن المعنى الذي ذكرنا يتضمن التكلف وضربا من المحال وليس بالنادر والذي عليه الجملة ما حكينا عن غيره ونحوه قال بعض أهل الزمان

يقصف في الفارس السمهري * وصدر الحسام فريقا فريقا

والبيت الثاني أيضا هو معنى مكرر على ألسنة الشعراء وانما تصنيعه بسود النمال وحمرها فليس بشئ ولعله أراد بالحمر الذر والتفصيل بارد والاغراب به منكر وهو كما حكى عن بعضهم انه قال كان كذا حين كانت الثريا بحذاء رأسي على سواء أو منحرفة قدر شبر أو نصف شبر أو اصبع أو ما يقارب ذلك فقيل له هذا من الورع الذي يبغضه الله ويمقته الناس ورب زيادة كانت نقصانا وصفة النمل بالسواد والحمرة في هذا من ذلك الجنس وعليه خرج بقية البيت في قوله دبت بايد في قراه وأرجل وكان يكفي ذكر الارجل عن ذكر الايدي ووصف الفرند بدبيب النمل شئ لا يشذ عن أحد منهم قلت بل كان يكفي ذكر دبيب النمل دون الايدي والارجل كما قال أبو العلاء

ودبت فوقه حمر المنايا * ولكن بعد ما مسخت نمالا

وأما قوله

وكأن شاهره اذا استضوى به الـ * ـزحفان يعصي بالسماك الاعزل

حملت حمائله القديمة بقلة * من عهد عاد غضة لم تذبل

البيت الاول منهما فيه ضرب من التكلف وهو منقول من أشعارهم وألفاظهم كما قيل قمر يشد على الرجال بكوكب فجعل ذلك الكوكب السماك واحتاج الى أن يجعله اعزل للقافية ولو لم يحتج الى ذلك كان خيرا له لان الصفة في هذا الموضع تنقض عليه وموضع التكلف الذي ادعيناه الحشو الذي ذكره من قوله اذا استضوى به

الزحفان وكان يكفي أن يقول كان صاحبه يعصي بالممالك وهذا وان كان قد تمحل فيه اللفظ فهو لغو على ما بينا وأما البيت الثاني ففيه لغو من جهة قوله حمائله القديمة ولا فضيلة له في ذلك ثم تشبيه السيف بالبقلة من تشبيهات العامة والكلام الرذل النذل لان العامة قد يتفق منها تشبيه واقع حسن ثم انظر الى هذا المقطع الذي هو بالعي أشبه منه بالفصاحة والى اللكنة أقرب منه الى البراعة وقد بينا ان مراعاة الفواتح والخواتم والمطالع والمقاطع والفصل والوصل بعد صحة الكلام ووجود الفصاحة فيه مما لا بد منه وان الاخلال بذلك يخل بالنظم ويذهب رونقه ويحيل بهجته ويأخذ ماءه وبهاءه وقد اطلت عليك فيما نقلت وتكلفت ما سطرت لان هذا القبيل قبيل موضوع متعمل مصنوع واصل الباب في الشعر على ان ينظر الى جملة القصة ثم يتعمل الالفاظ ولا ينظر بعد ذلك الى مواقعها ولا يتأمل مطارحها وقد يقصد تارة الى تحقيق الاغراض وتصوير المعاني التي في النفوس ولكنه يلحق بأصل بابه ويميل بك الى موضعه وبحسب الاهتمام بالصنعة يقع فيها التفاصل وان اردت ان تعرف اوصاف الفرس فقد ذكرت لك ان الشعراء قد تصرفوا في ذلك بما يقع اليك ان كنت من اهل الصنعة مما يطول علي نقله وكذلك في السيف وذكر بعض اهل الادب أن أحسن قطعة في السيف قول ابي الهول الحميري

حاز صمصامة الزبيدي من بين جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما اطبقت عليه الجفون
أخضر اللون بين برديه حد * من ذعاف تميس فيه المنون
اوقدت فوقه الصواعق نارا * ثم شابت له الذعاف القيون
فاذا ما شهرته بهر الشمس ضياء فلم تكد تستبين
يستطير الابصار كالقبس المشتعل لا تستقيم فيه العيون
وكأن الفرند والرونق الجاري في صفحته ماء معين
نعم مخراق ذي الحفيظة في الهيجاء يعصى به ونعم القرين
ما يبالي اذا انتضاه لضرب * أشمال سطت به ام يمين

وانما يوازن شعر البحتري بشعر شاعر من طبقته ومن اهل عصره ومن هو في مضماره وفي منزلته ومعرفة أجناس الكلام والوقوع على اسراره والوقوف على مقداره شيء وان كان عزيزا وامرا وان كان بعيدا فهو سهل على اهله مستجيب لاصحابه مطيع لارباب

ينقدون الحروف ويعرفون الصروف وانما تبقى الشبهة في ترتيب الحال من البحتري وابي تمام وابن الرومي وغيره ونحن وان كنا نفضل البحتري بديباجة شعره على ابن الرومي وغيره من اهل زمانه ونقدمه بحسن عبارته وسلاسة كلامه وعذوبة الفاظه وقلة تعقد قوله فالشعر قبيل ملتمس مستدرك وامر ممكن مطيع وهذه القصيدة التي تكلم بانتقاد بعضها هذا الشيخ رضي الله عنه ونقل عن البحتري انها اجود شعره قد امتدح بها احد اعيان زمانه من الكتبة محمد بن علي عيسى القمي ورأيت اثباتها هنا وتعقيبها بالقصيدة التي استجادها الاستاذ ابو الفضل بن العميد احد مشايخ الكتاب وشيخ الصاحب اسماعيل ابن عباد في دولة بني بويه تحصيلا للفائدة هذه القصيدة الاولى

اهلا بذلكم الخيال المقبل * فعل الذي نهواه اولم يفعل
برق سرى في بطن وجرة فاهتدت * بسناه اعناق الركاب الضلل

الاعناق هنا جمع عنق وهو الجماعة من الناس او العضو المخصوص فيكون مجازا بعلاقة الجزئية اذ العنق موضع استبانة الهداية فانه اول ما يميل ويعتدل عند سلوك السبل فكأنه قال فاهتدت بسناه ابل الركاب او جمل الركاب

من غادة منعت وتمنع نيلها * فلو انها بذلت لنا لم تبذل
كالبدر غير مخيل والغصن غير مميل والدعص غير مهيل
ما الحسن عندك يا سعاد بمحسن * فيما اتاه ولا الجمال بمجمل
عذل المشوق وان من سيما الهوى * في حيث يجهله لجاج العذل
ماذا عليك من انتظار متيم * بل ما يضرك وقفة في منزل
ان سيل عيّ عن الجواب ولم يطق * رجعا فكيف يكون ان لم يسئل
لا تكلفنّ لي الدموع فان لي * دمعا يتم عليه ان لم يفضل
ولقد سكنت الى الصدود من النوى * والشري أرى عند أكل الحنظل
وكذاك طرفة حين اوجس ضربة * في الرأس هان عليه قطع الاكحل
واغرّ في الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على اغرّ محجل
كالهيكل المبني الا انه * في الحسن جاء كصورة في هيكل
وافي الضلوع يشد عقد حزامه * يوم اللقاء على معم مخول
اخواله للرستمين بفارس * وجدوده للتبعين بموكل

يهوى

يهوى كما تهوى العقاب وقد رأت * صيدا وينتصب انتصاب الاجدل
تتوهم الجوزاء فى ارساغه * والبدر فوق جبينه المتهلل
مستوجس برقيقتين كأنما * تريان من ورق عليه موصل
ذنب كما سحب الرداء يذب عن * عرف وعرف كالقناع المسبل
جذلان ينفض عذرة فى غرة * يقق يسيل حجولها فى جندل

العذرة الشعر النازل من ناحية الرأس و يقق شديد البياض والاضافة فى حجولها اى الغرة لادنى ملابسة لجريان العادة بجمع الغرة والتحجيل فى الذكر

كالرائح النشوان أكثر مشيه * عرضا على السنن البعيد الاطول
ذهب الاعالى حيث تذهب مقلة * فيه بناظرها حديد الاسفل

أى اعاليه ذهبية اللون واسفله حديدى القوة

صافى الاديم كأنما عنيت به * لصفاء نقبته مداوس صيقل

النقبة بضم فسكون اللون والمدوس آلة الصقال

وكأنما نفضت عليه صبغها * صهباء للبردان او قطربل

البردان بفتحتين قرية بناحية بغداد

لبس القنوء من عفرا ومعصفرا * يدمى فراح كأنه فى خيعل
وكأنما كسى الخدود نواعما * مهما تواصلها بلحظ تخجل

الخيعل قميص ليس له كمان

وتراه يسطع فى الغبار لهيبه * لونا وشدا كالحريق المشعل
وتظن ريعان الشباب يروعه * من جنة اونشوة او افكل
هزج الصهيل كأن فى نغماته * نبرات معبد فى الثقيل الاول
ملك العيون فان بدا اعطينه * نظر المحب الى الحبيب المقبل
ما ان يعاف قذى ولو اوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول
لمحمد بن على الشرف الذى * لا يلحظ الجوزاء الا من عل
وسماحه لولا تتابع مزنها * فينا لراح المزن غير مبخل
والجود يعذله عليه حاتم * سرفا ولا جود لمن لم يعذل
فضل وافضال وما اخذ المدى * بعد المدى كالفاضل المتفضل

سار اذا ادلج العفاة الى الندى * لا يصنع المعروف غير معجل
عال على نظر العيون كانما * جذبته افراد النجوم بأحبل
اوما رأيت المجد ألقى رحله * فى آل طلحة ثم لم يتحول
ضيف لهم يقرى الضيوف ونازل * متكفل فيهم بنزل السنزل
نفسى فداؤك يا محمد من فتى * يوفى على ظلم الخطوب فتنجلى
انى اريد أباسعيد والعدا * بينى وبين سحابه المتهلل
مضر الجزيرة كلها وربيعة الـــخابور توعدنى وأزد الموصل
قد جدت بالطرف الجواد فثنه * لاخيك من أدديك بمنصل
يتناول الروح البعيد مناله * عفوا ويفتح فى القضاء المقفل
بانارة فى كل حتف مظلم * وهداية فى كل نفس مجهل
ماض وان لم تمضه يد فارس * بطل ومصقول وان لم يصقل
يغشى الوغا فالترس ليس بجنة * من حده والدرع ليس بمعقل
مصغ الى حكم الردى فاذا مضى * لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
متألق يفرى باول ضربة * ما ادركت ولو انها فى يذبل
واذا أصاب فكل شئ مقتل * واذا أصيب فماله من مقتل
وكانما سود النمال وحمرها * دبت بايد فى قراه وأرجل
وكان شاهره اذا استضوى به الــزحفان يعصى بالسماك الاعزل
حلت حمائله القديمة بقلة * من عهد عاد غضة لم تذبل

السماك الاعزل أحد السماكين والآخر السماك الرامح فالاعزل ما لا رمح معه والرامح ما معه رمح ولابى العلاء المعرى وفيه ذكر السماكين

لا تطلبن بغير حظ آلة * قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

وهذه القصيدة الثانية مدح بها احد أمراء زمانه على الارمنى

فى الشيب زجر له لو كان ينزجر * وبالغ منه لولا انه حجر
ابيض ما اسود من فوديه وارتجعت * جلية الصبح ما قد اغفل السحر
وللفتى مهلة فى الحب واسعة * مالم يمت فى نواحى رأسه الشعر

قالت مشيب وعشق أنت بينهما * وذاك في ذاك ذنب ليس يغتفر
وعيرتني سجال العدم جاهلة * والنبع عريان ما في فرعه ثمر

النبع شجر تعمل منه القسي فان نبت في اعلى الجبل كان صلبا لاستيفاء حظه من الشمس وجفاف الهواء وخص باسم النبع وان نبت في وسط الجبل كان متوسطا وسمي بالشوحط بفتح اوله وان نبت في اسفل الجبل كان رخوا وسمي غربا بفتحتين وفي الرد على البحتري على سبيل المغالطة الادبية حيث قال انه لا ثمر للنبع وقد صدق يقول ابو العلاء المعري

وقال الوليد النبع ليس بمثمر * واخطأ سرب الوحش من ثمر النبع

يعني انه تتخذ منه القسي فيصاد بها الوحش فذلك من فوائده وثمراته والسجال النوب كما يقال الحرب سجال اى مرة لهؤلاء ومرة لاولئك

عزى عن الحظ ان الجزيدركه * وهون العسر علمي فين اليسر
وما الفقير الذي عيرت آونة * بل الزمان الى الاحرار مفتقر
لم يبق من جل هذا الناس باقية * ينالها الفهم الا هذه الصور
جهل وبخل وحسب المرء واحدة * من تين حتى يعفي خلفه الاثر
اذا محاسني اللاتي أدل بها * كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر
أهز بالشعر أقواما ذوي وسن * في الجهل لو ضربوا بالسيف ما شعروا
علي نحت القوافي من مقاطعها * وما علي لهم أن تفهم البقر
لأرحلن واما لي مطرحة * بسر من راه مستبطأ القدر

سر من راه بلد بناها المعتصم فلما نزلها قالوا اختصارا لها سر من رأى أي حصل السرور لمن رأى تلك البلد فصارها اسما ويقال سر من راء بالقلب المكاني كما هو في الشعر وسر من را بحذف الهمزة

أبعد عشرين شهرا لاجدى فيرى * به انصراف ولا وعد فينتظر
لولا علي بن مر لاستمر بنا * خلف من العيش فيه الصاب والصبر
هذنا بأروع اقصى نيله كثب * على العفاة وأدنى سعيه سفر
ألح جودا ولم تضرر سحائبه * وربما ضر في الحاحه المطر
لا يتعب النائل المبذول همته * وكيف يتعب عين الناظر النظر
بدت على البدو نعمى منه سابغة * وفي الحضر أخرى مثلها الحضر

مواهب ما تجشمنا السؤال لها * ان الغمام قليب ليس يحتفر
يهاب فينا وما في لحظه شزر * وسط الندى ولا في خده صعر
برد الغشاة وهجير الروع محتفل * ومسعر وشهاب الحرب مستعر
اذا ارتقى في اعالي الراي لاح له * ماقى الغيوب التي تخفى فتستتر
توسط الدهر أحوالا فلا صغر * شن الخطوب التي تمرو ولا كبر
كالرمح اذرعه عشر وواحدة * فليس يزرى به طول ولا قصر
مجرب طالما أضحت عزائمه * ذوى الجد اوهو عن يتمهم عمر
آراؤه اليوم اسياف مهندة * وكان كالسيف اذ اراؤه زبر
ومصعد في هضاب المجد يطلعها * كأنه الحسن كون الجأش منحدر
مازال يسبق حتى قال حاسده * له طريق الى العلياء مختصر
حلو جعيت حتى تجنى الرضا خلقا * منه وحرّ اذا اعددته نفر

حيث شديد الحلاوة ومقر شديد المرارة

نهبت حساده عنه وقلت لهم * السيل بالليل لا يبقى ولا يذر
كفوا والا كففتم مصمم نأسف * اذا تمرفي انداءه الغمر
الوى اذا شابك الاعداء كدهم * حتى يروح وفي اظفاره الظفر
واللوم ان تدخلوا في حد سخطته * علما بأنه سوف يعفو حين يقتدر
جافي المضاجع ما ينفك في لجب * يكاد يقمر من لألائه القمر
اذا خطامة سارت فيه آخذة * خطام نبهان رهى الشولة والشهر
رأيت مجدا عيانا في بني أدد * اذ مجد كل قبيل دونهم خبر

خطامة بضم أوله اسم قبيلة الممدوح من بني أسد وسارت فيه أي في ذلك اللجب الذي يكاد يقمر القمر من ضوء سلاحه وأخذ خطام نبهان رهو مقود الجمل استعارة أي اذا تقدمتهم وكانت في أوائلهم لرياستها عليهم

احسن أبا حسن بالشعر اذ جعلت * عليك أنجمه بالمدح تنتثر
فقد أتتك القوافي غب فائدة * كما تفتح غب الوابل الزهر
فيها العقائق والعقبان ان لبست * يوما وفيها الوشي والحبر
ومن يكن فاخرا بالشعر يمدح في * اد ما قبيلك لا الاشعار تفتخر

وقد

وقد استبان لك مما سلف وخصوصا من كلام هذا الشيخ المنتقد ان الشعر وسائر الكلام بحسب براعة العبارات واشتمالها على الفوائد ينقسم أربعة أقسام قسم حسن لفظه وكثرت فوائده وقسم حسن لفظه وقلت فوائده وقسم كثرت فوائده ولم يحسن لفظه وقسم فقد الامرين وهو الذي قيل فيه

وشعر كبعر التيس فرق بينه * لسان دعي في القريض دخيل

وعلى هذا التقسيم قول بعضهم

الشعراء فاعلمن أربعه * فشاعر يجري ولا يجرى معه
وشاعر مستوجب أن نرفعه * وشاعر من حقه أن نسمعه
وشاعر مستأهل أن نصفعه

ولا نزاع في شرف القسم الاول وانحطاط الاخير وانما هي في المفاضلة بين شعر حسن لفظه وقلت فوائده وما يقابله وعندي ان الاول لسلامته من ايذاء المسمع أفضل وأجل وصاحبه أحق بالتقديم والاجلال والمثل في ذلك ان الصوت الجميل المضطرب بموافقة النفوس يملأها التذاذا وان كان خاليا من صناعة الغناء بقدر ما ينفرها ويوحشها الصوت القبيح مع استيفاء الصنعة فيه ومن غلب عليه رعاية الصناعة والا لتذاذ بملاحظتها وادراك دقائقها يفضل القسم الثاني فالرأي مختلف واستبان لك أيضا ان جودة الكلام تعتمد صحة المعنى وشرفه وتحسير الالفاظ في أنفسها ومن جهة تجاورها وموافقتها للمقام واجادة التركيب على ماشرح في علم المعاني وغيره بحيث تكون الالفاظ سلسة في المنطق خالية من التنافر وشدة الغرابة يألف بعضها بعضا حتى تكون الكلمات المتوالية بمنزلة كلمة واحدة وتكون الالفاظ التي تو ردها في مقام الحماسة ليست كالالفاظ التي تو ردها في مقام الغزل والتشبيب فلكل فن من تلك الفنون ألفاظ توافقه من جهة شدتها ولينها ولذلك تسمعهم يقولون الجزل والرقيق واجادة التركيب بسلامته مما يبعد فهم المعنى منه وليس كل تركيب صدر عن شعراء العرب وغيرهم من المشاهير جيدا فربما تعسف الواحد منهم اغترارا بفهم نفسه وغفلة عن رعاية غيره ومسارعة بايراد ما ظهر له من المعنى فعليك اذا أن تجيد الفكرة باستصحاب ما سلف من القوانين والوصايا في تمييز جيد التراكيب من رديئها او يزيدك استحضارا لها وتمكنا من اعتبارها ما سأنقله لك عن ابن خلدون رحمه الله تعالى قال في مقدمة تاريخه حيث انتهى من القول في العلوم الى التكلم على صناعة الشعر وكيفية تعلمها

(فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه)

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات الا أنا الآن انما نتكلم في الشعر الذي للعرب فان أمكن أن تجد فيه أهل الالسن الاخرى مقصودهم من كلامهم والا فلكل لسان أحكام في البلاغة تخصه وهو في لسان العرب غريب النزعة عزيز المنحى اذ هو كلام مفصل قطعا قطعا متساوية في الوزن متحدة في الحرف الاخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا ويسمى الحرف الاخير الذي تتفق فيه رويا وقافية ويسمى جملة الكلام الى آخره قصيدة وكلمة وينفرد كل بيت منه بافادته في تراكيبه حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده واذا أفرد كان تاما في بابه في مدح أو تشبيب أو رثاء فيحرص الشاعر على اعطاء ذلك البيت ما يستقل في افادته ثم يستأنف في البيت الاخير كلاما آخر كذلك ويستطرد للخروج من فن الى فن ومن مقصود الى مقصود بأن يوطئ المقصود الاول ومعانيه الى أن يناسب المقصود الثاني ويبعد الكلام عن التنافر كما يستطرد من التشبيب الى المدح ومن وصف البيداء والطلول الى وصف الركاب أو الخيل أو الطيف ومن وصف الممدوح الى وصف قومه وعساكره ومن التفجع والعزاء في الرثاء الى التأثر وأمثال ذلك ويراعى فيه اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد حذرا من أن يتساهل الطبع في الخروج من وزن الى وزن يقاربه فقد يخفى ذلك من اجل المقاربة على كثير من الناس ولهذه الموازين شروط وأحكام تضمنها علم العروض وليس كل وزن اتفق في الطبع استعملته العرب في هذا الفن وانما هي أوزان مخصوصة تسميها أهل تلك الصناعة البحور وقد حصروها في خمسة عشر بحرا أو ستة عشر بمعنى انهم لم يجدوا للعرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظما قالت وما ذكر من انفراد كل بيت بمعناه عن سابقه ولاحقه انما هو في صفة جيد الشعر كأنه لم يعد غيره شعرا على انفراد عما أوجبت جودة الشعر اغتفار افتقار كل من البيتين لصاحبه ألا ترى ان ذلك لم ينقص من [illegible] قول عمر بن أبي ربيعة

ليت هندا أنجزتنا ما تعد [illegible] أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة [illegible] العاجز من لا يستبد
زعموها [illegible] ذات يوم تبترد

أكما

اكما ينعتنني تبصرنني * عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها * حسن في كل عين من تود
حسدا حملنه من أجلها * وقديما كان في الناس الحسد

لا أراك تشك في أن هذا الشعر بالغ من الحسن غاية ما يمكن ولم يؤثر فيه افتقار البيت لصاحبه اذ كان المعنى مستدعيا ذلك ثم قال ابن خلدون واعلم ان فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشواهد صوابهم وخطاهم وأصلا يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن الملكات كلها والملكات اللسانية كلها انما تكتسب بالصناعة والارتياض في كلامهم حتى يحصل شبه في تلك الملكة والشعر من بين فنون الكلام صعب المأخذ على من يريد اكتساب ملكته بالصناعة من المتأخرين لاستقلال كل بيت منه بانه كلام تام في مقصوده و يصلح أن ينفرد دون ماسواه فيحتاج من أجل ذلك الى نوع تلطف في تلك الملكة حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر العرب ويبرزه مستقلا بنفسه ثم يأتي ببيت آخر كذلك ثم ببيت ويستكمل الفنون الوافية بمقصوده ثم يناسب بين البيوت في موالاة بعضها مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي في القصيدة ولصعوبة منحاه وغرابة فنه كان محكا للقرائح في استجادة أساليبه وشحذ الافكار في تنزيل الكلام في قوالبه ولا يكفي فيه ملكة الكلام العربي على الاطلاق بل يحتاج بخصوصه الى تلطف ومحاولة في رعاية الأساليب التي اختصته العرب بها واستعمالها ولنذكر هنا ما يريده أهل الصناعة بالاساليب فاعلم انها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب والقالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع الى الكلام باعتبار افادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب ولا باعتبار افادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وانما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن من اعيان التراكيب واشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الاعراب والبيان فيرصها فيه رصا كما يفعله البناء في القالب والنساج في المنوال حتى يتسع

لهذا الشعر الذي نحن بصدده ولا رسم له وصناعتهم انما تنظر في الشعر باعتبار ما فيه من الاعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة فلا جرم ان حدهم ذلك لا يصلح له عندنا فلا بد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية فنقول الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والاوصاف المفصل باجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به فقولنا الكلام البليغ جنس وقولنا المبني على الاستعارة والاوصاف فصل عما يخلو من هذا فانه في الغالب ليس بشعر وقولنا المفصل باجزاء متفقة الوزن والروي فصل له عن الكلام المنثور الذي ليس بشعر عند الكل وقولنا مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده بيان للحقيقة لان الشعر لا تكون أبياته الا كذلك ولم يفصل به شيء وقوله الجاري على الاساليب المخصوصة به فصل له عما لم يجر منه على أساليب العرب المعروفة فانه حينئذ لا يكون شعرا انما هو كلام منظوم لان الشعر له أساليب تخصه لا تكون للمنثور وكذا أساليب المنثور لا تكون للشعر فما كان من الكلام منظوما وليس على تلك الاساليب فلا يكون شعرا وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرون ان نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لانهما لم يجريا على أساليب العرب من الامم عند من يرى ان الشعر يوجد للعرب وغيرهم ومن يرى أنه لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج الى ذلك ويقول مكانه الجاري على الاساليب المخصوصة واذ قد فرغنا من الكلام على حقيقة الشعر فلنرجع الى الكلام في كيفية عمله فنقول اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته شروطا أولها الحفظ من جنسه أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الاساليب وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الاسلاميين مثل ابن أبي ربيعة وكثير وذي الرمة وجرير وأبي نواس وحبيب والبحتري والرضي وأبي فراس وأكثره شعر كتاب الاغاني لانه جمع شعر أهل الطبقة الاسلامية كله والمختار من شعر الجاهلية ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر رديء ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم وبالاكثار منه تستحكم ملكته

وترسخ

وربما يقال ان من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة
اذ هى صادة عن استعمالها بعينها فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الاسلوب
فيها كانه منوال يأخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة ثم لابد له من
الخلوة واستجادة المكان المنظور فيه من المياه والازهار وكذا المسموع لاستنارة
القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور ثم مع هذا كله فشرطه أن يكون على جمام
ونشاط فذلك اجمع له وانشط للقريحة أن تأتى بمثل ذلك المنوال الذى فى حفظه قالوا
وخير الاوقات لذلك أوقات البكر عند الهبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر
وفى هؤلاء الجمام وربما قالوا ان من بواعثه العشق والانتشاء ذكر ذلك ابن رشيق
فى كتاب العمدة وهو الكتاب الذى انفرد بهذه الصناعة واعطاء حقها ولم يكتب فيها
احد قبله ولا بعده مثله قالوا فان استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه الى وقت آخر ولا
يكره نفسه عليه وليكن بناء البيت على القافية من اول صوغه ونسجه يضعها ويبنى
الكلام عليها الى آخره لانه ان غفل عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها
فى محلها فربما تجىء نافرة قلقة واذا سمح الخاطر بالبيت ولم يناسب الذى عنده فليتركه
الى موضعه الاليق به فان كل بيت مستقل بنفسه ولم تبق الا المناسبة فليتخير فيها كما يشاء
وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد ولا يضن به على الترك اذا لم يبلغ
الاجادة فان الانسان مفتون بشعره اذ هو بنات فكره واختراع قريحته ولا يستعمل فيه
من الكلام الا الافصح من التراكيب والخالص من الضرورات اللسانية فليهجرها
فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة وقد حظر أئمة اللسان على المولد ارتكاب الضرورة
اذ هو فى سعة منها بالعدول عنها الى الطريقة المثلى من الملكة ويجتنب أيضا المعقد من
التراكيب جهده وانما يقصد منها ما كانت معانيه تسابق ألفاظه الى الفهم وكذلك كثرة
المعانى فى البيت الواحد فان فيه نوع تعقيد على الفهم وانما المختار منه ما كانت ألفاظه
طبقا على معانيه أو أوفى فان كانت المعانى كثيرة منع ذلك الذوق عن استيفاء مدركه من
البلاغة ولا يكون الشعر سهلا الا اذا كانت معانيه تسابق ألفاظه الى الذهن ولهذا كان
شيوخنا رحمهم الله يعيبون شعر أبى بكر بن خفاجة شاعر شرق الاندلس لكثرة معانيه
وازدحامها فى البيت الواحد كما كانوا يعيبون شعر المتنبى والمعرى بعدم النسج على
الاساليب العربية كما مر فكان شعرهما كلاما منظوما نازلا عن طبقة الشعر والحاكم

بذلك هو الذوق وليجتنب الشاعر أيضا الحوشي من الالفاظ والمقصر وكذلك السوقى المبتذل بالتداول بالاستعمال فانه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة أيضا فيصير مبتذلا ويقرب من عدم الافادة كقولهم النار حارة والسماء فوقنا وبمقدار ما يقرب من طبقة عدم الافادة يبعد عن رتبة البلاغة اذهما طرفان ولهذا كان الشعر فى الربانيات والنبويات قليل الاجادة فى الغالب ولا يحذق فيه الا الفحول لان معانيها متداولة بين الجمهور فتصير مبتذلة لذلك واذا تعذر الشعر بعد هذا كله فليراوضه ويعاوده فان القريحة مثل الضرع يدر بالامتراء ويجف بالترك والاهمال وقال ابن خلدون أيضا فى تفسير كلمة الذوق الدائرة على ألسنة المتكلمين فى هذا الشان اعلم ان لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان وقد مر تفسير البلاغة وانها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب فى افادة ذلك فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب وانحاء مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده فاذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة فى نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه أمر التركيب حتى لا يكاد يحوف فيه غير منحى البلاغة التى للعرب وان سمع تركيبا غير جار على ذلك المنحى مجه ونبا عنه سمعه بأدنى فكر بل وبغير فكر الا بما استفاده من حصول هذه الملكة فان الملكات اذا استقرت ورسخت فى محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات ان الصواب للعرب فى لغتهم اعرابا وبلاغة أمر طبيعى ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وانما هى ملكة لسانية فى نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت فى بادئ الرأى انها جبلة وطبع وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية فى ذلك التى استنبطها أهل صناعة اللسان فان هذه القوانين انما تفيد علما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل فى محلها وقد مر ذلك واذا تقرر ذلك فملكة البلاغة فى اللسان تهدى البليغ الى وجوه النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب فى لغتهم ونظم كلامهم ولو رام صاحب هذه الملكة حيدا عن هذه السبيل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافقه عليه لسانه لانه لا يعتاده ولا تهديه اليه ملكته الراسخة

عنده واذا عرض عليه الكلام حائدا عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم اعرض عنه ومجه وعلم انه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم وربما يعجز عن الاحتجاج لذلك كما تصنع أهل القوانين النحوية والبيانية فان ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفادة بالاستقراء وهذا أمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم ومثاله لو فرضنا صبيا من صبيانهم نشأ وربي في جيلهم فانه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الاعراب والبلاغة فيها حتى يستولى على غايتها وليس من العلم القانوني في شئ وانما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل بحفظ كلامهم وأشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد ممن نشأ في جيلهم وربي بين أجيالهم والقوانين بمعزل عن هذا واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان وانما هو موضوع لادراك الطعوم لكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لادراك الطعوم استعير لها اسمه وأيضا فهو وجداني اللسان كما أن الطعوم محسوسة له فقيل له ذوق واذا تبين لك ذلك علمت منه أن الاعاجم الداخلين في اللسان العربي الطارئين عليه المضطرين الى النطق به لمخالطة أهله كالفرس والروم والترك بالمشرق وكالبربر بالمغرب فانه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة التي قررنا أمرها لأن قصاراهم بعد طائفة من العمر وسبق ملكة أخرى الى اللسان وهي لغاتهم أن يعتنوا بما يتداوله أهل مصر بينهم في المحاورة من مفرد ومركب و يضطرون اليه من ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لاهل الامصار وبعدوا عنها كما تقدم وانما لهم في ذلك ملكة أخرى وليست هي ملكة اللسان المطلوبة ومن عرف تلك الملكة من القوانين المسطرة في الكتب فليس من تحصيل الملكة في شئ انما حصل احكامها كما عرفت وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرر لكلام العرب فان عرض لك ما تسمعه من ان سيبويه والفارسي والزمخشري وأمثالهم من فرسان الكلام كانوا اعجاما مع حصول هذه الملكة لهم فاعلم ان أولئك القوم الذين تسمع عنهم انما كانوا عجما في نسبهم فقط واما المربى والنشأة فكانت بين أهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا وراءها وكأنهم في أول نشأتهم من العرب الذين نشأوا في اجيالهم حتى أدركوا كنه اللغة وصاروا من أهلها فهم وان كانوا عجما

في النسب فليسوا بأعجام في اللغة والكلام لانهم أدركوا الملة في عنفوانها واللغة في شبابها ولم تذهب آثار الملكة منهم ولا من أهل الامصار ثم عكفوا على الممارسة والمدارسة لكلام العرب حتى استولوا على غايته قلت وحاصل هذا الكلام واختصار الطريق الى معرفة الغرض منه هو ان من يريد أن يتصدى لانشاء الكلام نثرا كان أو نظما يجب أن يكون فيه استعداد طبيعي لامور اختيارية وذلك بأن يكون ذا حافظة قوية وفهم ثاقب وذاكرة مطيعة فان الناس في ذلك ليسوا سواء فقال الحكماء عن خبرة تامة وتجربة كافية ومعرفة صحيحة ان الانسان ذو طبائع أربع الدم والصفراء والسوداء والبلغم واذا غلب على مزاجه احدى تلك الطبائع نسب اليها فقيل دموي وصفراوي وسوداوي وبلغمي ولكل أمارات ظاهرة والدموي يكون عبل الاعضاء مكتنز اللحم صافي اللون نير صحيح الجمال والصفراوي يكون نحيفا يابسا في لونه صفرة والسوداوي يكون يابسا في لونه كدرة شديد الشبق والبلغمي يكون رخوا مائيا في لونه نوع زرقة ومن خواص الدموي سرعة الحفظ وبطء النسيان ومن خواص الصفراوي سرعة الحفظ وسرعة النسيان ومن خواص السوداوي بطء الحفظ وبطء النسيان والبلغمي بطيء الحفظ سريع النسيان فاذا كان الانسان ذا حافظة قوية واستعملها في حفظ ما اتفق اسلافه ومعلموه على استجادته مهتديا بفهمه الى معاني محفوظاته ومقاصدها وتمييز كل فريق منها بما له من المحاسن وما لغيره من المساوي حسب ما سلف ارشادك له ثم استخدم ذاكرته في احضار ما أراد من ذلك متى شاء فهو حينئذ متهيئ لتحصيل تلك الصناعة وبالغ منها بتوفيق الله غاية منيته ومنتهى مقصوده فمن لم يجد من نفسه ذلك الاستعداد فعليه أن لا يورط نفسه ويستعملها فيما يكدها من غير عاقبة حميدة بل عليه أن ينظر فيما يسهل عليه ويمكنه الانتفاع به كما قيل

اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

واذ كان الانسان في أول أمره هو والبهائم سواء لا يهتدي لمعرفة ما هو الاصلح من الاحوال حتى يتعودها ويربى فيها كان من الاكيد على من يتولى تربيته أن يختبره ويترصد رغباته ويتأمل ميله وما يمكن أن يقوى فيه بحسب طبيعته ويوفق بينها وبين ما يريده ويزاوله ذلك حتى يتم فاذا جرى العمل على ذلك في أمر الامة واتخذ [illegible] وقويت منافعهم وبلغوا الدرجة التي هي للأمة [illegible] اختصاصها [illegible] وأما قوله

في

في تفسير الذوق فانا بين منه ما سألقيه عليك وذلك ان بين الاشياء تناسبا بحيث متى استوفت عند اجتماعها حظها منه قامت منها صورة يتفاوت الناس في ادراك حسنها طبعا وتعلما فمنهم من لا يدرك ذلك ولا يلتفت اليه وليس مدركوه سواء فيه فمنهم من يقنع بادراك ظواهر الاشياء ومنهم من ينتهي ادراكه الى اعتبار دقائقها وخوافيها وتعتبر ذلك بما تشاهده من شدة سرور بعض الناس عند رؤيته للاشياء المناسبة التي يلائم بعضها بعضا وشدة نفرته وانقباضه عند رؤية خلافها لا يختص ذلك بشيء دون شيء فتراه يتأمل الابنية وأوضاعها وما اشتملت عليه من مكملات الانتفاع بها فاذا أدرك فيها التناسب اللائق بها رأيته قد انشرح صدره وتجدد سروره وأخذ في نعتها والثناء على صناعها وذلك مثل تعتبر به غيره وتتأمل تفاوت الناس في ذلك الادراك فالادراك الذي يتعلق بتناسب الاشياء ويوجب الاستحسان والاستقباح هو المسمى بالذوق وهو طبيعي ينمو ويتربى بالنظر في الاشياء والاعمال من جهة موافقتها الغاية المقصودة منها وأما قوله في الاساليب العربية واختصاصها حتى انه أخرج نظم المتنبي وأبي العلاء المعري عن أن يكون شعرا فذلك هجر واسع وحظ [illegible] ن العرب لم يتفقوا على سلوك طريق بعينه وانما هي [illegible] ة كما قال الله تعالى في صفتهم ألم تر انهم في كل واد يهيمون [illegible] حينة يلتزمها السالك وانما المدار على ان توافق التراكيب التي يستعملها المستعمل تراكيب العرب حسب ما بينته القوانين العلمية على انه لا يصح تقليد العرب في جميع ما نطقوا به فقد عرفت مما سلف ان بعض كلامهم يجب اجتناب مثله وانهم لا يتابعون الا فيما كان أوفق للغرض من الكلام وهو التفاهم وفي خصوص الشعر والانشاء من التأثير في الطباع وتحويلها الى الميل الذي يريده الشاعر والكاتب ففي الحماسة مثلا يكون الكلام مهيجا للقوى مثيرا للغضب باعثا على الحمية وفي الغزل يكون سار النفوس مريحا للخواطر وفي العتاب هاديا للموافقة ومولدا للرضا الى غير ذلك مما تضطرك الى معرفته مطالعة الاحوال من جهة الايصال الى المرغوب والحماية من المرهوب فتقرر بجميع ما سلف انه لا طريق لتعلم صناعة الانشاء الا حفظ كلام الغير وفهمه وتمييز مقاصده وها أنا مستشهد على ذلك بما هو حاضر معنا في هذا العصر المخالف بالكلية للعصور التي كان أمر الشعر والكتابة الصناعية قائما ورغبات الملوك وأعيان الامراء فيهما متوفرة اذ كانت الدولة عربية

واضرابها من العرب أو من غيرهم وهم مضطرون لاتقان معرفة لسانهم حسب ما كانت تبعث الحاجة اليه ويتوقف تحصيل الاغراض عليه وبتغير الدولة تتغير الاحوال فان الكتابة الصناعية ... الدولة القائمة بالغة درجتها باللسان العربي أو أعلى كما تسمعه من العارفين بطرائف اللسانين ومحاسن اللغتين ولعل يقوى أمر كما هو بديهي الا بحسب قوة الحاجة اليه هذا الامير الجليل ذو الشرف الاصيل والطبع البالغ نقاؤه والذهن المتناهي ذكاؤه محمود سامي باشا البارودي لم يقرأ كتابا في فن من فنون العربية غير انه لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلا الى قراءة الشعر وعمله فكان يستمع بعض من له دراية وهو يقرأ بعض الدواوين أو يقرأ بحضرته حتى تصور في برهة يسيرة هيآت التراكيب العربية ومواقع المرفوعات منها والمنصوبات والمخفوضات حسب ما تقتضيه المعاني والتعلقات المختلفة فصار يقرأ ولا يكاد يلحن وسمعته مرة يسكن ياء المنقوص والفعل المعتل بها المنصوبين فقلت له في ذلك فقال هو كذا في قول فلان وأنشد شعرا لبعض العرب فقلت تلك ضرورة وقال علماء العربية انها غير شاذة ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب و... حفظ الكثير منها دون كلفة واستثبت جميع معانيها ناقدا شريفها من خسيسها النسيان والبـ... ابرا وحطا اهامدركا ما كان ينبغي وفق مقام الكلام وما لا ينبغي ثم ...ته واستعمل في الشعر اللائق بالامراء ولشعر الامراء كأبي فراس والشريف الرضي والطغرائي تميز عن شعر الشعراء كما ستراه ومصداق ذلك ما سألقيه عليك من قصائد أنشأها في وزن قصائد لبعض مشاهير المتقدمين ورويها قال أبو نواس يمدح الخصيب بن عبد الحميد العجمي أمير مصر من طرف الرشيد وقصده من بغداد

أجارة بيتينا أبوك غيور * وميسور ما يرجى لديك عسير
فان كنت لا خلما ولا أنت زوجة * فلا برحت دوني عليك ستور
وجاورت قوما لا تزاور بينهم * ولا وصل الا أن يكون نشور
فما أنا بالمشغوف ضربة لازب * ولا كل سلطان علي قدير
واني لطرف العين بالعين زاجر * فقد كدت لا يخفى علي ضمير
كانظرت والريح ساكنة لها * عقنباة ارساغ اليدين نزور
طوت ليلتين القوت عن ذي ضرورة * ازيغب لم ينبت عليه شكير

فاوفت

فأوفت على علياء حتى بدالها * من الشمس قرن والضريب يمور

تقلب طرفا في حجاجي مغارة * من الراس لم يدخل عليه ذرور

هذان فصلان أولهما في شكوى الزمان وقساوة الحرمان فهو يقول خطابا بالامر أو وجد هواها ولم يقدر على الوصول الى مراده منها الفقره وعدم تمكنه من الطريق الى ذلك أيتها الجارة اني غير قادر على الوصول اليك وأنا مقيم بارضك على ما أنا فيه من الاحوال لا على وجه الخلة ولا على وجه التزوج فقد عزمت على التغرب لتحصيل أسباب الوصول اليك فاما أبلغ ما تمنيت واما أموت معذورا وهذا المعنى نطق به الشعراء كقول بعضهم

دعيني اطوف في البلاد لعلني * أصادف حرا أو أموت فأعذرا

وقول آخر

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

الى غير ذلك أخرجه هو مخرج القسم بالدعاء على تصميمه وعزمه على فراق أرضه وتغربه في طلب حسن الحال ثم قوله خلما وزوجة ما كان ينبغي أن يصدر منه وقوله فما أنا بالمشغوف مخالف لمذهب العشاق والفصل الثاني في الافتخار بحدة الذهن وشدة الفطنة وكثرة التغبر به مشبه نفسه بالعقاب التي وصفها وبين الفصلين انقطاع يسمى مثله طفرة الشعر وقوله عقنباة هو من صفة العقاب قال في القاموس عقاب عقنباة ذات مخالب حداد فاضا ثم اني كلامه الى الارساغ غير ظاهرة ثم شرع في صفة حاله وما دار بينه وبين أهل بيته عند عزمه على السفر فقال

تقول التي من بيتها خف مركبي * عزيز علينا أن نراك تسير

اما دون مصر للغنى متطلب * بلى ان أسباب الغنى لكثير

فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى في جريهن عبير

ذريني أكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيه الخصيب أمير

اذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فأي فتى بعد الخصيب تزور

فتى يشتري حسن الثناء بماله * ويعلم ان الدائرات تدور

بعثه على هذا الكلام المزعج ادلاله بمكانه

فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير

هذا البيت من الشعر الذي كثر لفظه وقل معناه اذ معناه انه لا يفارقه الجود وعليه فيه

مؤاخذة فانه أخذه من قول الشنفرى

ظاعن بالحزم حتى اذا ما * حل حل الحزم حيث يحل

ونقل العبارة من الحزم نقلا غير صحيح الى الجود وذلك ان الحزم يتعلق بالسير والحلول بحيث يقال من حزمه وحسن رأيه يظعن فى الاوقات التى تقتضى الاحوال أن يظعن فيها فلا يؤخر واجبا ولا يفعل ما ليس لازما ويحل بالامكنة التى تصلح للحلول لا منها واشتمالها على ما يلزم للاقامة وأما الجود فانه لا يصح ربطه بالسير والاقامة وانما يربط بالاحوال فيقال انه جواد على كل حال من عسر و يسر

فلم ترعينى سوددا مثل سودد * يحل أبو نصر به ويسير
واطراق حيات البلاد لحية * خصيبية التصميم حين تسور
سموت لاهل الحوف فى دار امنهم * فأضحوا وكل فى الوثاق أسير
اذا قام غنته على الساق حلية * لها خطوة عند القيام قصير
فمن يك أمسى جاهلا بمقالتى * فان أمير المؤمنين خبير
ومازلت توليه النصيحة يافعا * الى أن بدا فى العارضين قتير
اذا غاله أمر فاما كفيته * واما عليه بالكفى تشير

الحوف ناحية بمصر ظهر من أهلها عصيان فوردله الامر بحربهم وتأديبهم فظفر بهم

اليك رمت بالقوم هوج كانما * جماجمها تحت الرحال قبور
رحلن بنا من عقرقوف وقد بدا * من الصبح مفتوق الاديم شهير

أخذ يذكر الاماكن التى مر بها فى سفره من بغداد الى مصر

فما نجدت بالماء حتى رأيتها * مع الشمس فى عينى اباغ تغور
وغمرن من ماء النقيب بشربة * وقد حان من ديك الصباح زمير

التغمير الشرب دون الرى

ووافين اشراقا كنائس تدمر * وهن الى رعن المدخن صور
يؤممن أهل الغوطتين كانما * لها عند أهل الغوطتين ثؤور
وأصبحن بالجولان يرضخن صخرها * ولم يبق من اجرامهن شطور
وقاسين ليلا دون بيسان لم يكد * سنا صبحه للناظرين ينير
وأصبحن قد فوزن من أهل ترطيس * وهن عن البيت المقدس زور

طوالب

طوالب بالركبان غزة هاشم * وفى الفرمامن خاجهن شقور

الشقور المهمات من الحاجات والفرما من بلاد مصر التى كانت مشهورة بالصنائع كتنيس وقد زالت ولم يبق لها أثر

ولما أتت فسطاط مصر أجارها * على ركبها ألا تذال مجير

هذا المعنى الذى قال فيه وكرره فى عبارات

واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام

وقد سلف هو وأصله وأذال المصون أهانه

من القوم بسام كأن جبينه * سنا الفجر يسرى ضوءه وينير

زهى بالخصيب السيف والرمح فى الوغى * وفى السلم يزهو منبر وسرير

جواد اذا الايدى كففن عن الندى * ومن دون عورات النساء غيور

عبارة باردة

له سلف فى الاعجمين كأنهم * اذا استؤذنوا يوما الى السلام بدور

فأنى جدير اذ بلغتك بالغنى * وأنت بما أملت منك جدير

فأن تولنى منك الجميل فأهله * والا فانى عاذر وشكور

يحكى ان الرشيد عزل الخصيب عن عمل مصر فخرج منها مجردا واتفق أن لقى أبا نواس ليلا فى بعض الطريق الى بغداد وهو على فرس عجفاء وأبو نواس فى ركب حافل فسمعه يتغنى فدنا منه وسلم عليه فلم يعرفه أبو نواس لرثاثة حاله فعرفه بنفسه فقال له ما الذى أصارك ياسيدى لهذا الحال فقال قولك الدائرات تدور فأراد أبو نواس ان يواسيه فقال ما كنت لآخذ من اعطيت وافترقا ولما وصل الخصيب بغداد أقام بها فقيرا فى هيئة سائل يجلس الى جوانب الجدران فعلم به شاعر وأنه الخصيب فلقيه بأبيات يمتدحه بها فأخرج له من تحت رقعة من رقاع ثيابه لؤلؤة فريدة وأجازه بها وسأله العذر لضيق الحال فأخذها ونزل بها السوق فعجب منها التجار وأوصلوها الى الخليفة فسأل عنها من أين جاءت فوقف على الخبر وعلى طربه بهمة الخصيب اعادة لحسن الحال ورضى عنه وهذه قصيدة الامير التى فى وزن قصيدة أبى نواس ورويها

تلاهيت الا ما يجن ضمير * وداريت الا مابنم زفير

وهل يستطيع المرء كتمان أمره * وفى الصدر منه بارح وسعير

فيا قاتل الله الهوى ما أشده * على المرء اذ يغلو به فيغير
تلين اليه النفس وهى أبية * ويجزع منه القلب وهو صبور
نبذت له رمحى واغمدت صارمى * ونهنهت مهرى والمراد غزير
وأصبحت مغلول المخالب بعدما * سطوت ولى فى الخافقين زئير
فيا لسراة القوم دعوة عائذ * أما من سميع فيكم فيجير
لطال على الليل حتى مللته * وعهدى به فيما علمت قصير
ألا فرعى الله الصبا ما أبره * وحيا شبابا مر وهو نضير
اذ العيش أفواف رف ظلاله * علينا وسلسال الوفاء غمير
واذ نحن فيما بين اخوان لذة * على شيم ما ان بهن نكير
تدور علينا الكاس بين ملاعب * بها اللهو خدن والشباب سمير
فالحاظنا بين النفوس رسائل * وريحاننا بين الكؤوس سفير
عقدنا جناحى ليلنا بنهارنا * وطرنا مع اللذات حيث تطير
وقلنا لساقينا ادرها فانما * بقاء الفتى بعد الشباب يسير
فطاف بها شمسية لهبية * لها عند ألباب الرجال ثؤور
اذا ما شربناها أقمنا مكاننا * وظلت بنا الارض الفضاء تدور
وكم ليلة أفنيت عمر ظلامها * الى ان بدا الصبح فيه قتير
شغلت بها قلبى ومتعت ناظرى * ونعمت سمعى والبنان طهور
صنعت بها صنع الكريم باهله * وجيرته والغادرون كثير
فما راعنا الا حفيف حمائم * لها بين أطراف الغصون هدير
تجاوب اترابا لها فى خمائل * لهن بها بعد الحنين صفير
نواعم لا يعرفن بؤس معيشة * ولا دائرات الدهر كيف تدور
توسدها مات لهن وسائدا * من الريش فيه طائل وشكير
كأن على اعطافها من حبيكها * تمائم لم تعقد لهن سيور
خوارج من ايك دواخل غيره * زهاهن ظل سابغ وغدير
اذا غازلتها الشمس رفت كأنما * على صفحتيها سندس وحرير
فلما رأيت الصبح قد رف جيده * ولم يبق من نسج الظلام ستور
خرجت

خرجت اجر الذيل تيها وانما * بتيه الفتى ان عف وهو قدير
ولى شيمة تأبى الدنايا وعزمة * ترد لهام الجيش وهو يمور
اذا سرت فالارض التى نحن فوقها * مراد لمهرى والمعاقل دور
فلا تجب ان لم يصرنى منزل * فليس لعقبان الهواء وكور
همامة نفس ليس ينفى ركابها * رواح على طول المدى وبكور
معودة ان لاتكف عنانها * عن المجد الا أن تتم أمور
لها من وراء الغيب اذن سميعة * وعين ترى مالا يراه بصير
وفيت بما ظن الكرام فراسة * بأمرى ومثلى بالوفاء جدير
وأصبحت محسود الجلال كانني * على كل نفس فى الزمان أمير
اذا صلت كف الدهر من غلوائه * وان قلت غصت بالقلوب صدور
ملكت مقاليد الكلام وحكمة * لها كوكب فخم الضياء منير
فلو كنت فى عصر الكلام الذى انقضى * لباء بفضلى جرول وجرير
ولو كنت أدركت النواسى لم يقل * اجارة بيتينا أبوك غيور
وما ضرنى انى تأخرت عنهم * وفضلى بين العالمين شهير
فيار بما أخلى من السبق أول * و بذ الجياد السابقات أخير

لم أكن لادع أن أقول أنظر هداك الله لابيات هذه القصيدة فأفردها بيتا بيتا تجد ظروف جواهر أفردت كل جوهرة لنفاستها بظرف ثم اجمعها وانظر بجال السياق وحسن النسق فانك لاتجد بيتا يصح أن يقدم أو يؤخر ولا بيتين يمكن ان يكون بينهما ثالث وا كلك الى سلامة ذوقك وعلو همتك ان كنت من أهل الرغبة فى الاستكمال لتتبع هذه الطريقة المثلى ثم قول ابن هانئ فتى يشترى سبقه الى النطق به الراعى النميرى حيث قال

فتى يشترى حسن الثناء بماله * اذا ما اشترى المخزاة بالمجد بيهس

ونطق به قبله الابيرد أيضا

فتى يشترى حسن الثناء بماله * اذا ألسنة الشهباء اعوزها القطر

ومثل هذا لا يعيبه أهل الادب كما نقله عنهم بعض شراح لامية العجم عند ذكره توافق الطغرائى وصاحب المقامات الحريرى فى قولهما

وذى شطاط كصدر الرمح معتقل * بمثله غير هياب ولا وكل

وذى شطاط كصدر الرمح قامته * صادقته بمنى يشكو من الحرب

قالوا اذا لم يكن الكلام ذا معنى غريب ولم يشتمل على نكتة بديعة تسامح الشعراء فى تناوله والتوافق فيه فالمعيب اذا مثل قوله فى هذه القصيدة فاجازه جوده فانه كما سبق التنبيه عليه منقول من الحزم الى الجود وقد سبقه أيضا بعض بنى يربوع بالعبارة فى الجود حيث قال

ما قصر الجود عنكم يا بنى مطر * ولا تجاوزكم يا آل مسعود

يحل حيث حللتم لا يفارقكم * ما عاقب الدهر بين البيض والسود

وقوله زها بالخصيب السيف والرمح بعد قول ابن مياده

ويزهى به فى الدرع عضب مهند * وفى السلم يزهو منبر وسرير

وقوله فان تولنى منك الجميل وقد قال بعض بنى منقر

فان جدت كان الجود منك سجية * والا فانى عاذر لك شاكر

وقال أبو نواس أيضا يمدح الامير محمد بن الرشيد

يا دار ما فعلت بك الايام * لم تبق منك بشاشة تستام

تستام تطلب وقيل تكلف يقال سامه يسومه سوما وسيمة وكذلك فى البيع وقيل سمته وأسمته اذا سألته وكلفته وقيل تشتام من الشيم وهو النظر وروى بعضهم

يا دار ما فعلت بك الايام * ضامتك والايام ليس تضام

عرم الزمان على الذين عهدتهم * بك قاطنين وللزمان عرام

يقال عرم يعرم عرامة وعراما بضم أوله وقد نطق بالفعل من باب نصر وضرب و... وعلم وهو التخابث والافساد

أيام لا أغشى لأهلك منزلا * الا مراقبة على ظلام

على ظلام أى مستخفيا بالليل ليختلس بغيته اختلاسا وهذا التركيب ورد فى حديث هو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مسافرا مرة صائما فلما غربت الشمس قال لصاحب طعامه انزل فاجدح لنا أى هيئ السويق فقال يا رسول الله ... ـك نهارا فقال انزل فاجدح لنا وقال بشار

اذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها * خرجت مع البازى على سواد

فهو

فهي من الكلمات المستملحة التي يغير عليها الشعراء

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم * وأسمت سرح اللهو حيث اساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه * فاذا عصارة كل ذاك أثام
وتجشمت بي هول كل تنوفة * هوجاء فيها جرأة اقدام
تذر المطي وراءها فكأنها * صف تقدمهن وهي امام
واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الحصا * فلها علينا حرمة وذمام
رفع الحجاب لنا فلاح لناظر * قمر تقطع دونه الاوهام
ملك اذا علقت يداك بحبله * لا يعتفيك البؤس والاعدام
ملك توحد بالمكارم والعلا * فرد فقيد الند فيه همام
ملك اغر اذا شربت بوجهه * لم يعدك التبجيل والاعظام
فالبهو مشتمل ببدر خلافة * لبس الشباب بنوره الاسلام
سبط البنان اذا احتبي بنجاده * فرع الجاجم والسماط قيام

فرع الجماجم أجود من غمر الجمام وهي رواية لان غمر انما يستعمل في معنى الكثرة يقال قد غمر جود هذا وغمر الماء الحصى

ان الذي يرضى الاله بهديه * ملك تردى الملك وهو غلام

ويروى يرضى السماء أي من في السماء يعني الله عز وجل

ملك اذا اعتبر الامور مضى به * راي يفل السيف وهو حسام
داوى به الله القلوب من العمى * حتى أفقن وما بهن سقام
أصبحت يابن زبيدة ابنة جعفر * املا لعقد حباله استحكام
فسلمت للأمر الذي ترجى له * وتقاعست عن يومك الايام

فقال المعمي في الوزن والروي

ذهب الصبا وتولت الايام * فعلى الصبا وعلى الزمان سلام
تالله أنسى ما حييت عهوده * ولكل عهد في الكرام ذمام
اذ نحن في عيش ترف ظلاله * ولنا بمعترك الهوى آثام
تجري علينا الكاس بين مجالس * فيها السلام تعانق ولزام

فى فتية فاض النعيم عليهم * وغماهم التبجيل والاعظام
ذهبت بهم شيم الملوك فليس فى * تلعابهم هذر ولا ابرام
لا ينطقون بغير آداب الهوى * سمح النفوس على البلاء كرام
من كل ابلج يستضاء بنوره * كالبدر حلى صفحتيه غمام
سهل الخليقة لا يسوء جليسه * بين المقامة واضح بسام
متواضع للقوم تحسب أنه * مولى لهم فى الدار وهو همام
ترنوا العيون اليه فى أفعاله * وتسير تحت لوائه الاقوام
فاذا تكلم فالرؤس خواضع * واذا تناهض فالصفوف قيام
نلهو ونلعب بين خضر حدائق * لبدت بغير خيولنا تستام
حتى انتبهنا بعد ان ذهب الصبى * ان اللذاذة والصبا احلام
لا تحسبن العيش دام لمترف * هيهات ليس على الزمان دوام
تأتى الشهور وتنتهى ساعاتها * لمع السراب وتنقضى الاعوام
والناس فيما بين ذلك وارد * أو صادر تجرى به الايام
لا طائر يغبر ولا ذو مخلب * يبقى وعاقبة الحياة حمام
فادرأ هموم النفس عنك اذا اعترت * بالكأس فهى على الهموم حسام
فالعيش ليس يدوم فى ألوانه * الا اذا دارت عليه الجام
من خمرة تذر الكبير اذا انتشى * بعد اشتعال الشيب وهو غلام
لعب الزمان بها فغادر جسمها * شبحا تهافت دونه الاوهام
حمراء دار بها الحباب فصورت * فلكا تحف به ماهد الاجرام
لا تستقيم العين فى لمعانها * وتزل عند لقائها الاقدام
تعشو الركاب فان تبلج كأسها * ساروا وان زال الضياء أقاموا
حبست باكلف لم يصل لفنائه * نور ولم يسرح عليه ظلام

يعنى ليست مكشوفة فيتعاقب عليها الليل والنهار وانما هى فى مخبأة فهى دائما فى حال واحدة

حتى اذا اصطفقت وطار فدامها * وثبت فلم تثبت لها الاجسام
وقدت حميتها فلولا مزجها * بالماء بعد الماء شب ضرام

تسم العيون بنورها لكنها * يرد عليّ شرابها وسلام
فاصقل بها صدأ الهموم ولا تكن * غرا تطيش بلبه الآلام
واعلم بان المرء ليس بخالد * والدهر فيه صحة وسقام
يهوى الفتى طول الحياة وانها * داء له لو يستبين عقام
فاطمح بطرفك هل ترى من أمة * خلدت وهل لابن السبيل مقام
هذى المدائن قد خلت من أهلها * بعد النظام وهذه الاهرام
لاشئ يخلد غير ان خديعة * فى الدهر تشكل دونها الاحلام
ولقد تبينت الامور بغيرها * وأتى على النقض والابرام
فاذا السكون تحرك واذا الخمو * د تلهب واذا السكوت كلام
واذا الحياة ولا حياة ميتة * تحيا بها الاجساد وهى رمام
هذا يحل وذاك يرحل كارها * عنه فصلح تارة وخصام
فالنور لو بينت أمرك ظلمة * والبدء لو فكرت فيه ختام

فهذه ضعف تلك أكرر أمرك بدقة النظر فيها وتأمل تواليها تجد الاجادة فيها واضحة والسلامة من أدنى متعلق ظاهرة بحيث لا تجد فيها موضعا للتأويليت ولتكن عنايتك برعاية تخير الالفاظ بان تبدلها بما تتخيل أنه يقوم مقامها ويفيد افادتها ثم تعرف سبب العدول عنه يكن ذلك أبلغ نافع لك وقال الشريف محمد الرضى يفتخر ويمدح أسلافه من أهل البيت صلوات الله وسلامه على من شرفه

لغير العلا منى القلا والتجنب * ولولا العلا ما كنت فى الحب أرغب
اذا الله لم يعذرك فيما ترومه * فما الناس الاعاذل أومؤنب
ملكت بحلمى فرصة ما استرقها * من الدهر مفتول الذراعين اغلب
فان يك سنى ما تطاول باعها * فلى من وراء المجد قلب مدرب
بحسبى انى فى الاعادى مبغض * وانى الى غر المعالى محبب
وللحلم أوقات وللجهل مثلها * ولكن أيامى الى الحلم أقرب
يصول علىّ الجاهلون واعتلى * ويعجم فى القائلون وأعرب
يرون احتمالى غصة ويزيدهم * لواعج ضغن اننى لست أغضب
واعرض عن كأس النديم كانها * وميض غمام غائر المزن خلب

وقور فلا الالحان تأسر عزمتي * ولا تمكر الصهباء حين اشرب
ولا اعرف الفحشاء الا بوصفها * ولا أنطق العوراء والقلب مغضب
تحصلم عن كر القوارض شيمتي * كأن معيد الذم بالمدح مطنب
لساني حصاة يقرع الجهل بالحجى * اذا نال مني العاضه المتأوب
ولست براض ان تمس عزائمي * فضالات ما يعطي الزمان ويسلب
غرائب آداب حباني بحفظها * زماني وصرف الدهر نعم المؤدب
تريشنا الايام ثم تهيضنا * ألا نعم البادي وبئس المعقب
نهيتك عن طبع اللئام فانني * أرى البخل يؤ بي والمكارم تطلب
تعلم فان الجود في الناس فطنة * تناقلها الاحرار والطبع أغلب
تضافر في فيك الصوارم والقنا * ويعجبني منك العذيق المرجب
نصحت وبعض النصح للقوم هجنة * وبعض التناجي بالعتاب تعتب
فان أنت لم تعط النصيحة حقها * فرب جموح كل عنه المؤدب
سقا الله أرضا جاوز القطر روضها * اذا المزن يسقي والاباطح تشرب
ذكرت بها عهد الشباب بحسرة * أفدت وقدمات الذي كنت أطلب
ويعجبني منها النسيم اذا هفا * الا كل ما سرى عن القلب معجب
سكنتك والايام بيض كأنها * من الطيب في أثوابها تتقلب
وبرق رفيق الطرتين لحظته * اذا الجو نوار المصابيح اكهب
نظرت وأحلاظ النجوم كليلة * وهيهات دون البرق شأو مغرب
فيا الليل الا لحمة مستشقة * وما البرق الا جمرة تتلهب
أمن بعدان جلتها ورق الدجى * سراعا وأغصان الازمة تجذب
وعدنا بها معوطسة بنسوعها * كما صافح الارض الغراء المعقب
كأن تراجيع الحداة وراءها * صفير تعاطاه اليراع المثقب
تهز ظنوني في المآرب أربة * ويجنب عزمي في المطالب مطلب
وردنا بها ماء الظلام سواقبا * والليل جو بالدراري معشب
تنفر ذود الطير عن وكراتها * وكل اذا الاقيته متغرب
ونلتذ رشف الماء رنقا كأنه * مع العز ثغر بارد الظلم اشنب

اذعنا

اذعنالها سرالكرى من عيوننا * ومرالعلى بين الجوانح يججب
حرام على المجد ابتسامى لقربه * وماهزنى فيه الغناء المقطب
ودهماء من ليل التمام قطعتها * أغنى حداء والمراسيل تطرب
ولوشئت غنتنى إحمام عشية * ولكننى من ماء عينى أشرب
أقول اذا خاض السميران فى الدجى * أحاديث تبدو طالعات وتغرب
الاغنيانى بالحديث فاننى * رأيت ألذ القول ما كان يطرب
غناء اذا خاض المسامع لم يكن * أمينا على جلبابه المتجلبب
ونشوان من خمر النعاس ذعرته * وطيف الكرى فى العين يطفو ويرسب
له مقلة يستنزل النوم جفنها * اليه كما استرخى على النجم هيدب
سريت بفجاج الارض خفلا ومعلما * تجدبها أيدى المطايا وتلعب
وماشهوتى لوم الرفيق وانما * كما يلتقى فى السير ظلف ومخلب
عجبت لغيرى كيف سار نجمها * وسيرى فيها يا ابنة القوم أعجب
أسير ومرجى بالنجاد مقلد * وأثوى و بيتى بالعوالى مطنب
ومصقولة الاعطاف فى جنباتها * مراح لاطراف الرماح وملعب
تجر على متن الطريق بجاجة * يطاردها قرن من الشمس أعضب
نهار بلألاء السيوف مفضض * وجو بحمراء الانابيب مذهب
ترى اليوم محمر الحواشى كانما * على الجو غرب من دم يتصبب
صد منابها الاعداء والليل ضارب * باروقه جون الملاطين أخطب
أخذنا عليهم بالصوارم والقنا * ورائى نجوم الليل حيران مغرب
يراعون اسفار الصباح وانما * وراء الثام الليل يوم عصبصب
وكل ثقيل الصدر من حلب القنا * خفيف الشوا والموت عجلان مقرب
يجم اذا ما استرعف الكر جهده * كما جمت الغدران والماء ينضب
وما الخيل الا كالقداح يجيلها * لغنم فاما فائز أو مخيب
دعوا شرف الاحساد يا آل ظالم * فلا الماء مورود ولا الترب طيب
لئن كنتم فى آل فهر كواكبا * اذا غاض منها كوكب فاض كوكب
فنحن كنعت البدر ينسب بينكم * جهارا وما كل الكواكب تنسب

صحبتم خضاب الزاعبيات ناصلا * ومن علق الاقران ما لا يخضب
أهذب في مدح اللئام خواطري * فاصدق في حسن المعاني واكذب
وما المدح الا في النبي وآله * يرام وبعض القول ما يتجنب
وأولى بمدحي من أعز بفخره * ولا يشكر النعماء الا المهذب
أرى الشعر فيهم باقيا وكانما * تعلق بالاشعار عنقاء مغرب
وقالوا عجيب عجب مثلي بنفسه * واين على الايام مثلي أبي أب
لعمرك ما اعجبت الا بمدحهم * ويحسب اني بالقصائد معجب
اعد لفخري في المقام محمدا * وادعو عليا للعلى حين أركب

فقال وترجم لها بقوله وقال يروض القول على روي قصيدة الشريف

سواي بحنان الاغاريد يطرب * وغيري باللذات يلهو ويعجب
وما أنا ممن تأسر الخمر لبه * ويملك سمعيه اليراع المثقب
ولكن أخو هم اذا ما ترجحت * به سورة نحو العلا راح يدأب
نفى النوم عن عينيه نفس أبية * لها بين أطراف الاسنة مطلب
بعيد مناط الهم فالغرب مشرق * اذا ما رمى عينيه والشرق مغرب
له غدوات يتبع الوحش ظلها * وتغدو على آثارها الطير تنعب
همامة نفس أصغرت كل مأرب * فكلفت الايام ما ليس يوهب
ومن تكن العلياء همة نفسه * فكل الذي يلقاه فيها محبب
اذا انا لم أعط المكارم حقها * فلا عزني خال ولا ضمني أب
ولا حملت درعي كميت طمرة * ولا دار في كفي سنان مذرب
خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة * لدي يدا اغضي لها حين يغضب
فلست لأمر لم يكن متوقعا * ولست على شئ مضى اتعتب
أسير على نهج يرى الناس غيره * لكل امرئ فيما يحاول مذهب
واني اذا ما الشك أظلم ليله * وأمست به الاحلام حيرى تشعب
صدعت حفافي طرتيه بكوكب * من الرأى لا يخفى عليه المغيب
وبحر من الهيجاء خضت عجاجه * ولا عاصم الا الصفيح المشطب
تظل به حمر المنايا وسودها * حواسر في ألوانها تتقلب

توسطته

توسطته والخيل بالخيل تلتقي * وبيض الظبي في الهام تبدو وتغرب
فما زلت حتى بين الكر موقفي * لدى ساعة فيها العقول تغيب
لدن غدوة حتى أتى الليل وانتقى * على غيهب من ساطع النقع غيهب
كذلك دأبي في المراس وانني * لأمرح في غي التصابي والعب
وفتيان لهو قد دعوت وللكرى * خباء بأهداب الجفون مطنب
الى مربع يجري النسيم خلاله * بنشر الخزامى والندى يتصبب
فلم يمض ان جاؤا لبيس دعوتي * سراعا كما وافى على الماء ربرب
بخيل كآرام الصريم وراءها * ضوارى سلوق عاطل ومليب
من اللاء لا يأكلن زادا سوى الذى * يضرسنه والصيد أشهى وأعذب
ترى كل محمر الحماليق فاغر * الى الوحش لا يألوا ولا ينصب
يكاد يفوق البرق شدا اذا انبرت * له بنت ماء أو تعرض ثعلب
فلما الى واد كأن تلاعه * من العصب موشي الحبائك مذهب
تراح به الآمال بعد كلالها * ويصبو اليه ذو الحجى وهو اشيب
فبينا نرود الارض بالعين اذ رأى * ربيئتنا سرب فقال ألا اركبوا
فقمنا الى خيل كأن متونها * من الضمر خوط الضيمران المشذب
فلما انتهينا حيث اخبر أطلقت * بزاة وجالت في المقاود اكلب
فما كان الا لفتة الجيد أن علت * قدور وفار اللحم وانفض مأرب
وقلنا لساقينا أدرها فانما * قصارى بني الايام ان يتشعبوا
فقام الى راقود خمر كأنه * اذا استقبلته العين أسود مغضب
يمج سلافا في اناء كأنه * اذا ما استقلته الانامل كوكب
فلم نأل ان دارت بنا الارض دورة * وحتى رأينا الافق ينآى ويقرب
الى ان تولى اليوم الا اقله * وقد كادت الشمس المنيرة تغرب
فرحنا نجر الذيل تيها لمنزل * به لاخي اللذات واللهو ملعب
مسارح سكير ومريض فاتك * ومخدع اكواب به الخمر تسكب
فلما رآنا صاحب الدار أشرقت * أساريره زهوا وجاء يرحب
وقال انزلوا يا بارك الله فيكم * فعندي لكم ما تشتهون وأطيب

وراح الى دن تكامل سنه * وشيب فوديه من الدهر أحقب
فمازال حتى استل منه سبيكة * من الخمر تطفو فى الاناء وترسب
يحوم عليها الطير من كل جانب * ويسرى عليها الطارق المتأوّب
فياحسن ذاك اليوم لوكان باقيا * وياطيب هذا الليل لودام طيب
يودّ الفتى مالا يكون طماعة * ولم يدر ان الدهر بالناس قلب
ولو علم الانسان مافيه نفعه * لأبصر ما يأتى وما يتجنب
ولكنها الاقدار تجرى بحكمها * علينا وأمر الغيب سر محجب
نظن بأنا قادرون واننا * نقاد كما قيد الجنيب ونصحب
فرحمة رب العالمين على امرئ * أصاب هواه أودرى كيف يذهب

يقول الشريف فى مطلع قصيدته والذى يليه طلب الانسان ما احب من أعلا الرتب وأرفع الاحوال طلب حق أوفضيلة وذلك مرضى لله مندوب اليه ليس للناس فيه موضع عذل أوتأنيب بخلاف غيره من الطلب فانه يوجب سخط الله فلا يعذر صاحبه واذا يجد الناس موضعا للعذل والتأنيب وهو التعنيف أومعنى البيت الثانى اذا لم تكتف بالله عاذرا فلا تأمله فان الناس انما هم بين عاذل أومؤنب ويكون شكاية من قلة الانصاف وفى قوله وقد شرع فى ذكر فضائله ملكت بحلمى بديع التجريد واستعمال حرفين من أحرفه الباء ومن فالحلم هو الفرصة والدهر هو مفتول الذراعين الاغلب وتلك صفة الاسد أى مندمج الذراعين غليظ العنق وهو تصوير الموهوم بالمحسوس وحاصل المعنى ان شدائد الدهر لاتذهب بحلمه ثم قال فيما بعد انه على صغر سنه كبير الهمة واسترسل فى ذكر مناقب فيه حتى أتم الفصل ثم خاطب صاحبه ثم طلب السقيا الارض اعطشت وسقى غيرها وتأسف عليها واتبع ذلك بذكر برق لحظه ثم ذكر طلبا واخفاقا فى قوله أمن بعدان جللتها ثم وصف ليلة سارها فى قوله وردها من ليل التمام والتمام فيه بكسر التاء وهو التمام بفتحها ولكن اللغة استعملته فى هذا الموضع بالكسر أى من أطول الليالى ثم وصف خيلا قصدبها الاعداء فى قوله ومصقولة الاعطاف ثم شجعا ومدح فى قوله دعوا اشرف الاحساب الى آخره وقوله مموطة بنسوعها أى ازالت النسوع وهى السيور المجدولة عريضة شعرها الطول حكها فهو يصفها بالتأثر وما أدركها من نصب السفر والمعط فيه العير وأما المغط بالغين فهو ان تمد الشئ تستطيله وهو المذكور فى قول المتنبى

النساءها

انساعها ممغوطة وخفافها * منكوحة وطريقها عذراء

يصف المتنبي ابله بالهزال وان نسوعها فضلت عنها والتعقيب تكرار الغزو في سنة واحدة والتردد في طلب المجد والاخطب من الخطبة وهو لون كدر مشرب حمرة في صفرة أو غبرة ترهقها خضرة والزاعبيات بالعين الرماح نسبت الى بلد فانظر هداك الله بنور البصيرة الى هاتين القصيدتين تجدهما قد ابتدرتا في البلاغة وحسن السياق غاية بلغتاها معا وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومطلع الثانية وان كان مولدا من مطلع الاولى فهو أنور كما قيل وان في الخمر معنى ليس في العنب وقوله بعده وما أنا ممن تأسر الخمر يريد ان الهزل لا يشغله عن الجد ولا يمنعه الترف والنعيم عن مباشرة الشدائد في طلب المجد وقال أبو فراس الحرث بن سعيد عم سيف الدولة علي بن حمدان وكان يتولى له رياسة الجيوش فاتفق ان أسرته الروم في بعض غزواته وبقي هنالك مدة وكان يكتب لابن عمه قصائد يعتذر فيها من الاسر ويشكي شدة الحال ويطلب الفداء وسميت تلك القصائد لذلك بالروميات وهذه القصيدة احداها

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر * أما للهوى نهي عليك ولا أمر
بلى أنا مشتاق وعندي لوعة * ولكن مثلي لا يذاع له سر
اذا الليل اضواني بسطت يد الهوى * واذللت دمعا من خلائقه الكبر
تكاد تضيء النار بين جوانحي * اذا هي اذكتها الصبابة والفكر
معللتي بالوصل والموت دونه * اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر
بدوت وأهلي حاضرون لانني * أرى ان دارا لست من أهلها قفر
وحاربت قومي في هواك وانهم * واياي لولا حبك الماء والخمر
وان كان ما قال الوشاة ولم يكن * فقد يهدم الايمان ما شيد الكفر
وفيت وفي بعض الوفاء مذلة * لانسانة في الحي شيمتها الغدر
وقور وريعان الصبا يستفزها * فتأرن أحيانا كما أرن المهر
تسائلني من أنت وهي عليمة * وهل بفتى مثلي على حالة نكر
فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى * قتيلك قالت ايهم فهم كثر
فقلت لها لو شئت لم تتعنتي * ولم تسألي عني وعندك بي خبر
ولا كان للاحزان لولاك مسلك * الى القلب لكن الهوى للبلا جسر

فأيقنت أن لا عز بعدي لعاشق * وأن يدي مما علقت به صفر
فقالت لقد أزرى بك الدهر بعدنا * فقلت معاذ الله بل أنت والدهر
وقلبت أمري لا أرى لي راحة * اذا البين أنساني ألح بي الهجر
فعدت الى حكم الزمان وحكمها * لها الذنب لا تجزى به ولي العذر
تجفل حينا ثم تدنو وانما * تراعي طلا بالواد أعجزه الحضر
واني لنزال بكل مخوفة * كثير الى نزالها النظر الشزر
واني لجرار لكل كتيبة * معودة أن لا يخل بها النصر
فأصدى الى أن تروى الارض والقنا وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر
ولا أصبح الحي الغيور لغارة * ولا الجيش ما لم تأته قبلي النذر
ويا رب دار لم تخفني منيعة * طلعت عليها بالردى أنا والفجر
وساحبة الأذيال نحوي لقيتها * فلم يلقها جافي اللقاء ولا وعر
وهبت لها ما حازه الجيش كله * ورحت ولم يكشف لأبياتها ستر
ولا راح يطغيني بأثوابه الغنى * ولا بات يثنيني عن الكرم الفقر
وما حاجتي في المال أبغي وفوره * اذا لم أفر عرضي فلا وفر الوفر
أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغا * ولا فرسي مهر ولا ربه غمر
ولكن اذا حم القضاء على امرئ * فليس له بر يقيه ولا بحر
وقال أصيحابي الفرار أو الردى * فقلت هما أمران أحلاهما مر
ولكنني أمضي لما لا يعيبني * وحسبك من أمرين خيرهما الأسر
ولا خير في دفع الردى بمذلة * كما ردها يوما بسوءته عمرو
يمنون أن خلوا ثيابي وانما * علي ثياب من دمائهم حمر
وقائم سيف فيهم دق نصله * وأعقاب رمح فيهم حطم الصدر
سيذكرني قومي اذا جد جدهم * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
ولو سد غيري ما سددت اكتفوا به * وما كان يغلو التبر لو نفق الصفر
ونحن أناس لا توسط بيننا * لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر
أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العلا * وأكرم من فوق التراب ولا فخر

فقال

فقال فى الوزن والروى

طربت وعادتنى المخيلة والسكر * وأصبحت لا يلوى بشيمتى الزجر
كأنى مخمور سرت بلسانه * معتقة مما يضن بها التجر
صريع هوى يلوى بى الشوق كلما * تلألأ برق أو سرت ديمة غزر
اذا مال ميزان النهار رأيتنى * على حسرات لا يقاومها صبر
يقول أناس انه السحر ضلة * وما هى الا نظرة دونها السحر
فكيف يعيب الناس أمرى وليس لى * ولا لامرئ فى الحب نهى ولا أمر
ولو كان مما يستطاع دفاعه * لألوت به البيض المباتير والسمر
ولكنه الحب الذى لو تعلقت * شرارته بالجمر لاحترق الجمر
على اننى كاتمت صدرى حرقة * من الوجد لا يقوى على مسها صدر
وكفكفت دمعا لو أسلت شؤونه * على الارض ما شك امرؤ انه البحر
حياء وكبرا أن يقال ترجعت * به صبوة أو فل من غربه الهجر
وانى امرؤ لولا العوائق اذعنت * لسلطانه البدو المغيرة والحضر
من النفر الغر الذين سيوفهم * لها فى حواشى كل داجية فجر
اذا استل منهم سيد غرب سيفه * تفزعت الافلاك والتفت الدهر
لهم عمد مرفوعة ومعاقل * وألوية حمر وأفنية خضر
ونار لها فى كل شرق ومغرب * لمدرع الظلماء ألسنة حمر
تمد بها أيدى العفاة خضيبة * تصافحها الشعرى ويلثمها الغفر
وخيل يرج الخافقين صهيلها * نزائع معقود باعرافها النصر
مسومة قطع الفيافى مكانها * مسدارية فتخاء ليس لها وكر
أقاموا زمانا ثم بددشملهم * أخو غدرة كانت له الكرام اسمه الدهر
فلم يبق منهم غير آثار نعمة * تضوع رياها الاحاديث والذكر
وقد تنطق الآثار وهى صوامت * ويثنى برياه على الوابل الزهر
لعمرك ما حى وان طال سيره * بخالد الا وان ينتهى له أمر
وما هذه الايام الا منازل * يحل بها حى ويتركها سفر
فلا تحسبن المرء فيها بخالد * ولكنه يسعى وغايته العمر

أقول من آتاه الله فهما وتأمل مثل هذا الشعر الذى هو من البلاغة فى أرفع رتبها عرف كيف تتفاضل العقول وان الله يختص من شاء بما شاء هذا مطلع قصيدة أبى فراس هل تجد أصدق شاهد منه فى باب براعة المطلع والاستهلال فانه أخبر فيه على انه سلك به مسلك الغزل أنه فى حالة تقتضى البكاء والجزع وأى حالة أشد اقتضاء لهما من كونه اسيرا فى يد أعداء دينه ودنياه ممنوعا من الوصول الى هواه فى أرض عزه ودار سلطانه وبعد ان تتأمل المطلع بذلك النظر تمشى فى تأمل ما اختار من عبارات الغزل فتجدها بعينها هى عبارات الشكوى من بقائه فى الاسر وتأخر ابن عمه عن المسارعة الى فدائه بعد وعده بذلك واستخفافه بعد ما ظهر من بلائه وبذل مهجته فى خدمته وطاعة أمره أن لا تلتفت العناية الا لخليصه وابلاغه أخرى مناه ومع تأمل تلك المعانى حسن اختيار براعة تلك العبارات وما اشتملت عليه من الكنايات والاستعارات والاشارات فاذا فرغت من تأملها على ذلك الحد مشيت بنور فكرك فى القصيدة الثانية تعتبر ما بينها وبين ما اسكنت من المعانى وبذلك تحصل على النتيجة التى تسعى لها قال النابغة الذبيانى من قصيدة يصف المتجردة زوج النعمان بن المنذر ويقال ان النعمان مع ذلك لما سمع القصيدة غضب على النابغة وجفاه وظن به حتى انتفى منه ثم ظهرت براءته وعاد الى رضيه من منادمته

امن آل مية رائح أو مغتد * عجلان ذا زاد وغير مزود

أفد الترحل غير ان ركابنا * لما تزل برحالنا وكأن قد

زعم الهمام بأن رحلتنا غدا * وبذاك خبرنا الغداف الاسود

سبق انه غيره وبذاك تنعاب الغراب الاسود هربا من ذلك العيب ولكن الرواة أثبتوه على أصله

لا مرحبا بغد ولا أهلا به * ان كان تفريق الاحبة فى غد

حان الرحيل ولم تودع مهددا * والصبح والامساء منها موعدى

فى اثر غانية رمتك بسهمها * فأصاب قلبك غير ان لم تقصد

غنيت بذلك اذ هم لك جيرة * منها بعطف رسالة وتودد

ولقد أصاب فؤاده من حبها * عن ظهر مرنان بسهم مصرد

نظرت بمقلة شادن متربب * أحوى أحم المقلتين مقلد

والنظم فى سلك يزين نحرها * ذهب توقد كالشهاب الموقد

صفراء

صفراء كالسيراء أكمل خلقها * كالغصن في غلوائه المتأود

والبطن ذو عكن لطيف طيه * والاتب تنفجه بثدي مقعد

الاتب ثوب رقيق وتنفجه من نفج ترفعه وتبعده

مخطوطة المتنين غير مفاضة * ريا الروادف بضة المتجرد

قامت تراءى بين سجفي كلة * كالشمس يوم طلوعها بالاسعد

الاسعد برج الحمل

أو درة صدفية غواصها * بهج متى يرها يهل ويسجد

أو دمية من مرمر مرفوعة * بنيت بآجر يشاد وقرمد

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص كأن بنانه * عنم يكاد من اللطافة يعقد

نظرت اليك بحاجة لم تقضها * نظر السقيم الى وجوه العود

تجلو بقادمتي حمامة ايكة * بردا أسف لثاثه بالاثمد

كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ند

زعم الهمام بأن فاها بارد * عذب مقبله شهي المورد

زعم الهمام ولم أذقه انه * عذب اذا ما ذقته قلت ازدد

زعم الهمام ولم أذقه انه * يشفي بريا ريقها العطش الصدى

أخذ العذارى عقده فنظمنه * من لؤلؤ متتابع متسرد

لو انها عرضت لأشمط راهب * عبد الاله صرورة متعبد

صرورة بالصاد قيل في تفسيره من لم يذنب قط أو لم يبرح من مكانه وقيل هو في الجاهلية من لم يتزوج وفي الاسلام من لم يحج ولدفع التكرار في البيت يحمل على غير هذا المعنى

لرنا لرؤيتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

بتكلم لو تستطيع كلامه * لدنت له اروى الهضاب الصخد

الصخد جمع صاخد وهي الملساء

وبفاحم رجل اثيث نبته * كالكرم مال على الدعام المسند

واذا لمست لمست اجثم جاثما * متحيزا بمكانه ملء اليد

واذا طعنت طعنت في مستهدف * رابي المجسة بالعبير مقرمد

واذا نزعت نزعت عن مستحصف * نزع المحزور بالرشاء المحصد

واذا يعض يشد من اعضائه * عض الكبير من الرجال الادرد

ويكاد ينزع جلد من أصلى به * بلوافح مثل السعير الموقد

لا وارد منها يحور لمصدر * عنها ولا صدر يحور لمورد

فمشى على أثره وترجم لها بقوله وقال على روى قصيدة النابغة الذبيانى التى أولها

امن آل مية وقد سلك فيها مسالك العرب فيما كانت تمدح به من مباشرة الحروب

وارتياد المنابت وركوب الخيل وشرب الخمر ومنازلة الاعدا

طال الظعون فبات غير موسد * [illegible] الفرقد

تلوى به الذكرى [illegible] * [illegible] العود

طورا [illegible] * [illegible]

فكأنما [illegible] * [illegible] الاسود

قالوا غدا يوم الرحيل [illegible] * [illegible] لى غد

[illegible] * [illegible]

يا أهل ذا البيت الرفيع منارة * [illegible] مقصد

انى [illegible] * [illegible]

أوفاستقيدونى ببعض قبابكم * حتى رد الى نفسى أو تدى

بل يا أخا السيف الطويل نجاده * ان أنت لم تحسم النزيل فأغمد

هذى [illegible] بين شعابكم * [illegible]

من كل ناعمة الصبا [illegible] * [illegible] المجرد

هيفاء ان خطرت [illegible] واذا رنت * [illegible]

يخفضن من أبصارهن تجملا * [illegible]

فاذا [illegible] أخا الشباب سلبنه * [illegible] أصيد

واذا لمحن أخا المشيب قلينه * [illegible]

[illegible] * [illegible]

[illegible] * [illegible]

[illegible] * [illegible] الادرد

عصفت

عصفت بهارج الردى فتدفقت * بدم الفوارس كالآلى فى المزبد
مازلت اطعن بينها حتى انثنت * عن مثل حاشية الرداء المجسد
ولقد هبطت الغيث يلمع نوره * فى كل وضاح الاسرة أغيد
تجرى به الآرام بين مناهل * طابت مشاربها وظل أبرد
بعثمر ارن كأن سراته * بعد الجميم سبيكة من عسجد
خلعت له اليمنى وعم ثلاثة * منه البياض الى وظيف اجرد
فكانما انتزع الاصيل رداءه * سلبا وخاض من الضحى فى مورد
زجل يردد فى اللهات صهيله * دفعا كزمزمة الحبي المرعد
متلفتا عن جانبيه يهزه * مرح الصبا كالشارب المتغرد
فاذا ثنيت له العنان وجدته * يطوى كسبد الرده المتورد
واذا أطعت له العنان رأيته * يطوى المهامه فدفدا فى فدفد
يكفيك منه اذا استحس بنبأة * شد كألهوب الاباء الموقد
صلب السنابك لا يمر بجلمد * فى الشد الا رض فيه بجلمد
نعم العتاد اذا الشفاه تقلصت * يوم الكريهة فى العجاج الاربد
ولقد شربت الخمر بين غطارف * شم المعاطس كالغصون المبد
يتلاعبون على الكؤوس اذا جرت * لعبا يروح الجد فيه ويغتدى
لا ينطقون بغير بأمر الهوى * فكلامهم كالروض مصقول ندى
من كل وضاح الجبين كأنه * قمر توسط جنح ليل اسود
بل رب غانية طرقت خباءها * والنجم يطرف عن لواحظ ارمد
قالت وقد نظرت الى فضحتنى * فارجع لشانك فالرجال بمرصد
فخلبتها بالقول حتى رضتها * ولو يتعاطى الخبيرة باليد
مازلت أمنعها المنام غواية * حتى لقد بتنا بليل الانقد
روعاء تفزع من عصافير الضحى * ترفا وتجزع من صياح الهدهد
حتى اذا نم الصبا وتتابعت * زيم الكواكب كالمها المتبدد
قالت دخلت وما أخالك بارحا * الا وقد ابقيت عار المسند
فمسحتها حتى اطمأن فؤادها * ونفيت روعتها برأى محصد

وخرجت اخترق الصفوف من العدا * متلثما والسيف يلمع في يدي
فالنعم ذلك العيش لو لم يقتني * ولنعم هذا العيش ان لم ينفد
يرجو الفتى في الدهر طول حياته * ونعيمه والمرء غـــير مخلد

وقد باشر هذا الامير الحرب مرتين بصدق شهامة وهمة حتى ان الناس كانوا يتعجبون كما أخبرني من حضره في تلك المواطن من خشونة بأسه مع ترف نشأته ولطف ... المرة الاولى حرب سكان جزيرة اقريطش المعروفة الآن بجزيرة جريد حين خرجوا عن الطاعة سنة ثنتين وثمانين ومائتين وألف فقال يصف الحال ويتشوق الى مصر

أخذ الكرى بمعاقد الاجفان * وهفا السرى بأعنة الفرسان
والليل منشور الذوائب ضارب * فوق المتالع والربى بجران
لا تستبين العين في ظلمائه * الا اشتعال أسنة المران
نسري به سابحين لجة فتنة * تموج غوار بها على الاركان
في كل مرباة وكل ثنية * نهد ارسامره وعرف قيان
تستن عادية ويصهل اجرد * وتميد اجراس وتهتف عان
قرم الى الشيدات تحصرهم * تتطاير من ... السلطان
ماثوا الفضاء فما يسير لناظر * غير الالتماع البيض اخرصان

الخرصان جمع خرص بضم أو كسر فسكون السنان

فالبدر اكدر والسماء مريضة * والبحر أشكل والرماح دوان
والخيل واقفة على ارسانها * لطراد يوم كريهة ورهان
وضعوا السلاح الى الصباح وأقبلوا * يتكلمون بألسن النيران
حتى اذا ما الصبح أسفر وارتمت * عيناي بين ربى وبين مجان
فاذا الجبال أسنة واذا الوهاد * اعنة والماء أحمر قان
فتوجست نرط الركاب ولم تكن * لتهاب ما امتنعت على الارسان
فزعت فرجعت الحنين وانما * تحنانها شجن من الاشجان
ذكرت مواردها بمصر وأين من * ماء بمصر منازل الرومان
والنفس لاهية وان هي صادفت * ذلاذا باوّل ... ومكان
... الجمال ... * ... رؤيته ...

حتى

حتى تعود الارض بعد ذبولها * شتى النبات كثيرة الالوان
بلد لعبت بها عذار شبيبتى * وطرحت فى يمنى الغرام عنانى
فصعيدها أحوى النبات وسرحها * ألمى الظلال وزهرها متدانى
فارقتها لا عن قلى وكأنني * والمرء طوع تقلب الازمان
حمل الزمان على ما لم اجنه * ان الاماثل عرضة الحدثان
نقموا على وقد فتكت تعاقبا * ان الشجاعة حلية الفتيان
فليهنأ الدهر الغيور برحلتى * عن مصر ولتهدأ صروف زمانى
فلئن رجعت وسوف أرجع واثقا * بالله اعلت الزمان مكانى
صادقت بعض القوم حتى خاننى * وحفظت منه مغيبه فرمانى
زعم النصيحة بعد ان بلغت به * غشا وجازى الحق بالبهتان
فليجر بعد كما أراد بنفسه * ان الشقى مطية الشيطان
وكذا اللئيم اذا أصاب كرامة * عادى الصديق ومال بالاخوان
كل امرئ يجرى على أعراقه * والطبع ليس يحول فى الانسان
فعلى م يانس العدو مساءتى * من بعد ما عرف الخلائق شانى
أنا لا أذل وانما يزع الفتى * فقد الرجاء وقلة الاعوان
فليعلمن أخو الجهالة قصره * عنى وان سبقت به قدمان
فلربما رجح الخسيس من الحصى * بالدر عند تراجح الميزان
تعرف خصصت به وأخطأ حاسد * مسعاته فهذى به وقلانى

والثانية حرب الروس حين قصدوا الدولة سنة أربع وتسعين ومائتين وألف وكان حرسه الله كتب لابنائه ودة كتبا ولم تصل اليهم وظن وصولها وتقصيرهم عن المبادرة بالاجابة وقد وصل الى أحد كتابين كتبهما الى يوم قدومه الى مصر بعد مدة طويلة من كتابته وهذه أبياته

ياناعس الطرف الى كم تنام * أسهرتنى فيك ونام الانام
أوشك هذا الليل ان ينقضى * والعين لا تعرف طيب المنام
الله فى عين جفاها الكرى * فيكم وقلب قد براه الغرام
قد رحم العاذل حالى هنا * يرضى لذلى فى الهوى بالملام

ويلاه من ظبي الحمى إنه * جرعني بالصد كأس الحمام
يغضب من قولي آه [illegible] * قولي آه يا ابن ودي حرام
لا كتبه تترى ولا رسله * تأتي ولا الطيف يوافي المنام
طال الدجى من بعدكم وانقضت * بشاشة العيش وساء المقام
أرتاح إن مر نسيم الصبا * وأبرء فيه [illegible] والسقام
ياليتني في السلك حرف سرى * أو ريشة بين خوافي الحمام
حتى أوافيهم في لحظة * أقضي بها والله حق الذمام
مولاي قد طال مسير الذي * فكل يوم [illegible] ألف عام
أنظر حولي لا أرى صاحبا * الا [illegible]
وديدبانا [illegible] الدجى * [illegible] أمام
يقتبل الصبح ويدني الدجى * ويفني النور ويأتي الظلام
ولا كتاب من حبيب أتى * ولا أخو صدق يرد السلام
في هضبة من أرض [illegible] * [illegible] وهام
من خلفه البحر وقدامها * [illegible]
فذاك حالي لا رعتك الردى * فكيف [illegible]

فقال في نعت الحال وضمن ذلك بعض فصولها

هو البين حتى لا سلام ولا رد * ولا نظرة يقضي بها حقه الوجد
لقد نعب الوابور بالبين بينهم * فساروا ولا زموا جمالا ولا شدوا
سرى بهم سير الغمام كأنما * له في تنائي كل ذي خلة قصد
فلا عين إلا وهي عين من البكا * ولا خد إلا للدموع به خد
فيا سعد حدثني بأخبار من مضى * فأنت خبير بالأحاديث يا سعد
لعل حديث الشوق يطفئ لوعة * من الوجد أو يقضي بصاحبه الفقد
هو النار في الأحشاء لكن لوقدها * [illegible] ألذ به برد
لعمر المغاني وهي عندي عزيزة * بما استكنها ما شاقني بعدها عهد
لئن كانت اليوم ما ترى عين ناظر * وأخنت وما فيها سمير الأسى وفد
خلاء من الآلاف إلا عصابة * [illegible] فإنها أهل فرد

دعتهم

دعتهم اليها نفحة عنبرية * وبالنفحة الحسناء قد يعرف الورد
وقفنا فسلمنا فردّت بألسن * صوامت الا انها السن لـدّ
فمن مقلة عبرى ومن لفح زفرة * لها شرر بين الحشا ما له زند
فيا قلب صبرا ان أضر بك النوى * فكل فراق أو تلاق له حد
فقد يشعب الالفان أدناهما الهوى * ويلتئم الضدان اقصاهما الحقد
على هذه تجري الليالي بحكمها * فآونة قرب وآونة بعد
وما كنت لولا الحب اخضع للتي * تسيء ولكن الفتى للهوى عبد
فعودي صليب لا يلين لغامز * وقلبي سيف لا يفل له حد
أباة كما شاء الفخار وصبوة * يذل لها في خيسه الاسد الورد
وانا أناس ليس فينا معابة * سوى أن وادينا بحكم الهوى نجد
نلين وان كنا أشداء للهوى * ونغضب في شروى نقير فنشتد
وحسبك منا شيمة عربية * هي الخمر ما لم يأت من دونها حرد
وبي ظمأ لم يبلغ الماء ريه * وفي النفس أمر ليس يدركه الجهد
أود وما ودّ امرئ نافع له * وان كان ذا عقل اذا لم يكن جد
وما بي من فقر لدنيا وانما * طلاب العلا مجد وان كان لي مجد
وكم من يد لله عندي ونعمة * يعض عليها كفه الحاسد الوغد
أنا المرء لا يطغيه عز لثروة * أصاب ولا يلوي بأخلاقه الكد
أصد عن الموفور يدركه الخنا * وأقنع بالميسور يعقبه الحمد
ومن كان ذا نفس كنفسي تصدعت * لعزته الدنيا وذلت له الاسد
ومن شيمي حب الوفاء ولم يكن * ليخلص ودّ لم يحطه الوفا بعد
ولكن اخوانا بمصر ورفقة * نسوا عهدنا حتى كأن لم يكن عهد
أحن لهم شوقا على ان دوننا * مهامه تعيا دون أقربها الربد
فيا ليت شعري ما بال كتبنا * ثوت عندكم شهرا وليس لها رد
أفي الحق انا ذاكرون لعهدكم * وانتم عليه ليس يعطفكم ود
فلا ضير ان الله يعقب عودة * يهون بها ما قد أطاله الصد
جزى الله خيرا من جزاني بمثله * على ثقة عز الحياة بها عقد

أبيت لذكراكم بها متململا * كأني سليم أو مشت نحوه الورد
فلا تحسبوني غافلا عن ودادكم * رويدا فما قلبي بصخر ولا صلد
هو الحب لا يثنيه نأي وربما * تأجج من مس الغرام له الوقد
نأت بي عنكم غربة وتجهمت * بوجهي أيام خلائقها نكد
أدور بعيني لا أرى غير أمة * من الروس بالبلقان يخطئها العد
جوائل في هام الجبال لغارة * يطير بها ضوء الصباح إذا يبدو
إذا نحن سرنا صرح الشر باسمه * وصاح القنا بالموت واستقتل الجند
فأنت ترى بين الفريقين كبة * يحدث عنها نفسه البطل الجعد
على الأرض منها بالدماء جداول * وفوق سراة النجم من نقعها لبد
إذا اشتبكوا أو راجعوا الزحف خلتهم * بحورا توالى بينها الجزر والمد
نشلهم شل العطاش ونتبعها * مراغمة السقيا وباطلها الورد
فهم بين مقتول طريح وهارب * طليح ومأسور يجاذبه القد
نروح إلى الشورى إذا أقبل الدجى * ونغدو عليهم بالسيوف إذا نغدو
وقسطل كلج البحر خضت غماره * ولا معقل إلا المناصل والجرد
صبرت به والموت يحمر تارة * وينغل طورا في العجاج فيسود
فما كنت إلا الليث أنهضه الطوى * وما كنت إلا السيف فارقه الغمد
صؤول وللأبطال همس من الونى * ضروب وقلب القرن في صدره يعدو
فما مهجة إلا ورمحي ضميرها * ولا لبة إلا وسيفي لها عقد
وما كل ساع بالغ سؤل نفسه * ولا كل طلاب يصاحبه الرشد
إذا القلب لم ينصرك في كل موطن * فما السيف إلا آلة حملها إد
إذا كان عقبى كل شيء وإن زكا * فناء فكر والفناء هو الخلد
ففيم يخاف المرء سورة يومه * وفي غده ما ليس من وقعه بد
ليضرب بي الحساد عيشا فإنني * [illegible]
أنا القائل المحمود من غير سمعة * [illegible] والحقد
[illegible] * [illegible]
فلا زلت محمودا على المجد والعلا * فليس بمحمود فتى وله ند
وقد

وقد شرفت عناية ودهاسمي بهذه القصيدة

مضى اللهو الا أن يخبر سائل * وولى الصبا الا بواق قلائل
بواق تمار بها افانين لوعة * يؤزنها فكر على النأى شاغل
فللشوق مني عبرة مهراقة * وخبل اذا نام الخليون خابل
ألفت الضنى الف السهاد فلو سرى * بي البرء خالتنى لذاك الغوائل
فلله هذا الشوق أى جراحة * أسال بناحتى كأنا نقاتل
رضينا بحكم الحب فينا واننا * لنأذا التفت علينا الجحافل
وانا رجال تعلم الحرب أننا * بنوها ويدرى المجد ماذا نحاول
اذا ما ابتغى الناس الحصون فمالنا * سوى البيض والسمر اللدان معاقل
فما الهوى يقوى على بحكمه * ولم يدر أنى الشمرى الحلاحل
وانى لثبت الجأش مستحصد القوى * اذا اخذت أيدى الكماة الافاكل
اذا ما اعتقلت الرمح والرمح صاحبي * على الشرفال القرن انى هازل
اطاعنت حتى لم أجد من مطاعن * ونازلت حتى لم أجد من ينازل
وشاغبت هذا الدهر مني بعزمة * أرتني سبيل الرشد والغي حائل
اذا أنت اعطتك المقادير حكمها * فاضيع شئ ما تقول العوازل
وما المرء الا أن يعيش محسدا * تنازع فيه الناجذين الانامل
لعمرك ما الاخلاق الا مواهب * مقسمة بين الورى وفواضل
وما الناس الا كادحان فعالم * يسير على قصد وآخر جاهل
فذو العلم مأخوذ باسباب علمه * وذو الجهل مقطوع القرينة جافل
فلا تطلبن فى الناس مثقال ذرة * من الود ان الود فى الناس هابل
من العار أن يرضى لفتى غير طبعه * وان يصحب الانسان من لا يشاكل
بلوت ضروب الناس طرا فلم يكن * سوى المرصفي الحبر فى الناس كامل
همام أراني الدهر تحت برده * وعلمنى حتى اتقانى الاماثل
أخو حسب لا يبتغي أخر بحاسل * اذا التف عند النائبات المحامل
بعيد مجال الفكر وحاب نحيزة * أرانك بقهر الغيب ما الدهر فاعل
طرحت بنى الايام لما عرفته * وما الناس عند البحث الا المخايل

فلوسامني مايورد النفس حتفها * لاوردتها والحب للنفس قاتل
فلا برحت من [illegible] تحيه * [illegible] قلوا على الفضل والافاضل
ولازال غض العمر ممتنع [illegible] * [illegible] الفنا تطوى اليه الرواحل

وعلى أن ليس من طبعى ان أقول الشعر الا الفوت أو ان تحصيل وسائله ولم تكن اذ ذاك دواع ترشد اليه را مالان الاستعداد الذى سلف التنبيه على ان لا بد منه لم يكن فى خليقة انطقنى [illegible] بابيات اجلت فيها صفته وهى هذه

[illegible] كأسيرى طبعا واعتلا شرفا * [illegible] حيث [illegible] الشمس والقمر
ونال ما نال عن [illegible] الرجال [illegible] * [illegible] الشخص [illegible]
بفضله كل أهل الارض [illegible] * [illegible] الخبر والخبر
لا يجهل الرتبة [illegible] * [illegible]
[illegible] وهو [illegible] * [illegible]
فما أخذت عليه شبه بادرة * ولا [illegible] منه يعتذر
أدامه الله [illegible] * [illegible] نبت الشجر

والى هنا ما اظن الا انك تحققت [illegible] شعر الا [illegible] من آثار الرقة للنفس ويشمل نواحيه من البراعة والمتانة [illegible] الالفاظ [illegible] ما هو أوفق بالادب أو الاليق بالمدح أو الاوقع فى الزجر أو الاجلب للعطف والرضى أو الادخل فى النصيحة أو الانسب بالغزل او الاهيج فى [illegible] الى غير ذلك من المقامات وبانحصار اغراضه فيما أمر بقصره عليه أبو نواس حيث يقول

الشعر ديوان العرب * أبدا وعنوان الادب
لم أعد فيه مفاخرى * ومديح آبائى النجب
ومقطعات ربما * حليت منهن الكتب
لا فى المديح ولا الهجاء * ولا المجون ولا اللعب

وتبعه المترجم فى [illegible]
[illegible]
[illegible] بالقوام
[illegible]

[illegible]

واهتف به من قبل تسريحه * فالسهم منسوب الى الرامي

ونبه بقوله واهتف به من قبل تسريحه على أنه لا ينبغي أن يكتفي الشاعر بالنظرة الاولى فللنفس خداع وربما تنبهت بعد أن غفلت واستقبحت ما استحسنت ولذلك يقول الاول

لا تعرضن على الرواة قصيدة * مالم تبالغ قبل في تهذيبها
فاذا عرضت الشعر غير مهذب * عدوه منك وساوسا تهذي بها

ويروى ان زهيرا أحد مشاهير شعراء الجاهلية كان يقول القصيدة في ستة أشهر ثم يرددها في نفسه ويكرر النظر فيها ستة أشهر ولذلك تسمى قصائده بالحوليات ولمكان صعوبة الشعر والنثر أشد منه في ذلك من جهة تخير الالفاظ وتلاؤمها وتناسب المعنى لتبين جودة السياق يقول الحطيئة

الشعر صعب وطويل سلمه * اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
هوت به الى الحضيض قدمه * والشعر لا يسطيعه من يظلمه
ولم يزل من حيث يأتي يخرمه * يريد ان يعربه فيعجمه
من يسم الاعداء يبق ميسمه *

من يظلمه أي يتكلفه ولا يأتي به في ابانه ويريد ان يعربه أي يأتي به عربيا بوضع الالفاظ في مواضعها اللائقة بها وسلامة التراكيب مما يبعد فهم المعنى منه وقوله من يسم الاعداء اشارة الى ان وضع الشيء في موضعه كما يعترف به ذوو الادراك اذا وقفوا عليه موجب لبقائه وارتباطات العنايات به واذ قد عرفت أن لا سبيل لمعرفة الصناعة الا بكثرة الحفظ ورعاية ما نبهناك على رعايته فقد آن ان نوردلك ما يكون مثالا ما ينبغي أن تحصله للحفظ وترديد النظر فيه من قصائد مشاهير الشعراء وينبغي بحسب نشأة الشعر وما عرض له من التغير أن تجعل الشعراء في ثلاث طبقات الطبقة الاولى للعرب جاهليين واسلاميين من المهلهل الى بشار بن برد والثانية للمحدثين الذين كانوا يحرصون على موافقة العرب ويجتهدون في سلوك طرائقهم من أبي نواس الى من قبل عبد الرحيم المعروف بالقاضي الفاضل والثالثة بالشعراء الذين غلب عليهم استعمال النكات والافراط في مراعاة البديع وهم من القاضي الفاضل الى هذا الوقت الطبقة الاولى قيل ان عديا الملقب بالمهلهل هو أول من أطال الشعر ورققه ولذلك لقب المهلهل من قولهم ثوب هلهل اذا لم يكن مداخل الخيوط بحيث يشف عما وراءه وانما كانت الشعراء قبله تقول قطعا تذكر

فيها الوقائع وتفخر ولكن اتفقت كلمة العلماء على ان اول من جود الشعر وأطال القصائد وجعلها مشتملة على أصناف من المعاني هو امرؤ القيس ومن ثم ورد فيه هو حامل لواء الشعراء الى النار وقال [illegible] حبيب ابن عبادة [illegible] الشعر علما وختم [illegible] يعني امرأ القيس اذ كان ابن ملك من ملوك العرب وطلب الملك بعد ابيه وكان يلقب بالملك الضليل وابو فراس الحمداني فامرؤ القيس ومن يذكر معه من اصحاب المعلقات وغيرهم هم أئمة الشعر الذين يقتدى بهم ويصنع على ما مثلوه اذ كان اهم المحة عندهم وكانت عبارتهم حكاية عن الواقع وصنعة للشاهد لم تكن الصنعة غالبة عليهم كما هي في المتأخرين منهم وان كان الشعر كيفما كان من الامور المصنوعة التي يتفاوت الناس في اتقانها ورعاية جهات حسنه لكن من حيث كان ذلك ابتداء لم يحتذوا فيه مثالا قبل نشأتهم [illegible] مطبوع والشعر المتأخرين انه مصنوع لكونهم احتذوا فيه الامثلة التي اخترعها المتقدمون ففي شعر امرئ القيس قصيدته التي وافقه في وزنها ورويها علقمة الفحل كما في المفاضلة بينهما وتقدم أحدهما الى أم جندب وهي امرأة من ذوات العقل والمعرفة كان تزوجها امرؤ القيس فحكمت لعلقمة عليه بأبياته الذي توصف فيها [illegible] وأحد [illegible] تجري الفرس فكان ذلك سببا لانطلاق امرؤ القيس وخلافه [illegible] وهي هذه

خليلي مرا بي على أم جندب * لنقضي لبانات الفؤاد المعذب

فانكما ان تنظراني ساعة * من الدهر تنفعني لدى أم جندب

ألم تر أني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

عقيلة اتراب لها لا دميمة * ولا ذات خلق ان تأملت جانب

ألا ليت شعري كيف حادث وصلها * وكيف تراعي وصلة المتغيب

أقامت على ما بيننا من مودة * اميمة ام صارت لقول المخبب

فان تنأ عنها حقبة لا تلاقها * فانك مما احدثت بالمجرب

وقالت متى يبخل عليك ويعتلل * يسؤك وان يكشف غرامك تدرب

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن * سوالك نقبا بين حزمي شعبعب

علون بانطاكية فوق عقمة * كجرمة نخل او كجنة يثرب

ولله عينا من رأى من تفرق * أشت وأنأى من فراق المحصب

فريقان منهم جازع بطن نخلة * وآخر منهم قاطع نجد كبكب

فعيناك

فعيناك غربا جدول فى مفاضة * كمر الخليج فى صفيح المصوب
وانك لم يفخر عليك كعاجز * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب
وانك لم تقطع لبانة عاشق * بمثل غدو او رواح مؤوب
بادماء حرجوج كان قتودها * على أبلق الكشحين ليس بمغرب
يغرد بالاسحار فى كل سدفة * تغرد مياح الندامى المطرب
اقب رباع من حمير عماية * يمج لعاع البقل فى كل مشرب
بمحنية قد آزر الضال نبتها * مجر جيوش غانمين وخيب
وقد أغتدى والطير فى وكناتها * وماء الندى يجرى على كل مذنب
بمنجرد قيد الاوابد لاحه * طراد الهوادى كل شأو ومغرب
على الاين جياش كان سراته * على الضمر والتعداء سرحة مرقب
يبارى الخنوف المستقل زماعه * ترى شخصه كانه عود مشجب
له أيطلا ظبى وساقا نعامة * وصهوة عير قائم فوق مرقب
ويخطو على صم صلاب كانها * حجارة غيل وارسات بطحلب
له كفل كالدعص لبده الندى * الى حارك مثل الغبيط المذأب
وعين كمرآة الصناع تديرها * بمحجرها من النصيف المنقب
له أذنان تعرف العتق فيهما * كسامعتى مذعورة وسط ربرب
ومستفلك الذفرى كان عنانه * ومثناته فى رأس جذع مشذب
واسحم ريان العسيب كانه * عثا كيل قنو من سميحة مرطب
اذا ما جرى شأوين وابتل عطفه * تقول هزيز الريح مرت بأثأب
يدير قطاة كالمحالة أشرفت * الى سند مثل الغبيط المذأب
فيوما على سرب نقى جلوده * ويوما على بيدانة أم تولب
فبينا نعاج يرتعين خميلة * كمشى العذارى فى الملاء المهدب
فكان تنادينا وعقد عذاره * وقال صحابى قد شأونك فاطلب
فلأيا بلأى ما حملنا غلامنا * على ظهر محبوك السراة محنب
وولى كشؤبوب العشى بوابل * ويخرجن من جعد ثراه منصب
فللساق ألهوب وللسوط درة * وللزجر منه وقع أهوج منعب

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه * يمر كخذروف الوليد المثقب
ترى الفار في مستنقع القاع لاحبا * على جدد الصحراء من شد ملهب
خفاهن من انفاقهن كأنما * خفاهن ودق من عشي مجلب
فعادى عداء بين ثور ونعجة * وبين شبوب كالقضيمة قرهب
وظل لثيران الصريم غماغم * يداعسها بالسمهري المعلب
فكان عليها حر الجبين ومتق * بمدرية كأنها ذلق مشعب
وقلت لفتيان كرام ألا انزلوا * فعالوا علينا فضل ثوب مطنب
وأوتاده مارية وعماده * ردينية فيها أسنة قعضب
واطنابه اشطان خوص نجائب * وصهوته من اتحمي مشرعب
فلما دخلناه اضفنا ظهورنا * الى كل حاري جديد مشطب
كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب
نمش بأعراف الجياد أكفنا * اذا نحن قمنا عن شواء مضهب
ورحنا كأنا من جواثى عشية * نعالي النعاج بين عدل ومحقب
وراح كتيس الربل ينفض رأسه * أذاة به من صائك متحلب
كأن دماء الهاديات بنحره * عصارة حناء بشيب مخضب
وأنت اذا استدبرته سد فرجه * بضاف فويق الارض ليس باصهب

وهذا الشعر محتاج الى الشرح والضبط لتحصل الفائدة بحفظه فنقول قوله خليلي البيت اللبانات جمع لبانة بضم اللام ما يتشهاه الانسان بعد الحوائج الاصلية وقوله ألم تر اني يتعلق به حكاية تعرف منها المفاضلة بين الشاعرين وهي ان كثير عزة لما قال

فما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من اردان عزة موهنا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

جاءته عجوز ومعها روثة عليها نار فيها عود هندي وقالت له لم تزد في صفة عزة على هذه ألا قلت كما قال امرؤ القيس

ألم تر أني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

وصفها بان طيبها من ذاتها وكثير جعل طيبها من غيرها وكل شيء يطيب بالطيب تطيب رائحته والفضل للطيب لا للشيء وقوله عقيلة اتراب البيت العقيلة الكريمة عقلها أهلها

ومنعوها

ومنعوها من التبذل لجالها والاتراب جمع ترب وهو المساوى فى العمر مأخوذ من التراب لانهما لعبا من تراب واحد واللدة مثله لانهما ولدا معا والجانب المتجنب المحقور والغليظ القصير وقوله أقامت تفصيل لقوله وكيف تراعى وصلة المتغيب يقول هل بقيت على ماتعهد أو تغيرت بتغيير المعهد وهو المخبب من التخبيب وهو افساد عبد الرجل عليه أو امرأته وقوله فان تنأ البيت رجوع منه الى معر وفه من أخلاقها بعد استفهام التجاهل فهو يقول فان تغب عنا مدة فانه لا يخفى عليك أمرها ولا ماتصير اليه فانت منه بموضع التجريب فالمجرب اسم مكان فى زنة اسم المفعول كما هو شأنه من غير الثلاثى و بين تجنبها وتحشين القول له المنبئ عن التغير فى قوله وقالت متى يبخل عليك البيت وتدرب من الدربة وهى العادة درب فى الامر اعتاده ومرن عليه فهى تقول له انك طموع لا تقف عند حد وقوله تبصر خليلى البيت الظعينة الجمل عليه المسافرة وهى ظعينة أيضا والنقب الطريق فى الجبل والحزم بالميم أغلظ من الحزن بالنون وكلاهما بفتح فسكون الامكنة الوعرة وشعبعب بالعين و بالغين مكان من أرض بنى تميم وقوله علون بانطاكية يصف هيئة الرحال على الابل و يذكر انها من نفائس الثياب تنويها بعظم أهلها وانهم من اهل الثروة وانطاكية من بلاد الشام تنسب اليها ثياب تصنع بها والعقمة بكسر فسكون الوشى وشبه الابل بما عليها من الملونات بمزرعة نخل وهى الجربة بكسر فسكون واضرب عن التشبيه بمكان غير معين الى مكان معين لظهوره واستقراره فى خيال السامع و يثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بلد نخل وهنالك بلد نخل أيضا يقال لها يترب بفتح الياء والراء بينهما تاء وهى المذكورة فى قوله مواعيد عرقوب أخاه بيترب وقوله فلله عينا البيت ومابعده يصف بهما اجتماع الحاج وملتقى الاحبة وافتراقهم ويبدى أسفه فى ذلك والمحصب من أمكنة تلك الناحية وجزع الارض وقطعها معناهما واحد و بطن نخلة ونجد كبكب مكانان الى جهتين مختلفتين وقوله فعيناك صفة لبكائه على أثر الظاعنين والغرب الدلو العظيمة والمفاضة موضع افاضة الماء واسالته أى تهمل دموعه كرّ الخليج والصفيح المجارة والصوب المال وهنالك تكون سرعة جرى الماء وقوله وانك لم يفخر لما افخرت عليه بانها تكشف غرامه وفرعته بالصمع وترك الوقوف عند حد وهو لا يقدر على الاجابة لمكان الحب الموجب لتسليم كل مايقوله المحبوب تذكر أنه ربما يفخر على الانسان

مهين عاجز ضعيف ولا يجيد الشعر بل أن يجيبه ويرد عليه حتى يخيل أنه مغلوب فتشتد حزازة صدره ولسانه لا ينطلق فرمى بكلام هو أكبر من الغزل ولذلك يتمثل به للتروح عند حصول مثل ذلك وقوله وانك لم تقطع لبانة البيت انتقال منه لذكر الحيلة في السلو وكسر سورة العشق فادعى ان السفر والذهاب في البلاد يكون سببا لذلك وشرط في السفر الابعاد ولذلك أوجب ان تكون راحلته على ما وصف من الشدة والصلابة حتى تساعده على ما اراد والغدو الذهاب أول النهار والرواح الذهاب في آخره والتأويب السير نهارا والادلاج السير ليلا والحرجوج كعصفور الصلبة والقتد بفتحتين عدة الراحلة والابلق ذو اللونين والمغرب على زنة اسم المفعول الابيض كله والاذب الضامر ورباع منقوص اذا نصبته أظهرت الياء فقلت ركبت رباعيا وهو الذي أسقط رباعيته وزنة الكلمة ثمانية وثمانية من حمير عماية جبل بناحية نجد تعرف حميره بالشدة واللماع كغراب نبت ناعم في أول ما يبدو والمحنية ما انعطف من الوادي وهو أخصبه ولذلك قال ان نبته علا وكان كالشعير المسمى بالضال ووصفه بكونه موفرا لم ينزله الناس حتى يرعوا نباته فهو على جانب بحيث يمر عليه الناس مرورا وبين ذلك في قوله من جيوش غانمين وخيب أي جيوش خيب فالغانم فرح بالقفول الى أهله فهو لا يعرج على مكان والخائب ساع ليغنم واذا كان حال الموضع ذلك وجدت الحمير مرعى رغدا فنمت أجسامها وتزايدت قواها وقوله قد أغتدي البيت هو وقت الخروج الى الصيد وله كانت شباب العرب المترفون يستعملون الخيل ويذكرون ذلك في عداد ملاذهم والمذنب كمنبر مسيل الماء الى الارض كالمزرعة والبستان وقوله بمنجرد المنجرد قصير الشعر وذلك محمود في الخيل وقيد الاوابد وهي الوحش جمع آبدة استعارة معدودة من حسنات امرئ القيس ولا حد غيره من السبق الى الظهور والطراد الاتباع والهوادي السوابق جمع هادية كأنها دليلة ما وراءها وفي قوله طراد الهوادي ابانة لحسن طلبه وانه فات الوحش وأتاه من قبل وجهه فمنعها السلوك الى وجهتها والشأو الطلق يجري به الفرس الى غاية ما قربت أو بعدت ولذلك قيد بالمغرب وهو البعيد وقوله على الذبل البيت الآل التعب والجيشان غليان القدر وفي الفرس هيجانه نشاطا ونزوة وسراة كل شئ أعلاه حتى في الناس قال قيس

رعرته من سروات النسا * ء تنفح بالمسك اردانها

والسرحة واحدة السرح الشجر لا شوك فيه ويقابله العسه للشجر الشائك والمرقب الموضع المرتفع

الموضع يرقب منه وكانوا يرقبون فى الشجر العالى الكثير الفروع ولهذه الصفة قيد السرحة ليظهر الفرس فى صورة عظمه التى يحاول نعتها وقوله يبارى المباراة المسابقة وأصله ان من يبرى القوس يغالب آخر فى عجلة العمل والخنوف اللين القوائم بحيث يرمى بها فى العدو رميا يريد ثورا وحشيا وهو معروف بشدة العدو والزماع جمع زمعة بفتحتين شعر يكون فى اسفل الارجل واستقلاله ارتفاعه فانه اذا طال عطل عن شدة الجرى وعود المشجب خشب ينصبه القصار ينشر عليه الثياب والمشجب بزنة منبر وقوله له أيطلا ظبى البيت الايطل الجانب والصهوة موضع الراكب من الفرس وقصر فى هذا البيت عن بيت المعلقة حيث أتى فى ذلك باربعة تشبيهات وبيت المعلقه

له أيطلا ظبى وساقا نعامة * وأرخاء سرحان وتقريب تتفل

وتتفل بزنة تنصر وأتى هنا بثلاثة تشبيهات كلها فى الجسم وقوله ويخطو البيت الحافر الاصم الذى لا خلو فيه ومنه الصخرة الصماء والغيل بفتح فسكون الماء يجرى على وجه الارض والوارسات جمع وارسة أى ذات ورس وهو بفتح فسكون نبت أصفر يصبغ به كالزعفران والحجارة اذا تلونت بهذا اللون كانت قدمت و بلغت الغاية فى الصلابة وقوله له كفل البيت الدعص بكسر فسكون اكمة صغيرة من الرمل تشبه بها الاكفال واستعملت فى غزل العرب وقلدهم غيرهم والحارك طرف الورك المشرف من أعلاه والغبيط قتب الهودج والمذأب الذى له أطراف بارزة مشرفة وقوله وعين البيت الصناع للانثى وللذكر صنع بفتحتين من الصنعة للحاذق والحاذقة فيهما ومرآة الصناع مشوفة مجلوة ليس عليها صدأ ولا غبار كما تكون مرآة الخرقاء والمحجر بفتح الميم وكسر الجيم فى لغة وفى أخرى بزنة منبر وفى تفسيره خلاف أهو ما بان من اسفل العين أو البياض المحيط بالسواد والنصيف الخمار وقوله له اذنان البيت العتق كرم الاصل والنجابة وآذان أصلاء الخيل صغار منتصبات تشبه بالآلة أى الحربة وبورق الآس وبرية القلم والربرب جماعة الظباء والمذعورة تنصب اذنيها وترفع رأسها والعتق بكسر فسكون وقوله ومستفلك الذفرى البيت أى ذفراه وهو العظم خلف الاذن مستديرة كفلكة المغزل والمثناة عذار الفرس والمشذب المجرد عن الاشياء النابتة عليه وقوله واسحم البيت الاسحمة السواد يصف ذنبه والعسيب منبت شعره والعثاكيل جمع عثكول شمارخ البلح والقنو مجموعها وسميحة ناحية بها نخل ولعله له خصوصية حتى قيد به

وقيد بالمرطب لسواد الذنب فيتم التشبيه وقوله اذاماجرى البيت أثاب شجر ال
فيه خفيف وهو بفتح الهمزتين وقوله يدير قطاة البيت القطاة مقعد الرد
والمحالة بكرة البئر والسند هنا أراد به الحارك أعاد وصفه وقوله فيوما على سرب البي
السرب بكسر فسكون القطيع من البقر والجماعة من الطير والبيدانة أم التو
الأتان أم الجحش والتولب بسكون بين فتحتين وقوله فلأيا بلأي اللأي الب
والمجنب من التجنيب وهو احديداب في وظيفي الفرس وصلبها أو المجنب من التجنيد
وهو بعد ما بين الرجلين بلا فجج وقوله وولى كشؤبوب العشى البيت شؤبوب العش
الدفعة من المطر ويقال وبل أى انهمل ووصف البقر بشدة العدو حتى انها تثير التراب
الندى المتلبد ولا يثير ذلك الاقوة الركض بالاظلاف والمنصب المرتفع كالخباء وقو
فالساق البيت قسم العدو باقسامه والاهوج المنعب الطائر الذى اعتاد النعيب أ
التصويت وهو بزنة منبر ويروى أخرج مذهب وهو من صفة النعام وقوله ترى الف
البيت ومابعده يقول انه يخرج الفيران الى اليفاع فتكون ظاهرة وهو معنى لاحد
وخدها هن أظهرهن والانفاق جمع نفق شقوقها والودق المطر والمجلب اسم فاعل أ
ذو جلبات وأصوات وحاصله ان الفيران تظنه عند من مطر اتخرج من مطمئ
الارض الى مرتفعها تطلب السلامة منه وقوله فعادى البيت عادى بين الشيئين وال
بينهما والشبوب الفتى والقضمة الصحيفة البيضاء وثيران الوحش بيض والقرهب
هنا بسكون بين فتحتين البسدين قوله وظل لثيران المداعسة والالة الطعن والسمهرى
من ألقاب الرمح والمعلب اسم مفعول من علب الرمح اذا لف عليه سيرا متخذا من
علباء البعير وهو عصب عنقه تقوية له أن لا ينشق وقوله فكاب على حر الجبين البيت
كباسقط لوجهه والمدرية أراد بها هنا القرن والزاق الطرف والمشعب ما يشعب به
الجلد المشقوق وقوله وقلت لفتيان البيت فعالوا أى فنزلوا فنصبوا الناحباء وقوله
وأوتاده ومابعده يذكر ان ذلك الخباء قام من ثيابهم وسلاحهم وكذلك يفعلون
اذا كانوا فى الصيد والماذية الدرع البيضاء أو اللينة وردينية من ألقاب الرماح وقعضب
اسم رجل كان يركب أسنة الرماح والاشطان جمع شطن الحبال والخوص جمع خوصاء
غائرة العين وسموة الخباء أعلاه والاتحمى المشرعب نوع من الثياب الفاخرة فيه
تماثيل الشرعب بسكون بين فتحتين لنبات ويقال ثوب مطير ومخيل ومرحل اذا رسم

فيه

فيه تماثيل تلك الاشياء وقوله فلما دخلناه البيت أضاف ظهره أى أسنده والحاري المنسوب الى الحيرة ويقال حيرى على القياس وأراد به الرحل المصنوع بها والمشطب الذى فيه الشطب جمع شطبة بضم أو كسر فسكون للخطوط والطرائق وتذكر فى صفة السيف لما فيه من الخطوط وقوله كأن عيون الوحش البيت الجزع نوع من خرز اليمن فيه خطوط قيل ان عيون البقر وهى حية ترى سوداء لا يظهر فيها البياض فاذا ماتت ظهر وقوله نمش باعراف الجياد البيت مش الكف مسحها من أثر الطعام والمشوش بفتح الميم ما يمسح به كالمنديل والمضهب الذى أعجل ان ينضج يحكى ان عبد الملك سأل جلساءه يوما عن أفضل مناديل العرب فكل ذكر مناديل ناحية من نواحى الارض ونعتها فلما فرغوا قال عبد الملك لم تصيبوا ألم تسمعوا القول الشاعر وفى الابيات بيان المعنى الذى قصده امرؤ القيس

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية * وفار بالقوم للقوم المراجيل

وردوا اشقر مايونيه طابخه * ماغير الغلى منه فهو مأكول

ثمت قمنا الى جرد مسومة * اعرافهن لايدينا مناديل

وقوله ورحنا البيت جواثى كحبارى قرية يحمل منها التمر وتعالى ترفع رفع الحمل وجعل الحمل بين عدل وهو الموضوع على ظهر الحاملة وجانبيها والمحقب الموضوع على مؤخرها وقوله وراح كتيس الربل البيت الربل نبت يظهر فى آخر الصيف ينبت على برد الليل لا يحتاج للماء وهو بفتح فسكون والتيس اذا رعاه بعدما رعى نبات الصيف يكون فى أوفر قوته وأذاه به أى من أذية فيه ينفضه وانما يتأذى من العرق المتغير وهو الصائك المنصاب المتصبب وهذه قصيدة علقمة

ذهبت من الهجران فى غير مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

ليالى لاتبلى نصيحة بيننا * ليالى حلوا بالستار فغرب

أى أذكرى ليالى لا تفنى نصيحة بيننا لخلوصها يعنى ليالى التصافى بحثها على بقاء الوفاء

مبتلة كان انضاء حليها * على شادن من صاحة متربب

محال كاجواز الجراد ولؤلؤ * من القلقى والكبيس الملوب

المبتلة التى انفردت بالحسن فهى تذكر وحدها فى النعت والصفة وشبهها بالغزال المترعرع من غزلان ذلك المكان المتربب أى المربى المعتنى به وانضاء الحلى منظومه

وفصله بقوله محال بفتح الميم لنوع من الحلى وكذا القلق والملوب الملوى كالسوار

اذا الحم الواشون للشر بيننا * تبلغ رمس الحب غير المكذب

هو تفسير وبيان لقوله لاتبلى نصيحة بيننا أى اذا اجتهد الوشاة أن يبلغوا مآربهم تأكد الحب المرموس أى المكتوم فهو من اضافة الصفة

وما أنت أم ماذكرها ربعية * تحل باير أو بأكناف شربب

عاتب نفسه فقال ما شأنك وما شأن ذكرها ربعية من ربيعة واير بكسر الهمز وشربب موضعان

اطعت الوشاة والمشاة بصرمها * فقد انهجت حبالها للتقضب

وقد وعدتك موعدا لو وفت به * كموعود عرقوب أخاه بيترب

وقالت متى يبخل عليك ويعتلل * بسوك وان يكشف غرامك تدرب

فقلت لها فيئى فما تستفزنى * ذوات العيون والبنان المخضب

ففاءت كما فاءت من الأدم مغزل * بيبشة ترعى فى أراك وحلب

تحاشن فى هذه الابيات وذكر أنه جازاها بعملها فاعرض كما أعرضت وأجابها على مثل ما ابتدأت

فعشنا بها من الشباب ملاوة * فانجح آيات الرسول المخبب

النفث للاخبار عما كان بينه وبينها مدة الشباب والملاوة المدة

فانك لم تقطع لبانة عاشق * بمثل بكور اورواح مؤوب

بمجفرة الجنبين حرف شملة * كهمك مرقال على الأين ذعلب

كهمك أى وفق غرضك والذعلب بكسر فسكون الصلبة

اذا ما ضربت الدف أو صلت صولة * ترقب منى غير أدنى ترقب

الدف الجانب وترقب أى تلاحظ خوفا ورعيا ترقبا شديدا ليس بالضعيف وهو قوله غير أدنى وجعل ذى الرمة أحسن من ناقته هذه وأقره فانه لم يضربه ولم يصل عليه حيث يقول وأحسن ما شاء

يكاد من التصدير ينسل كلما * ترنم أو مس العمامة راكبه

بعينين كمرآة الصناع تديرها * لمحجرها من النصيف المنقب

كان هاديها اذا غدت * عشا كرها قنو من مصيفة مرطب

تذب به طورا وطورا تمره * كذب البشير بالرداء المهدب

يصف الذنب والحاذان مواقعه من أدبار الفخذين

وقد أغتدى والطير فى وكناتها * وماء الندى يجرى على كل مذنب

بمنجرد قيد الاوابد لاحه * طراد الهوادى كل شأو ومغرب

كميت كلون الارجوان نشرته * لبيع الرداء فى الصوان المكعب

ممركب قد الاندرى يزينه * مع العتق خلق مفعم غير جانب

له حرتان تعرف العتق فيهما * كسامعتى مذعورة وسط ربرب

وجوف هواء تحت متن كأنه * من الهضبة الخلقاء زحلوق ملعب

الخلقاء الملساء

قطاة ككردوس المحالة اشرفت * الى سند مثل الغبيط المذأب

وسمر يفلق الظراب كأنها * حجارة غيل وارسات بطحلب

اذا ما اقتنصنا لم نخاتل بجنة * ولكن ننادى من بعيد ألا اركب

أخا ثقة لا يلعن الحى شخصه * صبورا على العلات غير مسبب

اذا انفدوا زادا فان عنانه * واكرعه مستعملا خير مكسب

يصف ثقته بالفرس وانهم لا يخاتلون الصيد أى لا يحتالون عليه لعلمهم أنه يدركه بشده وجعله أخا ثقة يستبشر به الناس ولا يسبونه لمينه وبركته وأنه فى جميع الاحوال صابر وأوضح ذلك بذكر أنه خير مكسب أى كاسب برنة منبر اذا استعملوه وصرفوه بعنانه فعملت أرجله عملها ونسب الكسب الى العنان والقوائم التى عبر عنها بالاكرع

رأينا شياها يرتعين خميلة * كمشى العذارى فى الملاء المهذب

فبينا تماريننا وعقد عذاره * خرجن علينا كالجمان المثقب

أراد أن يقول المنظم لكونها متتابعة متواصلة تشبه العقد ولم يتمكن فعبر بالمثقب اللازم لامكان النظم وهذا الذى يسميه أهل البديع الطاعة والعصيان

فاتبع آثار الشياه بصادق * حثيث كغيث الرائح المتحلب

فادرك منها ثانيا من عنانه * يمر كمر الرائح المتصلب

ترى الفأر فى مستيفع القاع لاحبا * على جدد الصحراء من شد ملهب

خفاهن من انفاقهن كأنما * خفاه شؤبوب غيث منقب

فظل لثيران الصريم غماغم * يداعسهن بالنضي المعلب
فهاو على حر الجبين ومتق * بمدرية كأنها ذلق مشعب
وعادى عداء بين ثور ونعجة * وبين شبوب كالقضيمة قرهب
فقلنا ألا قد كان صيد لقانص * فخبوا علينا فضل برد مطنب
كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب
ورحنا كأنا من جواثى عشية * نعالى النعاج بين عدل ومحقب
وراح كشاة الرمل ينفض رأسه * اذاة به من صائك متحلب
وراح يبارى فى الجناب قلوصنا * عزيزا علينا كالحباب المسيب

فانظر كيف تناول هذان الشاعران تلك المعانى متناولا واحدا لا تفاوت بينهما الا فى اليسير كما يدركه بتدقيق النظر والتلبث فى المقارنة بين شعريهما وتبين ذلك بما تواردا عليه من الابيات الكاملة وتأمل ذلك نافع ان شاء الله تعالى ومن جيد شعر هذه الطبقة مرثية كعب بن سعد الغنوى التى رثى بها أخاه وهى

تقول ابنة العبسى قد شبت بعدنا * وكل امرئ بعد الشباب يشيب
وما الشيب الا غائب كان جائيا * وما القول الا مخطئ ومصيب
تقول سليمى ما لجسمك شاحبا * كأنك يحميك الشراب طبيب
فقلت ولم أعى الجواب ولم ألح * وللدهر فى الصم الصلاب نصيب
تتابع أحداث تخرمن اخوتى * فشيبن رأسى والخطوب تشيب
لعمرى لئن كانت اصابت منية * أخى والمنايا للرجال شعوب
لقد كان أما حلمه فمروح * عليه وأما جهله فعزيب
أخى ما أخى لا فاحش عند بيته * ولا ورع عند اللقاء هيوب
أخى كان يكفينى وكان يعيننى * على نائبات الدهر حين تنوب
حليم اذا ما سورة الجهل أطلقت * حبى الشيب للنفس اللجوج غلوب
هو العسل الماذى حلما ونائلا * وليث اذا يلقى العداة غضوب
هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا * وماذا يؤدى الليل حين يؤوب
هوت أمه ماذا تضمن قبره * من المجد والمعروف حين ينوب
أخو شتوات يعلم الضيف أنه * سيكثر ما فى قدره ويطيب

حبيب الى الزوار غشيان بيته * جميل المحيا شب وهو أديب
وكان بيوت الحي مالم يكن بها * بسابس قفرا ما بهن عريب
كعالية الرمح الرديني لم يكن * اذا ابتدر الخير الرجال يخيب
اذا قصرت أيدي الرجال عن العلا * تناول أقصى المكرمات شبيب
جموع خلال الخير من كل جانب * اذا حل مكروه بهن ذهوب
مفيد ملقى الفائدات معاود * لفعل الندى والمكرمات كسوب
وداع دعا يامن يجيب الى الندى * فلم يستجبه عند النداء مجيب
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت ثانيا * لعل أبي المغوار منك قريب
يجبك بما قد كان يفعل انه * بامثالها رحب الذراع أريب
اتاك سريعا واستجاب الى الندى * كذلك قبل اليوم كان يجيب
كان لم يكن يدعو السوابح مرة * بذي لجب تحت الرماح مهيب
فتى أريحي كان يهتز للندى * كما اهتز من ماء الحديد قضيب
فتى ما يبالي ان يكون بجسمه * اذا نال خلات الكرام شحوب
اذا ماتراآه الرجال تحفظوا * فلم تنطق العوراء وهو قريب
على خير ما كان الرجال رزئته * وما الخير الا طعمة ونصيب
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه * سريعا ويدعوه الندى فيجيب
غياث لعان لم يجد من يعينه * ومختبط يغشى الدخان غريب
عظيم رماد النار رحب فناؤه * الى سند لم يحتجبه غيوب
يبيت الندى ياام عمرو ضجيعه * اذا لم يكن في المنقيات حلوب
حليم اذا ما الحلم زين أهله * مع الحلم في عين العدو مهيب
معنى اذا عادى الرجال عداوة * بعيد اذا عادى الرجال قريب
غنينا بخير حقبة ثم جلحت * علينا التي كل الانام تصيب
فابقت قليلا ذاهبا وتجهزت * لآخر والراجي الحياة كذوب
وأعلم أن النأى في الحي منهم * الى أجل اقصى مداه قريب
لقد افسد الموت الحياة وقد أتى * على يومه علق علي حبيب
فان تكن الايام أحسن مرة * الي فقد عادت لهن ذنوب
جمعن النوى حتى اذا اجتمع الهوى * بعدن عن المصاحبي القداة شعوب

أبى دون حلو العيش حتى أمره * نكوب على آثارهن نكوب
كأن أبا المغوار لم يوف مرقبا * اذا ربأ القوم الغزاة رقيب
ولم يدع فتيانا كراما لميسر * اذا اشتد من ريح الصباه هبوب
فان غاب منهم غائب أو تخاذلوا * كفى ذاك منهم والجناب خصيب
كأن أبا المغوار ذا المجد لم يجب * به البيد عنس بالفلاة خبوب
فلاة ترى فيها اذا حط رحلها * ندوبا على آثارهن ندوب
وانى لباكيه وانى لصادق * عليه وبعض القائلين كذوب
فتى الحرب ان حاربت كان سمامها * وفى السفر مفضال اليدين وهوب
وحدثتمانى انما الموت فى القرى * فكيف وهذى روضة وقليب
وماء سماء كان غير مجمة * بدوية تجرى عليه جنوب
ومنزله فى دار صدق وغبطة * وما اقتال من حكم عليه طبيب
فلو كانت الدنيا تباع اشتريته * بما لم تكن عنه النفوس تطيب
بعينى أو يمنى يدى وقيل لى * هو الغانم الجذلان يوم يؤوب
لعمركما ان البعيد لماضى * وان الذى يأتى غدا لقريب
وانى وتأميلى لقاء مؤمل * وقد شعبته عن لقاى شعوب
كداعى هديل لا يزال مكلفا * ولاته حتى الممات مجيب
سقى كل ذى كرجاء نامن مؤمل * على النأى رجاف السحاب سكوب

ان كنت معتبرا من كلام صحة معنى وتخير لفظ وجودة تركيب ومتانة سياق وحسن استعارة ولطف اشارة وغرابة نادرة فلتكن هذه القصيدة مثالك الذى تحتذيه فما كان من شعر مدانيا لها فذلك ما تحكم عليه بنهاية الجودة والا فهو نازل بقدر بعده عن مرتبتها من البلاغة ومن الجيد شعر عمير بن شييم التغلبى المشهور بالقطامى من شعراء بنى أمية أيام عبد الملك وما بعده وأسلم عن نصرانية تغلب وهو أول من لقب صريع الغوانى بقوله

صريع غوان راقهن ورقنه * لدن شب حتى شاب سود الذوائب

وبهذا اللقب لقب مسلم بن الوليد بعد كما سيأتى وروى عن الامام عامر الشعبى أنه قال قال عبد الملك وأنا أسامره لا تشغل يا أبا مالك أعجب أن لك بشعر لك شعر شاعر من العرب قال اللهم لا الاشاعرا شاعر فتى القناع شامل الذكر حديث السن أن يكن فى أحد خير فسيكون

قد يكون فيه ولوددت انى سبقته الى قوله

يقتلننا بحديث ليس يعلمه * من يتقين ولا مكنونه بادى

فهن ينبذن من قول يصبن به * مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

ومن مختار شعره هذه القصيدة

انا محيوك فاسلم أيها الطلل * وان بليت وان طالت بك الطيل

أنى اهتديت لتسليم على دمن * بالغمر غيرهن الاعصر الاول

صافت تعج اعناق السيول بها * من باكر سبط أو رائح يبل

فهن كالخلل الموشى ظاهرها * أو كالكتاب الذى قد مسه البلل

كانت منازل منا قد نحل بها * حتى تغير دهر خائن خبل

ليس الجديد به تبقى بشاشته * الا قليلا ولا ذو خلة يصل

والعيش لا عيش الا ما تقربه * عين ولا حالة الا ستنتقل

والناس من يلق خيرا قائلون له * ما يشتهى ولام المخطئ الهبل

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

سمع اعرابى منشدا ينشد هذا البيت فقال قد ثبط هذا الناس هلا قال على أثره

ور بما ضر بعض الناس بطؤهم * وكان خيرا لهم لو انهم عجلوا

وأصل هذا المعنى فى الحديث الشريف من تأنى اصاب أو كاد ومن استعجل اخطأ أو كاد

رجع

أضحت علية يهتاج الفؤاد لها * وللرواسم فيما دونها عمل

بكل مخترق يجرى السراب به * يمسى وراكبه من خوفه وجل

ينضى الهجان التى كانت تكون بها * عرضية وهباب حين ترتحل

حتى ترى الحرة الوجناء لاغبة * والارحبى الذى فى خطوه خطل

خوصا تدير عيونا ماؤها سرب * على الخدود اذا ما اغرورق المقل

لواغب الطرف منقو با محاجرها * كانها قلب عادية مكل

قليب مكول غاض ماؤه

ترى التفاج لها الركبان معترضا * اعناق بزلها مرخى لها الجدل

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة * ولا الصدور على الاعجاز تتكل

فهن معترضات والحصى رمض * والريح ساكنة والظل معتدل

يتبعن سامية العينين تحسبها * مجنونة أو ترى ما لا ترى الابل

لما وردن نبيا واستتب بنا * مسحنفر كخطوط السيح منسحل

على مكان غشاش لا ينيخ به * الا مغيرنا والمستقى العجل

غشاش بكسر أوله عجلة أى على مكان مخوف يطلب النجاة منه وكانوا فى السفر يغيرون اجمال الابل يرون فى ذلك بعض راحة لها

ثم استمر بها الحادى وجنبها * بطن التى نبتها الحوذان والنفل

حتى وردن ركيات الغوير وقد * كاد الملاء من الكتان يشتعل

وقد تعرجت لما أركت أركا * ذات الشمال وعن ايماننا الرجل

اركت أكلت الاراك بوزن سحاب وجمعه ارك ككتب والرجل بزنة عنب جمع رجلة بكسر فسكون مسيل الماء من الحرة الى السهل

على مناد دعانا دعوة كشفت * عنا النعاس وفى اعناقنا ميل

سمعتها ورعان الطود معرضة * من دونها وكثيب الغيبة السهل

أراد بالمنادى الشوق شبهه داعيا يسمعه والغيبة بفتح فسكون واحد الغيب للطمأن من الارض

فقلت للركب لما أن علا بهم * من عن يمين الحبيا نظرة قبل

ألمحة من سنا برق رأى بصرى * أم وجه عالية اختالت به الكلل

تهدى لنا كلما كانت علاوتنا * ريح الخزامى جرى فيها الندى الخضل

علاوتنا أى فى علاوتنا وهى المكان المرتفع

وقد أبيت اذا ما شئت بات معى * على الفراش الضجيع الاغيد الرتل

وقد تباكر فى الصهباء ترفعها * الى لينة أطرافها ثمل

أقول للحرف لما أن شكت اصلا * مس الشفار وأفنى نيها الرحل

المت المدوالى لشعم

ان ترجى من أبى عثمان منجية * فقد يهون على المستنجح العمل

أهل المدينة لا يحزنك شأنهم * اذا تخطأ عبد الواحد الاجل

أما قريش فلن تلقاهم أبدا * الا وهم خير من يحفى وينتعل

الا وهم جبل الله الذى قصرت * عنه الجبال فما ساوى به جبل

قوم هم ثبتوا الاسلام وامتنعوا * قوم الرسول الذى ما بعده رسل

ن

من صالحوه رأى في عيشه سعة * ولا ترى من أرادوا ضره يشل
كم نالني منهم فضل على عدم * اذ لا أكاد من الاقتار أحتمل
وكم من الدهر ما قد ثبتوا قدمي * اذ لا أزال مع الاعداء انتضل
فلا هم صالحوا من يبتغي عنتي * ولا هم كدروا الخير الذي فعلوا
هم الملوك وأبناء الملوك لهم * والآخذون به والساسة الاول

هذه القصيدة والتي قبلها من تسع وأربعين قصيدة كل سبع منها مسماة باسم انتخبتها العرب وسمتها به وجميعها في كتاب الجمهرة وهو موجود بدار الكتب الكبيرة المصونة فمن أرادها فليطلبها هنالك ومن الجيد أيضا شعر جرير واليه والى الفرزدق والاخطل انتهت الشهرة في أيام بني أمية حتى كثر اختلاف العلماء في المفاضلة بينهم واحتجاجهم لذلك فمن شعر جرير قوله وهو نهاية في الرقة والسلاسة وكان الفرزدق يقول اذا سمع لجرير مثل هذا ما أحوجه الى خشونة شعري على عفته وأحوجني الى رقة شعره على فجوري فان المغازلة لم تكن من شان جرير كما كان الفرزدق هذه القصيدة

ما للمنازل لا يجبن حزينا * اصممن أم قدم المدى فبلينا
قفر اتقادم عهدهن على البلا * فلبثن في عدد الشهور رسنينا
وترى العوازل يبتدرن ملامتي * واذا أردن سوى هواي عصينا
بكر العوازل بالملامة بعدما * قطع الخليط بساجرليبينا
امسين اذبان الشباب صوادفا * ليت الليالي قبل ذاك فنينا
ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك مايزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لي * ماذا لقيت من الهوى ولقينا
ولقد تسقطني الوشاة فصادفوا * حصرا بسرك يا أميم ضنينا
كانت حاجتها أكاف ضمرا * مثل القسي من السراء برينا
راحوا العشية روحة مذكورة * ان حرن حرنا أو هدين هدينا
درموا بهن سواهما عرض الفلا * ان متن متنا أو حيين حيينا
عيس تكلف كل أغبر نازح * تطوى تنائف بالملاوحزونا
حتى بلين من الوجيف وردها * بعد المفاوز كالقسي حنينا
ولد الاخيطل نسوة من تغلب * هن الخبائث بالخبيث غدينا
ان الذي حرم المكارم تغلبا * جعل النبوة والخلافة فينا

هل تملكون من المشاعر مشعرا * أو تشهدون مع الأذان أذينا
مضر أبي وأب الملوك فهل لكم * يا خزر تغلب من أب كأبينا
هذا ابن عمي في دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الي قطينا

ومن شعر الفرزدق وقد قالت العلماء ان الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغترف من بحر

سلوت عن الدهر الذي كان معجبا * ومثل الذي قد كان من دهرنا يسلي
وايقنت اني لامحالة ميت * فتبع آثار من قد خلا قبلي
وأني الذي لابدان سيصيبه * حمام المنايا من وفاة ومن قتل
فما أنا بالباقي ولا الدهر فاعلم * براض بما قد كان اذهب من عقلي
ولا منصفي يوما فأدرك عنده * مظالمه عندي ولا تاركا أكلي
واين اخلائي الذين عهدتهم * وكلهم قد كان في غبطة مثلي
دعتهم مقادير فاصبحت بعدهم * بقية دهر ليس يسبق بالذحل
بلوت من الدهر الذي فيه واعظ * وجازيت بالنعمى وطالبت بالتبل
وجربت عند المضلعات فلم اكن * صريع زمان لا أمر ولا أحلي
وبيداء تغتال المطي قطعتها * بركاب هول ليس بالعاجز الوغل
اذا الارض سدتها الهواجر وارتدت * ملاء سموم لم يسدين بالغزل
وكان الذي يبدو لنا من سرابها * فضول سيول البحر من مائها الضحل
ويدع القطا فيها القطا فيجيبه * تواتم اطفال من السبسب المحل
دوارج اخلفن الشكير كأنما * جرى في مآقيها مراود من كحل
يسقين بالموماة زغبا نواهضا * بقايا نطاف في حواصلها تغلي
تمج اداوى في أداوي بها استقت * كما استفرغ الساقي من السجل بالسجل
وقد اقطع الخرق البعيد نياطه * بمائرة الضبعين وجناء كالفحل
تزيد في فضل الزمام كأنها * تحاذر وقعا من زنابير أو نحل
كأن يديها في مراتب سلم * اذا غاولت أوب الذراعين بالرجل
تأوه من طول الكلال وتشتكي * تأوه مفجوع بشكل على ثكل
اليك أمير المؤمنين انختها * الى خير من حلت له عقد الرحل
الى خيرهم فيهم قديما وحادثا * مع الحلم والايمان والنائل الجزل
ورثت أباك الملك تجري بسمته * كذلك خوط النبع ينبت في الاصل

كداود اذولى سليمان بعده * خلافته فضلا من الله ذوا الفضل
يسوس من الحلم الذى كان راجحا * بأجبال سلمى من وفاه ومن عدل
هو القمر البدر الذى يهتدى به * اذا ماذووا الاضغان جاروا عن السبل
اغر ترى نور البهجة ملحكه * عفوا طلوبا فى أناة وفى رسل
يفيض السجال الناقمات من الندى * كما فاض ذو موج يقمص بالجفل
وكم من أناس قد أصبت بنعمة * ومن مثقل خففت عنه من الثقل
ومن أمر حزم قد وليت نجيه * برأى جميع مسفر قوى الحبل
قضيت قضاء فى الخلافة ثابتا * مبينا فقد اسمعت من كان ذا عقل
فمن ذا الذى يرجو الخلافة منهم * وقد دقت فيهم بالبيان وبالفصل
وبينت أن لاحق فيها لخاذل * تربص فى شك واشفق من مثل
ولا لامرئ آتى المضلين بيعة * رأى الحرب ابدت عن نواجذها العصل
ومـــديدا منه لبيعة خاسر * وما المكسد المغبون كالرابح المغلى
وعاندلما ان رأى الحرب شمرت * عناد الخصى الجون صد عن الفحل
فما بال أقوام بدا الغش منهم * وهم كشف عند الشدائد والنزل
يداوون من قرح أدانيه قد عتا * على الداء لم تدرك أقاصيه بالفتل
وقد كان فيما قد تلوا من حديثهم * شفاء وكان الحلم يشفى من الجهل
والافان المشرفية حـــدها * دواء لهم غير الدبيب ولا الختل
أو النفى حتى عرض ارض وطولها * عليهم كبيت القين اغلق بالقفل
وقد خزلوا مروان فى الحرب وابنه * اباك وادلوا فيهما مع من يدلى
وكانا اذاما كان يوم عظيمة * حمولين للاثقال فى الامر ذى البزل
فصلى على قبريهما الله انما * خلافته منه على سنة الرسل
ففزت بما فازا به من خلافة * وزدت على من كان قبلك بالفضل
بعافية كانت من الله جللت * مشارقها امنا الى مغرب الأصل
جمع أميل وهو الحبل من الرمل بريد الى منقطع التراب
وكنت المصفى من قريش ولم يكن * لوطئك فيهم زيغ كعب ولا نعل
أشاروا بها فى الامر غيرك منهم * وولا كها ذو العرش فضلا من الفضل

حباك بها الله الذى هو ساقها * اليك فقد أولاك أفضل ما يولى
وسيقت الى من كان فى الحرب آهلها * الى واضح بادى معالمه سهل
وما اصطنروا فيها بسيف علمته * ولا بسلاح من رماح ولا نبل
فنحى اسكم فاد الهوى من بلاده * الى منبت الزيتون من منبت النخل

الطبقة الثانية مشاهيرها مسلم بن الوليد الانصارى والحسن بن هانئ الحكمى المشهور بابى نواس وبعدهما أبو تمام حبيب بن أوس الطائى وأبو عبادة الوليد البحترى وأحمد بن الحسين المتنبى وبعدهم أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدى والشريف محمد الرضى وتلميذه مهيار الديلمى و يذكر مع هؤلاء على بن الرومى ولهم دواوين كبار كان الحسن بن هانئ ومسلم بن الوليد الانصارى قريبى عصر واحد واختلف الناس فى المفاضلة بينهما وكان بنو برمك يبالغون فى تفضيل مسلم ولكل مزية وكلاهما شاعر فريد غير ان أبا نواس بقى الكثير من شعره لاعتناء الرواة به وكثرة تصرفاته فيه وانتهائه فى سائر فنون المعانى الى غاية لم يدركها سواه ومن هذه الجهة كان تفضيله على مسلم فان مسلما لم يشارك أبا نواس فى كثير من تلك الفنون كالمجون والغزل والخمريات ولمسلم صلابة الشعر وتجويده وجمعه فيه بين البداوة والحضارة يحكى ان رجلا دخل على أبى تمام وبين يديه كتابان يقرأ فى هذا مرة وفى هذا مرة فسأله عنهما فقال هما ديوانا مسلم والحسن وهما اللات والعزى وأنا أعبدهما غير ان شعر مسلم لم يبق منه الا ما علقته الرواة فانه تنسك آخر عمره وهجر الشعر فغرق مجموع شعره فى شعر أبى نواس وهو أول امام يقتدى به فى الادب ورعاية مقامات الخطاب خلا ان له أشياء اما ان تكون مناسبة لذلك الوقت واما ان يكون معنى بها ما ينبغى الدول عنها حسبما تقتضيه التعريفات الادبية قوله يمدح الرشيد

حى الديار اذا الزمان زمان * وان الشباك لناحزى ومعان

الشباك ماء بناحية واقصة على طريق الكوفة فيما أخبرنى به معافر من أهل الكوفة وزعم المبرد ان الشباك على طريق البصرة بقرب سفوان واياها أراد

ياحبذا سفوان من متربع * ولربما جمع الهوى سفوان
واذا مررت على الديار مسلما * فلغير دار اميمة الهجران
انا نسبنا والمناسب ظنة * حتى رميت بنا وأنت حصان
لما نزعت عن الغواية والصبا * وخدت بى الشدنية المذعان

ويروى

و يروى لما نزعت عن الغواية وادعا أى كاما والشدنية منسوبة الى فحل من فحول مهرة يقال له شدن

سبط مشافرها دقيق خطمها * وكأن سائر خلقها بنيان

واحتازها لون جرى فى جلدها * يقق كرطاس الوليد هجان

حكى سليمان بن نيبخت قال سألت أبا نواس عن معنى هذا البيت فقال صحيفة الطفل الذى لم يكتب عليه كاتباه فيها شيأ فقرطاسه أبيض

والى أبى الامناء هارون الذى * يحيا بصوب سمائه الحيوان

الامناء الأمين والمأمون والمؤتمن فالامين محمد والمأمون عبد الله والمؤتمن القاسم بنو هارون الرشيد

ملك تصوّر فى القلوب مثاله * فكأنما لم يخل منه مكان

ماتنطوى عنه القلوب بفجرة * الا يكلمه بها اللحظان

فيظل لا ستثباته وكأنه * عين على ماغيب الكتمان

هارون الفنى ائتلاف مودّة * ماتت لها الاحقاد والاضغان

فى كل عام غزوة ووفادة * تنبت بين نواهما الاقران

كان الرشيد عندما أوطن الرقة يحج سنة و يغزو أخرى والاقران الحبال أى تنقطع فى بعد ما بين الحج والغزو

حج وغزو ومات بينهما الكرى * باليعملات شعارها الوخدان

يرمى بهن بساط كل تنوفة * فى الله رحال بها ظعان

حتى اذا واجهن اقبال الصفا * حن الحطيم وأطت الاركان

اقبال الصفا ماقابلك منه وهى جمع قبل والحطيم حيث يزدحم الناس بمكة فيحطم بعضهم بعضا وقيل حيث يحطمون بالايمان لانهم كانوا يحلفون ثم

لا غر يفرج الدجى عن وجهه * عدل السياسة حبه ايمان

يصل الهجير بغرة مهدية * لوشاء صان أديمها الاكنان

لكنه فى ائته مبتذل لها * ان التقى مسددومعان

ألفت منادمة الدماء سيوفه * فلقلما تحتازها الاجفان

يقول ألفت سيوفه الدماء فكأنها تنادمها لا تفارقها من كثرة ماتقتل بها أعداؤه و يروى

قلت مقارعة العدا سيوفه

حتى الذي في الرحم لم يك صورة * لفؤاده من خوفه خفقان

قال المبرد ما لم يكن صورة كيف يكون له فؤاد

هذا امرؤ نصرت يداه على العدا * كالدهر فيه شراسة وليان

متبرج المعروف عريض الندى * حصر بلا منه فم ولسان

أي يتعرض نداه للناس

للجود من كلتا يديه محرك * لا يستطيع بلوغه الإسكان

حدث نوبخت عن سليمان بن أبي سهل قال لما قدم أبو نواس أشرنا عليه أن يمدح الرشيد فمدحه بهذه القصيدة فأمر له بعشرين ألف درهم وهي أكثر صلة وصل بها أبو نواس المعان المنزل المألوف وقوله جمع الهوى من العبارات الفريدة التي بوجازتها وكثرة معناها يسميها أهل البديع الإشارة وذلك أن معناها أخبار بما اشتمل هذا المكان على ما تهواه النفوس من سعة العيش ونضرة النادية ومساعدة الزمان بودات الحسان وكثرة الحاضر حتى يمكن اشتغال الرقباء ويخف عذل العذال وقد نطق بهذه الكلمة قبله الغنوي في القصيدة السابقة حيث يقول جمع النوى حتى إذا اجتمع الهوى وقوله ألفت منادمة الدماء الاغناة [illegible] ملابسة أي المنادمة على الدماء فإن الدماء بمنزلة المشروب والنديم هو المؤانس على الشراب ومن غلب عليه شيء جرى على لسانه ألفاظه وأبو نواس كان مدمنا ولذلك وقعت منه الاستعارة في هذا الموضع وليست هنالك من الحسن وقوله يمدحه أيضا

لقد طال في رسم الديار بكائي * وقد طال ترددي بها وعنائي

كأني مريغ في الديار طريدة * أراها أمامي مرة وورائي

فلما بدا لي اليأس عديت ناقتي * عن الدار واستولى علي عزائي

إلى بيت حان لا تهر كلابه * علي ولا ينكرن طول ثوائي

كان ينبغي أن يتناظرا ويرويا إلى بيت علج

[illegible]

وكأس كمصباح السماء شربتها * على قبلة أو موعد بلقاء

أتت دونها الأيام حتى كأنها * تساقط نور من فتوق سماء

ترى ظهرها من ظاهر الكاس ساطعا * عليك ولو غطيتها بغطاء

تبارك من ساس الامور بعلمه * وفضل هارونا على الخلفاء

نعيش بخير ما انطوينا على التقى * وما ساس دنيانا أبو الامناء

امام يخاف الله حتى كأنه * يؤمل رؤياه صباح مساء

اشم طويل الساعدين كأنما * يناط نجادا سيفه بلواء

أى طويل كأن حائل سيفه على رمح قال المبرد ما علمت قائلا مدح خليفة فنسب بمثل هذا النسيب على انه قد جدّ فى المدح و بلغ المراد ولقد كان الرشيد عن يتحامى الاقرار بحضرته أو حيث يبلغه بذكر قبلة أو شرب كأس وما أشبه ذلك لجلالته ونبل ملكه ويعده من احتمال السخف ومادنى منه الا أن أبانواس كان ينسب فى المدح الجليل بالخمر الذى هو شانه وفيه تصرفه وجل مذهبه وحدث عيسى بن عبد العزيز بن سهل الحارثى قال كان الرشيد لا يسمع من الشعر ما فيه رفث ولا هزل وكان لا يذكر فى تشبيب مدحه قبلة ولا غمزة فلما قدم أبو نواس من مصر امتدحه فاوصله البرامكة اليه فانشده لقد طال فى رسم الديار بكائى فلما بلغ وصفه للخمر تغير وجه الرشيد فلما قال وكأس كمصباح السماء شربتها أراد أن يأمر به فلما انشده تبارك من ساس الامور بعلمه أخذته هزة فأمر له بعشرين ألف درهم وقوله من الخمريات وذلك فنه الذى تميز به وفتح للشعراء بابه

أثن على الخمر بآلائها * وسمها احسن أسمائها

لا تجعل الماء لها قاهرا * ولا تسلطها على مائها

كرخية قد عتقت حقبة * حتى مضى أكثر اجزائها

فلم يكد يدرك خمارها * منها سوى آخر حوبائها

دارت فأحيت غير مذمومة * نفوس حساها وانضائها

والخمر قد يشربها معشر * ليسوا اذا عدوا بأكفائها

وقوله

ساع بكاس الى ناس على طرب * كلاهما عجب فى منظر عجب

قامت تريني وامر الليل مجتمع * صبحا تولد بين الماء والعنب

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

كأن تركا صفوفا فى جوانبها * تواتر الرمى بالنشاب من كثب

من كف ساقية ناهيك ساقية * فى حسن قد وفى ظرف وفى أدب
كانت لرب قيان ذى مغالبة * بالكشخ محترف بالكشخ مكتسب
فقد رأت ووعت عنهن واختلفت * ما بينهن وبين يهوين بالكتب
حتى اذا ماغلى ماء الشباب بها * وافعمت فى تمام الجسم والقصب
وجشت بخفى اللحظ فانجمشت * وجرت الوعد بين الصدق والكذب
تمت فلم يرانسان لها شبها * فى برا الله من عجم ومن عرب
تلك التى لوخلت من عيب قيمتها * لم أقض منها ولا من حبها أربى

يقول لوقدرت عليها لم أشبع منها أبدا وروى قضيت منها ومن وجدبها أربى نحدث محمد بن المظفر كاتب اسمعيل بن صبيح عن اسمعيل قال قال لى الرشيد أبغى وصيفة مليحة فطنة حركة مقدودة تسقينى فان الشراب يطيب من يد مثلها فقلت ياسيدى على الجهد فقال اجعل قول هذا العيار امامك واسترح قلت قول من قال قول من يقول من كف ساقية ناهيك ساقية الى قوله بين الصدق والكذب وقوله

الا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر * ولا تسقنى سرا اذا امكن الجهر
ولا تسقين منها المرائين قطرة * لأن رياء الناس عندى هو الهجر
فعيش الفتى فى سكرة بعد سكرة * فان طال هذا عنده قصر الدهر
وما الغبن الا ان ترانى صاحيا * وما الغنم الا ان يتعتعنى السكر
فبح باسم من أهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر
ولا خير فى فتك بغير مجانة * ولا فى مجون ليس يتبعه كفر
بكل أخى قصف كأن جبينه * هلال وقد حفت به الانجم الزهر
وخمارة نبهتها بعد هجعة * وقد غابت الجوزاء وانحدر النسر
فقالت من الطراق قلنا عصابة * خفاف الأداوى يبتغى لهم خمر
ولا بدان يزنوا فقالت أو الفدا * بابلج مثل الدينار فى طرفه فتر
فقلنا لها هاتيه مان امثلنا * فدينا لك بالاباء عن مثله صبر
فجاءت به كالغصن يهتز ردفه * فقلنا به سكرا ليس به سكر
أسنة كالبدر ليلة تمه * ... اعلى الاشعرى خرداشر
فقمنا اليه واحدا بعد واحد * ...

قال المبرد سمعت سليمان بن أبى داود يقول لما ملك الامين قال أبونواس فاسقنى خمرا

وقل لى هي الخمر وكان الفضل بن الربيع سيئ الرأى فيه فاخبر الامين بخبره وماشاع فى العامة من تهتكه فامر ان يحبس فمدح الفضل بن الربيع وقال فيه تلك الاشعار كلها بهذا السبب وتحدث أحمد بن الحارث عن المدائنى قال قال معاوية يوما ما اللذة فا كثروا الوصف فقال عمرو بن العاص فح الاحداث حتى أخبرك بها من فصها فصوا فقال هتك المروءة والمجاهرة بالخطيئة وان لاتبالى قبيحا من حسن فقال أحمد بن الحارث فقاتل الله أبا نواس حيث يقول فبح باسم من أهوى ودعنى من الكنى وحيث يقول أيضا جريت مع الصبا طلق الجموح وقوله

كيف النزوع عن الصبا والكاس * فسن ذا الناياعاذلى بقياس
واذا عددت سنى كم هى لم أجد * للشيب عذرا فى النزول براسى
قالوا اشمطت فقلت ماشمطت يدى * عن ان تمد الى فى بالكاس
صفراء زان رواءها مخبورها * فلها المهذب من ثناء الحاسى
وكان شاربها لفرط شعاعها * بالليل يكرع فى سنا مقباس
والقدمن انغام خلة عاشق * نالته بعد تعصب وشماس
فالراح طيبة وليس تمامها * الا بطيب خلائق الجلاس
فاذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس

وقوله

ياشقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم انم
فاسقنى البكر التى اختمرت * بخمار الشيب فى الرحم
ثمت انصات الشباب لها * بعدما جازت مدى الهرم
فهى لليوم الذى نزلت * وهى ترب الدهر فى القدم
عتقت حتى لو اتصلت * بلسان ناطق وفم
لاحتبت فى القوم ماثلة * ثم قصت قصة الامم
قرعتها بالمزاج يد * خلقت للسيف والقلم
فى ندامى سادة زهر * اخذوا اللذات من أمم
فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم
فعلت فى البيت اذ مزجت * مثل فعل الصبح فى الظلم
فاهتدى سارى الظلام بها * كاهتداء السفر بالعلم

قوله اختمرت بخمار الشيب قيل أراد صفتها وهي في دنها حيث يعلوها شئ كالعنكبوت وقيل أراد صفتها في ابتداء أمرها حيث كانت في العنب فانه أول ما يظهر يكون عليه غطاء أبيض وهذا كلام من يرفع أبا نواس عن تناول المعاني القريبة وقوله انصات أي أجاب من الصوت فهو مثل دعاه فادعى وقوله لو انصات بلسان أي لو كانت تفصح بتكلم لذات محتبية في القوم تحدثهم باخبار القرون الأولى وقوله فتمشت في مفاصلهم أخذ هذا المعنى من قول عربي يصف صائدا

فتمشى لا يحس به * كتمشي النار في الضرم

قال أبو نواس كنت قلت كتمشي النار في الفحم فقال لي حمة بن نجاح لو قلت كتمشي البرء في السقم فعدلت اليه وانقادمن انتقده بانه احال حيث جعل عرضا يتمشى في عرض من التدقيقات الباردة التي لا تحتملها الصناعة الشعرية قال الجاحظ لما سمع أبو شعيب القلال هذا البيت قال ما اصنى هذا البيت ولو نقر لطن فتكلم من جهة صناعته وهذا الباب من شعر أبي نواس يشتمل على ثلاثمائة قصيدة ومقطوعة وجميع شعره الذي استقصى جمعه حمزه بن الحسن الاصبهاني يبلغ ألفا وخمسمائة قصيدة ومقطوعة تشتمل على ثلاثة عشر ألف بيت ومن شعر مسلم بن الوليد وسأنقله مشروحا كما وجدته لتمام الفائدة يحكى ان مسلما أرسل هذه القصيدة للممدوح فلما واتى الرسول ادعى انها من شعره وكان الممدوح حين ابتدأ الرسول ينشد مضطجعا فاعتدل اجلالا لما سمع وعرف من فحوى الكلام أنه شعر مسلم فقال للرسول المدعى اجلتك سنة لتعمل مثل هذه القصيدة فاعترف انها شعر مسلم فقال الممدوح انك حين انشدت مطلعها رأيت كان مسلما هو القائم ينشدني وكذلك متى كان الانسان ذا دربة وتمام خبرة بشعر شاعر عرف ما لم يسمعه من شعره بما عرفه منه لأن لكل شاعر في الكلام مذهبا يخصه وطريقة لا يتعداها ومدح بها داود بن يزيد بن حاتم بن خالد بن المهلب

لا تدع بي الشوق الى غير معمود * نهى النهى عن هوى الهيف الرعاديد

قوله لا تدع بي الشوق أي لا تدعني مشتاقا ولا تقل ان بي شوقا الى أحد غير معمود أي غير عاشق والمعمود المتروح القلب وأصله ان يصيب البعير داء في سنامه فيهيج عليه حتى ربما اخرجت منه العظام فاستعير ذلك للقلب والهيف الضامرات البطون والرعاديد المرتجات الأكفال والرعديد في غير هذا هو الجبان

لو شئت لاشتارت راجعة الصبا منه * في العيون وفاتتني بجلود

يقول

يقول لوشئت لا جعلني الله أشاء ذلك راجعت الصبا ومشت في العيون أي عيون النساء لعشقهن وفاتتني بجلاود أي ذهبت بجلادي يريد انه كان يصبو اليهن أيضا

سل ليلة الخيف هل أمضيت آخرها * بالراح تحت نسيم الخرّد الغيد

يقول انه شرب من أول الليلة الى آخرها مع الغيد وهي الجواري الطوال الاعناق الناعمات يشتم رائحتهن والخيف اسفل الجبل مما يلي الوادي وأمضيت الشئ اذا أتيت عليه بالتنفيد

شججتها بلعاب المزن فاعتزلت * نسجين من بين محلول ومعقود

يقول شججتها يعني الخمر أي مزجتها فاعتزلت أي اختلطت نسجين أحدهما محلول والآخر معقود يريد ان ماولي الماء من الخمر في الكاس اسرع فيه الماء فحله وماولي منها القاع بقي على حاله لم يحله الماء بعد قال أبو نواس يصف خمرا مزجت في كأس

حمراء صفراء الترائب رأسها * فيه لما نسج المزاج قتير

يريد ان لونها حمراء وصفراء الترائب يريد قد اصفر أعلاها الذي سبق والقتير الحباب وأصله الشيب

كلا الجديدين قد أطعمت حبرته * لو آل حي الى عمر وتخليد

الجديدين الليل والنهار والحبرة النعيم وقوله لو آل حي أي لو صار حي باقيا

أهلا بوافدة للشيب واحدة * وان تراءت بشخص غير مودود

أهلا بوافدة أي قادمة للشيب واحدة تراءت أي اعترضت غير مودود أي غير محبوب

لا أجمع الحلم والصهباء قد سكنت * نفسي الى الماء عن ماء العناقيد

يقول لا أجمع التكهل وشرب الخمر قد سكنت نفسي الى الماء واستغنيت به عن الخمر أي لا أشربها

لم ينهني فندعنها ولا كبر * لكن صحوت وغصني غير مخضود

الفند الاثم وغصني أي شبابي والمخضود الواهب

أرقى بي الحلم واقتاد النهى طلقا * شأوي وعفت الصبا من غير تفنيد

يقول أوفى بي الحلم أي وافقني واقتاد العقل طلقا شأوي وعفت الصبا أي تركت الصبا من غير تفنيد أي من غير تعذيل ولا لوم واصل وافقني لا بي وطلقا معدى اليه الفعل

اذا تجوفت بي الهمات من بلد * نازعت أرضا ولم احفل بتمهيد

يقول اذا انجابت بي الهمات عن بلد نازعت بلدا آخر غيره ولم ابال بتهويد أي باقامة ونازعت أي قصدت

لا تطبيني [illegible] من جهد مطلب * ولا احول لشيء غير موجود

يقول لا تطبيني [illegible] أي لا تدعوني الى أنفسها من جهد مطلب وقوله لا احول لشيء غير موجود أي لا اطلب من الامور غير الممكن الوجود

ومجهل كاطراد السيف محتجز * عن الأدلاء مسجور الصياخيد

يقول ورب مجهل كاطراد السيف أي كتتابع السيف في الحدة محتجز عن الادلاء مسجور الصياخيد من الحرور والمجهل القفر الذي لا يهتدى به

تمشي الرياح به حسرى مولهة * حيرى تلوذ بأكناف الجلاميد

يقول أي تمشي الرياح فيه حسرى أي كالة مولهة أي حزينة تلوذ بأكناف الجلاميد يريد ان ليس فيه شجر وانما تجري الرياح على الحجارة فلا تجد غيرها والاكناف النواحي واحدها كنف

محفوف لتن لا تعصى السبيل به * الا التخلل ريثا بعد تجويد

يقول ان ذلك المجهل محفوف المتن أي مخطط [illegible] في القوائم وهو التخطيط وذلك ان الارض [illegible] الوان وقوله لا تعصى السبيل به أي لا تقطع السبيل بها الا التخلل وهو الادخال في الاشياء المتضايقة ريثا بعد تجويد أي ابطاء بعد جهد والجهد التعب

قريته الوخد من خطارة مرح * تفري الفلاة بارقال وتوخيد

يقال قريته الوخد أي هذا الضرب من السير [illegible] ناقة [illegible] خفيفة والارقال والتوخيد ضربان من السير

اليك [illegible]

يقول اليك [illegible] من ظلام ليل رحيب الباع أي واسع [illegible]

[illegible]

يقول [illegible] السيد أي والا [illegible]

كأن أعلامها والآل يركبها * بدن توافى بها نذر الى عيد

الاعلام الجبال يقول كان جبال تلك الفلاة والآل يركبها نوق بدن توافى بها نذر الى عيد اى جلبها نذر الى النحر بمكة يوم العيد كان رجلا نذران ينحر نوقا بمكة فقدمها اذلك وقد ألقى عليها الملاحف فشبه صريع الجبال وقد اختفت فى الآل الابيض بها

كلفت أهوالها عينا مؤرقة * اليك لولاك لم تكحل بتسهيد

يقول كلفت تلك الفلاة عينى فسهرت ولولاك أنت لم تسهر الارق السهر

حتى أتتك بى الآمال مطلعا * لليسر عندك فى سربال محسود

يقول حتى بلغتنى اليك الامال مطلعا لليسر فى سربال محسود أى لما قصدتك حسدنى الناس لعلمهم بانك تغنينى

من بعدما القت الايام لى عرضا * ملقى رهين لحد السيف مصفود

لى عرضا اى جانبا ملقى رهين أى أسير قد حبس للقتل مقدم لحد السيف مصفود أى موثق بالحديد وانما يصف نفسه أنه بقى من اضرار الدهر به فى مثل حال الاسير المقدم للسيف

وساورتنى بنات الدهر فامتحنت * ربعى بمعلة شهباء جارود

يقول ساورتنى بنات الدهر أى واثبتنى فامتحنت ربعى أى منزلى بسنة محلة أى ذات محل وانجراد من النبات

الى بنى حاتم أدى ركائبنا * خوض الدجى وسرى المهرية القود

يقول الى بنى حاتم بلغ ركائبنا خوض الدجى أى قطع الليل وسرى المهرية القود والسرى وخوض الدجى واحد ولكنه كرر اللفظ لاختلافه والمهرية منسوبة الى مهرة وهو حى من همدان والقود جمع قوداء

تطوى النهار فان ليل تخمطها * باتت تخمط هامات القراديد

يقول تطوى النهار بالسرى تقطع فان ليل صال عليها صالت على هامات القراديد وهى جمع قردد وهو ما ارتفع من الجبال وأصل التخمط تغرم البعير الفحل وصيحه يريد اذا اشتد عليها سير الليل لا تبالى به مع ما تقدم من عليها من طول السفر

مثل السهام بأيديها اذا احتملت * الى ... كل صيخود

يقول ان النوق مثل السهام فى السرعة اذا اشتد عليها الهجير وهيج كل صيخود

والصيخود شدة الحر والهمام طائر يشبه القطا بعيدات المقيل أي لا تقيل هذه النوق

حلت بداود فاستاحت وأججلها * حذو النعال على أين وتجريد

يقول حلت هذه النوق بداود أي نزلت به فاستاحت عطاياه أي أخذت والامتياح استقاء الماء من البئر بالاحفان فشبه أخذ احفان المال من داود بأخذ المائح الماء باحفانه وأججلها حذو النعال أي لما أخذوا المال منه استعدوا البلهم الرجوع وهي لم تسترح من الكلال وصفه بسرعة العطاء عند حلولهم به من غير مطل والاين الفترة والتجريد من الجرد وهو داء يصيب الابل في قوائمها

اعطى فافنى المنى ادنى عطيته * وارهق الوعد نجحا غير منكود

يقول اعطى داود فافنى المنى من الذين قصدوه ادنى عطيته اى أقل عطاياه كان أعظم من كل ما انتهى اليه أملهم وارهق الوعد أي اتبع الوعد بالفعل من ساعته من غير ضيق والنجح انقضاء المطلب أو ادراكه

والله أطفأ نار الحرب اذ سعرت * شرقا وقدها في الغرب داود

يقول الله اطفأ نار الحرب في الشرق بداود الذي أوقدها في الغرب على أهل العصيان يريد لما رأى أهل الشرق ما فعل داود بأهل الغرب من النكاية استقاموا على الطاعة

لم يأت أمرا ولم يظهر على حدث * الا اعين بترفيق وتسديد

يقول لم يأت أمرا من الامور ولا حدثا يحدث له الا أعانه الله عز وجل عليه والتوفيق التقويم للخير والتسديد أن يدل به الى الصواب

موحد الرأي تنشق الظنون له * عن كل ملتبس منها ومعقود

موحد الرأي أي رأيه واحد لا يختلف عليه كما قال الحسن

ولم تزل نفسه نفس بها فيه * [illegible] رأيه عن [illegible]

يريد أنه اذا دبر أمرا انكشف له عن [illegible]

تمضي الامور له من قبل وجهتها * وان سلكن سبيلا غير مورود

تمضي الامور له أي [illegible] سبيلا غير مورود

وله [illegible]

[illegible]

يقول اذا أوقع بقوم [illegible] فاجتاحهم للغارة غادى له العنوة وما بامر اصيد يريد كان

العفو كان لهم من قصده إذا سقط ذنبهم يقول اذا قتل قوما استحقوا القتل عفى عن آخرين استحقوا القتل بعد أن قد قدر عليهم أى يقدر على العفو والعقوبة وانه يأخذهم على ما أراده بهم

كالليث بل مثله الليث الهصور اذا * غنى الحديد غناء غير تغريد

يقول هو كالليث فى النجدة والليث مثله اذا اشتدت الحرب وطنت السيوف للضاربة والهصور البثور

يلقى المنية فى أمثال عدتها * كالسيل يقذف جلمودا بجلمود

يقول يلقى الحرب فى مثل عددهم فيدفع المنايا بالمنايا كما يدفع السيل جلمودا بجلمود آخر ينطحه فيزيله به

ان قصر الرمح لم يمش الخطا عددا * أو عرد السيف لم يهمم بتعريد

يقول ان قصر الرمح عن ادراك من أراد يطعنه به لم يمش الخطا تباطيا كمثل من يعد خطاه بل يسرع هو عند ذلك ولم يهمم بتعريد أى ان نبا السيف عن الذى ضربه به يريد أنه ماض متقدم الى صاحبه وان قصر رمحه مد باعه وعرد السيف اذا لم يقطع

اذا دعى بلدا ادنى مناهله * وان بنين على شحط وتبعيد

يقول اذا احرز بلدا أمنه فتقاربت مناهله وهى منازل الرفاق على الماء يريد ان الرفاق تنزل حيث شاءت فى القفار لا تخاف شيأ وفى الخوف لا تنزل وان كانت المناهل بنين على شحط وهو البعد

جرى فادرك لم يعنف بمهلته * واستودع البهر أنفاس الجاويد

يقول جرى هذا الرجل فى المجد ولم يعنف بمهلته أى ولم يسرف على نفسه بالتعب فى الجرى وقد تقدم غيره وهذا مثل ضربه يريد انه تقدم الرجال فى المجد بغير جهد وهم قد اجتهدوا واجهدهم فكيف اذا اجتهد هو وجود كله والبهر الكلال وقوله تستودع البهر أى تركه بهم والانفاس الاطلاق من الجرى واحدها نفس والجاويد السراع من الخيل واحدها جواد

آل المهلب قوم لا يزال لهم * رق الصريخ وأسلاب المذاويد

رق الصريخ استعباد الحر باسداء النعم وتقديم الأيادى احسانا اليهم وأسلاب المذاويد الحرب يعنى الانجاد واحدهم مذود

مظفرون تصيب الحرب أنفسهم * اذا الفرار تمطى بالمحاييد

يقول أولئك القوم منصورون ومع ذلك تصيب الحرب أنفسهم اذا الفرار تمطى بالمحاييد والمحاييد الجبناء واحدهم محياد يريد انهم يقفون حتى يقتلوا اذا هرب غيرهم

نجل مناجيب لم يعدم تلادهم * فتى يرجى الى نقض وتوكيد

يقول هم نجل مناجيب أي ذرية مناجيب يريد ان بيتهم بيت نجابة لم يخل قط من أشراف ينقضون من الامور ما احبوا و يعقدون منها ما احبوا والنجل الذرية قال زهير وكل فحل له نجل أي كل فحل يشبهه نسله اي يخرج الولد شبيها كابيه وتلادهم اسلافهم القديم

قوم اذا هدأت شامت سيوفهم * فانها عقل الكوم المقاحيد

الهدأة الفترة يقول أولئك قوم اذا كانت صلح وهدنة شامت سيوفهم اى أغمدتها فانهم يعرقبون بها الابل لاضيافهم يريد انهم يقاتلون بها فى الحرب واذا كان فى الصلح كان شغلهم اطعام الاضياف يقال شمت السيف اذا اغمدته وشمته اذا سللته هو من الاضداد والعقل جمع عقال وهو حبل يعقل به البعير فشبه السيوف بها والكوم الغلاظ الاسنمة والمقاحيد كذلك واحدها مقحاد

نفسي فداؤك يا داود اذ علقت * ايدى الردى بنواصي الضمر القود

الضمر جمع ضامر والقود جمع اقود يريد الخيل يقول نفسي فداؤك فى الحرب اذا اشتد القتل فى الناس اى نفسي فداؤك فى ذلك الوقت أى ما تصيبك حينئذ

داويت من دائها كرمان وانتصفت * بك المنون لاقوام مجاهيد

يقول داويت من دائها كرمان وهي بلد نافق أهلها على أمير المؤمنين فقتلتهم حتى رجع من بقى منهم الى الطاعة وقوله انتصفت بك المنون أى انتصفت بك المنية من الاشرار لهؤلاء الضعفاء الذين قد بلغهم الجهد لتضييق الاشرار عليهم والمجهود الذى بلغه الجهد والجهد سوء الحال

ملأتها فزعا أخلى مقاعدها * من كل ابلخ سامي الطرف صنديد

يقول كرمان ملأتها خوفا من وعيدك بهم اخلى قبائل الطرق مقاعدها وهي الجبال من كل ابلخ وهو المتكبر سامي الطرف اى من تقدم نظره من الكبر صنديد سيد

ما زلت تعلو ادنى بلادهم * الى ان بلغت الاقاصي الاباعيد

استهم بدلاء فوهصل * بها الردى بين تليين وتشديد

الاقبالية

المقاليد المفاتيح وانما ضربه مثلا يقول لما نزلت باول بلدهم تبرأ اليك اقصاهم بما بيده من الملك وقوله لستهم بيد اى عفوت عنهم وقد اتصل بهم الردى

أتيتهم من وراء الامن مطلعا * بالخيل تردى بابطال مناجيد

يقول جئتهم من وراء الامن أى دخلت عليهم فى بلد لم يظنوا ان يدخله أحد من المسلمين لقتالهم مطلعا ظاهرا والخيل تردى اى تجرى بابطال مناجيد اى اعزاء

وطار فى اثر من طار الفرار به * خوف يعارضه فى كل اخدود

فى كل اخدود يريد فى كل طريق والاخدود الخدش فى الارض كالخندق صغر أم كبر يقول وطار فى اثر من طار اى أسرع فى اثر من اسرع فى الهرب يريد ان الخوف لا يفارقه

فاتوا الردى وظباة الموت تنشدهم * وأنت نصب المنايا غير منشود

يقول افلتوا من الموت وظباة الموت تنشدهم أى تطلبهم وأنت منصوب للمنايا لا تستتر عنها غير منشود غير مطلوب

ولو تلبث ديان لهارويت * منه ولكن شاءها هدوش زؤود

يقول لو تلبث هذا الرجل رويت تلك الظباة من دمه ولكن شاءها أى سبقها بالهروب فنجى منها وهو مزؤود أى مرعوب

احرزه اجل ما كاد يحرزه * فر يطوى على احشاء مفؤود

يقول احرز ديان أجله ولم يكد يحرزه من الموت فهرب وهو يستر احشاء مفؤود والمفؤود الذى أصيب فؤاده يقال فأدت الرجل اذا اصبت فؤاده فهو مفؤود

ورأس مهران قد ركبت قلته * لدنا كفاه مكان الليت والجيد

يقول وقد جعلت رأس هذا الرجل فى قناة قامت له مقام العنق والقلة اعلى الرأس والليت صفح العنق والجمع اليات

قد كان فى معزل حتى بعثت له * أم المنية فى ابنائها الصيد

يقول قد كان هذا الرجل فى معزل عن الهلاك حتى بعثت له المنية فى الفرسان الصيد وهم الاشراف وثال أمها على الاستعارة وانما أخذ من الصيد وهو داء يأخذ الابل فى اعناقها فترفع رؤسها

أجن أم اسلمته الفاضحات الى * حد من السيف من يعلق به يود

يقول اجن ديان اى هل اصابه الجنون ام اسلمته الفاضحات وهى الامانى التى غرته

فقضيته حين خرج اليك فتركته الى حد السيف ومن يعلق به يودى يهلك

الحقته صاحبيه فاستقربهم ضرب يفرق ضبات القماحيد

يقول فعلت به [illegible] قبله [illegible] ضرب من السيف بفرق الضبات يعني اوصال الراس و[illegible] لعظم الناتئ في مؤخر الراس بين لقعا على الراس

[illegible] حرب صبرت لها يوم الحصير شعار غير محمود

يقول من [illegible] ذلك اليوم الذى صبرت أنت فيه [illegible] والحصين رجل برز هذا الممدوح اليه فأهزمه والشعار العلامة في الكلام الذي يتعارف الناس به في القتال

يوم استضبت سجستان طوائفها * عليك من طالب وتر او محقود

يقول يوم استضبت سجستان طوائفها اى اغرت طوائفها وهى الجماعات اخذ من الضب وهى العداوة كانهم قالوا [illegible] واذكروا من قتل منكم واحتدوا الانفسكم وقوله من طالب وتر او محقود اى بعضهم يطلب وترا وبعضهم يطالب حقدا والوتر الطلب بالدم والحقد العداوة

[illegible] * [illegible] المواحيد

[illegible] وقرعهم تصر بهم والموا[illegible]

تجود بالنفس اذ انت الضنين بها * والجود بالنفس [illegible] غاية الجود

يقول تجود بنفسك في الحرب اذا انت الضنين بها في السلم والجود بالنفس أكثر من الجود بالمال

تلك الازارق اذ ضل الدليل بها * [illegible] داود

يقول تلك الازارق اذ [illegible] الذى [illegible] داود اذ قصدت اليهم

[illegible]

[illegible] كان هذا الخارجي [illegible] الصرق فلم [illegible] يقوى

[illegible]

[illegible]

يغمطها اى يكفرها و يعنف اى يسرف ويجاوز الحق حتى صلبته

وضعته حيث ترتاب الرياح به * وتحسد الطير فيه اضبع البيد

يقول جعلته فى مكان تبلغ الطير ولا تبلغه الضبع فقصد الطير

تغدو الضوارى فتر ميه باعينها * تستنشق الجو انفا سابتصعيد

يقول تنظر اليه فى الخشبة السباع الضارية بأ كل اللحم فترفع رؤسها اليه فتستنشق رائحته

يتبعن افياءه طورا وموقعه * يلغن فى علق منه وتجسيد

يقول تأتى هذه الضارية فتمشى حيث يمشى ظله وتلعق ما سقط من صديده ودمه والجسد الدم

فكان فارط قوم حان مكرعهم * يرضن ادان شئ فى الموارد

الفارط المتقدم القوم الى الماء ليطلع أ كثير هو ام قليل فضربه مثلا للحصير وأصحابه الذين اتبعوه الى مكان هلكوا معه ومكرعهم شربهم الموت

يوم جراشة اذ شيبان موحفة * يجرن منك بشلو منه مقدود

يقول يوم جراشة اذ شيبان موحفة اى مسرعة هرب وشيبان قبيلة وجراشة رجل يقول يهربون بشلو اى جسد بلا رأس قد قد أى قطع بالسيف

زاحمته بابن سفيان فكان له * شاد يوم بظهر الغيب مشهود

ابن سفيان رجل من أصحاب الممدوح يقول ناهضته بهذا الرجل فكان له شاهد من غاب كانه شهده

نجا قليلا وواقى زجر عائفه * بيومه طير منحوس ومسعود

يقول نجا قليلا اى من رومانى يوم كان منحوسا على جراشة ومسعودا على داود والعائف الذى يزجر الطير أى يفهم ما فى خطورها بطيرانها

ولى وتدحرجت منه القناجرعا * حى المخافة ميتا غير موؤد

يقول هرب هذا الرجل وقد شربت الرماح فى دمه حين طعن بها غير موؤد أى غير مدفون

زالت حشاشته عن صدر معتدل * دانى الكعوب بعيد الصدر املود

يقول نجت بقية نفسه عن صدر رمح معتدل أصابه املود أملس

اذا السيوف اصابته تقطع في * سرادق بعوامي الخيل ممدود

يقول اذا السيوف أصابته تقطع بدنه منها وبعني بالسرادق الغبار الذي أثارته حوافر الخيل

يفدي بقايا نحلته من خلافته * حشاشة الركض من جرداء قيدود

يفدي بقية قوة فرسه في الجري بخلافته يعني أنه يقول لفرسه انج فدتك خلافتي والجرداء القصير الشعر

حل اللواء وخال الخدر عائذه * فعاذ بالخدر ربات الكاعب الرود

يقول لما قهر الرئيس من الامراء حل اللواء وهو العقدة التي في القناة فظن الخدر عائذه أي مغيبه أي اذا كان بين النساء لم يطلب بعد بعد نفسه من النساء

وان يكن شب حربا وقد خمدت * فنائيا حيث لاهيد ولا هيد

يقول فان يكن شب الحرب حربا وقد خمدت قبل ذلك فقد بعد بحيث لا يرى عمرانا ولا يسمع فيه هيدا ولا هيد وهي كلمتان بزجر بهما الابل

كل مثلت به في مثل خطته * قتلا واضجعته في غير ملحود

يقول كل مثلت أي جربته بمثل فعله قتلا واضجعته في غير ملحود اي تركته في الفيع قتيلا

عافوا رضاك فعاقتهم بعقوتهم * عن الحياة منايا هم لموعود

يقول عافوا رضاك اي كرهوا رضاك وعاقتهم منايا هم أي منعتهم الحياة بعقوتهم أي بفنائهم لموعود اي لاجل

وانت بالسند اذ هاج الصريخ بها * واستنفدت حربها كيد المكايد

الصريخ المستغيث والمستنصر واستنفدت حرب السند كيد المكايد أي فرغت تلك الحرب بكيد كل مكياد حتى عجزوا عنها وانقطع كيدهم فيها

واستغزر القوم كأس دمائهم * واحدق الموت بالكرار والحيد

يقول استغزر القوم اي شرب بعضهم دماء بعض يريد قتل بعضهم بعضا واحدق الموت بالكرار والحيد الكرار في الحرب الذين يكرون فيها والحيد المنهزمون يقول لم ينفع عند المنهزم انهزامه لاحاطة الحرب به والحيد جمع احيد

ردد... القصوى ... * و... البيض ... المراصيد

اهـ اهـ

أهمالها أى صعبها والاهمال جمع همل وهو الشئ المسيب وأصله فى البهائم التى ليس لها راع فهى صعبة يقول رضت صعبها يعنى الحرب مخيفة أى مذللة وقوله فشمت بالبيض يقول قتلت الانجاد فشمت عوراتهم اى تركت عوراتهم بادية فى الضح من غير ستر

كنت المهلب حتى شك عالمهم * ثم انفردت ولم تسبق بتسويد

يعنى المهلب بن أبى صفرة وكان جد الممدوح يقول قمت فى تلك الحرب مقام المهلب حتى ظن عالمهم انك المهلب ثم انفردت بخصالك فى هذه الحرب حتى تبينت للناس وعرف انك داود

لم تقبل السلم الا بعد مقدرة * ولا تالفت الا بعد تبديد

يقول لم تقبل السلم من أهل السند الا بعد ما قدرت عليهم ولا جمعتهم الا بعد تبديد أى بعد ما بددتهم بالحرب والايقاع بهم والقتل

حتى اجابوك من مستأمن حذر * راج ومنتظر حتفا ومشدود

يقول حتى اجابوك بعضهم يطلب منك الامان ويحذر سطوتك و بعضهم مشدود أى لم يبق من اجله الا قليل يعنى الجرحى

أهدى اليك على الشحناء ألفتهم * موت تفرق فى شتى عباديد

العباديد المتفرقون يقول اهدى الموت اليك ألفتهم مع العداوة التى بينك وبينهم

وفى يديك بقايا من سراتهم * هم لديك على وعد وتوعيد

يقول وفى يديك بقايا من سراتهم أى اشرافهم يرجونك ويخافونك لانك أخذتهم على غير عهد

ان تعف عنهم فاهل العفو أنت وان * تمض العقاب فأمر غير مردود

يقول ان تعف عنهم فانت أهل للعفو وان قتلتهم فامرك نافذ

اسمع فانك قد هيجت ملحمة * وفدت منها بارواح الصناديد

يقول اسمع مدحى لك فقد هيجت ملحمة رجعت منها بارواح أهل السند

اقذف ابامالك فيها يكنك بها * و يسع فيها بجد منك مجدود

ابامالك ولده يقول له الق ولدك فى الحرب يقم مقامك فيها بجد أى بخت مجدود أى مبخوت

يمضي بعزمك أو يجري ببذلك أو * يفري بحدك كل غير محدود

الشاة المطلق يفري يقطع والحد ههنا النجدة

لا يعدم الدين محيي الاسلام من ملك * اقمت قامته من بعد تأويد

يقول لا فقدك محيي الدين فانك قد حميته واقمت قامته بعد تأويده وهو الميل أي كان مال فقومته

كفيت في الملك حتى لم يقف احد * على ضياع ولم يحزن لمفقود

يقول كفيت بالملك حتى لم يقل احد ياحسرتاه على فلان ما كان حماه ولم يقف احد على ضياع أي حدوثه

اعطيتهم منك عصمة لا كفاء لها * وابدلتهم ركنا غير مهدود

يقول اعطيت بني العباس عصامك لا قران لها وابدلتهم ركنا غير مهدود أي غير منهدم

لم يبعث الدهر بعد ايلته * الا انبعثت له بالبأس والجود

أجرى لك الله أيام الحياة على * [illegible] حميد وعد غيره مكدود

يريد جعل الله لك ايام حياتك مباركة تفتقد فيها فلا تجود أو [illegible]

لا يعقد الدين خيلا انت قائدها * يغزو بها كل ثغر غير معهود

غير معهود يريد انه يغزو الى العدو مواضع لم يدخلها أحد

محجلات اذا آبت غنائمها * ومقدمات على نصر وتأييد

يريد هذه الخيل اذا رجعت محقبات واذا مضت هي منصورة ومؤيدة من الله عز وجل

هناك انك مغدى كل ملتمس * جودا وانك مأوى كل مطرود

يقول من طلب جودا فعندك يجده ومن طرده اهله فانت تؤويه وتجيره ممن يطلبه

تستأنف الحمد في دهر أوائله * موسومة بفعال منك محمود

تستأنف الحمد أي تبتدئ في دهر أوائله موسومة بفعالك الجميلة المحمودة التي تحمد عليها

اذا عرضت على أمر تشيبه * [illegible]

يقول ان [illegible] عطاء غير قديم

عودت نفسك عادات تعلقت بها * صدق المقال وانجاز المواعيد

الانجاز

الانجاز تنميذ الوعد بالوفاء والمواعيد جمع موعود

داود هذا الذي امتدحه مسلم بهذه القصيدة الفريدة كان أحد قواد الرشيد ولفظ القائد في ذلك العصر كان لقبا لامراء العسكر وأهل بيت هذا الممدوح الى المهلب كانوا في تلك الوظيفة ملوك أعصرهم فكان المهلب رضي الله عنه أحد التابعين وأبوه أبو صفرة أحد الصحابة رضي الله عنه متوليا رياسة العسكر العراقي لعبد الملك بن مروان في امارة الحجاج واذا عرفت ان الممدوح كان أمير عسكر فعليك ان تتأمل الشعر لتعرف كيف يمدح مثله دون ما اذا كان الممدوح ملكا أو كاتبا أو جابي خراج مثلا فلكل كلام يخصه ومعان تناسبه كما تراه فيما تطلع عليه من القصائد في الاغراض المختلفة وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا اسحاق محمد بن هارون الرشيد وكان أشجع أولاد الرشيد غريب الفصاحة والفهم على أميته فانه لم يقرأ كما قرأ أخوته وسبب هذه القصيدة ان أحد أصحاب الخبر للمعتصم ورد عليه يوما وهو في مجلس شرابه فأخبره ان بقرية من قرى عمورية أسيرة هاشمية ضربها من هي في يده فنادت وامعتصماه فقال لها سيأتيك المعتصم على فرس أبلق يهزأ بها فقال المعتصم عند سماع ذلك لبيك لبيك وأمر ساقيه ان يختم على الكاس الذي كان معه لينا واتمه اياه وحلف انه لا يشربه الا بعد انقاذ الاسيرة وأمر ان يجهز الجيش بخيل بلق ولما صمم على الخروج من فوره قال له المنجمون ان هذه الساعة لا تصلح للخروج رأيا بدر يحبذهم في ذلك فلم يصغ لهم وكانت الفتح والسعادة على خلاف حكم المنجمين فذلك ما يشير له أبو تمام في أول القصيدة وكان أصحاب عمورية يقولون بحكم تنجيمهم انه اذا جاء المعتصم بجيشه في هذه الايام ولم ينتصر قبل نضج التين والعنب فانه لا ينتصر بعد ولا تفتح البلد أبدا وكانوا لذلك يحاولون تأخير الحرب حتى تمضي تلك المدة فجاءهم وفتح البلد قبله ولذلك الاشارة بقوله تسعون ألفا كآساد الشرى البيت وبعض من لم يطلع على هذا عاب أبا تمام بهذا البيت في هذه القصيدة قائلا ان لفظه من الالفاظ المبتذلة الساقطة ولما أنشد هذه القصيدة طلب المعتصم طربا بها اعادة انشادها فاعاده وأنشدها ثالثة من نفسه فقال الى متى تحبر هذه نعرص واعطه لكل بيت ألفا رحمهم الله تعالى

السيف أصدق انباء من الكتب ٭ في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لاسود الصحائف في * متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لافي السبعة الشهب
أين الرواية بل أين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا واحاديثا ملفقة * ليست بنبع اذا عدت ولاغرب

النبع والغرب والشوحط ثلاثة أنواع لجنس واحد من الشجر فانبت منه في أعلى الجبل يسمى نبعا وهو أصلبها لجفاف الهواء هناك وتعرضه للشمس والغرب مافي وسط الجبل والشوحط مافي أدناه وهو أضعفها لمكان زيادة الرطوبة هناك ومن النبع تعمل القسي

عجائبا زعموا الايام مجفلة * عنهن في صفر الاصفار أو رجب
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة * اذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
وصيروا الابرج العليا مرتبة * ماكان منقلبا او غير منقلب
يقضون بالامر عنها وهي غافلة * مادار في فلك منها وفي قطب
لو بينت قط أمرا قبل موقعه * لم يخف ماحل بالاوثان والصلب
فتح الفتوح تعالى ان يحيط به * نظم من الشعر أو نثر من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له * وتبرز الارض في أثوابها القشب
يايوم وقعة عمورية انصرفت * عنك المنى حفلا معسولة الحلب
أبقيت جد بني الاسلام في صعد * والمشركين ودار الحرب في صبب
أم لهم لو رجوا ان تفتدى جعلوا * فداءها كل أم برة وأب
وبرزة الوجه قد أعيت رياضتها * كسرى وصدت صدودا عن أبي كرب
من عهد اسكندر أو قبل ذلك قد * شابت نواصي الليالي وهي لم تشب
بكر فما افترعتها كف حادثة * ولا ترقت اليها همة النوب
حتى اذا مخض الله السنين لها * مخض البخيلة كانت زبدة الحقب
أتتهم الكربة السوداء سادرة * منها وكان اسمها فراجة الكرب
جرى لها الفال نحسا يوم انقرة * اذ غودرت وحشة الساحات والرحب
لما رأت أختها بالامس قد خربت * كان الخراب لها أعدى من الجرب
كم بين حيطانها من فارس بطل * قاني الذوائب من آني دم سرب
بسنة السيف والخطي من دمه * لاسنة الدين والاسلام مختضب

لقد

لقد تركت امير المؤمنين بها * للنار يوما ذليل الصخر والخشب
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى * يشله وسطها صبح من اللهب
حتى كأن جلابيب الدجى رغبت * عن لونها او كأن الشمس لم تغب
ضوء من النار والظلماء عاكفة * وظلمة من دخان في ضحى شحب
فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت * والشمس واجبة من ذا ولم تجب
تصرح الدهر تصريح الغمام لها * عن يوم هيجاء منها طاهر جنب
لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على * بان باهل ولم تغرب على عزب
ما ربع مية معمورا يطيف به * غيلان أبهى ربى من ربعها الخرب
ولا الخدود وان أدمين من خجل * أشهى الى ناظرى من خدها الترب
سماجة غنيت منا العيون بها * عن كل حسن بدا أو منظر عجب
وحسن منقلب تبدو عواقبه * جاءت بشاشته عن سوء منقلب
لو يعلم الكفر كم من أعصر كمنت * له المنية بين السمر والقضب
تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب في الله مرتغب
ومطعم النصر لم تكهم أسنته * يوما ولا حجبت عن روح محتجب
لم يغز قوما ولم ينهض الى بلد * الا تقدمه جيش من الرعب
لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا * من نفسه وحدها في جحفل لجب
رمى بك الله برجيها فهدمها * ولو رمى بك غير الله لم يصب
من بعد ما أشبوها واثقين بها * والله مفتاح باب المعقل الاشب
وقال ذو أمرهم لا مرتع صدد * للسارحين وليس الورد من كثب
امانيا سلبتهم نجح هاجسها * ظبي السيوف واطراف القنا السلب
ان الحمامين من بيض ومن سمر * دلوا الحياتين من ماء ومن عشب
لبيت صوتا زبطريا هرقت له * كأس الكرى ورضاب الخرد العرب
عداك حر الثغور المستضامة عن * برد الثغور وعن سلسالها الحصب
أجبته معلنا بالسيف منصلتا * ولو أجبت بغير السيف لم تجب
حتى تركت عمود الشرك منقعرا * ولم تعرج على الاوتاد والطنب
لما رأى الحرب رأى العين توفلس * والحرب مشتقة المعنى من الحرب

غدا يصرف بالاموال حزيتها * فعزه الجمر ذو التيار والعبب
هيهات زعزعت الارض الوقوربه * عن عزو محتسب لاغروه كتسب
ثم ينفق الذهب المربى بكثرته * على الحصى وبه فقر الى الذهب
ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب
ولى وقد البجم الخطى منطقه * بسكتة تحتها الاحشاء فى صخب
احصى قرابينه صرف الردى ومضى * يحتث أعدى مطاياه من الهرب
موكلا بيفاع الارض يشرفه * من خفة الخوف لا من خفة الطرب
ان يعد من حرها عدو الظليم فقد * أوسعت جاحمها من كثرة الحطب
تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت * جلودهم قبل نضج التين والعنب
يارب حوباء لما اجتث دابرهم * طابت ولو ضمخت بالمسك لم تطب
ومغضب رجعت بيض السيوف به * حى الرضا عن رداهم ميت الغضب
والحرب قائمة فى مأزق لجب * تجثو الرجال به صغرا على الركب
كم نيل تحت سناها من سنا قمر * وتحت عارضها من عارض شنب
كم كان فى قطع أسباب الرقاب بها * الى المخدرة العذراء من سبب
كم أحرزت قضب الهندى مصلتة * تهتز من قضب تهتز فى كثب
بيض اذا انتضيت من حجبها رجعت * أحق بالبيض أبدانا من الحجب
خليفة الله جازى الله سعيك عن * جرثومة الدين والاسلام والحسب
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها * تنال الا على جسر من التعب
ان كان بين صروف الدهر من رحم * موصولة أو ذمام غير منقضب
فبين أيامك اللاتى نصرت بها * وبين أيام بدر أقرب النسب
أبقت بنى الاصفر الاصفر كاسمهم * صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

وقال عبد العزيز بن نباتة السعدى وهو احد شعراء الدولة البويهية يمدح عضد الدولة وتاج الملة ابن بويه فى النيروز وكان قد احتفل به فى سنة سبع وستين وثلاثمائة وكانوا يتخذون هذا اليوم وهو يوم حلول الشمس فى الحمل من مواعيدهم على السنن القديم فى العجم وكذلك كانوا يتخذون يوم حلول الشمس فى الميزان وهو من المهرجان

سمعتك ان الغاية من أريد فان الله والرجال تريده

حب

احب من الفتيان كل غشمشم * له شيع من نفسه وعديد
ينهنهه الاعداء وهو مصمم * هجوم على مايكرهون ورود
يخاطر في حب الثناء بنفسه * وهل لغلام في الزمان خلود
ومولى أداري طيشه وهو نافر * أزب كأنبوب البراع شرود
اكابد منه غصة ما يسيغها * من القوم الا حازم وجليد
يعين على الخصم لا يستعينه * وادفع عن حوبائه وأذود
اذا ما رأيت الرمح يرسل نحوه * تعرض نحر دونه ووريد
وقلت تعلم أن كل فضيلة * لها كاشح من أهلها وحسود
وأن نواميس الرجال قديمة * توارث عاد مكرها وثمود
واكن تاج الملة اليوم حلها * على الدهر حتى ليس فيه عقود
فتى هجر اللذات والعيش مونق * رقيق حواشي الطرتين برود
وفاجى بديعات الامور بنفسه * الى ان علاه الشيب وهو وليد
له كل يوم فتكة عضدية * يصرف وعد بينها ووعيد
ترحل فيها للفعال عزائم * وتنزل فيها للهموم وفود
وفضل له حزم وعزم ونائل * وهم له في المكرمات بعيد
وصبر اذا نابت خطوب ملمة * يقوم لها والفاعلون قعود
يلوح وراء النقع غرة وجهه * كما لاح من ضوء الصباح عمود
فما ولدت بيض الحواصن مثله * ولا نوب الايام وهي ولود
اطب بداء ما يصاب دوائه * وأعلم بالادواء أين تجود
وأطعن منه في نياط كتيبة * بها السيف أعمى والسنان بليد
تسير امام الجيش قبل مسيره * كتائب من آرائه وجنود
ثلاثين شهرا من مشارق فارس * الى الروم نقع ساطع ووئيد
وصرد على جرد المتون رماحهم * وجرد على اكتافهن لبود
تناهت عن أرض الحي متنكب * يريد بهن الله حيث يريد
فان لم تذق فيها الرقاد فطالما * سهرت وايقظ الخطوب رقود
شفيت من الغل الكمين عصابة * تكرد مع الشيطان حيث تكيد

اذا ترڪت يوما تغول فانها * تصول وكل الضاريات أسود
فيا غنما نامت بمصر رعاؤها * بك الذئب من بين البهام عميد
دعي مرتع الآرام من بطن جاسم * الى الرمل ينمي حمضه ويزيد
ولا ترعى بالغوطتين وقيعة * يغازلها لمع الغزالة سيد
فانى أظن الريح سوف تدله * عليك وبين المهلين بريد
وخادعها عن جدها ومزاحها * ذوآفة مثل السمهري عميد
نطامن لها وانصب حبالك تجرة * فان نوار الوحش سوف ترود
وان شردت والعقد حل نطامه * فا كبرظني انها ستعود
ومرك بالفسطاط جمع أذلته * يعرك لو عض الحديد حديد
أثن عطلت كاس النديم ورشفت * لعابتها تب الاباطل فرد
وأسرع غب المحض فى غلواتها * فلم يبق فيها الصنيع مزيد
تمنيت فى لهو الحديث افاءها * وانك مالم تلقها السعيد
وان عليها جنة فارسية * مناقلها يوم الطراد طريد
وكل رقيق الشفرتين كانه * وقد اخلقته الحادثات جديد
عقائق اما لمعها فبوارق * عليك واما وقعها فرعود
يعودها ضرب الجماجم قاهر * على الناس معبود الجلال مجيد

افتخر فى مطلع القصيدة بكونه ذا بأس وعزيمة وقفاه بأثر ذلك ثم افتخر بالمحافظة على نسبة الصحبة أو القرابة كيفما كان الصاحب أو القريب فى قوله ومولى وبالغ فى ذلك واحسن فيه تقرير مذهبه ثم عاد الى خطاب نفسه يسليها بما يكون عذرا يبنى عليه احتمال عيوب الصاحب أو القريب فى قوله وقلت تعلم وعطف عليه معلوما آخر وهو ان نواميس الرجال أى حيلهم واشراك مكايدهم مازالت فى الناس قديما واستدرك على ذلك مخلصا للمدح بان ممدوحه ازال تلك الحيل وكشف الامر وضمن معنى حل فى قوله حلها على الدهر معنى ضيع مثل قولهم ضيعت على فلان تعبه فى كذا ثم استرسل فى المدح اللائق بالملوك ذوى الهمم العالية والعزائم الماضية مشيرا الى وقائع الممدوح وحروبه وسعة مملكته مائلا الى ذكر بعض الجهات كمصر برداءة السياسة وكونها تحت خطر أن يلتفت اليها ... الى ... عن ... الى معارضته

وشعر

وشعر ابن نباتة هذا رحمه الله تعالى يطلب بشدة دقته وبعد اشارته من يطلع عليه ان يتلبث في تعقله وتفهم اغراضه بيتا بيتا وفصلا فصلا ومن شعر الشريف محمد الرضي وشعره كما سبق التنبيه عليه كثير جدا وديوانه موجود بدار الكتب الكبيرة فلنكتف من شعره بايراد ما يكون انموذجا يستدل به على باقيه فان اردت استيفاء قراءته فقد علمت مكانه قوله في النسيب وطريقته فيه تسمى بالطريقة الغرامية

يا ظبية البان ترعى في خمائلها * ليهنك اليوم ان القلب مرعاك
الماء عندك مبذول لشاربه * وليس يرويك الا مدمعي الباكي
هبت لنا من رياح الغور رائحة * بعد الرقاد عرفناها برياك
ثم انثنينا اذا ما هزنا طرب * على الرحال تعللنا بذكراك
سهم أصاب وراميه بذي سلم * من بالعراق لقد ابعدت مرماك
حكت لحاظك ما في الريم من ملح * يوم اللقاء وكان الفضل للحاكي
كأنّ طرفك يوم الجزع يخبرنا * بما طوى عنك من اسماء قتلاكي
انت النعيم لقلبي والعذاب له * فما أمرّك في قلبي واحلاكي
عندي رسائل شوق لست اذكرها * لولا الرقيب لقد بلغتها فاك
وعد لعينيك عندي ما وفيت به * يا قرب ما كذبت عيني عيناك
سقى منى وليالي الخيف ما شربت * من الغمام وحياها وحياك
اذ يلتقي كل ذي دين وماطله * منا ويجتمع المشكو والشاكي
لما غدا السرب يعطو بين ارحلنا * ما كان فيهم غريم القلب الاك
هامت بك العين لم تتبع سواك هوى * من اعلم العين ان القلب يهواك
يا حبذا نفحة مرت بفيك لنا * ونطفة غمست فيها ثناياك
وحبذا وقفة والركب مغتفل * على ثرى وخدت فيه مطاياك
لو كانت اللمة السوداء من عددي * يوم الغميم لما افلت اشراكي

وقوله

يا ليلة السفح الا عدت ثانية * سقى زمانك هطال من الديم
ماض من العيش لو يفدى بذلت له * كرائم المال من خيل ومن نعم
لم أقض منك لبانات ظفرت بها * فهل لي اليوم الا زفرة الندم

فليت عهدك اذ لم يبق لى ابدا * لم يبق عندى عقابيلا من السقم

تعجبوا من تمنى القلب مؤلمه * وما دروا انه خلو من الالم

ردوا على ليالى التى سلفت * لم أنسهن ولا بالعهد من قدم

أقول للائم المهدى ملامته * ذق الهوى فان أسطعت الملام لم

وظبية من ظباء الانس عاطلة * تستوقف العين بين الخمص والهضم

لو انها بفناء البيت سانحة * لصدتها وابتدعت الصيد فى الحرم

قدرت منها بلا رقبى ولا حذر * على الذى نام عن ليلى ولم أنم

بتنا ضجيعين فى ثوبى هوى وتقى * يلفنا الشوق من فرع الى قدم

وأمست الريح كالغيرى تجاذبنا * على الكثيب فضول الريط واللمم

يشى بنا الطيب أحيانا وآونة * يضيئنا البرق مجتازا على أضم

وبات بارق ذاك الثغر يوضح لى * مواقع اللثم فى داج من الظلم

وبيننا عفة بايعتها بيدى * على الوفاء بها والرعى للذمم

يولع الطل بردينا وقد نسمت * رويحة الفجر بين الضال والسلم

وأكتم الصبح عنها وهى غافلة * حتى تكلم عصفور على علم

فقمت أنفض بردا ما تعلقه * غير العفاف وراء الغيب والكرم

والمستنى وقد جد الوداع بنا * كفا تشير بقضبان من العنم

والثمتنى ثغرا ما عدلت به * أرى الجنى ببنات الوابل الرذم

ثم انثنينا وقد رابت ظواهرنا * وفى بواطننا بعد من التهم

يا حبذا لمة بالرمل ثانية * ووقفة ببيوت الحى من أمم

وحبذا نهلة من فيك باردة * يعدى على حر قلبى بردها بفمى

دين عليك فان تقضيه أحى به * وان أبيت تقاضينا الى حكم

عجبت من باخل عنى بريقته * وقد بذلت له دون الانام دمى

ما ساعفتنى الليالى بعد بينهم * الا بكيت ليالينا بذى سلم

ولا استجد فؤادى فى الزمان هوى * الا ذكرت هوى ايامنا القدم

لا تطلبن لى الابدال بعدهم * فان قلبى لا يرضى بغيرهم

ومن شعر مهيار وقد سلك الشاطر بقية يدعو الادب الى مداركها النقة تبتهم من البلاغة وهى
انه

أنه يجعل غزل القصيدة متضمنا المعنى الذى قصد انشاءها لاجله هذه القصيدة وسببها أنه سعى به ساع عند ملك ناحيته وافترى عليه أنه عثر بكنز فحبسه ذلك الملك ليلة ليخلصه منه كما جرت به العادة فى غالب الزمان من أخذ الملوك ما يجد الناس من الكنوز ثم تحقق عند الملك كذب السعاية فاطلقه وعاد اليه فانشأها وضمنها تهنئة بعيد الفطر

أما وهواها عذرة وتنصلا * لقد نقل الواشى اليها فأمحلا
سعى جهده لكن تجاوز حدّه * وكثر فارتابت ولو شاء قللا
وقال فلم تقبل ولكن تلوّمت * على أنه ما قال الا تقبلا
فطارحها انى سلوت فهل رأى * له الذم مثلى عن هوى انه سلا
أأنقض طوعا حبها عن جوانحى * وان كان حبا للجوانح مثقلا
أبى الله والقلب الوفىّ بعهده * والفى اذا عد الهوى كان أوّلا
أيا صاحبى نجواى يوم سويقة * أناة وان لم تسعدا فتجملا
سلا ظبية الوادى وما الظبى مثلها * وان كان مصقول الترائب أكحلا
أأنت أمرت البدر ان يصدع الدجى * وعلمت غصن البان ان يتميلا
وحرمت يوم البين وقفة ساعة * على عاشق ظن الوداع محللا
جمعت عليه حرقة الدمع والجوى * وما اجتمع الداآن الا ليقتلا
هبى لى عينى واحملى كافة الاسى * على القلب ان القلب اصبر للبلا
ارى الشبه وجه الشمس والبعد بيننا * فاقنع تشبيها بها وتمثلا
وأذكر عذبا من رضابك مسكرا * فما أشرب الصهباء الا تعللا
هنيأ لحب المالكية انه * رخيص له ما عز منى وما غلا
تعلقتها غرا وليدا وشيبت * وشبت وناشى حبها ما تكهلا
ووجدها فى الحسن قلبى قبله * وان وجد الابدال ان يتبدلا
رعى الله قلبى ما أبرّ بمن جفا * واصبره فى النائبات واجملا
وأكرم عندى للصديق فانه * قليل على الحالات ان يتحولا
ولى أيا عصى فانى * ازاحم تهلانا بهن ويذبلا
واهل بمن له شوادة بينهم * اذا استزمنوا كانوا أخب واختلا
صديق نفاق او عدو تقية * متى طب كان الداء أدهى وأعضلا

ولوج على الشر الذي يرصدونه * متى وجدوا يوما الى الشر مدخلا
اذا ما رأوا اعداء امرئ زاد يومه * مشوا حسدا أو بات جوعان مرملا
وفي الارض عنهم مذهب وتفسح * فمن لي ان استطيع ان اترحلا
أهم ولكن من وراءي جواذب * اخاف على اعطانها ان تسللا
وتعلقني الآمال من قلل العلا * فاجعلها منهم ملاذا ومعقلا
نعم عند ركن الدين وابن قوامه * غنى ومراد أن أشام وأسهلا
وفي يده البيضاء يقطر ماؤها * ربيع يرد الجدب اخضر مبقلا
وبالقصر من دار السلام متوج * باشراقه اخزى البدور واخجلا
ترى خرزات الملك فوق جبينه * كواكب نور ضوؤها يملأ الفلا
يميت النفوس قاطبا متنمرا * ويحيي اوانا باسما متهللا
اذا كفر النعماء شام سيوفه * وان سئل الاغضاء شام التفضلا
قريب على المولى بعيد بعزه * على معشر الاعداء أن يتسهلا
اذا من أعطى حكمه متثبتا * وان هم امضى امره متبتلا
حوى حوزة الدنيا فدبر أمرها * مليا بتقويم الامور معدلا
أطاعته اعناق البلاد وأقبلت * اليه القلوب رغبة لا تعملا
ودانت له الاقدار حتى تصرفت * على أمره الماضي صعودا ونزلا
اذا طلب الاعداء انفذ جحفلا * لها ما من الاقبال يتبع جحفلا
كفاه كان السيف والرمح جنده * فلو شاء يوم الروع حارب اعزلا
وكم عادة لله في النصر عنده * تضمن باستقرارها وتكفلا
ومن آية قامت بتثبيت ملكه * وقد كادت الاقدام ان تتزلزلا
ظهرت جلال الدولتين بفضلها * وميزها حتى تلافات [illegible]
رأى الله ان الارض أصبح سيرة * عليك رأى انسانها [illegible]
وانك تاوي [illegible] * [illegible] تبدلا
[illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]
عفوت مرارا عن تمادي ذنوبه * فانظرته بالعذر حتى توغلا

وبالامس

وبالامس لجوا فى الشقاق وأجلبوا * عليك وظنوها ومادتك فيصلا
فلم يجن ضعف الرأى الا عليهم * ولا أزددت الا قوة وتأثلا
فسائل بهم اما طريدا مشردا * يلوذ بصفح أو قتيلا مجدلا
فلا زال من عاداك أبعد شقة * واخبث اياما واخشن منزلا
ولا زالت الرايات واسمك حليها * خوافق تحوى الارض سهلا واجبلا
الى ان ترى بيض الملوك وسودها * قياما على أخرى بساطك مثلا
وبلغت من نجميك يا بدر كلما * تؤمل فى نجم على أفق علا
فديتهما بالطالع الآن قابسا * ضياءك حتى يستتم ويكملا
وكانا على الاعداء سيف تناصر * شبيهك فيما احدثا وتقيلا
وشدك والضرغام أمنع جانبا * وأنهض ادا ما اذا كان مشبلا
وكثرت بالاولاد ترهف منصلا * طريرا الى الدنيا وتطبع منصلا
اصولهم منصورة بفروعهم * اذا قام منهم آخر كان اولا
لكم فى رقاب الناس أمراس ذمة * بعيد على استحصافها ان تحللا
مفاتيح هذا الرزق بين اكفكم * ونصرة دين الله بيضا وذبلا
فما تشهدون الحرب الا اذا غلت * ولا تشترون الحمد الا اذا غلا
أتعرف يا مولى الملوك كقصة * بليت بها بالامس والحر يبتلى
ابعد قنوعى بالثمار تعففا * وهجرى أبواب الملوك تعدلا
وظلى فضلا واهتضامى توحدى * مخافة ان أوذى وثنى تبذلا
يسعى رعاع الناس عندك سعتى * وتشعرانى حزن ملامة ثقلا
و يغرى بافقارى وأنت الذى ترى * لمثلى أن يغنى وان يتمولا
ولكنها ما غيرتك شيمة * كرمت بها الا قليلا كلاولا
ولما سعى الساعى بذلك كاذبا * على بجور كنت اعلى واعدلا
اتاك بزور فاحتملته به * فالقمته بالرد تربا وجندلا
تسرع فيما جاءك اثما * ولكن أراك احق ان تمهلا
فلم تألنى كشف الصدق براءتى * ولا نظرا فى قصتى وتأملا
ورتبت ذكرا بالسعاة فى [illegible] * [illegible] وزان احمد عند [illegible]

وحكمت رايا طاهريا وهمة * بوهبية ما طبقت كان مفصلا
فان سالك مني الصدق ما علمته * بينة لم استترها تقولا
فان فاجأتني هجمة من طروقها * تروّع منها جانبي وتوجلا
حبست ولكن كان حبسا مشرفا * أناف بذكرى واعتقالا مجملا
لئن عدّ قوم نكبة حبس ليلة * لقد كنت منكوبا من الناس معزلا
وسبب لي هذا المقام ترفعي * وقد كنت عنه ساهيا ومغفلا
مكان تمناه الكواكب عزة * فتبغي اليه مهبطا ومنزلا
ومن يجبر الشمس لو خر ساجدا * لارضك أو وافى ثراك مقبلا
لبست به ثوبا اضفالي فخره * بدهرك مجرورا على مذيلا
سيعلم من جر السعاية انه * بمكرهي ان ما جونفي توصلا
لقد غرس التعريض لي في ودية * متى استثمرت أجنته صابا وحنظلا
اذا وسمت عرض النسيم بميسم * من الذم باق وذلو كان أغفلا
فكان شقيا خاب عند ذلك سعيه * وفزت وكنت المنعم المتفضلا
أقمق من عادات سيبك سنة * هي الغيث او كانت اعم واجزلا
فكم من نوال مشرف قد حقرته * وقلت من حاعه فتقللا
وعارفة لو يسئل البحر بعضها * تعذر في اخراجها وتبخلا
وكن مرغما خصمي بامر مشرف * تو غرل منه ايلال المجلا
وتجبر من جاهي الكسير وخلتي * فاجدر من أمنت من كنت موئلا
وانى بجزاء شعر بمدك ضامن * لما طاب منه في الثناء وما حلا
من الباقيات الصالحات أروضها * بفكري اذا طابت وقلبي اذا خلا
سوائر يقطعن البلاد سواهلا * دعاء مجابا أو ثناء مجملا
اذا ما كسوت العيد منهن لبسة * ترفل فيها ماثها وتخيلا
وصيد الراجي نوالك مدليا * بحرمتها مستشفعا متوسلا
يبشر عنها انه عائذ بها * عليك مدى الايام عمرا وأطولا
هو اليوم أعطاه الاله فضيلة * كما كنت من يحمل الامر مفضلا

فقابل

فقابل به وجه الخلود مبلغا * شروط ألمنى ما كر عيد وأقبلا
تزخرف جنات العلالك مفطرا * وصائم فرض كنت أو متنفلا
وكن مفطرا بالبر والبس على التقى * ثوابك وانزع صومك المتقبلا
الى ان ترى صم الجبال فلاتقا * مسيرة والجوزاء مسلسلا
اذا ما انجلى صبح ولست بمالكا * علينا فلاشق الظلام ولا انجلا

ويلتحق بمن سبق ذكرهم من مشاهير شعراء هذه الطبقة فى جلالة المحل وعلو المكانة وتمام الاجادة الامير ابو فراس الحارث بن سعيد الحمدانى وقد مضى مثال شعره والوزير مؤيد الدين الطغرائى صاحب لامية العجم المشهورة وأبو الحسن على بن محمد التهامى فلابد من تمثيل شعرهما لاتمام الفائدة ففى شعر الوزير المذكور قوله يمدح ابا الفتح مسعود بن محمد السلجوقى الملقب بقسيم أمير المؤمنين وكان الملوك من العجم أيام قوة الدولة العباسية يدعى الواحد منهم مولى امير المؤمنين فلما قوى أمر سلطنة العجم وضعفت الدولة كان يلقب الواحد منهم قسيم امير المؤمنين وكان الطغرائى بعض وزرائهم

نظرى الى لمع الوميض حنين * وتنفسى لصبا الاصيل أنين
ما كنت أعلم قبل نازلة الحمى * ان الحبائل والسهام عيون
ركزوا بابواب القباب رماحهم * وو راء هن أهلة وغصون
آساد ملحمة وأدم صريمة * تحت الاكلة فالكناس عرين
ومضوا يشيمون الوميض وقدهفا * بحفوفه خضل الرباب هتون
الا يكن نعب الغراب ببينهم * أصلا فقد نعبت سحائب جون
باتوا ونجوى البين بين رحالهم * فوضى ومسترق الحديث شجون
وتحملوا سحرا وحشو حدوجهم * صور الجآ ذر والظباء العين
ووراء اصداف الحدوج بدرها * هوج الركائب لؤلؤ مكنون
ان الألى اقوت ربوعهم لهم * بين الاضالع منزل مسكون
نشرت ربوعهم بعود قطينها * فنشور ربع أن يعود قطين
ومليحة بكرت على ملية * سحرا وقد صبغ الخدود جفون
قالت عهدتك لا تراع لحادث * وحصاة قلبك لا تكاد تلين

فاليوم مالك مستكينا يعترى * محزون دمعك قلبك المحزون
تبغى سلوى وهو أعوز مطلب * وطلاب مالا يستطاع جنون
فاجبتها كفى الملام واقصرى * كل بما كسبت يداه رهين
لم يبق عندي للتجلد موضعا * بين بنفر يسق الجيع قمين
ولقد أثرت العيس مالظهورها * مما اضرّ بها السفار بطون
مثق السهوب لحومهن وعرّقت * اشلاءهن فكل حرف نون
يرسفن فى قيد الكلال كانما * حركاتهن وقد جهدن سكون
ولقد ترى والريح راسفة اذا * قيست اليها والوهض حرون
وكانها والليل وحف فاحم * عوج المدارى والظلام قرون
يرمى بهن نياط كل تنوفة * هم وهم فى الضلوع دفين
هم تعاورها الهموم وعزمة * عذراء شيبها الخطوب العون
واذا طغى بحر الزماع فماله * الا القلاص اليعملات سفين
واذا نبا الوطن المعسوف باهله * فظهورهن لمن سكن حصون
يخبطن احشاء الدياجى أو يرى * لاصبح خد واضح وجبين
ولقد سلبت مراحهن الى حمى * ملك له رب السماء معين
مسعود الميمون طائره الذى * جد المنيخ ببابه ميمون
ملك الملوك ابن السلاطين الألى * ملكوا رقاب العالمين ودينوا
ركزوا ببرقة والصعيد رماحهم * والهند مربط خيلهم والصين
ملكوا الاعنة والاسنة والظبا * تحت العجاج بوارق ودجون
مجد توورث كابرا عن كابر * والدهر مقتبل وآدم طين
فالعز أقعس والجناب ممنع * والمجد اتلع والفناء حصين
شغفت بدعوته المنابر يافعا * وصبا اليه الملك وهو جنين
شرق البنان بجوده غدق الندى * كلتا يديه له. فناة يمين
للملك مأوى فى ظلال يمينه * يأوى اليه النصر والتمكين
طرب الشمائل حين تماد القنا * غلا ويشرق بالدماء وتين

يجاب

ينجاب عنه النقع وهو كأنه * قمر له سعد السعود قرين
والمشرفية في العجاج لوامع * والاعوجية في الصفوف صفون
وعليه نشؤ مظلة مكفوفة * بالدر والياقوت وهو ثمين
سوداء حمراء الحفاف كأنها * زهر الشقائق في الرياض تبين
رفعت تردّ الشمس عن شمس لها * نور اذا اعتكر الظلام مبين
شمسان يكتنفانها من فوقها * شمس وآخر تحتها مدجون
فبنور تلك اضاءت الدنيا وذا * ضاءت به الدنيا وعز الدين
فلك يدور على ذؤابة تاجه * ويكون أنى دار حيث يكون
تمشي الملوك الصيد تحت ركابه * ويظله بجناحه جبرين
والجرد مثقلة الرقاب يؤودها * حمل النضار يكدها ويزين
سبقت حوافرها النواظر فاستوى * سبق الى غاياتها وشفون
لولا تراءى الغايتين لاقسم الـ * ـسراؤن ان حراكها تسكين
قد كان يشبهها البروق لوانها * لم يعتلقها أعين وظنون
من كل جياش العنان اذا جرى * يوم الرهان فسبقه مضمون
ان يقرع الطود الاشم فاجدل * أو يركب البحر الخضم فنون
بأخيه شد الله أزر جلاله * فوزيره من أهله هارون
قدمان قد نبت الحوادث عنهما * فالعود صلب والقرار حصين
جمعا على رغم العدا وتساندا * فكلاهما صدق القناة متين
سبق المجلي والمصلي دونه * ووراءه كل البرية دون
يا أيها الملك الذي بجلاله * قضى القضاء وكوّن التكوين
مرضاته تحيي وردى سخطه * فهما حياة للورى ومنون
خانت ذؤالة في القطيع وماله * راع واضحى اللص وهو أمين
وتنازع الذئب الشعاع عصابة * لم يدر بينهم به المفتون
وتناجبوا ما لم يكن من قبل ذا * سفرنسين يملكه ولا قارون
فبكل أرض راية وعصابة * جمعت وحرب لا تمل زبون

جرّد عزيمتك المتينة انها * فتن ركدن سهولهن حزون
فبغاثها مستنسر وشرارها * نار تشب ودودها تنين
وكانما الدنيا وقد شحنت بها * بحر تكفأ فلكه المشحون
وارم الصفوف بمثلهن وشنها * شعواء ينسى عندها صفين
واشدد يديك بحبل عمك انه * مولاك وهو بما تحب ضمين
واطلع عليه براية منصورة * اقباله بطلوعها مقرون
أبني الملوك الصيد انّ وراءكم * خطبا اذا دبرتموه يهون
من قبل ذا خان الامين شقيقه * فاديل منه لبغيه المأمون
غلب العبيد على مقر سريركم * والعبد خوار القناة مهين
هي جولة الضحاك عم بلاؤها * كل الانام فاين افريدون
فانهض لها بالعزم يكنفه الظبي * والسابرية نسجها موضون
واعصف عليهم بالقواضب عصفة * تذر الرقاب الغلب وهي ذرين
كايلهم بالصاع صاعا واجزهم * بتراتهم ان الترات ديون
ان الهوى والرأي مالا نحوكم * بركائبي وهوى الرجال فنون
أبغي نهايات العلاء وهمتي * تابى التوسط فالتوسط هون
فاسلم لأدرك فيك ما املته * ظنا وظن الالمعي يقين

هذا الشعر يستعيدك النظر فيه ويستدعيك التأمل في مطالعه ومقاطعه لتعرف من اين مكان علو رتبته من البلاغه فانك لا تجد الشاعر قصد فيه الى النكات وزخرفته بالمحسنات كما هو حال المتأخرين وانما قصد أن يكون الشعر متخير اللفظ محكم التركيب منحدر السلاسة لا يتوقف اللسان في انشاده مع صحة معانيه وتمكن حدود فصوله ومما يكاد ان يكون من اختراع الوزير المذكور جمعه بين مدح الفتيان من حي الاحباب وغزل الفتيات منهم وقد تابعه في ذلك وتوسع شهاب الدين معتوق الموسوي من متأخري أهل الاجادة فاكثر غزله من اوله الى آخره لا يخلو من ذلك ومن شعر أبي الحسن التهامي قصيدته الفريدة البالغة في بابها غاية لم يبلغها سواها التي يرثي في أولها صغيرا له اجاب داعي ربه ويفتخر في آخرها بفضله ويشكو زمانه وحاسديه وهي هذه

حكم المنية فى البرية جار * ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يرى الانسان فيها مخبرا * حتى يرى خبرا من الاخبار
طبعت على كدر وانت تريدها * صفوا من الاقذار والاكدار
ومكلف الايام ضدّ طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار
واذا رجوت المستحيل فانما * تبنى الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سار
فاقضوا مآربكم عجالا انما * أعماركم سفر من الاسفار
وتراكضوا خيل الشباب وبادروا * أن تستردّ فانهن عوار
فالدهر يخدع بالمنى ويغص إن * هنى ويهدم ما بنا ببوار
ليس الزمان وان حرصت مسالما * خلق الزمان عداوة الاحرار
انى وترت بصارم ذى رونق * اعددته لطلابة الأوتار
والنفس ان رضيت بذلك أو أبت * منقادة بازمة المقدار
أثنى عليه بأثره ولوانه * لم يغتبط اثنيت بالآثار
يا كوكبا ما كان أقصر عمره * وكذاك عمر كواكب الاسحار
وهلال أيام مضى لم يستدر * بدرا ولم يمهل لوقت سرار
عجل الخسوف عليه قبل أوانه * فمحاه قبل مظنة الابدار
واستل من أترابه ولداته * كالمقلة استلت من الاشفار
فكأنّ قلبى قبره وكأنه * فى طيه سر من الاسرار
ان يعتبط صغرا فرب مفخم * يبدو ضئيل الشخص للنظار
ان الكواكب فى علوّ محلها * لترى صغارا وهى غير صغار
ولد المعزى بعضه فاذا مضى * بعض الفتى فالكل فى الآثار
ابكيه ثم أقول معتذرا له * وفقت حين تركت ألأم دار
جاورت اعدائى وجاور ربه * شتان بين جواره وجوارى
اشكو بعادك لى وانت بموضع * لولا الردى لسمعت فيه سرارى
والشرق نحو الغرب اقرب شقة * من بعد تلك الخمسة الاشبار

هيهات قد علقتك اسباب الردى * واغتال عمرك قاطع الاعمار
ولقد جريت كما جريت لغاية * فبلغتها وابوك فى المضمار
فاذا نطقت فانت اول منطق * واذا سكت فانت فى أضمارى
اخفى من البرحاء نارا مثل ما * يخفى من النار الزناد الوارى
وأخفض الزفرات وهى صواعد * واكفكف العبرات وهى جوار
وشهاب نار الحزن ان طاوعته * اورى وان عاصيته متوارى
واكف نيران الاسى ولربما * غلب التصبر فارتمت بشرار
ثوب الرياء يشف عما تحته * واذا التحفت به فانك عار
قصرت جفونى أم تباعد بينها * أم صورت عينى بلا اشفار
جفت الكرى حتى كأن غراره * عند اغتماض العين وخز غرار
ولو استزارت رقدة لطحا بها * ما بين اجفانى من التيار
احيى الليالى التم وهى تميتنى * ويميتهن تبلج الاسحار
حتى رأيت الصبح تهتك كفه * بالضوء رفرف خيمة كالقار
والصبح قد غمر النجوم كأنه * سيل علا فطفا على النوار
لو كنت تمنع خاض دونك فتية * منا بحار عوامل وشفار
ودحوا فويق الارض ارضا من دم * ثم انثنوا فبنوا سماء غبار
قوم اذا لبسوا الدروع حسبتها * خلجا تمدّ بها أكف بحار
لو شرعوا ايمانهم فى طولها * لطعنوا بها عوض القنا الخطار
جنبوا الجياد الى المطى وراوحوا * بين السروج هناك والاكوار
وكأنما ملؤا عياب دروعهم * وغمود أنصلهم سراب قفار
وكأنما صنع السوابغ عزه * ماء الحديد فصاغ ماء قرار
زردا فاحكم كل موصل حلقة * بحبابة فى موضع المسمار
فتسربلوا بمتون ماء جامد * وتقنعوا بحباب ماء جار
اسد ولكن يؤثرون بزادهم * والاسد ليس تدين بالايثار
يتزينون الى الندى بحسن وجوههم * كتزين الهالات بالاقمار

ثم طلوعة

يتعطفون على المجاور فيهم * بالمنفسات تعطف الاظآر
من كل من جعل الظبى انصاره * وكرمن واستغنى عن الانصار
واذا هو اعتقل القناة حسبتها * صلا تأبطه هزبر ضار
والليث ان ثاورته لم يعتمد * الا على الانياب والاظفار
زرد الدلاص من الطعان بريحه * فى الجحفل المتضايق الجرار
ما بين ثوب بالدماء مضمخ * زلق ونقع بالطراد مثار
والهون فى ظل الهوينا كامن * وجلالة الاخطار فى الاخطار
تندى اسرة وجهه ويمينه * فى حالة الاعسار والايسار
ويمد نحو المكرمات أناملا * للرزق فى اثنائهن مجار
يحوى المعالى كاسبا أوغالبا * ابدا يدارى دونها ويدارى
قد لاح فى ليل الشباب كواكب * ان أمهلت آلت الى الاسفار
وتلهب الاحشاء شيب مفرقى * هذا الضياء شواظ تلك النار
شاب القذال وكل غصن صائر * فينانه الاحوى الى الازهار
والشيب مجتذب فلم بيض الدمى * عن بيض مفرقه ذوات نفار
وتود لوجعلت سواد قلوبها * وسواد أعينها خضاب عذار
لا تنفر الظبيات عنه فقد رأت * كيف اختلاف النبت فى الاطوار
شيآن ينقشعان اول وهلة * ظل الشباب وخلة الاشرار
لا حبذا الشيب الوفى وحبذا * ظل الشباب الخائن الغدار
وطرى من الدنيا الشباب وروقه * فاذا انقضى فقد انقضت اوطارى
قصرت مسافته وما حسناته * عندى ولا آلاؤه بقصار
نزدادها هكلما ازددنا غنى * والفقر كل الفقر فى الاكثار
ما زاد فوق الزاد خلف ضائعا * فى حادث أو وارث أو عار
انى لأرحم حاسدى لحر ما * ضمنت صدورهم من الاوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم * فى جنة وقلوبهم فى نار
لا ذنب لى قد رمت كتم فضائلى * فكأنما برقعت وجه نهار

وسترتها بتواضعي فتطاعت * اعناقها تسلوعلي الاستار
ومن الرجال معالم ومجاهل * ومن النجوم غوامض ودراري
والناس مشتبهون في ايرادهم * وتفاضل الاقوام في الاصدار
عمري لقد اوطأتهم طرق العلا * فعموا فلم يقفوا على آثاري
لو ابصروا بقلوبهم لا استبصروا * وعمى البصائر من عمى الابصار
هلا سعوا سعي الكرام فادركوا * أو سلموا لمواقع الاقدار
وفشت خيانات الثقات وغيرهم * حتى اتهمنا رؤية الابصار
ولربما اعتضد الحليم بجاهل * لا خير في يمنى بغير يسار

وقوله يمدح الامير نصير الدولة أبا نصر بن مروان محيا فارقين

عبس من شعر في الراس مبتسم * ما نفر البيض مثل البيض في اللمم
ظلنت شيبته تبقي وما علمت * ان الشبيبة مرقاة الى الهرم
ماشاب عزمي ولا حزمي ولا خلقي * ولا وفائي ولا ديني ولا كرمي
وانما اعتاض راسي غير صبغته * والشيب في الراس دون الشيب في الشيم
بالنفس قائلة في يوم رحلتنا * هواك عندي فسران شئت أو أقم
فجدت وجدا فلامتني فقلت لها * لا تعذليه فلم يلؤم ولم يلم
لما صفا قلبه شفت سرائره * والشئ في كل صاف غير مكتتم
بعض التفرق أدنى للقاء وكم * لا مشتمل الا بشمل غير ملتئم
كيف المقام بارض لا يخاف بها * ولا يرجى شبا رمحي ولا قلمي
فقبلتني توديعا فقلت لها * كفي فليس ارتشاف الخمر من شيمي
لولم يكن ريقها خمرا لما انتطقت * بلؤلؤ من حباب الثغر منتظم
ولو تيقنت غير الراح في فمها * ما كنت ممن يصيد اللثم باللثم
وزادر يقتها في ثغرها شبما * على حمى برد من ثغرها شبم
اني لاطرف طرفي عن محاسنها * تكرما وأكف الكف عن أمم
ولا أهم ولي نفس تنازعني * استغفر الله الاساءة الحلم
لا أكفر الطيف نعمى أنشرت رجاء * منا كما تفعل الارواح بالرمم

حيا

حيا فاحيا فأغنتنا زيارته * عن اعتساف الفلا بالاينق الرسم
وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت * سيان ما اشبه الوجدان بالعدم
والدهر كالطيف بؤساه وانعمه * عن غير قصد فلا تمدح ولا تلم
لا تحمد الدهر في بأساء يكشفها * فلو اردت دوام البؤس لم يدم
خالف هواك فلولا ان اعونه * مصر لما اقتنص العقبان بالرخم
ترجو الشفاء بجفنيها وسقمهما * وهل رايت شفاء جاء من سقم
وتدعي بصبا نجد فان خطرت * كانت جوى لك دون الناس كلهم
وكيف يطفي صبا نجد صبابته * والريح زائدة في كل مضطرم
اصبو واصحو ولم يكلم يا ثقة * عرضي كما تكلم الاعراض بالكلم
ولا احب ثناء لا يصدقه * فعلي ولا ارتضي في المجد بالتهم
لا تحسبي حسب الآباء مكرمة * لمن يقصر عن غايات مجدهم
حسن الرجال بحسناهم وفخرهم * بطولهم في المعالي لا بطولهم
ما اغتابني حاسد الا شرفت به * فحاسدي منعم في زي منتقم
فالله يكلأ حسادي بانعمهم * عندي وان وقعت عن غير قصدهم
ينبهون على فضلي اذا كتبت * صحيفتي في المعالي عنونت بهم
يا طالب المجد في الآفاق مجتهدا * والمجد اقرب من ساق الى قدم
قل نصر دولة دين الله لي امل * قولي وقد نلت اقصى غاية الهمم
كم حدت عنه فنادتني فضائله * يا حاتم الادب امدح حاتم الكرم
وقادني نحوه التوفيق ثم دعا * هذا الطريق الى العلياء فاستقم
وقصره عرفات العرف فاغن به * وكفه كعبة العلياء فاستلم
ترى الملوك على أبوابه عصبا * وفدا فدع غيرهم من سائر الامم
يحفه كل محفوف مواكبه * عزا ويخدمه ذو الجند والخدم
تظل مزدحمات في مواكبه * تيجان كل مهيب الباس والنقم
تفيؤا ظل ملك منه محتشم * ورب ملك مذال غير محتشم
والملك كالغاب منه خدر ذي لبد * ومنه مرتبع للشاء والنعم

هم اعظم الناس اقدارا ومقدرة * لكن أتى فضله من دون فضلهم
اذا بدا طبق التقبيل ساحته * فما على الارض شبر غير ملتثم
فساحة الثغر ثغر اشنب رتل * مفلج فهو مرشوف بكل فم
كأن ارضك مغناطيس كل فم * فالطبع يجذبها بالطوع والرغم
لما علوت غمرت العالمين ندى * والمزن تعلو فتروى الارض بالديم
ترفاو مارقأت نعماك عن أحد * بوركت بوركت من عال ومنسجم
مقسم في العلا للبين يمنته * واليسر يسرته والكل للكرم
ان قال لا فهي آلاء مضاعفة * وان يقل نعما افضت الى نعم
تبدو صرامته في ماء غرته * والماء بعض صفات الصارم الخذم
هو الجرىء على مال يجود به * والكر في الجود مثل الكر في البهم
مفرق الجود مقسوم مواهبه * في علية الناس والاوساط والحشم
والغيث ان جاد بالمعروف وزعه * بين الشناخيب والغيطان والاكم
به الى كل شرب لا الا ظمأ * برح ومهما ارتوى من مائه نلمى
و يعتريه الى بذل الاهى نهم * والظرف احمد في ذلك النهم
اليك نظمت اجواز الفلاة على * وجناء تهوى انقضاض الجارح القرم
كأنما البيد من دامي مناسمها * مصاحف كتبت اعشارها بدم
اخفافها انما كانت كل مشكاة * بجمرة مججمات كل منجم
وادهم واضح الاوضاح مشترك * بين النهار وبين الليل منقسم
لضوء ارساغه الاحوافره * فانهن مع الجلباب للظلم
علوك علق التحجيل اكرعه * كما تعلق بدؤ النار بالفحم
جرى فيلي محيا الصبح غرته * اثما ومسح بالارساغ والقدم
اضحى لذلك ثغر الثغر مبتسما * وكان قبل عبوسا غير مبتسم
ما ينقم الثغر الا ان محوت به * الا من الظلم كانوا منه في ظلم
عففت عنهم فزادوا عفة وتقى * فهم من الامن والايمان في حرم
قد عظم الله املا كاملكت بها * بني عقيل وما يعوون من نعم

لولم تعزها الابانصر لما وجدت * كفؤا بشاكل فى أصل ولا كرم

لو نطلب الشمس غير البدر ما اتصلت * بمثله فى سناه القدر والعظم

زادت الى عزها اعزا بها مضر * وربما صيدت العلياء بالحرم

خمسون الفا يغطى البر جمعهم * بموج بحر من الماذى ملتطم

من كل من يتلقى وجه زائره * بكوكب كهلال الفطر ملتثم

يجزبون على مخبورة غنيت * عن الاعنة واستغنوا عن الحزم

لصاهل الخيل من تحت الرماح بهم * كما تزاءر غلب الأسد فى الاجم

قوم يرون احتضار العمر مكرمة * فليس تفضى بهم سن الى هرم

ونغمة السيف أحلى نغمة خلقت * اذا ترنم بعد البيض فى اللمم

والجيش فى لف افراس مكلمة * بمثلهن وفرسان بمثلهم

اذا الاسنة فى الهيجاء ألسنة * يعربن عن كل مقدام ومنهزم

محمرة من دم الابطال أنصلهم * كأنما نصلوا الارماح بالعنم

قد كنت انكر شعرى حين حاوله * منى وحاشاك املاك بلا همم

لا يألمون لنقص البخل وهو بهم * ويح كيف للاموات بالألم

خير المذاهب ما كان البيان له * سلكا وفصل بالامثال والحكم

رب كل من بخلت كفاه من ملك * فاكثر الناس خزان لغيرهم

ذوا الجود يورث فى محياه أنعمه * والنكس يورث بعد الموت والعدم

وقيمة المرء ما جادت به يده * وقدرك الانفس الاعلى من القيم

والفضل اشياء شتى أنت جملتها * وصيغة أنت معناها فدم يدم

بين القصيدتين بون بعيد والشاعر واحد فما كل حين يجود الطبع بما تهوى النفوس بما أرد التشبيه وهو عنه فى غنية فى قوله كأنما البيد من دامى مناسمها البيت فانه جمع الى سوء الأدب كونه صورة اختراعية ليس لها فى الخارج واقع اذ ليس من المعهود ان تكتب اعشار المصاحف بالدم وبعد فليس فى القصيدة غير أبيات وانما أوردتهما لتعرف ما اشرنا اليه من تفاوت القول حتى على الشاعر الواحد فلا تغتر بشهرة المشهور ولكن تحكم معرفتك وعرض ما تجده على ما تقرر من القوانين التى توافقها وتخالفها يردأ القول ويجود هذا وليس يقصر عن درجة هؤلاء خاتمة هذه الطبقة القاضى ناصح

الدين أحمد الارجانى وكان مكثراً حتى قيل انه كان فرض على نفسه ان يقول كل يوم ولو أربعة أبيات لكن المدوّن من شعره قليل وهذا مثاله قال يمدح الامام المسترشد بالله

كأنك بالاحباب قد جددوا العهدا * وانجزت الايام من وصلهم وعدا
وعادوا الى ما عوّدونا فاصبحوا * وقد انعمت نعم وقد اسعدت سعدا
امانى لا تدنى نوى غير انها * تعلل منا انفسا ملئت وجدا
وجمرة شوق كلما الام لائم * وردد من انفاسه زادها وقدا
أحن الى ليلى على قرب دارها * حنين الذى يشكو لآلافه بعدا
ولى سلك جسم ملؤه درّ أدمع * فلولا العدى اسبت فى جيدها عقدا
اكتم جهدى حبها وهو قاتلى * وكامن نار الزند لا يحرق الزندا
هلالية قوما وبعد منازل * فهل من سنا منها الى مقلة يهدى
غزالية للناظرين اذا بدت * ان انتقبت عينا وان سفرت خدا
اذا زرتها جرّ الرماح فوارس * انتقصيدها فيمن يروم لها قصدا
وحالوا باطراف القنا دون ثغرها * كما ذاد يحمى النحل بالابر الشهدا
وآخر عهدى يوم جرعاء مالك * بمنعرج الوادى واظعانهم تحدى
ولما دنت والسترمرخى ودونها * غيارى غدت تغلى صدورهم حقدا
تقدمت ابغى ان ابيع بنظرة * الى سجفها روحى اقدر خصت جدا
أسفت على ماضى عهود احبتى * وهل يملك المحزون للفائت الردّا
ابوا أن يبيت الصب الامعذبا * اذا بعدوا شوقا وان قربوا صدّا
متى وردوا بى منهلا من وصالهم * قضى هجرهم ان يسبق الصدر الوردا
فكم حادبى ان لم أنل منهم منى * وكم عادبى ان لم اجد منهم بدا
وماقاتلى الا لواحظ شادن * من الراعيات القلب لا البان والرندا
عجبت لليلى وهى جذ فروقة * وقد صرعت يوم اللقا فارسا نجدا
كأن معاج العيس من بطن وجرة * وقد طفقت تصطاد غزلانه الأسدا
اظلته ايام الامام بعدله * فلم يخش ريم أحور أسدا وردا
بحق اليه الله القى أمورنا * ولله ارقى ناقد للورى نقدا

فقد زين الدنيا بآثار كفه * مساعاً وخلاها لأبنائها زهدا
يؤرقه خوف عليهم ليأمنوا * اذا الدهر انحى نحوهم حادثاً إدّا
قلوب العدا منه حذاراً كقلبه * علينا وعيناه كأعينهم سهدا
اذا ما الهموم المسهرات طرقنه * ضيوفاً قراها جمعه الجد والجدا
وكالصبح مبيضاً له الرأي ينتضي * اذا ما اظل الخطب كالليل مسودا
بمسترشد بالله مستخلف له * ما يلك يريك الله طاعته رشدا
يحول حجاب العز دون لقائه * وان كان لا يعيا على طالب رفدا
وتنهى العيون الشمس عنها اذا اعتلت * بهوراً وان كانت بأنوارها تهدى
قدم للعلا يا خير من مطر الورى * نوالاً فلم نعرف له في الندى ندا
وأنت الذي قد ضمه البرد من تقى * ومن كرم من قبل ان يرث البردا
ووليت من ملك القضيب شبيه ما * تولاه من كان المشير به جدا
وما هو الا الأمر أمته الذي * اليك انتهى اذ كنت من بينها فردا
سرائر لله انطوت في امائر * أولو العلم قد كانت الى فهمها اهدى
اذا لحظتها فطنة عربية * غدت ألسنا عند الحجاج لكم لدا
ألم تر ان ابني نزار تملكا * له القبة الحمراء والفرس النهدا
وكان لهذا بالسيادة حجة * وهذا يقود الخيل نحو الوغى جردا
دليلان كل منهما بوضوحه * لك الله رب العرش اهدى الذي أهدى
نحبك لا حب اعتياد وانما * بذلك علينا الله قد أخذ العهدا
وما ان نرى اجراً على الله واجبا * لسعي رسول الله الا لك الودا
بكم آل عباس يعاذ ومنكم * يعاد لنا جزل العطاء كما يبدا
وأنتم شفعتم للحيا عند حبسه * فاطلقتموه حائزين له حمدا
فهل غيركم من آل بيت مكارم * اذا افتخروا كان الغمام لهم عبدا
لكم سن في الارض الخلافة آدم * ومن أجلكم لم ييأس اذ فارق الخلدا
وفي ناهر ابراهيم كانت خبيئة * اكفكم حتى غدت ناره بردا
ولولا الذي أصبحتم خلفاءه * لما كان من كون معاد ولا مبدا
ولم تخلفوا حتى غدا غاية التي * تناهت فما عنها الذي نهية مغدا

تركت بني الالحاد في كل موطن * وقد هدّ سيف الله بنيانهم هدّا
هم خلطوا الاسلام بالكفر خلطة * فصيرت حد السيف بينهم الحدّا
اذا الكف أبدت باغتصاب اشارة * الى حقك الموروث لم تصحب الزندا
اذا رأس طاغ مال عنك بجهالة * أبى حينه الا القناة له قدّا
وما ارتد منهم فاز فرد بذلة * الى الدين الا سرعة النفس إرتدا
بقيت لدهر لم تدع أهله سدى * ودين جعلت السيف من دونه سدّا
اليك امير المؤمنين سرت بنا * ركائب أدنت من موافقك الوفدا
لطمن بايديهن خدا من الفلا * على عجل حتى تركن به خدّا
وقد وفد العبد القديم ولاؤه * ليتبع طرفا من مدائحكم تلدا
وما الشعر قاض واجبا من حقوقكم * لدى ولكن من مقل غدا جهدا
ولولا منا هي دين جود شرعته * لمت بنات الفكر من أنف وأدا
فداك نفسي في العبيد من الردى * فمثلي من يفدى ومثلك من يفدى
بقاءك أرجوا الله ربي وظله * على الخلق طرا ان يمدهما مدّا
تصوم على يمن وتفطر دائما * وتطلع في افق العلا أبدا سعدا
وتبقى الى ان تبلى الدهر خالدا * ولا عرف للسيف ان يبلى الغمدا

الطبقة الثالثة اشهر اهلها محمد بن نباتة المصري ومعاصريه عبد العزيز بن سرايا الحلي فلنقتصر في التمثيل على ما نورده لهما قال ابن نباتة يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

صحا القلب لولا نسمة تتخطر * ولمعة برق بالغضا تتسعر
وذكر جبين المالكية ان بدا * هلال الدجى والشيء بالشيء يذكر
سقى الله اكناف الغضا سبل الحيا * وان كنت أسقى ادمعا تتحدر
وعيشا نضا عنه الزمان بياضه * وخلفه في الرأس يزهو ويزهر
تغير ذاك اللون مع من أحبه * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير
وكان الصبا ليلا وكنت كحالم * فيا أسفي والشيب كالصبح يسفر
رعاني تحت العمامة كتمه * فيعتاد قلبي حسرة حين أحسر
ألا في سبيل الله صوم عن الصبا * وقلب على عهد الحسان مفطر

تذكرت

تذكرت أوطان الوصال بأشهب * من الدمع في ميدان خدي وأحمر
اذا لم تفض عيني العقيق فاذرأت * منازله بالوصل تبهى وتبهر
وان لم تواصل عادة السقى مقلتى * فلا عادها عيش مغناه أخضر
ليالي تجنى الحسن في أوجه الدمى * وتجنى على أجسامنا حين تنظر
يؤثر في خد المليحة لحظها * وان كان في ميثاقها الا يؤثر
اذا حل مبيض المشيب بعارض * فما هو الا للمدامع محطر
كأني لم أتبع صباو صبابة * خليع عذار حيث ما همت أعذر
ولم أطرق الحي الخصيب زمانه * يقابلني زهر لديه ومزهر
وغيداء اما جفنها فمؤنث * كليل واما لحظها فمذكر
يروقك جمع الحسن في لحظاتها * على انه بالطرف جمع مكسر
من الغيد تخفيها الظبي بحجابها * ولكنها كالبدر في الماء يظهر
يشف وراء المشرفية خدها * كما شف من دون الزجاجة مسكر
ولا عيب فيها غير سحر جفونها * وأحبب بها سحارة حين تسحر
اذا جردت من بردها فهي عبلة * وان جردت الحاظها فهي عنتر
اذا خطرت في الروض طاب كلاهما * فلم ندر من أزهى وأشهى وأعطر
خليلي كم روض نزلت فناءه * وفيه ربيع للتنزيل وجعفر
وفارقته والطير صافرة به * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر
الى أعين بالماء نضاخة الصفا * اذا سد منها منخر جاش منخر
ندامای من خود وراح وقينة * ثلاث شخوص كاعبات ومعصر
قضيت لبانات الشبيبة والهوى * وطولت حتى آن أني مقصر
ورب طموح العزم ادماه جمرة * يظل بها عزمي على البيد يجمر
طوت بذراعي وخدها شقة الفلا * وكف الثريا في دجى الليل تشبر
بصم المصارى الحداة كأنما * تغار على محبوبها حين يذكر
اذا ما حروف العيس خطت بقفرة * غدت موضع العنوان والعيس أسطر
فلله حرف لا ترام كأنها * بوشك السرى حرف لدى البيد مضمر

حطت بنا أرض الشآم الى حمى * بهر وضقر يا الجناب ومنبر
الى حرم الامن المنيع جواره * اذا ظلت الاصوات بالروع تجأر
الى من هو التبر الخلاص لناقد * غداة الثنا والصفوة المتخير
نبي أتم الله صورة فخره * وآدم في فخاره يتصور
نظيم العلا والافق ماهد طرسه * ولا فقر الزهر الكواكب تنثر
ولا لعصا الجوزاء في الشهب آية * وبحر الدجى من تحتها يتفجر
نبي له مجد قديم وسودد * هيم واخبار تجل وتخبر
تحزم جبريل لخدمة وحيه * واقبل عيسى بالبشارة يجهر
فمن ذا يضاهيه وجبريل خادم * لمقدمه العالى وعيسى مبشر
تهاوت لما أتاه النجوم كانها * تشافه بالخد الثرى وتعفر
وينضب ماء من بحيرة ساوة * ولم لا وقد فاقت بكفيه أبحر
نبي له الحوضان هذى أصابع * تفيض وهذا في القيامة كوثر
وعن جاهه النيران هذى بفارس * تبوخ وهذى في غد حين نحشر
اذا ما تشفع نابه كف غيظها * وقالت عبارات الصراط لنا اعبروا
تنقل نورا بين اصلاب سادة * فلله منه في سماء الفضل نير
ومن أجله جيء الذبيحان بالفدا * وصين دم بين الدماء مطهر
ولما أراد الله اظهار دينه * بدا قمرا والشرك كالليل يكفر
فجلى الدجى واستوثق الدين واضحا * واقام بنصر الله داع مظفر
عزائم من لا يختشى يوم غزوه * ردا وعطا من ليس للفقر يحذر
علاء محا كاة الغمام لفضله * وكيف يحاكيه الخديم المعفر
يظلله وقت المسير وتارة * يشير اليها بالبنان فتمطر
الم تران القطر في الغيم فارس * اذا برزت الاؤه يتعطر
هو البحر فياض الموارد للورى * ولكنه العذب الذى لا يتكدر
فمن لى بلفظ جوهرى قصائدا * ينظم حتى يمدح البحر جوهر
وهيهات ان نحصى بتقرير مادح * مناقب في الذكر الحكيم تقرر

اذا شعراء الذكر قامت بمدحه * فما قدر ما تنشى الانام وتشعر
نبي زكا أصلا وفرعا وأقبلت * اليه أصول فى الثرى تتجرر
وخاطبه وحش المهامه آنسا * اليه وما عن ذلك الحسن ينفر
له راحة فيها على البأس والندا * دلائل حتى فى الجماد تؤثر
فبينا العصا فيها وريق قضيبها * اذا هو مشحوذ الغرارين ابتر
كذا فالتسكن فى شكرها وصفاتها * يدبين أوصاف النبيين تشكر
مضت ومحت شكوى قتادة فاغتدت * بها العين تجرى أو بها العين تبصر
لعمرى لقد سارت صفات محمد * كذلك النجوم الزاهرات تسير
أرى معجز الرسل انطوى بانطوائهم * ومعجزه حتى القيامة ينشر
كبير فخار الذكر فى الخلق كلما * تلا قارئ أو قال الله أكبر
هو المرتقى السبع الطباق الى مدى * لجبريل عنه موقف متأخر
هو الثابت العليا على كل مرسل * بحيث له فى حضرة القدس محضر
هو المصطفى والمقتفى لا مناره * تحط ولا انواره تتكدر
اليك رسول الله مدت مطالبى * على انها اضحت على الفوز تقصر
خلقت شفيعا للانام مشفعا * فرجواك فى الدارين أجدى واجدر
ولى حالتا دنيا وأخرى أراهما * بمر ان بى فى عيشه تتمرر
حياة ولكن بين ذل وغربة * فلا العز يستحلى ولا البين يفتر
وعزم الى الاخرى يهم نهوضه * ولكنه بالذنب كالظهر موقر
تصبرت فى هذا وذاك كاننى * من العجز والبوسى قتيل مصبر
وها أنا قد أبلغت عذرى قاصدا * وأيقنت ان النجح لا يتعذر
عليك صلاة الله فى كل منزل * يعبر عن غرس الجنان ويعبر
وآلك والصحب الذين عليهم * تحل حبا مدح وتعقد خنصر
بجاهك عند الله أقبلت لائذا * وتكبر حاجاتى وجاهك أكبر
ونظمت شعرى فيك يزهى قصيده * على كل بيت لى من الشعر يعمر
معظمة المعنى يكرر لفظها * فحلوانا منها الكلام المكرر

دنت من صفات الفضل منك غمائما * لتفضل ما أبداه طيّ وعنتر

وماضرها اذ كان نشر نسيمها * رخاء اذا مالم يكن فيه صرصر

ينبغي لك أيها الطالب الراغب في معرفة جودة الصناعة الشعرية ان تكرر النظر في هذا الشعر وتتأمله بيتا بيتا حتى تقف على ما أسكن كلا منهما من أنواع البديع وحسبك شاهدا على براعة الاستهلال وما ينبغي ان يصدّر به المديح النبوي من النسيب فانه بدأ الكلام بقوله صبا القلب وهي عبارة عربية ابتدأ بها زهير قصائده وغيره فهي تصرف خيالك الى العرب وتشعر انه يريد القول في تلك الناحية ثم خرج عن هذه الاشارة الخفية الى ما هو اوضح منها فذكر النسمة ولمعة البرق والغضا ثم مضى في ذكر الاماكن الحجازية على طريقة الغرام حتى تخلص الى المدح ومن بديع شعره قصيدته التي جمع فيها بين تهنئة ملك وتعزيته بابيه وان كان قد سبق به كما عرفت ولكنه قد أجاد الاتباع وأحسن ما شاء وهي هذه

هناء محى ذاك العزاء المقدّما * فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام في ثغور مدامع * شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

تدر مجاري الدمع والبشر واضح * كوابل غيث في ضحى الشمس قد هما

سقى الغيث عنا تربة الملك الذي * تدانت له الدنيا وعز به الحما

ما يكان هذا قد هوى لضريحه * برغمي وهذا صانه الله قد سما

ودوحة فضل شادوي تكافأت * فغصن ذوى منها وآخر قد نما

فقدنا لاعناق البرية مالكا * وشمنا لانواع الجميـ... ـل متمما

اذا الافضل الملك اعتبرت مقامه * وجدت زمان الملك قد عاد مثل ما

أعاد معالي البيت حتى حسبته * بوزن الثنا والحمد بيتا منظما

وناداه ملك قد تقادم ارثه * فقام كما ترضى العلا وتقدما

تقابل منه مقلة الدهر سوددا * صميما وينضو الرأي عضبا مصمما

ويقسم فينا كل سهم من الندا * ويبعث للاعداء في الروع اسهما

كأنّ ديار الملك غاب اذا انقضى * به ضيغم أنشى له الدهر ضيغما

كأنّ عماد البيت غير مقوض * وقد دقت يا أزكى الانام وأحزما

نهضت

نهضت فما قلنا سيادة معشر * تداعت ولا بنيان قوم تهدما
اما والذى أعطاك ما أنت أهله * لقد شاد فى علياك ركنا معظما
وقد أنشر الاسلاف ما الخلف الذى * تمكن فى عليائه وتحكما
وان تك أوقات المؤيد قد خلت * فقد جددت علياك وقتا وموسما
عليه سلام الله ماذر شارق * ورحمته ماشاء أن يترحما
هو الغيث ولى بالثناء مشيعا * وابقاك بحرا بالمواهب مفعما
لك الله ما أبهى وابهر طلعة * وأشرف اخلاقا وافضل منتما
بك انبسطت فينا التهانى وانشأت * ربيع المنى حتى نسينا المحرما
وباسمك فى الدنيا استقرت محاسن * يقر سناها الناظر المتوسما
نوال كما يسرى السحاب مطبقا * وبأس كما يمضى القضاء محتما
وفضل به الفاظ العجز أخرست * وعز به قلب الحسود تكلما
اعدت حياة المقترين وقد عفت * فانت ابن أيوب والا ابن مريما
اذا الغيث صلى خلف جدواك راكعا * ثنت عزمه للاعتراف فسلما
يراعك يوم السلم ينهل ديمة * وسيفك يوم الحرب ينهل فى الدما
وذكرنا كفيك يدنى من الغنا * ولثم ثرى نعليك يروى من الظما
لك الملك ارثا واكتسابا فقد غدا * كلا طرفيه فى السيادة معلما
ومثلك اما السرير منعما * يثوب واما للعواد مطهما
ولما عقدنا باسم علياك خنصرا * راينا من التحقيق ان نتختما
أيا ملكا قد أنجد الناس عزمه * فانجد مدح الناس فيه واتهما
سبقت لك المداح قدما وبادرت * يدا كلمى فاستلزمت منك ملزما
ليالى أنثى فى ابيك مدائحا * وفيك وأروى مسند الفضل عنكما
وأغدو بانواع الجميل مطوقا * فاسجع فى أوصافه مترنما
واستوضح العلياء فيك فراسة * بملكك لا أعطى عليها منجما
فعش للورى واسلم سعيدا مهنأ * لحفظ الورى فى ان تعيش وتسلما
وسر فى امان الله واقدم بفضله * أسر الورى مسرى وايمن مقدما

أعدت زمان البشر والجود والثنا * الى ان ملأت العين والكف والفما

في قوله فقدنا الاعناق البيت تابع بمالك ومتمم ابني نويرة السابق ذكرهما وقوله ولا بنيان قوم تهدما اى كما قال الاول ومنه ضمن

عليك سلام الله قيس ابن عاصم * ورحمته ما شاء ان يترحما

وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

ومن جيد شعر الصفي وديوانه كبير قسمه اثني عشر بابا في أجناس المعاني وكله مفيد وميله للمعنى أكثر من ميله للفظ على انه شديد الملاحظة للبديع قصيدته التي يمدح بها الناصر محمد ابن قلاوون أحد ملوك الديار المصرية وعارض بها قصيدة لابي الطيب وقد اقترح عليه أهل الديوان ذلك ومطلع قصيدة ابي الطيب المعارضة

بابي الشموس الجانحات غواربا * اللابسات من الحرير جلابيا

وقد ضمن الصفي صدر المطلع دلالة على المعارضة وهذه قصيدة الصفي

أسبلن من فوق النهود ذوائبا * فتركن حبات القلوب ذوائبا

وجلون في صبح الوجوه اشعة * غادرن فود الليل منها شائبا

بيض دعاهن الغبي كواعبا * ولو استبان الرشد قال كواكبا

وربائب فاذا رأيت نفارها * من بسط أنسك خلتهن ربار با

سفهن رأى المانوية عندما * اسبلن من ظلم الشعور غياهبا

وسفرن لي فرأين شخصا حاضرا * شدهت بصيرته وقلبا غائبا

أشرقن في حلل كأن اديمها * شفق تدرعه الشموس جلاببا

وغربن في كلل فقلت لصاحبي * بابي الشموس الجانحات غواربا

ومعربد اللحظات يثني عطفه * فيخال من مرح الشبيبة شاربا

حلو التعتب والدلال يروقه * عتبي ولست أراه الا عاتبا

عاتبته فتضرجت وجناته * وازور الحاظا وقطب حاجبا

فاذابني الخد الكليم وطرفه * ذو النون اذ ذهب الغداة مغاضبا

ذو منظر تغدوا القلوب لحسنه * نهبا وان منح العيون مواهبا

لا يدعوان وهب النواظر حظوة * من نوره ودعاه قلبي ناهبا

فواهب السلطان قد كست الورى * نعما وندعوه القساور سالبا
الناصر الملك الذى خضعت له * صيد الملوك مشارقا ومغاربا
ملك يرى تعب المكارم راحة * ويعد راحات الفراغ متاعبا
بمكارم تذر السباسب أبحرا * وعزائم تدع البحار سباسبا
لم تخل أرض من ثناه ولو خلت * من ذكره ملئت قنا وقواضبا
ترجى مواهبه ويرهب بطشه * مثل الزمان مسالما ومحاربا
فاذا سطا ملأ القلوب مهابة * واذا سخا ملأ الاكف مواهبا
كالغيث يبعث من عطاه وابلا * سبطا ويرسل من سطاه حاصبا
كالليث يحمى غابه بزئيره * طورا وينشب فى القنيص مخالبا
كالسيف يبدى للنواظر منظرا * طلقا ويمضى فى الهياج مضاربا
كالسيل يحمد منه عذب واصل * ويعده قوم عذابا واصبا
كالبحر يهدى للنفوس نفائسا * منه ويبدى للعيون عجائبا
فاذا نظرت ندى يديه ورأيه * لم تلق الا صيبا او صائبا
ابقى قلاوون الفخار لولده * ارثا وفازوا بالثناء مكاسبا
قوم اذا أشموا الصوافن صيروا * للمجد اخطار الأمور مراكبا
عشقوا الحروب تيمنا بلقا العدا * فكأنهم حسبوا العداة حبائبا
وكأنما ظنوا السيوف سوالفا * واللدن قدا والقسى حواجبا
يا أيها الملك العزيز ومن له * شرف يجر على النجوم ذوائبا
أصبحت بين المسلمين بهمة * تذر الاجانب بالوداد أقاربا
ووهبتهم زمن الامان فمن رأى * ملكا يكون له الزمان مواهبا
قرأوا خطابا كان خطبا فادحا * لهم وكتبا كن قبل كتائبا
وحرست ملكك من رجيم مارد * بصوارم ان صلت كن كواكبا
حتى اذا خطف المكافح خطفة * اتبعته منها شهابا ثاقبا
لا ينفع التجريب خصمك بعدما * أفنيت من أفنى الزمان تجاربا
صرمت شمل المارقين بمارق * تبديه مسلوبا فيرجع سالبا

صافى الفرند حكى صباحا جامدا * ابدى الغيم به شعاعا ذائبا
وكتيبة تذر الصهيل رواعدا * والبيض برقا والعجاج سحائبا
حتى اذا ريح الجلاد حدت لها * مطرت فكان الوبل نبلا صائبا
بذوابل ملس يخلن اراقما * وشوازب جرد يخلن عقاربا
تطأ الصدور من الصدور كانما * تعتاض من وطء التراب ترائبا
فاقمت تقسم للوحوش وظائفا * فيها وتصنع للنسور مآدبا
وجعلت هامات الكماة منابرا * واقمت حد السيف فيها خاطبا
يا راكب الخطر الجليل وقوله * فخر بجدك لاعدمت الراكبا
صيرت أمصار السماح بواكرا * وجعلت أيام الكفاح غياهبا
وبذلت للمداح صفو خلائق * لو أنها للبحر طاب مشاربا
فرأوك فى جنب النضار مفرطا * وعلى صلاتك والصلات مواظبا
ان يحرس الناس النضار بحاجب * كان السماح لعين مالك حاجبا
لم يملؤا فيك البيوت غرائبا * الاوقد ملؤا البيوت رغائبا
أوليتنى قبل المديح عناية * وملأت عينى هيبة ومواهبا
ورفعت قدرى فى الانام وقد رأوا * مثلى لمثلك خاطبا ومخاطبا
فى مجلس ساوى الخلائق فى الندا * وترتبت فيه الملوك مراتبا
وافيته فى الفلك اسعى جالسا * فخرا على من جاء يمشى راكبا
فاقمت أنفذ فى الزمان أوامرا * منى وأنشب فى الخطوب مخالبا
وسقتنى الدنيا غداة وردته * صفوا وما مطرت على مصائبا

أى كما مطرت المعارض حيث يقول اطمعتنى الدنيا وكان ذلك بسبب تعرفه اذا قرأت شرح قصيدة أبى الطيب

فطفقت املأ من ثنائك ونشره * حقبا واملأ من نداك حقائبا
أثنى فتثنينى صفاتك مظهرا * عيا وكم أعيت صفاتك خاطبا
لو أن اعضائى جميعا ألسن * تثنى عليك لما قضيت الواجبا

وله فى باب الآداب والحكم حسان مقاطيع يحسن بالطالب حفظها منها قوله

صاحب

صاحب اذا ما صحبت ذا أدب * مهذبا زان خلقه الخلق
ولا تصاحب من فى طباعه * شر فان الطباع تسترق

أى كما يقول الناس الطبع لص وفى الشعر القديم

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

وفى الحديث الشريف كل امرئ يحشر على دين خليله فالينظر أحدكم من يخالل ومنها قوله

اقلل المزح فى الكلام احترازا * فبافراطه الدماء تراق
قلة السم لا تضر وقد يقتـ * ـل من فرط أكله الدرياق

الدرياق مركب يعطى من أصابه سم ليبرأ وقد قيل قليل الضار خير من كثير النافع والافراط كما عرفت فى أكثر الاشياء ذميم وقوله

عوّد لسانك قول الخير تنج به * من زلة اللفظ بل من زلة القدم
احرس كلامك من خل تنادمه * ان النديم لمشتق من الندم

وقوله

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن * عجلا بنطقك قبل ما تتفهم
لم تعط من أذنيك نطقا واحدا * الا لتسمع ضعف ما تتكلم

وقوله

ان الغنى لشهاب كلما اعتكرت * دجى الخطوب جلا منها حنادسها
لا تنفع الخمسة الاسماء محدقة * لديك الا اذا ما كان سادسها

أى الغنى فلا ينفعك أب شريف وأخ عظيم وجاه كرام ومنطق كما يكون وكلما يتعلق بك من الاشياء الا اذا كان الغنى لها قرينا رزقنا الله الغنى وجعلنا من الشاكرين وقوله

تأمل اذا ما كتبت الكتاب * سطورك من بعد احكامها
وهذب عبارة طرز الكلا * م واستوف سائر اقسامها
فقد قيل ان عقول الرجا * ل تحت أسنة أقلامها

(الجهة الثانية فى امور كلية)

يتعين على مريد الصناعة التمكن من معرفتها واعتبارها لياتى بها على وجهها واوردها أبو العباس احمد القلقشندى فى كتابه صبح الاعشا وسماها اصولا يعتمدها الكاتب فى المكاتبات وهى عشرة

الاصل الاول حسن الافتتاح المطلوب فى سائر أنواع الكلام من نثر ونظم مما يوجب التحسين ليكون داعية لاستماع ما بعده ويرجع حسن الافتتاح فى المكاتبة الى معنيين المعنى الاول ان يكون الحسن فيه راجعا الى المبتدأ به اما الافتتاح بالحمد لله كما فى بعض المكاتبات لان النفوس تتشوق الى الثناء على الله تعالى أو بالسلام الذى جعله الشارع مفتتح الخطاب أو نحو ذلك واما بالافتتاح بما فيه تعظيم المكتوب اليه من تقبيل الارض او اليد او الدعاء له أو غير ذلك فان أمر المكاتبات مبنى على التملق واستجلاب الخواطر وتالف القلوب الى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى على ما يقتضيه اصطلاح كل زمن فى الابتداآت المعنى الثانى ان يكون الحسن فيه راجعا الى ما يوجب التحسين من سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى وتجنب الحشو وغير ذلك كما كتب الاستاذ ابو الفضل بن العميد عن ركن الدولة بن بويه الى من عصى عليه مفتتحا كتابه بقوله كتابى اليك وانا متردد بين طمع فيك ويأس منك واقبال عليك واعراض عنك فانك تدل بسابق خدمة أيسرها يوجب رعاية ويقتضى محافظة وعناية ثم تشفعها بحادث غلول وخيانة وتتبعها بخلاف ومعصية ادنى ذلك يحبط أعمالك ويسقط كل ما يرعى لك وكما كتب أبو جعفر بن بزد الاندلسى عن ملكه الى من عصى ثم عاد الى الطاعة (امابعد) فان الغلبة لنا والظهور عليك جلباك الينا على قدمك دون عهد ولاعقد يمنعان من اراقة دمك ولكنا لما وهب الله لنا من الاشراف على سرائر الرياسة والحفظ لشرائع السياسة تاملنا من ساس جهتك قبلنا فوجدنا بيد سياسته خرقاء وعين حزامته عوراء وقدم مداراته شلاء لانه مال عن ترغيبك فلم ترجه وعن ترهيبك فلم تخشه فادتك جانحتك الى طلاب المطاعم الدنيه وقلة مهابتك الى التمالك على المعاصى الوبيه (الاصل الثانى) براعة الاستهلال المطلوبة فى كل فن من فنون الكلام بان يأتى فى صدر المكاتبة بما يدل على عجزها فان كان الكتاب بفتح أتى فى اوله بما يدل على التهنئة أو بتعزية أتى فى اوله بما يدل على

التعزية

التعزية أو نحو ذلك من المعاني أتى في أوله بما يدل عليه ليعلم من مبدء الكلام
ما المراد كما يحكى ان عمرو بن مسعدة كاتب المأمون أمر كاتبه أن يكتب الى الخليفة كتابا
يعرفه فيه ان بقرة ولدت عجلا وجهه وجه انسان فكتب أما بعد حمد الله خالق الانام
في بطون الانعام وفضلاء الكتاب وأئمتهم يعتنون بذلك كل الاعتناء ويرون تركه
اخلالا بالصنعة ونقصا في الكتابة حتى ان الوزير ضياء الدين بن الاثير في المثل السائر
قد عاب ابا اسحاق الصابي على جلالة قدره في الكتابة واعترافه له بالتقدم في الصناعة
بكتاب كتبه بفتح بغداد وهزيمة الترك فقال في اوله الحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين
الوحيد الفريد العليّ المجيد الذي لا يوصف الا بسلب الصفات ولا ينعت الا برفع
النعوت الازلي بلا ابتداء الابدي بلا انتهاء القديم لا الى امد محدود الدائم لا الى
أجل معدود الفاعل لا من مادة امتدّها الصانع لا بآلة استعملها الذي لا تدركه الاعين
بالحاظها ولا تحدّه الالسن بالفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهدمه الدهور
بكرورها ولا تجاريه اقدام النظراء والاشكال ولا تزاحمه مناكب القرناء والامثال
بل هو الصمد الذي لا كفؤ له والفرد الذي لا قوم معه والحي الذي لا تخترمه المنون
والقيوم الذي لا تشغله الشؤون والقدير الذي لا تؤده المعضلات والخبير الذي
لا تعييه المشكلات فقال ان هذه التحميدة لا تناسب الكتاب الذي افتتحه بها وانما
تصلح ان توضع في صدر مصنف من مصنفات أصول الدين ككتاب الشامل للجويني
وكتاب الاقتصاد للغزالي وما جرى مجراهما فاما ان توضع في اول كتاب فتح فلا ثم من
المكاتبات ما يعسر معه الاتيان ببراعة الاستهلال فيأتي بها فيما يلي ذلك من الكلام في
مقدمة المكاتبة قبل الخوض في المقصود ولا يهملها جملة على ان الشيخ شهاب الدين محمود
الحلبي رحمه الله قد ذكر في كتابه حسن التوسل انه ان عسر عليه براعة الاستهلال
أتى بما يقارب المعنى وبكل حال فاذا اتى ببراعة استهلال في اول مكاتبة استصحبها الى
الفراغ من الخطبة ان كان الكتاب مفتتحا بخطبة والا استصحبها الى الفراغ من مقدمة
الكتاب الآتي بيانها (الاصل الثالث) المقدمة التي يلزم ان يأتي بها في صدر الكتب
المشتملة على المقاصد الجليلة تأسيسا لما يأتي به في الكتابة مثل ان يأتي في صدر كتب
الحث على الجهاد بذكر افتراضه على الأمة وما وعد الله تعالى به من نصر أوليائه

وخذلان أعدائه واعزاز الموحدين وقمع الملحدين وفي صدور كتب الفتح بانجاز وعد الله
الذي وعده أهل الطاعة من النصر والظفر واظهار دينه على الدين كله وفي صدور
كتب جباية الخراج يصدر بحاجة قيام الملك الى الاستعانة بما يستخرج من حقوق
السلطان في عمارة الثغور وتحصين الاعمال وتقوية الرجال ونحو ذلك مما يجري على هذا
النمط فقد قيل انه لا يحسن بالكاتب ان يخلي كلامه وان كان وجيزا من مقدمة يفتتحه
بها وان وقعت في حرفين أو ثلاثة ليوفي التاليف حقه قال في مواد البيان وعلى هذا
السبيل جرت سنة الكتاب في جميع الكتب من أي نوع من المعاني كالفتوح والتهاني
والتعازي والتهادي والاستبشار والاستبطاء والاحماد والاذمام وغيرها ليكون ذلك
بساطا لما يريد القول فيه وحجة يستظهر بها السلطان لان كل كلام لا بد له من فرش
يفرش قبله ليكون منه بمنزلة الاساس من البنيان قال ويرجع في هذه المقدمات الى معرفة
الكاتب ما يستحقه كل نوع من أنواع الكلام من المقدمات التي تشاكلها ثم قال
والطريق في اصابة المرمى في هذه المقدمات أن تجعل مشتملة على ما بعدها من المقاصد
والاغراض وان يوضع للامر الخاص مقدمة خاصة وللامر العام مقدمة عامة ولا يطوّل
في موضع الاقتصار ولا يقصر في موضع الايجاز ولا يجعل اغراضها بعيدة المآخذ معتاصة
على المتصفح وذلك ان الكاتب ربما قصد اظهار القدرة على الكلام والتصرف في
وجوه النطق فخرج الى الاملال والاضجار الذي تتبرم منه النفوس وذوو الاخطار
الجليلة أما الكتب التي لا تشتمل على المقاصد الجليلة كرقاع التحف والهدايا ونحوها
فقد ذكر في مواد البيان أنه لا تجعل لها مقدمة فان ذلك غير جائز ولا واقع موقعه الا ترى
انهم استحسنوا قول بعضهم في صدر رقعة مقترنة بتحفة في يوم مهرجان هذا يوم جرت فيه
العادة بان تهدي العبيد فيه الى السادة واستظرفوا الكاتب لايجازه وتقريبه المآخذ
﴿الأصل الرابع﴾ مواقع الالفاظ الدائرة في الكتب والوادي واحد فيلزم ان يميز موقع
كل لفظة مكانه قال في ذخيرة الكتاب يجب على الكاتب الرئيس ان يعرف مرتبة
الالفاظ ومواقعها ليرتبها و يفرق بينها فرقا يقفه على الواجب وينتهي به الى الصواب
فيخاطب كلا في مكاتبته بما يستحقه من الخطاب فانه قبيح به ان يكون خطابه أولا خطاب
الرئيس للمرؤس ويتبع ذلك بخطاب المرؤس للرئيس أو يبدأ بخطاب المرؤس للرئيس ثم

يتبعه

يشبه بخطاب الرئيس للمرؤس قال ومتى استمر الكاتب على هذه المخالفة من الالفاظ والمناقضة نقصت المعانى ورذلت الالفاظ وسقطت المقاصد وكان الكاتب قد أخل من الصناعة بمعظمها وترك من البلاغة غاية محكمها بل يجب ان بدأ بخطاب رئيس أو نظير أو مرؤس ان يكون ما يتخلل مكاتبته من الالفاظ على اتساق الى آخرها واطراد من غير مخالفة بينها ولا مضادة ولا مناقضة ثم يحسن ذلك فى معاتبات الاخوان والمداعبات الجارية بين الخلان وفى هذا الاصل يندرج الفرق بين نحو اصدرناه ذه المكاتبة أو اصدرناها وبين اصدرت وبين صدرت فاصدرناها اعلى بالنسبة للمكتوب اليه للتصريح فيها بالضمير العائد على الرئيس الذى صدرت المكاتبة عنه اذ الشئ يشرف بشرف متعلقه ويلى ذلك فى الرتبة اصدرت لاقتضائها اصدارا فى الجملة والاصدار لابد له من مصدر وذلك المصدر هو الرئيس الصادرة عنه فى الحقيقة وانما كانت دون الاولى للتصريح بالضمير هناك دون هنا ودون ذلك فى الرتبة صدرت لاقتضاء الحال صدورها بنفسها دون دلالة على المصدر أصلا والفرق بين ونبدى لعلمه وبين نوضح لعلمه فنبدى لعلمه اعلى بالنسبة الى المكتوب اليه لان الابداء يرجع فى المعنى الى اظهار شئ خفى والايضاح يرجع الى بيان مشكل وحصول الاشكال المحتاج الى الايضاح ربما دل على بعد فهم المخاطب عن المقصود بخلاف اظهار الخفى فانه لا ينتهى الى هذا الحد والفرق بين علمه الكريم وعلمه المبارك فالكريم اعلى من المبارك لان فى الكريم عراقة أصل وشرف قد توجد فى المبارك وقد تتخلف عنه والفرق بين مرسومنا لفلان بكذا وبين والمرسوم له بكذا فمرسومنا اعلى بالنسبة الى المكتوب عنه لاشتماله على نون الجمع المقتضية للتعظيم ولذلك اختصت بالملوك دون غيرهم بخلاف والمرسوم له فانه عار عن ذلك والفرق بين والمسؤل وبين والمستمد فان المسؤل اعلى بالنسبة الى المكتوب عنه فان المسؤل يتضمن نوع ذلة بخلاف الاستمداد فانه لا يستلزم ذلك والفرق بين بلغنا وبين انهى الى علمنا وبين اتصل بنا فاتصل بنا اعلى من انهى الى علمنا لما فى معنى الاتصال من التلاصق بخلاف الانهاء وانهى الى علمنا أعلى من بلغنا لان البلوغ قد يكون على لسان الآحاد والفرق بين أنهى فلان كذا وبين عرّفنا كذا فعرّفنا اعلى بالنسبة الى رافع الخبر لان فى التعريف مزية قرب من الرئيس بخلاف الانهاء فانه لا يقتضى ذلك والفرق

بين وردت مكاتبته و بين وردت علينا مكاتبته فوردت علينا أعلى بالنسبة الى صاحب المكاتبة الواردة لتخصيصها بالورود على الرئيس بخلاف الورود المطلق والفرق بين عرض علينا كاتبتك و بين وقفنا على مكاتبتك فوقفنا أعلى بالنسبة الى صاحب المكاتبة لأن الوقوف عليها يكون بنفسه والعرض يكون من غيره والفرق بين وشكرت الله تعالى على سلامته و بين وتوالى شكرى لله تعالى فتوالى شكرى أعلى بالنسبة الى المكتوب اليه لما فيه من معنى التكرار ومزيد الشكر المعروف بالاحتفال والفرق بين ورغبت الى الله تعالى و بين ضرعت الى الله تعالى فضرعت أعلى من رغبت لما فى الضراعة من مزيد الابتهال فى الطلب بخلاف الرغبة فانها لا تبلغ هذا المبلغ والفرق بين وقابلت أمره بالطاعة و بين وامتثلت أمره بالطاعة فامتثلت أمره أعلى من قابلت أمره لما فى الامتثال من معنى الاذعان والانقياد بخلاف المقابلة والفرق بين وشفعت له وبين وسألت فيه فالسؤال أعلى فى حق المسؤل من الشفاعة لما فى الشفاعة من رفعة المقام المؤدى الى قبول الشفاعة والفرق بين وخاطبت فلانا فى أمره و بين وتحدثت فى أمره فتحدثت أشد فى تواضع المتكلم من خاطبت لان الخطاب من الالفاظ الخاصة التى لا يتعاطاها كل أحد بخلاف التحدث والفرق بين تشريفى بكذا او بين اسعافى بكذا فالاسعاف أعلى رتبة من التشريف لما فيه من دعوى الحاجة والفاقة الى المطلوب بخلاف التشريف واتحافى دون تشريفى لأن الاتحاف قد لا يقتضى تشريفا والفرق بين قوله نزل عنده و بين قوله نزل بساحته فالساحة أعلى لما فيها من معنى الفسحة والاتساع قلت وربما وجب اجتناب هذه الكلمة لملاحظة وقوعها فى قوله عز ذكره فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين كما ورد عن بعض الصحابة انه سمع انسانا يقول انصرفوا بنا فقال ألم تسمع ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم فقل انقلبوا بنا لتكون موافقا قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل والفرق بين فيحيط علمه بذلك و بين فيعلم ذلك فيحيط علمه أعلى من يعلم ذلك لان فى قوله فيحيط علمه بذلك نسبة الى سعة العلم لما فيه من معنى الاحاطة بخلاف فيعلم ذلك

﴿الاصل الخامس﴾ الادعية التى جرت عادة السلف وتبعهم الخلف باستعمالها فى المكاتبات والنظر فيها من ستة اوجه (الاول) ان يعرف مراتب الدعاء ليوقعها فى مواقعها و يوردها فى مواردها

ويأتى

ويأتى ذلك فى عدة أدعية منها الدعاء باطالة البقاء والدعاء باطالة العمر فالدعاء باطالة البقاء أرفع من الدعاء باطالة العمر وذلك ان البقاء لا يدل على مدة تنقضى لانه ضد الفناء والعمر يدل على مدة تنقضى ولذلك يوصف الله تعالى بالبقاء ولا يوصف بالعمر قال فى مواد البيان ومن هنا جعل الدعاء باطالة البقاء اول مراتب الدعاء وخص بالخلفاء وجعل ما يليه لمن دونهم ويتلوه الدعاء بالمد فى العمر فيكون دون الدعاء بالاطالة لأن الوصف بطول الزمان أبلغ من الوصف بالمد فيه من حيث ان المد قابل للمدة الطويلة والمدة القصيرة ولذلك صارت مرتبة الطول أقرب الى مرتبة البقاء من مرتبة المد ومنها الدعاء بدوام النعمة والدعاء بمضاعفتها فالدعاء بالمضاعفة اعلى لان الدوام غايته استصحاب ما هو عليه والمضاعفة مقتضية للزيادة على ذلك ومنها الدعاء بعز الانصار وبعز النصر وبعز النصرة وقد اصطلح كتاب الزمان على ان جعلوا أعلاها الدعاء بعز الانصار لان عز أنصاره عزله بالضرورة مع ما فيه من تعظيم القدر ورفعة الشأن اذ الانصار لا تكون الا لملك عظيم او أمير كبير والدعاء بعز النصر أعلى من الدعاء بعز النصرة لما فى الاول من معنى التذكير وهو أرفع رتبة من التأنيث على انه لو جعل الدعاء بعز النصر أعلى من الدعاء بعز الانصار لكان له وجه لما فى عز النصر من الغناء عن عز الانصار ومنها الدعاء بعز الاحكام والدعاء بتأييد الاحكام فالدعاء بعز الاحكام أعلى لأن المراد بالتأييد التقوية فقد توجد القوة ولا عز معها وينبغى للكاتب ان يحترز فى تنزيل كل أحد من المكتوب اليهم منزلته فى الدعاء فلا ينقص أحدا عن حقه ولا يزيده فوق حقه فقد قال فى مواد البيان ان الملوك تسمح ببدرات المال ولا تسمح بالدعوة الواحدة (الثانى) ان يعرف ما يناسب كل واحد من أرباب المناصب الجليلة من الدعاء فيخصه به فيأتى بالدعاء فى المكاتبة للملوك باطالة البقاء ودوام السلطان وخلود الملك وما أشبه ذلك ويأتى فى المكاتبة الى الامراء بالدعاء بعز الانصار وعز النصر ومضاعفة النعمة ومداومتها وما شاكل ذلك على ان ابن شيث قد ذكر فى معالم الكتابة ان الدعاء بعز النصر ومضاعفة الاقتدار كان فى الدولة الايوبية مما يختص بالسلطان دون غيره ويأتى فى المكاتبات للوزراء من أرباب الاقلام ومن فى معناهم بالدعاء بسبوغ النعماء وتخليد السعادة ودوام المجد وما يضاهى ذلك ويأتى فى المكاتبات للقضاة والحكام بالدعاء بعز الاحكام وتأييد الاحكام وما يطابق ذلك ويأتى فى المكاتبة

الى الايجاز بالدعاء بمزيد الاقبال وخلود السعادة وشبه ذلك ويأتى فى الاخوانيات ومكاتبة النظراء من الدعاء بما يقتضيه الحال بينهم من الود والادلال بحسب مايراه الكاتب ويؤدى اليه اجتهاده قال فى مواد البيان وقد كانوا يختارون فى الدعاء للادباء ابقاك الله واكرمك الله وفى الدعاء للابن والحرمة أبقاك الله وامتع بك اما أهل الكفر فقد اصطلحوا على الدعاء لهم بطول البقاء وما فى معناه أما جواز أصل الدعاء لهم فلما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم استسقى فسقاه يهودى فقال له جملك الله فاروى الشيب فى وجهه حتى مات فدل على جواز الدعاء للكافر بما لا ضرر فيه على المسلمين مالم ينضم اليه قوة ونحو ذلك بل ربما كان فى طول بقائه حصول جزية او غنيمة أو ثواب جهاد ونحو ذلك والثالث ان يعرف ما يناسب كل حالة من حالات المكاتبات فيأتى لكل حالة بما يناسبها من الدعاء قال فى مواد البيان ينبغى ان تكون الادعية دالة على مقاصد الكتاب فان كان فى الهناء اتى بما يناسبه وكذلك الحال فى كل معنى من المعانى التى يكتب فيها من التعزية وشكر النعمة الى غير ذلك فانه متى خرج الدعاء عن المناسبة وباين المقصود خرج عن جادة الصناعة وتوجه اللوم على الكاتب لاسيما اذا أتى بما يضاد المراد كما حكى أبو هلال العسكرى فى الصناعتين ان بعضهم كتب الى محبوبته عصمنا الله واياك مما يكره فكتبت اليه ياغليظ الطبع ان استجيب لك لم نلتق أبدا ويختلف الحال فى ذلك باختلاف حال المكاتبات فتارة يكون باعتبار الشئ المكتوب بسببه كما يكتب فى معنى البشارة بجلوس الملك على تخت الملك لازال أمره وامتعه من البشائر بما يتوضح على جبين الصباح بشره وما يترجح على ميزان الكواكب قدره وما ينفسح من أوقات أن لايختلف فيها زيده وعمره وكما يكتب فى البشرى بفتح ولازالت آيات النصر تتلى عليه من صحف البشائر ونفائس الظفر تجلى على سره فى اسعد طائر وفواتح الفتح تزهى به الاسرة وتزهو بنوره المنابر وكما يكتب فى التهنئة بعافية ولا برح فى برد الصحة رافلا بعزمه وحزمه كافلا والاقبال لجنابه العالى بالهناء بعافية واصلا وتارة يكون باعتبار حال المكتوب اليه التى هو بصددها كما يكتب لمن خرج الى الغزو وحفه بلطفه فلا يخيب وهيأ له النصر والفتح القريب وجعل على يديه دمار الكفار حتى لا يبقى لهم شدة باسه من السلامة نصيب وكما يكتب الى من خرج الى الصيد وامتعه

بصيود

بصيوده ويجعل الاقدار من جنوده واراه من مصارع أعدائه اسيوفه ورماحه ما يراه من
مصارع صيده ببزاته وفهوده وكما يكتب لمن خرج فى سفر وقضى بقرب رجعته وجعله
كالهلال فى مسيره سببا برفعته وسكن بقدومه أشواق أوليائه واهل محبته وكما يكتب لمن
خرج لتخضير البلاد والبس البلاد بقدومه أخضر الاثواب واحله اشرف محل وأخضر جناب
وتارة يكون باعتبار وظيفة المكتوب اليه التى هو قائم بها كما يكتب الى كافل المملكة
ولازالت كفاية كفالته تزيد على الآمال ويتقرب الى الله تعالى بصالح الاعمال ويكفل
ما بين أقصى الجنوب وأقصى الشمال وكما يكتب الى قاض ويفصل بين الخصوم باحكامه
المسددة واقضيته التى بها قواعد الاسلام ممهدة وابنية الشرع المطهرة واركانه مشيده
وكما يكتب الى متصوف واعادمن بركات تعبداته وانار الليالى بصالح دعواته وتارة
يكون باعتبار بلد المكتوب اليه وناحيته كما يكتب الى نائب الشام ولازال النصر حلية
أيامه وشامة شامه وغمامة مايخلف على بلده المخصب من غمامه وكما يكتب الى نائب
حلب فى زمن الحروب ولازال يعد ليوم تشيب فيه الولدان ويعدونه كل محارب بين
الشهباء والميدان ويعم حلب من حلى أيامه مالا يفقده معه الا امم ابن حمدان ونحو ذلك مما
ينخرط فى هذا السلك وتارة يكون باعتبار اسم المكتوب اليه ولقبه كما يكتب الى من لقبه
سيف الدين ولازال سيفه فى رقاب اعدائه مغمدا وحده يذركل ملحد ملحدا وكما يكتب
الى من لقبه عز الدين ولازال عزه دائما والزمان فى خدمته قائما وطرف الدهر عن مراقبة
سعاداته نائما وكما يكتب الى من لقبه شمس الدين ولازالت شمس سعاداته مشرقة وأغصان
فضله بالعوارف مورقة وعيون طوارق الغير عنه فى كل زمن مطرقة وكما يكتب الى
من لقبه ناصر الدين ونصر عزائمه وشكر مكارمه ووفر من الحسنات مغانمه الى غير ذلك
من الامور التى ستقف على الكثير منها فى الكلام على مقاصد الكتاب ان شاء الله
تعالى (الرابع) ان يعرف مواضع الدعاء على المكتوب اليه ومن الذى يصرح بذلك
فى المكاتبة اليه وقد ذكر ابن شيث فى معالم الكتابة ان الدعاء فى صدور الكتب كان
من عوائد مكاتبة الادنى الى الاعلى مثل وقصم واذل وقهر وحصد وكذلك المماثل
والمقارب فاما من الاعلى الى الادنى فلم يكن ذلك معروفا عند المتقدمين لاسيما اذا كان
الكتاب عن السلطان ثم قال ولكن قد افلت الحبل فى ذلك الآن قال ولا يقال للادنى

غير كبت عدوه أوضده أو حاسده خاصة ومنها ان يعرف ما كرهه الكتاب من الدعاء فيتجنبه وهو على ضربين (الضرب الاول) ما كره وفى المكاتبة الى كل أحد قال فى موا البيان كانت عادتهم جارية ان يتجنبوا من الادعية مالا محصول له كقولهم جعلنى الله فداك وقدمنى الى السوء دونك لما فى ذلك من التصنع والملق الذى لا يرضاه السلطان لان نفس الداعى لا تسمح باستجابته ويؤيد ماذكره ما كتب به ابن عبد ربه الى بعض أصدقائه جعلت فداك على الصحة والحقيقة لا على مجرى المكاتبة ومذهب العادة قال فى مواد البيان وانما يحسن ذلك من الخواص الذين يتحققون ان بقاءهم معذوق ببقاء رؤسائهم وثبات نعمهم مقرون بثبات أيام سلاطينهم لانه يصدر عن عقائد مستحكمة من بذل الانفس دونهم وما ذهب اليه من كراهة ذلك قد نقل فى صناعة الكتاب مثله عن مالك بن أنس واحتج له بما روى عن الزبير رضى الله عنه أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم جعلت فداك فقال له ما تركت اعرابيتك بعد على ان بعضهم قد اجاز ذلك احتجاجا بقوله صلى الله عليه وسلم لبعض من كان يرمى دونه يوم أحد ارم فداك أبى وامى ويما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له ألا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن قال نعم جعلنى الله فداك ولم ينكر عليه فلعل انكاره عليه كان لحالة قارنت الدعاء بذلك وفى معنى ذلك كل ما يجرى هذا المجرى ونحوه *(الضرب الثانى)* ما يختص كراهته بالبعض دون البعض وهو نوعان (النوع الاول) ما يختص بالرجال فمن ذلك ما ذكره فى مواد البيان انهم كانوا لا يستحسنون الدعاء بالامتاع نحو أمتع الله بك واستمتعنى الله بك فى حق الاخوان ومما يحكى فى ذلك ان محمد بن عبد الملك الزيات كتب الى عبد الله بن طاهر فى كتاب وأمتع بك فكتب اليه عبد الله بن طاهر

أحلت عما عهدت من أدبك * أم نلت ملكا فترت فى كتبك

اتعبت كفيك من مكاتبتى * حسبك مما يزيد فى تعبك

ان جفاء كتاب ذى ثقة * يكون فى صدره وأمتع بك

فاجابه محمد بن عبد الملك الزيات معتذرا بقوله

كيف اخون الاخاء يا املى * وكل شئ انال من سببك

ان يك جهل اتاك من قبلى * فعد بفضل على فى ادبك

(النوع

(النوع الثاني) ما يختص بالنساء فقد ذكر أبو جعفر النحاس انه لا يقال في مكاتبتهن وأدام كرامتك ولا وأتم نعمته عليك ولكن لدليل أما منع الدعاء لهن بالكرامة فلما حكى محمد بن عمر المدائني ان بعض عمال زبيدة كتب اليها كتابا بسبب ضياع لها فوقعت له على ظهر كتابه أردت ان تدعوا لنا فدعوت علينا فأصلح خطأك في كتابك والا صرفناك عن جميع أعمالك فأدركه القلق وجعل يتصفح الكتاب ويعرضه على الكتاب فلا يجد فيه شيأ الى ان عرضه على بعض أهل المعرفة فقال انما كرهت دعاءك في صدر كتابك بقولك وأدام كرامتك لان كرامة النساء دفنهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دفن البنات من المكرمات فغير ذلك الحرف من كتابه وأعاده اليها فوقعت له على ظهره أحسنت ولا تعد (الخامس) ان يجتنب الخلاف في الدعاء في فصول الكتاب ولا يوالي بين دعوتين منه فأما الخلاف في الدعاء فقال أبو جعفر النحاس هو مثل ان يقول أطال الله بقاء سيدي بلفظ الغيبة ثم يقول بعد ذلك وبلغك أملك بلفظ الخطاب وأما الموالاة بين دعوتين ولا يأتي بهما متفقتين كأن يقال حرس الله الامير أعزه الله (السادس) أن يتجنب وقوع اللبس في الدعاء فاذا ذكر الرئيس مع عدوه مثلا لم يدع للرئيس حينئذ فانه لو ذهب يقول وقد كان من عدو سيدي أبقاه الله كذا لاحتمل عود الدعاء الى الرئيس والى عدوه

(الاصل السادس) أن يعرف ما يناسب المكتوب اليه من الالقاب فيعطيه حقه منها ويتعلق الغرض من ذلك بثلاثة أمور (أحدها) أن يعرف ما يناسب كل لقب من الالقاب الاصول كالمقام والمقر والجناب والمجلس في زماننا فيعطي كل أحد من المكتوب اليهم ما يليق به من ذلك فيجعل المقام لاكابر الملوك والمقر لمن دونهم من الملوك وللرتبة العليا من أهل المملكة والجناب للرتبة الثالثة من الملوك والرتبة الثانية من أهل الدولة والمجلس للرتبة الرابعة من الملوك والرتبة الثالثة من أهل الدولة ومجلس الامير لمن دون ذلك من أهل الدولة على المصطلح المستقر عليه الحال (الثاني) أن يعرف ما يناسب كل لقب من الالقاب الاصول من الالقاب والنعوت التابعة لذلك فيتبع كل واحد من الاصول بما يناسبه من الفروع (الثالث) أن يعرف مقدار المكتوب اليه فيوفيه قسطه من الالقاب في الكثرة والقلة بحسب ما يجري عليه الاصطلاح فقد ذكر في معالم الكتابة ان السلطان لا يكثر في المكاتبة اليه من نعوته بل يقتصر على الاشياء التي

تكون فيه مثل العالم العادل اما غير ذلك فيقع باللقب بين المشهورين وهما نعته المفرد ونعته المضاف الى الدين وانه فى الكتابة عن السلطان كلما زيد فى النعوت كان أميز لانها على سبيل التشريف من السلطان ويجعل المضاف الى الدين متوسطا بين الالقاب لا فى أولها *(الاصل السابع)* أن يراعى مقاصد المكاتبات فيأتى لكل مقصد بما يناسبه ومدار ذلك على أمرين (الامر الاول) أن يأتى مع كل كلمة بما يليق بها ويختار لكل لفظة ما يشاكلها قال ابن عبد ربه وليكن ما تختم به فصولك فى موضع ذكر البلوى مثل نسأل الله رفع المحذور وصرف المكروه واشباه ذلك وفى موضع ذكر المصيبة انا لله وانا اليه راجعون وفى موضع ذكر النعمة الحمد لله خالصا والشكر لله واجبا وما شاكل ذلك قال فى مواد البيان واذا ذكر البلوى شفعها بالاستعانة بالله تعالى والرجوع اليه فيها ورد الامر الى حوله وقوته قال ابن عبد ربه فان هذه المواضع مما يتعين على الكاتب أن يتفقدها ويتحفظ فيها فان الكاتب انما يصير كاتبا بان يضع كل معنى فى موضعه ويعلق كل لفظ على طبقه فى المعنى ومما يلتحق بذلك أيضا انه اذا ذكر الرئيس فى أثناء المكاتبة دعى له مثل أن يقول عند ذكر السلطان خلد الله ملكه وعند ذكر الامير الكبير عز نصره أو أعز الله تعالى انصاره وعند ذكر الحاكم أيد الله تعالى أحكامه وما أشبه ذلك مما يجرى هذا المجرى (الامر الثانى) أن يتخطى التصريح الى التلويح والاشارة اذا ألجاته الحال الى المكاتبة بما لا يجوز كشفه واظهاره على صراحته مما فى ذكره على نصه هتك ستر او فى حكايته اطراح مهابة السلطان واسماعه ما يلزم منه اخلال الأدب فى حقه كالو أطلق عدوه لسانه فيه بلفظ قبيح يسوءه سماعه قال فى مواد البيان فيحتاج المنشئ الى استعمال التورية فى هذه المواضع والتلطف فى العبارة عن هذه المعانى وابرازها فى صورة تقتضى توفية حق السلطان فى التوقير والاجلال والاعظام والتنزيه عن المخاطبة بما لا يجوز امراره على سمعه وايصال المعنى اليه من غير خيانة فى طى ما لا غنى به عن علمه قال وهذا مما لا يستقل به الا المبرز فى الصناعة المتصرف فى تأليف الكلام وهاك مثالا يرشدك الى معرفة ما ينبغى ان تكتب به اذا امر بك شئ من هذا الباب فالقليل عنده من يستعمل فكره يهدى الى الكثير اتفق ان أمر امير المؤمنين المأمون عن الجند اطلاق مرتباتهم مدة طويلة حتى دعاهم ذلك الى الشكوى

والتزيد

والتزيد فى الكلام والقدح فى السياسة كما يقتضيه وصول الانسان الى سوء المعيشة مع تكليفه شاق العمل فكتب أحد رؤساء كتابه عمرو بن مسعدة يعرفه الحال ويستعطفه على العسكر بصرف مرتباته وهذه صورة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم كتابى الى امير المؤمنين ومن قبلى من اجناده وقواده فى الطاعة والانقياد على أحسن ما يكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم فانه لم يذكر فى هذا الكتاب انحراف رأى المأمون عن جادة الصواب فى قلة الاهتمام بالنظر فى أمر العسكر الذى هو أول مهم من مهمات الملك ولم يذكر ما صدر عن العسكر من سوء المقال وتواتر الشكوى وتزيد الكلام وتصريحهم بان هذه الحال ربما اضطرت الى العصيان والخروج عن ربقة الخدمة الجندية للتردد فى الآفاق طلبا للمعاش بغير تلك الجهة وانما لمح بذلك تلميحا وذكر الاشياء بذكر اضدادها فالطاعة تذكر المعصية وسلم الكاتب من الجهتين فلم يكن للامير ان ينتقد عليه شيئا ولا للعسكر أن يقولوا انك بلغت حالنا التى اضطرتنا اليها مضايقة المعيشة فى كلمات قليلة وفت بالمقصود حق الوفاء ويحكى عن أحمد بن يوسف قال دخلت على المأمون وفى يده كتاب لعمرو بن مسعدة وهو فى صحن داره يقرؤه المرة بعد المرة ثم التفت الىّ فقال احسبك مفكرا فيما رأيت قلت نعم وقى الله أمير المؤمنين المكاره قال ليس بمكروه ولكن قرأت كلاما وافق صفة البلاغة للرشيد سمعته يقول البلاغة التقرب من المعنى البعيد والتباعد من حشو الكلام ودلالة القليل على الكثير فما كنت أتوهم كلاما يرد على هذه الصفة حتى قرأت هذا الكتاب وسأقضى حقه وكان ذلك سببا لأن أمر بصرف مرتب ثمانية أشهر *(الاصل الثامن)* أن يعرف مقدار فهم كل طبقة من المخاطبين فى المكاتبات من اللسان فيخاطب كل أحد بما يناسبه من اللفظ وما يصل اليه فهمه من الخطاب قال أبو هلال العسكرى فى كتابه الصناعتين أول ما ينبغى ان تستعمل فى كتابك مكاتبة كل فريق على مقدار طبقتهم فى الكلام وقوتهم فى المنطق وستعرف ذلك فيما سننقله من كتب النبى صلى الله عليه وسلم الى العجم والعرب قال فى مواد البيان يجب على الكاتب أن ينتقل فى استعمال الالفاظ على حسب ما تقتضيه رتب الخطاب والمخاطبين وأوجه الاحوال المتغايرة والأوقات المختلفة ليكون كلامه مشاكلا لكل منها فان أحكام الكلام تتغير بحكم الازمنة والامكنة ومنازل

الخطابيين والمكاتبين ومن هنا ترى ان كتاب بنى أمية استعملوا من ألفاظ العربية الفصيحة والمتينة الجزلة مالم يستعمل مثله كتاب الدولة العباسية لان كتاب الدولة الاموية قصدوا اماشا كل زمانهم الذى استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها حتى عدت فى جملة الفضائل التى يتبارى على اقتنائها والامكنة التى نزلها ملوكهم من بلاد العرب والرجال الذين كانت الكتب تصدر اليهم واهل الفصاحة واللسن والخطابة والشعر اما زمان بنى العباس فان الهمم تقاصرت عما كانت مقبلة على تطلبه فيما تصرم من العلوم المقدم ذكرها وشغلت بغيرها كعلوم الدين ونزل ملوكهم ديار العراق وما يجاورها من بلاد فارس وليس استفاضة لغة العرب فيها باستفاضتها فى أرض الحجاز والشام ومن المعلوم ان القوم الذين كانوا يكاتبون عنهم لا يجارون تلك الطبقة فى الفصاحة والمعرفة بدلالة الكلام فانتقل كتابها عن اللفظ المتين الجزل الى اللفظ الرقيق السهل وكذلك انتقل متأخرو الكتاب عن ألفاظ المتقدمين الى ماهو أعذب منها واخف للمعنى المتقدم ذكره قال وحينئذ ينبغى للكاتب ان يراعى هذه الاحوال و يوقع المشاكلة بين مايكتبه وبينها فاذا احتاج الى اصدار كتاب الى ناحية من النواحى فلينظر فى أحوال قاطنيها فان كانوا من الادباء البلغاء العارفين بنظم الكلام وتأليفه فليودع كتابه الالفاظ الجزلة التى اذا حليت بها المعانى زادتها فخامة فى القلوب وجلالة فى الصدور وان كانوا ممن لا يفرق بين خاص الكلام وعامه فليضمن كتابه الالفاظ التى يتساوى سامعوها فى ادراك معانيها فانه متى عدل عن ذلك ضاع كلامه ولم يصل معنى ما كتب فيه الى من كاتبه لان الكلام البليغ انما هو موضوع بازاء أفهام البلغاء والفصحاء فاما العوام والحشوة فانما يصل الى افهامهم الكلام العاطل من حلى النظم العارى من كسوة التأليف فيجب على الكاتب ان يستعمل فى مخاطبة من هذه صورته أدنى رتب البلاغة واقربها من افهام العامة والامم الأعجمية اذا كتب ثم قال ان الكتب السلطانية منها كتب الفتوحات والسلامات ونحوها وهى محتملة للالفاظ الفصيحة الجزلة والاطالة القاضية باشباع المعنى ووصوله الى افهام كافة سامعيه من الخاص والعام ومنها كتب الخراج وجبايته وأمور المعاملات والحساب وهى لا تحتمل اللفظ الفصيح ولا الكلام الوجيز لانها مبنية على تمثيل ما يعمل

به وافهام من لا يصل المعنى الى فهمه الا بالبيان الشافى فى العبارة ومنها مخاطبة السلطان عن نفسه فيجب فيها مخاطبته على قدر مكانه فى الخدمة فيستعمل من الالفاظ المتوسطه ولا يجوز ان يستعمل فيها الفصيحة التى لا تحتمل من تابع فى حق متبوع لما فيه من تعاطى التفاصح على سلطانه وهو غير جائز فى أدب الملوك وكذلك لا يجوز فيه تعاطى الالفاظ المبتذلة الدائرة بين السوقة لما فى ذلك من الوضع من السلطان بمقابلته اياه بما لا يشبه رتبته وأما الكتب الاخوانيات النافذة فى التهانى والتعازى فانها تحتمل الالفاظ الغريبة القوية الاخذ بمجامع القلوب الواقعة أحسن المواقع من النفوس لانها مبنية على تحسين اللفظ وتزيين النظم واظهار البلاغة فيها مستحسن واقع موقعه قلت والذى تراعى الفصاحة والبلاغة فيه من المكاتبات عن الابواب السلطانية فى زماننا مكاتبات ملوك المغرب كصاحب تونس وصاحب تلمسان وصاحب فاس وصاحب غرناطة من الاندلس وكذلك القانات العظام من ملوك المشرق ومن يجرى هذا المجرى ممن تشتمل بلاده على العلماء بالبلاغة وصناعة الكتابة و يظهر ذلك بالاستخبار عن بلادهم و بالاطلاع على كتبهم الصادرة عن ملوكهم الى الابواب السلطانية بخلاف من لا عناية له بذلك كحكام اصاغر البلدان واصحاب اللغات العجمية من الروم والفرنج والسودان ومن فى معناهم فانه يجب خطابهم بالالفاظ الواضحة الا أن يكون فى بعض بلادهم من يتعاطى البلاغة من الكتاب ووردت كتبهم على نهجها فانه ينبغى مكاتبتهم على سنن البلغاء (تنبيه) لم يرد الشيخ فى هذا الكلام السالف باللفظ الفصيح وغيره ما يدل عليه حد الفصاحة المصدر به فن المعانى فان الفصيح لا يجوز العدول عنه فى خطاب من كان وانما يريد بالفصيح ما لا يدور الا بين خاصة الناس وأهل المعرفة منهم مثلا من اسماء الاسد الغضنفر والضرغام والرأبال وحيدرة واسامة وهى لا يستعملها الا خاصة الناس والعامة انما يستعملون من اسمائه لفظ السبع فهو يريد ذلك بالفصيح وغير الفصيح *(الاصل التاسع)* ان يراعى رتبة المكتوب عنه والمكتوب اليه فى الخطاب فيعبر عن كل واحد منهما بما يليق به ويخاطبه المكتوب اليه بما يليق بمقامه فاما المكتوب عنه فيختلف الحال فيه باختلاف منصبه ورتبته فيعبر فى الكتب الصادرة عن أبواب الخلافة بامير المؤمنين مثل أن يقال يجرى أمر أمير المؤمنين فى

كذا على كذا وكذا أو أوعز أمير المؤمنين الى فلان بكذا واقتضى رأى أمير المؤمنين كذا
وخرج أمر أمير المؤمنين بكذا ونفذ امر امير المؤمنين الى فلان بكذا وما أشبه ذلك
وربما عبر عنه بالسلطان مثل أن يقال فى حق المخالفين وسار بواعساكر السلطان
أو وضعوا اخراج السلطان وما أشبه ذلك وقال ابن شيث ويخاطب بالمواقف المقدسة
الشريفة والعتبات العالية ومقر الرحمة ومحل الشرف وذكر المقر الشهابى بن فضل الله
فى التعريف نحوه فقال ويخاطب بالديوان العزيز والمقام الاشرف والجانب الاعلى
أو الشريف وبامير المؤمنين مجردة عن سيدنا ومولانا ومرة غير مجردة مع مراعاة
المناسبة والتسديد والمقاربة قال وسبب الخطاب بالديوان العزيز الخضمان عن مخاطبة
الخليفة نفسه وتنزيل الخطاب منزلة من يخاطب نفس الديوان والمعنى به ديوان الانشاء
اذ الكتب وانواع المخاطبات اليه واردة وعنه صادرة وان كان المكتوب عنه ملكا فقد
جرت العادة ان يعبر عنه بنون الجمع للتعظيم فيقال فعلنا كذا وأمرنا بكذا واقتضت
آراؤنا الشريفة كذا وبرزت مراسمنا بكذا ومرسومنا الى فلان ان يتقدم بكذا أو
يتقدم أمره بكذا وما أشبه ذلك وذلك ان ملوك الغرب كانوا يجرون على ذلك فى مخاطباتهم
فجرت الملوك على سننهم فى ذلك وفى معنى الملوك فى ذلك سائر الرؤساء من الامراء والوزراء
والعلماء والكتاب ونحوهم من ذوى الاقدار العلية والاخطار الجليلة والمراتب السنية
فى الدين والدنيا ممن يصلح ان يكون آمرا وناهيا اذا كتبوا الى اتباعهم ومأمور يهم اذ
كانت هذه النون مما يختص بذوى التعظيم دون غيرهم وشاهد ذلك من القرآن العظيم
قوله تعالى حتى اذا حضر أحدهم الموت قال رب ارجعون فدعاه دعاء المفرد لعدم
المشاركة له فى ذلك الاسم وسأله سؤال الجمع لمكان العظمة الى غير ذلك من الآيات
الواردة مورد الاختصاص له كما فى قوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها وقوله
انا نحن نحيي الموتى وقوله نحن الوارثون وغير ذلك من الآيات قال فى معالم الكتابة وقد
أخذ كتاب المغرب هذا مع ولاة أمورهم فى الجمع بالميم فخاطبوا الواحد مخاطبة الجمع
مثل أنتم وفعلتم وأمرتم وما أشبه ذلك قلت والامر فى ذلك عندهم مستمر الى الآن وان
كان المكتوب عنه مرؤسا بالنسبة الى المكتوب اليه كالتابع ومن فى معناه فقال فى
مواد البيان ينبغى ان يتحفظ فى الكتب النافذة عنه من الاتيان بنون العظمة وغيرها

من

من الالفاظ التي فيها تعظيم شان المكتوب عنه مثل ان يقول أمرت بكذا أونهيت عن كذا اوأوعزت بكذا أو تقدم أمري الى فلان بكذا أوانهى الى كذا أوخرج أمري بكذا ومافي معنى ذلك مما لايخاطب به الاتباع رؤساءهم بل يعدل عن مثل هذه الالفاظ الى مايؤدي الى معناها مما لا عظمة فيه مثل ان يقول وجدت صواب الرأى كذا ففعلته ورأيت السياسة تقتضي كذا فامضيته وما أشبه ذلك ان كان عرف الكتاب على الخطاب بالتاء والا قال وجد المملوك صواب الرأى كذا ورأى السياسة تقتضي كذا فامضاه وما يجرى هذا المجرى وأما المكتوب اليه فقال أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين ينبغي ان يعرف قدر المكتوب اليه من الرؤساء والنظراء والعلماء والوكلاء ليفرق بين من يكتب اليه أنا أفعل كذا ومن يكتب اليه نحن نفعل كذا فأنا من كلام الاشباه والاخوان ونحن من كلام الملوك ويفرق بين من يكتب اليه فان رأيت و بين من يكتب اليه فرأيك قال في مواد البيان وذلك ان قولهم فان رأيت أن تفعل كذا لفظ النظراء والمساوين بخلاف فرأيك فانه لا يكتبه الى جليل معظم لتضمنه معنى الامر والتقدير بفره رايك على ان الاخفش قد أنكر هذا على الكتاب لان أقل الناس يقول للسلطان انظر في أموري ولفظه لفظ الامر ومعناه السؤال وذكر مثله في صناعة الكتاب عن النحويين قال في مواد البيان وحجة الكتاب ان المشافهة تحتمل ما لا تحتمله المكاتبة لان المشافهة تكون بما يحضر الانسان ولا يتمكن من تقييده وترتيبه بخلاف المكاتبة فلا عذر لصاحبها في الاخلال بالادب قال في مواد البيان لا ينبغي ان يكون خطابك لجميع طبقات الناس على صورة واحدة وذلك ان المعاني التي يكتب فيها وان كان كل جنس منها بعينه كالتهنئة والتعزية والاعتذار والعتاب والاستظهار ونحو ذلك فانه لا يجوز ان يخرج المعنى لكل مخاطب على صيغة واحدة من اللفظ بل ينبغي ان يخرج في الصيغة المشاكلة للمخاطب اللائقة بقدره ورتبته الا ترى انك لو خاطبت سلطانا أو وزيرا بالتعزية عن مصيبة من مصائب الدنيا لما جاز ان تبني الكلام على وعظه و تبصيره وارشاده وتذكيره وحضه على الاخذ بحظ من الصبر ومجانبة الجزع وتلقي الحادثات بالتسليم والرضى وانما الصواب ان تبني الخطاب على انه أعلى شانا وأرفع مكانا وأصح جزما وأرجح حلما من أن يعزى بخلاف المتاخر في الرتبة فانه انما يعزى تنبيها وتذكيرا وتبصيرا

وتعريفا للواجب فى تلقى السراء بالشكر والضراء بالصبر ونحو ذلك وكذلك اذا كاتبت رئيسا فى معنى الاستزادة والشكوى لا يجوز أن تأتى بمعناهما فى ألفاظهما الخاصة بل يجب أن تعدل عن الشكوى الى ألفاظ الشكر وعن ألفاظ الاستزادة الى ألفاظ الاستعطاف والسؤال فى النظر لتكون قد رتبت كلامك فى رتبته واخرجت معناك مخرج من يستدعى الزيادة لا من يشكو التقصير وكذلك لو وقع واقع للسلطان فنصحته لم يجز أن تورد ذلك مورد التنبيه على ما أغفله والايقاظ لما اهمله والتعريف من الصواب لما جهله لان ذلك مما لا تحتمله الرؤساء من الاتباع ولكن تبنى الخطاب على ان السلطان أعلى وأجل رأيا وأصح فكرا وأكثر احاطة بصدور الامور وأعجازها وان آراء خدمه جزء من رأيه وانهم انما يتفرسون مخايل الاصابة بما وقفوا عليه من سلوك مذهبه والتأدب بادبه والارتياض بسياسته والتنقل فى خدمته وانه مما يفرضونه فى حكم الاشفاق والاهتمام وما يسبغ عليهم من الانعام المطالعة بما يجرى فى اوهامهم ويحدث فى افكارهم من الامور التى يتخيلون فى العمل بها مصلحة للدولة وعمارة المملكة ينصفه باصابة رأيه التى هى أوفر وأثبت فان استصوبه امضاه وان رأى خلافه ألغاه وكان الاعلى ما يراه الى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى *(الاصل العاشر)* ان يراعى مواقع آيات القرآن والسجع فى الكتب وذكر أبيات الشعر فى المكاتبات اما آيات القرآن الكريم فقد ذكر ابن شيث فى معالم الكتابة انها فى صدر الكتب قد يذكرها الادنى للاعلى فى معنى ما يكتب به مثل قوله تعالى فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا وقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الى غير ذلك من الآيات المناسبة للوقائع وان كانت فى اثناء الكتب فقد استشهد بها جماعة من الكتاب فى خلال كتبهم واما السجع فقد ذكر ابن شيث انه لا يفرق فيه بين كتاب الأعلى للادنى وبالعكس وانه مما يكتب عن السلطان أليق لكن قد ذكر بعض المتأخرين ان الكتابة بالسجع انقص فى حق المكتوب اليه وقضيته انه لا يكتب به الا من أعلى لأدنى الا ان الذى جرى عليه مصطلح كتاب الزمان تخصيصه ببعض الكتب دون بعض من الجانبين واما الشعر فيورده حيث يحسن ايراده ويمنعه حيث يحسن منعه فليس كل مكاتبة يحسن فيها ايراد الشعر بل يختلف الحال فى ذلك بحسب المكتوب عنه

والمكتوب

والمكتوب اليه فاما المكاتبات الصادرة عن الملوك والصادرة اليهم فقد ذكر فى مواد البيان انه لا يتمثل فيها بشئ من الشعر اجلالا لهم من شوب العبارة عن عزائمهم وأوامرهم ونواهيهم والاخبار المرفوعة اليهم بما يخالف نمطها ووضعها ولان الشعر صناعة مغايرة لصناعة الترسل وادخال بعض صنائع الكلام فى بعض غير مستحسن قلت الذى ذكره عبد الرحيم بن شيث فى كتابه معالم الكتابة ومواضع الاصابة انه يجتنب الشعر فى المكاتبات الصادرة عن الملوك دون غيرهم وهو معارض لما ذكره فى مواد البيان وكأنه فى مواد البيان يريد الكتب النافذة عن الملوك الى من دونهم أو من دونهم اليهم اما الملوك والخلفاء اذا كتبوا الى من ضاهاهم فى ابهة الملك وقاربهم فى علو الرتبة فانه لا يمتنع التمثل بابيات الشعر فيها تطريز النثر بالنظم وجمعا بين جنسى الكلام اللذين هما خلاصة مقاصده وما زالت الخلفاء والملوك السالفة يحلون كتبهم الصادرة عنهم الى نظرائهم فى علو الرتبة بالابيات الرقيقة الالفاظ البديعة المعانى للاستشهاد على الوقائع المكتوب بسببها كما كتب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه حين تمالأ عليه القوم واجمعوا على قتله الى على بن أبى طالب كرّم الله وجهه أما بعد فقد بلغ السيل الزبا وجاوز الحزام الطبيين وطمع فىّ من تعجزه المدافعة عن نفسه فاقبل الىّ صديقا كنت أو عدوّا

فان كنت ماكولا فكن خير آكل * والا فادركنى ولما أمزق

وكما كتب أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرّم الله وجهه الى معاوية بن أبى سفيان فى جواب كتاب له حين جرى بينهما التنازع فى الخلافة فقال فى اثنائه كتابه وزعمت انى لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت فان يك ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون العذر اليك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها وعلى ذلك جرى كثير من خلفاء الدولتين الأموية والعباسية كما حكى العسكرى فى الاوائل ان أهل حمص وثبوا بعامل لها فاخرجوه ثم وثبوا بعده بعامل آخر فامر المتوكل ابراهيم بن عباس ان يكتب اليهم كتابا يحذرهم فيه ويختصر فكتب أما بعد فان أمير المؤمنين يرى من حق الله تعالى عليه فيما يقوم به من زيغ ويلم به من شعث ثلاثا يقدّم بعضهنّ امام بعض فاولاهنّ ما يستظهر به من عظة وحجة ثم ما يشفع به من تحذير وتنبيه ثم التى لا يقع حسم الداء بغيرها

أناقفان لم تغن عقب بعدها * وعيد افان لم يبد اجدت عزائمه

وممن كان كثير التمثل بالشعر فى المكاتبات من خلفاء بنى العباس ويصدر اليه المكاتبات كذلك الناصر لدين الله يحكى ان الملك الافضل على ابن السلطان صلاح الدين يوسف صاحب دمشق حين تعصب عليه أخوه الملك العزيز عثمان وعمه الملك العادل أبو بكر كتب الى الناصر لدين الله يستجيشه عليهما كتابا يشير فيه الى مايعتقده الشيعة فى ان الحق فى الخلافة كان لعلى وأن أبا بكر وعثمان رضى الله عنهما تقدما عليه اذ كان الناصر يميل الى التشيع وكتب فيه

مولاى ان أبا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق على

فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى * من الأواخر مالاقى من الأول

فكتب اليه الناصر الجواب عن ذلك وكتب فيه

وافى كتابك يا ابن يوسف ناطقا * بالحق يخبر ان أصلك طاهر

غصبوا عليا حقه اذ لم يكن * بعد النبى له بيثرب ناصر

فاصبر فان على الاله حسابهم * وابشر فناصرك الامام الناصر

وعلى ذلك جرى الملوك القائمون على خلفاء بنى العباس فى مكاتباتهم أيضا كما كتب أبو اسحاق الصابئ عن معز الدولة بن بويه الى عدة الدولة أبى تغلب كتابا يذكر له فيه خلاف قريبين له لم يمكنه مساعدة أحدهما على الآخر واستشهد فيه بقول المتلمس

وما كنت الا مثل قاطع كفه * بكف له أخرى فاصبح اجذما

فلما استقاد الكف بالكف لم يجد * له دركا فى أن يبينا فاحجما

وعلى هذا النهج جرى الحال فى الدولة الايوبية بالديار المصرية كما كتب القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب الى ديوان الخلافة ببغداد عند قتل ابن رئيس الرؤساء وزير الخليفة كتابا يسلى الخليفة عنه وكان ممن اساء السيرة وأكثر القتل متمثلا بالبيتين المقولين فى أبى حفص الخلال وزير أبى العباس السفاح وكان يعرف بوزير آل محمد

ان المكاره قد تسر وربما * كان السرور بما كرهت جديرا

ان الوزير وزير آل محمد * اودى فمن يشناك كان وزيرا

وكما كتب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر عن المنصور قلاوون الى صاحب اليمن في جواب تعزية ارسلها اليه في ولده الملك الصالح مع تعريضه في امره بان الحروب ما تشغل عنها المصائب في الاولاد مستشهدا فيه بقوله

اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فاهون ماتمرّ به الوحول

وكما كتب صاحبنا الشيخ علاء الدين البيري رحمه الله عن الظاهر برقوق صاحب الديار المصرية جوابا لصاحب تونس من بلاد المغرب واستشهد فيه لبلاغة الكتاب الوارد عنه بقوله

وكلام كدمع صب غريب * رق حتى الهواء يكثف عنده
راق لفظا ورق معنى فاضحى * كل سحر من البلاغة عبده

وعلى ذلك جرت ملوك المغرب من بني مرين وغيرهم كما كتب بعض كتاب السلطان ابو الحسن المريني عنه الى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية كتابا يخبره في خلاله ان صاحب بجاية خرج عن طاعته فغزاه واوقع به وبجيوشه حتى قمعه مستشهدا فيه بقول القائل

ان عادت العقرب عدنا لها * وكانت النعل لها حاضره

الى غير ذلك من المكاتبات الملوكية التي لا تحصى كثرة بل ربما وقع التمثل بالشعر في المكاتبات عن الخلفاء والملوك الى من دونهم وبالعكس كما حكى العسكري في الاوائل ان رافعا رفع كتابا الى الرشيد وكتب في أسفله

اذا جئت عارا أو رضيت بذلة * فنفسي على نفسي من الكلب أهون

فكتب اليه الرشيد كتابا وكتب في أسفله

ورفعك نفسا طالبا فوق قدرها * يسوق لك الحتف المعجل والذلا

وبالجملة فمذاهب الناس في التمثل بالشعر في المكاتبات الملوكية مختلفة ومقاصدهم متباينة بحسب الاغراض ولذلك أورد الشيخ جمال الدين بن نباتة هذه المسئلة في جملة سؤالاته التي سأل عنها كتاب الانشاء بدمشق مخاطبا بها الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي وهو يومئذ صاحب ديوان الانشاء بها فقال ومن كره الاستشهاد في مكاتبة الملوك بالاشعار وكيف تركها على مافيها من الآثار اما المكاتبات الاخوانيات بالتهاني

والتعازى والتزاور والتهادى والمداعبات وسائر أنواع الرقاع فى فنون المكاتبات فقد قال فى مواد البيان انه يجوز أن تودع أبيات الشعر على سبيل التمثل وعلى سبيل الاختراع محتجا بان الصدر الاول كانوا يستعملون ذلك فى هذه المواضع وهذا الذى ذكره لاخفاء فيه وكتب الرسائل المدونة من كلام المتقدمين والمتأخرين من كتاب المشرق والمغرب شاهدة بذلك ناطقة باستعمال الشعر فى صدور المكاتبات واثنائها ونهاياتها مابين البيت والبيتين فاكثر حتى القصائد الطوال واكثر مايقع من ذلك البيت المفرد والبيتان فماحول ذلك كما استشهد القاضى الفاضل فى بعض مكاتباته فى الشوق بقوله

ومن عجبى أنى أحن اليهم * واسأل عنهم من أرى وهم معى

وتطلبهم عينى وهم فى سوادها * ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلعى

وكما كتب أيضا لبعض أخوانه فى جواب كتاب

وكم قلت ليتنى كنت عنده * وماقلت اجلالا له ليته عندى

وكما كتب فى وصف كتاب ورد عليه مستشهدا بقوله

وحسبته والطرف معقود به * وجه الحبيب بدا لوجه محبه

الى غير ذلك من المكاتبات التى لايأخذها حصر ولاتدخل تحت حد انتهى ماأردت نقله من كتاب صبح الاعشا فى هذا الموضع وانما أوردته بصورته مع قابليته للاختصار لاكون قد أحضرت ذهنك كلاما لمؤلف جليل فى التعريف بصناعة الانشاء يكون له مجال بعد فهمه واعتبار مايرشد اليه أن يحاول تهذيب عبارة تفيد معناه وتبين مغزاه ثم انه ليس الغرض من ايقافك عليه أنك تتبع كل مايأمرك به وينهاك عليه دون ان تستعمل ذوقك فى الاستحسان وأنت مستند اليه مسترشد به حتى تخرج منه الى مايناسب وقتك ويستحسنه أهل عصرك الذين أحوالك مربوطة بأحوالهم ومنافعك معقودة برضاهم فلكل مقام مقال ولكل زمان رجال هذا واذا أردت استيفاء معرفة اختلاف اصطلاح الكتاب فى كل عصر من العصور الخالية فى فواتح الكتب وخواتمها ومايختص بكل نوع من أنواع المكاتبات فالموجود من كتاب صبح الاعشا بدار الكتب الكبيرة يكفيك لهذا الغرض *(الجهة الثالثة)* فى أمثلة تستعين بتفهمها

وتامل

وتأمل سياقاتها من فواتحها الى خواتمها على تربية ذهنك فى هذه الصناعة واختيار ما يرشدك الله لاختياره من مذهب تذهبه فى تأليف الكلام وتنويعه على حسب طبقات من تكاتبهم وكفى هذه الصناعة شرفا أن كان ابتداء تمثيلها بما صدر عن حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومنه تعرف حق المعرفة كيف يختلف حال الكتابة باختلاف حال المكتوب اليه فى كتبه للعجم وبعضها يشبه بعضا كتابه الصادر لقيصر الروم يدعوه الى الاسلام وهذه صورته من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم أسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بانا مسلمون ومنها كتابه الصادر الى كسرى ملك الفرس فى ذلك الغرض وهذه صورته من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع وآمن بالله ورسوله وأدعوك بدعاية الله عز وجل فانى أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وأسلم تسلم فان توليت فان إثم المجوس عليك فكان الافتتاح بفلان الى فلان سنة سواء كانت الكتابة من رئيس أو مرؤس حتى كتب النجاشى ملك الحبشة الى محمد رسول الله من النجاشى وكتب خالد بن الوليد فى بعض كتبه الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد بعثه فى ناحية لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد فكانت سنة ثانية التزمها الناس بعد فى خطاب المرؤس للرئيس لما تجدد من العظمة الملكية والجلالة السلطانية ومن كتبه للعرب كتابه الصادر لأكيدر صاحب دومة الجندل وهذه صورته من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب الى الاسلام وخلع الانداد والاصنام مع خالد بن الوليد سيف الله فى دومة الجندل واكنافها ان لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامى وأغفال الارض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور لا تعزل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلك عهد الله والميثاق تفسير ألفاظه وبيان مقصوده الأنداد جمع ند بكسر النون وهو ضد الشئ الذى يخالفه فى أموره ويناده أى يخالفه ماخوذ من ند

البعير اذا شردو المراد ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله والاصنام جمع صنم وهو ما اتخذ الها من دون الله وقيل ما كان له جسم أو صورة فان لم يكن له جسم ولا صورة فهو وثن والاكناف بالنون جمع كنف بالتحريك وهو الجانب والناحية والضاحية بالضاد المعجمة والحاء المهملة الناحية البارزة التي لا حائل دونها والمراد هنا اطراف الارض والضحل بفتح الضاد المعجمة وسكون الحاء المهملة القليل من الماء وقيل الماء القريب من المكان وبالتحريك مكان الضحل والبور الارض التي لم تزرع وهو بالفتح مصدر وصف به والمعامى المجهولة من الارض التي ليس فيها أثر عمارة واحدها معمى واغفال الارض بالغين المعجمة والفاء الارض التي ليس فيها أثر يعرف كأنها مغفول عنها والحلقة بسكون اللام السلاح عاما وقيل الدروع خاصا والسلاح ما اعد للحرب من آلة الحديد مما يقاتل به والسيف وحده يسمى سلاحا والضامنة من النخل بالضاد المعجمة والنون ما كان داخلا فى العمارة من النخيل وتضمنته امصارهم وقراهم وقيل سميت ضامنة لان اربابها ضمنوا عمارتها وحفظها فهى ذات ضمان كعيشة راضية بمعنى ذات رضى والمعين من المعمور الماء الذى ينبع من العين فى العامر من الارض وقوله لا تعزل سارحتكم بالزاى المعجمة اى لا تصرف ماشيتكم وتمال عن الرعى ولا تمنع وقوله ولا تعد فاردتكم أى لا تضم الى غيرها وتحشر الى الصدقة حتى تعد مع غيرها وتحسب والفاردة الزائدة على الفريضة ولا يحظر عليكم النبات بالظاء المعجمة اى لا تمنعون من الزرع والمرعى حيث شئتم والحظر المنع ومقصوده تمييز ما يكون للسلطان فيه اطلاق التصرف وليس داخلا فى حوزة احد من غيره واعلامهم بذلك ومعنى كون الحلقة والحافر والحصن للسلطان انه متى أمر باستعمالها فى الجهاد وجب عليهم الامتثال حسبما يؤمرون به وان كانت لهم ملكا اختصاصيا بخلاف الاشياء المتقدمة ومنها كتابه الصادر لوائل بن حجر احد عظماء حضرموت وامثاله منهم وهذه صورته من محمد رسول الله الى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب وفى التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفى السيوب الخمس ومن زنى من امبكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى من امثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرائض الله تعالى وكل مسكر حرام ووائل ابن حجر يترفل على الأقيال تفسير الفاظه الاقيال جمع قيل بفتح فسكون الملك اومن

ينوب عنه اذا غاب والمراد في الحديث الاول والعباهلة في القاموس العباهلة المقرّون على ملكهم فلم يزالوا عنه والارواع جمع رائع من راع اى افزع من رآه بجماله او جلاله والمشابيب جمع مشبوب وهو الجميل الزاهر اللون من شب النار الهبها والتيعة بكسر فسكون اربعون شاتا وتطلق على ادنى ما تجب فيه الصدقة من الحيوان والمقورة الالياط المسترخية الجلود من اقور والليط بكسر فسكون والضناك بزنة كتاب الموثقة الخلق السمينة اى شاة الصدقة لا تكون من المهازيل ولا من الكرائم بل تكون وسطا وهو المراد بقوله وانطوا الثبجة اى اعطوا بالنون مكان العين وهي لغتهم والثبجة بفتحتين الوسط ومنه ثبج البحر السيوب جمع سيب وهو العطية واريد به في الحديث الركاز وهو دفين الجاهلية وفي قوله من امبكر ومن امثيب جرى على لغتهم من ابدال لام التعريف ميما والصقع الضرب والاستيفاض التغريب والاضاميم الجماعة الصغار والتوصيم الفترة والتوانى وترفل عليهم ترأس وقد روى هذا الكتاب بصورة أخرى وهي هذه من محمد رسول الله الى الاقيال العباهلة من اهل حضرموت باقامة الصلاة وايتاء الزكاة على التيعة الشاة والتيمة لصاحبها وفي السيوب الخمس لا خلاط ولا وراط ولا شناق ولا شغار ومن اجبى فقد اربى وكل مسكر حرام التيمة بكسر فسكون وبالهمز بدل الياء لغة ما زاد على الفريضة حتى تبلغ الفريضة الأخرى او هي غير السائمة والخلاط ان يخلط الرجل ماله بمال غيره لتسقط عنه الزكاة والوراط ان يخفيه في ورطة من الارض حتى لا يراه الساعي والشناق المشاركة في الشنق بفتحتين وهو العفو بين الفريضتين والشغار نكاح في الجاهلية وهو ان يزوج الرجل ابنته او اخته من رجل ويتزوج ابنة ذلك الرجل او اخته على ان يكون بضع كل منهما صداق الأخرى وقوله ومن اجبى فقد اربى قيل في تفسيره ان الاجباء هو بيع الزرع قبل بدو صلاحه أو ان يبيع الرجل سلعة بثمن معلوم الى اجل معلوم ثم يشتريها باقل من ذلك الثمن واربى وقع في الربا ومن هذه الكتب تقف على اصل وهو ان من يستحق المدح يمدح بما يراد صفاته الكمالية في صدر الكتاب اليه كما جرى عليه العمل بعد ومن كتبه صلى الله عليه وسلم لاهل الاسلام كتابه الصادر لخالد بن الوليد جوابا عن كتابه له صلى الله عليه وسلم باسلام بني الحارث وقد ارسل اليهم وهذه صورته من محمد رسول الله الى خالد بن الوليد سلام عليك فاني احمد

اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فان كتابك جاءنى مع رسولك يخبرنى ان بنى الحارث قد اسلموا قبل ان تقاتلهم واجابوا الى ما دعوتهم اليه من الاسلام وشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وأن قد هداهم الله بهداه نبشرهم وانذرهم واقبل وليقبل معك وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتابه الصادر الى المنذر بن ساوى وكان عاملا للفرس على البحرين وهذه صورته من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله اما بعد فانى اذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلى ويتبع امرهم فقد اطاعنى ومن نصحهم فقد نصح لى وان رسلى قد اثنوا عليك خيرا وانى قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن اهل الذنوب فاقبل لهم وانك مهما تصلح لن نعزلك ومن اقام على مجوسيته فعليه الجزية وقوله احمد اليك على تقدير متوجها اليك وعلى صور كتبه صلى الله عليه وسلم جرى عمل الخلفاء الراشدين ولم يكن يذكر فى صدور الكتب بعد الحمد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم حتى زادها الرشيد وعدت من مناقبه فكان يكتب أحمد اليك الله واساله ان يصلى ومن كتب الخلفاء كتاب الصديق رضى الله عنه لاهل الردة حين ولى الخلافة ورجع كثير من العرب عن الاسلام وهذه صورته من ابى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من بلغه كتابى هذا من عامة او خاصة أقام على الاسلام او رجع عنه سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى الى الضلالة والعمى فانى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله واقر بما جاء به اما بعد فان الله ارسل محمدا بالحق من عنده الى خلقه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين يهدى الله للحق من اجاب اليه وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم باذنه من ادبر عنه حتى صار الى الاسلام طوعا وكرها ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لامر الله ونصح لامته وقضى الذى عليه وكان الله قد بين له ذلك ولاهل الاسلام فى الكتاب الذى انزله فقال انك ميت وانهم ميتون وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افائن مت فهم الخالدون وقال للمؤمنين وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على

عقبيه

عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين فمن كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فان الله بالمرصاد حى قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم حافظ لامره منتقم من عدوه يجزيه وانى اوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله وما جاء به نبيكم وان تهتدوا بهديه وان تعتصموا بدين الله فان من لم يهد الله ضل وكل من لم يعافه مبتلى وكل من لم ينصره مخذول فمن هداه الله كان مهديا ومن اضله كان ضالا من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ولم يقبل منه فى الدنيا عمل حتى يقر به ولم يقبل له فى الآخرة صرف ولا عدل وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد ان اقر بالاسلام وعمل به اغترارا بالله وجهالة بأمره واجابة للشيطان وقال الله جل ثناؤه واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه افتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا وقال جل ذكره ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وانى نفذت اليكم خالد بن الوليد فى جيش من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وامرته ان لا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه الى داعية الله فمن استجاب واقر وكف وعمل صالحا قبل منه واعانه عليه ومن ابى ان يقاتله على ذلك ولا يبقى على أحد منهم قدر عليه وان يحرقهم بالنيران ويقتلهم كل قتلة ويسبى النساء والذرارى ولا يقبل من أحد الا الاسلام فمن آمن فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله وقد امرت رسولى ان يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم والداعية الاذان فان اذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم وان لم يؤذنوا اسألوهم ما عليهم فان ابوا عاجلوهم وان اقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغى لهم ومن هذا الكتاب تستدل على جواز تحلية الكلام ببعض الفاظ القرآن وتعرف الفرق بين الاقتباس والاستشهاد وتنظر كيف تستعمل الشدة فى موضعها ﴿صورة كتاب صدر من امير المؤمنين عمر بن الخطاب﴾ وهو اول من وضع هذا اللقب للخليفة وكان قبل يكتب من خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطال ذلك على من يجىء بعده فانه يلزم ان يكرر بقدر عدد سلفه الى عمرو بن العاص وهو عامل على مصر من طرفه من عبد الله امير المؤمنين الى عمرو بن العاص سلام عليك اما بعد فقد بلغنى انه فشت لك فاشية من خيل وابل وبقر وعبيد وعهدى بك قبل ذلك

ولامال لك فما كتب الى من اين أصل هذا المال ﴿جواب عمرو عن هذا الكتاب﴾
لعبد الله عمر امير المؤمنين سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فانه
اتانى كتاب امير المؤمنين يذكر فيه فاشية مال فشا لى وأنه يعرفنى قبل ذلك ولا مال لى
وانى أعلم امير المؤمنين أنى ببلد السعر فيه رخيص وانى اعالج من الزراعة ما يعالجه
الناس وفى رزق امير المؤمنين سعة ووالله لو رأيت خيانتك حلالا ما خنتك فأقصر ايها
الرجل فان لنا احسابا هى خير من العمل لك ان رجعنا اليها عشنا بها ولعمرى ان عندك
من لا يذم معيشة ولا تذم له وان كان ذلك لم يفتح لك قفلا ولم يشركك فى عمل يريد عمرو أنه
من اهل البيوت الشريفة التى جرت عادة من دونهم من طبقات الناس ان لا يستنكفوا
من خدمتهم فيمكن ان يحصل له الغنى بذلك الطريق دون ان يكون خائنا وفى آخر الكلام
استشهد بمن حصل له الغنى بتلك الطريق من اهله كعثمان رضى الله عنه ﴿صورة
كتاب صدر من امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه الى علىّ كرم الله وجهه﴾
وكان خرج الى الينبع وقد احاط الناس بعثمان وهى هذه اما بعد فقد بلغ السيل الزبا
وجاوز الحزام الطبيين وطمع فىّ كل من كان يضعف عن نفسه ولم يغلبك مثل مغلب
فأقبل الىّ صديقا كنت او عدوّا

فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فأدركنى ولما امزق

الزبية بضم فسكون حفرة تعمل فى راس جبل على طريق السبع وتغطى بغطاء خفيف
ليسقط السبع فى الحفرة اذا مر عليه وهى من طرق صيده وهى مثل لبلوغ الشر غاية
بعيدة وكذلك مجاوزة الحزام الطبيين وهو مثنى طبى بكسر اوضم فسكون حلمة الضرع
من ذوات الخف والحافر والظلف وقوله لم يغلبك مثل مغلب قطعة من قول امرئ
القيس

فانك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وكفاك هذا القدر مثالا لما كان عليه كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه
رضى الله عنهم قبل امير المؤمنين على كرم الله وجهه واما هو فكلامه البحر الذى
لا ساحل له واذا اطلعت عليه عرفت كيف تصرف امراء الكلام فى البلاغة وقد
جمع الشريف الرضى من كلامه مجموعا سماه نهج البلاغة وشرحه ابن ابى الحديد
شرحا

شرحا كبيرا فى مجلدات كثيرة فمن أراد توفير حظه وتحصين خاطره من اشرف الكلام بعد القرآن وحديث النبي صلى الله عليه وسلم فليطلب ذلك الكتاب ويقرأه بتأمل لالفاظه وتفهم لاغراضه ولا بأس ان نورد لك منه ما يكون داعيا لبذل جهدك فى طلبه

﴿هذه صورة عهد كتبه كرم الله وجهه لمالك المعروف بالأشتر النخعي﴾ وهو من اجل اصحابه وكان يقول فيه مالك لى كما كنت للنبي صلى الله عليه وسلم حين ارسله واليا على مصر بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به عبد الله على امير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر فى عهده حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واصلاح اهلها وعمارة بلادها أمره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ما أمر به فى كتابه من فرائضه وسننه التى لا يسعد أحد الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من أعزه وامره ان يكسر من نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا ما رحم الله ثم اعلم يا مالك انى قد وجهتك الى بلاد قد جرت دول قبلك من عدل او جور وأن الناس ينظرون فى امورك فى مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك و يقولون فيك كما كنت تقوله فيهم وانما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على السنة عباده فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الانصاف منها فيما احببت وكرهت واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما اخ لك فى الدين واما نظير لك فى الخلق تفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم فى العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب وترضى ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالى الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدى لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت عنها مندوحة ولا تقولن انى مؤمر آمر فاطاع فان ذلك أدغال فى القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير واذا احدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة او مخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك من

طماحك ويكف عنك من غربك ويفيء اليك بما عزب عنك من عقلك اياك ومساماة
الله في عظمته والتشبه به في جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال أنصف الله
وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فانك إلا تفعل
تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان
لله حربا حتى ينزع و يتوب وليس شئ أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة
على ظلم فان الله سميع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد وليكن أحب الامور اليك
اوسطها في الحق وأعمها في العدل واجمعها لرضى الرعية فان سخط العامة يجحف برضى
الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة وليس أحد من الرعية اثقل على
الوالي مؤنة في الرخاء واقل معونة له في البلاء واكره للانصاف واسأل بالالحاف واقل
شكرا عند الاعطاء وابطأ عذرا عند المنع واضعف صبرا عند ملمات الدهر من اهل
الخاصة وانما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صغوك
لهم وميلك معهم وليكن ابعد رعيتك منك واشنؤهم عندك أطلبهم لمعايب الناس فان
في الناس عيوبا الوالي أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير
ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب
ستره من رعيتك اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب
عن كل ما لا يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين
ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل و يعدك الفقر ولا جبانا يضعفك
عن الامور ولا حريصا يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى
يجمعها سوء الظن بالله شر وزرائك من كان قبلك للاشرار وزير ومن شركهم في الآثام
فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان الائمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممن
له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لا يعاون ظالما على ظلمه
ولا آثما على اثمه أولئك اخف عليك مؤنة واحسن لك معونة واحنى عليك عطفا واقل
لغيرك الفا فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك اقولهم لك بمر
الحق واقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لاوليائه واقعا ذلك من هواك حيث
وقع

وقع والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدنى من العزة ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فان فى ذلك تزهيدا لاهل الاحسان فى الاحسان وتدريبا لاهل الاساءة على الاساءة وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه واعلم أن ليس شئ بادعى الى حسن ظن وال برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤنات عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك فى ذلك امر يجمع لك حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وان أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الالفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشئ مما مضى من تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء فى تثبيت ما صلح عليه امر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الانصاف والرفق ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله سهمه ووضع على حده وفريضته فى كتابه او سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهدا منه عندنا محفوظا فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله تعالى لهم من الخراج الذى يقوون به فى جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما اصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوى الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بايديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفى الله لكل سعة ولكل على الوالى حق بقدر ما يصلحه فول من جنودك أنصحهم فى نفسك لله ولرسوله ولامامك واطهرهم جيبا وافضلهم حلما ممن يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الاقوياء وممن لا يثيره العنف

ولا يقعد به الضعف ثم الصق بذوى المروآت والاحساب وأهل البيوتات الصالحة
والسوابق الحسنة ثم اهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جماع من الكرم
وشعب من العرف ثم تفقد من امورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن
فى نفسك شئ قويتهم به ولا تحقرن لطفا تعاهدتهم به وان قل فانه داعية الى بذل
النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف امورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير
من لطفك موضعا ينتفعون به وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه وليكن آثر رؤس جندك
عندك من واساهم فى معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من
خلوف اهلهم حتى يكون همهم هما واحدا فى جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف
قلوبهم عليك ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة امورهم وقلة استثقال دولهم وترك
استبطاء انقطاع مدتهم فافسح فى آمالهم وواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما أبلى
ذوى البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع وتحرك الناكل ان شاء الله
تعالى ثم اعرف لكل امرئ منهم ما ابلى ولا تضمن بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرن به
دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف امرئ الى ان تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة
امرئ ان تستصغر من بلائه ما كان عظيما واردد الى الله ورسوله ما يضلعك من
الخطوب ويشتبه عليك من الامور فقد قال الله سبحانه لقوم احب ارشادهم يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه
الى الله والرسول فالرد الى الله الاخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة
غير المفرقة ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك فى نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا
تمحكه الخصوم ولا يتمادى فى الزلة ولا يحصر عن الفئ الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه
على طمع ولا يكتفى بادنى فهم دون اقصاه أوقفهم فى الشبهات وآخذهم بالحجج واقلهم
تبرما بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور واصرمهم عند اتضاح الحكم ممن
لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء وأولئك قليل ثم أكثر تعاهد قضائه وافسح له فى البذل
ما يزيح علته ويقل معه حاجته الى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من
خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر فى ذلك نظرا بليغا فان هذا
الدين قد كان اسيرا فى ايدى الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا ثم انظر فى امور

عمالك

عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة وأثرة فانهم جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم فى الاسلام المتقدمة فانهم أكرم اخلاقا واصح اعراضا وأقل فى المطامع اشرافا وأبلغ فى عواقب الامور نظرا ثم أسبغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ماتحت ايديهم وحجة عليهم ان خالفوا أمرك أوخانوا أمانتك ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فانّ تعاهدك فى السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الاعوان فان أحد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة فى بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فان فى صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك فى عمارة الارض أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم أمره الا قليلا فان شكوا ثقلا أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو احالة أرض اغتمرها غرق أو اجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ولا يثقلن عليك شئ خففت به المؤنة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك فى عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم اليه لما سبق من عدلك عليهم ورفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم فان العمران يحتمل ما حملته وانما يأتى خراب الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها الاشراف انفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر ثم انظر فى حال كتابك فول على أمورك خيرهم واخصص رسائلك التى تدخل فيها مكايدك واسرارك باجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك فى خلاف لك بحضرة ملا ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطى منك ولا يضعف عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر

نفسه فى الامور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شئ ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لاحسنهم فى العامة اثرا واعرفهم بالامانة وجها فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره واجعل لرأس كل من أمورك رأسا منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان فى كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته ثم استوص بالتجار وذوى الصناعات وأوص بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم موادّ المنافع وأسباب المرافق وجلابها من المتباعد والمطارح فى برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترؤن عليها فانهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد أمورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك واعلم مع ذلك ان فى كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما فى البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وسلم منع منه وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقب من غير اسراف ثم الله الله فى الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى فان فى هذه الطبقة قانعا ومعترا واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافى الاسلام فى كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذى للادنى وكل قد استرعيت حقه ولا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييع التافه لاحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقد أمور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع اليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية أحوج الى الانصاف من غيرهم وكلّ فأعذر الى الله فى تأدية حقه اليه وتعهد أهل اليتم وذوى الرقة فى السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسئلة نفسه وذلك على الولاة ثقيل وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العافية فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم واجعل لذوى الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس

لهم

لهم مجلساعاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك
وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول في غير موطن لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع ثم
احتمل الخرق منهم والعي ونح عنك الضيق والانفة يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته
ويوجب لك ثواب طاعته وأعط ما اعطيت هنيأ وامنع في اجمال واعذار ثم أمور من
أمورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ومنها اصدار حاجات
الناس عند ورودها عليك مما يحرج صدور اعوانك وأمض لكل يوم عمله فان لكل يوم
ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى افضل تلك المواقيت واجزل تلك
الاقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية وليكن في خاصة
ما تخلص لله به دينك اقامة فرائضه التي هي له خاصة فاعط الله من بدنك في ليلك
ونهارك ووف ما تقربت به الى الله سبحانه من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغا من
بدنك ما بلغ واذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيعا فان في الناس من به
العلة وله الحاجة وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجهني الى اليمن كيف
أصلي بهم فقال صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما وأما بعد هذا فلا تطولن
احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور
والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير
ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وانما الوالي بشر لا يعرف ما توارى
عنه الناس به من الامور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من
الكذب وانما انت أحد رجلين اما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك
من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تبديه أو مبتلى بالمنع فما اسرع كف الناس عن
مسئلتك اذا أيسوا من بذلك مع ان أكثر حاجات الناس اليك مالا مؤنة فيه عليك من
شكاة مظلمة أو طلب انصاف في معاملة ثم ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار
وتطاول وقلة انصاف في معاملة فاحسم مؤنة أولئك بقطع أسباب تلك الاحوال ولا
تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن
يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم

دونك وعيبه عليك فى الدنيا والآخرة وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن
فى ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخواصك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل
عليك فان مغبة ذلك محمودة وان ظنت الرعية بك حيفا فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك
ظنونهم باصحارك فان فى ذلك اعذارا تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق ولا تدفعن
صلحا دعاك اليه عدوك لله فيه رضا فان فى الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك
وأمنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب
ليتغفل فخذ بالحزم واتهم فى ذلك حسن الظن وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة
أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون
ما أعطيت فانه ليس من فرائض الله شئ الناس أشد عليه اجتماعا مع تفريق أهوائهم
وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين
لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك
فانه لا يجترئ على الله الا جاهل شقى وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد
برحمته وحريما يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا
خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن القول بعد التأكيد
والتوثقة لضيق أمر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على
ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك فيه
من الله طلبة لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه
ليس شئ أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء
بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا
تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر
لك عند الله ولا عندى فى قتل العمد لان فيه قود البدن وان ابتليت بخطأ وأفرط عليك
سوطك أو يدك بعقوبة فان فى الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك
عن أن تؤدى الى أولياء المقتول حقهم واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها
وحب الاطراء فان ذلك من أوثق فرص الشيطان فى نفسه ليمحق ما يكون من احسان
المحسن واياك والمن على رعيتك والتزيد فيما كان من فعلك وان تعدهم فتتبع
موعدك

موعدك بخلفك فان المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس قال الله سبحانه كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون واياك والعجلة بالامور قبل أوانها والتساقط فيها عند امكانها أو اللجاجة فيها اذا تنكرت أو الوهن عنها اذا استوضحت فضع كل أمر موضعه واوقع كل عمل موقعه واياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون أى الجواسيس فانه مأخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك اغطية الامور وينتصف منك المظلوم املك حمية نفسك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وسلم أو فريضة فى كتاب الله فتقتدى بما تشاهده مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك فى اتباع ما عهدت اليك فى عهدى هذا واستوثقت به من الحجة لنفسى عليك لكيلا يكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة أن يوفقنى واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء فى العباد وجميل الاثر فى البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وأن يختم لى ولك بالسعادة والشهادة انا الى الله راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين من شاء ينظر الى جمال البلاغة ظاهرة فى صورها متبرجة فى زينة ملابسها وأنواع حليها فليطل ترديد نظره فى فصول هذا الكتاب الوافى بجميع ما يحسن لكل انسان أن يتأدب ويأخذ له منه حظا فى أخلاقه وأعماله لا يخص ذلك أميرا دون مأمور وان كان وضعه على نصيحة وال يتولى أمور بعض العباد ورأيت فى شرحه كلاما منقولا عن بعض عقلاء من تقدمهم الزمان يشتمل على آداب ينبغى لمن يريد الاستكمال أن يتفهمها ويتأدب بها فوجدت تعقيبه باثبات ذلك حيث كان أهم اغراض هذا الكتاب تعريف طلبة العلم أن ألزم شئ يطلبونه وأكبر امر ينبغى ان يحاولوا تحصيله لتطيب حياتهم وتجمل بهم أوقاتهم وتعلى بهم أممهم انما هى الآداب التى يلتئمون بها مع جميع طبقات الناس ويكون لهم مع كل طبقة منها كلام يعمر

قلوبهم ويتصرف فى عقولهم حتى يكونوا منهم بتلك المكانة التى صارت غير مأهولة الا بالقليل فى ذلك ما نقله ابن أبى الحديد رحمه الله تعالى من آداب ابن المقفع قال لا يكونن صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم فى المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقديم الامور على أهوائهم دون هواك فان كنت حافظا اذا ولوك حذرا اذا قربوك أمينا اذا ائتمنوك تعلمهم وكأنك تتعلم منهم وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم وتشكر لهم ولا تكلفهم الشكر ذليلا ان صرموك راضيا ان اسخطوك والا فالبعد عنهم كل البعد والحذر منهم كل الحذر وان وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن عنه فانه من يخدم السلطان حق خدمته يخلى بينه و بين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن يخدمه غير حق الخدمة فقد احتمل وزر الآخرة وعرض نفسه للهلكة والفضيحة فى الدنيا فاذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة فى غير املال واذا نزلت بمنزل الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثر له من الدعاء ولا تردن عليه كلاما وان اخطأ فاذا خلوت به فبصره فى رفق ولا يكونن طلبك ما عنده بالمسئلة ولا تستبطئه وان ابطأ ولا تخبرنه ان لك عليه حقا وانك تعتد عليه ببلاء وان استطعت ان لا ينسى حقك و بلاءك بتجديد النصح والاجتهاد فافعل ولا تعطينه المجهود كله من نفسك فى اول صحبتك له وأعد موضعا للمزيد وان سأل غيرك شيأ فلا تكن المجيب واعلم أن استلابك الكلام خفة فيك واستخفاف منك بالسائل والمسؤل فما انت قائل ان قال لك السائل ما ياك سألت اوقال المسؤل اجب بمجالسته ومحادثته ايها المعجب بنفسه والمستخف بسلطانه معنى هذه الجملة الاخيرة أن المسؤل يقرع المجيب الذى لم يسئل بتفويض الجواب اليه وسكوته هو عنه فلعل المستعجل لم يكن فهم الغرض ولا وصل الى ما يعلم المسؤل فهو يقول له اجب لا بعلم بل بسبب كون السلطان جعلك له جليسا وأعدك لمحادثته أحيانا فان كان ذلك كافيا فى الاجابة دون علم فافعل وهذه الآداب التى انتهت بهذا الفاضل اليها المشاهدة والتجربة وابقاها بالعبارة عنها حسنة لمن بعده يستحق من الناس شكرها ويستدعى من الله جزيل أجرها لا شبهة فى لزومها لمن يريد صحبة اهل القهر والاستبداد والعظمة والكبرياء من ذوى الرياسة فان لهم حدودا يحدونها لانفسهم تجب رعايتها طلبا للسلامة منهم وان كان بعضها لا يخص ذلك المقام والاطلاع على الاحوال المختلفة

بميزانك

بيزلك اختلاف الآداب حسب الهيئات المتغيرة فان تلك الاحوال الشديدة لا تلزم لصحبة نبي ومن سار بسيرته او قارب ذلك ومن ذلك مانقله من نصيحة عبد الملك بن صالح لرجل كان عنده معلم صبيان فلما وجده ذا أدب ولطف اراد أن يتخذه سميرا يأتنس به وعبد الملك هذا احد الامراء من بني العباس أيام الرشيد وكان شهما فصيحا ذا عزم وحزم وكان الرشيد يخافه على الملك فكان بذلك بينهما ماجريات يطلعك عليها التاريخ وهذه هي النصيحة قال ياعبد الله كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فانهم قالوا اذا اعجبك الكلام فاصمت واذا اعجبك الصمت فتكلم واعلم ان اصعب الملوك معاملة الجبار الفطن المتفقد فان ابتليت بصحبته فاحترس وان عوفيت فاشكر الله على السلامة فان السلامة اصل كل نعمة لا تساعدني على مايقبح بي ولا تردن على خطأ في مجلس ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ودع عنك كيف اصبح الامير وكيف امسى وكلمني بقدر ما أستنطقك واجعل بدل التقريظ لي صواب الاستماع مني واعلم ان صواب الاستماع أحسن من صواب القول واذا سمعتني اتحدث فلا يفوتنك منه شئ وأرني فهمك اياه في طرفك ووجهك فما ظنك بالملك وقد احلك محل المعجب بما يسمعك اياه وأحللته محل من لا تسمعه منه وهذا يحبط احسانك ويسقط حق حرمتك ولا تستدع الزيادة من كلامي بما تظهر من استحسان مايكون مني فمن أسوأ حالا ممن يستلذ الملوك بالباطل وذلك يدل على تهاونه بقدر ما اوجب الله تعالى من حقهم واعلم اني جعلتك مؤدبا بعد ان كنت معلما وجعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مباعدا فمتى لم تعرف نقصان ماخرجت منه لم تعرف رجحان مادخلت فيه وقد قالوا من لم يعرف سوء ما أولى لم يعرف حسن ما أبلى في قوله فمن اسوء حالا الايجاز والمعنى فان استدعاء الزيادة طلب للاستلذاذ بحديث الملك وهو قبيح سواء كان بحق او باطل تمويها على الملك لكن اذا كان بالباطل كانت الاساءة فيه فاحشة وهو مافرعه بقوله فمن اسوء حالا الى آخره ومن ذلك مانقله من وصية أبرويز احد الاكاسرة لكاتبه وهي هذه قال له أكتم السر واصدق الحديث واجتهد في النصيحة وعليك بالحذر فان لك علي ان لا اعجل عليك حتى استأني لك ولا اقبل فيك قولا حتى استيقن ولا اطمع فيك احدا فتغتال واعلم انك بمنجاة رفعة فلا تحطها وفي ظل مملكة فلا تستزيلنه قارب

الناس مجاملة من نفسك وباعدهم مسامحة من عدوك واقصد الى الجميل ازدراعا لغدك وتنزه صونا لمروأتك وتحبب عندي بما قدرت عليه احذر لا تسرعن الالسنة عليك ولا تقبحن الاحدوثة عنك وصن نفسك صون الدرة الصافية واخلصها اخلاص الفضة البيضاء وعاتبها معاتبة الحذر المشفق وحصنها تحصين المدينة المنيعة لا تدعن ان ترفع الىّ الصغير فانه يدل على الكبير ولا تكتمن عني الكبير فانه ليس بشاغل عن الصغير هذب امورك ثم القني بها واحكم امرك ثم راجعني فيه ولا تجترئن على فامتعض ولا تنقبضن عني فاتهم ولا تمرضن ما تلقاني به ولا تخدجنه واذا افكرت فلا تجعل واذا كتبت فلا تعذر ولا تستعن بالفضول فانها علاوة على الكفاية ولا تقصرن عن التحقيق فانها هجنة بالمقالة ولا تلبس كلاما بكلام ولا تبعدن معنى عن معنى واكرم لي كتابك عن ثلاث خضوع يستخفه وانتشار يهجنه ومعان تعقد به واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول وليكن بسطة كلامك على كلام السوقة كبسطة الملك الذي تحدثه على الملوك لا يكن ما نالته عظيما وما تتكلم به صغيرا فانما كلام الكاتب على مقدار الملك فاجعله عاليا كعلوه وفائقا كفوقه فانما جماع الكلام كله خصال اربع سؤالك الشيء وسؤالك عن الشيء وامرك بالشيء وخبرك عن الشيء فهذه الخصال دعائم المقالات ان التمس اليها خامس لم يوجد وان نقص منها واحد لم تتم فاذا امرت فاحكم واذا اسألت فاوضح واذا طلبت فاسمح واذا اخبرت فحقق فانك اذا فعلت ذلك اخذت بجراثيم القول كله فلم تشتبه عليك واردة ولم تعجزك صادرة أثبت في دواوينك ما أخذت وأحصن فيها ما أخرجت وتيقظ لما تعطي وتجرد لما تأخذ ولا يغلبنك النسيان عن الاحصاء ولا الاناة عن التقدم ولا تخرجن وزن قيراط في غير حق ولا تعظمن اخراج الالوف الكثيرة في الحق وليكن ذلك كله عن مؤامرتي ومن ذلك ما نقله من وصية اكثم بن صيفي أحد حكماء العرب في الجاهلية لقومه من تميم وهي هذه قال يا بني تميم لا يفوتنكم وعظي ان فاتكم الدهر بنفسي ان بين حيزومي وصدري لكلاما لا أجد له مواقع الا أسماعكم ولا مقار الا قلوبكم فتلقوه بأسماع مصغية وقلوب واعية تحمدوا مغبته الهوى يقظان والعقل راقد والشهوات مطلقة والحزم معقول والنفس مهملة والروية مقيدة ومن جهة التواني وترك الروية يتلف الحزم ولن يعدم المشاور مرشدا والمستبد برأيه موقوف على

مداحض

مداحض الزلل ومن سمع سمع به ومصارع الرجال تحت بروق الطمع ولو اعتبرت مواقع المحن ما وجدت الا فى مقاتل الكرام وعلى الاعتبار طريق الرشاد ومن سلك الجدد أمن العثار ولن يعدم الحسود أن يتعب قلبه ويشغل فكره ويورث غيظه ولا تجاوز مضرته نفسه يا بنى تميم الصبر على جرع الحلم اعذب من جنا ثمر الندامة ومن جعل عرضه دون ماله استهدف للذم وكلم اللسان انكى من كلم السنان والكلمة مرهونة ما لم تنجم من الفم فاذا نجمت فهى اسد محرب او نار تلهب ورأى الناصح اللبيب دليل لا يجور ونفاذ الرأى فى الحرب اجدى من الطعن والضرب ومن ذلك ما نقله من كتاب اول ملوك الاكاسرة بعد ملوك الطوائف ينصح به من يجىء بعده من الملوك وفيه من الفوائد السياسية ما لا يخص الملوك دون عامة الناس وهو هذا قال رشاد الوالى خير لرعية من خصب الزمان الملك والدين توأمان لا قوام لاحدهما الا بصاحبه فالدين أس الملك وعماده ثم صار الملك حارس الدين فلا بد للملك من أسه ولا بد للدين من حارسه فاما ما لا حارس له فضائع واما ما لا أس له فمهدوم ان رأس ما أخاف عليكم مبادرة السفلة اياكم الى دراسة الدين وتأويله والتفقه فيه فتحملكم الثقة بقوة الملك على التهاون بهم فتحدث فى الدين رياسات منتشرات سرا فيمن قد وترتم وجفوتم وحرمتم واخفتم وصغرتم من سفلة الناس والرعية وحشو العامة ثم لا تنشب تلك الرياسات ان تحدث خرقا فى الملك ووهنا فى الدولة واعلموا أن سلطانكم على اجساد الرعية لا على قلوبها وان غلبتم الناس على ما فى ايديهم فلن تغلبوهم على ما فى عقولهم وآرائهم ومكايدهم واعلموا أن العاقل المحروم سال عليكم لسانه وهو اقطع سيفيه وأن أشد ما يضر بكم من لسانه ما صرف الحيلة فيه الى الدين فكان للدين يحتج وللدين فيما يظهر يتعصب فيكون للدين بكاؤه واليه دعاؤه ثم هو أوجد للتابعين والمصدقين والمناصحين والموازرين لان تعصب الناس موكل بالملوك ورحمتهم ومحبتهم موكلة بالضعفاء المغلوبين فاحذروا هذا المعنى كل الحذر واعلموا انه ليس ينبغى للملك ان يعرف للعباد والنساك بان يكونوا اولى منه بالدين ولا احدب عليه ولا اغضب له وأن يخلى النساك والعباد من الامر والنهى فى نسكهم ودينهم فان خروج النساك وغيرهم من الامر والنهى عيب على الملوك وعلى المملكة وثلمة بينة الضرر على الملك وعلى من بعده واعلموا انه قد مضى قبلنا من اسلافنا ملوك كان الملك

منهم يتعهد الحماية بالتفتيش والجماعة بالتفصيل والفراغ بالاشغال كتعهد جسده بقص فضول الشعر والظفر وغسل الدرن والغمص ومداواة ماظهر من الادواء وما بطن وقد كان من اولئك الملوك من صحة ملكه احب اليه من صحة جسده فتتابعت تلك الاملاك بذلك كانهم ملك واحد وكان ارواحهم روح واحدة يمكن اولهم لآخرهم ويصدق آخرهم اولهم تجتمع انباء اسلافهم ومواريث آرائهم وثمرات عقولهم عند الباقي منهم بعدهم وكانهم جلوس معه يحدثونه ويشاورونه حتى كان على راس دارا بن دارا ما كان من غلبة الاسكندر الرومي على ماغلب عليه من ملكه وكان افساده امرنا وتفرقته جماعتنا وتخريبه عمران مملكتنا ابلغ له فيما اراد من سفك دمائنا فلما أذن الله عز وجل في جمع مملكتنا واعادة امرنا كان من بعثه ايانا ما كان وبالاعتبار يتقى العثار والتجارب الماضية دستور يرجع اليه في الحوادث الآتية واعلموا ان طباع الملوك على غير طباع الرعية والسوقة فان الملك يطيف به العز والامن والسرور والقدرة على مايريد والانفة والجراءة والطيش والبطر وكلما ازداد في العمر تنفسا وفي الملك سلامة ازداد من هذه الطبائع والاخلاق حتى يسلمه ذلك الى سكر السلطان الذي هو اشد من سكر الشراب فينسى النكبات والعثرات والغير والدوائر وفحش تسلط الايام ولؤم غلبة الدهر فيرسل يده بالفعل ولسانه بالقول وعند حسن الظن بالايام تحدث الغير وزول النعم وقد كان من اسلافنا وقدماء ملوكنا من يذكره عزه الذل وامنه الخوف وسروره الكآبة وقدرته العجزة وذلك هو الرجل الكامل قد جمع بهجة الملوك وفكرة السوقة ولا كمال الا في جمعهما واعلموا انكم ستبلون على الملك بالازواج والاولاد والقرباء والوزراء والاخدان والانصار والاعوان والمتقربين والندماء والمضحكين وكل هؤلاء الا قليلا ان يأخذ لنفسه احب اليه من ان يعطي منها وانما عمله سوق ليومه وذخيرة لغده فنصيحته للملوك فضل نصيحته لنفسه وغاية الصلاح عنده صلاح نفسه وغاية الفساد عنده فسادها يقيم للسلطان سوق المودة ما أقام له سوق الارباح والمنافع اذا استوحش الملك من ثقاته أطبقت عليه ظلم الجهالة اخوف ما يكون العامة اخوف مايكون الوزراء واعلموا ان كثيرا من وزراء الملوك من يحاول استبقاء دولته وأيامه بايقاع الاضطراب والخبط في اطراف مملكة الملك ليحتاج الملك الى رايه وتدبيره فاذا

عرفتم

عرفتم ذلك من وزير من وزرائكم فاعزلوه فانه يدخل الوهن والنقص على الملك والرعية لصلاح حال نفسه ولا تقوم نفسه بهذه النفوس كلها واعلموا ان ذهاب الدولة ينشأ من قبل اهمال الرعية بغير أشغال معروفة ولا اعمال معلومة فاذا نشأ الفراغ تولد منه النظر فى الامور والفكر فى الفروع والاصول فاذا نظروا فى ذلك نظروا فيه بطباع مختلفة فتختلف بهم المذاهب ويتولد من اختلاف مذاهبهم تعاديهم وتضاغنهم وهم مع اختلافهم هذا متفقون ومجتمعون على بغض الملوك فكل صنف منهم انما يجرى الى فجيعة الملك بملكه ولكنهم لا يجدون سلما الى ذلك اوثق من الدين والناموس ثم يتولد من تعاديهم ان الملك لا يستطيع جمعهم على أهواء واحدة فاذا انفرد باختصاص بعضهم صار عدو بقيتهم وفى طباع العامة استثقال الولاة وملالهم والنفاسة عليهم والحسد لهم وفى الرعية المحروم والمضروب والمقام عليه الحدود ويتولد من كثرتهم مع عداوتهم ان يجبن الملك عن الاقدام عليهم فان فى اقدام الملك على الرعية كلها كافة تغريرا بملكه ويتولد من جبن الملوك عن الرعية استجرائهم عليه وهم اقوى عدوله وأخلقه بالظفر لانه حاضر مع الملك فى دار ملكه فمن افضى اليه الملك بعدى فلا يكونن باصلاح جسده اشد اهتماما منه بهذه الحال ولا يكونن لشئ من الاشياء اكره وانكر منه لراس صار ذنبا وذنب صار راسا ويد مشغولة صارت فارغة أوغنى صار فقيرا اوعامل مصروف اوامير معزول واعلموا أن سياسة الملك وحراسته ان لا يكون ابن الكاتب الا كاتبا وابن الجندى الا جنديا وابن التاجر الا تاجرا وهكذا فى جميع الطبقات فانه يتولد من تنقل الناس عن حالاتهم ان يلتمس كل امرئ منهم فوق مرتبته فاذا انتقل اوشك ان يرى شيأ ارفع مما انتقل اليه فيحسده وينافسه وفى ذلك من الضرر المتولد ما لا خفاء به فان عجز ملك منكم عن اصلاح رعيته كما اوصيناه فلا يكن للقميص القمل اسرع خلعا منه لما لبس من قميص ذلك الملك واعلموا انه ليس ملك الا وهو كثير الذكر لمن يلى الامر بعده ومن افساد امر الملك ذكره ولاة العهود فان فى ذلك ضررا وبابا من الضرر وان ذلك دخول عداوة بين الملك وولى عهده لانه تطمع عيناه الى الملك ويصير له احباب واخدان يمنونه ذلك ويستبطؤن موت الملك ثم ان الملك يتوحش منه وتنساق الامور الى هلاك أحدهما ولكن لينظر الوالى منكم لله تعالى ثم لنفسه ثم للرعية وينتخب وليا للعهد من بعده

ولا يعلمه ذلك ولا احدا من الخلق قريبا كان او بعيدا ثم يكتب اسمه في اربع صحائف ويختمها بخاتمه ويضعها عند اربعة نفر من اعيان اهل المملكة ثم لا يكون منه في سره وعلانيته امر يستدل به على ولي عهده من هو لا في ادناء وتقريب يعرف به ولا في اقصاء واعراض يستراب له وليتق ذلك في اللحظة والكلمة فاذا هلك الملك جمعت تلك الصحائف الى النسخة التي تكون في خزانة الملك فتفض جميعا ثم ينوه حينئذ باسم ذلك الرجل فيلقى الملك اذا لقيه بحداثة عهده بحال السوقة ويلبسه اذا لبسه ببصر السوقة وسمعها فان في معرفته بحاله قبل افضاء الملك اليه سكرا تحدثه عنده ولاية العهد ثم يلقاه الملك فيزيده سكرا الى سكره فيعمى ويصم هذا مع مالا بد ان يلقاه ايام ولاية العهد من حيل العتاة وبغي الكذابين وترقية النمامين وايغار صدره وافساد قلبه على كثير من رعيته وخواص دولته وليس ذلك بمحمود ولا صالح واعلموا انه ليس للملك ان يحلف لانه لا يقدر احد على استكراهه وليس له ان يغضب لانه قادر والغضب لقاح الشر والندامة وليس له ان يعبث و يلعب لان اللعب والعبث من عمل الفراغ وليس له ان يفرغ لان الفراغ من امر السوقة وليس له ان يحسد احدا الا على حسن التدبير وليس له ان يخاف لانه لا يد فوق يده واعلموا انكم لن تقدروا على ان تختموا افواه الناس من الطعن والازراء عليكم ولا قدرة لكم على ان تجعلوا القبيح من افعالكم حسنا فاجتهدوا في ان تحسن افعالكم كلها وان لا تجعلوا للعامة الى الطعن عليكم سبيلا واعلموا ان لباس الملك ومطعمه مقارب للباس السوقة ومطعمهم وليس فضل الملك على السوقة الا بقدرته على اقتناء المحامد واستفادة المكارم فان الملك اذا شاء احسن وليس كذلك السوقة واعلموا أن لكل ملك بطانة ولكل رجل من بطانته بطانة ثم لكل امرئ من بطانة البطانة بطانة حتى يجتمع في ذلك اهل المملكة فاذا اقام الملك بطانته على حال الصواب أقام كل امرئ منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامة الرعية احذروا ابا واحدا طالما أمنته فضرني وحذرته فنفعني احذروا افشاء السر بحضرة الصغار من اهليكم وخدمكم فانه ليس يصغر واحد منهم عن حمل ذلك السر كاملا لا يترك منه شيأ حتى يضعه حيث تكرهون اما سقطا واما غشا واعلموا ان في الرعية صنفا اتوا الملوك من قبل النصائح لهم والتمسوا اصلاح منازلهم بافساد منازل الناس وهم

اعداء

اعداء الملوك ومن عادى الملوك والناس كلهم فقد عادى نفسه واعلموا ان الدهر حاملكم على طبقات فمنها حال السخاء حتى يدنو احدكم من السرف ومنها حال التقدير حتى يدنو من البخل ومنها حال الاناة حتى يدنو من البلادة ومنها حال انتهاز الفرصة حتى يدنو من الخفة ومنها حال الطلاقة في اللسان حتى يدنو من الهذر ومنها حال الاخذ بحكمة الصمت حتى يدنو من العي فالملك منكم جدير ان يبلغ من كل طبقة في محاسنها احدها فاذا وقف عليه ألجم نفسه عما وراءه واعلموا ان ابن الملك واخاه وابن عمه يقول كدت اكون ملكا وبالحرى ان لا اموت حتى اكون ملكا فاذا قال ذلك قال ما لا يسر الملك وان كتمه فالداء في كل مكتوم واذا تمنى ذلك جعل الفساد سلما الى الصلاح ولم يكن الفساد سلما الى صلاح قط وقد رسمت لكم مثالا اجعلوا الملك لا ينبغي الا لابناء الملوك من بنات عمومتهم ولا يصلح من اولاد بنات العم الا كامل غير سخيف العقل ولا عازب الرأى ولا ناقص الجوارح ولا مطعون عليه في الدين فانكم اذا فعلتم ذلك قل طلاب الملك واذا قل طلابه استراح كل امرئ الى ما يليه ونزع الى حد يليه وعرف حاله ورضي معيشته واستطاب زمانه وحيث جرى ذكر الاسكندر وتفرقته مملكة فارس بين ابناء الملوك الذين قيل لهم ملوك الطوائف وكان ملكهم فاصلا بين سلسلتي الملوك من الفرس آخر اولاهما دارا بن دارا واول الثانية اردشير فلا باس ان نثبت في هذا الموضع كتاب الاسكندر الى شيخه الحكيم ارسطو يستشيره فيما يفعل بابناء الملوك ايقتلهم ام يبقيهم وجواب الحكيم له عن ذلك ﴿وهذه صورة كتاب الاسكندر﴾ قال عليك ايها الحكيم منا السلام اما بعد فان الافلاك الدائرة والعلل السماوية وان كانت اسعدتنا بالامور التي اصبح الناس لنا بها دائنين فانا جد واجدين لمس الاضطرار الى حكمتك غير جاحدين لفضلك والاقرار بمنزلتك والاستنامة الى مشورتك والاقتداء برايك والاعتماد لامرك ونهيك لما بلونا من اجداء ذلك علينا وذقنا من جنا منفعته حتى صار ذلك بنجوعه فينا وترسخه في اذهاننا كالغذاء لنا فما ننفك نعول عليه ونستمد منه استمداد الجداول من البحور وتعويل الفروع على الاصول وقوة الاشكال بالاشكال وقد كان مما سيق الينا من النصر والفلج واتيح لنا من الظفر والقهر وبلغنا في العدو من النكاية والبطش ما يعجز القول عن وصفه ويقصر شكر المنعم عن موقع الانعام به وكان من ذلك ان جاوزنا ارض

سوريّة والجزيرة الى بابل وارض فارس فلما حللنا بعقوة اهلها وساحة بلادهم لم يكن الا ريثما تلقانا نفر منهم براس ملكهم هدية الينا وطلبا للحظوة عندنا فامرنا بصلب من جاء به وشهرته لسوء بلائه وقلة ارعوائه ووفائه ثم امرنا بجمع من كان هناك من اولاد ملوكهم واحرارهم وذوى الشرف منهم فرأينا رجالا عظيمة اجسامهم واحلامهم حاضرة ألبابهم وأذهانهم رائعة مناظرهم ومناطقهم دليلا على أن ما يظهر من رواتهم ومنطقهم ان وراءه من قوة أيديهم وشدة نجدتهم وباسهم ما لم يكن ليكون معه لنا سبيل الى غلبتهم واعطائهم بايديهم لولا ان القضاء أدالنا منهم واظفرنا بهم واظهرنا عليهم ولم نر بعيدا من الرأى فى امرهم ان نستأصل شأفتهم ونجتث أصلهم ونلحقهم بمن مضى من اسلافهم لتسكن القلوب بذلك الى الامن من جرائرهم وبوائقهم فرأينا ان لا نعجل باسعاف بادئ الرأى فى قتلهم دون الاستظهار عليه بمشورتك فيهم فارفع الينا رأيك فيما استشرناك فيه بعد صحته عندك وتقليبك اياه بجلى نظرك وسلام لاهل السلام فليكن علينا وعليك

﴿وهذه صورة جواب الحكيم الى الملك﴾ لملك الملوك وعظيم العظماء الاسكندر المؤيد بالنصر على الاعداء المهدى له الظفر بالملوك من اصغر عبيده واقل خوله ارسطو بالخضوع بالسجود والتذلل فى السلام والاذعان فى الطاعة اما بعد فانه لا قوة بالمنطق وان احتشد الناطق فيه واجتهد فى تثقيف معانيه وتأليف حروفه ومبانيه على الاحاطة باقل ما تناله القدرة من بسطة علو الملك وسموّ ارتفاعه عن كل قول وابرازه عن كل وصف وقد كان تقرر عندى من مقدمات أعلام فضل الملك فى صهلة سبقه وبروز شأوه ويمن نقيبته مذ أدّت الى حاسة بصرى صورة شخصه واطرب فى حسن سمعى صوت لفظه ووقع وهمى على تعقب نجاح رايه ايام كنت أؤدى اليه من تكلف تعليمى اياه ما اصبحت قاضيا على نفسى بالحاجة الى تعلمه منه ومهما يكن منى اليه فى ذلك فانما هو عقل مردود الى عقله مستنبطة أواليه وتواليه من علمه وحكمته وقد جلى الى كتاب الملك ومخاطبته اياى ومسئلته عما لا يتخالجنى الشك فى ان لقاح ذلك وانتاجه من عنده فعنه صدر وعليه ورد وانا فيما اشير به على الملك وان اجتهدت فيه واحتشدت له وتجاوزت حد الوسع والطاقة فى استنظافه واستقصائه كالعدم مع الوجود وما لا يتجزأ فى جنب معظم الاشياء ولكنى غير ممتنع من اجابة الملك الى ما سال مع علمى ويقينى بعظيم غناه عنى وشدة فاقتى اليه

اليه واناراذا الى الملك مااكتسبه منه ومشيرا عليه بما أخذته منه فقائل له ان لكل تربة لامحالة قسما من الفضائل وان لفارس قسمها من النجدة والقوة وانك ان تقتل اشرافهم تخلف الوضعاء على أعقابهم وتورث سفلتهم منازل عليتهم وتغلب أدنياءهم على مراتب ذوى اخطارهم ولم يبتل الملوك قط ببلاء هو أعظم عليهم وأشد توهينا لسلطانهم من غلبة السفلة وذل الوجوه فاحذر الحذر كله ان تمكن تلك الطبقة من الغلبة والحركة فانهم ان نجم منهم بعد اليوم على جندك وأهل بلادك ناجم دهمهم منه مالا روية فيه ولا بقية معه فانصرف عن هذا الرأى الى غيره واعمد الى من قبلك من أولئك العظماء والأحرار فوزع بينهم مملكتهم وألزم اسم الملك كل من وليته منهم واعقد التاج على رأسه وان صغر ملكه فان المتسمى بالملك لازم لاسمه والمعقود التاج على راسه لا يخضع لغيره فليس ينشب ذلك أن يوقع كل ملك منهم بينه وبين صاحبه تدابرا وتقاطعا وتغالبا على الملك وتفاخرا بالمال والجند حتى ينسوا بذلك اضغانهم عليك واوتارهم فيك ويعود حربهم لك حربا بينهم وحنقهم عليك حنقا منهم على أنفسهم ثم لا يزدادون فى ذلك بصيرة الا احدثوا لك بها استقامة ان دنوت منهم دانوا لك وان نأيت عنهم تعززوا بك حتى يثب من ملك منهم على جاره باسمك ويسترهبه بجندك وفى ذلك شاغل لهم عنك وأمان لأحداثهم بعدك وان كان لا أمان للدهر ولا ثقة بالايام قد اديت الى الملك ما رأيته لى حظا وعلىّ حقا من اجابتى اياه الى ماسألنى عنه ومحضته النصيحة فيه والملك أعلى عينا وانفذ روية وافضل رأيا وابعد همة فيما استعان بى عليه وكلفنى تبيينه والمشورة عليه فيه لازال الملك متعرفا من عوائد النعم وعواقب الصنع وتوطيد الملك وتنفيس الاجل ودرك الامل ما تأتى فيه قدرته على غاية أقصى ما تناله قدرة البشر والسلام الذى لا انقضاء له ولا انتهاء ولا غاية ولا فناء فليكن على الملك ومن كتاب ارسطو هذا يتحكم لك فهم قول ابن المقفع السابق تعلمهم وكانك تتعلم منهم وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم وتعرف كيف ذلك ومنه تعرف أيضا اذ كان ترجمة كلام يونانى ان التشبيه والاستعارة لا يخصان اللغة العربية من مثل قوله صهلة سبقك ووروزشأوك وفى قوله أواليه وتواليه تغيير اللفظ لاجل تحصيل الازدواج بين الكلمتين بقلب لفظ أوائل وقد ثبت جواز ذلك حيث كان التغيير مقاربا بقوله صلى الله عليه وسلم لنا فحيات

خرجن خلف الرجال ارجعن مأزورات غير مأجورات فغير مزورات من الوزر ولذلك

﴿صورة كتاب من عبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف وجوابه منه له﴾ تشتمل عليهما حكاية مناسبة للغرض المعول عليه في نقل هذه الكتب لما احتوت عليه من الكلام العربي والأحوال التي تحب الانفس الشريفة الاطلاع عليها قال عمرو بن بحر الجاحظ كان عبد الملك بن مروان سمار قريش ومسيفها رأيا وحزما وعابدها قبل أن يستخلف وورعاو زهدا فجلس يومافي خاصته فقبض على لحيته فشمها مليا ثم اجترّ نفسه وفتح ناظره اطالهما ثم نظر في وجوه القوم فقال ما أقول يوم المسئلة عن أمر الحجاج وقد أدحض المحتج على العليم بما طوته الحجب أما انّ تمليكي له قرن بي لوعة يلهبها التذكار كيف وقد علمت فتعاميت وسمعت فتصاممت وحمله الكرام الكاتبون والله لكأني آلم هذا الطعن على نفسي بعد ان نمت الايام بتصرفها انساحق لها الوعيد بتصرم الزوال وما أبقت الشبهة للباقي متعلقا وماهو الا الغل الكامن اللهمّ انت لى أوسع غير منتصر ولا معتذر قلت هذا الكلام يخبر به مافي نفوس القوم الذين ظهر منهم امارات الغيظ من الحجاج على ثقة عبد الملك به واختياره على غيره وطرح كل مايقال فيه علما منه بانه لا يقوم أحد بما قام به الحجاج ثم قال يا كاتب هات الدواة والقرطاس فقعد كاتبه بين يديه وأملى عليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد فقد اصبحت بامرك برما يقعدني الاشفاق و يقيمني الرجاء بجرت في دار السعادة وتوسط الملك وحين المهل واجتماع الفكر ألتمس العذر في أمرك فأما العمر الله في دار الجزاء وعدم السلطان واشتغال النفس والركون الى الذلة من نفسي والتوقع لما طويت عليه الضعف العجز وقد كنت أشركتك فيما طوقني الله حمله وألاث بحقوى من أمانة الله في هذا الخلق المرعى فدللت منه على الحزم والجد في اماتة بدعة وانعاش سنة فقعدت عن تلك ونهضت بما عاندها حتى صرت حجة الغائب وعذر اللاعب والشاهد القائم فلعن الله أبا عقيل وما نجل فالائم والدوأخبث نسل فلعمرى ماظلمكم الزمان ولا قعدت بكم المراتب لقد البستكم ملابسكم واقعدتكم على ر وابى خطتكم واحلتكم على قدر منعتكم فكنتم بين حافر وناقل ومتح في الفلوات القفرة ماتقدم بكم الاسلام ولقد تاخرتم وما الطائف منا ببعيد يجهل اهله ثم قت بنفسك وطمحت بهمتك وسرّك انتضاه

سيفك

سيفك فاستفرحك أمير المؤمنين من أعوان روح بن زنباع وشرطته وأنت على معاونته يومئذ محسود فهفا أمير المؤمنين والله يصلح بالتوبة والغفران زلته وكان بك وكان مالولم يكن لكان خيرا مما كان كل ذلك من تجاسرك وتحاملك على المخالفة لرأى أمير المؤمنين فقرعت صفاتنا وهتكت حجبنا وبسطت يديك تحفى بهما من كرائم ذوى الحقوق اللازمة والارحام الواشجة فى أوعية ثقيف فأستغفر الله لذنب ماله عذر فلئن استقال أمير المؤمنين فيك الراى فلقد حالت البصيرة فى ثقيف بصالح النبى صلى الله عليه وسلم اذ ائتمنه على الصدقات وكان عبده فهرب بها عنه وما هو الا اختبار للثقة والمطلب اواضع الكفاية فقعد فيه الرجاء كما قعد بامير المؤمنين فيما نصبك له فكأن هذا ألبس امير المؤمنين ثوب العزاء ونهض بعذره الى استنشاق نسيم الروح فاعتزل عمل أمير المؤمنين واظعن عنه بالعنة اللازمة والعقوبة الناهكة ان شاء الله اذا استحكم لامير المؤمنين مايحاول من رأيه والسلام ودعا عبد الملك مولى له يقال له نباتة له لسان وفضل رأى فناوله الكتاب ثم قال له يانباتة العجل ثم العجل حتى تاتى العراق فضع هذا الكتاب فى يد الحجاج وترقب مايكون منه فان جبن عند قراءته واستيعاب مافيه فاقلعه عن عمله واقلع معه حتى تاتى به وهذه الناس حتى يأتيهم أمرى بما تصفنى به فى حين اقلاعك من حبى لهم السلامة وان هش للجواب ولم تاخذه الحيرة فخذ منه مايجيب به واقرره على عمله ثم اعجل على بجوابه قال نباتة فخرجت قاصدا الى العراق فضمتنى الصحارى والفيافى واحشوا نى القر واخذ منى السفر حتى وصلت فلما وردته أدخلت عليه وهو فى شحوب مضنى وقد توسط خدمه من نواحيه وتدثر بمطرف خزأدكن ولاث به الناس من بين قائم وقاعد فلما نظر الى وكان لى عارفا قعد ثم تبسم تبسم الوجل ثم قال أهلا بك يانباتة أهلا بمولى أمير المؤمنين اقد أثرفيك سفرك وأعرف أمير المؤمنين بك ضنينا فليت شعرى مادهك أودهنى عنده قال فسلمت وقعدت فسأل ماحال امير المؤمنين وخوله فلما هدأ أخرجت له الكتاب فناولته اياه فاخذه منى مسرعا وبيده ترعد ثم نظر فى وجوه الناس فما شعرت الا وأنا معه ليس معنا ثالث وصار كل ربطيف من خدمه يلقاه خاليا لا يسمعون منا الا الصوت فلا يقربون فقك الكتاب فقرأه وجعل يتشاءب ويردد تثاؤبه ويسيل العرق على جبينه وصدغيه على شدة البرد من تحت

قلنسوته وعلى راسه عمامة خز خضراء وجعل يشخص الى ببصره ساعة كالمتوهم ثم يعود الى قراءة الكتاب و يلاحظنى النظر كالمتفهم الا أنه واجم ثم يعاود الكتاب وانى لأقول ما أراه يثبت حروفه من شدة اضطراب يده حتى استقصى قراءته ثم مالت يده حتى وقع الكتاب على الفراش و رجع اليه ذهنه فمسح العرق عن جبينه ثم قال متمثلا

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع

قبح والله منا الحسن يا نباتة وتوا كلتنا عند أمير المؤمنين الالسن وما هذا الاسانح فكرة عقها مرصد بكاب بقصتنا مع حسن رأى امير المؤمنين فينا يا غلام فتبادر الغلمان الصيحة فلى علينا منهم المجلس حتى دفأتى منهم الانفاس فقال الدواة والقرطاس فاتى بدواة وقرطاس فكتب بيده وما رفع القلم الا مستمدا حتى سطر مثل خد الفرس فلما فرغ قال لى يا نباتة هل علمت ما جئت به فتسمعك ما كتبنا قلت لا قال اذا حسبك منا مثله ثم ناولنى الجواب وامر لى بجائزة فاجزل و جدد لى كساو دعا لى بطعام فاكلت ثم قال نكلك الى ما أمرت به من عجلة أو توان وانى لاحب مقارنتك والانس برؤيتك فقلت كان معى قفل مفتاحه عندك ومفتاح قفلك عندى ما جدت لك الوافية بالامرين فاقفلت المكروه وفتحت العافية وما ساءنى ذلك وما أحب ان ازيدك بيانا قلت الوافية الوفاء وقوله فاقفلت دعاء اى جعلنى الله سببا لانصراف المكروه واقبال المحبوب ثم قال ثم نهضت وقام مودعا لى فالتزمنى وقال بابى انت وامى رب لفظة مسموعة ومحتقر نافع فبكى كما أظن فخرجت مستقبلا وجهى حتى وردت على امير المؤمنين فوجدته منصرفا من صلاة العصر فلما رآنى قال ما اجتوالك المضجع يا نباتة فقلت من خاف من وجه الصباح ادلج فسلمت وانتبذت عنه فتركنى حتى سكن جاشى ثم قال مهيم فدفعت اليه الكتاب فقرأه متبسما فلما مضى فيه ضحك حتى بدت له سن سوداء ثم استقصاه فانصرف الى فقال كيف رأيت اشفاقه قال فقصصت عليه ما رأيت منه فقال صلوات الله على الصادق الأمين ان من البيان لسحرا ثم قذف الكتاب الى فقال اقرأ فقرأته فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين والمؤيد بالولاية المعصوم من خطل القول وزلل الفعل بكفالة الله الواجبة لذوى أمره من عبد اكتنفته الذلة ومدت به الصغار الى وخيم المرتع ووبيل المكرع من جائل قادح ومعتز فادح والسلام عليك

عليك ورحمة الله التي اتسعت فوسعت وكان بها التقوى الى أهلها فاتداني أخذ الله اليك راجيا العطف بطاعته الذي لا اله الا هو امابعد فكان الله لك بالدعة في دار الزوال والأمن في دار الزلزال فانه من عنيت به فكرتك يا أمير المؤمنين مخصوصا فما هو الا سعيد يؤثر أو شقي يوتر وقد حجبني عن نواظر السعد لسان مرصد ونافث قد انتهز به الشيطان حين الفكرة ما فتح به أبواب الوسواس بما تحتويه الصدور فوا غوثاه باستعاذة أمير المؤمنين من رجيم انما سلطانه على الذين يتولونه واعتصاما بالتوكل على من خصه بما اجزل له من قسم الايمان وصادق السنة فقد أراد اللعين ان يفتق لاوليائه فتقا نبا عنه كيده وكثر عليه تحسره بلية قرع بها فكر أمير المؤمنين ملبسا وكادحا وموزنا ليفل من غربه الذي نصبني ويصيب ثار الم يزل به موتورا واذكره قديم ما مت به الاوائل حتى لحقت بمثله منهم وبما كنت أبلوه من خسة اقدار ومزاولة اعمال الى ان وصلت ذلك بالتشرط لروح بن زنباع وقد علم أمير المؤمنين بفضل ما اختار الله له تبارك وتعالى من العلم المأثور الماضي بان الذي عيربه لقوم مصانعهم من أشد ما كان يزاوله أهل القدمة الذين اجتبى الله منهم وقد اعتصموا وامتعضوا من ذكر ما كان وارتفعوا بما يكون وما جهل أمير المؤمنين والبيان موقفه غير محتج ولا معتذر أن متابعة روح بن زنباع طريق الى الوسيلة لمن أراد من فوقه وان روحا لم يلبسني العزم الذي به رفعني أمير المؤمنين عن خوله وقد ألصقتني بروح بن زنباع همة لم تزل نواظرها ترمي بي البعيد وتطالع الاعلام وقد اخذت من أمير المؤمنين نصيبا اقتسمه الاشفاق من سخطه والمواظبة على موافقته فما بقي لنا بعد الاصابة أمر تجول به النفس وتطرف النواظر ولقد سرت بعين أمير المؤمنين سير المتثبط لمن يتلوه المتطاول لمن يقدمه غير منبت موجف ولا متثاقل مجحف ففت الطالب ولحقت الهارب حتى ثارت السنة وبادت البدعة وخسأ الشيطان وحلت الأديان الى الجادة العظمى والطريقة المثلى فها أناذا يا أمير المؤمنين نصب المسئلة لمن رامني وقد عقدت الحبوة وقرنت الوظيفين لقائل محتج أولائم ملجج وأمير المؤمنين ولي المظلوم ومعقل الخائف وستظهر له المحنة نبأ امرئ ولكل نبأ مستقر وما حفظت يا أمير المؤمنين في أوعية ثقيف حتى روي الظمآن وبطن الغرثان وغصت الاوعية وانقدت الاوكية في آل مروان فاخذت ثقيف فضلا صار لها لولاه

لقطرت السماء ولقد كان مما انكره أمير المؤمنين من قضاء أملي وكان مما لو لم يكن لعظم الخطب فوق ما كان وان أمير المؤمنين لرابع أربعة احدهم ابنة شعيب النبي صلى الله عليه وسلم اذ رمت بالظن غرض اليقين تفرسا في القوي المصطفى بالرسالة فحقق لها ما فيه الرجاء وزالت شبهة الشك بالاختبار وقبلها العزيز في يوسف ثم الصديق في الفاروق رحمة الله عليهما وأمير المؤمنين في الحجاج وما حسد الشيطان بأمير المؤمنين خاملا ولا شرق بغير نعمي منكم غبطة بأمير المؤمنين الرحيم اذ يرمق أولياءه وقد قلت حيلته ووهن كيده يوم كيت وكيت ولا أظن اذ كرها من امير المؤمنين ولقد سمعت لأمير المؤمنين في صالح صلوات الله عليه في ثقيف مقالا هجم بي الرجاء لعدله عليه بالحجة في رده بحكم التنزيل على لسان ابن عمه خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فقد اخبر عن الله عز وجل بحكاية عن الملأ من قريش عند الاختيار والافتخار وقد نفخ الشيطان في مناخرهم قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فوقع اختيارهم عند المباهات بنفخة الكبر وكبر الجاهلية على الوليد بن المغيرة المخزومي وأبي مسعود الثقفي فصارا في الافتخار بهما صنوين ما انكر اجتماعهما من الامة منكر في مبعوث القرآن ومبلغ الوحي وان كان ليقال للوليد في الامة يومئذ ريحانة قريش وما رد ذلك العزيز تعالى الا بالرحمة الشاملة في القسم السابق فقال عز وجل اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وما قدمتني يا أمير المؤمنين ثقيف في الاحتجاج لها وان لها مقالا رحبا ومعاندة قديمة الا ان هذا من أيسر ما يحتج به العبد المشفق على سيده المغضب والامر الى أمير المؤمنين عزل أم أقر وكلاهما عدل متبع وصواب معتدل والسلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله قال نباته فاتيت على الكتاب بحضرة امير المؤمنين عبد الملك فلما استوعبته سارقته النظر على الهيبة منه فصادف لحظي لحظه فقال اقطعه ولا تعلمن بما كان احدا فلما مات عبد الملك فشا عني الخبر انك تنظر ايها الطالب من هذه الحكاية بلاغة عالية وسياسة محكمة تعرف منها قدر ما كان عليه عبد الملك والحجاج وكيف كان علو أمر الدولة اذ ذاك وهذه حكاية ثانية هي أوفق بالغرض من الاولى تشتمل أيضا على كتاب وجوابه لهما وأمور تستفيد معرفتها زيادة مكنة فيما تحاول ان تصل الى معرفته والتحقق بما يستبين لك من آدابه قال سعيد بن

جويرية

جويرية خرجت خارجة على الحجاج بن يوسف فارسل الى أنس بن مالك أن يخرج معه فأبى فكتب اليه يشتمه فكتب انس بن مالك الى عبد الملك بن مروان يشكوه وأدرج كتاب الحجاج فى جوف كتابه قال اسماعيل بن عبد الله بن ابى المهاجر بعث الىّ عبد الملك بن مروان فى ساعة لم يكن يبعث الى فى مثلها فدخلت عليه وهو اشد ما كان حنقا وغيظا فقال يا اسماعيل ما اشد علىّ أن تقول الرعية ضعف أمير المؤمنين وضاق ذرعه فى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا يقبل له حسنة ولا يتجاوز له عن سيئة فقلت وماذاك يا أمير المؤمنين قال أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى يذكر ان الحجاج قد اضر به واساء جواره وقد كتبت فى ذلك كتابين كتابا الى أنس بن مالك والآخر الى الحجاج فاقبضهما ثم اخرج على البريد فاذا وردت العراق فابدأ بانس بن مالك فادفع له كتابى وقل له اشتد على أمير المؤمنين ما كان من الحجاج اليك ولن يأتى اليك أمر تكرهه ان شاء الله ثم ائت الحجاج فادفع اليه كتابه وقل له قد اغتررت بامير المؤمنين غرة لا أظنه يخطئك شرها ثم افهم ما يتكلم به وما يكون منه حتى تفهمنى اياه اذا قدمت علىّ ان شاء الله قال اسمعيل فقبضت الكتابين وخرجت على البريد حتى قدمت العراق فبدأت بانس بن مالك فى منزله فدفعت اليه كتاب أمير المؤمنين وابلغته رسالته فدعا له وجزاه خيرا فلما فرغ من قراءة الكتاب قلت له ابا حمزة ان الحجاج عامل ولو وضع لك فى جامعة قدر أن يضرك وينفعك فأنا أريد ان تصالحه قال ذلك اليك لا أخرج عن رأيك ثم أتيت الحجاج فلما رآنى رحب وقال والله لقد كنت أحب أن اراك فى بلدى هذا قلت وأنا والله قد كنت أحب أن اراك وأقدم عليك بغير ما ارسلت به اليك قال وماذاك قلت فارقت الخليفة وهو اغضب الناس عليك قال ولم قال فدفعت اليه الكتاب فجعل يقرأه وجبينه يعرق فيمسحه بيمينه ثم قال اركب بنا الى أنس ابن مالك قلت له لا تفعل فانى سأتلطف به حتى يكون هو الذى يأتيك وذلك للذى اشرت عليه من مصالحته قال ففك كتاب أمير المؤمنين فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف اما بعد فانك عبد طمت بك الامور فطغيت وعلوت فيها حتى جزت قدرك وعدوت طورك وأيم الله يا ابن المستفرمة بعجم زبيب الطائف لاغمزنك كبعض غمزات الليوث الثعالب ولاركضنك ركضة تدخل منها

فى وجارك اذكر مكاسب آبائك بالطائف اذ كانوا ينقلون الحجارة على اكتافهم ويحفرون الآبار فى المناهل بايديهم فقد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم والضراعة وقد بلغ أمير المؤمنين استطالة منك على أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جراءة منك على أمير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من خالف سبيله وعمد الى غير محبته ونزل عند سخطته وأظنك اردت ان تروزه بها لتعلم ما عنده من التغيير والتنكير فيها فان سوغتها مضيت قدما وان غصصت بها وليت دبرا فعليك لعنة الله من عبد اخفش العينين اصك الرجلين ممسوح الجاعرتين وايم الله لو أن امير المؤمنين علم انك اجترمت منه جرما وانتهكت له عرضا فيما كتب به الى أمير المؤمنين لبعث اليك من يسحبك ظهرا لبطن حتى ينتهى بك الى انس بن مالك فيحكم فيك بما احب ولم يخف على امير المؤمنين نبؤك ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون قال اسمعيل فانطلقت الى انس فلم ازل به حتى انطلق معى الى الحجاج فلما دخلنا عليه قال يغفر الله لك ابا حمزة عجلت بالائمة واغضبت علينا امير المؤمنين ثم اخذ بيده فاجلسه معه على السرير فقال انس انك تزعم انا الاشرار والله سمانا الانصار وقلت انا من ابخل الناس والله يقول فينا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وزعمت أنا اهل نفاق والله تعالى يقول فينا والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا فكان المخرج والمشتكى فى ذلك الى الله والى امير المؤمنين فتولى من ذلك ما ولاه الله وعرف من حقنا ما جهلت وحفظ منا ما ضيعت وسيحكم فى ذلك رب هو ارضى للرضى واسخط للسخط واقدر على الغير فى يوم لا يشوب الحق فيه الباطل ولا النور الظلمة ولا الهدى الضلالة والله لو ان اليهود او النصارى رات من خدم موسى بن عمران او عيسى بن مريم يوما واحدا لرات له ما لم تروا لى فى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين قال فاعتذر اليه الحجاج وترضاه حتى قبل عذره ورضى عنه وكتب برضاه وقبوله عذره ولم يزل الحجاج له معظما هائبا حتى هلك رضى الله عنه وكتب الحجاج الى امير المؤمنين عبد الملك بن مروان بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد اصلح الله امير المؤمنين وابقاه وسهل حظه وحاطه ولا عدمناه فان اسمعيل بن ابى المهاجر رسول امير المؤمنين اعز الله نصره قدم على بكتاب أمير المؤمنين اطال الله بقاءه وجعلنى من كل

مكروه

مكروه فداه وبذكر شتمي وتوبيخي بآبائي وتعييري بما كان قبل نزول النعمة بي من
عند أمير المؤمنين أتم الله نعمته عليه وإحسانه إليه ويذكرني أمير المؤمنين جعلني الله
فداءه استطالة مني على أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جراءة على أمير
المؤمنين وغرة بمعرفة غير مونقماته وسطواته على من خالف سبيله وعمد إلى غير محبته
ونزل عند سخطته وأمير المؤمنين أصلحه الله من قرابته من محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم إمام الهدى وخاتم النبيين أحق من أقال عثرتي وعفا عن ذنبي فأمهلني ولم يعجلني
عند هفوتي للذي جبل عليه من كريم طبائعه وما قلده الله من أمور عباده فرأى
أمير المؤمنين أصلحه الله في تسكين روعتي وإفراخ كربتي فقد ملئت
رعبا وفرقا من سطوته وفجاءة نقمته وأمير المؤمنين أقاله الله العثرات وتجاوز له عن
السيآت وضاعف له الحسنات وأعلى له الدرجات أحق من صفح وعفا وتغمد وأبقى ولم
يشمت بي عدوا مكبا ولا حسودا مصبا ولم يجرعني غصصا والذي وصف أمير المؤمنين
من صنيعته إلي وتنويهه لي بما أسنده إلي من عمله وأوطأني من رقاب رعيته فصادق فيه
مجزي بالشكر عليه والتوسل مني إليه بالولاية والتقرب له بالكفاية وقد عاين إسمعيل
ابن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين وحامل كتابه من نزولي عند مسرة أنس بن مالك
وخضوعي عند كتاب أمير المؤمنين وإقلاقه إياي ودخوله بالمصيبة علي ما سيعلمه أمير
المؤمنين فان رأى أمير المؤمنين طوقني الله بشكره وأعانني على تأدية حقه وبلغني إلى
ما فيه موافقة مرضاته ومد لي في أجلي أن يأمر لي بكتاب من رضاه وسلامة صدره
ما يؤمنني به من سفك دمي ويرد ما شرد من نومي ويطمئن به قلبي فقد ورد علي أمر
جليل خطبه عظيم أمره شديد علي كربه أسأل الله أن لا يسخط أمير المؤمنين وأن
يثبته في حزمه وعزمه وسياسته وفراسته ومواليه وحشمه وعماله وصنائعه ما يحمد به
حسن رأيه وبعد همته إنه ولي أمير المؤمنين والذاب عن سلطانه والصانع له في أمره
والسلام فحدث إسمعيل أنه لما قرأ أمير المؤمنين الكتاب قال يا كاتب أفرخ روع أبي
محمد فكتب إليه بالرضا عنه إنك تعلم أيها الطالب من كتاب عبد الملك هذا وجوابه للحجاج
والي العراق من قبله أن القوم كانوا يستجيزون العقوبة بالشتم والإفحاش في السب
واللعن عند عظم الجناية وكيف يتلقى الضعيف القوي ويحتمل ما يرد عليه منه ويتلقاه

بالرضا والتسليم وقول عبد الملك يا ابن المستفرمة بعجم زبيب الطائف من الاستفراش في السب فان الاستفرام هو ان تاخذ المرأة شيأ من الامور الحريفة كالشب والعفص وبزر العنب الذى هو العجم فتجعله فى خرقة وتضعه فى فرجها لينكمش فيضيق وفى قول عبد الملك صدر كلامه لا يقبل له حسنة ولا يتجاوز له عن سيئة اشارة الى وصية النبي صلى الله عليه وسلم بالانصار لمن يتولى الامر بعده ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وبهذه الوصية احتج أبو بكر رضى الله عنه على الانصار فى أنه لا حق لهم فى الخلافة حيث كانوا موصى بهم فالوالى إذا يكون من غيرهم فقبلوا ذلك منه وانكفوا عن طلب الخلافة بعدما كان من الحباب بن المنذر يوم السقيفة اذ يقول حال المشورة انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا امير ومنكم امير رضى الله عن الجميع وهذه حكاية ثالثة تشتمل على كتاب من سليمان بن عبد الملك أيام ولاية أخيه الوليد الى الحجاج وجوابه من الحجاج اليه قالوا كان سليمان بن عبد الملك يكتب الى الحجاج فى ايام اخيه الوليد بن عبد الملك كتبا ولا ينظر له فيها فكتب بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن عبد الملك الى الحجاج بن يوسف سلام على أهل الطاعة من عباد الله أما بعد فانك امرؤ مهتوك عنه حجاب الحق مولع بما عليك لا لك منصرف عن منافعك تارك لحظك مستخف بحق الله وحق أوليائه لا ما سلف اليك من خير يعطفك ولا ما عليك لا لك تصرفه فى مهمة من امرك مغرور معصوص عن الحق اعصيصاء لا تسكت عن قبيح ولا ترعوى عن اساءة ولا ترجو لله وقارا حتى دعيت فاحشا سبابا فاقس شبرك بفترك وأيم الله لئن امكننى الله منك لأدوسنك دوسة تلين منها فرائصك ولأجعلنك شريدا فى الجبال تلوذ باطراف الشمال ولالحقن الرومية الحمراء بثديها اعلم الله ذلك منى فقدما غرتك العافية وانتهبت اعراض الرجال فانك قدرت فبذخت وظفرت فتعديت فرويدك حتى تنظر كيف يكون مصيرك ان كانت بى وبك مدة اتعلق بها وان تكن الأخرى فأرجو أن تؤول الى مذلة ذليلة وخزية طويلة ويجعل مصيرك فى الآخرة شر مصير والسلام فكتب اليه الحجاج بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى سليمان بن عبد الملك سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانك كتبت الى تذكر انى امرؤ مهتوك عنى حجاب الحق مولع بما على لا لى منصرف عن منافعى تارك لحظى مستخف

بحق الله وحق ولية الحق وتذكر أنك ذو مصاولة ولعمري انك لصبي حديث السن تعذر بقلة عقلك وحداثة سنك ويرقب فيك غيرك فاما كتابك الي فلعمري لقد ضعف فيه عقلك واستخف به حلمك فلله أبوك أفلا انتصرت بقضاء الله دون قضائك ورجاء الله دون رجائك وأمت غيظك وأغمت عدوك وسترت عنه تدبيرك ولم تنبه فيلتمس من مكايدتك ما تلتمس من مكايدته ولكنك لم تشم الامور علما ولم ترزق من أمرك حزما جمعت أمورا دلاك فيها الشيطان على أسوإ امرك فكان الجفاء من خليقتك والحمق من طبيعتك واقبل الشيطان بك وادبر وحدثك انك لن تكون كاملا حتى تتعاطى ما يعيبك فتزحلقت مضرتك لقوله واتسعت جوانبها لكذبه واما قولك لو ملكك الله لعلقت زينب ابنة يوسف بشديها فارجو أن يكرمها الله بهوانك وأن لا يوفق ذلك لك ان كان ذلك من رأيك مع أني اعرف انك كتبت الي والشيطان بين كتفيك فشر ممل على شر كاتب راض بالخسف فاحرى بالحق أن لا يدلك على هدى ولا يردك الا الى ردى ومال بك الامل وتحلب فوك للخلافة وانت شامخ البصر طامح النظر تظن انك حين تملكها لا تنقطع عنك مدتها انها النعمة الله اسأل الله ان يلهمك فيها الشكر مع أني أرجو أن ترغب فيما رغب فيه أبوك وأخوك ما كونك مثلي لهما وان نفخ الشيطان في منخرك فهو أمر أراد الله نزعه عنك واخراجه الى من هو أكمل به منك ولعمري انها النصيحة فان تقبلها فمثلها اقبل وان تردها على اقتطعتها دونك وأنا الحجاج زينب ابنة يوسف اخت الحجاج هي التي ارادها سليمان بقوله الرومية الحمراء يشتمها بذلك وقول الحجاج تحلب فوك للخلافة كقول الناس سال لعابه لكذا وجرى ريقه في هذه القصة ظهرت من سليمان جهالات منها ما قاله الحجاج في كتابه من تنبيه عدوه لما اضمر له فاماله ان يلتمس له المكايد واما أن يحترس منه حتى لا يبلغ فيه مرامه ومنها توعده اوان عجزه بمنتظر قدرة تكون أو لا تكون ومنها تعرضه لتحرك غيرة السلطان القائم وسوء ظنه به وربما كان ذلك سببا لاتقاء بوادرها به بنفسه فقد قيل الملك عقيم يعني أنه ربما دعا الملك بحادثة من الحوادث الى أن يقتل ابنه أو أخاه ومنها قرنه نفسه على صغر سنه برجل نكرة داهية تصرفت به الاحوال ومرت على راسه حوادث الايام حتى عرف وجوه المنافع والمضار

وابن اللبون اذا ما لز في قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

هذه صورة ما كانت عليه الكتابة في الطبقة الاولى لا ترى في الكتابة زيادة عن المقصود وعناية صاحبه انما هي ابقاء تادية المراد ومثل هذه الكتابة هو الذي أراد ابن خلدون بالمرسل من قسمي الكتابة ومدحه وعاب غيره وهذا هو الفصل الذي أبان فيه ذلك قال اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون اوزانه كلها على روي واحد وهو القافية والنثر وهو الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام فاما الشعر فمنه المدح والهجاء والرثاء واما النثر فمنه السجع الذي يؤتى به قطعا ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام اطلاقا ولا يقطع اجزاء بل يرسل ارسالا من غير تقييد بقافية ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم واما القرآن وان كان من المنثور الا انه خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسلا مطلقا ولا مسجعا بل مفصل بآيات ينتهي الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية الاخرى بعدها ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية وهو معنى قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وقال قد فصلنا الآيات ويسمى أواخر الآيات منها فواصل اذ ليست اسجاعا ولا التزم فيها ما يلتزم في السجع ولا هي أيضا قواف واطلق اسم المثاني على آيات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه واختصت بام القرآن للغلبة فيها كالنجم للثريا ولهذا سميت السبع المثاني وانظر هذا مع ما قاله المفسرون في تعليل تسميتها بالمثاني يشهد لك الحق برجحان ما قلناه واعلم ان لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند اهله ولا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر والحمد والدعاء المختص بالخطب والدعاء المختص بالمخاطبات وأمثال ذلك وقد استعملت المتأخرون أساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الاسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الاغراض وصار هذا المنثور اذا تاملته من باب الشعر وفنه ولم يفترقا الا في الوزن واستمر المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات السلطانية وقصروا الاستعمال في المنثور كله على هذا الفن الذي ارتضوه وخلطوا الاساليب فيه وهجروا المرسل وتناسوه وخصوصا أهل المشرق

وصارت

وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الاسلوب الذي أشرنا اليه وهو غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من أحوال المخاطب والمخاطب وهذا الفن المنثور المقفى ادخل المتاخرون فيه أساليب الشعر فوجب ان تنزه المخاطبات السلطانية عنه والمحمود في المخاطبات السلطانية الترسل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيع الا في الاقل النادر وحيث ترسله الملكة ارسالا من غير تكلف له ثم اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال فان المقامات مختلفة ولكل مقام اسلوب يخصه من اطناب أو ايجاز أو حذف أو اثبات أو تصريح أو اشارة وكناية واستعارة واما اجراء المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذي هو اساليب الشعر فمذموم وما حمل عليه اهل العصر الا استيلاء العجمة على السنتهم وقصورهم لذلك عن اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال فعجزوا عن الكلام المرسل لبعد أمده في البلاغة وانفساح خطوه وولعوا بهذا السجع يلفقون به ما نقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويجبرونه بذلك القدر من التزيين بالاسجاع والالقاب البديعية ويغفلون عما سوى ذلك واكثر من أخذ بهذا الفن وبالغ فيه في سائر انحاء كلامهم كتاب المشرق وشعراؤه لهذا العهد حتى انهم ليخلون بالاعراب في الكلمات والتصريف اذا دخلت لهم في تجنيس او مطابقة لا يجتمعان معها فيرجحون ذلك الصنف من التجنيس ويدعون الاعراب ويفسدون بنية الكلمة عساها تصادف التجنيس فتامل ذلك بما قدمناه لك تقف على صحة ماذكرناه فاذا قرأت هذا الفصل من كلام ابن خلدون علمت انه قد حصل في الانشاء تغيرات تقتضي التقسيم الى طبقات كما كان في الشعر وبالاستقراء وتشابه الكيفية وتقاربها في كل عصر تجد انها ثلاث طبقات كطبقات الشعراء فأولاها الامة العربية التي انتهت بانتهاء دولة بني امية فان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان آخر ملوكهم يعد فاتحا للطبقة الثانية حيث أطال النفس في الكلام وفسح في العبارات وزاد عن المقاصد زيادة تخرج الكلام عن حد الافادة وتدخله في كونه اداء رسم واقامة شعيرة من شعائر الملك فانه يحتاج لاجراء ما تضمنه الى تلخيص وتفتيش عن المقصود بحيث اذا ورد الكتاب على مامور بأمر ينفذه قال الكاتب خذ هذا

الكتاب واقرأه وتأمل ما فيه واستخرج لي غرضه وخذلي ما له فيذهب الكاتب في ذلك حتى يلخص عبارة صغيرة تتضمن المقصود فتكون هي روح الكتاب والمعول عليه فيه ويكون الباقي بمنزلة اللغو وانما نجد كثرة الكلام والاطالة لكتب الا عند انتهاء الدولة واشرافها على الزوال تجد ذلك في كل عصر بخلاف الحال في اوائل الدول وحين قوتها وكان ذلك لكثرة الاشغال بمهمات الامور اذ ذاك لا تدع موضعا لكثرة الاقوال يدلك على ذلك ما نقل عن جعفر بن يحيي من قوله لكتابه ان استطعتم ان تجعلوا كتبكم كلها توقيعات فافعلوا والتوقيع هو ما يكتبه الكاتب عن السلطان فمن دونه من أولى الأمر في أواخر الكتب بما يريد المكتوب عنه اجراءه وذلك يكون بعبارات صغيرة وافية بالغرض متمكنة في باب البلاغة فقد كان الناس يطلبون توقيعات جعفر بن يحيي ويتنافسون في الحصول عليها حتى قيل ان الورقة من كتبه ربما اشتريت بدينار واما عند انتهاء الدولة فان الامور تكون قد تمهدت والاحوال قد اطمأنت واقبل العظماء والرؤساء على استعمال اللذات والمضي مع الشهوات وتسيير الاعمال على الترتيب والتمهيد الذي تعب فيه أوائل تلك الدولة وحينئذ تكون اوقاتهم فارغة يجد المقال له فيها مجالا فيتسع وتطول الكتب الى ذلك الحد المذموم الذي وقعت الاشارة اليه والتصريح به من ابن خلدون ومن تكلم مثل كلامه فقد قيل ان عبد الحميد بن يحيي كتب عن سلطانه كتبا جاءت وقر بعير ولكن لم يبق من كلامه شيء يتناقله الناس لانمحاء دولته وذهاب آثارها وخمود ذكرها اما لمحبة الدولة القائمة أو الخوف منها والتملق لها كما هو الحال في كل دولة تذهب بقيام غيرها الا انه قد بقي من كلام عبد الحميد هذا كتاب اوصى فيه الكتاب بمحاسن الآداب وهو مشتمل على أدب لا يخص الكتاب ﴿وهذه صورته﴾ اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المكرمين اصنافا وان كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معاشهم وابواب ارزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات اهل الادب والمروآت والعلم والرزانة بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم امورها وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم لا يستغني الملك عنكم ولا يوجد كاف

الا

الا منكم فموقعكم من الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون وابصارهم التي بها يبصرون
والسنتهم التي بها ينطقون وايديهم التي بها يبطشون فأمتعكم الله بما خصكم من فضل
صناعتكم ولا نزع عنكم ما اضفاه من النعمة عليكم وليس احد من أهل الصناعات
كلها أحوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم
أيها الكتاب اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج في
نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره أن يكون حليما في موضع الحلم
فهيما في موضع الحكم مقداما في موضع الاقدام محجاما في موضع الاحجام مؤثرا للعفاف
والعدل والانصاف كتوما للاسرار وفيا عند الشدائد عالما بما يأتي من النوازل يضع
الامور مواضعها والطوارق في أماكنها قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه وان لم
يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفي به يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد
عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل أمر عدته وعتاده ويهيئ
لكل وجه هيئته وعادته فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا
في الدين وابدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف السنتكم ثم
اجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب
والعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسموا اليه هممكم ولا تضيعوا النظر
في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف
الأمور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناءة
واربؤا بانفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه اهل الجهالات واياكم والكبر والسخف
والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير احنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا
عليها بالذي هو اليق لاهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم
فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه أمره وان اقعد احدا منكم الكبر
عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم
معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه احوط منه
على ولده واخيه فان عرضت في الشغل محمدة فلا يصرفها الا الى صاحبه وان عرضت
مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب

اليكم معشر الكتاب أسرع منه الى القراء وهو لكم افسد منه لها فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه من يبذل له من نفسه مايجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله ونصيحته وكتمان سره وتدبير امره ماهو جزاء لحقه ويصدق ذلك فعله عند الحاجة اليه والاضطرار الى مالديه فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم فى حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والاحسان والسراء والضراء فنعمت الشيمة هذه لمن وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولى الرجل منكم اوصير اليه من امر خلق الله وعياله أمر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا وللمظلوم منصفا فان الخلق عيال الله واحبهم اليه ارفقهم بعياله ثم ليكن بالعدل حاكما وللأشراف مكرما وللفىء موفرا وللبلاد عامرا وللرعية متألفا وعن أذاهم متخلفا وليكن فى مجلسه متواضعا حليما وفى سجلات خراجه واستقضاء حقوقه رفيقا واذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلائقه فاذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على مايوافقه من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبيح بألطف حيلة واجمل وسيلة وقد علمتم ان سائس البهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة اخلاقها فان كانت رموحا لم يهجها اذاركبها وان كانت شبوبا اتقاها من بين يديها وان خاف منها شرودا توقاها من ناحية راسها وان كانت حرونا قمع برفق هواها فى طرقها فان استمرت عطفها يسيرا فيسلس له قيادها وفى هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم والكاتب لفضل ادبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس ويناظره ويفهم عنه او يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التى لاتحير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا الا بقدر مايصيرها اليه صاحبها الراكب عليها ألا فارفقوا رحمكم الله فى النظر وأعملوا ما امكنكم فيه من الروية والفكر تامنوا باذن الله ممن صحبتموه النبوة والاستثقال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم فى هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فانكم مع مافضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لاتحملون فى خدمتكم على التقصير وحفظة لاتحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا على افعالكم بالقصد

بالقصد فى كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان اهلهما ولا سيما الكتاب وارباب الآداب وللامور اشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة واصدقها حجة واحمدها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم فى مجلسه قصد الكافى فى منطقه وليوجز فى ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل من اكثاره وليضرع الى الله فى صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه فى الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه فانه ان ظن منكم ظان او قال قائل ان الذى برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه او مقالته الى ان يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تامله غير خاف ولا يقل أحد منكم انه ابصر بالامور واحمل لأعباء التدبير من مرافقه فى صناعته ومصاحبه فى خدمته فان اعقل الرجلين عند ذوى الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى ان اصحابه اعقل منه واجمل فى طريقته وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكاثر على اخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته وأنا اقول فى كتابى هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتممته به تولانا الله واياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قول عبد الحميد فى آفة التدبير هو ما سبقت الاشارة الى وجوب التحرز منه من زيادة الكلام على المقاصد زيادة تمنع صاحب الكاتب وهو أميره عن انفاذ علمه وإعمال رويته فى تلك المقاصد فيجب الاقتصار على اقوى الحجج بمنفعة ما يراد اجراؤه ولا يذهب كثيرا من الاوقات بالاشتغال فى الاوصاف وعدد المحاسن والمساوى بالعبارات المختلفة الا حيث يقتضى الحال ذلك ومشاهير هذه الطبقة التى افتتحها عبد الحميد هذا كثير كالربيع والفضل

ابنه ويعقوب ابن داود وبنى برمك ومحمد بن عبد الملك الزيات فى أوائل الدولة العباسية وبنى الفرات والاستاذ ابن العميد والصاحب اسماعيل بن عباد وأبى اسحق الصابى وأبى الفضل أحمد المعروف ببديع الزمان وابى بكر الخوارزمى فى اواسطها وهذه أمثلة تعرف بها ما كان عليه حال الكتابة فى هذه الطبقة التى تقدمها الطبقة الثالثة المفتتحة بعبد الرحيم البيسانى المشهور بالقاضى الفاضل وزير صلاح الدين يوسف بن أيوب أول ملوك الكرد بمصر ﴿صورة كتاب عن المعتصم﴾ الى نواحى بلاد الاسلام يتضمن شكر الله على الظفر بعدوّ والبشارة بذلك أما بعد والحمد لله الذى جعل العاقبة لدينه والعصمة لاوليائه والعز لمن نصره والفلج لمن أطاعه والحق لمن عرف حقه وجعل دائرة السوء على من عصاه وصدف عنه ورغب عن ربوبيته وابتغى الها غيره لا اله الا هو وحده لا شريك له يحمده أمير المؤمنين حمد من لا يعبد غيره ولا يتوكل الا عليه ولا يفوض أمره الا اليه ولا يرجو الخير الا من عنده والمزيد الا من سعة فضله ولا يستعين فى أحواله كلها الا به ويسأله ان يصلى على محمد عبده ورسوله وصفوته من عباده الذى ارتضاه لنبوته وابتعثه بوحيه واختصه بكرامته فارسله بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا والحمد لله الذى توحد لامير المؤمنين بصنعه فيسر له امره وصدق له ظنه وأنجح له طلبته وبلغه محبته وادرك المسلمون بثارهم على يده وقتل عدوّهم واسكن روعتهم ورحم فاقتهم وآنس وحشتهم فاصبحوا آمنين مطمئنين مقيمين فى ديارهم متمكنين فى أوطانهم بعد القتل والخوف والتشريد وطول العناء وتتابع البلاء مما من الله عز وجل على امير المؤمنين بما خصه به وصنعه له فيما وفقه لطلبه وكرامة زادها فيما أجرى على يده فالحمد لله كثيرا كما هو اهله وترغبا الى الله فى تمام نعمه ودوام صنعه وسعة ما عنده بمنه ولطفه ولا يعلم امير المؤمنين مع كثرة اعداء المسلمين وتكنفهم اياهم من اقطارهم والضغائن التى فى قلوبهم على اهله وما يترصدونه من العداوة وينطوون عليه من المكايدة اذ كان هو الظاهر عليهم والآخذ منهم عدوّا كان اعظم بلية ولا اجل خطبا ولا اشد كلبا ولا ابلغ مكايدة ولا ارمى بمكروه من هؤلاء الكفرة الذين يغزونهم المسلمون فيستعلون عليهم ويضعون ايديهم حيث شاؤا منهم ولا يقبلون لهم صلحا ولا يميلون معهم الى موادعة وان

كانت لهم على طول الايام وتصرف الحالات وبعض ما لا يزال يكون من فترات ولاة الثغور ادنى دولة من دولات الظفر وخلسة من خلس الحرب كان بالهم من خوف العاقبة في ذلك منغص لما انتحلوا من سروره ومايتوقعون من الدوائر بعد مكدر لما وصل اليهم من فرحة فاما اللعين بابك وكفرته فانهم كانوا يغزون اكثر مما يغزون وينالون اكثر مما ينال منهم ومنهم المنصرفون عن الموادعة المتوحشون عن المراسلة ومن أديلوا من تتابع الدول ولم يخافوا عاقبة تدركهم ولا دائرة تدور عليهم وكان مما وطأ ذلك ومكنه لهم انهم قوم ابتدؤا أمرهم على حال تشاغل من السلطان وتتابع من الفتن واضطراب من الحبل فاستقبلوا امرهم بعزة من انفسهم واستشارة من ذوى آرائهم ما جلوا من حوالهم لتخلص البلاد لهم ثم اخربوا البلاد ليعز مطلبهم وتشتد المؤنة وتعظم الكلفة ويقووا في ذات ايديهم فلم يتواف قواد السلطان الا وقد توافت اليهم القوة من كل جانب فاستفحل امرهم وعظمت شوكتهم واشتدت ضروراتهم واجتمع لهم كيدهم وكثر عددهم واعتدادهم وتمكنت الهيبة في صدور الناس منهم وتحقق في نفوسهم ان كل ما يعدهم الكافر ويمنيهم اخذ باليد وكان الذي بقي عندهم منه كالذي مضى وبدون هذا ما يختدع الاريب ويستنزل العاقل ويستقل العطن فكيف بمن لا فكرة له ولا روية عنده هذا مع كل ما في قلوبهم من حسد اهل النعم ومنافستهم على ما في أيديهم وتقطعهم حسرات في أثر ما خصوا به وانهم الا يكونوا يرون انفسهم احق بذلك فانهم فيه سواء ولم يزل امير المؤمنين قبل أن تفضي اليه الخلافة ماذا عنقه ووجها همته الى ان يوليه الله امر هؤلاء الكفرة ويملكه حربهم ويجعله القارع لهم عن دينه والمؤخر لهم عن حقه فلم يكن يألو في ذلك حرصا وطلبا واحتيالا فكان امير المؤمنين رضي الله عنه يأبى ذلك لضنه به وصيانته له فلما أفضى الله الى امير المؤمنين بخلافته واطلق الامر في يده لم يكن شيء احب اليه ولا آخذ بقلبه من معاجلة الكافر وكفرته واعزه الله واعانه فلله الحمد على ذلك وتيسره فاعد من امواله أحضرها ومن قواد جيشه اعلمهم بالحرب وانهضهم بالمعضلات ومن اوليائه وابناء دعوته ودعوة آبائه صلوات الله عليهم احسنهم طاعة واشدهم نكاية واكثرهم عدة ثم اتبع الاموال بالاموال والرجال بالرجال من خاصة مواليه وعدد غلمانه وقبل ذلك ما اتكل عليه من صنع الله عز وجل ووجه اليه من رعيته فكيف رأى الكافر اللعين واصحابه الملاعين أن

الله يكذب ظنونهم و يشفي صدور اوليائه منهم يقتلونهم كيف شاؤا في كل موطن ومعترك مادامت عند انفسهم مقاومة فلما ذلوا وقلوا وكرهوا الموت صاروا لا يتراءون الا في رؤس الجبال ومضايق الطرق وخلف الاودية ومن وراء الانهار وحيث لا تنالهم الخيل طلبا للمطاولة وانتظار الدوائر فكادهم الله عند ذلك وهو خير الكائدين واستدرجهم حتى جمعهم الى حصنهم معتصمين فيه عند انفسهم فجعل اعتصامهم جبنا لهم وصنعا لاوليائه واحاطة منه بهم تبارك وتعالى فجمعهم وحصرهم لكي لا تبقى منهم بقية ولا ترجى لهم عاقبة ولا يكون الدين الا لله ولا العاقبة الا لاوليائه ولا التعس والنكس الا لمن خذله فلما حصرهم الله وحبسهم عليهم ودانتهم مصارعهم سلطهم الله عليهم كيد واحد يختطفونهم بسيوفهم وينتظمونهم برماحهم فلا يجدون ملجأ ولا مهربا ثم امكنهم من اهاليهم واولادهم ونسائهم وحرمهم وصيروا الدار دارهم والمحلة محلتهم والاموال قسما بينهم والاهل إماء وعبيدا وفوق ذلك كله ما اعد الله لهؤلاء من الرحمة والثواب وما اعد لأولئك من الخزى والعقاب وصار الكافر بابك لا في قتل فسلم من ذل الغلبة ولا فيمن نجا فعاين في الحياة بعض العوض ولا فيمن اصيب فيشتغل بنفسه عن المصيبة باسواه لكنه سبحانه وتعالى اطلقه وسدد مذاهبه وتركه بين الذل والخوف والغصة والحسرة حتى اذا ذاق طعم ذلك كله وفهمه وعرف موقع المصيبة وظن مع ذلك كله انه على طريق من النجاة ضرب الله وجهه واعمى بصره وسد عليه واخذ بسمعه وبصره وحازه الى من لا يرق له ولا يرثي لمصرعه فامتثل ما أمر به الافشين حيدر بن طاوس مولى امير المؤمنين في أمره فبث له الحبائل ووضع عليه الارصاد ونصب له الاشراك حتى اظفره الله به اسيرا ذليلا موثقا في الحديد يراه في تلك الحالة من كان يراه ويرى الدائرة عليه من كان يظن انها ستكون له فالحمد لله الذي اعز دينه واظهر حجته ونصر اولياءه من اهلاك اعدائه حمدا يقضي به الحق وتتم به النعمة وتتصل به الزيادة والحمد لله الذي فتح على أمير المؤمنين وحقق ظنه وانجح سعيه وحاز له أجر هذا الفتح وزخره وشرفه وجعله خالصا لتمامه وكماله باكمل الصنع واحسن الكفاية ولا خلا من سرور يراه و بشارة تتجدد له عنده فالحمد لله اولا والحمد لله آخرا والحمد لله على عطاياه التي لا تحصى ونعمه التي لا تنسى ان شاء الله تعالى وهذا الكتاب من البليغ المرسل الوافي اذا تاملته وجدته قد شرح الحال على احسن

وجه

وجدوا بجملة لم يغادر دقيقة الا اظهرها واكمل الحديث عنها من اول فكرة الى آخر عاقبة

﴿وهذه صورة كتاب من انشاء ابى اسحاق الصابى﴾ عن الخليفة الطائع الى صمصام الدولة ابن عضد الدولة بن بويه بسبب كردويه الخارج عن الطاعة من عبد الله عبد الكريم الامام الطائع لله امير المؤمنين الى صمصام الدولة وشمس الملة ابى كيجار بن عضد الدولة وتاج الملة مولى امير المؤمنين سلام عليك فان امير المؤمنين يحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ويسأله ان يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم اما بعد أطال الله بقاءك فان أمير المؤمنين وان كان قد بوأك المنزلة العليا وانالك من أثرته الغاية القصوى وجعل لك ما كان لابيك عضد الدولة وتاج الملة رحمة الله عليه من القدر والمحل والموضع الارفع الاجل فانه يوجب لك عند كل أثر يكون لك فى الخدمة ومقام حسد تقومه فى حماية البيضة انعاما يظاهره واكراما يتابعه ويواتره والله يؤيدك من توفيقه وتسديده ويمدك بمعونته وتأييده ويخير لامير المؤمنين فيما رأيه مستمر عليه من مزيدك وتمكينك والانافة بك وتعظيمك وما توفيق امير المؤمنين الا بالله عليه يتوكل واليه ينيب وقد عرفت ادام الله عزك ما كان من امر كردويه كافر نعمة امير المؤمنين ونعمتك وجاحد صنيعه وصنيعك فى الوثبة التى وثبها والكبيرة التى ارتكبها وتقديره ان ينتهز الفرصة التى لم يمكنه الله منها بل كان من وراء دفعه وردّه عنها ومعاجلتك اياه الحرب التى اصلاه الله نارها وقنعه عارها وشنارها حتى انهزم والاوغاد الذين شركوه فى اثارة الفتنة على اقبح احوال الذلة والقلة بعد القتل الذريع والاثخان الوحيع فالحمد لله على هذه النعمة التى جل موقعها وبان على الخاصة والعامة اثرها ولزم امير المؤمنين خصوصا والمسلمين عموما نشرها والحديث بها وهو المسؤل اقامتها وادامتها برحمته وقد رآى امير المؤمنين ان يجازيك عن هذا الفتح العظيم والمقام المجيد الكريم بخلع تامة ودابتين ومركبين ذهب من مراكبه وسيف وطوق وسوار مرصع فتلق ذلك بشكره عليه والاعتداد بنعمته فيه والبس خلع امير المؤمنين وتكرمته ومر من بابه على حلانه واظهر ما حباك به لاهل حضرته ليعز الله بك وليه ووليك ويذل عدوه وعدوك انشاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ﴿وهذه صورة كتاب تعزية عن الخليفة المقتفى﴾ الى السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى عند وفاة ابنه من عبد الله ابى

عبد الله محمد المقتفي لامر الله أمير المؤمنين الى شاهنشاه المعظم مولى الامم مالك رقاب العرب والعجم جلال دين الله ظهير عباد الله حافظ بلاد الله معين خليفة الله غياث الدنيا والدين ناصر الاسلام والمسلمين محيي الدولة القاهرة معز الملة الزاهرة عماد الملة الباهرة ابي الفتح مسعود بن محمد ملكشاه قسيم أمير المؤمنين سلام عليك فان امير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ويسلم تسليما اما بعد اطال الله بقاءك وادام عزك وتاييدك وسعادتك ونعمتك واحسن حفظك وكلاءتك ورعايتك وامتع امير المؤمنين بك والنعمة الجليلة والموهبة الجزيلة والمنحة النفيسة فيك وعندك ولا اخلاه منك فان اولى من ادّرع للحوادث جنة الاصطبار ونظر احوال الدنيا في تقلبها بعين الاعتبار ورجع الى الله في قدره وقضائه وسلم لامره الذي لا راد له في امتحانه وابتلائه وعرف ان له سبحانه في كل ما يجريه على عباده حكمة باطنة ومصلحة كامنة من خير عاجل ييسره وثواب آجل يؤخره لهم الى يوم الجزاء ويدخره وفائدة هو ادرى بها واعلم وفعلة فيها اتقن واحكم من خصه بما حصك الله به من الدين الراجح والخلق الصالح والمعتقد الواضح والنعم التي جادك في كل يوم سحابها واتسعت بين يديك عند مضايق الامور رحابها وانست اذا استوحشت من العاجزين عن ارتباطها بالشكر صحابها والمناقب التي فرعت بها صهوات المجد وتملكت رق الثناء والحمد وعلوت فيها عن المساجل والمطاول وبعد ما صيرك منها عن ان تناله يد متناول وتأدى الى امير المؤمنين امتعه الله ببقائك ودافع له عن حوبائك نبأ الحادثة بسليلك الذي اختار الله له كريم جواره فاحب له الانتقال الى محل الفوز وداره فوجد لذلك وجوما موفرا وهما للسكون منفرا وتوزعا تقتضيه المشاركة لك فيما ساء وسر والمساهمة الحاصلة في كل ما حلا من الامور وأمر وامر عند ورود هذا الخبر بالتصدي للعزاء واعلان ما يعلن عن مقاسمتك في الضراء دفعها الله عنك والسراء الى ما ابان عن انصراف الهمم الامامية اليك فيما خص وعم من حالك واستجلابه لك دواعي المسار في حلك وترحالك وكون الافكار الشريفة موكلة بكل ما حمى من الروائع قلبك واعذب شربك وانت حقيق بمعرفة هذه الحال من طويته لك ونيته ورأيه فيك وشفقته ورعاية مصلحتك منه بعين كالية ورجوعه من المحافظة في حقك الى الفة بالصفاء حالية وتلقى

الرزية

الرزية التي ارادها الله وقضاها وانقلمت مشيئته فيها وامضاها بالصبر المأمور به والاحتساب والتسليم الموعود عليه بجزيل الثواب علماً أن الاقدار لا تغالب وغريمها لا يطالب وان لا سبيل لاحد من خلقه الى البقاء ولا طريق للخلود في دار الفناء ولا دافع لحكمه جلت عظمته فيما قدره من الآجال وسبق في علمه من الروائع في الابتلاء والاوجال ومايزال التطلع واقعاً الى وصول جوابك الدال على السلوة التي هي الىق بك والادعى الى حصول بغيتك من رضا الله وارك لتحط الانسة مع وصوله في رحالها وتؤذن بصرف الهموم الجارية لاجلك وارتحالها هذه مناجاة امير المؤمنين لك ادام الله تأييدك وامتع بك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله ﴿وهذه صورة جواب عن المقتفي﴾ الى غياث الدين مسعود السلجوقي حيث كتب بخبر مسعود خارج الى الطاعة من عبد الله ابي عبد الله محمد الامام المقتفي لامر الله أمير المؤمنين الى غياث الدين وساق ما تقدم من الالقاب ثم قال اما بعد اطال الله بقاءك فان كتابك عرض بحضرة امير المؤمنين معرباً عن اخبار سعادتك وجري الامور على ارادتك وبلوغ الاغراض من الوجهة التي توجهت اليها والاطراف التي اشرقت سعادتك عليها بما من ما تكنه من الطاعة الامامية وتضمره وتعتقده من الاخلاص وتستشعره وان ركن الدين محمداً ومن انضم الى جملته وانتظم في سلك موافقته لما ظهر وامنك بذمام اطمأنوا اليه وسكنوا وأمان وثقوا به وركنوا أبصروا الرشد فاتبعوه واستجابوا الداعي اذ سمعوه واذعنوا بطاعتك مسرعين وانقادوا الى متابعتك مهطعين على استقرار مسيرهم تحت لوائك الى باب همدان ليكون تقرير القواعد الجامعة للمصالح عند وصولها والتوفر على تحري ما تقرّ به النواظر مع حلولها ووقف عليه وعرف مضمونه وجدد ذلك لديه من الابتهاج والاغتباط الواضح المنهاج ما تقتضيه الثقة بولائك واعتماده وتعويله على جميل معتقدك واعتضاده من طاعتك بحبل لا تنقض الايام مبرمه وسكونه من ولائك الى وزر لا تروع المخاوف حرمه وواصل شكر الله تعالى على ما شهدت به هذه النعمة العميمة والموهبة الجسيمة من اجابة الادعية التي مازالت جنودها لك مجهزة ووعود مجلت عظمته بقبول امثالها منجزة وامدادك منها بامداد تستدعي لك النصر وتستنزله وتستكمل الحظ من كل خير وتستجزله وبلغ الامل منك فيمن هو العدة للملمات والحامي بتغرير الانس من روائع

الشتات ومن بقاؤه يكف عن الامتداد اكف الخطوب ويطلق وجوه المسار من عقل القطوب ويابى الله العادل فى حكمه وحكمته الرؤف بعباده وخليفته الا اعلاء كلمة الحق بالهمم الامامية والاجراء على عوائد صنعه الخفية الكافلة بصلاح العباد والرعية وقد اقيمت أسواق التهنئة بهذه البشرى وافادت جذلا تتابع وفوده تترى لاسيما مع الاشارة الى قرب الاوبة التى تدنى كل صلاح وتجلبه وتزيل كل خلل اتعب القلوب وتذهبه والى البارى جل اسمه الرغبة فى اختصاصك من عنايته باحسن ما عهدته واجله وصلة آخر وقتك فى نجح المساعى وأوله وان لايخلى الدار العزيزة من اخلاصك فى ولائها ورغبتك فى تحصيل مراضيها وشريف آرائها هذه مناجاة أمير المؤمنين أدام الله تاييدك وامتع بك تجرى فيها على عادة تكرمته واعربها عن اعتقاده فيك وطويته ومكانك الاثيل فى شريف حضرته وابتهاجه بنعمة الله عندك وخيرته فتاملها تاملا يشاكل طاعتك الصافية من الشوائب والاقذاء وتلقها بصدق الاعتماد عليها وحسن الاصغاء تفز بالاصابة تداولك ويقرب بالتوفيق مغدا الشوص احك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته (وهذه صورة جواب عن الحافظ لدين الله) أحد الفاطميين حيث ورد عليه كتاب من احد أمرائه وكان ارسله الى الديار الشامية وقد أخبر هذا الامير فى كتابه أنه حسن لقفز الملك التوجه الى مصر واثنى عليه بحسن اجتهاده فى قتال الافرنج بطرابلس وقتله عظيمهم من عبد الله ووليه عبد المجيد أبى الميمون الامام الحافظ لدين الله امير المؤمنين الى الامير فلان اما بعد فانه عرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك من يد فتاه ووزيره وصفيه وظهيره العبد الاجل الافضل الذى بذل نفسه فى نصرة الدين يدا ولسانا وأوضح الله للدولة الحافظية بوزارته حجة وبرهانا واسبغ النعمة على اهلها فانه جعله فيهم ناظرا ولهم سلطانا ووفقه فى حسن التدبير والعمل بما يقضى بمصالح الصغير والكبير ولما اعاد المملكة الى أفضل ما كانت عليه من النضرة والبهجة ولم يخرج المادحين لها اذا اختلفوا عن التحقيق وصدق اللهجة فقد ساوت سياسته بين البعيد والقريب واخذ كل منها باجزل حظ واوفر نصيب وسارت سيرته الفاضلة فى الآفاق سير المثل واستوجب من خالقه اجر من جمع فى طاعته بين القول والعمل وشفع عرضه من وصفك وشكرك والثناء عليك واطابة ذكرك وانهاء ما انتشر

ما انت عليه من الولاء وشكر الآلاء بما يضاهي ما ذكرته فيه مما علم عند تلاوته واصغي
اليه عند قراءته وقد استقر بحضرة أمير المؤمنين مكانك من المشايعة وموقعك من
المخالصة وكونك من ولاة الدولة على قضية اكسبتك شرفا تفيأت ظلاله وافاضت
عليك ملابسا جررت اذياله وسمت بك الى محل لا يباهي من بلغه ولا يطاول من ناله وكنت
في ذلك سالكا المنهج القويم ومعتقدا ما عليه أهل بيتك في القديم لاجرم انه عاد عليك
من حسن رأي أمير المؤمنين بما تقصر عنه كل أمنية ويشهد لك بمخالصة جمعت فيها بين
عمل ونية والله يضاعف أجرك على اعتصامك من طاعة أمير المؤمنين بالحبل المتين
و يوزعك شكر ما منحك من الاستضاءة بنور الحق المبين فأما الامير فخر الملك رواج
و بعثك له على الوصول الى الباب وحضك اياه على التعلق من الخدمة بمحصد الاسباب
فما كان الاذن له في ذلك الا لان كتابه وصل يلتمسه وعرض فيه نفسه وبذل المناصحة
والخدمة وسأل سؤال من يعرف قدر المسارعة بالاجابة اليه وموقع النعمة فاجيب الى
ذلك اسعافا له بمراده وعملا برأي الدولة فيمن يرغب الى التحيز اليها من اقطاره وبلاده
والا فلا حاجة لها اليه ولا الى غيره لان الله تعالى وله الحمد وفر حظها من الاولياء والاشياع
والانصار والاتباع والعساكر والجيوش والاجناد والانجاد والاعوان الاقوياء
الشداد وعبيد الطاعة الذين يتبارون في النصح ويتنافسون في الاجتهاد والحرص
على سعة الاموال وعمارة الاعمال وجمع الرجال في العزائم بين الافعال والاقوال
ولو وصل المذكور لكانت المنة للدولة عليه والحاجة له في ذلك لا اليه قال الله عز من
قائل يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان
ان كنتم صادقين واما توجهه الى طرابلس وظفره بالعدو فيها فالله تعالى يعز الاسلام
وينشر لواءه ويعلي مناره ويخذل اعداءه وينصر عساكره واجناده ويبلغه في أحزاب
الكفر والضلال مراده وهو عز وجل يمتعك بما منحك ويبلغك في دينك ودنياك أملك
ومقترحك فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى ﴿وهذه صورة كتاب من انشاء الصابي﴾
عن عز الدولة أحد ملوك ذلك العصر انفذه الى خليفته المطيع لله وقد قصد أبا تغلب
الحمداني أحد الامراء اذ ذاك حيث خرج عن الطاعة فانهزم أبو تغلب وفر هاربا لعبد
الله الفضل المطيع لله أمير المؤمنين من عبده وصنيعته عز الدولة بن معز الدولة مولى أمير

المؤمنين سلام على امير المؤمنين ورحمة الله فانى أحمد الى أمير المؤمنين الله الذى لا اله الا هو واسأله ان يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أما بعد اطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له العز والتأييد والتوفيق والتسديد والعلو والقدرة والظهور والنصرة والحمد لله العلى العظيم الازلى القديم المنفرد بالكبرياء والملكوت المتوحد بالعظمة والجبروت الذى لا تحده الصفات ولا تحوزه الجهات ولا تحصره قرارة مكان ولا يغيره مرور زمان ولا تمثله العيون بنواظرها ولا تتخيله القلوب بخواطرها فاطر السموات وما تظل وخالق الارض وما تقل الذى دل بلطيف صنعته على جليل حكمته وبين بجلى برهانه على خفى وجدانه واستغنى بالقدرة عن الاعوان واستعلى بالعزة عن الاقران البعيد عن كل معادل ومضارع الممتنع عن كل مطاول ومقارع الدائم الذى لا يزول ولا يحول العادل الذى لا يظلم ولا يجور الكريم الذى لا يضن ولا يبخل الحليم الذى لا يعجل ولا يجهل ذلكم الله ربكم لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين منزل الرحمة على كل ولى توكل عليه وفوض اليه وائتمر لأوامره وازدجر بزواجره ومحل النقمة بكل عدو صد عن سبيله وسننه وصدف عن فرائضه وسننه وماده فى مكتسب يديه وسعاة قدمه وخائنة عينه وخافية صدره وهو راتع رتعة النعم السائمة فى أكلاء النعم السابغة وجاهل جهلها بشكر آلائها ذاهل ذهولها عن طرق استيفائها فلا يلبث أن ينزع سرابيلها صاغرا ويتعرى منها حاسرا ويجعل الله كيده فى تضليل ويورده شر المورد الوبيل ان الله لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدى كيد الخائنين والحمد لله الذى اصطفى للنبوة أحق عباده بحمل اعبائها وارتداء ردائها محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعظم خطره وكرم فصدع بالرسالة وبالغ فى الدلالة ودعى الى الهداية ونجى من الغواية ونقل الناس عن طاعة الشيطان الرجيم الى طاعة الرحمن الرحيم واعلقهم بحبائل خالقهم ورازقهم وعصمة محييهم ومميتهم بعد انفصال الاكاذيب والاباطيل واستشعار المحالات والاضاليل والتورط فى الاعتقادات الذائدة عن النعيم السائقة الى العذاب الاليم فصلى الله عليه من ناطق بالحق ومنقذ للخلق وناصح للرب ومؤد للفرض صلاة زاكية رائحة غادية تزيد على اختلاف الليل والنهار وتعاقب الاعوام والادوار والحمد لله الذى انتخب أمير المؤمنين من ذلك السنخ الشريف

والعنصر

والعنصر المنيف والعترة الثابت أصلها الممتد ظلها الطيب جناها الممنوع حماها وحازه مواريث آبائه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين واختصه من بينهم بتطاول أمد الخلافة واستحصاف حبلها في يده ووفقه لاصابة الغرض من كل مرمى يرميه ومقصد ينحيه وهو جل ثناؤه الحقيق باتمام ذلك عليه والزيادة فيه لديه واحمده سبحانه حمدا ابتدئه ثم اعيده وأكرره واستزيده على ان أهل ركن الدولة أبا على وعضد الدولة أبا شجاع مولى أمير المؤمنين واهلني للأثرة التي بذذنا فيها الاكفاء وفتنا فيها القرناء وتقطعت دونها أنفاس المنافسين وتضرمت عليها احشاء الحاسدين واذ أولاني في كل مغزى في خدمة أمير المؤمنين اغزوه ومنحى انحوه ورأب ارأبه وشعث المه وعدو ارغمه وزائغ أقومه افضل ما أولاه عباده السليمة غيوبهم النقية جيوبهم المأمونة ضمائرهم المشحوذة بصائرهم من تمكين يده وتثبيت قدمه ونصر رأيه واعلاء كلمه وتقريب بغيته وانالة أمنيته وكذلك يكون من الى أمير المؤمنين اعتزاؤه وبشعاره اعتزازه وعن زناده قدحه وفي طاعته كدحه والله ولي ما خولنيه من هذه المنقبة وسوغنيه من هذه الموهبة وان يتوحد أمير المؤمنين في جميع خدمه الذائدين عن حوزته المنتمين الى دعوته بيمن الطائر وسعادة الطالع ونجاح المطالب وادراك الارب وفي اعدائه الغامصين لنعمته الناقضين مواثيق بيعته باضراع الخد واتعاس الجد واخفاق الامل واحباط العمل ولم يزل مولانا أمير المؤمنين ينكر قديما من فضل الله بن ناصر الدولة احوالا مستقبحة قابلها بالانكار ومستحقا من ارتكبها للاعراض وانا اذهب في حفظ غيبه واجمال محضره وتحمل جنايته وتلفيقها وتاليف معاذيره وتنميقها مذهبي الذي اعم به كل من جرى في ناشئ دولته ومغتذ بنعمته ومنتسب الى ولايته ومشتهر بصنعته واقدران استصلحه لامير المؤمنين واصلحه لنفسه بالتوقيف على مسالك الرشاد ومناهج السداد وهو يريني ان قد قبل وارعوى وابصر واهتدى حتى رغبت الى امير المؤمنين فيما شفعني متفضلا فيه من تقليده اعمال أبيه والقناعة منه في الضمان بيسور بذله وايثاره به على من هو فوقه من كبراء اخوته وأهله فلما بلغ هذه الحال ألط بالمال وخاس بالعهد وطرق لفسخ العقد واجرى الى أمور كرهتها ونفد الصبر مني عليها وخفت ان استمر على الاغضاء عنها والمسامحة

فيها فيطلع الله منى على اضاعة الاحتياط فى أمر قلدنى أمير المؤمنين زمامه وضمننى دركه وارتباطى لرجل قبل فى الاعتماد عليه رأيى وعول فى أخذه بما يلزمه على نظرى واستيفائى فتناولته باطراف العذل ملوحا ثم بتأنيبه مفصحا مصرحا ورسمت لعبد أمير المؤمنين الناصح أبى طاهر أن يحدثه ويدخل عليه من طريق المشورة والرفق الى آخرى وينتقل معه بين اللين والخشونة طورا فطورا ففعل ذلك على رسمه فى التأنى لكل فاسد حتى يصلح ولكل أبىّ حتى يسمح ولم يدع التناهى فى وعظه والتمادى فى نصحه وتعريفه سوء عاقبة اللجاج وشنعة مغبة الاحراج وهو يزيد طمعا فى الاموال وشرها وعمى فى الرأى وعمها الى ان كاد أمرنا معه يخرج عن حدّ الانتظار الى حد الرضى بالاصرار فاستأنفت ادّراع الحزم وامتطاء العزم ونهضت الى أعمال الموصل وعندى انه يغنينى عن الاتباب ويتلقانى بالاعتاب وينقاد الى المراد ويتجنب طريق العناد فحين عرف خبر مسيرى وجدى فيه وتشميرى برز بروز المخالف المكاشف وتجرّد تجرّد المواقع المواقف وهو مع ذلك اذا ازددت منه قربا ازداد منى بعدا واذا دلفت اليه ذراعا نكص عنى باعا وتوافت الى حضرتى وجوه القبائل من عقيل وشيبان وغيرهما فى الجمع الكثيف من صعاليكها والعدد الكثير من صناديدها داخلين فى الطاعة متصرفين فى عوارض الخدمة فلما شارفت المدينة انتقضت عزائم صبره وتقوضت دعائم أمره وبطلت أمانيه ووساوسه واضمحلت خواطره وهواجسه واطرب عليه من ثقاته وغلمانه من كان بهم يعتضد وعليهم يعتمد ورأوا خذلانه والاخذ لنفوسهم ومفارقته والطلب لحظوظهم وحصل بحضرتى الى هذه الغاية زهاء خمسمائة رجل ذوى خيل مختارة وأسلحة شاكة فصادفوا عندى ما أملوا من فائض الاحسان وغامر الامتنان وذكروا عمن وراءهم من نظرائهم الحرص على الاستئمان وانهم يردون ولا يتأخرون ويبادرون ولا يتوانون ولما رأى ذلك لم يملك نفسه ان مضى هاربا على طريق سنجار منكشفا عن هذه الديار قانعا من تلك الآمال الخائبة والظنون الكاذبة بسلامة حشاشة هى رهينة غيرها وصريعة بغيها وكان انهزامه بعد ان فعل الفعل السخيف وكاد بالكيد الضعيف بان غرّق سفن الموصل وأحرق جسورها واستذم الى أهلها وتزود منهم اللعن المطيف به أين يمم الكائن

معه حيث نجم ودخلتها يومى هذا أيد الله أمير المؤمنين دخول الغانم الظافر المستعلن الظاهر فسكنت من نفوس سكانها وشرحت صدور قطانها واعلمتهم ما أمرنى به أمير المؤمنين أعلا الله امره من تأنيس وحشتهم ونظم الفتهم وضم نشرهم ولم شعثهم واجمال السيرة فيهم فى ضروب معاملاتهم وعلائقهم وصنوف متصرفاتهم ومعايشهم وكثر منهم الثناء والدعاء والله سامع ما رفعوا ومجيب ما سألوا واجلت حال هذا الجاهل أيد الله أمير المؤمنين عن أقبح هزيمة وأذل هضيمة لانه لم يلق لقاء الباخع بالطاعة المعتذر من سالف التفريط والاضاعة ولا لقاء المصدق لدعواه فى الاستقلال بالمقارعة المحقق لزعمه فى الثبات للمدافعة ولا كان فى هذين الامرين بالبر التقى ولا الفاجر القوى بل جمع بين نقيصة شقاقه وغدره وفضيحة جبنه وخوره منتهكا للصلاح عادلا عن الصواب قد ذهب عنه الرشاد وضربت بينه وبينه الاسداد وانزله الله منزلة مثله من أساء حفظ الوديعة وجوار الصنيعة واستوجب نزعهما منه وتاملت ايد الله أمير المؤمنين امره على التجريب وتصفحته بالتقليب فاذا هو الرجل الذى اطاع فيه أبوه هوى أمه وعصى دواعى رأيه وحزمه وقدمه من ولده على من هو آنس رشد اوا كبر سنا وأثبت جاشا وأجرى جنانا واشجع قلبا واوسع صدرا واجدر لمخايل النجابة وشمائل اللبابة فلما اجتمعت له اسباب القدرة والثروة وامكنته مناهز الغرة والفرصة وثب عليه وثبة السرحان فى ثلة الضان وجزاه جزاء ام عامر لمجيرها اذ فرته بانيابها وأظفارها واجتمع واخوه من الأم المرتضع معه لبان الاثم المكنى بابى البركات وليس باب لهما ولا حر بشئ منها على ان صرعاه وعاقاه وقبضا عليه واوثقاه وأقراه من قلعتهما حيث يقرا العشاه ويعاقب الجناه ثم اتبعا ذلك باستحلال دمه وافاضة مهجته غير راعيين فيه حق الابوة ولا حانيين عليه حنو البنوة ولا متذممين من الاقدام على مثله ممن تقدمت عند سلطانه قدمه وتوكدت أواصره وعصمه ولا راحمين له من ضعف شيخوخته ولا مصغيين الى وصية الله اياهما به التى نصها فى محكم كتابه وكررها فى آيه وبيناته اذ يقول اشكر لى ولوالديك الى المصير واذ يقول وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا إمّا يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما

كاربيانى صغيرا فباى وجه يلقى الله قاتل والده دب قد أمران لا ينهره وباى لسان
ينطق يوم يسئل عما استجازه فيه وفعله وتالله لوان بمكانه عدوا لهما قد قارضهما
الذحول وقارعهما عن النفوس لقبح به ما ان يلؤما ذلك اللؤم عند الظفر به وان يركبا
تلك الخطة الشنعاء فى الاخذ بناصيته ولم يرض فضل الله بما أتاه اياه حتى استوفى
حدود قطع الرحم بان تتبع اكابر اخوته السالكين خلاف سبيله المتبرئين المستبرئين
الى الله من عظيم ما اكتسب وجسيم ما احتقب لما غضبوا لابيهم وامتعضوا من
المستفحل فيه وفيهم فقبض على محمد بن ناصر الدولة حيلة وغيلة وغدرا ومكيدة
ونابذ حمدان بن ناصر الدولة منابذة خار الله له فيها بان أصاره من فناء أمير المؤمنين الى
الجانب العزيز والحرز الحريز وأن اجرى الله على يده الحرب الواقعة بينه وبين
المعروف بكنيته أبى البركات التى لقاه الله فيها بخسه واتلف نفسه وصرعه بعقوقه
وبغيه وقنعه بعاره وخزيه وهو مع ذلك لا يتعظ ولا ينزع ولا ينزجر ولا يقلع اصرارا
على الجرائر التى الله عنها حسيبه وبها طليبه والدنيا والآخرة مرصدتان له بالجزاء
المحقوق عليه والعقاب المسوق اليه واعظم من هذا كله أيد الله امير المؤمنين خطبا
واوعر مسلكا وحسبا ان من شرائط العهد الذى كان عهد اليه والعقد الذى عقد له
والضمان المخفف مبلغه عنه المأخوذ عفوه منه أن يتناهى فى ضبط الثغور وجهاد
الروم وحفظ الاطراف ورم الاكناف فما وفى بشئ من ذلك بل عدل عنه الى
الاستئثار بالاموال واقتطاعها واحرازها فى مكانها وقلاعها والضن بها دون
الاخراج فى وجوهها والوضع لها فى حقوقها وأن تراخى فى أمر عظيم الروم مهملا
واطرح الفكر فيه مغفلا حتى هجم فى الديار وأثر الآثار ونكأ القلوب وابكى
العيون وصدع الاكباد وأحر الصدور فما كان عنده فيه ما يكون عند المسلم القارئ
لكتاب الله اذ يقول ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون
فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى
بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم بل صدف عن
ذكر الله لاهيا وعدل عن كتابه ساهيا واستفسخ ذلك البيع والعقد واستنجز الوعيد
لا الوعد ولاطف طاغية الروم وهاداه وأماره وأعطاه وصانعه بمال المسلمين الذى

يلزمه

يلزمه ان سلم دينه وصح يقينه أن ينفقه فى مرابطهم ويذب به عن حريمهم وأبى إلا
ان يعكس و يلفته عن وجهته بالنقل الى عدوهم وادخال الوهن بذلك عليهم وقادا اليه
من الخيل العتاق ماهو الآن عون الكفر على الايمان ونجدة للطاغية على السلطان
وكان فيما تحفه به الخمر التى حظر الله عليه ان يشربها و يسقيها وأمره بان يجتنبها
ويجتويها وصلبان ذهب صاغها له وتقرب بها اليه تقربا قد باعده الله فيه عن
الاصابة والاصالة وأدناه من الجهالة والضلالة حتى كأنه عامل من عماله و بطريق
من بطارقته فاما شله عن مكاشفته ولهجه بملاطفته فضد الذى أمره الله به فى قوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان
الله مع المتقين واما نقله ما نقل من الخيل عن ديار المسلمين الى ديار اعدائهم فنقيض
قوله عز وجل واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم واما اهداؤه الخمر والصلبان فخلاف قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون كل ذلك عناد الرب العالمين
وطمس الأعلام الدين وضنا بما حمى عليه من ذلك الحطام المجموع من الحرام
المثمر عن الآثام المقتطع من فيء الاسلام وقد فعل الآن بى وبالعساكر التى معى
ومن يضم ولاء أمير المؤمنين الذين هم اخوته وصحبه ان كان مؤمنا وأنصاره وحزبه ان
كان موقنا من توعير المسالك وتغريق السفن وتضييق الاقوات واستهلاك الازواد
ليوصل الينا الضرر ويلحق بنا الجهد فعل العدو المبين المخالف فى الدين فهل يؤمل
فى هذا الناد المعاند والشاذ الشارد وهل يطمع من مثله فى حق يقضيه أو فرض
يؤديه أو عهد يرعاه أو زمام يحفظه وهو لله عاص ولامامه مخالف ولوالده قاتل ولرحمه
قاطع كلا والله بل هو الحقيق بان تثنى اليه الاعنة وتشرع نحوه الاسنة وتنصب له
الأرصاد وتشحذ له السيوف الحداد ليقطع الله بها دابره و يجب غاربه و يصرعه
مصرع الاثيم المليم المستحق للعذاب الاليم أو يفيء الى الحق افاءة الداخل فيه بعد
خروجه العائد اليه بعد مروقه التائب المنيب النازع المستقيل فيكون حكمه
شبيها بحكم الراجع عن الردة المحمول على ظاهر الشريعة والله يهدى من يشاء الى صراط
مستقيم فالحمد لله الذى هدانا المراشد ووقف بنا على السبيل المنجية لنا والمقاصد

المقضية الى رضاه المؤمنة من سخطه والحمد لله الذى أعز امير المؤمنين بالنصر واعطاه لواء القهر وجعل أولياءه الغالبين وأعداءه الساعين الهابطين وهنأه الله هذا الفتح ولا أخلاه من أشكال له تقفوه وتتبعه وامثال تتلوه وتشفعه واصلا فيها الى ما وصل اليه فيه من حيازته مهنا لم يسفك فيه دم ولم ينتهك محرم ولم ينل جهد ولم يمس نصب أنهيت الى امير المؤمنين ذلك ليضيف صنع الله له فيه الى السالف من عوارفه عنده واياديه ويجدد من شكره ما يكون داعيا الى الادامة والمزيد مقتضيا الفوز والتأييد ان شاء الله تعالى (وهذه صورة كتاب من انشاء الفاضل الذى سلف القول بانه اول الطبقة الثالثة) عن ملكه صلاح الدين يوسف من مصر الى مقر الخلافة ببغداد بالبشارة عن فتح بلد من بلاد النوبة وانهزام ملكها وعساكره صلوات الله التى اعدها لاوليائه وادخرها وتحياته التى قذف بشهبها شياطين اعدائه ودحرها وبركاته التى دعابها كل موحد فاجاب وانقشع بها غمام الغم وظلام الظلم فانجاب عن أقجاب وزكاته التى هى للمؤمنين سكن وسلامه الذى لا يمترى الموقنين فى ترديده حصر ولا لكن على مولانا عاقد ألوية الايمان وصاحب دور الزمان وساحب ذيل الاحسان وغالب حزب الشيطان الذى زلزلت امامته قدم الباطل وحامت خلافته ترائب الدهر العاطل واقتضت سيوفه ديون الدين من كل غريم ماطل وامضت غرب كل عزم للحق مفاول واطلعت غارب نجم كل هدى آفل وشفعت يقظات استغفاره الى غافر ذنب كل غافل وعلى آبائه الغاية والمفزع والملاذ فى وقت الفزع والقائمين بحقوق الله اذ قعد الناس والحاكمين بعدل الله اذ عدم القسطاس والمستضيئين بانوار الالهام الموروثة من الوحى اذ أعجز الاقتباس والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس خزان الحكم وحفاظها ومعانى النعم والفاظها واعلام العلوم المنشورة الى يوم القيامة وكالئى الروح المنشرة بكلاءة يد الامامة ومن لا ينفذ سهم عمل الا اذا شهد بولايتهم ولا يتألق صبح هداية الا اذا استصبح السارى بدلالتهم المملوك يقبل الارض بمطالع الشرف ومنازله ومرابع المجد ومعاقله ومجالس الجود ومجال السجود ومختلف أنباء الرحمة المنزلة ومرسى اطوار البسيطة المتزلزلة ومعتز مباسم الامامة ومجر مساحب الكرامة ومكان جنوح اجنحة الملائكة حيث يدخلون من كل باب مسلمين وتتبعهم ملوك الارض مستسلمين ومشاهد

الاسلام

الاسلام كيوم انزل فيه اليوم اكملت لكم دينكم ومعاقد على الولاية فاما غيره فله قوله
قاتلوا الذين يلونكم وينا جيها بلسان جلى الاخلاص الصادق عقيدته ونشاط الولاء
السابق عقيلته وارهف الايمان الناصع مضاربه وافسح المعتقد الناصح مذاهبه فاعرب
عن خاطر لم يخطر فيه لغير الولاء خطره وقلب أعانه على ورود الولاء صفاء الصافات
فيه فطره والله سبحانه يزيل عنه فى شرف المتول عوائق القدر وموانعه ويكشف له
عن قناع الانوار التى ليست همته بادون نظرها قانعه وكان توجه منصور الجيش دعائه
قبل جيش لوائه وبعسكر اقباله قبل عسكر قتاله وبنصال سلطانه قبل نصال اجفانه
لا جرم ان كتائب الرعب سارت أمام الكتائب وقواضب الحذر غمضت فى جفونها
عيون القواضب وسار أولياء أمير المؤمنين الذين تجمعوا من كل أمة وتداعوا بلسان
النعمة وتصرفوا بيد الخدمة وصالوا بسيف العزمة متواخية نياتهم فى الاقدام متألفة
طوياتهم فى طاعة الامام كالبنيان المرصوص انتظاما وكالغاب المشجر أعلاما
وكالنهار الماتع حديدا وهاجا وكالليل الشامل عجاجا عجاجا وكالنهر المتدافع اصحابا
وكالمشط المطرد اصطحابا فما أبصرت رياضها المزهرة وغياضها المشجرة الادلت على
ان السحاب الذى سقاهم كريم والانعام الذى غمرهم عظيم والدنيا التى وسعتهم من
عزمتهم تظعن وتقيم والعالم المدوّان الخطب المظنون قد صرح خطابه والامل المخدوع
قد صفر وطابه راسل ورأى ان سل السيوف يغمده وما كروما كر لعله ان الحنف يعمده
واندفع هاربا هائبا وخضع كاتبا كاذبا فغضى المملوك قدما وجهله ظلمه وقد خاب من حمل
ظلما وأجابه بانه ان وطئ البساط برجله والاوطئه براسه وان قدم على المملوك بأمله والا
اقدمه بياسه وان أظهر اثر التوبة والا أقدم عليه الحذ بسكرة الموت من كاسه فلم
يخرج من حرى اوغة تحتها مغاورة ومكاشرة وراءها مكابرة فاستخار الله فى طلبه وانتهز
فيه فرصة شغل قلبه بريبه ولم يغره ما أملى له فى البلاد من تقلبه وسار ولم يزل مقتحما
و يقدم أول العسكر محتدما واذا الدار قد ترحل أهلها منها فبانوا وظعنوا عن ساحتها
فكأنهم ما كانوا ولم يبق الا مواقد نيران رحلت قلوبهم بضرامها واثافى دهم أعجلت
المهابة ماردشقيهم عن طعامها وغربان بين كانها فى الديار ما قطع من رؤس بنى حامها
وعوافى طير كانت تنظر من اشلائهم فطر صيامها وعادت الرسل المنفذة لاقتفاء آثارهم
وأداء أخبارهم ذاكرة انهم لبسوا الليل حدادا على النعمة التى خلعت وغسلوا بماء

الصبح اطماع نفس كانت قد تطاولت وانهم طالما الاوعار أوعالا والعقاب عقبانا وكانوا
لمهابط الاودية سيولا ولأعالي الشجر قضبانا فرأى المملوك ان الكتاب قد بلغ أجله
والعزم منهم قد نال أمله والفتك بهم قد أعمل منصله وان سيوف عساكر أمير المؤمنين
منزهة ان تريق الادماء كفاتها من الابطال وان تلقى الاوجه وانظارها من الرجال
وأصدر هذه الخدمة والبلاد من معرتهم عارية والكلمة بانخفاضهم عالية عالية ويد الله
على اعدائه عادية وانفس المخاذيل في وثاق مهابته عانية فرأى المملوك ان يرتب
بعده الامير فلانا ليبذل الامان لسوقة أهل البلاد ومزارعيها ويفصل المحاكمات بين
متابعي السلطنة ومطاوعيها ويفسح مجال الاحسان لماوردي المواطن ومراجعيها فان
مقام المملوك ومن معه من عساكر تمنع الشمس من مطالعها وترد جرية البحر عن مدفعها
مما يضر بالغلال وينسفها ويجحف بالرعايا ويعسفها فالحمد لله الذي جعل النصر لائذا
باعطاف اعتزامه وانامل الرعب السائر الى الاعداء محركة عذبات اعلامه والعساكر
المناضلة بسلاح ولائه تغني باسمائها عن مرهفاتها والكتائب المقاتلة بشعار علائه
تقرأ كتب النصر من صفحاتها ﴿وهذه صورة كتاب من انشاء العماد الاصفهاني﴾ وهو
عصري الفاضل ومن مشاهير هذه الطبقة عن السلطان صلاح الدين يخبر فيه ديوان
الخلافة بالانتصار على الافرنج وازالتهم عن بعض بلاد الشام حين كان قاصدا ان يجليهم
عن بيت المقدس وتلك النواحي ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها
عبادي الصالحون الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد وعلى نصرته لهذا الدين الحنيف
من قبل ومن بعد وعلى ان اجرى هذه الحسنة التي ما اشتمل على مثالها كرام الصحائف
ولم يجادل عن مثلها في المواقف في الايام الامامية الناصرية زادها الله غررا واوضاحا
ووالى البشائر فيها بالفتوح غدوا ورواحا ومكن سيوفها في كل مازق من كل كافر ومارق
ولا اخلاها من سيرة سرية تجمع بين مصلحة مخلوق وطاعة خالق واطال ايدي أوليائها
لتحمي بالحقيقة حمى الحقائق وانجزها الحق وقذف به على الباطل الزاهق وملكها
هوادي المغارب ومراعي المشارق ولا زالت ارادتها في الظلمات مصابيح وسيوفها للبلاد
مفاتيح وأطراف اسنتها لدماء الاعداء نوازح والحمد لله الذي نصر سلطان الديوان العزيز
وايده واظفر جنده الغالب وانجده وجلا به جلابيب الظلماء وجعل بعد عسر يسرا وقد
احدث

أحدث الله بعد ذلك أمرا وهون الأمر الذي ما كان الاسلام يستطيع عليه صبرا وخوطب الدين بقوله ولقد مننا عليك مرة أخرى فالاولى في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والأخرى هذه التي عتق فيها من رق الكآبة فهو قد أصبح حرا والزمان كهيئته استدار والحق بيهجته قد استنار والكفر قد رد ما كان عنده من المستعار وغسل ثوب الليل بماء فجر فجر من انهار النهار وأتى الله بنيان الكفر من القواعد وشفى غليل صدور المؤمنين برقراقماء الموردات البوارد أنزل ملائكة لم تظهر للعيون اللاحظة ولم تخف عن القلوب الحافظة عزت سيما الاسلام بسومها وترادف نصره بردفها وأخذت القرى وهي ظالمة فترى مترفيها كان لم يغنوا فيها فكم أقدم بها حيزوم وركض فاتبعه سحاب عجاج مركوم وضرب فاذا ضربه كتاب جراح مرقوم والافان الحرب انما عددت صبالا وانما جمعت رجالا وانما عدت خفافا وثقالا فما سيوف تقابل سيوفا وزحوف تقاتل زحوفا فيكون حد الحديد بيد مذكرا وبيد مؤنثا ويكون السيف في اليد الموحدة يغني بالضربة الموحدة وفي اليد المثلثة لا يغني بالضرب مثلثا وذلك أنه في فئتين التقتا وعدوتين لغير مودة اعتنقتا وان هذه النصرة ان زويت عن ملائكة الله جحدت كراماتهم وان زويت عن البشر فقد عرفت قبلها مقاماتهم فما كان سيف تيقظ من جفنه قبل ان ينبهه الصريخ ولا كان ضرب يطير الهام قبل ضرب يراه الناظر ويسمعه المصيخ فكم ضربة كانها هجرة الموت وبها التاريخ وكم طعنة تخر لها هضاب الحديد ولها شماريخ والحمد لله الذي أعاد الاسلام جديدا ثوبه بعد ان كان جديدا حبله مبيضا نصره مخضرا نصله متسعا فضله مجتمعا شمله والخادم يشرح من نبأ هذا الفتح العظيم والنصر الكريم ما يشرح صدور المؤمنين ويمنح الحبور لكافة المسلمين ويكرر البشرى بما أنعم الله به من يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الآخر الى يوم الخميس منسلخه وتلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما سخرها الله على الكفار فترى القوم فيها صرعى كانهم أعجاز نخل خاوية ورأيتها الى الاسلام ضاحكة كما كانت من الكفر باكية فيوم الخميس الاول فتحت طبرية وفاض ري النصر من بحيرتها وفضت على جسرها الفرنج ففضت بحيرتها وفي يوم الجمعة والسبت كسر الفرنج الكسرة التي مالهم بعدها قائمة وأخذ الله أعداءه بأيدي أوليائه أخذ القرى وهي ظالمة وفي يوم الخميس منسلخ

الشهر فتحت عكا بالامان ورفعت بها أعلام الايمان وهى أم البلاد وأخت ارم ذات العماد وقد اصبحت كان لم تغن بالكفر وكان لم تفتقر من الاسلام وقد أصدر هذه المطالعة وصليب الصلبوت ماسور وقلب ملك الكفر الاسير جيشه المكسور مكسور والحديد الكافر الذى كان فى الكفر يضرب وجه الاسلام قد صار حديدا مسلما يفرق خطوات الكفر عن الاقدام وانصار الصليب وكباره وكل من المعمودية عمدته والدير داره قد احاطت به يد القبضة وأخذ رهنا فلا يقبل فيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وطبرية قد رفعت أعلام الاسلام عليها ونكصت من عكا ملة الكفر على عقبيها وعمرت الى ان شهدت يوم الاسلام وهو خير يوميها بل ليس من أيام الكفر يوم فيه خير وقد غسل عن بلاد الاسلام بدماء الشرك ما كان تخللها فلا ضير ولا ضير وقد صارت البيع مساجد بها من آمن بالله واليوم الآخر وصارت المذابح مواقف لخطباء المنابر واهتزت ارضها لوقوف المسلين فيها وطالما ارتجت لمواقف الكافر وافترت النصرة عن ثغر عكا بحمد الله الذى يسر فتحها وتسلم الملة الاسلامية بالامان وعرفت فى هذه الصفقة ربحها واما طبرية فافترتها يد الحرب فانهرت الحرب جرحها فالحمد لله حمدا لا تضرب عليه الحدود ولا تزكى بازكى منه العقود وكانه بالبيت المقدس وقد دنا الاقصى من اقصاه وبلغ الله فيه الاصل الذى علم ان يحصيه وأحاط باجله وقضاه لكل اجل كتاب وأجل العدو هذه الكتائب الجامعة ولكل عمل ثواب وثواب من حظى بطاعته جنات نعيمه الواسعة والله المشكور على ما وهب والمسؤل فى ادامة ما استيقظ من جد الاسلام وهب (ومن مشاهير هذه الطبقة تقى الدين أبو بكر بن حجة) صاحب خزانة الادب وانشاؤه كثير جمع فى كتاب ذى مجلدات ملقب بقهوة الانشاء فمن انشائه صورة عهد كتبه عن خليفة وقته المستعين لاحد سلاطين الهند وهى هذه الحمد لله الذى وثق عهد النجاح للمستعين به وثبت اوتاده ليفوز من تمسك من غير فاصلة بسببه وزين السماء الدنيا بمصابيح وحفظا وفرع على أعطاف الارض حلل الخلافة الشريفة وعلم ان فى خلتها الزاهر زهرة الحياة الدنيا فقال عز من قائل انى جاعل فى الارض خليفة واختارها من بيت براعة استهلاله فى أول بيت وضع للناس وسبقت ارادته له الحمد ان تكون هذه النحلة الشريفة من سقاية العباس فالحمد لله على ان جعل هذه السقاية عينا يشرب بها المقربون ومن علم شرفها

تميز

تميز بقوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فالحمد لله الذى استخلف آل
النبى فى الارض وفضلهم وان تحدث احد فى شرف بيت فالله قد جعل البيت والحديث لهم
فاكرم به بيتا من اقر بعبوديته كان له من النار عتقا وتمتع بنعيم بركته التى لا يعدمها
الا الاشقى وكيف لا وهو البيت الذى بعث الله منه شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا وصفى أهله من الادناس وانزل فى حقهم يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وابرز علمهم الخليفتى على وجنة الدهر شامة
وخصهم بالتقديم فالحمد لله والله أكبر لهذه الامامة واذا كان النسيب مدحا وهو فى النظم
واسطة العقود فهذا هو النسب الذى يلوح عليه من شمس الضحى نور ومن فلق الصباح
عمود وهذا هو الركن الذى من استلمه واستند اليه قيل له فزت بعلو سندك فقد قيل
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا ابشرك يا عم قال بلى يا رسول الله قال ان الله قد فتح
الامر بى ويختمه بولدك فاحبب بها شجرة نسب زكى غرسها وغا وتسامت بها الارض
وكيف لا واصلها ثابت وفرعها فى السما فسلام على خلفها الذى منه المستعين بالله
والمتوكل عليه والواثق به والرشيد ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد
نحمده حمد من علم أن آل هذا البيت النبوى كسفينة نوح وتعلق بهم فنجا ونشكره
شكر من مال الى الدخول تحت العلم العباسى وتنصل من الخوارج فوجد له من كل
ضيق مخرجا ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو ان تكون مقبولة عند
الحاكم وقت الادا ونشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى حرضنا على الوفاء بالعهد وارشدنا
الى طريق الهدى صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين وفوا له بالعهود واقامت مواضى
سيوفهم الحدود صلاة يسقى عهاد الرحمة ان شاء الله عهدها وينظم فى سلك العبودية
عقدها وسلم تسليما كثيرا وبعد فالحمد لله الذى الهمنا الرشد وجعل منا الخلفاء الراشدين
وبنسبتنا الى علم الهدى فضلنا بالائمة المهديين واصطفى من هذا الخلف الشريف
خلائف الارض وسن مواضى العقول التى قطعت ان طاعتنا فرض فان لعهدنا العباسى
شرفا لا يرفل فى حلله الشريفة الا من اتخذ مع الله عهدا واتى الله بقلب سليم فقد قال الله
تعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا

قليلا اولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ولا يتمسك بطيب هذا العهد الشريف الا من صحا الى القيام بواجب الطاعة وترك أهل الجهل فى سكرتهم يعمهون وانتظم فى سلك من انزل الله فى حقهم والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون وهو قبضة من آثار البيعة النبوية وشعار يتشرف به من مشى تحت الراية العباسية وما ارسل هذا العهد النبوى الى ملك من ملوك الارض الاعمه الشرف من جميع جهاته والله اعلم حيث يجعل رسالاته ولا اعلن به على منبر الاشدت اعواده طربا وازهرت رونقا وأثمرت أدبا وقالت وقد رنحتها نسمات القبول من ساكن الروضة واخضل نبات تلك البقاع واينع وعم الفرح بها كل غيضة وكان المقام الاشرف العالى الى آخر الصفات السلطانية السلطانى الملك المظفرى شمس الدنيا والدين والمستعين فى زيادة شرف ملكه بعد الله بالمستعين لازالت ايامه الزاهرة بشمسه المنيرة مشرقة وتوقيعات الرقاع بنسخ صفاته الشريفة محققة ممن رغب فى التمسك بهذا العهد الشريف ليزيل عن ملكه الالتباس واستند اليه ليروى فى سنده العالى عن ابن عباس ومشى بعين البصيرة فى هذا المنهج القويم وتلا له لسان الحال أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم وطاول بيد الخلافة الشريفة لاقامة الحد علما بان يد الخلافة لا تطاولها يد واخلص مودته فى التقرب الى بيتنا الشريف لما شغفه حبا وتمسك بطيب قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى لانه الملك الذى ظفره الله باعداء هذا الدين وسماه مظفرا ولقبه بالشمس واختار له ان يقارن من الطلعة المستعصمية قمرا اينع زهر العدل بحضرة دهليه فعطر الآفاق وضاع نشره بالهند فعاد الشم الى المزكوم بالعراق وصارت دمن سومنات عامرة بقيام الدين وايده الله فيها بعد القتال بالفتح المبين ولم يترك لاعدوفى بيت بيت ليلة ولا بطل مادهره اهل داهر بحسن اليقظة وقوة الصولة واباد الكفرة من ديو ولم يقبل لهم دية وفاؤا الى غير امر الله فقصمهم بسيفه الهندى ولم تقم لهم فيه وطرا كباد من نار اهبها فلازموا عن رؤيتها الصوم ونادى منادى عدله بالبلاد الهندية لا ظلم اليوم ودانت له تلك الممالك برا وبحرا وسهلا ووعرا ما نظم الاعداء على ذلك البحر المديد بيتا الا أبان زحافه

وادار

وادار عليه دوائره وكم نظم شمل الرعايا بالعدل ونثر رؤس الكفرة بالسيف فلا عدم الاسلام فى الحالين ناظمه وناثره عربى وكم كلم الاعداء بلسان الهندى فاحجمهم عند ملتقاه عادل تسلسل حديث فضله فغدا مسلسلا مع الرواه عاطر الارجاء ولم يتم المسك الا بطيب تربته سلطان تتطفل الملوك على اوانى موائده وتخضع لسلطانيته سلك الركبان فى البر عن مناقبه الشريفة وهم يتساءلون وقد صار لها عظيم النبا وصرح راكب البحر بعد التسمية باسمه فاتخذ سبيله فى البحر عجبا فظله فى البر ظليل وعدله فى البحر بسيط وطويل هذا ولم يبق فى تلك الممالك الهندية بقعة الا ولم يصعر الله بسنابك الخيل فيها عشاه ولا نفس خارجة عن الطاعة الشريفة الامانت فى رقعة الارض بمظفر شاه فلذلك رسم بالامر الشريف الى آخر الصفات الامامية أن يفوض اليه من ولاية العهد وكفالة السلطنة الشريفة بالبلاد الهندية ما هو المعهود ليمطل جود الرحمة على تلك البقاع المباركة ان شاء الله ويجود عهدا شريفا الى آخر الصفات وان يستخلف فيما فوضه الله اليه من صلاح الامة ومصالح الخلق استخلافا تحلى بذكره الافواه وتترنم به فى شعاب مكة الحداه ويقطع به ويحفظه رب كل سيف وقلم و يعتمد عليه كل ذى علم وعلم فلا زعيم جيش الا وهذا التفويض الشريف يسمه فى بلاده ويشمله ولا اقليم من اقاليمه الا ومن به يقبله ويقبله ويتمثل به ويمتثله ولا منبر الا وخطيبه يتلو كتاب هذا التفويض ويرتله واما الوصايا فعنده ان شاء الله تعالى تهب نسمات قبولها ويعرب عن نصب مفعولها وهو بحمد الله لوصايا هذا العهد الشريف نعم القابل فقد قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله فى ظله منهم الامام العادل والوصية بالرعايا واجبة وقد حرض النبى صلى الله عليه وسلم على العدل فيهم وحرص عليه وقال يوم من امام عادل افضل من مطر أربعين صباحا احوج ما تكون الارض اليه وقال ابن عمنا على رضى الله عنه الملك والدين اخوان لا غنى لاحدهما عن الآخر فالدين أس والملك حارس فان لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع فهذه الحكمة بها يعالج ما ضعف من اركان الملك وهذا الشرع يجرى على اجل الشرائع فليأمر بالمعروف وينه عن المنكر عالما انه ليس يمثل فى غد عن ذلك سوانا وسواه و يرد نفسه الشريفة عن الهوى ولا يحسن لثبات قدمه ان يميل مع هواه وليترك الثغور بعدله باسمه وقواعد الملك

بفضله قائمه وليجاهد فى الله حق جهاده ويلطف بالرعايا ويعلم ان الله لطيف بعباده وليشرح لهم بالاحسان صدرا ليجروا اذا وقف على احوالهم احسن مجرى وهو بحمد الله غير محتاج الى التاكيد لانه لم يخل له من القيام فى مصالح الامة فكر ولكنه تجديد ذكر على ذكر والله تعالى يمتع بطول بقائه البلاد والعباد ولا برحت سيوفه الهندية تكلم اعداء هذا الدين بالسنة حداد وثبت ملكه بالعدل وشيد أقواله وختم بالصالحات اعماله ان شاء الله تعالى ﴿وهذه صورة تسجيل عقد نكاح﴾ ويسمى صداقا وقد تزوج سلطان وقته الناصر بعض بنات امرائه الحمد لله الذى ايد السنة الشريفة بقوة ناصر واعزها بعزيز مصر لانه شعر ببركتها فجعلها له من أجل الشعائر حتى خلد الله ملكه استتها فصار لها به ملكة وسلطان وشهر سيفها لاقامة الحدود وما قام به قواعد الايمان فالشكر لله على ان عرفنا بطيب هذا الاثر الشريف وشرح للتمسك به صدرا ووضع عنا به وزرا وامدنا بالاموال والبنين وجعل بيننا نسبا وصهرا وسقى سبحانه وتعالى ارض المصاهرة بماء القرب ففاح نشرها الاريج واهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج وقرب بين البعيدين فصارا زوجين اثنين وهذا نكره بغير قدرته لا تتعرف وألف بين اجانب لو انفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف فله المنة على ان جعل النساء حرثا للزرع نباته زهرة الحياة الدنيا وسقيا لهذا النبات ورعيا نحمده حمدا من ترقى باتباع السنة الشريفة الى اعلى الدرج ونشكره شكرا يأتينا عند كل شدة بفرج ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة مقبولة ان شاء الله عند احكم الحاكمين فى دار المقامة ونشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى قال تناكحوا تناسلوا فانى مباه بكم الامم يوم القيامة صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين أيدوا ملته واتبعوا سنته وسلم تسليما وبعد فان النكاح سنة من سنن الانبياء وحلية من شعار الاولياء تنتظم جواهره فى اسلاك عقود الشمل وتمسى عرائس غصونه ببركة هذا الغراس فى حمل ما برح نورها فى جباه هذه الامة يتوضح ويتبلج وقد حرض النبى صلى الله عليه وسلم عليه فقال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج وكان المقام الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى مؤيد السنة الشريفة وناصرها والقامع بسيفه الشريف اهل البدع وقاهرها ركن الاسلام والمسلمين مبيد الطغاة والمتمردين سلطان

العرب

العرب والعجم والعزيز الذى ذلت لبأسه صيد الملوك وخضعت رقاب الامم ناظر الحرمين وصاحب وقعة الجبتين ومذيل التاريخ على الناصرين ابو السعادات فرج ابن مولانا السلطان السعيد الشهيد الدارج الى رحمة ربه المجيد الملك الظاهر ابى سعيد برقوق خلد الله تعالى ملكه واعز سلطانه وجعل من الملائكة المقربين انصاره واعوانه

ملك اذا احدقوا بجانبه * فانما البحر ماله آخر

وان تقوى بغيره ملك * فماله قوة ولا ناصر

سلطان الله أكبر كأن المقادير لاوامره الشريفة طائعة ماقاومته ملوك الارض الا ذبحتها عزائمه على الشرق وجاءته رؤسها الى الغرب خاضعة ولا كاده عدوّ الا ردّ الله كيده فى تضليل الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل تتزاحم تيجان الملوك حول ركابه الشريف وارذ كر تزاحمت الاسماع أكثر وكيف لا وهو الملك الذى لم يخل من اسمه الشريف درهم ولا دينار ولا عود منبر ان تلاعبت كماته بعواليها الا تسل عن تلاعب الأشبال فى الآجام أو أمالت ألفات رماحها طاعنة عذل نفسه صاحب كل لامة ولام ماقابل خميس حرب الا ولم يبق من جمعة ذلك الخميس أحد ولا سل بيده الشريفة سيفا لامعا الا فر صاحب القوس وعلم أن الطالع بالشمس والأسد ولا خفقت اعلامه الصفر فى سواد نقع الا سلقت البيض من زرق اسنته بألسنة حداد واصاب كل فؤاد مصدقا أبا الطيب فى قوله وقد ضعفت الاسنة من هموم فما يخطرن الا فى فؤاد

وهى السعادة فى السماك فلو يشأ * لاصاب منها رامحا بالاعزل

هذا وسيوف حكمه خلد الله ملكه ماتضرب الا صفحا عن كل آثم وما أحقه بقول القائل لوعلم الناس محبتى بالعفو لتقربوا الى بالجرائم وأما عطاؤه سبحان المانح ما أعطا الا ودت أغنياء الملوك ان تصير سائلة كابناء السبيل وكيف يحيا الجعفر خالد كروما جعفر بالنسبة الى بحر النيل فلو ادركه الفاضل لقال هذه المناقب الناصرية وعبد الرحيم عبد الرحيم وأنشد وقد شاهد ماقاله عيانا فى الناصر القديم

أهذه سير فى المجد أم سور * وهذه أنجم فى السعد ام غرر

وانمل أم بحار والسيوف بها * موج وإفرندها فى لجها درر

وأنت فى الارض ام فوق السماء وفى * يمينك البحر ام فى وجهك القمر

يقبل البدر ترباانت واطئه * فالتراب عليه ذلك الاثر
نأى بك الملك حتى قيل ذا ملك * دنا بك الجود حتى قيل ذا بشر
خلائق فى سموات العلا زهر * لنا تسير وفى روض الثنا زهر

ونعود الى انه خلد الله ملكه هو المتحلى بشعار هذه السنة والمتقلد لله سبحانه وتعالى هذه المنة لانه الملك الذى ان نصر السنة فهو ناصر الدنيا والدين أو أبان شرفها فقد تأيدت منه بسلطان مبين اوترقى الى أوجها حل منها فى ارفع محل أوعقد عليها خناصره الشريفة فانه صاحب العقد والحل رغب اليها خلد الله ملكه فسرى نسيم القبول وفتح طروس الأوراق فى مسراه وجرت جرالاقلام فى ميادين الطروس فكتبت بسم الله هذا ما أصدق مولانا المقام الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى لازالت أبكار العقود وايتامها بسلكه الشريف منظومة وفتح له كل مانع وكثرة الفتوحات فى الايام الناصرية معلومة مرغوبته الجهة المصونة الممنعة المحجبة المكرمة الخوند الخاتون درة تاج الفخر وعين انسان الخواتين ويتيمة العقود ومخدرة الملوك والسلاطين ثالثة القمرين والممدود سترها الرفيع على مفرق الفرقدين ربيبة حجر الملك ورضيعة لبانه وخلاصة الذهب الابريز وقلادة عقيانه والمهد الذى كبا خلفه كل كميت براكبه وكيف لا ووالدها كانت الشعراء والشهباء من بعض جنائبه ذات الستور الرفيعة والحجب المنيعة ست الملوك بنت المقر الاشرف السيفى المرحوم كشبغا بن عبد الله الجوى الظاهرى البكر العاقل الصحيحة الاوصاف الخلية عن الموانع الشرعية أسبغ الله تعالى ظلال خدورها ومد على الآفاق أطناب ستورها أصدقها على بركة الله وعونه وتوفيقه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم صداقا مبلغه من الذهب المصرى ألف دينار نصفها خمسمائة دينار ومن الدراهم الفضة الجيدة المعاملة يومئذ عشرون ألف درهم نصفها عشرة آلاف درهم ولى تزويجها منه على ذلك باذنها الكريم مولانا وسيدنا العبد الفقير الى الله تعالى الشيخ الامام القدوة العلامة حجة الاسلام والمسلمين حسنة الايام ورحلة الطالبين علم المحققين خالصة أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن ابى جرادة الحنفى الناظر فى الحكم العزيز بالديار المصرية وسائر الممالك الاسلامية اعز الله تعالى احكامه ونشر على الخافقين بالعلم الشريف اعلامه

اعلامه قبل منه ذلك لنفسه الشريفة عظم الله تعالى شرفها قبولا صحيحا شرعيا بحضرة من تم العقد الشريف بحضوره شرعا فاكرم به اتصالا شريفا اجمع طريفه وتالده واحبب به عقدا ناصريا والقاضى الفاضل عاقده وتالله لقد اضحى بنظم هاتين الجوهرتين فى عقده رفيع المنال وحظى من تنقل هذين القمرين الى افقه بشرف الانتقال وكيف لا وقد حصل لهما بهذا العاقد الكمال ترقت الى اعلى الدرج بسيف الاسلام فلسان الهناء على منابر الشكر خطيب وحصل لها بالناصر وقرب كاتب سره نصر من الله وفتح قريب وامست الديار المصرية وراحت بغبطتها است الشام وابى الله ان يمتطى صهوة هذا النهد الافارس الاسلام جعله الله عقدا مباركا ميمونا تحمل بسواد سطوره وبياض طروسه الليالى والايام وكما احسن ابتداءه يجعل من مسك القبول له حسن الختام ان شاء الله تعالى ﴿وهذه صورة تقليد قضاء القضاة بدمشق لصدر الدين علىّ المعروف بابن الآدمى﴾ سنة عشر وثمانمائة الحمد لله الذى اقرّ عين الشام وشرح بعد القبض صدرها وأيدها بالامام على واعز بالسيوف العلوية نصرها ورفعها بمن ان تسامى فقد دارت على القطب دوائره أوكاثر بالعلم قل نظيره وسال الماء تكاثره أحمده حمد من علم انه المبدئ المعيد وأشكره شكرا يقمع باحكامه كل جبار عنيد وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو أن تكون مقبولة يوم فصل القضا وأشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى سنّ سيف الشريعة وأوضح أحكامها فقابلتها الامة بالطاعة والرضا صلى الله عليه وعلى آله الذين رضوا باحكام القضا والقدر صلاة ينشرح لها الصدر كلما ورد فضلها وصدر وسلم تسليما وبعد فان أولى من رفل فى حلل انعامنا الشريفة من وجب حقه علينا وأعدنا اليه بضاعته التى ربحت تجارتها فى أيامنا الشريفة فقلنا هذه بضاعتنا ردّت الينا وصدّرناه فسنت به التورية وأصبح صدر الشام وحكمناه فكان بحمد الله نافذ القضايا والاحكام فهو الصدر الذى حصل له القبض بعدنا وانشرح بعودنا وانتهج وأصبح بعد ضيقه من سلطاننا على كلا الحالين فى فرج أودعناه قديما سرّنا الشريف فكان له نعم الصدر ونطقت ألسن اقلامه فى ثغور الاقاليم بشكرنا فقابلناه بعلو القدر وكان المجلس العالى الفلانى الصدرى هو الذى نظم فى سلك شكره من ثنائنا الشريف هذه القلائد وعادت عليه صلة برنا فهو

يزل من ائمتنا الشريف بين الصلات والعائد وضربت بفضله الامثلة فلم يوجد له مثال
وشهد له ابن العديم وناهيك من حصل له هذا الكمال فلذلك رسم بالامر الشريف العالى
المولوى السلطانى الملكى الناصرى لازالت صدقاته الشريفة تعطى كل مستحق
وتمنح ولا برح كل صدر يتلوق هذه الايام الشريفة ألم نشرح أن يستقر المجلس العالى
القضائى الصدرى فى وظيفة قضاء قضاة الحنفية بدمشق المحروسة على عادته فى ذلك
وقاعدته لانه بحر العلم الذى ظهرت عجائبه واجتمعت فى سلك الفضل فرائده والخليفة
الباقية للفضائل وكيف لا والامين والده والامام الذى لو أدركه محمد عين الاصحاب
لاعترف بفضله الملى واتخذه صاحبا وقال ما محمد غير على والفاضل الذى ان ألقى درسا
فهو على الحقيقة صدر المدرسين أو ذكرت الفتاوى والفتوة فانه بحمد الله أفتى من
على فى هذا الدين أحرز قصبات السبق على فرسان مذهبه فعلمنا انه فارس الشقراء
والميدان وكم اقتطفنا من رياض علومه زهرة علمنا بها انه شقيق النعمان فلو أدركه
صاحب الدرر لقلده وانتظم فى سلك عقوده وكم طما بحر علمه وجوده فعلمنا انه مجمع
البحرين من طارفه وتليده هذا وما لابن الساعاتى دقائقه ولا ارتفاع هذا المقام ولو
عاصره صاحب المختار ما اختار غيره وقال على هو الامام فليباشر ذلك على ما عهد من
جميل ادواته ومحاسنه التى هى كالخيلان على جيد الدهر ونعدها من حسناته وليقابل
هذه النعمة السابغة بما يجب من شكر الله عليه ويحسن كما احسن الله اليه والوصايا
كثيرة وهو بحمد الله غير محتاج الى وصية لان الوظائف تتجمل بحسن سيرته العلوية
والله تعالى يسدد سهام احكامه ويجعل من مسك الثنا حسن ختامه (وهذه صورة تقليد
نظر البيمارستان للشيخ ابى الحسن على الحنبلى) الحمد لله الذى رفع قدر من برز فى العلم
وجعله عليا واصطفى من عباده من ارضعه لبان الفضل صغيرا وآتاه الحكم صبيا
وخص بالنظر فى مصالح هذه الامة من جعل الحلم شعاره ولم يكن جبارا عتيا فهو المبدئ
المعيد والقاصم بسيفه على كل جبار عنيد احمده حمدا يتقوى به الضعيف واشكره
شكرا وافيا يكون لنا نعم العلاج عند الحكيم اللطيف واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له شهادة من نظر بنور الله فكان من أهل النظر والبصيرة وأشهد ان محمدا
عبده ورسوله الذى امست الاعين بحسن نظره الشريف قريرة صلى الله عليه وعلى آله
واصحابه

وأصحابه صلاة تزيل قذا العين وتنور الناظر ونتنصر ببركتها على كل معاند وفاجر وسلم تسليما كثيرا وبعد فان للوظائف الدينية فضلا أبى أن يكون الا لاهله وحكمة انقسرها أن يوضع الا فى محله وكان المقر الشريف العالى الشيخى القدوى الامامى العلامى الاوحدى العاملى العالمى المفيدى القضائى العلائى على بن المغلى الحنبلى هو الذى لم شمل العلم بعد شتاته وخطبته عرائس الممالك لنفسها فأبى الاجبر قلب حماته ركب الشهباء فخضعت له أهل الشقراء والميدان وودت مصر أن تستضىء بنوره بعد سراجها الذى نور الاكوان فلو أدركه امامه السابق لقال هذا المصلى الذى أزال الابهام وعليه الخناصر تعقد وقد علم كل أحد ان عليا أعلم أصحاب احمد فلذلك رسم بالامر الكريم العالى الفلانى لازال علم الشرع الشريف مشهورا فى أيامه ولا برح كل من ذوى الاستحقاق واصلا فى هذه الايام الزاهرة الى أقصى مرامه ان يستقر المشار اليه فى وظيفة نظر البيمارستان النورى بحماة المحروسة فلقد سعدت بقعته بعد الشقاء وقالت أهلا بعيش أخضر يتجدد واذا نظرت الى البقاع وجدتها تشقى كما تشقى الرجال وتسعد وصفت مشارب الضعفاء بعد الكدر وسقاهم ربهم شرابا طهورا وتلى لمن سعى فى ذلك وجزى بالخيرات ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ودار شراب العافية على اهل تلك الحضرة بالطاس والكاس وحصل لهم البرء من تلك البرانى التى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وتمشت الصحة فى مفاصل ضعفائه وقيل لهم جوزيتم بما صبرتم وامتدت مقاصيرهم وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فلقد قام بحسن نظره الكريم فى طاعة الله ومشى واعاد بنور طلعته البهية النورية فقلنا نور على نور يهدى الله لنوره من يشا فليباشر ذلك من غير وصية لانه اكبر واجل قدرا فلقد تلت جهات الوقف المعسرة فرحة بقدومه فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وليتناول معلومه الشاهد به ديوان الوقف المبرور والله تعالى يحفظ الجهات النورية بنظره ويحرسه بسورة النور بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى ﴿وهذه صورة تقليد بنظر مساجد﴾ الحمد لله الذى زاد القائمين بشعار بيته صلاحا وجعلهم من اهل النظر وصير جميل ذكرهم مبتدأ كلما ذكر عن أهل الصلاح خبر نحمده حمد من عمر مساجد الله بالذكر وحسن فى بناء هذا التأسيس نظمه ونشكره شكر من انتصب لرفع بيوت

أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة شاهد علم انه الحاضر الناظر واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى محى آثار الشرك عن بيت الله وقام له باجل الشعائر صلى الله عليه وعلى آله الذين مابرحوا خدام هذا البيت الشريف والمتقين بظله الوريف صلاة تزداد بها نظرا وبصيرة وتكون لنا يوم الحساب نعم الذخيرة وسلم تسليما وبعد فان أولى ما بادر اليه أهل البصائر النظر فى بيوت الله فانه من أعظم القرب ولا يشعر بهذه الشعائر الا من ظهر صلاحه ولم يفصل بينه وبين الخير فاصلة ولا سبب و يادر الى عمارتها بالذكر ودخل اليها من أبوابها متمسكا بقوله تعالى ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها وكان المقر الكريم العالى المولوى القضائى الصلاحى الى آخر الصفات ممن أدرك فعل الخيرات قبل ادراكه وجبلت عليه جبلته ولا يشك فى حسن نظره الا من عميت بصيرته ان اتسع للفضائل مضمار كان جواد فضله هو السابق الجموح أو فتح للخير أبواب فصلاح الدين بحمد الله أبو الفتوح ظهرت عليه بهجة ذلك العجم الذى الى غير فعل الخيرات ما هوى وصحب افعاله الجليلة وتلا لسان الحال ما ضل صاحبكم وما غوى ما أطلق سهم عزمه الى غرض خير الا وكان بحمد الله نفاذا ولا أظهر فعلا الا تلقى الناس بالقبول وما قيل يوسف اعرض عن هذا وهو ذو اليراع الذى اذا خط خطا أطاعته المقادير وكم جرت خلفه جرالاقلام حتى حفيت فما لحقت له غبارا لانه حوى قصبات السبق و رفل فى حلل التحبير ان سطر من بعثه جيش ضرب الانجاس فى الاسد امن أئمة الكتاب أو كتب كتاب انشاء عوذنا باسم ذلك الكتاب فلذلك رسم بالامر الكريم العالى المولوى الفلانى لازال كل مستحق فى أيامه الزاهرة بالغا أقصى المراد ولا برح يظهر لنا فى كل حين صلاحا يزيل عنا الفساد أن يستقر المشار اليه أدام الله تعالى نظره فى وظيفة نظر الجامع الكبير الاعلى بحماة المحروسة على العادة فى ذلك والقاعدة لئلا يكون لصالح المسلمين وجه الا وهو له ناظر ولا ينتظم للوظائف الدينية عروض الا وهو بحره الوافر خاطبه الجامع بلسان الحال ليكون لشمله جامعا وجبر قلب المحمدية وخر ماؤها ساجدا ودخل عاصيها الى الجامع طائعا وأمسى على ذلك العصى حلاوة ظاهرة وتيقظت مقل مصابيحه بعد طول الغمض فاذا هم بالساهرة واهتز طربا من طيب هذا الثنا المنبر

وكادت

وكادت اعواده أن تزهر فرحة بهذا الزمن الغض والعيش الاخضر وضعف نظر الرمام وأ مست من اسيه غيرة بولة هذا ولو أدركه ابن كاتب لقال ما أنا من فرسان من كتيبة كل جيش بنظرة مشموله أو لحقه ابن السعين لحقق ضعفه وضعف أبيه عن القيام بهذا الشعار أو عاشره ابن رواحة الانصارى لكان له من جملة الانصار وأمسى جامعا وهو الاعلى على من قبله وبعده وتلا أهل الصلاة وقد حظوا بيوسف فى السجدة وزال محل بلاده فى هذه الايام اليوسفية وأمسى فى بسط بعد ماطوى بساطه بالكلية وزال فساده ولله الحمد بهذا الصلاح واعلن موذنوه فى أعلى منارته بحى على الفلاح فليباشر ذلك مباشرة تثمر جزيل الثواب وليظهر اعداؤه من دعاء كل قائم بالمحراب وليحسن الى حلقة كل علم لينشرح صدرها فالرجال الحلقة غير ناظر الجيش اذا أشكل أمرها وليرم من عانده بسهام من الادعية عن قوس كل راكع وليتوجه فى ذلك الى الله تعالى وأحسن ما كان التوجه فى الجامع والوصايا كثيرة وهو بحمد الله تعالى فى غنية عن ذلك والله تعالى يؤيده ويجمل به الوظائف الدينية ويجعله لازمتها خير مالك ولا برح كفه مبسوطا للخيرات وتعقد عليه خناصر كفال الممالك ان شاء الله تعالى

وهذه صورة كتاب ودادى اخوانى انفذه من القاهرة الى الثغر يخاطب فيه القاضى بدر الدين أبا عبد الله محمد بن الدماميني المخزومى يخبره فيه بفراره من بلاد الشام لحرب كانت هنالك وبما قاساه من الشدائد فى البحر بسم الله الرحمن الرحيم يقبل الارض التى سقى دوحها بنزول الغيث فاثمر الفواكه البدرية وطلع بدر كمالها من المغرب فسلمنا لمعجزاتها المحمدية وجرى لسان البلاغة فى ثغرها فسمى على العقد بنظمه المستجاد وانشد لا فض الله فاه وقد ابتسم عن محاسنه التى لم يخلق مثلها فى البلاد لقد حسنت بك الايام حتى كأنك فى فم الدهر ابتسام فاكرم به مورد فضل ما برح منهله العذب كثير الزحام ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدى فعلى ساكنها السلام ومجلس حكم ما ثبت لمدعى الباطل به حجه وعرفات أدب ان وقفت بها وقفة صرت على الحقيقة ابن حجه وافق معال بالغ فى سموه وبدره فلم يقنع بما دون النجوم وميدان عربية تجول به فرسان الفصاحة من بنى مخزوم وتالله ما لفرسان الشعراء والابلق فى هذا الميدان مجال واذا اعترفوا بما حصل للفارس المخزومى عندهم من الفخر كفى الله المؤمنين القتال

وينهى بعد ادعية مابرح المملوك منتصبا لرفعها وتغريد اثنية ما لسجع المطوق فى الاوراق النباتية حلاوة سجعها وأشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك فى مصر بالآثار وأبرح مايكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار وصول المملوك الى مصر مقيما بكائنها وهو بسهام البين مصاب مذعورا لما شاهده من المصارع عند مقاتل الفرسان فى منازل الاحباب مكلما من ثغر طرابلس الشام بأسنة الرماح محمولا على جناح غراب وقد حكم عليه البين أن لا يبرح من سفره على جناح وكان فى البين ما كفانى فكيف بالبين والغراب يامولانا لقد قرعت سن هذا الثغر باصابع السهام وقلع منه ضرس الامن ولم يبق له بعد ما سعر به البين نظام وكثرت الحرب بين ثنايا من انياب واقتلعنا منه مع انهم لم يتركوا لنا فيه ثنية ولا ناب واستذهب الرماح قافية على آثارنا والسابق السابق منا الجواد ولزمت الروى من دمائنا لئلا يظهر لقافيتنا عند نظام الحرب سناد وفسد انسجام تلك الابيات المنظومة على ذلك البحر المديد وبدلت جنتها بنار الحرب التى كم نقول لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد ونفذ حكم القضاء وكم جرح خصم السيف فى ذلك اليوم شهودا واتصل الحكم بقضاة القضاة فلم يسلم منهم الا من كان مسعودا ووقع غالبنا فى القبض من عروض حربهم الطويل وتبدلت محاسن طرابلس الشام بالوحشة فلم نفارقها على وجه جميل وتالله لم يدخلها المملوك فى هذه الواقعة الا مكرها لا بطل وكم قلت لسارية العزم لما كشف لى عن ضيق مهلها ياسارية الجبل ورام المملوك ان ينتصل من انتظامه فى هذا السلك جملة كافية فقال له لسان الحال عند نظم هذه الكائنة جرتك القافيه ولم يطلق المملوك عروس حماته الاجبرا أظهر به كسره والعلوم الكريمة محيطة كيف يكون طلاق المكره يامولانا

بوادى حماة الشام عن ايمن الشط * وحقك تطوى شقة الهم بالبسط

بلاد اذا ماذقت سكر ثمارها * أهيم كأنى قد ثملت باسفنط

ومن يجتهد فى أن بالارض بقعة * تشاكلها قل انت مجتهد مخطى

وصوب حديثى مائها وهوائها * فان أحاديث الصحيحين ماتخطى

بمعصمها ان دار ملوى سوارها * فالشام بالخلخال أو مصر بالقرط

تنظم بالشطين در ثمارها * عقود الها العاصى رأيناه كالسمط

وترخى

وترخى علينا الغصون ذوائبا * يسرحها كف النسيم بلا مشط
ومذ مد ذاك النهر ساقا مدملجا * وراح بنقش النبت يمشي على بسط
لوينا خلاخيل النواعير فالتوت * وابدت لنا دورا على ساقه البسط
سقى سفحها ان قل دمعى سحابة * مطنبة بالدمع مهملة النقط
ويا اسطر النبت التى قد تسلسلت * بصفحتها لازلت واضحة الخط
ولازال ذاك الخط بالطل معجما * ومن شكل أنواع الازاهر فى ضبط
لو يت عنانى فى حماها عن الورى * وهمت بها لا بالمحصب والسقط
ولذ عناق الفقر لى بفنائها * وفى غيرها لم أرض بالملك والرهط
منازل احبابى ومنبت شعبتى * وأوطان اوطارى بها ورضى سخطى
نعمت بها دهرا ولكن سلبته * برغمى وهذا الدهر يسلب ما يعطى
وقد جاء شرط البين انى اغيب عن * حماها لقد ادمى فؤادى بالشرط
وحط على الدهر عمدا وشانى * الى غيرها صبرا على الشيل والحط
وسبحة جمع الشمل كانت لنا بها * منظمة لكن قضى الدهر بالفرط
أمثل شوقا شكلها فى مماثرى * فتتبع عينى ذلك الشكل بالنقط
وقد صار يمشى الهم نحوى بسرعة * فيا ليته لو كان فى مشيه يبطى
وأصبح نظمى راجعا بى الى ورى * كانى فى الديوان أكتب بالقبطى

فيا هذه المحن التى توالت على أهيل الادب بعدز وال فخرها لكن أدام الله تعالى مجدها وأثار شهابها وأقمر ليالى بدرها يا مولانا وأبثك ما لقيت من أهوال البحر واحدث عنه ولا حرج. فكم وقع المملوك من اعاريضه فى زحاف تقطع منه القلب لما دخل الى دوائر تلك اللجج وشاهدت منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة غصبا ونظرت الى الجوارى الحسان وقد رمت أزر قلوعها وهى بين يديه لقلة رجالها تسبى فحققت ان رأى من جاء يسعى فى الفلك جالسا غير صائب واستصوبت هنا رأى من جاء يمشى وهو راكب وزاد الظمأ بالمملوك وقد اتخذ فى البحر سبيله وكم قلت من شدة الظمأ يا ترى قبل الحفرة هل أطوى من البحر هذه الشقة الطويلة شعر

وهل اباكر بحر النيل منشرحا * واشرب الحلو من اكواب ملاح

بحر تلاطمت علينا امواجه حين متنا من الخوف وحملنا على نعش الغراب وقامت
واوات دوائره مقام مع فنصبتنا للغرق لما استوت المياه والاخشاب وقارن العيد فيه
سوداء استرقت موالينا وهي جارية وغشيهم في اليم منها ما غشيهم فهل اتاك حديث
الغاشية واقعها الحرب فحملت بنا ودخلها الماء فجاءها المخاض وانشق قلبها الفقد
رجالها وجرى ما جرى على ذلك القلب ففاض وتوشحت بالسواد في هذا المأتم وسارت
على البحر وهي مثل وكم سمع منها للمغاربة على ذلك التوشيح زجل برج مائي ولكن تعرب
في رفعها او خفضها عن الكسر والموت وتتشامخ كالجبال وهي خشب مسندة من تبطنها
عد من المصبرين في تابوت تاتي بالطباق ولكن بالمقلوب لان صغيرها كبير وبياضها
سواد وتمشي على الماء وتطير مع الهواء وصلاحها عين الفساد ان نقر الموج على
دفوفها العبث اتانا ل قلوعها بالعود وترقصنا على آلتها الحدباء فتقوم قيامتنا من هذا
الرقص الخارج ونحن قعود تتشامم وهي كما قيل انف في السماء واست في الماء وكم
نطيل الشكوى الى قامة صاريها عند الميل وهي الصعدة الصماء فيها الهدى وليس
لها عقل ولا دين وتتصابى اذا هبت الصبا وهي ابنة مائة وثمانين وتوقف أحوال القوم
وهي تجري بهم في موج كالجبال وتدعي براءة الذمة وكم استغرقت لهم من أموال هذا وكم
ضعف نحيل خصرها عن تثاقل ارداف الامواج وكم وجلت القلوب لما صار لاهداب
مجاذيفها على مقلة البحر اختلاج وكم اسبلت على وجنته طرة قلعها فبالغ الريح في
تشويشها وكم مرة على قريتها العامرة فتركها وهي خاوية على عروشها تتعاظم فتهزل
الى ان ترى ضلوعها من السقم تعد ولقد رأيتها بعد ذلك قد تبت وهي حمالة الحطب في
جيدها حبل من مسد وخلص المملوك من كدر المالح الى النيل المبارك فوجده من
أهل الصفاء واخوان الوفاء وتنصل من ذلك العدو الازرق الذي ما برح باطنه وهو كدر
وجمع من عذوبة النيل ونضارة شطوطه بين عين الحياة والخضر ووصل بعد عدم القرار
من بحيرته الى ذات قرار ومعين وقضي الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين وتلى لسان
الحال على المملوك وأصحابه ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين و بعد فالمملوك يسأل الاقالة
من عثرات هذه الرسالة فقد علم الله انها صدرت عن فكر تركه البين مشتتا والاغضاء
عن كثرة بردها فقد خرجت من البحر عارية في أيام الشتا ولتستر عورتها بستائر الحلم

وينظر

وينظر اليها من الرحمة بعين وليكن ضربها بسيف النقد صفحا فقد كفى ماجرحت بسيوف البين وتالله لم يسلك المملوك هذه الجادة الا ليجد له سبيلا الى نهلة من عذب تلك الموارد ويعود قلبه الضعيف الذى قطعت صلاته من صفى هذا المشرب عائد ويصير العبد مسعودا اذا عد للابواب العالية من جملة الخدام ويحصل لكبده الحرى من ذلك النسيم الغربى بردوسلام والله تعالى يمن بقرب المثول بين يديه ليحصل للملوك بعد التخلص من البين حسن الختام بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى حكى ابن حجة ان القاضى الفاضل اراد يعارض مقامات الحريرى فلما وصل الى المقامة البغدادية التى لم فيها باسماء الاعضاء امسك عن المعارضة لاستصعابه ذلك المسلك وهذه عبارة المقامة المشتملة على ذلك التلميح من كلام نسبه الى عجوز قال انها وقفت على جماعة من الادباء فيهم الحرث بن همام فى صورة سائلة قالت حيا الله المعارف وان لم يكن معارف اعلموا ياما ل الآمل وثمال الارامل أنى من سروات القبائل وسريات العقائل لم يزل اهلى و بعلى يحلون الصدر و يسيرون القلب و يمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح الاكباد وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند ووهنت اليمين وضاع اليسار وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولاناب فتعجب ابن حجة من استصعاب الفاضل ذلك وانشأ هذه الرسالة مستوفيا فيها ذكر الاعضاء الا مايستحى من النطق به واعتذر عن ذلك بما سيأتى نقله عنه

يقبل ارضا بالعلا قد تجسدت * لارواح اهل العلم روضة مشتهى

وهبت بانفاس العلوم قبولها * فلازال صدر الدين منشرحا بها

ولابرح هذا الصدر محروسا بالم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك

صدر غدا رأسا لكل فضيلة * صور المعانى تلتقيه ببشرها

فاذا أتى نحوا لشآم مناظر * فى كل علم قابلته بصدرها

هذا وكم لهذا الرأس فى العلوم من فرق دق على الافهام وهو كالغرة فى جباه الايام لازال المجد له حاجبا مقرونا بسعده الشامل ولابرح بعلامه عينا لوجوه المسائل فالله اهداب

معانيه التي هي اسحر من عيون الغزلان وامضى من السيوف اذا برزت من الاجفان
واصداغ فضائله التي هي عاطفة على وجنات الوجود لانها كالعوارض الماطرة وكم
أنست عند ذكرها من سالف وكم لها في قلوب الاعداء من خدود وندا جوده الذي اذا
جاءه الشارب وجد عنده شفاه وحلاوة نظمه الذي انسانا ذكر العذيب وثناياه وعنق
مكارمه التي ألفت من البديع الالتفات واوصافه التي غدت على جيد الدهر شامات
حتى تبدلت سيئاته بالحسنات كف عناء ب الفقر بكرم راحته المتزايد من غيران
يقال له ساعد وشهد ناباتأ ياديه بحر يفيض بصنائعه فاشار النيل الى قبول هذه
الشهادة باصابعه فالله ندا يمينه الذي لم يزل المملوك به في بلاد الشمال مكفي وكم فاض منه
قلب النيل وجهدان يوفيه بالباع والذراع فما قدر يوفي جبلت على محبته القلوب فصار
حبه ظاهرا الى كل باطن وحنت اليه الجوارح لما سارت مناقبه الى كل جانب فحركت
كل ساكن وينهى بعد أدعيته التي هي ان شاء الله تعالى نعيم للبدن الكريم
واعتدال لطيف ذلك المزاج واثنيته التي هي كالمناطق على خصور الحسان وبها لكل
خاطر ابتهاج اشواق من تثاقلت عليه ارداف النوى واسكنت في وسط قلبه
الجوى وقده الانقطاع بسيفه الذي زاد في حده ولكنه زاد في قده ولو حصر المملوك
ما ساق اليه البعد من الاشتياق الى تقبيل الاقدام لم تسعه قائمة وهو يعد القلب بالصبر
ولكن كاذكر كعب عن مواعيد عرقوب فنسأل الله حسن الخاتمة قال ابن حجة على
أثر ذلك ولم يبق من هذا القدر الا ماتمجه أفواه الاسماع وينفر منه سليم الطباع وعلى
كل حال فهذه صبابة الحاصل ونسال الله السلامة من الجاهل المتغافل بمنه وكرمه ان
شاء الله تعالى اذا قرأت متأملا حق التأمل ما نقلناه لك من انشاء ذوي العصور
المتتالية عرفت كيف اختلاف مذاهب الناس في الانشاء واذا يسلك بك التوفيق الى
اختيار طريقة تناسب احوال بني وقتك وتوافق افهامهم اذا دعتك داعية للانشاء
المصنوع هذا وانفع ما اراه ينبغي لك ان تتخذه دليلا يرشدك الى كل وجه جميل من وجوه
الفنون التي تحاول فيها ان تكتب الكتابة الصناعية المناسبة لوقتك الذي تأمل
ان تعيش في رضا أهله عنك واعتر افهم بظهور ما يعود منك عليهم نفعه منشآة الامير
الجليل صاحب الوقت الذي لو تقدم به الزمان لكان له بديعان ولم ينفرد بهذا اللقب

علامة

علامة همذان عبد الله فكري بك أطاب الله أيامه وأعلى كما نرجوه منه تعالى حيث كان مقامه فما أبه صدرت ما أنقله لما اشتمل عليه من نصيحة الاخوان أن يذهبوا بأنفسهم مذاهب الافاضل ولا يقعدوا بها مقاعد كل وضيع خامل فيكونوا قد رضوا لها بالدون وأنزلوها منازل الهون ما كتب لبعض اخوانه جواب تحية وسؤال قال كتبت والذهن فاتر من وهن الدفاتر والتبييض والتسويد والتقييد والتسديد والتقييد والتشديد والترجمة وكثرتها والهمة وفترتها والماهية وقلتها والنفس وذلتها ورانبي لا يكفي أجرة البيت ولا بفي ثمن الماء والزيت وبالامس وعد الوكيل بالزيادة واعتذر اليوم بالاصيل على العادة على انه لو حصلت زيادة فلزيد وعمرو الى آخر الزمن ولله الامر احوال متبددة ونفوس متبلدة وأشغال متعددة واخوان خوان وخلان غيلان ورفاق وما أجل الفراق وقلت

الى م أعاني الصبر والدهر غادر * وحتى متى أشكو ومالي عاذر
ولو أنني أشكو عظائم شدتي * لما رقت لي العظام النواخر

وسألت عن فلان وفلان وهيان بن بيان ممن ينتسب للعلم وأهله ويتظاهر بشعار فضله ولو كان العلم بلحية تعظم وتطول وشوارب تحف وتستأصل وعيون على ما بها من غمص ورمص تكحل وعمامة تعظم حتى ترذل وطيلسان يلف ويسدل وكم يوسع ويسبل وأحاديث خرافة تقص وتنقل ومحفظة تفعم وتثقل وسواك يظهر من العمامة نصفه وكتاب يخرج من الجيب طرفه ثم بتشدق في الكلام وتبالـه في المرام وتعسف في الافهام وحرص على الحطام ثم يقول الانسان حضرت درس فلان وسمعت من لفظه باللسان وقضيت في العلم كذا سنة من الزمان فهم اعلم من أقلته الغبراء وافقه من اظلته الخضراء وان كان للعلم غير هذه الآلات فما لهم سوى هذه الحالات غاية الأمر انهم قضوا أرذل العمر في كتب معدودة وشروح موجودة وهم يكررونها ولا يدرونها ويقررونها ولا يحررونها ويتداولونها ولا يتعقلونها ولو صرف جاري هذا العمر فيها لاصبح فقيها وأضحى نبيها والذي يظهر بينهم وشينهم وعلامة ما بيننا وبينهم ان يؤمر احدهم برقعة تكتب لحاجة معهودة ويمتحن بكتاب غير هذه الكتب المعدودة فيه بعض كلام العرب واشعارها وشئ

من وقائعها وأخبارها فان كتب فصيحا وقرأ صحيحا وفهم مليحا عرفنا انه شم عرف العلم وذاق طعم الفهم وسلمنا اليهم ما يدّعون وتركناهم ما يأتون وما يدعون وان ارتبك الرقبة ووقف حمار الشيخ في العقبة عرفنا حاله وقلنا له

ايها المدعي سليمى سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر

انما انت من سليمى كواو * ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

وقد مررت بالامس على احدهم في الدرس يقرأ القطر لابن هشام ويلحن لحن العوام ومررت بآخر يدرس الكافي في علمي العروض والقوافي يقرر قوله

قف على دارهم وابكين * بين اطلالها والدمن

فلا وربك ما أقام له وزنا ولا عرف له معنى مع سهولة مبناه وظهور معناه فخطمه حطم الهشيم ومزقه تمزيق الاديم فقلت سبحانك اللهم كأن الشاعر عناني بهذا الكلام وعلم اني اقوم هذا المقام فامرني بالبكاء على العلم والدروس وما جرى على معاهده من دروس ياقوم اهذا النحو واعرابه والصرف وابوابه والعروض واوزانه وابحره والمعاني وانشاؤه وخبره والبيان وفرائده والبديع وشواهده وهذه العلوم الموضوعة والاسفار المحمولة والدروس المأهولة والاصوات المهولة لمجرد معرفة ضرب زيد وعمرو وقتال خالد لبكر وأن قال اصلها قول ثم لا يدري ما حصل والطويل من فعولن مفاعيل ثم لا يعلم كيف ينظم والفصل والوصل ولا اصل ولا فصل والحقيقة والمجاز وليس لهما مجاز والتورية والجناس مما يحفظ ولا يقاس اذا والله تكون تلك الفنون من افانين الجنون ويكون الميل اليها والاقبال عليها عملا حابطا وشغلا ساقطا وهوسا عاطلا ووسواسا باطلا ويكون واضعوها اساؤا الناس واخطؤا القياس وبنوا على غير اساس كلا انما وضعوا هذه القواعد وشرعوا للناس تلك الموارد ليتكلموا بكلام العرب مثل ما تكلمت ويفهموا من الفاظها كالذي فهمت ويترجموا عن سرائر الضمائر كما ترجمت وينثروا وينظموا كما نثرت ونظمت وقد كانت هذه العرب التي اودع الله الفصاحة لسانها وشرف بسيدنا النبي والقرآن العربي مكانها تتكلم بهذه اللغة العلية على الفطرة الاصلية والسجية الجبلية من غير هذه القواعد والاصول

وتلك

وتلك الابواب والفصول وكانت تمتد البلاغة مبلغ علاها وتعقد الفصاحة من محاسن حلاها ثم بعث الله تعالى نبيه الاكرم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم افصحها لسانا واوضحها بيانا وانزل عليه قرآنا فى اعلى درجات البلاغة وارقى طبقات البراعة فى حسن الصياغة فاهتدوا بقرآنه واقتدوا ببيانه فازدادوا بسطة فى اللسن وتوسعا فى البيان الحسن الى ان اختلطت أنسابهم وتقطعت اسبابهم وانقرضت دولتهم وانقضت مدتهم واختلت السنتهم وخلت امكنتهم وخيف ان تذهب معهم هذه اللغة المنيفة التى هى مدار الشريعة الشريفة وخير لغة العالم وابرع لسان تكلمت به بنوا آدم فقيض الله لحفظها الائمة الاعلام هداة الانام ورعاة الاسلام فرتبوا قواعدها وشذوا اسواعدها وصنفوا تلك الفنون العديدة والفوا هذه الكتب المفيدة لتسهيل الارب من لغة العرب والتكلم بلسانهم على بعد أزمانهم ومجاراتهم فى بيانهم على سعة ميدانهم والتفنن فى اساليب الكلام وصوغه على حسب مقتضى المقام واستمر العمل على ذلك بين الانام وتداولت عليه الايام والاعوام الى ان خلف هذا الخلف الملوم والخلق المذموم والجيل المشؤم فظنوا تلك الوسائل مقاصد ليس بعدها غاية لقاصد وحسبوا هذه الكتب تقصد لذاتها ويكتفى بالتعبد بكلماتها فوقفوا عندها ولم يتجاوزوها الى ما بعدها واتخذوا الادب وراءهم ظهريا وجعلوا النظم والنثر شيأ فريا فاذا كتب احدهم رقعة لحاجة ارادها او ابتلى بكتاب غير هذه التى اعتادها فلا تسل عن الغلط الواضح واللحن الفاضح والذهن الغائب والفهم العائب فان وقفته على غلطه وعرفته بعض سقطه قال ما نحن من اهل ذلك الشان ولا خيل هذا الرهان انما نحن لفهم الكراس لا يسبقنا احد من الناس فيا أنعام الانام ويا آلام اللئام اى فائدة اذا لكراس غير وجع الراس واى معنى لتلك العلوم غير سعة الحلقوم وماذا ينفع الاعراب من لا يعرب عن المرام وماذا يصنع بالصرف من لا يتصرف فى أساليب الكلام وماذا يغنى العروض عن قوم لا يشعرون والمعانى والبيان من قوم لا ينظمون ولا ينثرون وقد زارنى احدهم فى الديوان لبعض شانه واعطانى رقعة كتبها لحاجة بخط بنانه فاذا رقعته أنموذج الرقاعة وتمثال الشناعة

ومجموع البلاغة وينبوع البلاغة والفصاحة وها هي واصلة طي كتابي اليك لتكون
على ما قلت حجة وبينة لديك فقد عرفت قدر تظاهر هذا الرجل بالعلم وتفاخره
بحدة الذهن وجودة الفهم وسترى ما به من زلل وخطأ وخطل ولفظ بارد ومعنى ٢
جامد وتركيب فاسد ورسم خامد وقد كان في يدي معاهد التنصيص شرح
شواهد التلخيص فناولته بعض ورقاته وسألته في فهم بعض محلاته لا جهلا
بأمره ولكن اظهار العجزه وبجره ثم جهدت به أن يكتب ما فهمه بعد ان مدحت
له ما توهمه وكنت أريد ان أتحفك بغرائب انظاره ووساوس أفكاره لتعلم أي
اطفال في ثياب رجال وأي حمير ركب البغال الا انه لم يسمح بكتابة ما قال وفي
رقعته كفاية فهي في الدلالة على حاله غاية اما فلان وأترابه وفلان وأضرابه فهم
أعجوبة الايام وأحدوثة الانام احوال متناقضة وافعال متعارضة فكبر
وفقر وعجز وفخر وانف في السماء واست في الماء وحال تحت التراب ونفس
فوق السحاب ان صدقتهم كذبوا وان أرضيتهم غضبوا وان تباعدت عنهم لاموا
وعذلوا وان تقربت منهم شتموا وملوا كلاب في جلود أسود وجوه بيض وقلوب
سود صغيرة السيئة عندهم كبيرة وكبيرة الحسنة لديهم صغيرة عيون منتقدة ٣
وقلوب متقدة والسنة حداد وافئدة شداد وأجسام صحيحة وقلوب مريضة وجهل
طويل ودعاوى عريضة النصح لديهم خيانة والسوء عندهم ديانة وقد بذلت
في مرضاتهم جهدي واجتنيتهم مري وشهدي وقابلتهم باللطف والعنف وعاملتهم
بالنكر والعرف فلا وابيك ما زادوا الا نفورا وعتوا ونفورا ومكرا وشرورا
وكبرا وغرورا ولو وقفت عليهم ليلتي ويومي وهجرت لديهم راحتي ونومي وفديتهم
بعشيرتي وقومي ثم اطعمتهم من جسمي وآثرتهم من العافية بقسمي لما بلغت من
نفوسهم رضاها ولا أديت من حقوقهم على زعمهم مقتضاها بل ولو صاحبهم جبريل
وخاطبهم بالتنزيل وأهداهم الجنة في منديل وأنزل الشمس اليهم في قنديل ونظم
لهم النجوم عقودا وشق لهم من المجرة برودا وصير الانس والجن لهم عبيدا وجعل
الملائكة لهم بعد ذلك جنودا وأطلعهم على غيب السماء والارض وخبرهم بما كان
وما يكون الى يوم العرض لما اصبح عندهم الا مذموما ولا أمسى لديهم الا ملوما

ولكن

ولكان منسوبا بالقصور والتقصير والاخلال بالقليل والكثير قوم هذه طباعهم وتلك اوضاعهم من ذا يرضيهم بحال ولو فعل لهم المحال أما فلان وما أدراك فهو شرك الأشراك وعار العرب والاتراك وفضيحة الزمان وخزى الكون والمكان صورة كثيفة وسيرة أنتن من الجيفة

و وجه لو رميت به لكلب * على جوع لعاف الكلب أكله

وأخلاق أسمج من السماجة وعقل اضل من الدجاجة وكلام على الراس أشد من قلع الاضراس اذا مجته الآذان تقيأته الأذهان فهو ذنوب الذنوب وعيبة العيوب وقذى النواظر وأذى الخواطر وبلية النفس وآفة الأنس وشر الجن والانس وهو من قوم تقدموا بأعجازهم لا باعجازهم و بقيادتهم لا بسادتهم وبالشمول لا بالشمائل وبالفضول لا بالفضائل فلا نعم الله بالهم ولا بلغهم آمالهم فليسوا للنعمة أهلا ولا للكرامة محلا

نعم الله لا تعاب ولكن * ربما استقبحت على أقوام

لا يليق الغنى بوجه فلان * لا ولا نور بهجة الاسلام

وسخ الثوب والعمامة والبر * ذون والوجه والقفا والغلام

وقد طال الكلام في هؤلاء الطغام واني لمأسوف على زمن قطعته بانبائهم وقرطاس دنسته باسمائهم وما كنت لاريد ان اطيل القول في فصول هذا الفضول ولكن حديث الأفاعي يطول وقد نذرت للرحمن صوما فلن أذكرهم بعد هذا يوما فهل أطارحك ذكر الوداد وأبثك شكوى ما في الفؤاد من لاعج البعاد فعندي لك من الود والشوق والوجد ما ملأ الجوانح وملك الجوارح فلا يبليه البعد ولا ينسيه طول العهد فالله يديم حسن رعايتك و يسعدني بما يسر من ناحيتك ويتم نعمته عليك بالدوام ويبلغك غايات المرام

(وكتب الى امام مسقط من طرف الحضرة الخديوية)

ما روضة سحبت عليها السحائب ذيول مطارفها وخلعت عليها من خلع الربيع محاسن طرائفها فظلت تثني عليها أدواحها بما استودعته أرواح النسيم حين مرت بليلة الاذيال عاطرة الشميم بأحسن ولا ابهى ولا ألطف ولا أشهى من تحية

بهية تعلت لطفها انسمات الشمائل واثنية سنية استفادت من حسن تلك الشمائل وتساميات زهية يتلألأ في ارجاء المودة سناها ويتفيؤ في انحاء الافئدة ظلال مناها تقدم وتبدى وتتحف وتهدى الى حضرة ذروة المجد الشامخ وتاج هامة السعد والشرف الباذخ حسنة الدنيا وحلية المجد واعليا بدر المفاخر الذى اضاءت به نواحيها ومنار المآثر الذى اهتدى به ساريها رب الهمم العوالى وسايل الأكارم الاعالى وبهجة الايام والليالى وزينة المحامد والمعالى حرس الله بهجته وأدام بهجته وحمى حماه ورعى رعاياه ولازالت ثغور الآمال بوجوده بواسم ورياح الاقبال بوفوده نواسم

وبعد فقد وصل الى كتابكم الكريم وتلقيته بما ينبغى له من التكريم فملأ العين قرة والقلب مسرة والنفس ارتياحا والصدر انشراحا واجتليت منه روضة بلاغة أزهرت نجومها وسماء فصاحة اسفرت نجومها واغتنمت من براعات عباراته الفائقة مزيد المسرات بما ابتديته من حسن الميل الى وبديع الالتفات وشكرت المولى العظيم على صحة ذلك المزاج الكريم وهذا المحب فى صحة وعافية ونعمة من الله وافية فنسأله ونبتهل اليه سبحانه أن يديم علينا وعليكم احسانه آمين

(وكتب صورة مقالة تقدم من أهل الصعيد لولى النعم)

يا مالك الملكوت ورب العظمة والجبروت نحمدك على سوابق نعمائك وسوابغ آلائك ونصلى ونسلم على خير أنبيائك وواسطة عقد أصفيائك ونشكرك على ما الهمته حضرة أمير المؤمنين وخليفة رسولك الامين وظلك الممدود على مفارق العالمين من تحويل وراثة مصر الى نسل عزيزها الافخم وتخويل اهلها بهذه المنة الكبرى جلائل النعم والفضل الاعم وهذا شئ طالما لهجت به ألسنتنا وامتدت الى أنظاره أعيننا واشتغلت به خواطرنا واشتملت عليه سرائرنا فدلت عليه ظواهرنا وما ذاك الا من فرط حبنا لاوطاننا السعيدة وولى أمرها وعلمنا بما يترتب على تلك البغية الحميدة لهذه الديار من اتساع خيرها وامتناع ضيرها وارتفاع قدرها واستكمال أسباب غناها وفخرها وتماديها فى التقدم والتمكن وترقيها فى درجات حسن التمدن ومعمورية بلدانها ورفاهية سكانها الى غير ذلك من ثمرات نافعة

ومحاسن

ومحاسن بارعة نرى العز بأدام الله بقاءه وخلد في ملكه ابناءه لايزال آخذا في أسبابها متوصلا اليها من خير بابها ولعل الله جلت حكمته وعلت كلمته مااختص هذا الجناب الخديوي بتلك المزية العالية بعدما تداولته على تمنيها الاعصر الخالية وشلت دون تعاطيها الأيدي المتناولة وقصرت عن ترجيها الهمم المتطاولة الالما جبل عليه جنابه الكريم وجعل حلية طبعه السليم من حب الخير والنفع للخاصة والعامة وبذل في تقدم هذه الاوطان مزيد الهمم التامة ونحن لوأردنا بيان مااستفدناه من السرور والحظ والحبور والانس والحضور لهذا الامر المبرور لوجدنا كل عبارة قاصرة عن المرام وكل براعة مقصرة عن ايفاء حق هذا المقام فنسألك اللهم لامير المؤمنين نصرا على العدا وملكا يبقى أبدا سرمدا ولا ينتهى الى مدا ونستوهبك لعزيزنا الاكرم وولى نعمتنا المعظم طول عمر يتمتع فيه بدوام اقباله مسرورا بنجاح أعماله وبلوغ آماله وصحة أنجاله ماتحلى الافق بحلية هلاله وتجلى البدر في حلة كماله

﴿ومما كتبه صورة فرمان بنصب محافظ﴾

صدر هذا الفرمان المطاع الواجب له القبول والاتباع خطابا الى الحكام والعلماء والقضاة والاعيان والوجوه والعمد ومشايخ البلدان وعموم الاهالي المتوطنين في محافظة كذا بجهات السودان ليكن معلوما لديكم بوصول هذا المنشور اليكم انه قد اقتضت ارادتنا تنصيب فلان محافظا عليكم لما توسمناه فيه من الدراية والاستعداد والسلوك في طرق الرشاد وبذل الهمة في أمور المصلحة ومزيد الاجتهاد فامتثلوا أوامره التي تصدر في صالح المصلحة واجتنبوا نواهيه واجتهدوا فيما يعود به عليكم مزيد العمارية لتنالوا احسن الرفاهية واعملوا بقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم لتفوزوا بزيادة التفاتنا اليكم ورضانا عنكم وأنت أيها المحافظ قد علمت مالدينا من الشغف باتساع دائرة المدنية وحصول الخير لجميع أهل هذه الديار الوطنية والميل الى دوام راحة العباد وتأمين السبل وتمدين البلاد فعليك برعاية مايلزم لذلك واسلك في إدارة اشغال هذه المحافظة احسن المسالك ودم على العدل والانصاف واحذر من الظلم والاجحاف وانظر الى قوله عليه السلام لامته

كأنكم راع وكل راع مسؤل عن رعيته ولتكن مهتما بتحصيل حقوق المصلحة في اوقاتها ورؤية جميع الاشغال على أحسن حالاتها ليدوم حسن أنظارنا عليك وتفوز بمزيد التفاتنا اليك اعلم ذلك واعمل به واحذر من مخالفة موجبه

(وما كتبه لبعضهم)

سلام يعبر عن الوداد طيب عبيره ويخبر عن إخلاص الفؤاد لطف تعبيره وثناء على محاسن تلك الشمائل أرق من نسمات الشمائل وتحية بهية تباهي الخمائل نفحات أورادها وأدعية مرضية جعلتها الالسنة خير اورادها وسؤال عن المزاج الزاهر وصحة الخاطر الباهر لازلتم محل نعمة يتصل على مدى الايام بقاؤها ويزيد على مر الشهور والاعوام بهاؤها ولا برحت ثغور اقبال اليكم بواسم ورياح الآمال لديكم نواسم ولا انفكت الايام والليالي متقلدة بحلا نعم اجيادها والمعالي متسابقة الى ساحة علاكم بجيادها آمين

وبعد فان بي من الاشواق ما تضعف عن حمله الى سماكم الاوراق ومن التأسف على ما حرمته من لقياكم والتلهف الى مطالعة أنوار محياكم ما يقصر عن وصفه لسان البراعة ويقصر دون وصفه بيان البراعة ويضيق عنه نطاق العبارة ولا يفسح له ميدان الاشارة وان في ضميركم الاجلى ونور فكركم الاعلى ما يكفي في الدلالة ويغني عن الاطالة في المقالة وان تفضلتم بالسؤال فانا بحمد الله قد بلغنا الآمال والجميع في صحة وعافية وحسن حال والكل مشتاقون اليكم ويسلمون عليكم وعبد الله فكري يقبل يديكم وأيضا

الشوق الى لقياكم واجتلاء نور محياكم تضعف عن نقله حمائم الرسائل ولا يحتاج في اثباته للحجج والدلائل فالله يطوي شقة البين ويقر بكم العين ويمتعني ببقائكم وطيب لقائكم وقد ورد خطكم الكريم فسر انفسا تعرفه وتألفه وأقر اعينا لا تزال ترقبه وتتشوفه وقد كان من خاطري وخطر افكاري ان أسابق سيدي ومولاي برسالة اشكو فيها لواعج البعاد وأقضي بها بعض الفروض الواجبة من حقوق الوداد ولكن أبى الله الا ان يكون سيدي هو السابق لتلك الفضيلة والبادئ بهذه المكرمة الجليلة وانا كون المقصر في جنب تطوله والمفرط في جانب تفضله على

اني

أنى لم أكن مقصراً في دعاء يصحبه الحب ويرافقه الاخلاص وثناء على محاسن تلك الشمائل اوجبه مزيد الاختصاص وسؤال عن ذلك الخاطر الزاهر أستقبل به كل وارد واشيع كل صادر والأمل اتصال ما يطمئن به الفؤاد من رسائل الوداد حتى ينقضي امد البعاد ذلك غاية المراد قوله في هذا الكتاب حمائم الرسائل يشير الى ما كان في سالف الزمان من استعمال الحمام في ايصال الكتب التي يراد سرعة وصولها الى الامكنة البعيدة وذلك ان الناس لما عرفوا في الحمام خاصة الألفة لموضعه واهتدائه له اذا ابعد عنه وعرفوا منه نوعاً قويت فيه تلك الخاصة رتبوا ابراجاً بين النواحي المتباعدة كمصر والشأم وبغداد واتخذوا لكل برج حماماً ربوه فيه حتى ألفه وكانوا ينقلون حمام كل برج الى ما يليه فاذا أرادوا أن يوصلوا الكتاب علقوه في جناحه وارسلوه فيتلقاه الموظفون لاخذ الكتب منه عند وصوله الى برجه ويعلقونه في جناح حمام البرج الآخر وهكذا فكان يصل الكتاب الى المقصد في زمن لا يمكن للبريد وكان للحمام ديوان له رؤساء وخدم وكان من المصالح المهمة وأغنى عنه وعن غيره في زماننا هذا ذلك السلك الممدود على ذلك الخشب المنصوب الذي صار شبكة على الكرة الارضية

﴿وكتب لسلطان المغرب من الحضرة الخديوية جواباً عن كتاب﴾

قرة نواظر الدين والدنيا وغرة مفاخر الملك والعليا وبدر مطالع السعد المشرقة ازمانه بلألائه وذخر مجامع المجد المورقة أفنانه بآلائه القائم بأمر الدين الحنيف وحامي حمى الملك المنيف ماحي ظلم الظلم ومبدد صرامه ورافع لواء العدل ومجدد معالمه ذروة هامة الشرف الاسمى ومن تتباهى بحلاه النعوت والاسما الملك المعظم السلطان المفخم أمير المؤمنين بالديار المغربية دامت محفوفة بالرعاية الابدية محفوظة بالوقاية الأحدية ملحوظة بعين العناية الصمدية ولا برحت أعواد المنابر متباهية باسمه الكريم وأجياد المفاخر حالية بمجده القديم ولا زالت سدته الكريمة محل إجلال وتفخيم

سلام يستتبع مزيد التكريم ويستجمع صنوف التبجيل والتعظيم وأدعية بهية تتمسك باذيال الاجابة والقبول واثنية سنية تتمسك بانفحة الصبا والقبول يهدى لذلك المقام الارفع والحمى الاعلى الأعز الامنع أدامه الله مورد قبول وإقبال ومعهد فضل

والافضال ولازالت أنديته معمورة بالعز والتمكين وألويته منشورة بالنصر المبين
وبعد فقد حظيت بورود مشرفكم العالى وقرت بمطالعته عيون آمالى وشكرت
لما تفضلتم بابدائه وسررت بما تطولتم باهدائه واغتبطت بما تسكرمتم بحسن بيانه
من تأكيد الود القديم وتشييد بنيانه والتهنئة بما تجدد لدى من نعم الله تعالى على
فكان نزهة النواظر وبهجة الخواطر وبغية القرائح ومسرة الجوانح هذا وانى
مازلت اسمع أحاديث علاكم متصلة الاسناد فأطرب على السماع وأنشر من مدائح
محامدكم ما تتعطر به الافواه والاسماع واعتقد مودتكم غنيمة النفس ومناها
ومصافاتكم غاية الآمال ونهاية مداها فقد شاع من محاسن شمائلكم السامية وغرر
مزاياكم الكريمة وجلائل فضائلكم النامية وقيامكم بأمر الشريعة الشريفة واهتمامكم
بتأييد هذه الملة المنيفة ونشر أنواع العدل بين العباد والقيام على أقدام الاقدام
فى مناهج السداد ما تناقلته السمار فى اسمارها وسارت به الركبان فى أسفارها
وخلدته الأيام فى أسفارها وأنجلى الشمس الضاحية فى إسفارها حتى اصبحت
الليالى متباهية بعلاه حالية بحلاه وصار مصداق الحديث الوارد فى الطائفة القائمة
على أمر الله فابقاكم الله للاسلام ساعدا وعضدا وللدين قوة ومددا وللانام ٣
ركنا وسندا وللحق عمادا ومعتمدا وأدام عليكم وعلينا نعمه باطنة وظاهرة وحفظنا
واياكم بعونه وعنايته فى الدين والدنيا والآخرة

﴿وكتب لسلطان زنجبار﴾

الملك المعظم والسلطان المفخم سلطان جزيرة زنجبار صانها الله تعالى من الاكدار
سلام يسفر عن إخلاص المودة سناه وثناء يخبر عن صدق المحبة لفظه ومعناه وتحية
تتمسك بنفحاتها المحافل وتتمسك باذيالها النسمات الشمائل الى حضرة خلاصة
الاماجد الأكارم وينبوع الفضائل والمكارم مفخر الملك والعليا وانسان عين
الدين والدنيا من اشرقت صفحات الايام بنور إقباله واتفقت كلمات الانام على
شكر خلاله وقرت بسعوده النواظر وترنحت بوجوده اعواد المنابر فكأنها
الغصون النواضر الاجل الاكرم الاسعد الامجد الافخم المشار اليه أعلاه حرس
الله علاه ولازالت ثغور الملك بمعاليه باسمة ورياح السعد فى نواديه ناسمة وعيون

المطلوب

ن سدّته ناعمة وغيوث السرور في ساحته دائمة امين

صل الى مشرفكم الكريم وتلقيته بما ينبغي له من التكريم حصل لي

بصحة مزاج تلك الحضرة وأخبرني أيضا فلان قبودان سفينتنا الابراهيمية

الى جهة مملكتكم المحمية حظي من جنابكم العالي بحسن التشريف

باية المساعدة ونهاية التلطيف وشرح لدي ما ناله هناك من صنوف

لاسعاد وأوصل الي أيضا من طرفكم الشريف فرسين كريمتين من

لجياد فاحاط بي من السرور والابتهاج بما أبديتموه من معاليهمكم

كرمتم به من تشريف تلك السفينة بقدومكم ما يقصر في وصفه اللسان

ريقه بنان البيان ويضيق عنه نطاق التعبير ولا ينفسح له مجال

تحرير فشكر الله تلك الهمم العوالي وابقاها مادامت الايام والليالي

حمد الله في صحة وعافية ونعمة من الله تعالى وافية ولازال مشمول القلب

مشغول اللسان بالثناء عليكم محافظا على صدق الموالاة والوداد مواظبا

لمصافاة ومزيد الاتحاد والمرجو أن يتصل ذلك بين الطرفين على الدوام

هذا الجانب فهو رهين الاشارة والسلام

﴿ومما كتبه فرمان من الحضرة الخديوية﴾

لفرمان اللازم طاعته الواجب امتثاله ومتابعته خطابا الى كافة القضاة

لعاونين ونظار الاقسام وسائر المعاونين والمشايخ والعمد والمستخدمين

بدقدرهم ليكن معلوما لديكم بوصول أمرنا هذا اليكم اننا جعلنا

كم لما رأيناه فيه من الاهلية والصداقة وحسن الروية فامتثلوا

لاصول المرعية وبادروا باداء اشغال المديرية لتفوزوا بزيادة التفاتنا

لكم وقد علمتم قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر

أيها المدير المومااليه المعول في حسن ادارة هذه المديرية عليه قد

البر والسداد واتباع سبل الرشاد وعمارة البلاد وراحة العباد

والامان في جميع القرى والبلدان ومحبتنا العدل وأهله وكراهتنا

نعتنا برفاهية الرعية وحسن حال البرية الذين هم وديعة ذي الجلال

والاكرام في ايدي الولاة والحكام فاعمل انت أيضا على حسب ذلك سالكا في جميع احوالك أحسن المسالك واجتهد في حسن الادارة وتيسير امور الزراعة والصناعة والتجارة ومزيد التمدن والعمارة وتامين الطرق والجهات في جميع الحالات والأوقات وصيانة الاجانب المتوطنين في المديرية والمترددين عليها والاهالي المقيمين بها والواردين اليها وحسن تمشية القضايا وفصلها وتوصيل الحقوق الى أهلها وأداء الاشغال الميرية وإدارة أمور المديرية على حسب الاصول المعتبرة والقواعد المقررة ودم على الاستقامة والصداقة التامة والعدل بين الخاصة والعامة فان العدل سبب السلامة والظلم ظلمات يوم القيامة فقم على أقدام الاقدام وشمر عن ساعد الاهتمام في اجراء ما شرحناه على الدوام باذلا كل جهدك واستطاعتك كما هو المأمول في حسن براعتك لتنال زيادة التفاتنا اليك ودوام اقبالنا عليك وليسلك أيضا الجميع على هذا المنهج البديع وليسعوا في اجراء ما شرحنا ويساعدوا في انفاذ ما أوضحنا فيبادروا بامتثال هذا الواجب وليبلغ الحاضر منكم الغائب نسأل الله الاعانة والعناية وحسن الهداية في البداية والنهاية

﴿وكتب الى من بجزيرة كريد من العساكر المصرية﴾

﴿من طرف الجناب الخديوي ليقرأ عليهم﴾

لقد علم لدينا بما ورد الينا من جرنال الوقعات العسكرية وما أوضحه أيضا فلان باشا في معروضاته الشفاهية عما رآه بالعيان ورواه بالبيان تفصيل ما وقع من الحروب والغزوات في نواحي أبوقرون وما يليها من الجهات واحطنا بما ابديتم من الاقدام والشجاعة وما أديتم من الاهتمام والبراعة وما كان منكم من ثبات الجاش والقلب في مواقع الضرب ومعامع الحرب وما شاهدته منكم الاعين وشهدت لكم به الألسن من الهجوم على الجبال الوعرة واقتحام المحال العسرة واظهار البأس والصولة في تأييد الملة والدولة وتبديد من لقيتم من جنود العصاة البغاة وتسخير ما كانوا متمكنين به ومتحصنين فيه من المحلات وتبديد ما أحكموا من استحكاماتهم وتنديد من أقدموا من طغاتهم فاحاط بي من السرور وكمال الانس والحبور ومزيد

الحظ

الحظ الموفور ما ملأ الجوانح انشراحا والجوارح طربا وارتياحا واظهر حسن اعتقادى فى شجاعتكم القلبية وبراعتكم الحربية وغيرتكم الملية وحميتكم الجبلية وشفقتكم باعلاء شان الوطن وابقاء الذكر الجميل والصيت الحسن وأكد ذلك ماشهدت به الانام من سوالف الايام للعساكر المصرية وضباطها الجهادية من قدم الصدق فى الحروب وحسن السابقة فى الخطوب وثبات القدم والجنان اذا طاش قدم الهلوع وطار قلب الجبان فانهم خلدوا فى أوراق الليالى علاهم وقلدوا فى اعناق المعالى حلاهم بما لهم من الوقائع المشهورة والمواقف المشكورة وقوة الباس على الاعداء وشدة الصولة والبسالة فى مواقف الهيجاء وما بنوه من منار الفخر والمجد على أساس الشرف والمظهر وما اجتنوه من ثمرات النصر من ورق الحديد الاخضر وأنتم أولى بتشييد ما بنته اخوانكم الاول وتأييد ما شاع لهم من الفخر والشهرة عند جميع الدول ثم انكم اذا أمعنتم الفكر الثاقب وتبينتم النظر الصائب وتفكرتم فى أعقاب الامور ومصائرها وتدبرتم فى موارد الاحوال ومصادرها علمتم انكم اذا اثبتم ذلك الصيت الممدوح واكتسبتم بمشيئة الله تعالى النصر والفتوح كان لكم ذلك افتخارا بين أقرانكم وسرورا لاهلكم واخوانكم فان الاخبار تتناقلها الرواه وتتواصل بالمكاتبات والافواه ثم ليكن على بال منكم ولا يغب طرفة عين عنكم ان هذه البلاد التى انتم لديها والجبال والاودية التى أنتم عليها وحواليها كم سبق فيها من غزوة عظيمة ووقعة جسيمة ووقفة كريمة لاخوانكم الاولين من العساكر المصريين ابرزوا فيها شرف الراية العسكرية وأظهروا مآثر النجدة والحمية والغيرة الوطنية حتى سارت بحديث وقائعهم الركبان واثنى على محاسن بدائعهم كل لسان فما هناك من بقعة الا وفيها وقعة ولا من موطئ قدم الا وفيه اريق دم فمضى من استشهد منهم فائزا بالثواب والاجر وعاد من بقى حائزا للفخر والنصر وها أنتم من نسلهم واخوانهم ومن أبناء أوطانهم وأنتم خير خلف لاولئك السلف كان هؤلاء العصاة نسل من كان بها من اهاليها وهذه الجزيرة التى انتم بها هى بعينها التى كانوا فيها فمهما اقدمتم ونصرتم واقتحمتم وظفرتم كان ذلك لمن بقى هنالك من أرواح الشهداء روحا وريحانا وتكرمة واحسانا كما أنه يحصل لكم

فى جميع الآفاق شرفا وشانا ويمكن لكم بين الرفاق عزة ومكانا ويقيم لكم على الشجاعة والبراعة دليلا وبرهانا ثم انكم عند عودتكم بعون الله القوى المتين حاملين رايات الفتح المبين رافلين فى حلل النصر والتمكين يكون لكم ذلك شرفا سرمدا وافتخارا تحدثون به على المدى حتى اذا انعقدت عليكم المحافل واجتمع لديكم المستخبر والناقل كان لكم بذلك لسان ذلق وصوت صمصلق وتجدون حينئذ للبراعة مقالا وللفخر بالشجاعة مجالا وترون لاقوالكم من يصدقها ولاخباركم من يحققها وهذه لذة الرجال ومزية الابطال فهل للرجل فخر أعظم من هذا الحال وهل له فضل على المرأة الا باقدامه على الخطوب واقتحامه الاهوال وهل يميز الشجاع الصنديد من الجبان الرعيد الا فى مواقف القتال ومواقع الحرب والنزال وهل للعسكرى شرف يكتسبه الا بين البنادق والمدافع وهل له فخر يذكره أو يذكر به الا بما يبديه فى تلك الوقائع وهل لكريم الحر أرب فى الحياة الا فخر يقتنيه بصعب يرتقيه وذكر جميل يبقيه بأثر جليل يبديه فاذا العسكرى لم يكتسب الفخر فى مجال الحروب فأى فرصة يترقبها وأى حالة يتطلبها لاستحصال ذلك المرغوب وانى ما اخترتكم لهذا الامر العظيم الا لاعلاء شأن الوطن الكريم واعلان ما لكم من الصيت والفخر القديم لحسن اعتقادى فى صغيركم وكبيركم وحسن نظرى فى مأموركم وأميركم وقد لاح من مساعيكم تاييد ما أملته فيكم وظهرت بحمد الله بشائر النجاح وسمرت أشائر الظفر والفلاح وانما الاعمال بخواتيمها وثمرات الامور فى تتميمها ورجائى من منن الله العظيمة وألطافه العميمة ثم أملى فى طوياتكم السليمة ومساعيكم القويمة ان تكون العاقبة خيرا والختام حسنا وان تفوزوا بالأجر والثنا وان تدوموا على منهج السداد والاجتهاد فى الجهاد والقيام على أقدام الاقدام وبذل الجد والجهد والاهتمام حتى ينتهى الامر ويستكمل النصر ويزول اثر الاختلال وتستقر الاحوال وتعودوا ان شاء الله منصورين فرحين مسرورين مستبشرين بعناية الله العلية فى ظل السلطنة السنية واعلموا ان جميع أخباركم تنقل فى جرنال الوقعات فتعلم لدى احوالكم فى جميع الحركات والسكنات حتى كانى مقيم لديكم وحتى كانى أراكم وأنظر اليكم فكل من فاق اقرانه فى الحروب

وأبدى

وأبدى من الاقدام والحمية ماهو المطلوب فله مايسره من المكافآت وحسن التلطيف ومزيد الالتفات فاعلموا ذلك واعملوا على حسبه فى كل آن ومكان وأدوا من الاقدام والاهتمام غاية الاستطاعة ونهاية الامكان وقد اصدرت أمرى هذا اليكم اعلاما بما حواه ودستورا يعمل بمقتضاه واعلانا لمسرتى من حسن صنيعكم وإيذانا بفرحى وابتهاجى بجميعكم واستفسارا عن خواطركم وافتخارا بمفاخركم أمدكم الله بعنايته وعونه وجعلكم فى حرز رعايته وصونه وأدام توفيقى واياكم لما يرضاه والسلام عليكم ورحمة الله

﴿وكتب أيضا من الحضرة الخديوية الى من باشر واقعة﴾

﴿أرقازى من الضباط الجهادية وافراد العساكر المصرية﴾

سلام من الله وتسليم ورضوان كريم يهدى لاولكم وآخركم ويسدى لمأموركم وآمركم لازلتم محفوفين من الله بنصره محفوظين بامره غالبين على عدوكم بقهره منقلبين فى نعمته وبره ولا انفكت عزائمكم فى كروب الحروب عزائم وثغوركم فى قطوب الخطوب بواسم وأعلامكم للنجح والتمكين علائم وايامكم للفتح المبين مواسم ورياح القهر والدمار على عدوكم سمائم ونسمات النصر والفخار فى رواحكم وغدوكم نواسم

وبعد فمازلت اتشوق من اخبار شجاعتكم ما يسر الخواطر وأتشوف من آثار براعتكم مايقر النواظر واثقا بعزمكم وحزمكم فى المضايق مبتهجا بما ابديتموه من حسن السوابق حتى وردوا بورا الشرقية من طرف حضرة الباشا ناظر الجهادية بيوميات الوقائع العسكرية مشتملة على وقعة أرقازى وتفصيلاتها وماكان من رسوخ أقدامكم وثباتها وإقدامكم فى جهاتها واقتحامكم مضائق حصونها واستحكاماتها وتسخير مستعصماتها وتدمير اشقياء العصاة وكماتها حتى زلزلت صياصيها وذلت نواصيها ودنى لكم قاصيها ودان عاصيها فهكذا تكون رجال الجهاد وابطال الجدال والجلاد وهكذا تفتح الحصون ويبرز سر النصر المصون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون فقد اسفر لكم بحمد الله وجه التهانى وأثمر فيكم بعون الله غرس الامانى وأيدتم ماثبت للعساكر المصرية من حسن الشهرة فى الامور العسكرية فحصل لى من الانس

والسرور بهذه البشارة ما لم يقدر الانس أن تصف مقداره ولا يتسع له مجال الاشارة وتأيد فيكم حسن أنظاري وظهرت ثمرات أفكاري وتحققت انكم بعد الآن بعون الله الكريم لا تزلون عن هذا الطريق القويم ولا تزالون في تأييد ما لكم من المجد القديم وقد شاع حديث نصركم بين الاهل والديار وسارت الركبان بمحاسن هذه الاخبار كما نقلته صحف الوقائع الى جميع الاقطار فانشرحت صدور اهلكم واخوانكم وفرحت بكم جميع أهل بلدانكم وابتسمت ثغور أوطانكم وافتخرت باحاديث شجعانكم وارتاحت أرواح الشهداء من أقرانكم والمأمول في ألطاف الله العلية وبركات السلطنة السنية ثم في حميتكم المليئة وغيرتكم الوطنية ان يزول حال الاختلال عن قرب وينتهي أمر القتال والحرب ويطيع الجميع ويهل كل صعب منيع وتعودوا الى وطننا العزيز ظافرين بالتعزيز وقد قرب حصول الامل ونجاح العمل ومضى الاكثر وبقي الاقل والحرب للرجل العسكري والبطل الجري سوق عظيم وموسم كريم تشترى فيه غوالي المعالي باعلى العوالي وتنال فيه منازل الاكارم في ظل السيوف الصوارم ويدرك الفخر الصادق بمرامي المدافع والبنادق وقد علمتم أن الشجاعة وان كانت تبلغ الآمال لا تقصر الآجال كما ان الجبن وان كان يورث العار لا يؤخر الاعمار وانما هي آجال محدودة وأنفاس معدودة لا تقبل التغيير ولا التقديم والتأخير والشجاعة صبر ساعة ثم ينكشف الغبار وتسفر الاخبار ويتناقل حديث الشجعان ويخلد في تواريخ الزمان فداوموا على ابداء الاجتهاد وقوموا باداء حقوق الجهاد واثبتوا على الشجاعة والاقدام وثبات القلوب والاقدام وانجزوا بعونه الله تعالى هذا المرام وكما جودتم براعة المطلع احسنوا براعة الختام

﴿وكتب في أوائل عهد الجناب الخديوي عن حضرته الى ملك دارفور﴾

حمداً لمن ألف بين قلوب المؤمنين وجعلهم بنعمته اخواناً في الدين وصلاة وسلاماً على رسول جنابه وسيد أحبابه وعلى آله وأصحابه من كافل الديار المصرية وما والاها من الاقطار السودانية الى حضرة صفوف السيادة الاماجد الجامع ما تفرق من مكارم المحامد غرة جبين الشرف الاجلي وقرة عين المجد الاعلى بحر الفضل

الزاخر

الزاهر وبدر سماء المحاسن والمفاخر وفخر الاوائل والاواخر الملك المعظم السلطان المفخم محمد بن الحسين المهدى سلطان مملكة دارفور حفظه الله بدوام السرور والسعد الموفور آمين

بعد سلام ينبئ عن صريح الوداد ويخبر عما فى صميم الفؤاد من صحيح المحبة والاتحاد وتحية يحلو على الالسن حسن تكريرها ويعبر عن صدق الولاء طيب عبيرها وشوق يقل عنه البيان ويكل دونه البنان وسؤال عن الخاطر العالى أدام الله معاليه وحف بطوالع السعود أيامه ولياليه بينما نحن فى انتظار ما يرد من الرسائل والثناء على حسن تلك الشمائل ورد لنا خطابكم الكريم فقابلناه بمزيد التعظيم وسررنا بحسن صحتكم وما أبديتموه من لطف مودتكم فالله يرعى تلك الصحة و يحفظها ويديم هذه المحبة ويحفظها وقد اوضحتم أن سلفنا السعيد المنتقل الى رحمة ربه المجيد ضاعف الله حسناته وأحله أعالى جناته كان قد جعل فلانا وكيلا فى رؤية اموركم البهية على منهج السداد ونحن أيضا قررناه فى هذه الوظيفة وأوصيناه بالاهتمام فيما يتعلق بتلك الحضرة الشريفة وسيجد منا فى ذلك حسن المساعدة ودوام التسهيل والمعاضدة ثم ما تكرمتم بارساله مع كريم خطابكم على يد القاصدين الواردين من عالى جنابكم قوبل بقبوله عند وصوله والمبعوث مع القاصدين المذكورين لناديكم الكريم ما هو موضح فى البطاقة المطوية مع هذا الرقيم والمرجو ان تتصل بيننا روابط الود على الدوام كما جمعتنا علاقة الاخوة فى الاسلام وصلى الله على سيدنا محمد بدر التمام وعلى آله وأصحابه الاعلام غيوث الافضال وغايات الكمال

ومما ينبغى ان لا تقصر العناية به عن العناية بمقابلة هذه المداعبات والمفاكهات الجارية بين الاخوان لما فيها من تأكيد الود و بسط النفوس واطراح مؤنة التحفظ كما قيل

فى انقباض وحشمة فاذا * لاقيت اهل الوفاء والكرم

ارسلت نفسى على سجيتها * وقلت ما قلت غير محتشم

وتمثيل ذلك ما صدر عن هذا الامير على لسان بعض اعيان تجار الوقت يخاطب أحد الامراء وهو هذا

المعروض على ساحة سيدى الامير لا زالت عيون الاقبال لجاهه نواظر ورياض

الآمال بنداه نواضر ونسائم البشائر بطيب أخباره خواطر ومصائب المفاخر بحسن آثاره مواطر انى وان كنت من قديم الزمان خليع العنان أجرى مع ابى مرة شريكى عنان وفرسى رهان لاأرى صهوة خلاعة الا كنت راكبها ولا ذروة رقاعة الا تسنمت غاربها ولا مورد لذة الا استطبت مشاربها ولا داعية شهوة الا قضيت مآربها ولا سوق فسوق الا كنت كمقيها ولا حانة مجانة الاحزت أوفر نصيبها ولا غاية عماية الا كنت لها من السابقين المقدمين ولا راية غواية الا تلقيتها باليسار وباليمين اى تفوقا على عرابة الذى يقول مادحه

رأيت عرابة الاوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجــــد * تلقاها عرابة باليمـــين

اذا سمعوا داعى الفلاح قلت حى على الراح واذا قاموا الى الصلاة والصلاح قمت للاقداح فى اكم الملاح فاذكر الفرح الاذكرت ولا حمر القدح الا سكرت ولا ورد الطرب الا وردت ولا شهد الخير الا شردت فلولا أن ابليس وهو امام الخلاعة ورئيس الجماعة فى هذه الصناعة وعد بالخلود وانظر الى اليوم الموعود لجعلنى من بعده وصيا كما اتخذنى صفيا وكان لى وفيا وبى حفيا بل لو انصف وخالف هواه وترك الكبر وهو أول بلواه لاتخذنى له معلما وقام بين يدى متعلما

اذا علمته من اصل صنعته * مالم يكن قط يأتيه على بال

هذا من الطف انواع الحل وأدقها وكنت عزمت على ايراد امثلة له ولكن اكتفيت بالاشارة وفيها للبيب غنى فان هذا الكلام مختلس معناه اختلاسا أدبيا صناعيا من قول بعض السلف

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى * بى الحال حتى صار ابليس من جندى
فلو مات قبلى كنت أحدث بعده * طرائق فسق ليس يحسنها بعدى

ومن أراد استيفاء الاطلاع على انواع الحل والاستعانة ببسط معانى الآية والحديث والشعر فلابن الاثير فى ذلك رسالة اورد فيها تلك الانواع من انشائه وهى موجودة بدار الكتب الكبيرة رجع القول ولكننى الآن قد تنسكت فمن تنسك وتمسكت بطيب اذيال التقى فمن تمسك

وقلت

وقلت للقلب كف وارجع * واحذر من النار ان تمسك

فأنا الآن باسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله بين خشوع وخضوع وسجود وركوع وصلاة وصلاح ونجاح وفلاح واوراد وأذكار وبركات وأسرار لا اعنى اسرار الشيرة فقد تركت هذه العشيرة وانما هى أسرار الانفاس وإن كانت هذه أيضا لا تخلو عن إلباس والحاصل أنى لزمت الخير والتقوى وتمسكت من طاعة الله بالسبب الأقوى فمن رآى الآن صلاح شانى لم يشك ان أبا نواس انما قال عن لسانى

ارعوى باطلى وأقصر جهلى * وتبدلت عفة وزهادة

لو ترانى ذكرت بى الحسن البصرى فى حال نسكه أو قتادة

من خشوع قرنته بنحول * واصفرار مثل اصفرار الجرادة

التسابيح فى ذراعى والمصحف فى لبتى مكان القلادة

فاذا شئت ان ترى طرفة تعجب منها مليحة مستفادة

فادع بى لا عدمت تقويم مثلى * وتفطن لموضع السجادة

تر إثر امن الصلاة بوجهى * توقن النفس أنها من عباده

لو يراها بعض المرائين يوما * لاشتراها يعدها للشهاده

خاطب الحسن بن هانئ أبو نواس بهذه الابيات الفضل بن الربيع الوزير وكان حبسه يستتيبه رجع فهذه الآن حالى وان كانت تستغرب على أمثالى ترى على سيما الابرار وعلائم المتقين الأخيار السبحة فى كلتا يدى والسواك خلف أذنى وزبيبة الصلاة بين عينى والدراويش حوالى ووجهى من نور العبادة كانما دهن بالزيت وأنا من البيت الى الجامع ومن الجامع الى البيت أقوم الليالى الى الاسحار فى ذكر واستغفار وأطوف بالنهار على مقامات آل البيت الأطهار ليسعف الله رجائى ويقبل صالح دعائى فى حسن عودتكم سالمين مع الموكب الشريف رافلين فى ظل الاقبال والسعادة والتشريف فهذا غاية المسؤل ونهاية المأمول

وما صدر عن السيد الشيخ الفاضل الجليل على أبى النصر واتفق انه كان بالسامع بعض اصحابه على دكان فورد عليهم كتاب سلام من صاحب لهم غائب وكان عند سفره الى طنطتاه استعار برذعة ولجاما فكتب الشيخ جواب ذلك الكتاب وهو هذا

سلام ألذمن أكل البرسيم وتحية ألطف من الزبة عند البهيم وأشواق ربيعية ومحبة دائما غليظية الى صاحب الطبيعة الشاخرة الناخرة معدن الانقاط المتكلم فى القساط من يعمل للسماك المفرودوالمثنى احد اخوانه الشيخ على الحسنى بلغه الله من الريف أمله ورده الى المحروسة على عجله آمين آمين بجاه درب التراسين موضع بخور بتلك الناحية كدرب القمر

أما بعد فقد ورد عزيز جوابكم الشريف المشتمل على أنواع التضريف فعلمنا انكم من حظ الفلاحين فى قرار مكين فحمدنا الله على ذلك وسألناه أن يفتح لكم أوسع المسالك ومن عندنا جميع الاخوان بشبرا الى غفلتكم باطراف البنان سيما أخيكم على رضوان الشائب بعد غيبتكم عن اليونان لقب للحشيشة اصطلحوا عليه وكذا سيدى مصطفى السيوفى فهو يخلع عليكم نصف قياس منوفى وكذا سيدى محمد عربية قد أمر لكم ببوظة الداودية وكذا سيدى خضر شويش فقد برر لكم فى دكاكين الحشيش ومن خصوص البرذعة واللجام فقد رأينا كم لابسيهما فى المنام فحصل عندنا وسوسة شيطانية وعجبنا فى طبيعتكم الحمارية ونسأل الله القريب المجيب أن يعيدكم الى المحروسة عن قريب أذكرا بها الطالب قول الطغرائى

حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت * بشدة البأس منه رقة الغزل

وقول البحترى

الجد شيمته وفيه فكاهة * سمح ولا جد لمن لم يلعب

ولنعد لنقل شىء من جديات ذلك الامير فمن ذلك (ما كتبه من بعض الامراء الى الشيخ العروسى شيخ الجامع الازهر رحمه الله)

أهدى من التحية أسناها ومن الاثنية حسناها الى حضرة شمس سماء المعارف وظل الفضل الوارف بحر الكمال وينبوعه ومفرد المجد ومجموعه مقتدى الانام وشيخ مشايخ الاسلام أطال الله بقاء حضرته وسرنا بأخبار صحته آمين

وبعد لثم راحاتكم والتماس بركات دعواتكم أنهى لحضرتكم البهية انى لما تشرفت بالمثول لدى الحضرة السنية الخديوية قمت عن جنابكم مقام الاعتذار عن الحضور والتهنئة بما يسره الله من هذا الحبور فقوبل ذلك بما هو المأمول من

حسن

حسن الاقبال والقبول وظهر من الجناب العالى التأسف على توعك مزاج حضرتكم والدعاء الى الله تعالى بتعجيل شفائكم وصحتكم وقال أرجو من الألطاف الالهية والمكارم الربانية أنى عند وصولى لمصر المحمية يكون قد زال عن حضرة الاستاذ ماعرض من المرض وحصل من مزيد العافية والصحة على الغرض فاحظى بلقائه واسر بشفائه فبادرت بترقيمه اشعارا بذلك لحضرتكم واستفسارا عن حال صحتكم ودمتم فى مسرة وحسن حال حلية لاجياد المعالى وتاجا لهامة الكمال (وكتب)

مولانا الاعز الاكرم المعظم المفخم حفظه الله

اهدى بديع سلام تتكفل بشرح تلخيص المحبة مبانيه وتتضمن بيان مطول الوجد والمودة معانيه وأشواقا يقل البيان عند تبيان أطولها ويكل البنان عن ايضاح مفصلها ومجملها مع دعاء يحلو اطنابه وايجازه وينتهى بفضل الله الى حقيقة الاجابة مجازه

وبعد فان الداعى قد شرع منذ مدة من الأيام فى كتابة شرح الاطول على التلخيص للفاضل العصام غير ان النسخة التى عثرنا عليها ووصلت يد الافكار اليها رأيناها قد هدم التحريف معمور ابياتها وأطفأ التصحيف نور مشكاتها بحيث لا يجد الذهن لباب فهمها مفتاحا ولا يرى السارى فى دياجى غلطاتها مصباحا يقول رائيها حين يجد معاهدها تغيرت وبدا عليها الدثور هذه دراهم أقفرت أم زبور محتها الدهور وقد اخبرنا غير واحد ان عندكم نسخة صحيحة من مخلفات حضرة الاستاذ الوالد فالمأمول من همتكم والمسؤل من حضرتكم التكرم بارسال تغييرة من أول الكتاب المذكور ليكون لكم بذلك جزيل الثواب والاجور على يد اخينا الشيخ فلان حامل هذه التذكره اسبغ الله عليكم من الاحسان أتمه وأوفره (وكتب)

سلام يسفر عن خالص الوداد ويخبر عما فى الفؤاد من كمال المحبة والاتحاد الى فرع الدوحة العلية المحمدية وثمرة الشجرة المباركة النبوية سلالة الاشراف السادة وصفوة أهل المجد والسيادة حفظ الله حضرته وأدام بهجته ومسرته آمين

وبعد فان الاطناب فى وصف تشوقى الى حضرة السيد أدام الله علاه وزان جيد المعالى بحلاه من قبيل تحصيل الحاصل وتوضيح الواضح بغير طائل فحسبى أن أكتفى

فى هذا الشأن بشهادة ذلك الضمير المنير فانه ينظر بنور الله تعالى مايضيق عنه نطاق التعبير وبينما هذا المحب مشغول اللسان بالثناء على تلك الحضرة مشغوف الجنان بما يرد من اخبار المسرة وردت مكاتبة سيادتكم فشكرت المولى على صحة سعادتكم وعلمت تفضلكم علينا بالدعوات الخيرية فى تلك الاماكن العلية وهذه منة جليلة يجب شكرها ومنحة جزيلة لا يجهل قدرها ولا بدع فانكم بضعة النبوة ومعدن الكرم والفتوة بكم تستمطر سحائب البركات وتستفتح أبواب الخيرات وبجدكم يتشفع فى يوم المحشر وبأسلافكم الاماجد يستسقى من الكوثر فلا عدمنا تلك الاخلاق العلية ولا حرمنا هذه المكارم الهاشمية ثم انى ببركة دعواتكم احمد الله على الصحة والسلامة وأسأله ان يديم علينا وعليكم انعامه وقد بادرت تحرير خطابى هذا وأنا احمده على وصوله لذلك النادى المبارك قبلى وأود لو أنى أكون مكانه لاقضى من مشاهدة ذلك المحيا أملى وغاية رجائى ان لا تنسونا من عوائدكم من الادعية الصالحة وتلاوة الفاتحة بين يدى حضرة سيد الانبياء المكرمين والرحمة العامة للعالمين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وجميع المنتمين اليه ثم فى باقى ماتترددون عليه من الاماكن الطاهرة والمواطن المشرفة الباهرة التى لا يتكلف الثريا الالثم ترابها ولا ينحنى ظهر الهلال الا لتقبيل أعتابها وكل مايلزم لحضرتكم من هذا الطرف رهين الاشارة والاعلام ومنى لناديكم الشريف مزيد التحية والسلام

﴿وكتب من الجناب الخديوى ايام نيابته عن عمه المرحوم سعيد باشا صورة فرمان﴾

صدر هذا الفرمان الواجب طاعته اللازم امتثاله ومتابعته خطابا الى كافة القضاة والحكام والعلماء الاعلام والمشايخ والعمد بالاقطار السودانية من الحكومة العلية المصرية ليكن معلوما لديكم بوصول هذا اليكم انه قد اقتضت الارادة السنية الخديوية بنصب فلان حكمدارا على عموم الاقاليم السودانية لما هو معلوم فيه من الصداقة والاهلية وحسن الروية والادارة السياسية فينبغى ان تطيعوا احكامه وتقابلوا بالسمع والطاعة كلامه وتنفذوا الاوامر ونواهيه وتمتثلوا لما يبديه مما يوافق الاوامر العلية والاصول والقوانين المرعية وبادروا باداء كافة المطاليب الميرية فى اوانها وعدم تاخيرها عن اوقاتها لتفوزوا بزيادة الرضا عليكم وحسن النظر

النظر والالتفات اليكم وانت ايها الكدار عليك باتباع التقوى فانها لحصول كل خير هي السبب الاقوى وعامل الناس بالعدل والانصاف واجتنب الجور والاعتساف واستعمل الرشد والسداد وابذل غاية الاجتهاد في معمورية البلاد ورفاهية العباد ونجاز الاشغال الميرية وحسن إدارة الكدارية ورؤية جميع المصالح على مقتضى الاوامر والاصول والقوانين واللوائح والاعتناء براحة البرية وحسن سياسة الرعية فان الخلق في أيدي الحكام وديعة الله سبحانه فمن أكرمهم أكرمه ومن أهانهم أهانه فاعلم ذلك واتبع احسن المسالك لتفوز بحسن حالك ومآلك وبلوغ غاية آمالك تحريرا في كذا سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف من هجرة المبعوث باحسن وصف عليه أكمل الصلاة وأتم السلام مالاح بدر تمام وفاح مسك ختام

﴿وكتب عن بعض الاحبة في جواب كتاب بوصول هدية﴾

ان أبدع مارقمه بنان البيان وأبرع مانظمه لسان الافتنان وأبهر ماسمعته آذان الاذهان وأزهر ماطالعته عيون الاستحسان سلام يفوح طيب الود من نفح عبيره ويلوح نشر الوجد من طي تعبيره وثناء يجاري نسمات الصبا بلطف الشمائل ويباري زهرات الربى بظرف الغلائل مع شوق يقصر عن وصفه لسان التقرير ويضيق عن نصفه نطاق التحرير الى حضرة جمال الدين والدنيا وتاج هامة المجد والعليا الفائز من الشرف الاعلى بالقدح المعلى لازالت ثغور السرور باسمة اليه وظلال الاقبال دائمة عليه

وبعد فمار وضة رعت النسائم زواهر اغصانها ودوحة وشت الغمائم نواهر أفنانها فباحت فيها الحمائم بترديد أشجانها وصدحت البلابل بتغريد ألحانها واختالت الاشجار من درّ زهرها وفضة غدرانها بين حليّ خلاخلها وتيجانها بابهى منظرا ولا أشهى خبرا ومخبرا ولا ألطف موقعا ولا اظرف مسمعا من كتاب استكملت انواع المسرة بوروده واقتطفت في حدائق المودة أزهار وروده قد جرى به ماء الفصاحة غير آسن وجمع أشتات الملاحة والمحاسن من كل لفظ أحلى من الشهد وألذ من طيب الكرى بعد طول السهد وقد وصف بعض ماأكابده من آلام الفراق ولواعج

الاشواق فكأنما عبر به عن لسان حالي وان قصر دونه لسان مالي ووصل معه ما تفضلتم باهدائه وتكرمتم باسدائه مما هو أثر الوداد وثمرة محبة الفؤاد فالله تعالى يمنع بقربكم قلبا يتقلب في حبكم ويسر بدوام بقائكم روحا ترتاح لطيب لقائكم ثم الرجاء ان لا تنسونا من مراسلات الوداد التي يطمئن بها الفؤاد فذلك غاية المأمول ونهاية المسؤل

﴿وكتب رسالة ودادية تتضمن التهنئة بالعيد﴾

وصلنا الى المحروسة بحمد الله تعالى وبركات توجهات سعادتكم وحسن انظار سيادتكم ونحن نتلو من محامد افضالكم ما يخجل الدرر في اسلاكها ونبث من محاسن خلالكم ما يزري بالدراري في افلاكها وقد صدرت هذه المسخنة عن يد ممتدة الى الله تعالى في الدعاء بدوام معاليكم وناظر لا ينتظر الا ما يرد من نحو ناديكم وقلب لا يتقلب الا في محبة ذلك الجناب العالي وخاطر ليس له طرفة غير تذكر تلك الهمم العوالي فعسى تنوب عني هذه الرقيمة فيما احسدها عليه من المثول بذلك النادي والوصول الى لثم تلك الايادي الباهرة الايادي والتهنئة بالعيد السعيد المترقب قرب اقباله أبقى الله سيدي الى آلاف أمثاله متمتعا بدوام جبوله واقباله رافلا في حلل فضله وكماله ثم ان لزم لسعادتكم خدمة بهذا الطرف فان امتثالي قضاءها غاية الشرف والامر أمركم

﴿وكتب تهنئة بمولود﴾

سلام على سيدي الاعز سلمه الله واسعده واكثر بفضله عدده وحفظ له ما وهب من نعمه وخوله المزيد من فيض كرمه وقد حظيت بكتابه المبشر والحمد لله بصحة جنابه واستقامة الاحوال لديه وترادف نعم الله سبحانه عليه وما تضمنه من المولود السعيد القادم عليه ان شاء الله بالرزق الجديد والعمر المديد فاستوفيت حظي من هذه البشائر مستوفى موفرا ووجب علي الشكر لله سبحانه وتعالى مضاعفا مكررا وابتهلت اليه تبارك خيره ولا اله غيره في أن يدوم على سيدي من نعماه ويزيده من وافر عطاياه ما يديم سروره وسروري لحضرته على حسب حظي من محبته واندراجي في جملته وأن يبارك في هذا النجل النبيل والنسل الاصيل ويمده بالعمر الطويل والخير

والخير الجزيل ويبقى سيدي أدام الله علاه وأطال بقاه حتى يرى الكثير من أولاده والجم الغفير من احفاده ممتعا بالسلامة وكمال الكرامة والمرجو من سيدي أدام الله سروره ويسر أموره أن يواصل تعريفي بما يتجدد من سائر أخباره لاشركه فيما يقتضيه واعلامي بما عساه يسنح من هذا الطارف من اوطاره لافوز بالانتهاء لغاية استطاعتي فيه موفقا ان شاء الله تعالى

﴿وكتب في تعزية﴾

يعز علي أن أكاتب سيدي معزيا أو ألم به في ملمة مسليا ولكنه أمر الله الذي لا يقابل بغير التسليم وقضاؤه الذي ليس له عدة سوى الصبر الكريم وقد علم مولاي اجل الله صبره ولا أراه من بعد الاماسره وشرح صدره ان الله جل ثناؤه وتباركت آلاؤه اذا امتحن عبده فصبر آجره وعوضه بكرمه كما انه اذا أنعم عليه فشكر زاده وضاعف له من نعمه وقد عرف من حال سيدي في الشكر على السراء ما يستوجب المزيد منها والظن بحزمه وعلمه ان يكون حاله في الصبر على الضراء يستجلب الاجر عليها والتعويض عنها ثم نحن اذا أمعنا في التفكر وفينا هذا الامر حقه من التدبر أيقنا اننا ولو تأخرت آجالنا وطالت آمالنا لسنا في دار المقامه وقرار الكرامه حتى نحزن على من فارقها او زايلها ولكنا في سبيل سفر ودار كدر يحق والله ان نغبط من رحل عنها او زايل غوائلها فاجلنا حالا اسرعنا ارتحالا وعلى كل حال الجزع لا ينفع وان اغضب الله سبحانه والصبر لا يضر وان جلب رضوانه واحسانه والله يسهل لسيدي سبيل الصبر وتحصيل الاجر ويعصمه من شوارد الوزر ومكائد الدهر ويتولى الماضي بالرحمة والانعام والبر والاكرام ويحسن مثواه في دار السلام وينعم له عند نزول الحمام وانتهاء الايام بحسن الختام

﴿جواب عن كتاب عتاب﴾

ورد كتاب سيدي ارشده الله وأسعده ولا زال مساعده ومسعده يشكو من جفائي وقلة وفائي ما بسط فيه لسانه وأطال به ايده الله بيانه وأدى حقه من البلاغة أداء متفنن متمكن وذهب فيه من سحر الكلام كل مذهب ممكن وغير ممكن حتى انني لقوة تخييله وتصويره وفرط براعته ايده الله في حسن تعبيره كدت أتوهم اني فعلت

مالم افعل من الذنب وانى استوجبته اوردءاعزه الله من العتب فلما الحى حرّ المعاتبة وخشن علىّ ملمس المخاطبة وأخذمنى اللوم مأخذه ايلاما وبلغ بى مبلغه انكسارا واعظاما اردت أن آخذ لنفسى بالحجة والدلالة على سواء المحجة لولا أنى رجعت فذكرت أنّ مولاى اعزه الله وان ركب من المغالطة فى هذه المكاتبة خلاف رأيه وسلك من المواربة فى هذه المعاتبة خلاف مذهبه الا انه بجلية الامر أعرف وأعلم ومن أن يلتبس عليه الحال بالمحال احزم وأحكم وانما حمله على هذه الطريقة مع كمال علمه ومعرفته بالحقيقة قصد المبالغة فى تبرئة ناحيته ودفع اللوم على ان يلم بعلى ساحته وقدّر أنه ان خلص من هذه القضية كفافا لا له ولا عليه فقد ربح السلامة بما عساه ان ينجر من الملامة اليه فان كان هذا مبلغ ما توخاه من ذلك المنحى الذى نحاه فأنا لا اقنع له من النصر بذلك القدر النزر بل احب ان تكون الغلبة له كاملة غير منتقصة ونصرته حرسه الله مهنأة غير منغصة فأنا الخاصم نفسى من جهته واعارضها بحجته وألزمها ان تنزل على حكمه وتنزع الى سلمه واعترف له بجميع ما جهله وفصله اعترافا يزيل الشقاق ويرد الوفاق ثم اسأله ان يعفو ويصفح عارفا بانه اذا ملك اسجح واذا قدر عفا واصلح فان فعل ذلك فقد فاز مع لذة الظفر والنصر بما يرجوه على العفو من حسن الثواب والأجر وفزت أنا فى الجملة بتحصيل رضاه وبالخروج عن موافقة هواه وانفصلنا عن القضية وكلانا فائز بسهمه راض بما حصل فى قسمه وان أبى الا ان يناقشنى الحساب ويتمادى حرسه الله على ذلك العتاب فلن يعدم داعيه فى معرض الجدل شبهة اذا لم يجد حجة وقد جاء فى المثل لا تعدم الخرقاء حيلة وما اظنه يرانى اقل من هذه درجة فليختر لنفسه ما يراه اقرب الى الصواب وليتفضل على داعيه ومحبه وراجيه بالجواب موفقا ان شاء الله تعالى آمين يارب العالمين

﴿وكتب تقريظا لصحيفة الوقائع المصرية حين﴾
﴿أصلح أمرها بعد سابق اختلال اعتراها﴾

لاريب ان كل من عرف التمدن وشم عرف التفنن وأخذ بنصيب من الفهم والتفطن كان احب شئ اليه وأوجب أمر لديه أن يكون مطلعا على وقائع مصره عارفا بما

تجد بين يدي عصره من حوادث الزمان وعجائب عالم الامكان وما هو سائر في الممالك المتمدنة ودائر بين الملوك المتمكنة وما هو جار بين الدول المتفقة والملل المتفرقة من عهود تجدد وشروط تؤكد وآثار تغير وصعاب تيسر وما بينهم من نزاع ومقاتلة وخداع ومخاتلة وسكون وهدنة وحركة وفتنة وما حدث في احوال التجارة وأمور السياسة والادارة وما ابدته فحول العقلاء في مجامعها وما استبدأته عقول النبلاء من بدائعها وما ظهر من روائع الصنائع وعوارف المعارف وطرائف اللطائف فتتسع دائرة اطلاعه ويمتد الى المعالي طويل باعه ويعرف العوائد مذمومها وممدوحها ويميز الآراء راجحها ومرجوحها فيجتني ثمرات الافكار ويقتني محاسن الآثار ويمتع وهو مستريح بنتيجة ما تعب فيه غيره الليل والنهار ويكون كأنما طاف مشارق الارض ومغاربها وجرب جميع الامور ودرى عواقبها فلا تكاد تنزل بساحته حادثة الا وقد أحاط علمه بنظيرها وعرف غاية مصيرها وكيف يفتح باب النجاح في حسن تدبيرها الى غير ذلك من المنافع الجمة وغرر المحاسن المهمة التي يقصر عن حدها اللسان ويقصر في عدها البيان ولا مرية في ان صحف الاخبار هي الحافلة بهذه المزايا الكافلة باستخراج فرائد الفوائد من خبايا الزوايا فهي جهينة الاخبار وخزينة ذخائر الافكار وصيقل الاذهان ومرآة حوادث الزمان وهي الجليس الذي تعجب نوادره والانيس الذي يطرب حديثه من يسامره والخليل الذي لا يستر منك امرا ولا يخبأ عنك خبرا ولا خبرا والنديم الذي لا تخاف عربدته والصاحب الذي تسرك مودته وهي السائح الذي يطوف البلاد ويأتيك باخبار العباد ويعرفك أحوال زمانك وأنت لا تبرح من مكانك ثم مؤنته هينة ومعونته بينة تنتفع منه وتستفيد ولا تصرف عليه في العام غير شئ زهيد فالنبهاء من الناس لا يفترون عن هذه اللطائف ولا يفترون من مطالعة تلك الصحائف وقد كانت صحف الوقائع المصرية في الممالك الاسلامية من الصحف الاولى الراقية من مراتب الاجادة والافادة الى الدرجة الاولى ثم عدت عليها عوادي الزمان فبقيت في حضيض الاهمال تحت ذيل الهجران حتى نسجت عليها عناكب النسيان الى أن أعادها معيد رسوم المعارف بعد اندراسها وباني بيوت المعالي على محكم أساسها بدر فلك الحكومة

المصرية وشمس سمائها الماحى بأنوارهمته السنية حنادس ظلماتها المقتدى بآثار الماجد وجده الكريم سمى سيدنا اسماعيل بن ابراهيم أبقاه الله ذخرا للفضل وأهله ولابرحت مصر معطرة الارجاء بأريج عدله الا أن الصحيفة المذكورة لم تعد فى النشأة الآخرة الى حالها الاولية حتى لقد بقيت مدة من الزمن خالية عن الاخبار الاجنبية وكثير من الحوادث الداخلية وتالله لقد كنا ننظر اليها نظر المتأسف وننتظر اصلاحها انتظار المتلهف ونراها بحال عليل كل من رنا اليه رثى اليه وكلما ابصره اهله تمنوا أن يقضى له الشفاء أو يقضى عليه ولما كان ما بها من تلك الحالة على ضد المقاصد العلية الداورية ولم تزل العناية السنية منعطفة لتقدم احوال هذه الديار المصرية وكان من يعلم ذلك حق يقينه الامير الجليل الذى لايسمح الزمان بقرينه العلم المفرد فى العلم والادب ومعالى الهمم البارع المتقن المتفنن فى لغة العرب والترك والعجم حضرة احديك خيرى مكتوبجى الجناب الداورى اهتم بتحسين هذه الصحيفة واصلاحها وأشار الى مأمورها بما يكون فيه حسن نجاحها وساعد على انفاذ هذه النية السنية صاحب المعارف الباهرة والافكار الزاهرة والهمم العلية حضرة محمد شريف باشا ناظر الامور الداخلية والخارجية والمدارس المصرية فعادت كما بدت وأحسن بهمة المشار اليهما وغدت بلسانها الفصيح تثنى على الجناب الاكرم الخديوى ثم عليهما وناهيك بازالة ما كان فى وجوهها من الخط الثقيل واستبداله بما تراه الآن من الخط الجميل الذى صار فى مطاويها براعة استهلال لما قد اتفقت اليه من لطف الاسلوب وحسن الاحوال فوجب على اهل الوطن العزيز وأصحاب المعارف والتمييز أن يشكروا فضل هذه الهمم الخيرية بمدخير الدعاء للحضرة الداورية فانها الاصل الاصيل فى الاصلاح والمرشد الدليل الى سبيل النجاح ونرجو من محرر هذه الصحيفة ومأمورها والقائمين بادارة أمورها أن لاتزال راقية فى مدارج الكمال راقلة فى حال الحسن متحلية بحلى الجمال فائزة بسلوك جادة الاجادة حائزة براعة العبارة وكثرة الافادة بحيث تكون حلاوة مبانيها وطلاوة معانيها واطف أساليبها وظرف تراكيبها أنموذجا لمن يتعلم حسن التعبير والتقرير ومثالا يقتدى به من يروم تحبير التحرير مع استيفاء الاخبار الداخلية

وسا يلزم

فيلزم من الحوادث الاجنبية وإنباء الاخوان من ابناء الاوطان بما يعود عليهم نفعه ويعظم لديهم وقعه وارشادهم لما يفيدهم مزيد التقدم فى التمدن وتنبيههم على ما يقبح من العوائد وما يحسن وانما قلت ما قلت وأكثرت فى هذا الرجا وطولت لان فى مأمورى هذه الصحيفة اهلية لما أملت والمأمول من سكان الديار المصرية ولا سيما أهل هذه الحاضرة البهية أن يقبلوا على صحائف الوقائع ويلتفتوا اليها ويرغبوا فى مطالعتها ويحرصوا عليها ويتبعوا ما ينبهون عليه من الامور النافعة والعادات الحسنة ليكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أليس هذا أولى من الامور العبثية كالعكوف على الملاهى وسماع القصص الخرافية مثل ما اشتهر من قصة سيف بن ذى يزن وحكاية عنترة والظاهر وابراهيم بن حسن وامثال ذلك من الحكايات التى أكثرها اكاذيب وتمويهات واسوأ من ذلك حال اقوام ينتدبون للمشاجرة فيما شجر بين الصحابة ويتجاذبون اختلاف الخلاف فيما ينسبون لبعض هذه العصابة من الخطا والاصابة على أن بعضهم لا يعرف وجه ما يخوض فيه ولا يدرى على الحقيقة كنه ما يخرج من فيه وانما هو تقليد بلا دليل وخبط على غير سبيل لا سيما والتواريخ مضطربة الاقوال على حسب اختلاف الاغراض والاحوال ولا ثمرة للخلاف ولم نكن حاضرى المصاف فياليت شعرى اى معنى فى هذا العناء الباطل واى طائل وقد نهانا عن الخوض فى ذلك اكابر العلماء الافاضل وهل ذلك لزعمهم مثوبة اخروية أم لتوهمهم فائدة دنيوية ان كانت الاولى فعندنا ما هو اولى مثل دراسة كتاب الله القديم وكلام نبيه الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم وعلى اهل بيته الطيبين الاطهار وصحابته الخيرة الابرار ومثل تعلم اصول الدين وعقائده والاشتغال بمعرفة آدابه الشريفة وقواعده الى غير ذلك من الاعمال الفاخرة الجالبة خيرى الدنيا والآخرة وان كانت العلة الحاملة حصول الثمرة العاجلة فثم مسالك قرب لذلك كاجتهاد الانسان فى نحو تجارته وذراعته واهتمامه بازدياد براعته فى صناعته والتوصل الى توسيع دائرة المدنية بالجد والجهد فى الفنون والمعارف الانسانية وعقد الشركات فى الامور النافعة والاستعانة باجتماع الايدى على جنى ثمرات الربح اليانعة فانه يتهيأ للاثنين ما ليس للواحد به استطاعة وحسبك

المجموع بغاية الاعتناء ويغفلونه فبدأ التعليم ومن اراد التوسع بعد فقد عرف الصراط المستقيم وقد اذنت لمن وثق من نفسه ان يوضح ما يراه موضعا للايضاح وان يصلح مادعى السهو فيه الى نوع اصلاح والله سبحانه لى ولكم نعم المعين والوسيلة اليه فى ذلك سيد المرسلين صلوات الله وتسليماته عليهم اجمعين ورضاه عن اوليائهم وسائر التابعين

يقول أسير الشهوات وكثير المساوى والهفوات راجى التجاوز عن زلاته وآثامه حسن ابن الشيخ أبو زيد سلامه غفر الله ذنوبهما بمنه وكرامه وآثابهما جنته بفضله وانعامه والمسلمين أجمعين بجاه نبيه الصادق الامين بعد حمد من جعل لغة العرب وسيلة لمعرفة فنون الادب والصلاة والسلام على أشرف منتخب وآله وأصحابه الفائزين باعلى الرتب والتابعين المتمسكين من التقوى باقوى سبب قد تم باسعاف الالطاف الجليلة طبع مجموع لفنون الادب وسيلة حوى من كل علم أحسنه واشتمل على نفائس درر مستحسنه بنات فكر اخترعتها فكرة سليمة وعرائس خدر ابرزتها محاسن كريمة فهو وسيلة الادب ومبلغ لتمام الارب جمعه العلم الشهير البحر الحبر النحرير صاحب البيان الوفى من به الفؤاد من سقام الجهالة يشتفى علامة وقته وفريد عصره الشيخ حسين المرصفى لازال ملحوظا من الجليل بكمال العناية محفوظا برعاية الكريم فى البداية والنهاية غوثا يسح ويتزل وبحرا يفيض ويسترسل والنصح لمن يصل هذا المجموع إليه أن يعض بنواجذه عليه لينال غاية ما يتمناه ويفوز بتحصيل ماقد حواه ويخرج من ربقة أسر الجهل ويفوز بدرجة أهل الفضل ليتلق هذا الجامع بحسن قبول ويرجو من الكريم الى فهم ما فيه الوصول وكان تمام طبعه وحسن ترتيبه ووضعه بمطبعة وادى النيل البهية بخط باب الشعرية من مصر المحمية فى ظل ولى العهد والتوفيق أفندينا محمد باشا توفيق جعله الله رحمة على العباد وغيثا ماطرا بالكل حاضر وباد وقوم بعدله حال الرعية وعم بفضله سائر البرية مصححا بمباشرة هذا العبد الفقير الكليل الخاطر الكسير أوائل شهر الله رجب الاصم الاصب سنة ١٢٩٦ ست وتسعين ومائتين بعد الالف من هجرة من كان يرى من أمامه كما يرى من الخلف صلى الله وسلم عليه وآله وصحبه وكل منتم اليه ما انتشر مسك ختام وفاح ونادى المؤذن حى على الفلاح آمين